

لوائح الأوارقية
في
بيان المعهود المحمدي

تأليف

سَيِّدِي عَبْدُ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِي

تقديم

الأستاذ محمد علي الأدلبي

دار القلم العربي
بجانب

لواقع الأنوار القدسيّة
في
بيان جهود المحمّديّة

مُنشوراتُ
دارِ القلمِ العُزْبِيِّ بِحَلَبَ

جميعُ الحقوقِ محفوظة

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

عن يدِ الدارِ
سُورِيَّة - حَلَبَ - حَلَفَةُ الْفُنْدُقِ الْيَسِيحِيِّ
بِشَارِعِ هُدَى الشُّعْرَاوِيِّ
هاتف: ٢١٣١٢٩٠ - ص.ب: ٧٨ - تلاكس: ٣٣١٦٩٢ ريفكو

مطبعةُ الصَّيْبِلِ

دمشق - هاتف: ٢٢١٥٢٠

عدد النسخ (١٠٠٠)

المؤلف

نبذة عن الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى

أنقل هنا ما كتبه العلامة أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي في كتابه (شذرات الذهب) حيث قال :

قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في طبقاته : هو شيخنا الإمام العامل العابد الزاهد الفقيه المحدث الأصولي الصوفي المرابي ، من ذرية السيد محمد بن الحنفية – ولد رحمه الله تعالى ببلدة قلقشندة بمصر سنة ٨٩٨ هـ – وهي قرية جده لأمه ، ثم نقل بعد أربعين يوماً من مولده إلى قرية أبيه ساقية أبي شعرة ، وإليها نسبته – .

توفي والده وهو طفل ، ومع ذلك ظهرت فيه علامة النجابة ، ومخايل الرياسة والولاية ، فحفظ القرآن الكريم ، وأباً شجاع – مختصر في الفقه – والآجرومية – مختصر في النحو – وهو ابن سبع أو ثمان ، ثم انتقل إلى مصر – القاهرة – سنة ٩١١ هـ ، فقطن بجامع الغمري ، وجد واجتهد – وحنن الله عليه شيخ الجامع وأولاده فمكث بينهم كأب واحد منهم ، يأكل ما يأكلون ، ويلبس ما يلبسون وأقام بينهم حتى حفظ متون الكتب الشرعية وآلاتها .

ولبث في مسجد سيدي أبي العباس الغمري سبعة عشر عاماً يتعلم ويعلم ، ويتعهد ويتعبد ، وهو في كل هذه المدة لا يضيع أوقاته ، بل كان رحمه الله قد ملأها ما بين حفظ للمتون الشرعية وعرضها على أكابر علماء ذلك العصر وصفوة علماء ذلك المصر كالإمام السيوطي ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، وناصر

الدين اللقاني وأضرابهم ، وقد أفاض رحمه الله تعالى في ذكر أساتذته في كتبه ، كما أفاض في ذكر إجلاله لهم ، وحبهم له .

درس الشعراني على هؤلاء الأعلام وغيرهم من خيرة علماء ذلك العصر الثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية بشتى فنونها وعلومها في الأصول والفقه ، والتصوف والحديث ، والتفسير ، والأدب واللغة حتى غدا كما يقول : لا يتصور أحد من معاصريه أحاط بما أحاط به علماً ، أو تخلق به عملاً .

ثم أقبل على الاشتغال بالطريق ، فجاهد نفسه مدة ، وقطع العلائق الدنيوية ، ومكث سنين لا يضطجع على الأرض حتى قويت روحانيته .

ثم أخذ عن مشايخ الطرق ، فصحب سيدّي علياً الخواص والمرصفي ، والشناوي وتسلق بهم .

ثم تصدى للتصنيف فألف كتباً كثيرة . اهـ .

قال النجم الغزي في (الكواكب السائرة ١٧٧/٣٨) وكتبه كلها نافعة ، وقد دلت كتبه على أنه اجتمع بكثير من العلماء والأولياء والصالحين . اهـ .

هذا وقد حسده طوائف ، ففسدوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشرع الحنيف ، وعقائد زائفة ، ومسائل تخالف الإجماع ، وأقاموا عليه القيامة ، وشنعوا عليه ، وسبوا ، ورموه بكل عظيمة ، فخذلهم الله تعالى ، وأظهره عليهم .

وكان رحمه الله تعالى : مواظباً على السنة ، مبالغاً في الورع ، مؤثراً ذوي الفاقة على نفسه ، متحملاً للأذى ، موزعاً أوقاته على العبادة ، ما بين تصنيف وتسليك وإفادة .

وكان رحمه الله تعالى يُسمع لزاويته دويّ كدوي النحل ليلاً ونهاراً .

وكان رحمه الله تعالى يُحيي ليلة الجمعة بالصلاة على الحبيب المصطفى سيدنا

محمد ﷺ .

وكان رحمه الله تعالى عظيم الهيبة ، وافر الجاه والحرمة ، تأتي إلى بابه الأمراء .
وقد أكرمه الله تعالى لكرامات كثيرة ، وإكرامات عظيمة ولا عجب في ذلك
فإنه يكرم عباده الصالحين بما شاء سبحانه ، والإمام الشعراي واحد من هؤلاء
ديناً وتقياً وصلحاً وصفاء مع الصدق والإخلاص والزهد في الدنيا ، والعمل
للعقبى .

ولم يزل رحمه الله تعالى عابداً زاهداً متقرباً إلى الله تعالى بأنواع القربات
والطاعات ، معظماً في الصدور ، محبباً في القلوب إلى أن نقله الله تعالى إلى دار
كرامته راضياً مرضياً .

ومن كلامه رحمه الله تعالى :

١ - دُوروا مع الشرع كيف كان .

٢ - ينبغي لإكثار مطالعة كتب الفقه ، عكس ما عليه المتصوفة ، الذين
لاحت لهم بارقة الطريق فمنعوا مطالعتها ، وقالوا : إنها حجاب جهلاً منهم .
توفي رحمه الله تعالى سنة ٩٧٣ هـ ودفن بزوايته .

أقول : وقبره رحمه الله تعالى معروف بمصر - وهو أهل بالزائرين له ،
المتبركين به ، وذلك بالمسجد المسمى باسمه رحمه الله تعالى في باب الشعرية
بالقاهرة .

من شذرات الذهب يتصرف مع دخول بعض الفقرات في الكواكب السائرة ،
ومقدمة كتابه : الأنوار القدسية . ومن أراد الزيادة في معرفة أخباره فليرجع إلى
كتابه (لطائف المنن) وجامع كرامات الأولياء للعلامة المحب الفاني المرحوم الشيخ
يوسف بن إسماعيل النبهاني نفعنا الله به وعباده الصالحين وحشرنا معهم تحت لواء
سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجعلنا أهلاً لنيل شفاعته المشفع
صاحب الوجه المقبول عليه الصلاة والسلام ، وجعلنا ممن يرد حوضه عليه الصلاة

والسلام ، وممن يشرب منه وييده الشريفة عليه الصلاة والسلام شربة لا نظماً
بعدها أبداً – آمين يا رب العالمين .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وكتبه محمد علي إدلبي

حلب حرسها الله تعالى

٦ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ

المؤلف

هذا الكتاب

لواقح الأنوار القدسية يكاد أن يكون الترغيب والترهيب للحافظ المنذري رحمه الله تعالى غير أنه بأسلوب آخر مبتكر ، شحذاً للهمم وتقويةً للعزائم .

وكان السبب في تأليفه ما ذكره الإمام الشعراي في مقدمة كتابه فقال : وكان الباعث لي على تأليفه ما رأيته من كثرة تفتيش الإخوان – الأصحاب – على ما نقص من دنياهم ، ولم أر أحداً منهم يفتش على ما نقص من أمور دينه إلا قليلاً ، فأخذتني الغيرة الإيمانية عليهم وعلى دينهم ، فوضعت لهم هذا الكتاب المنبه لكل إنسان على ما نقص من أمور دينه . اهـ .

بدأ كتابه رحمه الله تعالى بالحث على إخلاص النية ، والترغيب بالعمل بالسنة النبوية ، واتباع الشارع ﷺ .

ثم بالحث على طلب العلم الشرعي وبذل الوسع في تحصيله ، والسعي في سبيله .

ثم تجده بعد ذلك يسير بك على أبواب الفقه باباً :
فالوضوء أولاً .

فقد بين ما فيه من التخلية عن الذنوب والآثام ، وما فيه من التحلية ، بأنوار العبادة : « إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء » .

ثم السواك والأذان ودخول المساجد والسعي لها والمحافظة على نظافتها ، مع

بيان ما في صلاة الجماعة من الأجر ، وما جاء عن صاحب الشرع ﷺ في الحث عليها .

بعد ذلك يأتي الحديث عن الصلاة فرضاً ونفلاً وواجباً فذكر ما فيها أيضاً من تخلية عن الذنوب وآثارها ، وتخلية بآثار الطاعة وأنوارها .

أتبع ذلك بالحث على أداء الزكاة في أوقاتها ، مرغباً بالصدقة مبيناً آثارها وفوائدها وعوائدها .

ثم تحدث عن الصوم وفضائله ، وعن صوم النفل وفوائده .

بعده بيّن حكم الأضحية والأجر المعد لفاعلها .

بعد ذلك ذكر الحج والعمرة ، وبيّن ما فيهما من فوائد وعوائد .

ثم رغب بتلاوة القرآن الكريم موضعاً الآثار المترتبة على ذلك ، وبين آثار وفوائد الإكثار من استغفار الله تعالى من ذكره جل في علاه ، وأوضح ما يناله المصلي على النبي ﷺ من رفع الدرجات والإكثار من الحسنات ومحو السيئات وغير ذلك من العطايا من رب الديات .

ثم أوضح ورغب ما على المسلم أن يكون عليه حاله في بيعه وشرائه وهو مبحث نفيس ينبغي الإطلاع عليه والعمل بموجبه حتى لا يقع المرء في الحرام وهو لا يدري وهو غير معذور بجهلة .

بعد ذلك جاء دور الحديث بل الترغيب في الرجوع إلى الله تعالى عند كل مهمة ومدهمة ، والتعرف إليه في الرخاء ليعرف عبده عند ذلك في الشدة .

ثم الحديث عن النكاح وبيان فوائده ، وضروراته ، وكيفية التدرج فيه من الخطبة إلى الزفاف إلى ما بعد ذلك .

ثم ما ينبغي أن يكون حال العبد من شكر النعمة بحسن الملابس والمظهر والمأكل والمشرب مع ذكر آداب الطعام والشراب والضيافة والزيارة .

أضف إلى ذلك ذكر جملة من الآداب الشرعية عامة وخاصة مع الناس كافة :
مع الفقير والغني ، واليتيم وغير هؤلاء ، بل ذكر رحمه الله تعالى ما ينبغي أن
يكون عليه حال المسلم في ليله ونهاره ، وسفره وحضره ، في مسجده وبيته
وسوقه ، مع أهله وأولاده ووالده ، مع القريب والرحم والغريب وفي بلده وغير
بلده ، وما ينبغي أن يكون عليه حاله في سائر شؤوناته أن يكون في جميع أحواله
متقرباً إلى الله تعالى ، عاملاً بسنة النبي المصطفى سيدنا محمد ﷺ ، مبتعداً عن
كل ما يبعده عن رب العزة سبحانه وتعالى .

كل هذا مدعماً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية معزوة لمخرجها ، حتى
لا يبقى شك لذي شك ، ولا دعوى لصاحب بدعة وهوى إنه بحق مكتبة في
كتاب .

نعم إنه جدير بالقراءة والعمل بما فيه وفيما دعا إليه .

والله ولي التوفيق وهادي من يشاء إلى صراط مستقيم .

والحمد لله رب العالمين

(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام العلامة العمدة الهام ، البحر المحقق الفهامة ، عين أعيان المحققين العظام ، وأوحد أجلة العارفين السكرام ، القطب الرباني والعارف المحقق الصمداني الشيخ هبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراوي رضي الله تعالى عنه :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين ، اللهم فصل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين ، صلاة وسلاماً دائماً متلازمين أهدا الآبدين آمين .

وبعد : فهذا كتاب نفيس لم يسبقني أحد إلى وضع مثاله ، ولا أظن أحداً نسج على منواله ، ضمنته جميع اليهود التي بلغتنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من فعل المأمورات وترك المنهيات ، وسميته :

لواقح الأنوار القدسية في اليهود المحمدية

وكان الباعث على تأليفه ما رأيته من كثرة تفتيش الإخوان على ما نقص من دينهم ، ولم أر أحداً منهم يفتش على ما نقص من أمور دينه إلا قليلاً ، فأخذتني الغيرة الإيمانية عليهم وعلى دينهم ، فوضعت لهم هذا الكتاب المنبه لكل إنسان على ما نقص من أمور

دينه ، فمن أراد من الإخوان أن يعرف ماذهب من دينه فلينظر في كل عهد ذكرته له في هذا الكتاب ، ويتأمل في نفسه ، يعرف يقينا ماأخل به من أحكام دينه ، فيأخذ في التدارك أو الندم والاستغفار إن لم يمكن تداركه ، ثم لا يخفى عليك ياأخى أن مجموع أحكام الشريعة ترجع إلى ثلاثة أمور : أمر ونهى ومرغب فيه لم يصرح الشارع فيه بأمر ولا نهى ، وإنما رغب في فعله بالثواب أو رهب من تركه بفوات الثواب كالوضوء على الوضوء ، فإن الترغيب في فعل شيء مؤذن بالرضا عن فاعله ، كما أن الترهيب من فعل شيء مؤذن بعدم الرضا عن فاعله ، وإن كان ذلك لم يلحق بدرجة الأمر والنهى الصريحين .

وعبارة الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في قواعد الكبرى : اعلم أن كل فعل مدح في نفسه أو مدح فاعله من أجله أو وعد عليه بخير عاجل أو آجل فهو مأمور به ، لكنه متردد بين الإيجاب والتدب اه .

وقد قسمت الكتاب على قسمين :

القسم الأول : في بيان ماأخل به الناس من المأمورات .

القسم الثاني : في بيان ماأخل به الناس من اجتناب المنهيات :

وإنما بدأت في أول الكتاب بقسم المأمورات وأخرت المنهيات وإن كان الواقعون في المنهيات أكثر عملا بالأصل من حيث أن الطاعات أصلية والمعاصي عارضة ، وأن كل مؤمن يود أن يطيع الله تعالى ولا يعصى أمره أبدا ، ولكن الله تعالى في تقديره المعاصي على عبده حكم وأسرار لا تخفى على من في قلبه نور .

ثم اعلم ياأخى أن طريق العمل بالكتاب والسنة قد توعدت في هذا الزمان ، وعز سالكها لأمر عرضت في الطريق يطول شرحها ، حتى صار الانسان يرى الأخلاق المحمدية فلا يقدر على الوصول إلى التخلق بشيء منها ، فلذلك كنت أقول في غالب عهود الكتاب وهذا العهد يحتاج من يعمل به إلى شيخ يسلك به الطريق ، ويزيل من طريقه الموانع التي تمنعه عن الوصول إلى التخلق به أو نحو ذلك من العبارات إشارة إلى أنه لا يلزم من معرفة الفقيه بالأحكام الوصول إلى العمل بها . بل يحتاج مع ذلك إلى شيخ يريه معالم الطريق كما وقع للإمام الغزالي والشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيرهما ، وإنما شيدت كل عهد منه بالأحاديث الشريفة ، لإعلامك ياأخى بأن عهود الكتاب مأخوذة من الكتاب والسنة نصا واستنباطاً ، لئلا يطعن طاعن فيها وسدا لباب الدس من الحسدة في هذا الكتاب

كما وقع لى ذلك فى كتاب [البحر المورود فى الموائيق والعهود]، الذى جمعت فىه عهود المشايخ التى أخذوها على ، فإن بعض الحسدة لما رأى لإقبال الناس على تلك العهود وعرف عجزه عن الوفاء بها مع ادعائه المشيخة ، عمل حيلة واستعار من بعض المغفلين من أصحابى نسخة وأوهمه شدة الاعتقاد فى جنائى ، وكتب منها عدة عهود ودس فيها أموراً مخالفة لظاهر الكتاب والسنة وأشاعها عنى فى مصر ، فحصل بذلك فتنة عظيمة فى جامع الأزهر وغيره ، وانتصر لى الشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ شهاب الدين الرملى وجماعة ، وأجابوا عنى بتقدير صحة ذلك منى وما سكنت الفتنة حتى أرسلت للعلماء نسختى التى عليها خطوطهم ففتشوها فلم يجدوا فيها شيئاً مما دسه الحسدة وأشاعوه عنى ، ومن تلك الواقعة ما ألقت كتاباً إلا وتعرضت فىه لما دسه الحسدة فى كتبى ، وتبرأت فىه من كل شىء يخالف الكتاب والسنة ، طلباً لإزالة ما فى نفوس بعض الناس ، لئلا يحصل لهم الإثم بذلك . فهذا كان سبب تشييدى لعهود هذا الكتاب بالأحاديث والآثار ، فإن الحاسد لو دس فىه شيئاً يخالف الأحاديث التى أذكرها لا يروج له أثر عند الناس ، وكيف يستدل مؤلفه لكلامه بالأحاديث التى يخالفه منطوقها أو مفهومها هذا أمر بعيد ، فالله يحفظ هذا الكتاب من مثل ذلك إنه سميع مجيب .

واعلم يا أخى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان هو الشيخ الحقيقى لأمة الإجابة كلها ، ساغ لنا أن نقول فى تراجم عهود الكتاب كلها : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعنى معشر جميع الأمة المحمدية ، فإنه صلى الله عليه وسلم إذا خاطب الصحابة بأمر أو نهى أو ترغيب أو ترهيب انسحب حكم ذلك على جميع أمته إلى يوم القيامة ، فهو الشيخ الحقيقى لنا بواسطة أشياخ الطريق أو بلا واسطة ، مثل من صار من الأولياء مجتمع به صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بالشروط المعروفة عند القوم . وقد أدركت بحمد الله تعالى جماعة من أهل هذا المقام كسيدى على الخواص ، والشيخ محمد العدل ، والشيخ محمد بن عنان ، والشيخ جلال الدين السيوطى وأضرابهم رضى الله تعالى عنهم أجمعين . ثم لا يخفى عليك يا أخى أن من شأن أهل الله عز وجل كونهم يأخذون العهد على المرید بتركه المباح زيادة على الأمر والنهى طلباً لترقيه ، إذ المباح لا ترقى فىه من حيث ذاته وإنما هو أمر برزخى بين الأمر والنهى ، جعله الله تعالى مرتبة تنفيس للمكلفين يتنفسون به من مشقة التكليف إذ الإقبال على الله تعالى فى امتثال الأمر واجتناب النهى على الدوام ليس من مقدور البشر ، فأراد أهل الله تعالى للمرید أن يقلل من المباح جهده ويجعل موضعه

فعل مأمور أو اجتناب منهى أو مرغّب في فعله أو تركه لأخذهم بالعزائم دون الترخيصات
فترى أحدهم يفعل المندوب مع شدة الاعتناء به كأنه واجب ويجتنب المكروه كأنه حرام
ويترك المباح كأنه مكروه ويفعل الأولى كأنه مستحب ويستغفر من فعل المكروه كأنه
حرام ويترب من فعل خلاف الأولى كأنه مكروه ويتوب من ترك المندوب كأنه
واجب ، ومن القوم من يقلب المباح بالنية الصالحة إلى خير فيثاب عليه ثواب المندوب ،
كان ينوى بأكله التقوى على عبادة الله تعالى ، أو بنومه في النهار التقوى على قيام الليل
عند من لم يصح عنده حديث :

« اسْتَعِينُوا بِالنُّومِ فِي الْقِيلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ » .

أما من صح عنه هذا الحديث فهو مستحب أصالة لاجتماعه ، وقد كان الشيخ أبو الحسن
الشاذلي يسمي النوم وردا ويقول : لا أحد يوظفني من ورد النوم حتى أستيقظ بنفسى .
فعلم أن أهل الله تعالى من شأنهم أن لا يوجدوا إلا في فعل واجب ، وما ألحق به من المندوب
والأولى أو في اجتناب منهى وما ألحق به من المكروه وخلاف الأولى . فإياك يا أخى أن
تبادر إلى الإنكار عليهم إذا رأيت أحدا منهم يأخذ العهد على مريره بتركه المباح ، وتقول
كيف يأخذ العهد على مريره بترك المباح مع أن الشارع أباحه له ، فإنك في واد وأهل
الله في واد .

وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى بعض أهله عن فعل المباح : فنهى
فاطمة رضی الله عنها عن لبس الحرير والذهب ، مع أنه صلى الله عليه وسلم أباحهما
لأنات أمته وقال :

« يَا فَاطِمَةُ مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ » .

ونهى صلى الله عليه وسلم عائشة رضی الله عنها عن الأكل في يوم واحد مرتين
وقال لها :

« أَكَلْتَانِ فِي النَّهَارِ إِسْرَافٌ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » .

مع أنه صلى الله عليه وسلم أباح لأمة أن يجمعوا أكل يوم بين الغداء والعشاء بل هو
الأكثر من فعله صلى الله عليه وسلم رحمة بالضعفاء من أمته ، وقد عمل القوم على نحو
ذلك مع المريدين الصادقين ، فأخذوا المرير بتناوله الشهوات المباحة وبوضعه جنبه إلى
الأرض من غير ضرورة ، وبالأكل من غير جوع ، وبالنسيان وبالاحتلام ، وكذلك أخذوه
بمد رجله في ليل أو نهار لالضرورة إلى غير ذلك : ولهم في ذلك أدلة يستندون إليها .

فأما دليلهم في مؤاخذتهم المرید بأكل الشهوات المباحة ، فهو كون الحق تعالى نهي أهل النار بأكلهم الشهوات بقوله تعالى :
(أَذْهَبَتْكُمْ طَبِيبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَبَمْتُمْ بِهَا ، فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) الآية .

وقالوا : مانعاه الله تعالى على أهل النار وجزاهم عليه بالعذاب فالؤمن أولى أن يتركه ، وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول في قوله تعالى :
(فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) .

هو واد في جهنم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات .
وأوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام : يادود حذر وأندر قومك من أكل الشهوات ، فإن قلوب أهل الشهوات عنى محجوبة اه ، والنوم كذلك بجامع الغفلة والحجاب عن الله تعالى لإلضرورة .

وأما دليلهم في مؤاخذتهم المرید بالنسيان ، فإنه لا يصح وقوعه من المرید إلا بعد تماطيه مقدمات ذلك الأمر الذى نسيه من الغفلة والتهاون به بدليل ما قاله علماؤنا فيمن نسى الماء في رحله أو أضله فيه ، فلم يجده بعد الطلب فتيمم وصلى أنه يقضى ما صلاه بالتيمم ونسبوه إلى التقصير في نسيانه وإضلاله ، وقالوا لو صلى بنجس لم يعلمه وجب القضاء في الجديد وإن علم به ثم نسى وجب القضاء على المذهب والنظائر كثيرة .

وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رضى الله عنه يقول : إنما آخذ القوم المرید بالنسيان لأن مبنى طريقهم على الحضور الدائم مع الله عز وجل ، والنسيان عندهم نادر والنادر لا حكم له مع أن قاعدة الشريعة رفع حكم النسيان إلا ما استثنى ، كتدارك مانسيه من الصلاة وضمان ما أكله من طعام الغير بغير إذنه ناسيا ونحو ذلك .

ثم ليتأمل ذلك النامى في نفسه في شدة اعتنائها بتحصيل أمر الدنيا وعدم وقوعه في نسيانه ، كما إذا وعده شخص بألف دينار يعطيها له في الوقت الفلانى ، كيف يصير يتذكر ذلك لحظة بعد لحظة حتى يأتى وقته حرصا على سحت الدنيا فأراد أهل الله تعالى من المرید أن يقلب تلك الداعية التى عنده للدنيا ويجعلها لأمر الآخرة ليفوز بمجالسة الله تعالى في الدارين .

وأما دليلهم في مؤاخذتهم المرید بالاحتلام ، فلأنه لم يقع منه إلا بعد مقدمات التساهل بالنظر إلى ما لا يحل غالبا أو التفكير فيه ، فلما عجز عن الوصول إليه حال النظر والتفكير

أتاه إبليس في المنام ليسخر به فلان من لا يطلق بصره إلى محرم ولا يتفكر فيه لا يحتلم أبداً ،
ولذلك لم يقع الاحتلام إلا من المريدين والعوام دون الأكابر ، فإن الأكابر إما معصومون
كالأنبياء أو محفوظون كالأولياء . ثم إن وقع أن أحداً من أكابر الأولياء احتلم فإنما يكون
ذلك في حليلته من زوجة أو جارية لا فيما لا يحل له ، وسببه غفلته عن تدبير جسده لما هو
عليه من الاشتغال بالله عز وجل أو أمر المسلمين ، كما بلغنا أن عمر بن الخطاب رضی الله
عنه احتلم في جاريته وقال : قد ابتلينا بهذا الأمر منذ اشتغلنا بأمر المسلمين .

وأما دليلهم في مؤاخذه المرید بمد رجله من غير ضرورة في ليل أو نهار ، فهو علمهم
بأن المرید بين يدي الله عز وجل على الدوام شعر بذلك أم لم يشعر ، فأرادوا منه أن يواظب
على ترك مد رجله بحكم الإيمان على أنه بين يدي الله حتى ينكشف حجابه ويشهد الأمر
يقينا وشهودا ، وهناك يرى ضربه بالسيف أهون عليه من مد رجله بغير حاجة ، بل لو
خير بين مد رجله ودخول النار لاختار دخول النار .

وقد بلغنا عن إبراهيم بن أدهم رضی الله عنه أنه قال : مددت رجلي بالليل وأنا جالس
أقرأ وردى وإذا بهاتف يقول : يا إبراهيم ما هكنا ينبغي مجالسة الملوك ، قالوا فما مد إبراهيم
رجله حتى مات بعد عشرين سنة ، فعلم من مجموع ما قررناه من باب أولى أن أهل الله
عز وجل لا يسامحون المرید بارتكابه شيئا من المسكروحات فضلا عن المحرمات الظاهرة أو
الباطنة وأن طريقتهم محررة على موافقة السكتاب والسنة ، كتحرير الذهب بخلاف ما يظنه من
لاعلم له بطريقتهم .

وقد أجمع أهل الله تعالى على أنه لا يصح دخول حضرة الله تعالى في صلاة وغيرها إلا لمن
تظهر من سائر الصفات المذمومة ظاهرا وباطنا ، بدليل عدم صحة الصلاة لمن صلى وفي
نوبه أو بدنه نجاسة غير معقونها ، أو ترك لمعة من أعضائه بغير طهارة ، ومن لم يتطهر
كذلك فصلانه صورة لاروح فيها لاحقيقية ، كما أن من احتجب عن شهود الحق تعالى بقلبه
في لحظة من صلواته بطلت صلواته عند القوم كذلك ، وقد نبه الشارع صلى الله عليه وسلم باشتراط
الطهارة الظاهرة على اشتراط الطهارة الباطنة ، فأراد أهل الله تعالى من المرید أن يطابق
في الطهارة بين باطنه وظاهره ليخرج من صفة النفاق :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ .

وفي حديث مسلم مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى مُبَوَّرِكُمْ وَلَا إِلَى أَجْسَائِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ » .

وكذلك أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخا يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلواته من باب : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولا شك أن علاج الأمراض الباطنة من حب الدنيا والكبر والعجب والرياء والجسد والحقد والغل والنفاق ونحوها كله واجب كما تشهد له الأحاديث الواردة في تحريم هذه الأمور والتوعد بالعقاب عليها ، فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخا يرشده إلى الخروج من هذه الصفات فهو عاص لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج بغير شيخ واو حفظ ألف كتاب في العلم ، فهو كمن يحفظ كتابا في الطب ولا يعرف ينزل للدواء على الداء ، فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول إنه طبيب عظيم ، ومن رآه حين يسأل عن اسم المرض وكيفية إزالته قال إنه جاهل ، فاتخذك يا أخي شيخا واقبل نصيحي وإياك أن تقول طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة فإنه كفر ، فإنها كلها أخلاق محمدية سداها ولحمتها منها .

واعلم أن كل من رزقه الله تعالى السلامة من الأمراض الباطنة كالسلف الصالح والأئمة المجتهدين ، فلا يحتاج إلى شيخ :

(بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) .

فأمعن يا أخي النظر في هذه الخطبة والكتاب واعمل به فإنك إن شاء الله لا تضل ولا تشقى :

(وَأَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

ولنشرع بعون الله تعالى في مقصود الكتاب فنقول ، وبالله التوفيق :

القسم الأول

من الكتاب وهو قسم المأمورات

أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرجو من فضل ربنا الوفاء وأن نخلص النية لله تعالى في علمنا وعملنا وسائر أحوالنا ، ونخلص سائر أعمالنا من سائر الشوائب ، حتى من شهود الإخلاص ومن حضور استحقاقنا ثوابا على ذلك ، وإن خطر لنا طلب ثواب شهادته من باب المنة والفضل ، ويحتاج من يريد العمل بهذا المهدي إلى سلوك طريق القوم على يد شيخ صادق متبحر في علوم الشريعة بحيث يقرر مذاهب الأئمة الأربعة وغيرها ، ويمرّف أدلتها ومنازع أقوالها ويقف على أم الكتاب التي يتفرع منها كل قول فيشتغل من يريد الإخلاص في أعماله بذكر الله عز وجل ، حتى ترق حجب بشريته ويدخل حضرة الإحسان التي يعبد الله تعالى فيها كأنه يراه ، وهذا يشهد العمل كله خلقا لله تعالى عز وجل ليس للعبد فيه مدخل إلا كونه محلا لبروز ذلك العمل لاغير ، لأن الأعمال أعراض ، والأعراض لا تظهر إلا من جسم ، وهناك يذهب من العبد الرياء والكبر والعجب وسائر الآفات لأن هذه الآفات إنما نجى العبد من شهود كونه فاعلا لذلك العمل مع غفلته عن شهود الخالق له ، ومعلوم أنه لا يصح الرياء والتكبر والعجب من العبد بعمل غيره أبدا ، وما رأينا أحدا نام إلى الصباح وأصبح يرأى أو يعجب أو يتكبر بفعل جاره القائم طول الليل أبدا فعلم أن من لم يصل إلى دخول حضرة الإحسان ويشهد أعماله كلها خلقا لله تعالى كشفنا وبقينا لا ظنا ولا تخمينا فهو معرض للوقوع في الرياء أو حفظ ألقى كتاب ، فاطلب يا أخي شيئا صادقا إن طلبت الترقى إلى مقام الإخلاص ، ولا تسأم من طول طلبك له ، نانه أعز من الكبريت الأحمر ، نانه من أقل شروطه التزوع عن أموال الولاية ، وأن لا يكزن له معلوم في بيت المال ولا مسموح ولا هدية من كسب ولا شيخ عرب ولا شيخ بلد بل يرزقه الله تعالى من حيث لا يحتسب ، ويستخلص له الحلال الصريف من بين فرث الحرام ، ودم الشبهات ، ولا تقدا جمع أشياخ الطريق كلهم على أن من أكل الحرام والشبهات لا يصح له إخلاص في عمل ، لأنه لا يخلص إلا إن دخل حضرة الإحسان ، ولا يدخل حضرة الإحسان إلا المطهر من سائر النجاسات الباطنة

والظاهرة، لأن مجموع أهل هذه الحضرة أنبياء وملائكة وأولياء، وهؤلاء من شروطهم العصمة والحفظ من تناول الحرام والشبهات ، فكل شيخ لم يصح له الحفظ في نفسه فهو عاجز عن توصيل غيره إلى تلك الحضرة ، اللهم إلا أن يمن الله تعالى على بعض المريدين بالجلدب دون السلوك المعهود فهذا لا مانع منه ، فعلم أنه يجب على كل طالب علم لم يصل إلى الإخلاص أن يتخذ له شيخا يعلمه طريق الوصول إلى درجة الإخلاص ، من باب :
مالايم الواجب إلا به فهو واجب قال تعالى :

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) .

أى يقيموا الصلاة من العوج كالغفلة عن الله تعالى فيها ، ويؤتوا الزكاة يعنى بلا علة ثواب ولا خوف عقاب بل امثالاً لأمر الله تعالى كما وكيلا في مال موكله .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من أقل درجات الإخلاص أن يكون في أعماله كالدابة المحملة ، فهي تعبئة من ثقل حملها منكسة الرأس لا تعلم بنفاسة ما هي حاملته ولا بحسنة ولا تعلم هو لمن ، ولا إلى أين ينتهي حملها ؟ ولا ترى لها بذلك فضلا على غيرها من الدواب ، ولا تطلب على حملها أجرا اه .

وسمته يقول : إذا رامى العبد بعلمه وعمله حبط عمله بنص الكتاب والسنة ، وإذا حبط عمله فكأنه لم يعمل شيئا قط فكيف يرى نفسه بذلك على الناس مع توعده بعد الإحباط بالعذاب الأليم ، فليتنبه طالب العلم لمثل ذلك اه .

قلت: وكذلك ينبغي للفقير المتقطع في كهف أو زاوية أن يتفقد نفسه في دعواها الإخلاص والانقطاع إلى الله تعالى ، فإن رآها تستوحش من ترك تودد الناس إليها وغفلتهم عنها فهو كاذب في دعواها لا تقطع إلى الله تعالى ، فإن الصادق يفرح إذا غفل عنه الناس ونسوه فلم يفتقدوه بهدية ولا سلام ، ويفرح إذا انقلب أصحابه كلهم عنه واجتمعوا يشيخ آخر مرشدكم بسطنا الكلام على ذلك في كتاب [عهود المشايخ] والله أعلم .

ومما رواه الأئمة في الإخلاص مرفوعا قوله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَآتَى الزَّكَاةَ . فَارَقَهَا وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ » .

رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

وروى البيهقي مرسلًا :

« أَنْ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ الْإِخْلَاصُ ، قَالَ : فَمَا الْيَقِينُ ؟ قَالَ :
الْصِّدْقُ » .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد :

« أَنَّ مَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي ، قَالَ : أَخْلِصْ نِيَّتَكَ يَكْفِكَ
الْعَمَلُ الْقَلِيلُ » .

وروى البيهقي مرفوعًا :

« طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ ، أَوْلَيْكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى تَنْجِلِي عَنْهُمْ كُلَّ فِتْنَةٍ عَظْمَاءُ » .

وروى البيهقي والبخاري مرفوعًا :

« إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ
لِشَرِيكِي وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اخْلُصُوا أَعْمَالَكُمْ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ
إِلَّا مَا خُلِصَ وَلَا تَقُولُوا هَذَا اللَّهُ وَلَوْ جُوهَكُمْ فَإِنَّهَا لَوْ جُوهَكُمْ وَلَيْسَ اللَّهُ مِنْهَا شَيْءٌ » .
وفي رواية لأبي داود وغيره بإسناد جيد مرفوعًا :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ » .

وروى الطبراني مرفوعًا :

« الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونَةٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا ابْتِغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ » .

وروى البيهقي مرفوعًا عن عبادة بن الصامت قال :

« يُجَاهَدُ بِالدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ مَبْزُؤًا مَا كَانَ مِنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَمْتَأَزُوا وَيُرْتَمَى
مَا حَدَّاهُ فِي النَّارِ » .

قال الحافظ المنذرى : وقد يقال إن مثل هذا لا يقال من قبل الراي والاجتهاد فسبيله
سبيل المرفوع .

وروى الحافظ رزين العبدري مرفوعًا مرسلًا :

« مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ تَعَالَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا ظَهَرَتْ يَتَابِعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى
لِسَانِهِ » .

قال الحافظ المنذرى ولم أقف لهذا الحديث على إسناد صحيح ولا حسن ، ولا على ذكره فى شىء من الأصول التى جمعها رزين ، والله أعلم .

وروى الإمام أحمد والبيهقى مرفوعا :

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا وَلِسَانَهُ صَادِقًا وَنَفْسَهُ مُطَهَّرَةً وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً ، وَجَعَلَ أُذُنَهُ مُسْتَمِعَةً وَعَيْنَهُ نَاطِرَةً » الحديث .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا :

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ » وفى رواية : « بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَاتَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يَصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْسَكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » .

وروى ابن ماجه باسناد حسن مرفوعا :

« إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ » وفى رواية . « إِنَّمَا يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ » .

وروى مسلم مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ » .

وروى الطبرانى والبيهقى مرفوعا :

« إِذَا كَانَ آخِرُ الزَّمَانِ صَارَتْ أُمَّتِي ثَلَاثَ قُرَى : قِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ خَالِصًا ، وَقِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ رِيَاءً ، وَقِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى لِيَسْتَأْكُلُوا بِهِيَ النَّاسَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُخْلِصِينَ أَذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَيَقُولُ لِلْآخِرِينَ أَمْضُوا بِهِمْ إِلَى النَّارِ » الحديث .

وروى الحافظ أبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : من رأى نفسه من المخلصين كان من المرأين ، ومن رأى نفسه من المرأين كان من المخلصين .

والأحاديث فى ذلك كثيرة مشهورة وسيأتى فى أوائل قسم المنهيات نبذة صالحة فيما جاء فى الرياء وعدم الإخلاص فى العمل والعلم فراجعه والله أعلم .

قلت : فقد بان لك أن من لم يخلص في عمله وعلمه فهو من الأخسرين أعمالا ، ويشهد لذلك أيضا قرائن الأحوال التي جاءت بها الأحاديث في سيئاتها ، وجميع ماورد في فضل العلم والعمل إنما هو في حق المخلصين فيه . فإياك يا أخى والغلط فإن الناقد بصير ، وقد كثر في هذا الزمان أقوام لا يعملون بعلمهم ، وإذا نازعهم إنسان في دعواهم في قولهم نحن من أهل العلم استدأوا بما جاء في فضل طلب العلم مطلقا من غير شرط لإخلاص ، فيقال لمثل هؤلاء فأين الآيات والأخبار والآثار الواردة في حق من لم يعمل بعلمه ولم يخلص ؟ فلا تغالط يا أخى وتدعى الإخلاص في علمك وعملك من غير تفتيش فإنه غش .

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول في معنى حديث :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ » .

هذا الرجل يتعلم العلم رياء وسمعة فيعلم الناس أمور دينهم ويفتوهم ويحرسهم وينصر الدين إذا ضعف جازبه ، ثم يدخله الله تعالى بعد ذلك النار لعدم إخلاصه اه :

أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع السنة المحمدية في جميع أقوالنا وأفعالنا وعقائدنا ، فإن لم نعرف لذلك الأمر دليلا من الكتاب والسنة أو الإجماع أو القياس توقفنا عن العمل به ، ثم ننظر فإن كان ذلك الأمر قد استحسنته بعض العلماء استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ثم فعلناه أدبا مع ذلك العالم ، وذلك كله خوف الابتداء في الشريعة المطهرة فنكون من جملة الأئمة المضلين ، وقد شاورته صلى الله عليه وسلم في قول بعضهم : إنه ينبغي أن يقول المصلي في سجود السهو : سبحان من لا ينام ولا يسهو ، فقال صلى الله عليه وسلم هو حسن ، ثم لا ينبغي أن الاستئذان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون بحسب المقام الذي فيه العبد حال إرادته الفعل ، فإن كان من أهل الاجتماع به صلى الله عليه وسلم يقطعة ومشافهة كما هو مقام أهل الكشف استأذنه كذلك وإلا استأذنه بالقلب وانتظر ما يحدثه الله تعالى في قلبه من استحسان الفعل أو الترك .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : ليس مراد الأكارم من حثهم على العمل على موافقة الكتاب والسنة إلا المجالسة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر لا غير فإنهم يعلمون أن الحق تعالى لا يجالسهم إلا في عمل شرعه هو ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أما ما ابتدع فلا يجالسهم الحق تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم فيه أبدا وإنما يجالسون فيه من ابتدعه من عالم أو جاهل ، فعلم أنه ليس قصد أهل الله تعالى بعبادتهم

حصول ثواب ولا غيره في الآخرة ، لأنهم في الدارين عبيد والعبد لا يملك شيئا مع سيده في الدنيا والآخرة إنما يأكل ويلبس ويتمتع بمال سيده وسداه ولحمته من نعمته ، ولو أن الحق تعالى أعطاه شيئا لوجب عليه التبرى منه إلى ربه ، ولا يجوز له أن يشهد ملكة له طرفة عين ، فلهذا المشهد خرجوا في جميع عباداتهم عن العلل النفسانية فرضوا عن ربهم رضا مطلقا ورضى عنهم رضا مطلقا :

(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) اهـ .

واعلم يا أخى أن من تحقق بالعمل بهذا العهد صار من رؤوس أهل السنة والجماعة في عصره ؛ ومن لم يلقبه بذلك فقد ظلمه ، ولا أعلم الآن أحدا في مصر تحقق بالعمل بهذا العهد وتفيد في أقواله وأفعاله وعقائده بالكتاب والسنة إلا بعض أفراد من العلماء ، كالشيخ عبد الرحمن التاجورى المغربى وأضرابه رضى الله عنهم أجمعين .

قلت : وقد من الله تعالى على بالعمل به في بعض أقالى وأفعالى ، فكذب والله وافترى من نسبني إلى البدعة المخالفة لجمهور أهل السنة والجماعة ، فإن هذا ما هو نفس مبتدع ، اللهم إلا أن يريد الابتداع في شيء من المباحات في الشريعة بحكم العمومات فهذا لا يخرج عليه في ذلك ، لأن هذا الأمر قل من سلم منه من العلماء فضلا عن غيرهم كما هو مشاهد ، فاعلم ذلك واحم سمعك وبصرك في حق العلماء ، ولا تصغ إلى قول حاسد لهم قط إلا إن اجتمعت بأحدهم وفاوضته في الكلام في تلك البدعة ، فإذا رأيت متخلقا بها وعرفته بأنها بدعة وصمم على العمل بها فهناك حذر الناس منه شفقة عليه وعلى المسلمين ، حتى لا يقع أحد منهم في إثم لا المبتدع ولا من تبعه . وإياك أن تحذر من اتباع أحد من العلماء بقول أحد من حسادهم من غير اجتماع به فرما يكون بريئا مما نسب إليه ، فيكون عليك إثم قاطع الطريق على المرادين لاتباع الشريعة ، فإنك حينئذ تحذر من اتباع السنة المحمدية ، وهذا واقع كثيرا في الأقران في هذا الزمان ، فترى كل واحد يحذر الناس عن الآخرة وكل منهما يزعم أنه من أهل الطريق والسنة والجماعة ، فيختل الأمر إلى عدم الاقتداء بواحد منهما ، فالله يحمينا وأصحابنا من مثل ذلك بمنه وكرمه آمين .

وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول : لانكمل عبادة فقير حتى يصير يشاهد الشرع في كل عبادة عملها ، يعنى يعملها بحضوره على الكشف والمشاهدة ، لاعلى الإيمان والحجاب ، ثم قال : فإن قال قائل مادليلك على ذلك ؟ قلنا له قد رأيت النبى

صلى الله عليه وسلم في واقعة من الوقائع فقلت له يا رسول الله ما حقيقة متابعتك في العمل على موافقة شريعتك ، فقال هي أن تعمل العمل مع شهودك للشرح حال العمل وبعد العمل اه .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى الإحاطة بأدلة جميع المذاهب المستعملة والمندرسية وأقوال علمائها حتى لا يكاد يخفى عليه دليل من أدلتهم ولا قول من أقوالهم في أمور به أو منهى عنه أو مباح ، ثم بعد ذلك لا بد له من شيخ صادق يسلم إليه نفسه يتصرف فيها بالرياضات والمجاهدات حتى يزيل عنه سائر الصفات المدمومة ويحليه بالصفات المحمودة ليصلح لمجالسة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فإن غالب الناس قد ادعوا مجالسة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مع تلطخهم بالقاذورات المانعة من دخول حضرة الله وحضرة رسوله فازدادوا مقتا وطرذا . فاعمل يا أخى على جلاء مرآة قلبك من الصدا والغبار ، وعلى تطهرك من سائر الرذائل حتى لا يبقى فيك خصلة واحدة تمنعك من دخول حضرة الله تعالى ، أو حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أكثر من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وربما تصل إلى مقام مشاهدته صلى الله عليه وسلم ، وهى طريق الشيخ نور الدين الشونى ، والشيخ أحمد الزواوى ، والشيخ محمد بن داود المنزلاوى ، وجماعة من مشايخ اليمن ، فلا يزال أحدهم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكثر منها حتى يتطهر من كل الذنوب ، ويصير يجتمع به يقظة أى وقت شاء ومشاهدة ، ومن لم يحصل له هذا الاجتماع فهو إلى الآن لم يكثر من الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاكثر المطلوب ليحصل له هذا المقام .

وأخبرنى الشيخ أحمد الزواوى أنه لم يحصل له الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة حتى واطب على الصلاة عليه سنة كاملة يصلى كل يوم وليلة خمسين ألف مرة ، وكذلك أخبرنى الشيخ نور الدين الشونى أنه واطب على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلنا وكلا سنة يصلى كل يوم ثلاثين ألف صلاة .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يكمل عبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقت شاء ، قال : ومن بلغنا أنه كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة ومشاهدة من السلف ، الشيخ أبو مدين شيخ الجماعة ، والشيخ عبد الرحيم القناوى ، والشيخ موسى الزولى ، والشيخ أبو الحسن الشاذلى ،

والشيخ أبو العباس المرسى ، والشيخ أبو السعود بن أبي العثائر ، وسيدى إبراهيم المتبولى
والشيخ جلال الدين الأسيوطى ، كان يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم واجتمعت
به يقظة نيفا وسبعين مرة .

وأما سيدى إبراهيم المتبولى فلا يحصى اجتماعه به لأنه كان يجتمع به فى أحواله كلها
ويقول : ليس لى شيخ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الشيخ أبو العباس
المرسى يقول : لو احتجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ما عدت نفسى من
جملة المؤمنين .

واعلم أن مقام مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم عريضة جدا ، وقد جاء شخص
لى سيدى على المرصنى وأنا حاضر فقال : ياسيدى قد وصلت الى مقام صرت أرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة أى رقت شئت ، فقال له : يا ولدى بين العبد وبين
هذا المقام مائتا ألف مقام ؛ وسبعة وأربعون ألف مقام ، ومرأنا نتكلم لنا يا ولدى على
عشر مقامات منها ، فما درى ذلك المدعى مايقول وافضح فاعلم ذلك :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

ولنشرع فى بيان جملة من الأحاديث الحائنة على اتباع الكتاب والسنة فنقول
وبالله التوفيق :

روى أبو داود الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، قال المنذرى : وهذا حديث
حسن صحيح عن العرابض بن سارية رضى الله عنه قال :

« وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ
مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مُودِّعٌ فَأَوْصِنَا، فَقَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى
اللَّهِ وَالْعَمَلِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشَى مُجَدِّعُ الْأَطْرَافِ؛ فَإِنَّ
مَنْ يَعِشَ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ
الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَتُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ » .

ومعنى «عضوا عليها بالنواجذ» أى اجتمدوا على وجه البدعة، والزموها السنة واحرصوا

عليها ، كما يلزم العاصم على الشيء ، بنواجذه خوفا من ذهابه ونقلته ، والنواجذ : هي الأنياب وقيل هي الأضراس .

وروى ابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح الإسناد ، مرفوعا :

« مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا وَعَمِلَ فِي سُنَّةٍ وَأَمِنَ النَّاسُ بِوَأْتِمَةٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ فِي أُمَّتِكَ كَثِيرٌ ؟ قَالَ : وَسَيَكُونُ فِي قَوْمٍ بَعْدِي . » . يعنى قلائل .
وروى البيهقي مرفوعا : « مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ » .
وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين مرفوعا :

« الْأَقْتِصَادُ فِي السُّنَّةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَجْتِهَادِ فِي الْبِدْعَةِ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قبل الحجر الأسود وقال إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحيهما عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط نبايعناه وإنه لمطلق الأزرار ، قال عروة بن عبد الله فما رأيت معارية ولا ابنه قط في شتاء ولا صيف إلا مطلق الأزرار ، وفي رواية لإمطقة أزرارها .

وروى ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي عن زيد بن أسلم قال : رأيت ابن عمر يصلى محلولة أزراره ، فسألته عن ذلك فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلها .
وروى الإمام أحمد والبخاري عن مجاهد وغيره قال : كنا مع ابن عمر في سفر فر بمكان فحاد عنه ، فسئل لم فعلت ذلك فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلته ، وقوله حاد : أى تنحى عنه وأخذ يمينا أو شمالا .

وروى البخاري عن ابن عمر أنه كان يأتى شجرة بين مكة والمدينة فيقبل تحتها ويخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل مثل ذلك .

وروى الإمام أحمد وغيره أن ابن عمر أناخ راحلته في مكان ففضى حاجته ، وأخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم فضى حاجته في ذلك المكان ، وقال أحببت أن أفضى حاجتى في موضع فضى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته .

قلت : وإنما نبع ابن عمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لأن الكمل يستحيون من الأرض إذا قضوا عليها الحاجة خوفاً أن تكون تلك البقعة مشرفة لاتصلح لقضاء الحاجة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك قال في نفسه لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم أن تلك البقعة تصلح لذلك ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . قال الحافظ : والآثار عن الصحابة رضى الله عنهم في اتباعهم له واقتفائهم سننه كثيرة جدا ، والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكون في أعمال الخير من أهل الرعييل الأول فنبداً بفعل الخير قبل الناس مسارعة للخير ويسن بنا الناس ، وذلك كما إذا رأينا إنسانا يسأل الناس ولا أحد يعطيه شيء فنعطيه أمام الناس تحريضا لهم على العطاء ولا نعطيه سرا ، وكذلك نحرض على أن نقوم من الليل من أول مايقع التجلى :

« وَيُنَادِي أَخْلَقُ تَعَالَى هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيهِ سُؤْلَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأُغْفِرَ لَهُ ، هَلْ مِنْ مُبْتَلَى فَأَعْرِفِيهِ » .

إلى آخر ماورد في ذلك من أول الثلث الأخير من الليل في أغلب التجليات التي كان صلى الله عليه وسلم يتعبد وقتها ، كما أشار إليه قوله تعالى :

(إِنْ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) .

وذلك ليتأسى بنا لإخواننا وجيراننا ، فربما قام أحدهم يتمجد حين يرانا فيكتب لنا وله الأجر .

ومن هذا الباب أيضا إظهار التصبر على الهلايا والحنن في هذا الزمان ليتأسى الناس بنا في الصبر وعدم التسخط ، فإن رأينا الصبر بلغ حده أظهرنا الضعف حتى يرتفع كما وقع لأيوب عليه السلام ، فعلم أنه ينبغي لسكل عامل أن يستر عمله ما استطاع إلا في محل يقتدى به في فعله وفي كميته ، والله تعالى اعلم .

وسمعت سيدي عليا الخواص رضى الله عنه يقول : لا ينبغي إظهار الأعمال إلا للأكابر من العلماء والصالحين الغواصين على دسائس النفوس ، وأما أمثالنا فربما يظهر الواحد منا أعماله رياء وسمعة وتلبس عليه نفسه وتقول له أنت بحمد الله من المخلصين ، وإنما تظهر هذه العبادة ليقتدى بك الناس فينبغي لمثل هذا أن يعتحن نفسه بما لو جاء أحد بفعل ذلك الخير وتنقاد الناس له مثله أو أكثر منه ، فإن انشرح لذلك فهو مخلص ، وإن انقبض خاطره

فهو مراد دق المطرقة ، ولو أنه كان مخلصا لفرح بذلك أشد الفرح الذى يفرض الله تعالى له من كفاه المؤنة ، ثم إن قالت له نفسه إنما تشوشت لفوات الخير العظيم الذى كان يحصل لك من حيث هو خير فليقل لها إني معتمد على فضل الله لاعلى الأعمال ، فإن دخلت الجنة فإنما هو برحمة الله تعالى لا بعملى ، فينبغى للعبد أن لا يصغى للدعوى نفسه فى الإخلاص وليمتحن الشيخ أو المدرس نفسه بما إذا فرت جماعته كلهم منه إلى شخص من أقرانه وبقي وحده لا يجد أحدا يتمشىخ عليه ، فإن انشرح لذلك فهو مخلص وإن حصل فى نفسه حزازة فالواجب عليه أن يتخذ له شيخا يخرججه من ظلمات الرياء والإمات عاصيا وذهب إلى الآخرة صفر اليدين من الخير ، لأن الله تعالى لم يقبل له عملاها :

وسمعته أيضا يقول : يلغى للعالم إذا درس فى مثل جامع الأزهر أن يحرر نيته قبل ذلك ، ولو مكث سنين بلا إقراء حتى يجد له نية صالحة وذلك لغلبة دخول الأكابر للذين تميل النفوس إلى مرآتهم من الأمراء والأغنياء إلى الجامع ، وكان النورى إذا درس فى المدرسة الأشرفية بدمشق يوصى الطلبة أن لا يجيئوا دفعة واحدة خوفا من كبر الحلقة .

وكان إذا درس فى عطفة المسجد ويقول : إن النفس تستحلى رؤية الناس لها وهى تدرس فى صحن المسجد أو صدره .

وبلغه يوما وهو يدرس فى جامع بنى أمية أن الملك الظاهر عازم على الصلاة فى الجامع فترك للتدريس وحضور المسجد ذلك اليوم . فلياك بأخى أن تعقد لك مجلس علم أو ذكر الله تعالى أو صلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراك الناس إلا أن تكون سالما من هذه العلل والآفات .

وقد حضرت مرة الشيخ العالم العامل شمس الدين اللقانى مفتى المالكية بالجامع الأزهر وهو يقول لشيخنا الشيخ نور الدين الشونى شيخ مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا أخى إني خائف عليك من تصدرك فى الجامع فى هذا المجلس ليلة الجمعة ويومها والأمراء والأكابر ينظرون إليك ، ويعتقدونك على ذلك ويقوون بشيء لله المدد . فربما مالت نفسك إلى حب فرحها بذلك فحسرت الدنيا والآخرة .

وسمعته مرة أخرى يقول : إذا فرغ الناس من صلاة الجمعة فاصبر على قراءة سورة السكهف حتى ينفض الناس ، ثم اشرع فى القراءة فإن النفس تستحلى رؤية الناس لها فى ذلك المحفل العظيم اه .

فاعمل يا أخى ذلك واعمل به وبهدى هدى الصادقين اقتد والله يتولى هداك .
وروى مسلم والنسائي وابن ماجه وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه قوم من مضر مجتأى النمار: أى لابسى العباء الصوف المخطط فتمعروجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم نزع فأمرا بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) وَالآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ (اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرُوا نَفْسًا مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) .
« تَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْ صَاعٍ تَمْرٍ مِنْ صَاعٍ بُرٍّ حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

قال فاجاء رجل من الأنصار بصره كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت فتتابع الناس حتى صار كومين من طعام وثياب حتى تهلم وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ » الحديث .

وفي رواية للإمام أحمد والحاكم وابن ماجه وغيرهم مرفوعا :

« مَنْ سَنَّ خَيْرًا فَاسْتَنَّ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أَجْرٍ مَنْ تَبِعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ » الحديث .

وفي رواية للطبرانى مرفوعا :

« مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عَمِلَ بِهَا عَامِلٌ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ حَتَّى تُتْرَكَ » الحديث .

وروى ابن ماجه والترمذى مرفوعا وقال حديث حسن :

« مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ أبتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْءٌ » .

ومعنى لا يرضاها الله ورسوله : أى لا يشهد لها كتاب ولا سنة بالصحة .

وروى ابن ماجه والترمذى وغيرهما مرفوعا :

« إِنَّ لِهَذَا أَخْيَرَ خَزَائِنَ وَلَيْتَكَ أَنْزَلْتَ مِنْ مَفَاتِيحُ ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مَفْتِيحًا
لِلْخَيْرِ مَغْلَقًا لِلشَّرِّ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نندمن مطالعة كتب
العلم وتعليمه للناس ليلا ونهارا ماعدا العبادات المؤقتة والحوامج الضرورية .

ومذهب إمامنا الشافعى رضى الله عنه أن طلب العلم على وجه الإخلاص أفضل من
صلاة النافلة . واعلم أن الشارع صلى الله عليه وسلم ما نوع العبادات المتفاضلة فى الأجر
إلا لعلمه صلى الله عليه وسلم بحصول الملل للعاملين ولو فى الأمور الواجبة ، فإذا حصل
الملل فيها انتقلوا إلى واجب آخر أو إلى ذلك الأمر المفضل ، فإذا حصل الملل منه
كذلك انتقلوا المفضل آخر أو فاضل أو أفضل ما لم يجدوا فى نفوسهم مللا فيه ، فعلم
أن سبب تنوع الأمور إنما هو وجود الملل فيها إذا دامت ، فلو تصور أن إنسانا لم
يمل من الواجبات أو مما هو أفضل لأمره صلى الله عليه وسلم بملازمتها وترك الأمور
المفضولة جملة ، لأنه ما تقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترضه عليهم ، ولكن
لما كان يحصل لهم من الملل فى الواجبات حتى لا يبقى فى نفس العامل داعية ولا خشوع
ولا لذة بتلك العبادات كان العمل المفضل الذى له فيه داعية ولذة وخشوع أتم
وأكمل .

وقد كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يقسم الليل ثلاثة أجزاء ، جزءا ينام فيه ،
و جزءا يطالع الحديث ويستنبط و جزءا يتهجده فيه . وكان يقول : لولا مذاكرة الإخوان
فى العلم والتجهد فى الليل ما أحييت البقاء فى هذه الدار ، فعلم أنه لا ينبغي لطالب العلم أن
يكب على مطالعة العلم ليلا ونهارا إلا إذا صلحت النية فيه ، ولم يرقم أحد مقامه فى بلده
أو لإقليمه فإن دخل نيته حب رياسة أو طلب دنيا أو مقام أحد مقامه فى نشر العلم فالاشتغال
بشكل ما صلحت فيه النية من الطاعات أولى ، وسيأتى فى العهود قريبا أن من جملة العمل
بالعلم توبة العبد واستغفاره إذا وقع فى معصية ، فإنه لولا العلم ما عرف أنها معصية ، ولا
تاب منها فتأمل

وقد قال داود الطائى رحمه الله تعالى : طالب العلم كالحارب فإذا أفنى عمره فى تعليم

كيفية القتال فتى يقاتل ؟ فن عقل العاقل أنه كلما رأى نفسه عملت بكل ما علم واحتاجت للعلم أن يقدمه على سائر الطاعات التي لم يأمره الشارع بتقديمها عليه ، وكلما رأى نفسه مستغنية عن العلم وعلمها زائد على حاجتها أن يقدم غيره عليه كما كان عليه السلف الصالح فلا بد لسلك إنسان من العلم والعمل والاشتغال بواحد منهما دون الآخر نقص .

واعلم أن جميع ماورد في فضل العلم وتعليمه إنما هو في حق المخلصين في ذلك فلا تغالط في ذلك فإن الناقد بصير . وقد وقع لنا مع المخادلين نزاع كثير في ذلك ، فإننا نراهم متكالبين على الدنيا ليلا ونهارا مع دعواهم العلم وتعظيمهم نفوسهم بالعلم والجدال من غير أن يعرجوا على العمل بما علموا ويستدل أحدهم بما ورد في فضل العلم وينسى الأحاديث التي جاءت في ذم من لم يعمل بعلمه حملة واحدة ، وهذا كله غش النفس ، وفي القرآن العظيم :

(هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَتَمَّنُّ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا) .

فاسلك يا أخى على يد شيخ يخرجك من هذه الرعونات والظلمات والدعاوى وتصير تبيكى على تفریطك في الأعمال حتى يصير لك خطان أسودان في وجهك من سيلان الدموع وإن لم تسلك كما ذكرنا فيطول تعبك في الآخرة ، يا خسارة تعبك في تحصيلك للدنيا .

وقد سمعت سيدى عليا الحواص رحمه الله يقول في معنى حديث :

« إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ » .

معناه أن الناس ينتفعون بعلم الماجر وتعليمه وإفتائه وتدريسه حتى يكون في الصورة كالعلماء العالمين ، ثم يدخله الله بعد ذلك النار لعدم إخلاصه كما مر قريبا ، نسأل الله اللطف فاعلم ذلك والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا :

« مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُقَهِّهُ فِي الدِّينِ » زاد في رواية : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمُونَ » .

وروى الزار والطبراني مرفوعا :

« إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا قَهَّهْ فِي الدِّينِ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ » .

وروى الطبراني مرفوعا :

« أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ الْفِقْهُ وَأَفْضَلُ الدِّينِ الْوَرَعُ » .

وروى الطبراني والبخاري بإسناد حسن مرفوعا :

« فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ ، وَخَيْرُ دِينِكُمْ الْوَرَعُ » .

وروى الطبراني مرفوعا :

« قَلِيلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ وَكَفَى بِالْمَرْءِ فِقْهًا إِذَا عَبَدَ اللَّهَ وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِذَا عَجِبَ بِرَأْيِهِ » .

ورواه البيهقي بإسناد حسن صحيح من قول مطرف بن عبد الله بن الشيخير رضى

الله عنه .

وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم مرفوعا :

« مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ » .

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه فى صحيحه مرفوعا :

« إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَتَّصِعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَفْرِغُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْخَيْتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنْ الْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا نَمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطَّةٍ وَإِفْرِ » .

وروى ابن ماجه وغيره مرفوعا :

« طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَوَأَضِيعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَدِّدِ الْخُلَفَاءِ فِي الْجَوْهَرِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالذَّهَبِ » .

وروى الطبراني مرفوعا :

« مَنْ جَاءَهُ أَجَلُهُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لَقِيَ اللَّهَ وَلَمْ يَسْكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّينَ إِلَّا دَرَجَةُ النَّبُوَّةِ » .

وروى ابن ماجه بإسناد حسن عن أبي ذر قال :

« قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِأَنَّ تَعَلُّمَ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

تَعَالَى خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ، وَلَآنَ تَغْدُو فَتَعْلَمَ بِأَبَا مِنَ الْعِلْمِ عَمِلْتَ بِهِ
أَوْ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ .

وروى الخطيب بإسناد حسن مرفوعا :

« الْعِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَعِلْمٌ فِي اللِّسَانِ وَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ
عَلَى ابْنِ آدَمَ » .

وروى الديلمي في مسنده وأبو عبد الرحمن السلمى في الأربعين التي له في التصوف
والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنْ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَسْكُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ تَعَالَى فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ
لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا أَهْلُ الْفِرَّةِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا لم نجد أحدا نتعلم منه
العلم الشرعي في بلدنا أن نسافر إلى بلد فيها العلم ، وهي هجرة واجبة علينا إذا ، لأن
مالاتيم الواجب لإباه فهو واجب ، وهذا العهد قد أدخل به كثير من الخلق ، وماتوا على
جهلهم ، مع أن العلماء في بلدهم وربما كانوا جيرانا لهم . وقد قال العلماء : من صلى جاهلا
بكيفية الوضوء والصلاة يعنى أو غيرهما لم تصح عبادته وإن وافق الصحة فيها ، ويؤيده
الحديث الصحيح مرفوعا :

« كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » .

فمن صلى ونكح وباع وصام وحج على حسب ما يرى الناس يفعلون فقط فعبادته
فاسدة ، وتأمل من كان عنده شك لما يسأله منكر ونكير عن دينه وعن نبيه صلى الله
عليه وسلم ، فيقول : لأدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلت ، كيف يضربانه بمرزبة
لو ضرب بها جبل لهدم كما ورد ، تعرف أن الشارع فرض عليك معرفة مراتب
العبادات ، وأنه لا يكفيك أن تتبع الناس على فعلهم من غير معرفة :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وتقدم حديث مسلم وغيره مرفوعا :

« مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ » .

وروى الترمذى وصححه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد واللفظ لابن ماجه مرفوعا :

« مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ » .

وروى الطبراني باسناد مرفوعا لا بأس به :

« مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًا حَقُّهُ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نسمع الناس الحديث إلا كل قليل ونبلغه إلى البلاد التي ليس فيها أحاديث ، وذلك بكتبنا كتب الحديث وإرسالها إلى بلاد الإسلام .

وقد كتبت بحمد الله كتابا جامعا لأدلة المذاهب وأرسلته مع بعض طلبة العلم إلى بلاد التكرور حين أخبروني أن كتب الحديث لا تكاد توجد عندهم إنما عندهم بعض كتب المالكية لا غير ، وأرسلت نسخة أخرى إلى بلاد المغرب ، كل ذلك محبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا على مرضاته صلى الله عليه وسلم .

وكان سفيان الثوري وابن عيينة وعبد الله بن سنان يقولون : لو كان أحدنا قاضيا لضربنا بالجرید فقيها لا يتعلم الحديث ومحدثا لا يتعلم الفقه .

وفي كتابة الحديث وإسماعه للناس فوائد عظيمة ، منها عدم اندراس أدلة الشريعة ، فإن الناس لو جهلوا الأدلة جملة والعياذ بالله تعالى لربما عجزوا عن نصره شريعتهم عند خصمهم ، وقولهم : إنا وجدنا أباينا على ذلك . لا يكفي ، وماذا يضر الفقيه أن يكون محدثا يعرف أدلة كل باب من أبواب الفقه .

ومنها تجديد الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل حديث ، وكذلك تجديد الترضى والترحم على الصحابة والتابعين من الرواة إلى وقتنا هذا .

ومنها وهو أعظمها فائدة الفوز بدعائه صلى الله عليه وسلم لمن بلغ كلامه إلى أمته في قوله :

« نَضَرَ اللَّهُ أُمَّرَأَ سَمِعَ مَقَاتِي فَوَعَاهَا فَأَدَاهَا كَمَا سَمِعَهَا » .

ودعاؤه صلى الله عليه وسلم مقبول بلا شك إلا ما استثنى كعدم إجابته صلى الله عليه وسلم في أن الله تعالى لا يجعل بأس أمته فيما بينهم ، كما ورد .

وقوله : فأداهها كما سمعها ، يهمهم أن ذلك الدعاء إنما هو خاص بمن أدى كلامه صلى الله عليه وسلم كما سمعه حرفا بحرف بخلاف من يؤديه بالمعنى ، فربما لا يصيبه من ذلك الدعاء شيء ، ومن هنا كره بعضهم نقل الحديث بالمعنى وبعضهم حرمه :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو داود والترمذى وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« نَضَرَ اللَّهُ أُمَّرَأَ » وفي رواية ابن حبان : « رَجِمَ اللَّهُ أُمَّرَأَ سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ » .

ومعنى نضر الله : الدعاء بالنضارة ، وهى النعمة والبهجة والحسن ، تقديره جلله الله وزينه بالأخلاق الحسنة والأعمال المرضية ، وقيل غير ذلك .
وفي رواية للطبرانى مرفوعا :

« فَرُبَّمَا حَامِلٍ فِيهِ لَيْسَ بِفَقِيرٍ ، وَرُبَّمَا حَامِلٍ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا :

« اللَّهُمَّ ارْزُقْ خُلَفَائِي قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُلَفَاؤُكَ ؟ قَالَ الَّذِينَ يَأْتُونَكَ مِنْ بَعْدِي يَرُؤُونَ أَحَادِيثِي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ » .

قال الحافظ عبد العظيم رحمه الله : وناسخ العلم النافع له أجره ، وأجر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما فى خطه والعمل به لحديث مسلم مرفوعا :

« إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ

بِهِ » الحديث .

قال : وأما ناسخ غير العلم النافع مما يوجب الإثم عليه فعليه وزره ووزر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقى خطه . والعمل به كما يشهد له حديث :

« وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزُرْهَا وَوَزُرْ مَنْ عَمِلَ بِهَا » .

وذلك كعلوم السحر والبراهمة وعلم جابر المبدك ونحوها ، مما يضر صاحبه
في الدنيا والآخرة .

وروى الطبراني وغيره مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ
الْكِتَابِ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نخلي نفوسنا
من مجالسة العلماء ولو كنا علماء ، فربما أعطاهم الله من العلم ما لم يعطنا ، وهذا العهد
يخل بالعمل به كثير من الفقهاء والصوفية ، فيدعون أن عندهم من العلم ما عند جميع
الناس ، بل سمعت بعضهم يقول لما لمته على عدم التردد للعلماء ، والله لو علمت أن أحدا
في مصر عنده علم زائد على ما عندي لخدمت نعاله ، ولكن بحمد الله تعالى قد أعطانا
الله تعالى من العلم ما أغنانا به عن الناس ، وهذا كله جهل بنص الشارع كما سيأتي في قوله
صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ قَالَ إِنِّي عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ » .

وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كفاية لكل معتبر . فاجتمع يا أخى في كل
قليل على العلماء واغتنم فوائدهم ، ولا تكن من الغافلين عنهم فتحرم بركة أهل عصرك
كلهم لكونك رأيت نفسك أعلى منهم أو مساويا لهم ، فإن الإمدادات الإلهية من علم أو
غيره حكمها حكم الماء ، والماء لا يجرى إلا في السفليات ، فمن رأى نفسه أعلى من أقرانه
لم يصعد له منهم مدد ، ومن رأى نفسه مساويا لهم فمددهم واقف عنه كالخوضين
المتساوين ، فما بقى الخير كله إلا في شهود العبد أنه دون كل جليس من المسلمين لينحدر
له المدد منهم كما أوضحنا ذلك في أول عهود المشايخ :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا :

« إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ، قَالَ :

تَجَالِسُ الْعُلَمَاءُ » .

قال وفي سنده راو لم يسم .

وفى رواية له أيضا عن أبي أمامة مرفوعا أن لقمان عليه السلام قال لابنه : يا بني عليك بمجالسة العلماء واسمع كلام الحكماء ، فإن الله تعالى ليحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر .
قال الحافظ العبدري : ولعل هذا الحديث موقوف .

وروى أبو يعلى ورواه رواية الصحيح إلا واحدا عن ابن عباس قال :
« قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ : قَالَ مَنْ ذَكَرَكَمُ اللَّهُ رُؤْيَتُهُ وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنُطِقَتُهُ وَذَكَرَكَمُ بِالْآخِرَةِ عِلْمُهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكرم العلماء ونجلهم ونوقرهم ولا نرى لنا قدرة على مكافأتهم ولو أعطيناهم جميع ما نملك ، أو خدمناهم العمر كله ، وهذا العهد قد أدخل به غالب طلبة العلم والمريدين في طريق التصوفية الآن ، حتى لا نكاد نرى أحدا منهم يقوم بواجب حق معلمه ، وهذا داء عظيم في الدين مؤذن باستهانة العلم وبأمر من أمرنا بإجلال العلماء صلى الله عليه وسلم ، فصار أحدهم يفخر على شيخه حتى صار شيخه يداهته ويمالقه حتى يسكت عنه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد بلغنا عن الإمام النووي أنه دعاه يوما شيخه السكالي الأربلي ليأكل معه ، فقال ياسيدي أعفني من ذلك .

فإن لي عذرا شرعيا فتركة ، فسأله بعض إخوانه ما ذلك العذر ؟ فقال أخاف أن تسبق عين شيخى إلى لقمة فآكلها وأنا لأشعر :

وكان رضى الله عنه إذا خرج للدرس ليقرا على شيخه يتصدق عنه في الطريق بما تيسر ويقول اللهم استر عني عيب معلمى حتى لاتقع عيني له على نقیصة ولا يبلغنى ذلك عنه عن أحد رضى الله عنه ، ثم من أقل آفاتی سوء أدبك يا أخى مع الشيخ أنك تحرم فوائده ، فإما بكنتمها عنك بغضا فيك وإما أن لسانه ينعدق عن إيضاح المعانى لك ، فلا تتحصل من كلامه على شىء تعتمد عليه عقوبة لك ، فإذا جاءه شخص من المتأدبين معه انطلق لسانه له لموضع صدقه وأدبه معه ، فعلم أنه ينبغى للطالب أن يخاطب شيخه بالإجلال والإطراق وخفض البصر كما يخاطب الملوك ولا يجادله قط يعلم استفادته منه في وقت آخر إلا على سبيل التعرف ؛ فيقول : ياسيدي سمناكم تقررون لنا أمس خلاف هذا

فإذا تعمدون عليه من الثقيرين الآن حتى نحفظه عنكم؟ ونحو ذلك من الألفاظ التي فيها رائحة الأدب ، وكذلك ينبغي له أن لا يتزوج امرأة شبيخة سواء كانت مطلقة في حياته أو بعد مماته ، وكذلك لا ينبغي له أن يسعى على وظيفة أو خلوته أو بيته بعد موته فضلا عن حياته إلا لضرورة شرعية ترجح على الأدب مع الشيخ ، وكذلك لا ينبغي أن يسعى على أحد من أصحاب شبيخة أو جيرانه فضلا عن أولاده ؛ فإن الواجب على كل طالب أن يحفظ نفسه عن كل ما يغير خاطر شبيخة في غيبته وحضوره .

وسأني في هذا الكتاب أيضا في أثناء عهود البيع فراجعه ، وكذلك بسطنا الكلام بقول العلماء على ذلك في عهود المشايخ :

(وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

وروى البخارى : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فِي قَتْلَى أَحَدٍ يَعْنِي فِي الْقَبْرِ ثُمَّ يَقُولُ أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذَاً لِلْقُرْآنِ فَإِذَا أُشِيرَ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ » .

قلت : ومعنى كونه أكثر أخذا للقرآن ، أى أكثر عملا به من قيام ليل واجتناب نهى ونحو ذلك .

وروى الطبراني والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم مرفوعا :
« الْبَرَكَةُ مَعَ أَكْبَرِكُمْ » .

وروى الإمام أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه مرفوعا :
« لَيْسَ مِنْهُ مَنْ لَمْ يُوقِّرِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمْ الصَّغِيرَ » .

وفي رواية للإمام أحمد والطبراني والحاكم مرفوعا :

« لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ » .

وفي رواية : « وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا » .

وروى الطبراني مرفوعا :

« تَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ » .

وروى الطبراني أيضا مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ لَا يَسْتَحِفُّ بِهِمْ إِلَّا مُنَافِقٌ : ذُو الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَذُو الْعِلْمِ وَالْإِمَامُ الْمُقْسِطُ » الحديث .

وروى الإمام أحمد والطبراني باسناد حسن عن عبد الله بن بشر قال : سمعت حديثاً منذ زمان :

« إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عَشْرُونَ رَجُلًا أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ فَتَصَفَّحْتَ وَجُوهَهُمْ فَلَمْ تَرَ فِيهِمْ رَجُلًا يَهَابُ فِي اللَّهِ عِزًّا وَجَلَّ فَاَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ قَدْ رَقَّ » .

وروى الطبراني مرفوعاً :

« لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا ثَلَاثَ خِصَالٍ فَذَكَرَ مِنْهَا وَأَنْ يَرَوَاذَا عِلْمٌ فَيُضَيِّعُونَهُ وَلَا يَسْأَلُونَ عَلَيْهِ » .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا لم نعمل بعلمنا أن ندك عليه من يعمل به من المسلمين ، وإن لم يكن ذلك يجبر خللنا على التمام فإن من الناس من قسم له العلم ولم يقسم له عمل به ، ومنهم من قسم له العلم والعمل به ، ومنهم من لم يقسم له واحد منهما كبعض العوام .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : يتعين على كل من لم يعمل بعلمه أن يعلمه الناس ولأن يرجو عمله به .

وسمعت مرة أخرى يقول : ما تمّ عالم إلا وهو يعمل بعلمه ولو بوجه من الوجوه ، مادام عقله حاضراً ، وذلك أنه إن عمل بالمأمورات الشرعية واجتناب المنهيات فقد عمل بعلمه بيقين إذا رزقه الله الإخلاص فيه ، وإن لم يعمل بعلمه كما ذكرنا فيعرف بالعلم أنه خالف أمر الله فيتوب ويندم فقد عمل أيضاً بعلمه ، لأنه لولا العلم ما اهتدى لسكون ترك العمل بالعلم معصية ، فالعلم نافع على كل حال ويحمل ماورد في عقوبة من لم يعمل بعلمه على من لم يتب من ذنبه اه . وهو كلام نفيس .

وملاحظ ذلك أنه لا يشترط في كون الإنسان عاملاً بعلمه عدم وقوعه في معصية ، كما يتبادر إلى الأذهان ، وإنما الشرط عدم إصراره على الذنب أو عدم إصراره على الإصرار وهكذا .

وروى ابن ماجه وابن خزيمة مرفوعا :

« إِنَّمَا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَلَيْهِ وَعَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمٌ عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى مرفوعا :

« مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ أَوْ قَالَ قَالَ عَلَيْهِ » .

وروى البزار والطبرانى مرفوعا :

« الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ » .

وروى مسلم وغيره مرفوعا :

« مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ

مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا » .

وروى الحاكم مرفوعا عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى :

(قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) . قال : « عَلِّمُوا أَهْلِيكُمْ الْخَيْرَ » .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكرم المساجد ولا نقضى الحاجة قريبا من أبوابها فى غير الأمكنة المعدة لذلك تعظيما وإجلالا لله تعالى ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس الذين حوانيتهم قريبة من أبواب المساجد فيتكلفون دخول المسجد إن كانت مطهرته يدخل إلى مجازها منه لأجل خلع نعالهم إذا دخلوا المسجد أو لكونها دورة عليهم ، ونحو ذلك ؛ وهذا الفعل من أفتح ما يكون ، وليتأمل أحدهم إذا أراد أن يدخل قصر السلطان لا يقدر ببول قط على باب قصره هيبه للسلطان وخوفا من خدامه ، فالله تعالى أحق بذلك .

وسياتى زيادة على ذلك فى العهد الثالث عشر بعد هذا فراجع .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله إذا أراد أن يدخل المسجد يتطهر بخارجة أو فى بيته ، ولا يدخل قط محمداً ليتوضأ فى الميضأة التى هى داخل المسجد خوفاً أن يدخل محمداً ، وكان إذا دخل المسجد يصبر يرتعد من الهيبه حتى يقضى الصلاة فيخرج مسرعا ويقول الحمد لله الذى أطلعنا من المسجد على سلامة .

فقلت له : أنتم بحمد الله فى حضور مع الله تعالى داخل المسجد وخارجة .

فقال : يا ولدي قد طلب الحق تعالى منا في المسجد آدابا لم يطلبها منا خارجه وانظر إلى نبيه صلى الله عليه وسلم الجالس في المسجد عن تشبيك الأصابع وعن تقليب الحصى ونحو ذلك تعرف ما قلنا ، فإن الشارع صلى الله عليه وسلم لم ينهنا عن ذلك في غير المسجد .

ورأى رضى الله عنه مرة شخصا من الفقراء يمشى بتاسومة طاهرة في صحن المسجد فزجره ونهاه عن ذلك ، وقال تورع في اللقمة أحوط لك .

وقام له شخص مرة في المسجد فزجره زجرا شديدا وقال . إن العبد إذا عظم في حضرة الله تعالى ذاب كما يذوب الرصاص حياء من الله تعالى أن يشاركه في صورة التعظيم والكبرياء . وكان إذا جاء إلى المسجد لا يتجرأ أن يدخل وحده ، بل يصبر على الباب حتى يأتي أحد فيدخل وراءه تبعاله ويقول : المسجد حضرة الله تعالى ولا يبدأ بالجلوس بين يدي الله تعالى قبل الناس إلا المقربون الذين لا خطيئة عليهم ، ولا تندست جوارحهم قط بمعصية أو وقعوا وتابوا منها توبة نصوحا ، كالأولياء الذين سبقت لهم العناية الربانية بالولاية الكبرى في عدم العلم ، وعلموا بالكشف الصحيح أن الله تعالى قبل توبتهم وبدل سيئاتهم حسنات ، بحيث لم يبق عندهم سيئة يستحضرونها ، ومتى استحضروها فليعلموا أن توبتهم معلولة لسكونها لم تبدل سيئاتهم حسنات ، إذ لو بدلت لم يبق لها صورة في الوجود ولا في ذهنهم ولا في الخارج . قال : ولست أنا من أحد هذين الرجلين فإلى وللدخول قبل الناس اه :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

روى أبو داود عن مكحول مرسلا قال :

« هَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَالَ بِأَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ » وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نسيغ الوضوء صيفا وشتاء امتثالاً لأمر الله ، واغتناماً للأجر الوارد في ذلك في الشتاء ، ولأنه ربما استلذت الأعضاء بالماء البارد في الصيف فيباغ المتوضى في الإسباغ لحظ نفسه ، فينبغي أن يتنبه المتوضى لمثل ذلك ويسبغ امتثالاً للأمر لا لاستلذذ الأعضاء بالماء ، وهذا سر أمر الشارع لنا بالوضوء ليقول العهد لنفسه إذا استلذ بالماء في الصيف وادعت أنها مغلصة في ذلك إنما هذا لحظ نفسك بدليل نقرتلك من إسباغ الوضوء في الشتاء ، فلو كان إسباغك

الوضوء في الصيف امثالاً للأمر الله لكنت تسبغين ذلك في الشتاء من باب أولى ، لأنه وعدك بالأجر عليه أكثر ، وهذا الأمر يجرى مع العبد في أكثر المأمورات الشرعية فيفعلها العبد بحكم العادة مع غفلته عن امثال الأمر وعن شهود الشارع ، فيفوته معظم الغرض الذي شرعت تلك الطاعة له وهو الفوز بمجالسة الشارع في امثال أوامره واجتناب نواهيه ، فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ ناصح يرشده إلى تحليص العمل لله من حظ النفس :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

وفي بعض طرق حديث جبريل في سؤاله عن الإيمان والإسلام في غير طرق الصحيحين :

« وَأَنْ تَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ وَتُسَمِّيَ الْوُضُوءَ » الحديث .

ورواه ابن خزيمة في صحيحه بهذا السياق .

وروى الشيخان مرفوعاً :

« إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ » .

قال الحافظ عبد العظيم المازني : وقد قيل إن قوله « فن استطاع » النخ ليس من كلام النبوة وإنما هو مدرج من كلام أبي هريرة موقوف عليه ذكره غير واحد من الحفاظ .

وروى ابن خزيمة في صحيحه مرفوعاً :

« إِنَّ الْخَلِيَةَ تَبْلُغُ مِنَ الْمُؤْمِنِ مَوَاضِعَ الطُّهُورِ » .

وفي رواية : « تَبْلُغُ الْخَلِيَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءَ » .

والخلية : هو ما يتحلى به أهل الجنة من الأساور ونحوها ، وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا توضأ مديده حتى تباغ لإبطه .

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه أنهم قالوا :

« يَا رَسُولَ اللَّهِ : كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ يَمَنَ لَمْ يَرَكَ ؟ قَالَ لَهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

غُرًّا مُحَجَّلِينَ بَلَقًا مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ » .

وروى الإمام أحمد باسناد حسن في المبايعات :

« أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَّمِ فِيمَا بَيْنَ نُوْحٍ إِلَى أُمَّتِكَ ؟ قَالَ هُمْ غُرٌّ مُحْجَلُونَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِمْ ، قَالَ : وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ وَتَسَعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَنْوَارُهُمْ » .

وروى مسلم ومالك مرفوعا :

« إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ وَكُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَّتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ قَطْرِ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَفِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ » .

وفي رواية لمسلم وغيره مرفوعا :

« مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ » .

وفي رواية بإسناد على شرط الشيخين للحاكم مرفوعا :

« مَا مِنْ أَمْرٍ يُتَوَضَّأُ فِيْهِ حَسَنٌ وَوُضُوءُهُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الْأُخْرَى حَتَّى يُصَلِّيَهَا » .

وروى البزار بإسناد حسن أن عثمان رضي الله عنه كان يسبغ للوضوء في شدة

البرد ويقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لَا يُسْبَغُ عَبْدُ الْوُضُوءِ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » .

وروى أبو يعلى والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد على شرط مسلم مرفوعا :

« إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَسْكَرَةِ وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ يَغْسِلُ الْخَطَايَا غَسْلًا » .

وروى الطبراني مرفوعا :

« مَنْ أَسْبَغَ الْوُضُوءَ فِي الْبَرْدِ الشَّدِيدِ كَانَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ » .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا :

« مَنْ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا فَذَلِكَ وَضُوءِي وَوَضُوءُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي » .

والله تعالى أعلم

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحافظ على دوام الوضوء وعلى تجديده لئلا نكون مستعدين لقبول الواردات الإلهية ، فإن صدقته تعالى على عباده لا تنقطع ليلا ولا نهارا ، ومن كشف الله تعالى عن بصيرته وجد نفسه جالسا بين يدي الله عز وجل على الدوام ، وهذا أمر يتأكد فعله على أكابر العلماء والصالحين ، لأن معظم الواردات الإلهية في العلوم الظاهرة والباطنة تنزل عليهم ، وقد أغفل ذلك كثير منهم .

ومن رأيت على هذا القدم من أولياء العصر الشيخ محمد بن عنان والشيخ داود والشيخ محمد العدل ، ومن أكابر الدولة بمصر ، الأمير محيي الدين بن أبي الأصبح ، ووالده الأمير يوسف ، ومن المباشرين عبد القادر الزرمكي ، ومن التجار جلال الدين بن فاقوسة ، ومن العلماء أخى العبد الصالح شمس الدين الشربيني وصاحبه الشيخ صالح السملی ، ومن جماعة الوالى الحاج أحمد القواس ، حتى إنه سمع شخصا نائما أخرج ريجا في المسجد فامتنع من النوم في المسجد خوفا أن يخرج منه ريح في النوم ، فإذا كان هذا يقع من الأمراء وغلمان الوالى فالعلماء والصالحون أولى بالمواظبة على الطهارة .

ورأيت سيدى محمد بن عنان إذا كان في الخلاء وأبطأ عنه ماء الوضوء ضرب بيده على الحائط وتيمم حتى لا يمكث بلا طهارة وإن لم تجزله الصلاة بذلك التيمم .

وقد رأيت الشيخ تاج الدين الداكر المدفون بزوايته في حارة حمام الدود بمصر كلما يصلى بوضوئه صلاة ما يجدد الوضوء ، وكان لا يدخل الخلاء إلا من الجمعة إلى الجمعة وبقية الأسبوع كله على طهارة ليلا ونهارا مع أكله وشربه على حكم عادة الناس ، فسألت أصحابه عن ذلك فقالوا : كل شيء نزل جوفه احترق من شدة الحاح .

وكان سيدى محمد بن عنان يقلل الأكل جدا حتى لا يدخل الخلاء إلا قليلا ويقول : إن أحدنا يجالس لله على الدوام ولو لم يشعر بذلك ، وإذا قال الملك لعبده تهبأ لمجالستى

فإني أريد أنك تجالسني ثلاثة أيام مثلا ، فمن أدبه أن يستعد لذلك بقلة الأكل والشرب وإلا لزمه أن يقوم من تلك الحضرة الشريفة إلى البول والغائط وهو مكشوف السواتين والشياطين حوله لا يقربه ملك وهو جالس في مكان نجس على أقبيح صورة وأنين ريح وكذلك بلغنا عن الإمام البخاري أنه كان يقلل الأكل حتى انتهى أكله إلى تمرة أو لوزة في كل يوم من غير ضرر

وكذلك بلغنا عن الإمام مالك ، أنه كان يأكل كل ثلاثة أيام أكلة واحدة ويقول أستحي من ترددى للخلاء بين يدي الله عز وجل ، ولما حج أخى الشيخ أفضل الدين أحرم بالحج مفردا فكث نحو خمسة عشر يوما لا يبول ولا يتغوط يقول : أستحي من الله أن أقدر هذه الأرض المشرفة بشيء من فضلاتي .

وكذلك رأيت أخى الشيخ أبا العباس الحرثي رحمه الله كان لا يدخل الخلاء إلا قليلا فهدى هذه الأشياخ يا أخى اقتد وقد أنشد سيدى أبو المواهب من موشح :

أَنْتَ حَاضِرٌ فِي الْحَضْرَةِ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَدْرِي

فتحتاج يا أخى إلى شيخ يسلك بك حتى تعرف عظمة الله تعالى وتعرف مقدار حضرته وأهلها ، وتصير يشق عليك مفارقتها حتى ترى الضرب بالسيف أهون عليك من مفارقتها ، وإلا فن لازمك للهاون بها لأنك لم تعرف للحضور مع الله طعما والله يتولى هداك .

وروى ابن ماجه بإسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرطهما وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« أُسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْضُوا أَعْمَالَكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَيْهَا إِلَّا مُؤْمِنٌ » .

قلت أى مؤمن بأنه فى حضرة الله على الدوام ، إذ الإيمان يتمخصص فى كل مكان بحسبه ، فإذا جاء عقب قول من ينكر البعث مثلا لا يؤمنون فعناه لا يؤمنون بالبعث ، وإذا جاء ذلك عقب قول من ينكر الحساب ، فعناه لا يؤمنون بيوم الحساب ، وهكذا القول فى نحو حديث :

« لَا يَزِنِي الزَّانِي حِينَ يَزِنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ » .

أى بأن الله يراه ، فلو آمن بأن الله يراه على الكشفت والشهود حال الزنا ما قدر على الزنا ، فافهم فلا يلزم من نفي الإيمان بشيء من التكاليف مثلاً نفي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وغير ذلك ، ويحتمل أن يكون المراد نفي سائر صفات الإيمان لكون الإيمان كله كالجزم الواحد إذا انتفى بعضه انتفى كله ، كما قالوا في الإيمان بالرسول ، أنه إذا لم يؤمن ببعض الرسل لا يصح له إيمان والله تعالى أعلم :

وروى الطبراني مرفوعاً :

« حَافِظُوا عَلَى الْوُضُوءِ وَتَحَفِّظُوا مِنَ الْأَرْضِ فَإِنَّهَا أُمُّكُمْ وَإِنَّهَا لَيْسَ أَحَدٌ عَامِلًا عَلَيْهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا إِلَّا وَهِيَ مُخَبَّرَةٌ بِهِ » .

وروى الامام أحمد بإسناد حسن مرفوعاً :

« لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتَهُمْ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ بِوُضُوءٍ » .

يعنى ولو كانوا غير محدثين الحديث .

وروى ابن خزيمة في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ إِنْ دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي ، فَقَالَ بِلَالُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا أَدَّنتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إِلَّا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهَذَا بَلَّغْتَ » .

ومعنى خشخشتك أمامى أى رأيتك مطرقاً بين يدى كالمطرقين بين يدى ملوك الدنيا قاله الشيخ محيى الدين فى الفتوحات المكية والله تعالى أعلم .

وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه مرفوعاً :

« مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى طَهْرٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ » .

قال الحافظ عبد العظيم رحمه الله وأما الحديث الذى يروى مرفوعاً :

« الْوُضُوءُ عَلَى الْوُضُوءِ نُورٌ عَلَى نُورٍ » .

فلا يحضرنى له أصل من حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولعله من كلام بعض السلف والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على السواك

عند كل وضوء . وعند كل صلاة ، وإن كان يقع منا كثيرا ربطناه في خيط في عنقنا أو حمامتنا إن كانت على عرقية من غير قلنسوة ، فإن كانت على قلنسوة وشددنا عليها العمامة وشقناه في العمامة من جهة الأذن اليسرى ، وهذا العهد قد أدخل به غالب العوام من التجار والولاة وحاشيتهم فتصير روائح أفواههم منقذة قدرة ، وفي ذلك إخلال بتعظيم الله وملائكته وصالح المؤمنين . فضلا عن غير الملائكة والصالحين ، ومارأيت أكثر مواظبة ولاحرصا على السواك من سيدى محمد بن عثمان وسيدى شهاب الدين بن داود والشيخ يوسف الحرثي رحمهم الله ، وكل ذلك من قوة الإيمان وتعظيم أوامر الله عز وجل وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم ، لاسيما وقد أكد صلى الله عليه وسلم في ذلك ولم يكتف بمجرد الأمر به مرة واحدة ، فلزام يا أخى على السنة المحمدية لتجني ثمرة ثوابها في الآخرة ، فإن لكل سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم درجة في الجنة لا تتال إلا بفعل تلك السنة ، ومن قال من المتهورين هذه سنة يجوز لنا تركها يقال له يوم القيامة وهذه درجة يجوز حرمانك منها صرح بذلك الامام أبو القاسم بن قسى في كتابه المسمى بجمع التعلين .

وقد بلغنا عن الشبلي رحمه الله أنه احتاج إلى سواك وقت الوضوء فلم يجده ، فبذل فيه نحو دينار حتى تسوك به ولم يتركه في وضوءه فاستكثر بعض الناس بذل ذلك المال في سواك ، فقال إن الدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضه ، فإذا يكون جوابي إذا قال لي لم تركت سنة نبي ، ولم تبذل في تحصيلها ما خصك الله به من جناح البعوضة ، فأعجزه ومضى ، وأظنك يا أخى لو طلب منك صاحب السواك نصفًا واحدا حتى يعطيه لك لتركت السواك وقدمت النصف وأنت مع ذلك تزعم أنك من أولياء الله تعالى ومن المقربين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله إنها دعوى لا برهان عليها .

وسياتي ما يستفاد منه في الأحاديث أن قليل العمل مع الأدب خيز من كثير العمل من غير أدب .

وقد كان سيدى إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه يقول لقراء القرآن : إياكم والغيبة والتكلم بالكلام الفاحش ، ثم تتلون القرآن ، فإن حكم ذلك حكم من مس بالفاظ القرآن القدر ولا شك في كفره اه ، وهذا أمر قد عم غالب قراء القرآن ، فلا يكاد يسلم منه إلا القليل ، حتى قال الفضيل بن عياض وسفيان الثوري ، قد صار القراء يتفكحون في

هذا الزمان بالغيبة وتنقيص بعضهم بعضا ، خوفاً أن يعلو شأن أقرانهم عليهم ويشتهرون بالعلم والزهد والورع دونهم وبعضهم يجعلها كالإدام في الطعام وهو أخفهم إنمّا :
ورأيت شخصا من المجاورين يقرأ كل يوم ختمة وهو مع ذلك لا يكاد يذكر أحدا من المسلمين بخير ، إنمّا هو غيبة وازدراء فنهية عن ذلك فتركهم واشتغل بغيري ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فعظم يا أخى سنة نبيك ، واستغفر الله من استهانتك بتركها ، فإنك لو صرحت بالاستهانة كفرت وعكمت الباطن عند الله تعالى في ذلك حكم الظاهر .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

وروى البخارى وغيره واللفظ له مرفوعا :

« لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتَهُمْ بِالسُّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ » وفي رواية :
مسلم « عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » .

ورواية النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه :

« لَأَمَرْتَهُمْ بِالسُّوَاكِ مَعَ الْوُضُوءِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » .

وفي رواية الإمام أحمد بإسناد جيد والبخاري والطبراني :

« لَأَمَرْتَهُمْ بِالسُّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ كَمَا يَتَوَضَّئُونَ » .

وفي رواية لأبي يعلى وغيره :

« لَفَرَضْتُ عَلَيْكُمُ السُّوَاكَ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْكُمُ الْوُضُوءَ » .

وروى أبو يعلى عن عائشة قالت : مازال النبي صلى الله عليه وسلم يذكر السواك حتى خشيت أن ينزل فيه قرآن

وروى النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه وغيرهم مرفوعا :

« السُّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ » وزاد الطبراني : « وَمُجَلَّةٌ لِلْبَصَرِ » .

وروى الترمذى مرفوعا وقال حسن غريب :

« أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ : الْحِنَاءُ ، وَالتَّطَرُّؤُ ، وَالسُّوَاكُ ، وَالنِّسْكَاحُ » .

وروى مسلم عن عائشة قالت : أول ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتدىء به

إذا دخل بيته السواك :

وروى الطبراني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من بيته لشيء من الصلوات حتى يستاك .

وروى ابن ماجه والنسائي ورواته ثقات ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل ركعتين ثم ينصرف فيستاك .
وروى أبو يعلى مرفوعا :

« لَقَدْ أَمِرْتُ بِالسَّوَاكِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ أَنْزِلُ عَلَيَّ فِيهِ قُرْآنٌ أَوْ وَحْيٌ » .
وفي رواية للامام أحمد وغيره .

« حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ » وفي رواية للطبراني : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالسَّوَاكِ حَتَّى خِفْتُ عَلَيَّ أَضْرَاسِي » وفي رواية له : « حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُدْرِدَ رِئِي » .
أى يسقط أسناني .

• روى الزرار بإسناد جيد :

« إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اسْتَاكَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، قَامَ الْمَلِكُ خَلْفَهُ فَيَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ حَتَّى يَضَعُ فَاهُ عَلَى فِيهِ فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْمَلِكِ ، فَظَهَرُوا أَفْوَاهَهُمْ لِلْقُرْآنِ » .
قال الحافظ المنذرى والأشبهه أن هذا موقف .

وروى أبو نعيم مرفوعا بإسناد جيد كما قاله المنذرى :

« لِأَنَّ أَصْلِي رَكْعَتَيْنِ بِسِوَاكٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصَلِّيَ سَبْعِينَ رَكْعَةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ » .

وفي رواية أخرى بإسناد حسن :

« رَكْعَتَانِ بِالسَّوَاكِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ » .
والأحاديث في ذلك كثيرة جدا والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نخلل أصابع اليدين والرجلين بالماء في كل طهارة اهتماما بأمر الشارع صلى الله عليه وسلم ، ولا نترك فعل ذلك في وضوء ولا غسل ، وهذا العهد يخل به كثير من المتعبدین والعوام ، فينبغي إشاعة ذلك بينهم في أوقات وضوئهم في المطاهر ، ليكون فاعل ذلك معدودا من رسل رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه صلى الله عليه وسلم يحب من يبلغ سنته التي اندرست إلى من يجهلها من أمته ، ومن أحبه صلى الله عليه وسلم حشر معه لقوله صلى الله عليه وسلم :
« يُحْشَرُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

ومن حشر مع النبي صلى الله عليه وسلم لا يلحقه في مواقف يوم القيامة كرب .
وقد نور الله تعالى قلب السلطان حسن فجعل في كتاب وقف مدرسته بالرميلة بمصر وظيفة لمن يقف في أوقات الصلوات الخمس على المطهرة ، ليعلم الناس ما يخلون به من أمر الشارع في وضوئهم بمدرسته ، فخلل يا أخى أصابعك وبلغ ذلك إلى من يجمله والله يتولى هداك :

وروى الطبراني مرفوعا :

« حَبَدًا الْمُتَخَلِّلُونَ مِنْ أُمَّتِي ، قَالُوا : وَمَا التَّخَلِّلُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ
الْمُتَخَلِّلُونَ فِي الْوُضُوءِ ، وَالتَّخَلِّلُونَ مِنَ الطَّعَامِ » .

أما تحليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع الحديث .
وروى الطبراني مرفوعا وموقوفا وهو الأشبه :

« تَخَلَّلُوا فَإِنَّهُ نَظَافَةٌ ، وَالنَّظَافَةُ تَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ
فِي الْجَنَّةِ » .

وروى الطبراني مرفوعا :

« مَنْ لَمْ يَخَلِّلْ أَصَابِعَهُ بِالْمَاءِ خَلَّلَهَا اللَّهُ بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
وفي رواية له مرفوعا :

« لَتَنْتَهَكُنَّ الْأَصَابِعَ بِالطَّهْرِ أَوْ لَتُنْتَهِكَنَّ النَّارُ » .
وفي رواية له أيضا بإسناد حسن مرفوعا :

« خَلَّلُوا الْأَصَابِعَ الْخُلْسَ لَا يَحْشَوْهَا اللَّهُ نَارًا » .

وقوله لتنتهكن أي لتبالغن في غسلها أو لتبالغن النار في إحراقها والنهك المبالغة في كل شيء .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا :

« وَيَلِي لِالْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ » .

وفي رواية للترمذي :

« وَيَلُّهُ لِلْأَعْقَابِ وَبُطُونِ الْأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ » .

وروى الإمام أحمد رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه صلاة فقرا فيها سورة الروم فلبس بعضها فقال :

« إِنَّمَا لَبَسَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ الْقُرْآنَ مِنْ أَجْلِ أَقْوَامٍ يَأْتُونَ الصَّلَاةَ بِغَيْرِ وُضُوءٍ ، فَإِذَا آتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَأَحْسِنُوا الْوُضُوءَ » .

وفي رواية أنه تردد في آية فلما انصرف قال :

« إِنَّ أَقْوَامًا مِنْكُمْ يُصَلُّونَ مَعَنَا لَا يُحْسِنُونَ الْوُضُوءَ ، فَكَنْ شَهَدَ الصَّلَاةَ مَعَنَا فَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ » .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على أذكار الوضوء الواردة في السنة ولا نتركها في وضوء واحد ، ونقولها بحضور تام ونستحضر معاصي كل عضو عند غسله ، ونتوب منها مع الغسل ، يطهر باطننا بالتوبة وظاهرنا بالماء ، فكما لا تكني طهارة الباطن عن الظاهر فكذلك لا تكني طهارة الظاهر عن الباطن كما أشار إليه أمره صلى الله عليه وسلم ، المتوضىء بالشهادتين ، فإن الماء يطهر الظاهر والشهادتين يطهران الباطن ، فكأن المتوضىء أسلم إسلاما جديدا وتاب من ذنوبه كما تاب من أسلم من ذنب الكفر فافهم .

وقد روى مسلم وأبو داود وابن ماجه مرفوعا :

« مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فَتِيحت لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » .

زاد في رواية أبي داود :

« ثُمَّ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَقُولُ » .

فذكره وزاد في رواية له أيضا بعد قوله ورسوله :

« اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ » الحديث .

والأحاديث في أذكار أعضاء الوضوء وبعد الوضوء محررة في كتب الفقه والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على الركعتين بعد كل وضوء بشرط أن لا نحدث فيهما أنفسنا بشئ لم يشرع من أمور الدنيا أو بشئ لنا في الصلاة ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حتى يقطع عنه الخواطر المشغلة عن خطاب الله تعالى .

واعلم أن حديث النفس المذموم ليس هو رؤية القلب لشيء من الأكوان كما توهمه بعضهم ، فإنه ليس في قدرة العبد أن يغمض عين قلبه عن شهود أنه في مكان قريب أو بعيد من بستان أو نجامع أو غير ذلك ، فإن في حديث الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال :

« رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فِي مَقَامِي هَذَا » .

وكان ذلك في صلاة الكسوف ، فلو كان ذلك يقدر في كمال الصلاة لما وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ، وحمل بعضهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم على قصد التشريع لأتمته بعيد .

وأما ما نقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تجهيزه الجيوش في الصلاة ، فذلك لكماله ، لأن الكمال لا يشغلهم عن الله شاغل مع أن ذلك كان في مرضاة الله عز وجل اه .

فاسلك يا أخى على يد شيخ ناصح يشغلك بالله تعالى حتى يقطع عنك حديث النفس في الصلاة كقولك أروح لكذا أفعل كذا أقول كذا أو نحو ذلك وإلا فن لا زمك حديث النفس في الصلاة ، ولا يكاد يسلم لك منه صلاة واحدة لافرض ولا نقل ، فاعلم ذلك وإياك أن تريد الوصول إلى ذلك بغير شيخ كما عليه طائفة المجادلين بغير علم فإن ذلك لا يصح لك أبدا .

(وقد قال الجنيد يوما للشبلي) وهو مرید : يا أبا بكر إن خطر في بالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فلا تأتأنا فإنه لا يجيئك منك شيء اه :

قلت ومراده بغير الله عز وجل غير ما لا يرضيه من المعاصي وإلا فحضور الطاعات على القلب لا يقدر في السالك بالاجماع :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال :

« يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمَلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دُفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ ؟ قَالَ مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي مِنْ أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أَصَلِّيَ » .
والدف بضم الدال هو صوت النعل حال المشي ، والمعنى أتى رأيتك مطرقا بين يدي كالمطرقين بين يدي الملوك والأمراء كما مر في عهد المواظبة على الوضوء وإن اختلفت لفظ الواقعة .

وروى مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحَسِّنُ الْوُضُوءَ وَيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ يُقْبَلُ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا إِلَّا وَجَّهَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » .

وفي رواية لأبي داود مرفوعا :

« مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يَسْهُوُ فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

قلت قواعد الشريعة تقتضى أن السهو شمول عن العبد في صلاته : ولكن لما فرط العبد بعدم تفريغ نفسه من الشواغل قبل الدخول في الصلاة ثم سها كان عليه اللوم ، لو أنه فرغ نفسه ثم سها لم يكن عليه لوم اه والله أعلم :

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا :

« مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا بِثَلَاثٍ ثَلَاثًا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وفي رواية للإمام أحمد :

« ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعًا » .

شك الراوى إلى آخر الحديث والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على الأذان لكل صلاة ولو سمعنا المؤذن وإن احتاج الناس إلى الأذان برفع الصوت أذنا لهم ، وليس لنا أن نتعلل بالحياء لأن الحياء في مثل ذلك حياء طبيعي نفسى وليس في فعل المأمورات الشرعية حياء ، وإنما الحياء المطلوب أن يترك العبد ما نهاه الله عنه فافهم ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس أصحاب الطبع اليباس ، فيقول له العامة أذن لنا يا سيدي الشيخ فيقول أستحي ، وهذا ليس بعذر ، فإن كان يا أخى ولا بد لك من الحياء فاستمع من الله أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك فهذا هو الحياء الشرعى الذى يثاب عليه العبد .

وكان من آخر من رأيت مواظبا على هذه السنة الشريفة مولانا شيخ الاسلام الشيخ نور الدين الطرابلسى الحنفى ورفيقه السيد الشريف الخطابى والشيخ محمد بن عنان والشيخ أبو بكر الحديدى ، والشيخ محمد بن داود وولده الشيخ شهاب الدين ، والشيخ يوسف الحرثى رضى الله عنهم أجمعين فاعلم ذلك والله يتولى هداك .
وروى الشيخان مرفوعا .

« لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنفُسَهُمْ سَخِرُوا مِنْهُ لَاسْتَهْمُوا » .

أى اقتربوا ، وفى رواية للإمام أحمد مرفوعا :

« لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي التَّأْذِينِ لَتَضَارَبُوا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ » .

وروى مالك والبخارى والنسائى وابن ماجه أن أبا سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال لعبد الرحمن بن أبى صعصعة :

« إِنِّي أُرَاكَ تُحِبُّ الْغَمَّ وَالْبَادِيَةَ فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنتَ لِلصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى سمعت ما قلته لك

بخطاب لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولفظ ابن خزيمة فى صحيحه قال :

« سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَا يَسْمَعُ صَوْتَهُ أَى الْمُؤَذِّنِ

شَجْرٌ وَلَا مَدْرٌ وَلَا حَجْرٌ ، وَلَا جِنَّ وَلَا إِنْسٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ » .

وفي رواية للإمام أحمد :

« يَسْتَغْفِرُ الْمُؤَدَّنُ مِنْهُنَّ إِذَا نَهَى، وَيُسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَهُ » .

وفي رواية للبخاري : « وَيُجِيبُهُ كُلُّ شَيْءٍ رَطْبٍ وَيَابِسٍ » .

زاد في رواية للنسائي : « وَلَهُ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ » .

قال الخطابي : ومدى الشيء : غايته والمعنى أنه يستكمل مغفرة الله إذا استوفى وسعه في رفع الصوت فيبلغ الغاية من المغفرة إذا بلغ من الصوت الغاية، قال الحافظ المنذرى ويشهد لهذا القول رواية يغفر له مد صوته بتشديد الدال أى بقدر مد صوته قال الخطابي ، وفي وجه آخر وهو أنه كلام تمثيل وتشبيه يريد أن المسكان الذى ينتهى إليه الصوت لو يقدر أن يكون ما بين أقصاه وبين مقامه الذى هو فيه ذنوب تملأ تلك المدى لغفرها الله له .

وروى الإمام أحمد والترمذى مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ عَلَى كُثْبَانَ الْمِسْكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَذَكَرَهُمْ ، وَرَجُلٌ يُنَادِي بِالصَّوَاتِ

الْحُمْسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ » .

زاد في رواية الطبراني :

« وَيَطْلُبُ وَجْهَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَهُ » .

وروى الطبراني مرفوعا :

« الْمُؤَدَّنُ الْمُحْسِنُ كَالشَّهِيدِ الْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ ، إِذَا مَاتَ لَمْ يُدَوِّدْ فِي قَبْرِهِ » .

وروى الطبراني في مجاميعه الثلاثة مرفوعا :

« إِذَا أُذِّنَ فِي قَرْيَةٍ أَمَّنَهَا اللَّهُ مِنْ عَذَابِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ » .

وفي رواية : « أَيُّمَا قَوْمٍ نُودِيَ فِيهِمْ بِالْأَذَانِ صَبَاحًا إِلَّا كَانُوا فِي أَمَانِ اللَّهِ حَتَّى

يُمْسُوا ، وَأَيُّمَا قَوْمٍ نُودِيَ فِيهِمْ بِالْأَذَانِ مَسَاءً إِلَّا كَانُوا فِي أَمَانِ اللَّهِ حَتَّى يُصْبِحُوا » .

وروى ابن ماجه والدارقطنى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين مرفوعا :

« مَنْ أذَّنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَكُتِبَ لَهُ بِتَأْذِينِهِ فِي كُلِّ

يَوْمٍ سِتُونَ حَسَنَةً ، وَبِكُلِّ إِقَامَةٍ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً » .

وروى ابن ماجه والترمذى مرفوعا :

« مَنْ أذَّنَ مُحْتَسِبًا سَبْعَ سِنِينَ كُتِبَ لَهُ بِرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ » .

والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نجيب المؤذن بما ورد في السنة ولا نتلاهى عنه قط بكلام آخر ولا غيره أدبا مع الشارع صلى الله عليه وسلم ، فإن لكل سنة وقتا يخصصها فإجابة المؤذن وقت وللعلم وقت وللتسبيح وقت ، ولتلاوة القرآن وقت ، كما أنه ليس للعبد أن يجعل موضع الفاتحة استغفارا ولا موضع التسبيح للركوع والسجود قراءة ولا موضع التشهد غيره وهكذا فافهم ، وهذا العهد ينزل به كثير من طلبة العلم فضلا عن غيرهم ، فيتركون إجابة المؤذن بل ربما تركوا صلاة الجماعة حتى يخرج الناس منها وهم يطالعون في علم نحو أو أصول أوفقه ، ويقولون العلم مقدم مطلقا وليس كذلك فإن المسئلة فيها تفصيل فما كل علم يكون مقديما في ذلك الوقت على صلاة الجماعة كما هو معروف عند كل من شم رائحة مراتب الأوامر الشرعية .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله ، إذا سمع المؤذن يقول حتى على الصلاة يرتعد ويكاد يذوب من هيبه الله عز وجل ويحيب المؤذن بحضور قلب وخشوع تام رضى الله عنه ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك :

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا

« إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ » .

الحديث وقوله فقولوا يعنى عقب كل كلمة قالها ، لأن الفاء للتعقيب وبه قال جماعة من العلماء والله تعالى أعلم .

وروى الإمام أحمد والطبرانى مرفوعا :

« مَنْ قَالَ حِينَ يَنَادِي الْمُنَادِي : اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ النَّافِعَةُ ، صَلَّى عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَارِضَ عَنَّا رِضًا لَا سُخْطَ بَعْدَهُ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ » .

وروى أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« مَنْ سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ فَقَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ » .

وفي رواية : « مَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ إِذَا سَمِعَ الْمُؤَدِّنَ وَحَتَّ لَهُ شَفَاعَتِي
يَوْمَ الْقِيَامَةِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نسأل الله تعالى
ماشئنا من حوائج الدنيا والآخرة لنا وللمسلمين فيما بين الأذان وإقامة الصلاة
ولا نفرط في ذلك إلا لعذر شرعى ، وذلك لأن الحجب ترفع في ذلك الوقت بين
الداعى وبين ربه بمثابة فتح باب الملك والإذن فى الدخول لأصحابه وخدامه عليه ، فمن
كان من أهل الرعيل الأول قضيت حاجته بسرعة مقابلة له على سرعة مجيئه بين يدي
ربه تعالى ، ومن كان من آخر الناس مجيئا كان أبطأهم إجابة مع أنه تعالى لا يشغله شأن
عن شأن ولكن هكذا معاملة تعالى لخلقه ، ولا يخفى أن الحق تعالى يحب من عباده
الالحاق فى الدعاء لأنه مؤذن بشدة الفاقة والحاجة ومن لم يلح فى الدعاء فكأن لسان حاله
يقول أنا غير محتاج إلى فضل الله تعالى ، وربما أن الله تعالى يكشف حاله حتى يصبر
يدعو فلا يستجيب له ، ويلح فى الدعاء ليلا ونهارا فلا يرى له أثر إجابة ، حتى يكاد
كبهده يتفنت من القهر كما عليه طائفة التجار والمباشرين الذين دارت عليهم الدوائر فتراهم
يقرون الأوراد ويحفظون الإقسامات ، ويدعون الله ليلا ونهارا بأن حاله يعود إلى ما كان
فلا يجيبهم .

فأياك يا أخى أن تتهاون بالدعاء فى كل وقت ندبك الحق تعالى إلى الدعاء فيه فتقاسى
مالا خبير فيه :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى أبو داود وغيره مرفوعا :

« الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ » .

زاد النسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحيهما (فادعوا) وزاد الترمذى :

« فَقَالُوا فَأَمَّا ذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ سَأَلُوا اللَّهَ الْعَاقِبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

وروى الحاكم مرفوعا :

« إِذَا نَادَى الْمُنَادِيُ فَتَحَّتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتَجِيبَ الدُّعَاءُ ، فَمَنْ نَزَلَ بِهِ

كُرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ فَلْيَجِيبِ الْمُنَادِيَّ » .

أى ينتظر بدعوته حتى يؤذن المؤذن فيجيبه ثم يسأل الله حاجته كما يدل عليه حديث
أبي داود والنسائي وغيرهما مرفوعا :

« قُلْ كَمَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَ » .

وروى البيهقي مرفوعا :

« إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ .

فَإِذَا أَقْبَلَ ، فَإِذَا نُوبَ أَذْبَرَ » الحديث :

والمراد بالثبوت : هنا الإقامة .

وروى عن الإمام أحمد مرفوعا :

« إِذَا نُوبَ بِالصَّلَاةِ فَتُبِحَّتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« سَاعَتَانِ لَا يُرَدُّ عَلَى دَائِعِ دَعْوَتِهِ : حِينَ تَقَامُ الصَّلَاةُ ، وَسَاعَةُ الصَّفِّ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن تساعد الناس في بناء
المساجد في الأمكنة المحتاج إلى صلاة الجمعة والجماعة فيها بأنفسنا وأموالنا بشرط الاخلاص
والحل في المال وعدم زخرفتها بالرخام الملون الرقيق وطلئ سقفها بالذهب والألوان
المعروفة ، ولا نختلف عن المساعدة فيها إلا لعذر شرعى فإنها من جملة شعائر الله تعالى ،
ولتكون كونا للناس من الحر والبرد إذا صلوا وانتظروا الصلاة الأخرى ، ومن جملة ذلك
عمارة المنبر وكرسى المصحف وبناء المطهرة والمئذنة فتساعد في بنائها كذلك وكذلك من
الملحق ببنائها وقفنا الأوقاف عليها مساعدة لخدمتها . ومن يقوم بوظائفها ويتلو القرآن
فيها ويذكر اسم الله تعالى فيها فإن المساجد لا تكمل إلا بذلك .

وإن شرفنا الاخلاص في البناء والحس في المال وعد انزخرفة لأن معاملة الله تعالى

لا تكون إلا على الأوضاع الشرعية ، وذلك ليقبيلها من صاحبها فراجع بالأخى جميع ما
ورد من فضائل الأعمال إلى من كان مخلصا في عمله منفقا من طيب كسبه .

وأما من بنى مسجدا من حرام أو شبهات أو من غير إخلاص نية فربما أثم ولم يقبل منه ، وإذا كان يوم القيامة انهار به في جهنم فعذب به .
وأما عدم الزخرفة فإنما هو حتى لا يفتن المصلون بإطماحهم أبصارهم إلى تلك الألوان والصنائع فلا يبنوا أجره بوزره ، لأن روح الصلاة الذي هو الاقبال بالجسم والقلب على الله تعالى لم يحصل لمن يصلى هناك ، فكأنهم لم يصلوا هناك فلا يعمر بها أخى شيئا من المساجد إلا إن علمت من نفسك الإخلاص ، فإن علمت من نفسك أنك إنما تعمر ليقال فأعط الناس الذين يكتمون عليك الأمر ما سمحت به المال ليصرفوه في عمارته من غير أن ينسب إليك ذلك ، والله تعالى أعلم .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا :

« مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى بَنَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وفي رواية للطبراني والبخاري وابن حبان في صحيحه واللفظ للبخاري مرفوعا :

« مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا قَدَرَ مِفْحَصِ قِطَاةٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ »

وفي رواية لابن ماجه وابن حبان في صحيحه :

« مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا يُذَكَّرُ فِيهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وفي رواية لابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا كَمِفْحَصِ قِطَاةٍ أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وفي رواية : « كَمِفْحَصِ قِطَاةٍ لَبِيضِيهَا » الحديث .

ومفحص القطة : هو مخيمها . وهو قدر موضع جهة المظلي ، قالوا وإنما مثل بمفحص

القطة دون غيرها لأنها تروث فيه .

وروى الإمام أحمد والطبراني مرفوعا :

« مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ بَنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِي الْجَنَّةِ بَيْتًا

أَفْضَلَ مِنْهُ » .

وفي رواية : « أَوْسَعُ مِنْهُ » .

رواه الإمام ، وروى الطبراني مرفوعا .

« مَنْ بَنَى بَيْتًا يُعْبَدُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مِنْ مَالٍ حَلَالٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ

مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا :

« مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لَا يُرِيدُ بِهِ رِيَاءَ وَلَا سُمْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وتقدم في باب فضل العلم حديث :

« إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ بَعْدَ مَوْتِهِ مَسْجِدًا بَنَاهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن فنظفت المساجد ونظهرها ، لاسيما إن حصل فيها قمامة أو نجاسة بواسطتنا أو واسطة أولادنا أو خدامنا أو الفقراء المقيمين عندنا ، فإنه يتأكد علينا كنسها وتطهيرها وإخراج القاذورات والقمامات منها ، إما إلى الكوم وإما إلى محل طرح تراب المسجد حتى يأتي الزبال يحملها إلى الكوم إن كان بعيدا عن المسجد ، وهذا العهد يخجل به كثير من علماء الزمان وصالحيه الساكنين بجوار المسجد وباب دارهم من داخله ، فترى الحصر التي هي فيه قريبة من دارهم قدرة من دخول السقاء والخطب واللحم والخدم الحفاة الذين يخرجون إلى السوق حفاة ولا يتجرأ خدام المسجد بمنعهم من ذلك خوفا من ذلك الشيخ ، أو من طلبته أن يؤذوه أو يسلطوا عليه الناظر فيؤذيه بضره أو بقطع شيء من جامكته ونحو ذلك .

فليتنبه العالم أو الصالح لمثل ذلك ويحترم مساجد الله تعالى وليتأمل نفسه ، في قلة خوفه من الله تعالى يجدها تخاف من الخلق أكثر من الله إما لغفلته عنه تعالى ، أو لكونه لا يهتك ستره بخلاف الخلق ، ولو أنه دخل قصر الملك وحصل منه قدر فيه لم يصبر ساعة على تقديره قصر الملك ولو أنزله به الملك ، بل تراه إذا رأى ولده الصغير بال أو تغوط على باب قصر الملك يبادر على الفور بإزالته وتطهيره وربما مسحه بردائه أو قيصه خوفا أن يطلع عليه ذلك السلطان ولو أنه رأى مثل ذلك في المسجد ما كان مسحه بردائه ولا بقميصه قط بل يقول انظر والفراشة يطهر هذا المكان ولو أنه لم يجده إلى آخر النهار لترك النجاسة في المسجد ، وكل ذلك استهانة بجانب الله تعالى ، وبما يتساهل به سكان المسجد أيضا جعل الغنم والإوز والدجاج فوق سطحه ومحجوبونه بحصير حتى لا يراه أحد من الخلق الذين ينكرون ذلك عليهم ويتغافلون عن مثل ذلك .

وقد رأى سيدي على الخواص رحمه الله مرة على ظهر زاوية بعض الفقراء خروفا مربوطا ، فنادى على الشيخ حتى سود وجهه بين الناس فاعتذر له بعدم علمه ، فقال له

ما وضعت نقيبك هنا إلا لعلمه بقلة اعتنائك بمثل ذلك ، فإنك لو أدبته وعلمته الأدب مع الله تعالى لم يقع منه مثل ذلك ثم أنشد :

وَمَنْ رَبَطَ الْكَلْبَ الْعَقُورَ بِبَابِهِ فَكَلُّهُ أَذَى لِلنَّاسِ مِنْ رَبِطِ الْكَلْبِ

وكان كنس المساجد المهجورة بمصر من وظائف سيدى على الخواص ، فكان يكسها ويكنس أسطحها ويجارى ميضائها وكراسى أخليتها ، وكان يتفقدتها يوم الخميس ويوم الجمعة ، فيخرج في صلاة الصبح فلا يرجع إلا بعد المغرب احتساباً لله تعالى ، وكذلك كان من وظيفته كنس مقياس الروضة بمصر ، كان يكنسه ثانياً يوم نزول النقطة ويكنس الطين الذى فى سلمه ويجرده بالحديد ويحمل منه قفة عظيمة يفرقها على خوابى الماء على نية التبرك ، وكان عليه سؤال الله تعالى فى إطلاعه للنيل كل سنة ، فكان يكون فى ليلة تنزل النقطة كأنه حامل حملاً عظيماً على ظهره حتى يوفى البحر وتقطع جسوره فيتحول لحملة رى الهلاد ، فإذا رويت تحول لحملة كمال الزرع وختامه من غير آفات تلحقه فلا يزال كذلك حتى يحصد الزرع وكان من دعائه : اللهم من علينا وعلى الأنعام بختم الزرع ولا تعذبنا بغلائه . فإذا طلع القمح وغيره إلى الحواصل تحول لعدم تسويسه فلا يزال كذلك إلى نزول النقطة هكذا كان شأنه على الدوام ، ويقول الملوك فن دونهم محتاجون إلى اللقمة وإلى التبن لبهائمهم ، وما زاد على ذلك من الشهوات أمره سهل رضى الله تعالى عنه ، فإياك يا أئحى وتقدير المساجد ثم إياك ، والله يتولى هداك .

وروى الشيخان « أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تُعَمُّ الْمَسْجِدَ أَيْ تَكْنُسُهُ ، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَ عَنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ لَهُ إِنْهَا مَاتَتْ فَقَالَ : فَهَلَا آذَنْتُمُونِي فَأَنَّى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا » .

وفى رواية لابن ماجه « أَنَّهَا كَانَتْ تَلْتَقِطُ الْخُرْقَى وَالْعِيدَانَ مِنَ الْمَسْجِدِ » .

وفى رواية للطبرانى « أَنَّهَا كَانَتْ تَلْتَقِطُ الْقَدَى مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّى رَأَيْتُهَا فِي الْجَنَّةِ بِلِقْطِهَا الْقَدَى مِنَ الْمَسْجِدِ » .

وروى أبو الشيخ الأصفهاني « أَنَّهَا أَجَابَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقَبْرِ لَمَّا

صَلَّى عَلَيْهَا وَسَأَلَهَا مَا وَجَدْتِ مِنَ الْعَمَلِ أَفْضَلَ ؟ فَقَالَتْ : وَجَدْتُ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ قَمِّ

الْمَسَاجِدِ » .

قلت: مرادها بأفضل الأعمال أى فى حق نفسها ، فلا ينافى ذلك من رأى أفضل الأعمال غير ذلك لأنه فى حق نفسه كذلك وهكذا ، والله تعالى أعلم .

وروى الطبرانى مرفوعا « أَبْنُوا الْمَسَاجِدَ وَأَخْرِجُوا الْقُمَامَةَ مِنْهَا ، فَمَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَذِهِ الْمَسَاجِدُ الَّتِي تُبْنَى فِي الطَّرِيقِ قَالَ نَعَمْ ، وَإِخْرَاجُ الْقُمَامَةِ مِنْهَا مُهُورُ الْخَوَرِ الْعَيْنِ » .

وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه وغيرهم :

« عُرِضَتْ عَلَى أَجُورِ أُمَّتِي حَتَّى الْقَدَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ مِنَ الْمَسْجِدِ » .

وروى الترمذى وغيره « أَمَرَ نَارِسُورُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَتَّخِذَ الْمَسَاجِدَ فِي دِيَارِنَا وَأَمَرَنَا أَنْ نُنْظِفَهَا » .

ورى ابن ماجه والطبرانى مرفوعا :

« جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ ، صِبْيَانَكُمْ ، وَتَجَانِينَكُمْ ، وَشِرَاءَكُمْ ، وَبَيْعَكُمْ ، وَخُصُومَاتِكُمْ ، وَرَفَعَ أَصْوَاتِكُمْ ، وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ ، وَسَلَّ سِيُوفِكُمْ ، وَأَتَّخِذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ وَجَمَرُوهَا فِي الْجَمْعِ » .

ومعنى جمروها أى بخروها ، والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نمشى إلى المساجد فى الصلوات الخمس وغيرها لنصلى فيها لاسيما فى العشاء والصبح فى الليلى التى لا قمر فيها فى وقت مشينا إليها ، ولانذهب إلى المساجد بنور لإلضرورة شرعية ، وذلك لكثرة فضل الجماعة فى المسجد على غيره ، ولأن الناس يمشون يوم القيامة على الصراط وغيره فى نور أعمالهم .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : من مشى إلى المسجد فى نور أظلم الوجود عليه على الصراط ، ومن مشى إليه فى الظلام أضاء النور عليه جزاء على ما تحمله من مشقة المشى إليه فى الظلام .

واعلم يا أخى أن الشارع صلى الله عليه وسلم قد جعل نعمة مشى العبد إلى المسجد

علامة على صحة إيمانه وكماله ، وجعل ثقل المشى إليه علامة على ضعف إيمانه ونقصه ، ونفاقه كما سيأتى فى الأحاديث .

فانظر يا أخى فى نفسك فإن وجدتها تستثقل المشى إلى المسجد فاحكم عليها بضعف إيمانها ونفاقها ، وتحتاج يا أخى إلى شيخ ناصح يسلك بك حتى يخلصك من بقايا النفاق والكسل ، فربما يكون الحادث لك على خفة مشبك إلى المسجد علة أخرى كجلوسك مع جماعة يتحدثون فى أخبار الدنيا وولائها، ومن عزل وقولى ومن يصلح ومن لا يصلح ونحو ذلك ؛ فليمتحن الماشى إلى المسجد نفسه بما لو رحل منه ذلك الشخص الذى كان يتحدث هو ولياه أو مات ، فإن خف عليه المشى إلى المسجد فهو لأجل امتثال أمر الله تعالى وعلامة على إيمانه وإلا فالأمر بالعكس :

(وَاللَّهُ عَزُورٌ رَّحِيمٌ)

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا « صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَضَعُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ أَوْ سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يَخْرُجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رَفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ » الحديث .

وفى رواية للإمام أحمد وأبى يعلى وغيرهما :

« كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ » .

وفى رواية للإمام أحمد بإسناد حسن مرفوعا :

« مَنْ رَاحَ إِلَى مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ فَخُطْوَةٌ يَمْحُو بِهَا سَيِّئَةً وَخُطْوَةٌ يَكْتُبُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً ذَاهِبًا وَرَاجِعًا » .

ورواه أيضا الطبرانى وابن حبان فى صحيحه ، وروى الطبرانى بإسناد حسن مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيُعْمَرُ الَّذِينَ يَتَخَلَّلُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ بِنُورٍ سَاطِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وفى رواية له أيضا بإسناد حسن :

« مَنْ مَشَى فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِنُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى الطبراني باسناد جيد مرفوعا :

« مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَهُوَ زَائِرُ اللَّهِ وَحَقَّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ الزَّائِرَ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِرِينَ إِلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَشَائِي هَذَا فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا رِيَاءَ وَلَا سُمْعَةً ، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، فَاسْأَلُكَ أَنْ تُعِيدَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذَنْبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا أَنْتَ ، إِلَّا أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَاسْتَقَمَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ » .

قال الترمذى : والبطر الإدلاج فى الأشر . قال الجوهري : البطر والأشر بمعنى واحد ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نطيل الجلوس فى المسجد ونخفف الجلوس فى السوق ولكل منهما شروط فشرط الجلوس فى المسجد أن تكون حر كانه وسكناته ونحو اطره كلها محمودة ، فإن لم تكن كذلك فن الأدب تخفيف الجلوس لأنه مادام فى المسجد فهو جالس بين يدي الله تعالى شعر أو لم يشعر ، ومن لم يجالس الملوك بالأدب أسرع إليه العطب .

وقد كان سيدى محمد الشويمى تلميذ سيدى مدين ، لا يتجرأ أحد يجالس سيدى مدينا بمحضرتة ، فكان كل من خطر بباله خاطر قبيح بين يدي سيدى مدين يقوم يضربه بالعصا ضربا مبرحا ، فإذا كانت هذه حضرة مخلوق وقد أقيم فيها هذا الميزان فكيف بالحق جل وعلا .

قلت : وهذا الأمر قد غلب على غالب الناس المقيمين فى المسجد من المحاورين والجالسين فيه ومن المترددين فيجلسون ويمجرون قوافى الناس من العلماء والصالحين والولاة والقضاة والشهود والظلمة والتجار ويذكروهم بالنقائص فى حضرة الله تعالى عز وجل ، فمثل هؤلاء كالبهائم بل البهائم أحسن حالا منهم .

ومن هنا كان سيدى على الخواص رحمه الله لا يدخل المسجد إلا عند قول المؤذن حتى على الصلاة ، فحينئذ يأتى المسجد فقبل له : ألا تأتى المسجد مرة قبل الوقت ؟

فقال : مثلنا لا يصلح لاطالة الجلوس في حضرة الله تعالى فنخاف أن نأتي لنربح فنخسر ، فينبغي لكل مؤمن مراعاة الأدب في المسجد ، فإنه بيت الله الخالص ولا يبادر قبل الوقت إلا إن علم من نفسه القدرة على كف جوارحه الظاهرة ، والباطنة عن كل مذموم حتى عن سوء اللظن بأحد من المسلمين ، حتى بالاهتمام العظيم بأمر الرزق والمعيشة فإن ذلك من أقبح الصفات لما فيه من رائحة الإتهام بالحق تعالى بأنه يضيعه وهو تعالى يرزقه من حين كان في بطن أمه ، حتى ضربه الشيب .

قال سيدي علي الخواص وعلى الجالس أيضا في المسجد أمور .

منها أن لا يسأله أحد بالله شيئا ويقول لا ولو طلب منه عمامته أو جوحته أو جميع ما في داره وخلوته ، إلا إن كان يطلب ذلك تعنتا أو امتحانا .

ومنها أن لا يمشی في المسجد بتاسومة أو حلفاية إلا لعذر شرعي من جرح أو مرض أو برد شديد أو حر شديد .

ومنها أن يشغل نفسه بالعبادة مع مداومة الطهارة فلا يجلس فيه لحظة واحدة وهو يحدث ومنها أن لا يخطر في باله أنه خير من أحد من المسلمين فإن هذا ذنب إبليس الذي أخرج من حضرة الله من أجله ولعن وطرد ، وهذه أمهات الآداب وكل أدب له فروع . (وأما شروط الجالس في السوق) فإن لا يشغله البيع والشراء عن ذكر الله تعالى . ومنها عفة البصر عن ذبونات جاره وأن لا يخطر في باله سوء ظن به ولا حسد له ومنها أن لا يعتمد في رزقه على البيع والشراء بل يجعل ذلك امثالاً لأمر الله تعالى وهو معتمد على الله تعالى فإن الله تعالى يخلق البركة في الرزق والغنى عن الناس عند الحرقة لا بالحرقة ، ونظير ذلك ما قالوا في الطعام والشراب من أنه تعالى يخلق الشيبع والرى عند الأكل والشرب . لا بالأكل والشرب .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول متى فرق الرجل بين الجلوس في بيته والجلوس في السوق فهو معتمد على غير الله وذلك معصية .

وقد كان سيدي علي الخواص رضى الله عنه إذا فتمح حانوته يقول بسم الله الفتح العليم نويت نفع عبادك يا الله ثم يجلس بحضور مع الله تعالى حتى ينصرف .

ومنها أن يغض بصره عن رؤية النساء ولا يستلذ قط بكلام امرأة حتى استحلله ومال قلبه إليها كان جلوسه في السوق معصية .

ومنها أن ينشرح لكل يوم لا يبيع فيه شيئا أكثر من يوم يبيع فيه كثيرا تقدما لمراد
الحلق تعالى على حظ نفسه والآداب في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم .

فعلم أنه لا ينبغي لفقير أن يقول هنيئا للتاجر الفلاني أو الصنابعي الفلاني الذي يأكل
من كسبه حتى يعرف سلامته من الآفات ، وكذلك لا ينبغي لتاجر أو صنابعي أن يقول
هنيئا للفقير الفلاني المجاور في المسجد الفلاني أو الحرم المسكى أو المدني أو بيت المقدس
حتى يراه سلم في ذلك من الآفات التي تطرق للفقير أو التاجر مثلا ، مما ذكرنا وما
لم نذكره وهذا يقع فيه كثير ممن ينظر إلى ظواهر الأمور دون بواطنها وعواقبها ؛ ولذلك
كان من شرط الفقير أن لا يحمد أحدا من الفقراء الصادقين ، ولا تاجرا حتى يراه قد
جاوز الصراط ودخل الجنة .

وقد كنت أسمع العلماء والتجار يقولون عن شخص أقام بمكة هنيئا لفلان ، أقام بمكة
على خير واستراح من الدنيا ، فلما سافرت ورأيت به بين النصيحة وجدته على أسوأ حال ،
منها أنني رأيت لا كسب له ، وإنما نفسه ناظرة لما في أيدي الخلق ، وكلها مال إلى أخذ
شيء من احد ولم يقسم له منه شيء يصير بهجوه في المجالس بالكلام المؤذى ، فلما
أن تصير الناس يعطونه خوفا من لسانه ، وإما أن يعاديهم ويقاطعهم ، والله أن
بعض الناس الذين يؤذيهم لو عرض عليه أعمال هذا الشخص طول عمره بمكة يوم القيامة
أن تكون في مقابلة غيبة واحدة ، مارضى بها في غيبته ، بتقدير أن الإخلاص وجد في
تلك الأعمال ، وأما إذا دخلها رياء أو سمعة فهي حابطة من أصلها لم يقبلها الله تعالى ،
فليس له أعمال يعطى منها أحدا حقه .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول لشخص من العلماء أراد الحج : ليناك
يا أخي أن تجاور في مكة أو المدينة فتعجز عن القيام بأدائها ، فيصدق عليك المثل السائر
حججت ومعك خرج زاد ، فرجعت وفوق ظهرك ألف خرج أو زار أى لأن تبعات
كل شخص ممن تستغيبهم تجعل وحدها يوم القيامة ، فكأنها خرج وحدها ، فقال له
يامسيدي اسمحوا لي بالخجورة ، فقال لا أسمح لك إلا إن كنت تدخل على الشروط ، فقال
له : وما الشروط فقال الشيخ : منها أنك لا تدخر قط فيها قوتا ولا دراهم مدة إقامتك بها
ومنها أنك لا تأكل قط طعاما وحدهك وأنت تعلم أن فيها أحدا جائعا في ليل أو نهار ،
ومنها أن تلبس الهدوم الخليقات ولا تلبس شيئا قط من الثياب الفاخرة بل تبعها وتنفقها

على الفقراء الجياع ، ومنها أن لا تحن مدة إقامتك إلى رجوعك إلى بلدك أبداً ولا تشتاق إلى دار ولا إلى ولد ولا إلى وظيفة ، ولا إلى إخوان في غير مكة لأنك في حضرة الله الخاصة وهو لا يأخذ منك إلا قلبك وقلبك خرج من حضرته فبقيت في حضرته جسماً بلا قلب فائش في هذا طيب ومنها أن لا يطرقه مدة إقامته هلع ولا رائحة اتهام للحق تعالى من أمر رزقه ولا يخاف أن يضيعه أبداً ، لأن أهل حضرة الله تعالى لا يجوز لهم ذلك بل ربما مقت صاحب الإتهام وطرد من حضرة الله تعالى لسوء أدبه وضعف يقينه ، وهو يرى الحق تعالى يطعمه ويسقيه من حين كان في بطن أمه إلى أن شابت لحيته ، وهذا من أقبخ ما يكون مع أن تلك الأرض تعطى ساكنيها بالخاصة الملع والإتهام للحق في أمر الرزق ، حتى لا يكاد يسلم من ذلك إلا أكار الأولياء ، قال : ومن هنا كره الأكابر الإقامة بمكة ، ومنها أن لا يخطر في نفسه مدة إقامته هناك معصية أبداً ، ولو تعدر الوقوع من مثله فكيف بقريبة الوقوع ، ومن هنا سافر الأكار من الأولياء بنسائهم وتكلفوا مؤنة حملهم لأجل ذلك .

وكان الشعبي يقول : لأن أقيم في حمام أحب إلي من أن أقيم بمكة وكان يقول لأن أكون مؤذنا نحراسان أحب إلي من أن أقيم بمكة خوفاً أن يخطر في نفسي إرادة ذنب ولو لم أفعله فيديقني الله من عذاب أليم لقوله تعالى :

(وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) .

وهذا خاص بالحرم المسكى فهو مستثنى من حديث :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ » الحديث .

وقد قالوا لابن عباس لما سكن الطائف لم لا تقيم بمكة ؟ فقال لا أقدر على حفظ خاطري من إرادة ظلمي للناس أو ظلمي لنفسي ، فكيفت لو وقعت في الفعل ، فإن الله تعالى لم يتوعد أحداً على مجرد إرادته السوء دون الفعل له إلا بمكة اه .

فقال الشخص ياسيدي التوبة عن المحاورة وحج ولم يجاور ، وقد أخبرني سيدي محمد بن عنان أن أولياء العصر حجوا مع سيدي أبي العباس الغمري نفعنا الله ببركاته ، وكانوا خمسة عشر ولياً من مصر وقرأها فقالوا له ياسيدي : دستوركم نجاور في مكة أو المدينة؟ فقال : من قدر منكم على أدب مكة أو المدينة فليجاور ، فقالوا له وما أدب مكة؟ فقال : أن يكون على صفات أهل حضرة الله من الأنبياء والأولياء والملائكة ولا يطرق سريره قطشي .

يكرهه الله مدة إقامته بها ، فكيفت إذا فعل ما يكرهه الله فقالوا له وما أدب المدينة؟ فقال : هو كأدب مكة ويزيد عليها أنه لا يخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله حتى إنه يصغر عمامته ويتصدق بكل شيء دخل يده ولا يلقى في المدينة درسا إلا ما صرحت به الشريعة دون ما فيه رأى أو قياس أدبا معه صلى الله عليه وسلم أن يكون لغيره كلام في حضرته إلا بمشاورته ، فإن كان من أهل الصفاء فليشاوره صلى الله عليه وسلم في كل مسألة فيها رأى أو قياس ، ويفعل بما أشار به صلى الله عليه وسلم عليه بشرط أن يسمع لفظه صلى الله عليه وسلم صريحا يقظة ، كما كان عليه الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله قال وقد صححت منه صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث قال بعض الحفاظ بضعفها ، فأخذت بقواه صلى الله عليه وسلم فيها ولم يبق عندي شك فيما قاله ، وصار ذلك عندي من شرع الصحيح أعمل به وإن لم يطعن عليه العلماء بناء على قواعدهم ، فقال المشايخ كلهم : مامنا أجد يقدر على ما قلتم ورجعوا كلهم تلك السنة مع سيدي أبي العباس ، وكان من جملتهم سيدي محمد بن داود وسيدي محمد العدل ، وسيدي محمد أبو بكر الحليدي ، والشيخ علي بن الجبال ، والشيخ عبد القادر الدشطوطي .

وأخبرني شيخي الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري وكان حاجا معهم : أن سيدي عبد القادر الدشطوطي لم يدخل الحرم المدني وإنما أتى خده على عتبة باب السلام من حين دخل الحج للزيارة حتى رحلوا وحملوه وهو مستغرق ، فما أفاق إلا في مرحلة أبيار على رضى الله عنه .

فتأمل يا أخى في أحوال أهل الأدب مع الله تعالى وأنبيائه في جلوسهم في المساجد والأسواق واقتد بهم وتقدم قبل هذا العهد باننى عشر عهدا زيادة على هذا فراجعها والله يتولى هداك .

وقد روى مسلم مرفوعا « أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا » .

وروى الإمام أحمد والبزار واللفظ له وأبو يعلى والحاكم وقال صحيح الإسناد :

« أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْبِلَدَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ وَأَيُّ الْبِلَدَانِ أَبْغَضُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ لَا أَذْرِي حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ ، فَأَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ جِبْرِيلُ أَنَّ أَحَبَّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَاجِدُ وَأَبْغَضُ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ الْأَسْوَاقُ » .

وفي رواية « فَقَالَ جِبْرِيلُ لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ مِيكَائِيلَ » .
فذكره ، رواها الطبراني وابن حبان في صحيحه .

وفي رواية الطبراني « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجِبْرِيلَ أَيُّ الْبُقَاعِ خَيْرٌ ؟ قَالَ لَا أَدْرِي قَالَ فَسَلْ عَنْ ذَلِكَ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ ، فَبَكَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ وَلَنَا أَنْ نَسْأَلَهُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُنَا بِمَا شَاءَ ، فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ خَيْرُ الْبُقَاعِ بَيْتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، فَقَالَ أَيُّ الْبُقَاعِ شَرُّ ، فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَتَاهُ ، فَقَالَ شَرُّ الْبُقَاعِ الْأَسْوَاقُ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ »
فذكر منهم « رَجُلٌ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالْمَسْجِدِ » .

وروى الترمذي واللفظ له وقال حديث حسن ، وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال صحيح الاسناد مرفوعا :
« إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَمْتَنَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ » .

وروى ابن أبي شذية وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وغيرهم مرفوعا :
« مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ إِلَّا تَبَشَّشَ اللَّهُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَبَشَّشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ » .

قلت فتأمل قوله عليه الصلاة والسلام للصلاة والذكر ، أى ليس مقصوده بالجلوس في المسجد إلا ذلك فلا يتبشش تعالى لمن جلس للغو أو لعلة أخرى وكذلك القول في قوله في الحديث السابق ، فيمن اعتاد المسجد محمول على ذلك أيضا ، وكذلك جميع الأحاديث الآتية ، إذ لا يكون الترغيب في شئ إلا إن سلم من الآفات ، ويستنبط من تبشش الحق أى تبسمه كما يابق بجلاله لمن دخل بيته أنه يستحب للعبد أن يتبسم لضيقه إذا ورد عليه تأنيسا له وإدخالا للسرور عليه ، والله أعلم .

وروى ابن خزيمة مرفوعا « مَا مِنْ رَجُلٍ كَانَ تَوَطَّنَ الْمَسْجِدَ ، فَشَغَلَهُ أَمْرٌ أَوْ عِلَّةٌ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ إِلَّا تَبَشَّشَ اللَّهُ إِلَيْهِ » الحديث .

وروى الطبراني مرفوعا « إِنَّ عُثْمَانَ بَيُوتِ اللَّهُ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .
وفى رواية له أيضا مرفوعا :

« مِنْ أَلْفِ الْمَسْجِدِ أَلْفَهُ اللَّهُ »

وروى الإمام أحمد والحاكم وفى سننه ابن لهيعة مرفوعا :

« جَلِيسُ الْمَسْجِدِ عَلَى ثَلَاثَةِ خِصَالٍ أَنْحُ مُسْتَقَادُ أَوْ كَلِمَةُ مُحْكَمَةٍ أَوْ رَحْمَةٌ مُنْتَظَرَةٌ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن تأمر النساء بصلاتهن فى بيوتهن وترغبهن فى لزوم البيوت ، ونبين لهن ما فى ذلك وغيره من الفضائل حتى لا يحتجن إلى الخروج بسمع واعظ أجنبي ، فإننا مسئولون عن عيالتنا سؤالا خاصا ، اللهم إلا أن تكون عجوزا أو قبيحة المنظر لا تشتمى إلا نادرا فالأمر فى ذلك سهل ، وإذا احتفت الفضائل بمكروهات كان ترك المكروه أولى من اكتساب تلك الفضيلة ، ومن تأمل بعين البصيرة ما يقع للنساء من الآفات إذا خرجن للواعظ لم يسمح لامرأته بالخروج إلى مثل ذلك عل أن نساء هذا الزمان قد عمهن الجهل حتى صار بعضهن يقلن ليس على الصبيان صلاة ، إنما ذلك للعجائز ، وبعضهن يقلن إنما تجب الصلاة على من حججت وبعضهن يقلن ليس على نساء الفلاحين صلاة هذا أمر سمعته أنا منهن مرارا .

ولذلك كان سيدى أحمد الزاهد شيخ السلسلة يخص بوعظه النساء فى أكثر أوقاته ويقول : لهن محبوسات فى البيوت ولا يسمعن شيئا من أحكام الشريعة لقلة مخالطتهن للرجال فكان يعقد المجلس لهن ويعلمهن أركان الوضوء والصلاة والصيام والحج وكيفية ثنية فى ذلك ، ويعلمهن حقوق الزوج وآداب الجماع وفضل صيام التطوع وما يجرح كمال العبادات وسبقه إلى نحو ذلك أيضا سيدى الشيخ إبراهيم الجعبرى المدفون بخارج باب النصر بمصر المحروسة فكان يخص النساء بالوعظ ويبين لهن أحكام دينهن رحمه الله ، وهذا أمر قد أغفله غالب طلبة العلم الآن فضلا عن العوام ، فترى أحدهم يشاهد حليلته وهى جنب ليلا ونهارا لا تغتسل ولا تتصلى ويضاجعها ويقبلها ، مع ذلك كأنها سيدته إمامتنا وأما بالدين أو خوفا أن تقول له هات لى فلوس الحمام ، أو قلل عنى الجماع ونحو ذلك ، وأما فلوس الغسل من الحيض والنفاس والاحتلام فذلك عليها ، مع أن ذلك قليل الوقوع

بالنسبة للجماع ، ومن أخلاق الرجال عدم المشاحنة في مثل ذلك يعطيها ما تحتاج إليه ؛ ولو لم يكن ذلك واجبا عليه ، وكما ساعدته هي على قضاء وطره من الجماع كذلك ينبغي له أن ساعدها على أمر دينها ويرشدها إلى فعل كل شيء فيه خير .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إنما أمر الشارع النساء أن يصلين في البيوت مراعاة لمصلحة غالب الناس الذين لا يتورعون عن النظر إلى الأجنبية ، ولو أنهم كانوا كلهم يشهدون نفوسهم في حضرة الله ، وأنه تعالى ناظر إليهم لأمرهن بالصلاة مع الرجال ، وتأمل لما كان للناس يحضرون بقلوبهم في الإحرام في الحج وتغلب عليهم هيبة الله تعالى ومراقبته ، كيف أمرت النساء بكشف وجوههن وأكفهن لاذيبيعد أن أخدلا في تلك الحضرة يميل إلى امرأة من الأجانب .

فتأمل وعلم يا أخى عيالك وخدمك من النساء جميع ما يحتجن إليه في دينهن فلذلك مستول عن ذلك والله يتولى هداك .

وروى الإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما مرفوعا :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِامْرَأَةٍ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ حِينَ قَالَتْ لَهُ إِنِّي أَحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ ، قَالَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تُحِبِّينِ الصَّلَاةَ مَعِيَ ، وَصَلَاتِكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ ، وَصَلَاتِكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ ، وَصَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِي » .

قال الراوى فأمرت فبنى لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه ، فكانت تصل فيه حتى لقيت الله عز وجل .

قال الحافظ المنذرى وبوب عليه ابن خزيمة : باب اختيار صلاة المرأة في حجرتها على صلاحها في دارها وصلاتها في مسجد قومها على صلاحها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وإن كانت كل صلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام ، قال : وقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ » الحديث .

أراد به صلاة الرجال دون صلاة النساء هذا كلامه اه .

وروى الإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا:
« خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قُعُورُ بَيْوتِهِنَّ » .

وروى أبو داود مرفوعا « لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ وَبُيُوتَهُنَّ خَيْرَ لِهِنَّ » .
وروى الطبراني مرفوعا ورجاله رجال الصحيح :

« الْمَرْأَةُ عَوْرَتُهَا وَإِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ وَأَنَّهَا لَا تَكُونُ
أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ إِلَّا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا » .

وفي رواية لابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما مرفوعا :

« وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ » يعنى المرأة « مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا » .

وروى الطبراني مرفوعا بإسناد حسن :

« النِّسَاءُ عَوْرَتُهُ وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا وَمَا بَهَا مِنْ بَأْسٍ فَيَسْتَشْرِفُهَا
الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَمْرُئِينَ بِأَحَدٍ إِلَّا أَعْجَبْتِيهِ ، وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَلْبَسُ ثِيَابَهَا فَيَقَالُ
لَهَا أَيْنَ تُرِيدِينَ؟ فَتَقُولُ أَعُوذُ مَرِيضًا أَوْ أَشْهَدُ جَنَازَةً أَوْ أَصَلِّي فِي مَسْجِدٍ ، وَمَا عَبَدتِ
امْرَأَةٌ رَبَّهَا مِثْلَ أَنْ تَعْبُدَهُ فِي بَيْتِهَا » .

وقوله : فيستشرفها الشيطان . أى ينتصب ويرفع بصره إليها ويهم بها لأنها قد تعاطت

شيئا من أسباب نشاطه عليها وهو خروجها من بيتها قاله الحافظ المنذرى رحمه الله .

وروى الطبراني بإسناد حسن لابأس به أن أبا عمرو الشيباني رأى عبد الله يخرج النساء

من المسجد يوم الجمعة ويقول أخرجن إلى بيوتكن خير لكنن والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نعين لتارك الصلاة من

الفلاحين والعوام وسائر الجهال ما جاء في فضل الصلوات الخمس وفضل من يواظب عليهن

، ويخص ذلك عمزيد تأكيد كما أكده الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد أغفل ذلك غالب

الفقراء وطليبة العلم الآن فترى أحدهم يخالط تارك الصلاة من ولد وخادم وصاحب وغيرهم

ويأكل معهم ويضحك معهم ويستعملهم عنده في العارة والتجارة وغير ذلك ، ولا يبين

لهم قط مافى ترك الصلاة من الإثم ولا مافى فعلها من الأجر وذلك مما يهدم الدين ، فبين

يأخى لكل جاهل ما أنحل به من واجبات دينه وإلا فأنت أول من تسعر بهم النار كما ورد

في الصحيح فإنك داخل فيمن علم ولم يعمل بعلمه ، وإن كنت لم تسم فقيها في عرف الناس

هو إنما قالوا إن الفقهاء يعرفون ويحرفون لكونهم هم المقصودون ببيان العلم للناس دون العوام عادة ، وإلا فكل من عرف شيئا من أحكام الشريعة ولم يعمل به فهو كذلك يعرف ويحرف .

واعلم يا أخى أن البلاء يرتفع عن كل مكان كان أهله يصلون ، كما أن البلاء ينزل على كل مكان يترك أهله الصلاة ، فلا تستبعد يا أخى وقوع الزلازل والصواعق والخسوف على حارة يترك أهلها الصلاة أبدا ، ولا تنقل إلى أصلى فما على منهم ، لأن البلاء إذا نزل بعم الصالح مع الطالح لكونه لم يأمرهم ولم ينههم ولم يهجرهم في الله ،
(وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا :

« بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسِ شَهَادَةٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ » الحديث .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا :

« لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَفْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ . هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قَالَ فَكَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا » والدرن هو الوسخ .

وروى مسلم والتزمى وغيرهما مرفوعا :

« الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تَنْشُ السَّكْبَاتُ » .

وروى الطبراني مرفوعا ورجاله محتج بهم في الصحيح لإبي بن إبراهيم القرشي :

« إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَكَ يُنَادِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ : يَا بَنِي آدَمَ قُومُوا إِلَى نيرانِكُمُ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا فَأَطْفِئُوهَا » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا :

« يَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُنَادِيًا عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ قَائِلًا : يَا بَنِي آدَمَ قُومُوا فَأَطْفِئُوا مَا أَوْقَدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ قَائِلًا قَائِلًا وَيَتَطَهَّرُونَ وَيُصَلُّونَ الظُّهْرَ فَيُغْفَرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمَا » .

فَإِذَا حَضَرَتِ الْعَصْرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْمَغْرِبُ فَمِثْلُ ذَلِكَ فَإِذَا حَضَرَتِ
الْعَتَمَةُ فَمِثْلُ ذَلِكَ فَيَتَأَمُّونَ فَمُدْلِجٌ فِي خَيْرٍ وَمُدْلِجٌ فِي شَرٍّ .
وروى الطبراني مرفوعاً « الْمُسْلِمُ يُصَلِّي وَخَطَايَاهُ مَرْفُوعَةٌ عَلَى رَأْسِهِ كُلَّمَا سَجَدَ
تَحَاتَّتْ عَنْهُ فَيَقْرُغُ مِنْ صَلَاتِهِ وَقَدْ تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ » .

قلت: المراد بهذه الخطايا غير خطايا الوضوء التي كفرت بالوضوء نظير ماورد في سائر
المأمورات الشرعية، فان كل ما مورى يكفر منها خاصا به وفي ذلك رفع التعارض بين الأحاديث
الواردة في ذلك ، والله أعلم .

وروى الطبراني بإسناد لا بأس به مرفوعاً :

« أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ يُنْظَرُ فِي صَلَاتِهِ ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ
سَائِرُ عَمَلِهِ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ » .

وفي رواية أخرى له « فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ » .

قلت : إنما كاتبت سائر الأعمال تصليح إذا صاححت الصلاة لأنها إذا صلحت وقع الرضا
من الله على صاحبها ، فانسحب الرضا على سائر أعماله ، وإذا فسدت وقع السخط من الله
على فاعلها فانسحب ذلك على سائر أعماله ، والله أعلم .

وروى الطبراني أيضا مرفوعاً :

« لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا طُهُورَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ ،
إِنَّمَا مَوْضِعُ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ » .
والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكون منسرحين لتقديم
ما جعله الشارع أفضل على ما جعله مفضولا ، وذلك لأن معظم الفضل والثواب في الاتباع فلا
نقدم على صلاة التطوع شيئا إلا إن صرح الشارع بتقديمه عليها ومثل هذا العهد يخل به كثير
من الناس ، بل رأيت من هو جالس في جامع كثير الجماعة ، وقد قامت الجماعة العظمى
لصلاة العصر وهو جالس يطالع في علم المنطق ، وهذا من شدة عمى القلب ، فإن الشارع
جعل لكل عبادة وقتا تفعل فيه مقدمة على غيرها وإن كان هناك أفضل منها ، فليس لنا أن

نكرو صلاة العصر مثلا بذلك سنتها بل قال ابن عمر : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي صلاة العصر في يوم مرتين ، يعنى إذا كانت الصلاة الأولى صحيحة إلا أن يصلي الثانية في جماعة ، والعبد تابع للشارع لا مشرع لنفسه حكما فعلم أن الشارع ماسن تلك السنة في ذلك الوقت ذاهلا عن كون أن هناك أفضل منها وإنما ذلك ما علمه بأن فعل المفضول في الوقت الذى شرع فيه مطلوب ، كما أن فعل الأفضل في الوقت الذى شرع فيه مطلوب أيضا :

فلا ينبغي لطالب العلم أن يترك النوافل المؤكدة ويشتغل مكانها بعلم إلا إن تعين ذلك عليه بالطريق الشرعى بشرط الإخلاص فيه ، وذلك لثلاث يودى إلى ترك الاشتغال بالسنن كلها ويفوتها حتى كأنها لم تشرع في حقه أبدا ، هـلنا مع أنه كثيرا ما يجلس في لهو ولعب وغيبة ونميمة وحسد وفخر وكبر وعجب ، ولا يقول لنفسه قط الاشتغال بالعلم أولى : فلا تلبس على نفسك بأخى وتقول لمن أمرك بالاشتغال بسنة من السنن المضروب لها : وقت الاشتغال بالعلم أفضل مع علمك بعدم إخلاصك فيه ، فان مثل ذلك ربما يكون حجة في قلة الدين : وتأمل طالب العلم إذا ترك فعل السنن والفضائل وأكثر من الجسدال وترك الأوراد السننية كيف يذهب منه الأنس ولا يكاد يعتقد فيه أحد ولا يقول له ادع لى أبدا ، بخلاف من أكثر من فعل السنن والأذكار من طلبة العلم يصير الناس يمتدونه ويسألونه الدعاء وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« أَأَنْتُمْ شُهِدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ أَتُنَبِّئُهُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ ، وَمَنْ أَتُنَبِّئُهُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَهُوَ شَرٌّ » .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رضى الله عنه يقول : إذا كان الفقيه تاركا للسنن والأوراد وآداب القوم فهو كالحبز الجاف اليابس .

فأكثر يا أخى من الصلوات المسنونات الموقفة ، ولا تخل بها في يوم من الأيام واجعل الاشتغال بالعلم في غير أوقاتها وإن سمعت نبي شيئا فاجعل بدل كل مجلس تريد تلغو فيه مجلس علم واترك اللغو فان المؤمن لا يشيع من خبير ، ومن فعل الأوراد الشرعية كفته في الاشتغال بالخير الذى أمره به الشارع حتى لا يكاد يجد له وقت بطالة أبدا ما عدا أوقات الملل الذى يطرق البشر وذلك معفو عنه إن شاء الله تعالى ، فاعلم ذلك واعمل عليه ، وتقدم بسط الكلام على ذلك في عهد الأمر بإدمان المطالعة في كتب العلم فراجعته والله يتولى هداك :

وروى مسلم وغيره مرفوعا: « الصَّلَاةُ نُورٌ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا بإسناد حسن :

« إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ يُرِيدُ بِهَا وَجَهَ اللَّهِ فَيَهَابَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَهَابَتْ هَذَا الْوَرَقُ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَأَخَذَ بِنُصْنٍ مِنْهَا فَجَعَلَ ذَلِكَ الْوَرَقُ يَهَابَتْ » .

وروى مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن معدان قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أخبرنى بعمل أعمله يدخلنى الله به الجنة أو قال قلت أخبرنى بأحب الأعمال إلى الله تعالى ، فسكت ثم سأله فسكت ، ثم سأله الثالثة فقال : سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ بِهَا عَنْكَ خَطِيئَةٌ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا بإسناد صحيح :

« اسْتِكْرَاهُوا مِنَ السُّجُودِ » .

وروى مسلم عن ربيعة بن كعب قال :

« أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَاجَةٍ فَقَالَ سَأَلَنِي ، قُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتِكَ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ هُوَ ذَلِكَ : قَالَ فَأَعْنِي حَتَّى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « مَا مِنْ حَالَةٍ يَكُونُ الْعَبْدُ عَلَيْهَا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

مِنْ أَنْ يَرَاهُ سَاجِدًا يُعَفِّرُ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ » .

أى يضع وجهه على التراب من غير حائل .

وفى رواية له أيضا مرفوعا :

« الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَكْرِهَ مِنْهَا فَلْيَسْتَكْرِهْ » .

وفى رواية له بإسناد حسن :

« إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَبْرِ فَقَالَ : مَنْ صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ ؟ فَقَالُوا فَلَانٌ

فَقَالَ: رَكْعَتَانِ أَحَبُّ إِلَيَّ هَذَا مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ « والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نستعد بالوضوء قبل دخول الوقت للصلاة أول الوقت ، فمن لم يستعد لذلك فرمما فاته فضيلة جماعة الوقت وهذا العهد يخجل به كثير من سكان المساجد فضلا عن التجار والصنایعية ، فيفرضون في الوضوء أول للوقت حتى تفوتهم صلاة الجماعة ، ويقال لأحدهم قم توضأ فيقول الوقت متسع ، وقد وقع لي ذلك مع شخص من طلبة العلم في جامع كثير الجماعة ، فرأيت الصلاة تقام للعصر وهو جالس يلغو ، فقلت له قم للصلاة فقال : الوقت متسع فقلت له ، ولو كان متسعا ، فقل تقدر تجمع لك في صلاتك جماعة مثل هؤلاء ، فقال السبعة عشرون درجة حاصلة لي ولو صليت مع واحد ، فقلت له ، تجادلني في شيء ينقص أجرك وانصرفت وتركته ، فمثل هذا ربما يعد من جملة الأئمة المضلين عن السنة ، وربما جرهم ذلك إلى ترك واجب يعذبون عليه يوم القيامة ، فإن حقيقة الاضلال ليس هو إلتراك الأئمة للأوامر الشرعية ، فيتبعهم الناس على ذلك فيصيرون قدوة في الضلال فلا يرجي لمثل هؤلاء خير ، ولو كان معهم من العلم كأمثال الجبال :

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله يقول : إذا قرأتم العلم فاقروه على العلماء العاملين ، وإياكم أن تقرهوه على أحد من المجادلين الذين لا يعولون على العمل بما علموه ، فإنكم تخسرون بركة علمكم ، فإن إبليس لهؤلاء بالمرصاد لكونهم حملة الشريعة بقاؤها ببقائهم ، فإذا تلفت حالهم تلفت حال الشريعة لعدم الأعمال التي يفعلونها ، حتى يقتدى الناس بهم فيها فكان الشريعة لم تكن موجودة لأنه لا وجود لعينها إلا بالعمل بها ، وكان رضى الله عنه يقول : حكم الفقيه الذى لا يعمل بعلمه حكم الشاطر الذى تعلم آلات القتال كلها ثم خرج على نية القتال في سبيل الله ، فلقبه إبليس في الطريق فقال له اقطع الطريق فإنك تعرف تدافع وتجادع وما كل أحد يعرف ذلك فمر به إنسان معه أمتعة فصره حتى صرعه وأخذ متاعه ورجع إلى بيته بلا جهاد ، فكذلك الفقيه المذكور يتخذ علمه سلاحا يقاتل به العامة ، وإن رأى علمه عليه في واقعة فإذ مذهب غيره ممن ليس هو عليه ويقول : يجوز لي التقليد للضرورة وإن نازعه أحد في أن تقليده لغيره ضرورة أقام الأدلة والبراهين على المنذور : فمثل هذا ربما يكون علمه زاده إلى النار اه .

فالزم يا أخى أدب الشريعة ولا تجادل من تصحكت فرمما تخسر دينك ، الله به لي ، هـ .

وروى الشيخان وغيرها « أن عبد الله بن مسعود قال : يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة لوقتها » الحديث .

وروى الطبراني مرفوعا « عليكم بذكر ربكم ، وصلوا صلاتكم في أول وقتكم فإن الله عز وجل يضاعف لكم » .

وروى الترمذي والدارقطني مرفوعا :

« الوقت الأول من الصلاة رضوان الله . والآخر عفو الله » .

وفي رواية للدارقطني : « وسط الوقت رحمة الله » .

وروى الديلمي مرفوعا : « فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا »

وروى الإمام أحمد والطبراني واللفظ للطبراني مرفوعا :

« يقول ربكم عز وجل : من صلى الصلاة لوقتها وحافظ عليها ولم يضعها استخفافا بحقها فله على عبده أن أدخله الجنة » .

وروى الطبراني مرفوعا : « من صلى الصلوات لوقتها وأسمع لها وضوءها وأتم لها

قيامتها وخشوعها ورؤكوعها وسجودها خرّجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله

كما حفظتني ، ومن صلاها لغير وقتها ولم يسمع لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها

ولاً رؤكوعها ولا سجودها خرّجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني ،

حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه » .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا المعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على صلاة

الجماعة في الصلوات الخمس وفيما نشرع فيه الجماعة من النوافل ، ولا نتخلف حتى نقولنا

الجماعة كلها أو بعضها وإن جعل الشارع لمن خرج لها فوجدنا قد انقضت مثل أجرها ،

لأن الشارع إنما جعل ذلك جبرا وتسكيننا لخاطر من خرج للجماعة فوجدنا قد فرغوا

فتأسف وحزن فكان ذلك كالتعزية لصاحب المصيبة ، وللا فكيف يجعل من فرط في

أوامر الله كمن فعلها وبادر إليها وترك أشغاله كلها لأجله تعالى ، فافهم . وهذا العهد

يحل به كثير من سكان المساجد لاسيما المحادل الموسوس ، فتراه يضرب حتى تفوته تكبيرة الإحرام مع الإمام ، ويفرغ الإمام من قراءة الفاتحة أو السورة بعدها ثم ينوي ويركع ويقول : إنما أفعل ذلك لأنى أتوسوس فى قراءة الفاتحة وذلك غير عذر شرعى ، وكل ذلك من أكل الحرام والشبهات فلا يزال أحدهم يأكل من ذلك ويقول الأصل الحل حتى يظلم قلبه فلا يصير يرسم فيه شىء من الأفعال والأقوال لتلطف القوة الحافظة ، ولو أنه سلم قياده لشيخ صادق من أهل الطريق لعلمه طريق الورع وكسب الحلال حتى نار قلبه ، وصار كاللكوكب الذرى ، فأدرك جميع ما يقع منه ولا يصير ينسى شيئا إلا فى النادر .

وقد كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول : ماسمعت شيئا ونسيته ، وذلك لشدة نورانية باطنه رضى الله عنه .

فاسلك يا أخى على يد شيخ يعلمك مراتب العبادات والاعتناء بأوامر الله عز وجل ، وإلا فن لازمك غالبا الشك فيما تفعله ، وربما وقعت فى التساهل أو فعلتها لعلمة من غير إخلاص ليقال .

وقد وقع لفرقد السنجى رضى الله عنه أنه صلى فى الصف الأول أربعين سنة فمتخلف عنه يوما فوجد فى نفسه خجلا من رؤية الناس له فأعاد صلاة أربعين سنة ، وقال : إنما كنت يانفس تصلين فى الصف الأول ليقال ، ثم اتخذ له شيخا ، وسلك على يده ، فاعلم ذلك واعمل عليه ، والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وأبو داود والترمذى وابن ماجه مرفوعا :

« صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَضَعُ كُلَّ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ

خِصْفًا » الحديث .

وفى رواية للشيخين وغيرهما مرفوعا :

« صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَدِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً » .

وروى مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود قال : ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها معنى صلاة الجماعة إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يأتي يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف . وقوله يهادى بين الرجلين يعنى يرفد من جانبيه ويؤخذ بعضده من العجز حتى يمشى به إلى المسجد .

وروى الإمام أحمد والطبراني كل منهما بإسناد حسن مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَعْجَبُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْجَمْعِ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « لَوْ يَعْلَمُ الْمُتَخَلِّفُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ مَا لِلْمَاشِيِ إِلَيْهَا لَأَتَاهَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ » .

وروى الترمذي مرفوعا : « مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى كُتِبَ لَهُ بِرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النُّفَاقِ » .

وفي رواية لابن ماجه وغيره مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لَا تَفُوتُهُ الرَّكْعَةُ الْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عِتْقًا مِنَ النَّارِ » .

وروى أبو داود والنسائي والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم مرفوعا :

« مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ رَاحَ فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا أُعْطَاهُ اللَّهُ مِثْلَ أَجْرٍ مِنْ صَلَاتِهِ وَحَضَرَهَا ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا » .

وفي رواية لأبي داود وغيره مرفوعا :

« مَنْ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى فِي جَمَاعَةٍ غُفِرَ لَهُ ، فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا بَعْضُهَا وَبَقِيَ بَعْضُهَا فَصَلَّى مَا أَدْرَكَ وَأَتَمَّ مَا بَقِيَ كَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ كَانَ كَذَلِكَ » والله تعالى أعلم .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصلي مع الجماعة العظمى دون الصغرى ولا نقتنع بالصغرى ونترك الكبىرى إلا لعذر شرعى ، ومتى خالفنا ذلك استغفرنا الله تعالى من تركنا فعل ما هو الأحب إليه ، فعلم أنه ينبغي أن يكون الباحث لنا على صلاة الجماعة محبة الحق تعالى لها لا طلب الثواب ، فإن ذلك علة تقدر عندنا في الإخلاص ، وما ساق الله تعالى أحدا من عباده إلى خير بالثواب الأخرى إلا لعلمه تعالى بأن ذلك لأحد ليس من أهل الإخلاص ، لسكونه يعهد الله على علة وحرف ، ولو أنه وصل إلى مقام الإخلاص لم يحتاج إلى ذكر ثواب ، بل كان يبادر لفعل ذلك امثالاً لأمر الله تعالى ، ولا يتوقف على معرفة الثواب في ذلك ، هذا كله حال السلوك

فإذا تم سيره ورجع كشف له عن جميع ما فيه من الأجزاء ، ووجب عليه أن يعطى كل ذى حق حقه ، وهناك يرى فيه جزءا يطلب الثواب على عبادته وإن وصل إلى أعلى مراتب السلوك . ولما كان هذا الجزء يضعف حتى لا يكاد يظهر له عين ، ربما ظن بعضهم أنه صار يعبد الله خالصا إخلاصا كلياً لخفاء ذلك الجزء عليه ، والحال أنه باقى وليسكن عسكر جيش العبودية قوى عليه ، فافهم ، فإن هذا من لباب المعرفة :

وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام :

« وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ عَبْدَئِي حَنِئَةٍ أَوْ نَارٍ لَوْ لَمْ أَخْلُقْ جَنَّةً وَلَا نَارًا أَلَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِأَنْ أُطَاعَ؟ ٥١ . فليس كل مقام رجال .

واعلم أنه قد يكون للفقراء أعداء باطنية فرما تخلفوا عن الخروج لصلاة الجماعة فلا ينبغي لأحد المبادرة إلى الإنكار عليهم إلا بعد أن يتعرف ذلك العذر منهم ، فرما غلب عليهم . حال قاهر منعهم عن الخروج ، والمنهى عنه إنما هو تخلف العبد عن صلاة الجماعة لشغل دنيوى أو مفضول مع قدرته على الخروج ، وهؤلاء أو ضرب أحدهم بسيف ماقدر على الخروج بل يرون ضرب السيف أهون على أحدهم من خروجه من بيته أو خلوته عند غلبة الحال عليه ، ولا يعرف ذلك إلا من ذاقه .

وقد كان سيدى الشيخ مدين لا يخرج من بيته إلا لصلاة العصر فقط مع أن المسجد على باب داره ، وكذلك سيدى محمد الغمرى ، وكذلك سيدى على المرصنى فقيل لسيدى مدين فى ذلك ، فقال ربما يكون الفسقى فى بيته فى حال جمعية قلب مع الله تعالى أقوى من جمعيته معه إذا خرج اه .

فسلم يا أخى للقوم ، وفى القرآن العظيم :

(وَكَوَّأْتَهُمْ صَبْرًا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَسَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) .

مع كون الصحابة إنما نادوه طلباً لارشادهم فى أمور دينهم ، فلولاً أنه صلى الله عليه وسلم كان فى حال جمعية خاصة مع الله تعالى لسكان قدّم الخروج لتعليم الناس أمور دينهم ، وكذلك القول فى كمال ورثة من بعده لا ينبغى لأحد أن ينكر عليهم إذا لم يخرجوا للصلاة إلا إذا علم رجحان خروجهم على مكثهم فى بيتهم ، فإن هناك يتعين عليهم الخروج على القول .

فتنبه يا أخى لذلك ، فإن لكل مؤمن حظاً من مقامه صلى الله عليه وسلم .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه مرفوعا :
« صَلَاةُ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ » .

وكلما كثر فهو أحب إلى الله تعالى .

قلت : ومن هنا واطب أهل الله تعالى على الصلاة في الجماعة الكبرى لكون الحق تعالى يحب صلاتنا فيها لالعة أخرى كما أنهم يحبون عفو الله عنهم لكونه تعالى يحب العفو لا إدخال الراحة على أنفسهم بالعافية ، فافهم والله أعلم :

وروى البزار والطبراني مرفوعا باسناد لا بأس به :

« صَلَاةُ الرَّجُلَيْنِ يَوْمَ أَحَدُهُمَا صَاحِبُهُ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْ صَلَاةِ أَرْبَعَةٍ تَتَرَى ، وَصَلَاةُ أَرْبَعَةٍ جَمَاعَةٍ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْ صَلَاةِ ثَمَانِيَةٍ تَتَرَى وَصَلَاةُ ثَمَانِيَةٍ يَوْمَهُمْ أَحَدُهُمْ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مِائَةٍ تَتَرَى » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا خرجنا لسفر أو نزهة أو غير ذلك ونزلنا في فلاة من الأرض أن نصل في ولو ركعتين ، فإن حضر وقت فريضة أذنا لها وأقمنا وصليناها جماعة ، فإن لم يتيسر صليناها فرادى فردا :

وذهب بعضهم إلى أن صلاة الفرد في الفلاة أفضل من صلاة الجماعة في البلد .

قلت : ولعل ما ورد في ذلك إنما هو تشجيع وتقوية عزم لمن يجد أحدا يساعده على الجماعة مع ضعف عزمه فما قوى داعيته إلى الصلاة في البرية الأبعد الشارع له بتضعيف الأجر ، ولولا ذلك ما وجد عنده داعية كلية إلى الصلاة في البرية أبدا لعدم من يراعيه هناك من الخلق ومن شأن الشارع أن يسوق الناس إلى عبادة ربهم بأمر شتى كل بما يناسب حاله ، وإلا فصلاة الجماعة لا تعادها صلاته وحده أبدا من حيث الجماعة وإن فضلها صلاته وحده فانما هو لما وجد فيها من الاخلاص مثلا دون صلاة الجماعة ، وعلى ذلك جمهور العلماء رضى الله عنهم ، فافهم والله تعالى أعلم :

وروى أبو داود مرفوعا :

« الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ تَعْدِلُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ صَلَاةً ، فَإِذَا صَلَّاهَا فِي فَلَائَةٍ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا بَلَغَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً » .

وفي رواية لأبي داود أيضا :

« صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْفَلَاةِ تَضَعُ كَلِيَّ صَلَاتِهِ فِي الْجَمَاعَةِ » .

وفي رواية لأبي داود أيضا :

« فَإِنْ صَلَّاهَا بِأَرْضٍ قِيٍّ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا كُتِبَتْ لَهُ صَلَاتُهُ بِخَمْسِينَ دَرَجَةً » .

القي بكسر القاف وتشديد الباء : هو الفلاة كما هو مفسر في رواية أخرى لأبي داود :
ووري أبو يعلى مرفوعا :

« مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ إِلَّا تَزَخَّرَتْ لَهُ الْأَرْضُ » .
وفي حديث لأبي داود والنسائي مرفوعا :

« يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَطِيطَةٍ يُؤَدِّنُ وَيُصَلِّيَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
انظروا إلى عبدِي هَذَا يُؤَدِّنُ وَيُصَلِّيَ يَخَافُ مِنِّي ، فَذُ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ
الْجَنَّةَ » .

والشطية : رأس الجبل ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نهتم بصلاة الجماعة في العشاء والصبح أكثر من الاهتمام بها في غيرها لتأكيد الشارع علينا في ذلك لالعة أخرى ، ولولا علم الشارع صلى الله عليه وسلم منا التهاون في حضور الجماعة في هاتين الصلاتين ما أكد علينا في حضورهما ، فإن تأكيد السيد على العبد إنما يكون إذا علم في العبد التهاون بخدمته ، وإلا كان السيد أمره بذلك من غير تأكيد ولا بيان ثواب ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس ولاسيا الصنابعي في أيام الصيف ، فإن التعب ينحل عليه آخر النهار فلا يخلص منه إلى طلوع الشمس ، وهذا وإن لم يكن عذرا شرعيا ففيه رائحة العذر لأمر الشارع له بالأكل من عمل يده بخلاف من لا حرفة له ، فإنه لا عذر له في تخلفه عن هاتين الصلاتين ، فعلم أن من أكل من عمل يده وتعاطى الأعمال الشاقة في تحصيل لقمته وأدى الفرائض في جماعة فهو من الكاملين في مقام الإيمان ، والله تعالى أعلم .

وسمعت 'سیدی علیا الخواص رحمة الله يقول : إياكم أيها الفقراء والمفقهاء الذين يأكلون من الأوقاف ولا يعملون حرفة أن تبادروا إلى الإنكار على من رأيتموه طائفا

ببضاعة على رأسه وقت صلاة الجماعة أو الجمعة أو جالسا في حانوته يبيع فر بما يكون له عذر شرعى ، بل ابجثوا عن أمره وتعرفوا حاله ثم أنكروا عليه طريقه الشرعى اه ه
وسمع أخى أفضل الدين رحمه الله شخصا يقول : لولا الضعفت لحضرت صلاة الجماعة في العشاء والصبح ، فقال لا ينبغي لك يا أخى أن تتعلل بالضعفت إلا أن كنت بحيث لو وعدت على حضور الجماعة بألف دينار ، لاتقدر على الحضور بحيلة من الخيل ، فإن قدرت على الحضور لأجل الألف دينار ولم تحضر لصلاة الجماعة فعندك نفاق بنص الشارع اه والله تعالى أعلم .

وروى مالك ومسلم واللفظ له مرفوعا :

مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ .

وفي رواية لابي داود مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ . »

وبوب عليه ابن خزيمة في صحيحه باب فضل صلاة العشاء والفجر في جماعة ، وبيان أن صلاة الفجر في الجماعة أفضل من صلاة العشاء في الجماعة ، وأن فضلها يعنى الفجر في الجماعة ضعفت فضل العشاء في الجماعة ه

وروى الشيخان مرفوعا « أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهَا وَلَوْ حُبُّوا » .

وفي رواية لمسلم مرفوعا « وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يُجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا » يعنى صلاة العشاء .

وروى البزار والطبراني وابن خزيمة في صحيحه عن ابن عمر قال : كنا إذا فقدنا الرجل في صلاة الفجر والعشاء أسأنا فيه الظن .

وروى الطبراني مرفوعا « مَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ثُمَّ

جَلَسَ حَتَّى يُصَلِّيَ الْفَجْرَ كُتِبَتْ صَلَاتُهُ يَوْمَئِذٍ فِي صَلَاةِ الْأَبْرَارِ وَكُتِبَ فِي وَفْدِ الرَّحْمَنِ .

وروى الإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما :

« أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى يَوْمًا الصُّبْحَ ثُمَّ قَالَ أَشَاهِدُ فُلَانَ أَشَاهِدُ فُلَانَ ؟ » الحديث .

وفيه أن هاتين الصلاتين يعنى الصبح والعشاء أثقل الصلوات على المنافقين .

وروى ابن ماجه مرفوعا « مَنْ غَدَا إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ غَدَا بِرَأْيَةِ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ غَدَا إِلَى السُّوقِ غَدَا بِرَأْيَةِ الشَّيْطَانِ » .

وروى مالك أن عمر بن الخطاب قال لرجل بات يصلى فغلبته عيناه عن الصبح : لأن أشهد صلاة الصبح في جماعة أحب إلىّ من أن أقوم ليلة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على صلاة النوافل في البيت إلا بحق كصلاة العيد والكسوف مما شرعت فيه الجماعة وما أمر الله تعالى بفعل الفرائض في المسجد إلا لإظهار شعائر الدين ، فلو أنه لم يشرع فعلها في المسجد لم يقم للدين شعائر ، وأيضا فلولا مشروعية الجماعة في الفرائض لربما كسل بعض الناس عن فعلها ولو في البيت ، وما كل أحد يراقب نظر الحق إليه ، ومن هنا قالوا حبل العباد طویل لكون غالب المحجوبين يراعى المخلوقين فإذا لم ير أحد ، منهم ينظر إليه فربما يتساهل في تلك العبادة فيتركها ، بخلافه إذا حضر موضع الجماعة ، ورأى الناس يصلون فإنه يزداد نشاطا إلى فعل تلك العبادة .

وقد قال لى شخص مرة : لولا أن معى وظيفة الإمامة في المسجد ما وجدت قط عندى داعية على مواظبة صلاة الجماعة ، فهذا من حكمة فعل الفرائض في المساجد والنوافل في البيوت ، والله تعالى أعلم .

وقد روى الشيخان وغيرهما مرفوعا :

« اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا » .

قلت : هذا الحديث يشتمل على معنيين أن يكون المراد ترك النوافل في البيت أصلا فتصير كالقبور : أى لا صلاة فيها ، وأن يكون المراد به النهى عن جعل قبر الإنسان

في بيته إذا مات لذهاب الاعتناء بالقبر ، إذا كان في البيت لكثرة مشاهدته له ليلا ونهارا ،
والله أعلم .

وفي رواية لمسلم وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما مرفوعا :

« إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ بِمَسْجِدٍ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى جَاعِلٌ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ خَيْرًا » .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحيهما مرفوعا :

« لِأَنَّ أَصْلِيَّ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
صَلَاةً مَكْتُوبَةً » .

وروى ابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ نُورٌ فَنُورُوا بُيُوتَكُمْ » .

وروى النسائي وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« صَلُّوا أُمَّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ » .

وروى البيهقي بإسناد جيد إن شاء الله تعالى مرفوعا :

« فَضْلُ صَلَاةِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ عَلَى صَلَاتِهِ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ كَفَضْلِ الْفَرِيضَةِ
عَلَى النَّطْوِشِ » .

وروى ابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« أَكْرَمُوا بُيُوتَكُمْ بِبَعْضِ صَلَاتِكُمْ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علمنا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا علمنا حفظ جوارحنا
الظاهرة والباطنة من خطور المعاصي على قلوبنا أن نمكث بعد الفريضة ننتظر الصلاة
التي بعدها ولا نخرج من المسجد حتى نصلي الصلاة الأخرى ، فإن لم نعلم من أنفسنا
القدرة على الحفظ مما ذكرناه فن الأدب أن نصلي الفريضة ونخرج على الفور ، وذلك
لأن الجالس في المسجد جالس بين يدي الله عز وجل ، إما كشفنا ويقيننا كالكمال من
العارفين ، وإما ظنا وإيمانا ككمال المؤمنين ، كالأعمى يعرف أن زيدا جليسه بكلامه معه
ولا يراه ، فما جاء عن الشارع في فضل انتظار الصلاة بعد الصلاة في المسجد هو في حق

من كان محفوظا من الخواطر الرديئة لاسيما من كان في الحرم المكي أو المدني كما تقدم في هذه العهود ، فان من لا يحفظ خواتمه ولا جوارحه من سوء الأدب مع الملوك فالأولى له البعد عن حضرتهم انخاصة ، فاعلم ذلك ولا تنغيط من رأيت ينتظر الصلاة بعد الصلاة إلا إن أريته محفوظا بما ذكرناه على ذلك للذي قرناه ينزل قوله تعالى :

(وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ) وفي حديث « إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنِ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتَّكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ » .

فإن هذه الآية محكمة عند بعضهم في حق الأكابر ، وبدل على ذلك حكايات القوم في مؤاخذتهم بالخواطر بل قدمنا عن سيدي محمد الشويبي صاحب سيدي مدين أنه كان لا يمكن أحدا من الجلوس بين يدي سيدي مدين إلا أن حفظ خواتمه ، وخطر مرة في قلب شخص الزنا فقام وضربه بالعصا ضربا مبرحا ، فاذا كان هذا أدبا مع مخلوق فالله تعالى أولى بالأدب على الدوام والله تعالى أعلم .

وروي الشيخان وغيرهما مرفوعا « لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْدِثُهُ لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ » .

زاد في رواية للبخاري : « وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ مُصَلَّاهٍ أَوْ يُحَدِّثُ » .

وفي رواية لمالك : « حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحَدِّثَ » .

قيل لأبي هريرة وما يحدث قال : يهسو أو يضبط :

وروي أبو داود مرفوعا : « صَلَاةٌ فِي أَثَرِ صَلَاةٍ لَأَلْفَوْ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلْيَيْنَ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على جلوسنا في مصالنا للذكر بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وترتفع ونصلي ركعتين أو أربعاً ، وعلى جلوسنا بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس ، ويلحق بالجلوس للذكر الجلوس لخبر من علم شرعى أو إرشاد أو صالح بين الناس ونحو ذلك كما كان عليه فقهاء التابعين ، فكان عطاء ومجاهد يقولان : المراد بذكر الله علم الحلال والحرام . وقال مشايخ الصوفية : المراد

بذكر الله تعالى أن يذكره بأسمائه الحسنى ، وقد تبعهم على ذلك جمهور أهل الطريق الذين أدركناهم كسيدى على المرصنى والشيخ تاج الدين الداكروغيرها . فكان سيدى على المرصنى يجلس بعد صلاة العصر يرشد الناس في أمورهم بقراءة كتب القوم كرسالة القشيري وعوارف المعارف ونحوها من مؤلفاته ، وكان سيدى الشيخ تاج الدين يجلس بعد صلاة العصر في قراءة البخارى وتفسير ما أشكل من ألفاظه إلى الغروب ، وكان سيدى محمد الشناوى يجلس بعد العصر يذكر الله تعالى إلى الغروب ، وكذلك كان يذكر بعد الصبح بلاإله إلا الله حتى تطلع الشمس ، فان كان مسافرا ذكر ذكر المجلس هو وأصحابه وهو راكب حمارته رحمه الله ، وكان سيدى محمد بن عنان يشتغل بالأوراد سرا من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس وينام بعد صلاة الوتر ثم يقوم يتهجد ويصلى الصبح ، فلا يزال في قراءة حزب سيدى أحمد الزاهد حتى تطلع الشمس ، ثم يشتغل بأوراد أخر إلى ضحوة النهار ، وكان لا يلتفت لأحد كلمه في هذه الأوقات لاقباله على الله تعالى ، ض الله تعالى ، صه ، ك : ١١٠ : ١١٠

فهذا ما حضرني الآن من سر تخصيص هذين الوقتين بذكر الله تعالى .
(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الترمذى . وقال حديث حسن مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حُجَّةٍ وَعُمْرَةٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَامَّةٌ تَامَّةٌ » .

وفي رواية للطبراني : « أَنْقَلَبَ بِأَجْرِ حُجَّةٍ وَعُمْرَةٍ » .

وروى الطبراني مرفوعا ورواه ثقات :

« مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ ثُمَّ جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَمَّكَتِ الصَّلَاةُ يَعْنِي تَرْتَفِعُ الشَّمْسُ كَرُمَحٍ كَانَ بِمَنْزِلَةِ حُجَّةٍ وَعُمْرَةٍ مُتَقَبَّلَتَيْنِ » .
قال ابن عمر : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر لم يقيم من مجلسه حتى يتمكن الصلاة

وفي رواية للطبراني مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ يَثْبُتُ حَتَّى يُسَبِّحَ اللَّهُ سُبْحَةَ الضُّحَى كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍ وَمُعْتَمِرٍ تَامًا لَهُ حُجَّةٌ وَعُمْرَةٌ » .

قلت ولا يستبعد مؤمن حصول الأجر العظيم على العمل اليسير ، فان مقادير الثواب لا تدرك بالقياس ، فالله حق أن يجعل الثواب الجزيل على العمل القليل والله سبحانه أعلم .

وفي رواية للإمام أحمد وأبي داود وأبي يعلى مرفوعا :

« مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلَاةٍ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى يُسَبِّحَ رَكْعَتِي الضُّحَى لَا يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ » .
وفي رواية لأبي يعلى : « وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » .

وفي رواية لابن أبي الدنيا مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ لَهُ بِمَسَّ جِلْدِهِ النَّارُ أَبَدًا » .

وفي رواية للبيهقي زيادة قوله :

« مُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ » والباقي بلفظه .

وفي رواية لأبي يعلى والطبراني مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ أَوْ قَالَ الْغَدَاةَ فَقَعَدَ فِي مَقْعَدِهِ فَلَمْ يَلْغُ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَيَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى يُصَلِّيَ الضُّحَى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وُلِدَتْهُ أُمَةٌ لَا ذَنْبَ لَهُ » .

وروى مسلم وأبو داود، الترمذى والنسائى والطبرانى عن جابر بن سمرة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر جلس في مجلسه حتى تطلع الشمس حسنا .
وفي رواية للطبرانى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح جلس يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على الأذكار الواردة بعد الصبح والعصر والمغرب ونقدمها في التلاوة على الأذكار التي لم ترد إذا جمعنا بينها وبين ماورد في السنة من الأدعية والاستغفار ونحوها أديبا مع الشارع صلى الله عليه وسلم ، وقد جمع الإمام النووى في كتابه الأذكار جميع ما وجد في كتب الحديث فراجعه ، وكذلك سيدى الشيخ أحمد الزاهد رحمه الله تعالى جمع في حزيه الأذكار الواردة في عمل اليوم والليلة وهو أمثل ما رأيت من الأحزاب ، فمن واطب عليه حصل له خير الدنيا والآخرة ، ولولا أن سيدنا ومولانا أبا العباس الخضر أمرنى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذكار الواردة في الصبح ، ثم أذكر الله تعالى مجلسا ما قدمت شيئا على حزب سيدى أحمد الزاهد الذى يقرأ بعد الصبح فى جامع الغمري بمصر لجمعه الأذكار الواردة وغيرها مما وضعه السلف الصالح رضى الله عنهم ، فعليك يا أخى بقراءته كل يوم ، وما رأيت أكثر مواظبة على قراءته كل يوم من سيدى محمد بن عنان والشيخ يوسف الحرثي رحمهما الله كانا لا يتركانه سفرا ولا حضرا ، وإنما قدمت امتثال أمر الخضر عليه السلام على غيره من الأذكار لأنى تحت أمره كالمريد مع الشيخ ، فإن المرید ربما ذكر الله بالأذكار الفاضلة ، فدخلها الدخيل فصارت مفضولة ، فلذلك امتثلت أمره ، وقلت لولا أنه رأى لى الخير فى ذلك ما أمرنى به فاعلم ذلك ، والله يتولى هداك .

وروى الترمذى واللفظ له وقال حسن صحيح مرفوعا :

« مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَهُوَ ثَانِي رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَحُجِّيَ عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُفْلُهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَحُرِّسَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَمْ يُتَّبِعْ بِذَنْبٍ يُذْرِكُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشُّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَى » وزاد فيه النسائي « بِيَدِهِ الْخَلْقُ » وزاد في رواية أخرى : « وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا عِتْقُ رَقَبَةٍ » وزاد في رواية أخرى له : « وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ أُعْطِيَ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ فِي لَيْلَتِهِ » .

وروى أبو داود والنسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحارث بن مسلم التميمي :

« إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ : اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ يَوْمِكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ حِرْزًا مِنَ النَّارِ ، وَإِنْ صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ : اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ حِرْزًا مِنَ النَّارِ » .

وروى النسائي والترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى أَثَرِ الْمَغْرِبِ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ مَلَائِكَةً مُسَلَّحَةً يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ مُوجِبَاتٍ وَحُجِّيَ عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ مُوَبَقَاتٍ وَكَانَتْ لَهُ بِعَدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ » .

وروى أبو يعلى والطبراني مرفوعا : « مَنْ قَرَأَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةً عَشْرَ مَرَّاتٍ :

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ وَزُوجَ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ » .

وروى ابن أبي الدنيا والطبراني بإسناد حسن نحوه وذكر فيه أن من قالها بعد الصبح

فقبل ذلك .

وروى ابن السني في كتابه مرفوعا :

« مَنْ قَالَ بَعْدَ الْفَجْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، أَسْتَعْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » .

وروى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقبیصة رضى الله عنه :
« إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ ثَلَاثًا : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ تَعَاْفَى مِنْ الْعَمَى وَالْجُدَامِ وَالْفَالِجِ » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أحد علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نؤم بالناس حيث طلبوا منا ذلك واجتمعت فينا الشروط ، ولا نقول نحن مالنا عادة بالإمامة كما يقع فيه الخفاي الطبع من الفقهاء والقراء. ومثل الإمامة أيضا الخطبة فنخطب ولا نمتنع إلا لعذر شرعي ، لأن الله تعالى أوجب علينا إقامة شعائر الدين ، فينبغي للفقهاء أن يحفظوا له خطبة جامعة للأركان والشرائط والآداب والوعظ الحسن ، لتكون معه يخطب بها إذا احتيج إليه ، كأن غاب الإمام أو الخطيب ، أو يادر بعض الناس وحاف بالطلاق لا يخطب لنا اليوم إلا فلان كما يقع ذلك كثيرا في بلاد الريف وغيرها .

واعلم أنه ليس مما ذكرناه من امتنع عن الإمامة لشهود ضعفه عن تحمل سهو المأمومين ونقص صلاتهم ، فإن هذا إنما ترك فعل ذلك احتياطا لنفسه لا حياء طبعيا . وقد رأيت الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله يصلي الظهر فأحرم خلفه رجل فلما سلم قال لا تعد تصلي خلقي أبدا ، فإني عاجز عن تحمل نقص صلاتي فكيف أقدر على تحمل نقص صلاة غيري ، فقال له الرجل إنما قصدت حصول فضل الجماعة لكم ، فقال الشيخ عدم تحمل نقص صلاتك أرجح عندي من حصول فضل جماعتك اهـ ولكل مقام رجال .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الإمام أحمد واللفظ له وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما مرفوعا :

« مَنْ أَمَّ قَوْمًا ، فَإِنْ أَسَمَ قَلَهُ النَّيِّمُ ، فَهُمْ النَّيِّمُ ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ نَسَمَهُ النَّيِّمُ ، وَعَائِيهِ الْإِسْمُ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « مَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ ضَامِنٌ مَسْئُولٌ لِمَا ضَمِنَ ، فَإِنْ أَحْسَنَ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجْرِ مَنْ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَهُوَ عَلَيْهِ » .

قلت : والفرق بين الصلاة التامة والكاملة أن التامة هي باجمعت الشروط والأركان من غير أن ينقص منها شيء ، والكاملة ما زادت على ذلك بالحضور والخشوع ونحو ذلك من الأعمال القلبية ، وقوله في الحديث « فليتق الله تعالى » معناه أنه ليس له أن يؤم من هو أعلى منه درجة ، كأن يكون مرتكبا صغيرة أو مكروها أو خلاف الأولى ، ومن يصلى وراءه خال عن ارتكاب ذلك ، والله أعلم .

وروى الإمام أحمد والترمذي وقال حديث حسن مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ أَرَاهُ قَالَ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ : وَرَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا يَهُوُّ لَهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ، وَلَا يَنَابَهُمُ الْحِسَابُ وَهُمْ عَلَى كَثِيبٍ مِنَ الْمِسْكِ حَتَّى يُفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى . وَرَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ » الحديث ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا صفت سرائرنا من جميع ما يسخط الله عز وجل بحيث لم يبق في سرائرنا وظواهرنا إلا ما يرضى ربنا أن نواظب على الصلاة في الصف الأول عملا بقوله صلى الله عليه وسلم :

« لِيَلْبِنِي مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَخْلَامِ وَالنُّهَى » .

أى العقل : ولا يكون العبد عاقلا إلا إذا كان بهذا الوصف الذى ذكرناه ، فإن من كان في ظاهره أو باطنه صفة يكرهها الله تعالى فليس بعامل كامل ، ولا يتقدم للصف الأول بين يدي الله في المواكب الإلهية إلا الأنبياء والملائكة ومن كان على أخلاقهم ، وأما من تخلف عن أخلاقهم فيقف في أخريات الناس خسر له ، فينبغى للإمام أن يأمر كل من عمل بعلمه بالتقدم كلما صلوا خلفه حتى يكون ذلك من عاداتهم

في الوقوف ، ويأمر بالتخلف إلى وراء كل من رآه لا يعمل بعلمه ، ويعامل المصلين بما يظهره من الصفات الحسنة أو السيئة ، فليس تأخيره لبعض الناس سوء ظن به إنما هو بحسب ما أظهر الناس من الأعمال الناقصة ، ثم إن العمل بهذا العهد يعسر جدا على من يصلى خلفه المخادلون بغير علم : فإن كل واحد يقول أنا أفضل من فلان الذى قدم على فى الصف الأول أو الثانى مثلا ، وربما سهل العمل به فى المساجد التى يحضرها العوام أو يكون أهلها مضبوطين ، كزوايا المشايخ التى فقراؤها تحت طاعة إمامهم ، ويؤيد ما ذكرناه من شروط التقدم للصف الأول مارواه ابن ماجه والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم ، وقال صحيح على شرطهما مرفوعا عن العرياض بن سارية : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَفِيرُ لِلصَّفِّ الْمُتَقَدِّمِ ثَلَاثًا ، وَالثَّانِي مَرَّةً ، وَالثَّلَاثَ مَرَّةً » .

أبى لأن كثرة الاستغفار للشخص قد تكون لكثرة ذنوبه ، وقد تكون لرفعة مقامه ، فأحد الاحتمالين يشهد لما قلناه .

وأما حديث : « خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوْلَاهَا » .

فالمراد بالرجال الكمل من الأولياء الذين هم كما وصفنا فى أول العهد ، فإن طهر الله تعالى يا أخى باطنك وظاهره فبادر للصف الأول ، وإلا فالزم الأدب ؛ وسيأتى فى عهود المنبيات أن مما يشهد لنا فى تأخير من يحب الدنيا إلى الصف الثانى وما بعده ، قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الترمذى مرفوعا :

« الدُّنْيَا دَارٌ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَمَالٌ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، يَجْمَعُهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ » .

فنى كمال العقل عن كل من يجمع منها شيئا زائدا على غداثة وعشائه فى يومه وليلته ، وما سلم من هذا الأمر إلا قليل من الناس ، ويؤيده أيضا قول الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه : لو أوصى رجل بشيء لأعقل الناس صرف ذلك إلى الزهاد فى الدنيا . وإيضاح ما أشار إليه الحديث من نفي كمال العقل عن يجمع الدنيا إلا لله لا من يجمعها حين يجمعها وفى بلده من هو مستحق لإنفاقها عليه من مديون ومحبوس وجيعان ونحو ذلك ، فإن كانت قيمته بالجمع خيرا فهذا منه ، فينبغى تقديمه عند كل عاقل اكتسابا للأجر ، وغير ذلك منه أمسك عن الإنفاق ورجح الحرص والشح عليه فهو ناقص العقل ، وما قررناه من تأخير مرتكب المعاصى وجامع الدنيا عن الصف الأول هو ما عليه طائفة الصوفية وجهود

العلماء ، لاعلى الأمر بتقديم الوقوف فى الصف الأول على غيره مطابقة كما هو مقرر فى كتب الفقهاء ، فاعلم ذلك والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ مُنَّمُ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لِاسْتَهْمُوا » .

وفى رواية مسلم : « لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ لَسَكَاتَ قُرْعَةً » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم مرفوعا :

« خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوْلَاهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا » .

وروى ابن ماجه وغيره مرفوعا عن العرباض بن سارية :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَغْفِرُ لِلصَّفِّ الْمَقْدَمِ ثَلَاثًا وَالثَّانِي مَرَّتَيْنِ »
وقد تقدم الحديث آنفا .

ولفظ ابن حبان « كَانَ يَصَلِّي عَلَى الصَّفِّ الْمَقْدَمِ ثَلَاثًا وَعَلَى الثَّانِي وَاحِدَةً » :

وفى رواية للنسائى وابن حبان « كَانَ يَصَلِّي عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ مَرَّتَيْنِ » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نسوى صفوفنا ونتراص فيها ونقدم الوقوف فى ميامنها على غيره من الوسط أو الميامر ، وفى ذلك أسرار لاتذكر إلا مشافهة . وينبغى أن لا يكون بين أحد من أهل الصف وبين من هو فى صفه شحنةاء ولا حسد ولا غل ولا مكر ولا خديعة ليوافق الباطن صورة الظاهر ، فان اختلاف القلوب أشد من اختلاف الجوارح ، ولذلك منع الإمام مالك رضى الله تعالى عنه صحة اقتداء مصلى الظهر مثلا بمن يصلى العصر ، وذلك لأن الجوارح تبع للقلب ، فكأن مكان المشاحن نخال عن أحد يقف فيه لشروء قلب المشاحن عن جاره فليتأمل .

ومن الأسرار الظاهرة فى ذلك ، أن الله تعالى أمرنا بإقامة الدين ولا يقوم إلا إذا كنا على قلب رجل واحد ، وفى القرآن العظيم :

(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) .

يعنى قوتكم . ومن الأسرار أيضا أن الشيطان لا يدخل بين الصفوف ويوسوس

لأصحابها إلا إذا رأى بينها خللا ، ففى قرب من الصف احترق من أنفاسهم كما فى حديث
« يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ » .

أى تأييده ، وهذا الأمر لا يكاد يسلم منه أحد من المحبين للدنيا ومناصبها ووظائفها ،
فإن كل من سعى على وظيفة شخص صار عدوا له وإن لم يسع فى الماضى ربما كان
ناويا على السعى فى المستقبل إذا رأى حاكما يجيبه إلى ذلك فتحس القلوب بذلك ،
فيمكن عدوا مستورا فى الظاهر دون الباطن ، فلا ينبغى لأحد من هؤلاء أن يقف فى
صف من بينه وبينه عداوة ليطابق باطنه ظاهره ، ويخرج عن صفة النفاق المشار إليها
بقوله تعالى :

(تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) .

اللهم إلا أن يقف بعد التوبة ناويا التقرب إليه تميلا لخاطره ، ووالله لو كان أئمة
الدين على قلب رجل واحد مادخل فى الشريعة نقص قط ولا أطاق مخالفتهم أحد من
الولاة ، وكان كل من خالفهم هلك بسرعة ، ولكنهم اختلفوا .

(لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) .

وأما غير أئمة الدين ممن يجب الدنيا فقد كفى الله الظلمة شرهم لأنهم لا يزالون
يستمتطرون منهم الرزق ، فإن أعطوهم شيئا من سحت الدنيا خرس لسانهم وذهب
سمعهم وبصرهم ، وصاروا خرسا صما عميا ، فوجودهم كالعدم وإن لم يعطوهم فهم
يوافقونهم فى أغراضهم ضرورة تميلا لخاطره لم يعطوهم كما أعطوا غيرهم ، ويصبروا
كذلك خرسا صما عميا ، فهذا هو الباب الذى دخل منه النقص فى الدين ، ولو كان العلماء كلهم
زاهدين مادخل فى الدين نقص ، فجاهد يا أخى نفسك على يد شيخ ليعخرجك من
رعونات النفوس حتى لا يبقى فى نفسك شهوة ولا حرص على شيء من الدنيا ، وأمر
أصحابك بالمجاهدة على يد شيخ كذلك ثم تراصوا فى الصفات بعد ذلك ، وإن لم
يتيسر ذلك فقفوا فى الصف واستغفروا الله من كل ذنب يعلمه الله :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الإمام أحمد والطبرانى وإسناد أحمد لأبأس به مرفوعا :

« سَوْشَ وَأَصْفُوكُمْ ، وَحَادُوا بَيْنَ مَنَاكِبِكُمْ ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ وَسُدُّوا

إِلْتِمَالَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ بِدُخُلٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ تَنْزِلُهُ الْخُلُوفِ » .

يعنى أولاد الضأن الصغار .

وروى الإمام أحمد بإسناد جيد مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ أَوِ الصُّفُوفِ الْأُولِ » .

وروى ابن خزيمة فى صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي ناحية الصف ويسوى بين صدور القوم ومناكبهم ويقول :

« لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ » .

وفى رواية الشيخين : « فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ »

وفى رواية للبخارى : « مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ » يعنى التى أمرنا الله بها فى قوله :

« أَقِيمُوا الصَّلَاةَ » .

وروى النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما مرفوعا :

« رُضُوا صُفُوفَكُمْ ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا وَحَاذُوا بَيْنَ الْأَعْنَاقِ ، فَوَ الَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ

إِنِّى لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خِلَالِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْخَلْفُ » .

والخلف : هو ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراص .

وروى الطبرانى مرفوعا : « اسْتَوُوا تَسْوِيَةَ قُلُوبِكُمْ ، وَتَمَاشَوْا تُرُوحُكُمْ » .

ومعنى تماشوا : ازدحموا فى الصلاة قاله شريح ، وقال غيره تماسوا تواصلوا .

وروى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما مرفوعا :

« وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ » .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصَلُّونَ الصُّفُوفَ » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَّامِنِ الصُّفُوفِ » .

وروى مسلم عن البراء بن عازب قال : « كنا إذا صلينا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

أحببنا أن نكون عن يمينه ية يسلم علينا بوجهه » الحديث ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا رأينا الصف الأول

مثلا قد ازدحم الناس فيه وما بقي يحتمل دخول أحد فيه أن لا نزاجم أحدا فيه لندخل ، وإن كنا فيه ورأينا في خروجنا منه تنفيسا لأهله من الزحمة خرجنا إلى الصف الثاني مثلا اللهم إلا أن يكون في الصف الأول أحد يتأذى الناس برائحته فلنا مزاحمته حتى يخرج ، وكذلك الصف الثاني والثالث حتى يكون ذلك الشخص في آخر صف . قلت لكن لا يسلم من حظ نفسه في مثل ذلك إلا العلماء العاملون لكونهم لا يحتقرون أحدا من المسلمين إلا بطريق شرعي ، والله سبحانه وتعالى أعلم :

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ تَرَكَ الصَّفَّ الْأَوَّلَ مَخَافَةَ أَنْ يُوْذِيَ أَحَدًا أَوْضَعَفَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ الصَّفِّ الْأَوَّلِ » .

قلت وروى الإمام سعيد رحمه الله تعالى أن الإمام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يضرب بالدررة من رأى عليه رائحة كريهة ويؤخره إلى أخريات الصفوف والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، إذا رأينا ميسرة المسجد قد عطلت من صلاة الناس فيها أن نكرمها كل قليل بالصلاة فيها جبرا لها لأن البقع يفتخر بعضها على بعض ، وقد أمر الله عز وجل بجبر الخواطر ، وهذا من العدل بين الأمور : كما أن من انقطع لإحدى نعليه يؤمر بأن ينعلهما جميعا أو يحقهما جميعا ولا يلبس نعلا واحدا عملا بالعدل بين الرجلين ، وهذا سر لا يعلمه إلا أهل الله تعالى لأنهم يعرفون بالكشف الصحيح حياة كل شيء ، وأما غيرهم فلا ينهض بهم حالهم إلى العمل بمثل ذلك لعدم كشفهم ، وقد جلس عندي مرة أخى الشيخ أفضل الدين ونحن نعمر في جامعنا الذى على الخليج الحاكى فكلمته البقعة التى في ذلك البر ، وقالت له قل لأهل الحارة يندخلونى في جامع الميدان فإنى بقعة مشرفة ، فكلم عليها أهل الحارة ، فجاء شخص من الفقراء وجعلها بيت خلاء ، فجاء أخى أفضل الدين بعد ذلك فقال من فعل هذا ، فقلت الشيخ فلان ، فقال إن الله تعالى قد أعمى قلب هذا الشيخ ، كيف يجعل هذه البقعة خلاء مع شرفها ، فسكان الشيخ من شدة نور قلبه يعتقد أن غيره يدرك مثل ما يدرك هو من حياة البقاع وغيرها من بعضها بعضا ، فرضى الله عنه فاعلم ذلك .

وقد روى ابن ماجه وغيره ، عن ابن عمر قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ، إن ميسرة المسجد قد تعطلت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ عَمَرَ مَيْسِرَةَ الْمَسْجِدِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ كِفْلَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « مَنْ عَمَرَ جَانِبَ الْمَسْجِدِ الْأَيْسَرِ لِقَلَّةِ أَهْلِهِ فَلَهُ

أَجْرَانِ » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، أن نؤمن مع إمامنا في الصلاة الجهرية رجاء المغفرة للذنوبنا ، فلا نتقدم على تأمينه ولا نتأخر ، وذلك لنوافق تأمين الملائكة الذين لا يرد لهم دعاء فيستجاب لنا تبعاً لهم .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : إنما كان الملائكة لا يرد لهم

دعاء لأنهم :

(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) .

وكل من أحكم باب ترك المعاصي من البشر كان كالملائكة لا يرد له دعاء ، وأما من وقع في المعاصي فإن الله تعالى يرد دعاءه في الغالب ، لأن الله تعالى مع العبد على حسب ما العبد عليه معه ، فكما أنه تعالى دعاه إلى الطاعة فلم يجب كذلك دعاه العبد فلم يجب دعاءه ، وكما أبطأ العبد في الاجابة ولم يبادر إليها ، كذلك دعا ربه فلم يجبه بسرعة جزاء وفاقا :

وسمعت مرة أخرى يقول : حقيقة الإجابة هي قول الحق تعالى لعبيدك لا قضاء

الحاجة ، فالحق يجيب عبده على الدوام فلا يقول يارب إلا قال له لبيك :

وأما قضاء الحاجة فيقول الله تعالى للعبد ذلك إلى لا إليك ، فإني أشفق عليك من

نفسك ولو أعطيتك ما سألت ، فيكون به هلاكك ، وسوف تحمدني في الآخرة على كل

شيء منعتك إياه في الدنيا ، حين ترى ثوابي العظيم لأهل الصبر والبؤس اه .

وظاهر كلام الشارع صلى الله عليه وسلم ، أن المراد بالموافقة هنا هي الموافقة في

النطق دون الصفات ، وقال بعضهم : المراد بها الموافقة في الصفات فلا يكون في باطن

الانسان صفة شيطانية أبدا .

وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول إنما قال صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ أُعْفِرَ لَهُ » .

دون قوله استجيب دعاؤه الذي هو قوله :

(إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) .

لأنه لو أجيب دعاؤه لاستقام كالأنبياء ، ولم يكن له ما يغفر ، فلذلك راعى الشارع صلى الله عليه وسلم ضعفاء الأمة الذين لا يكادون يسلمون من الوقوع فيما يغفر بين كل صلاة وصلاة ، ولو أنه راعى الأقوياء الذين لا يذنبون لكان اكتفى بقولهم مع الإمام آمين مرة واحدة أول بلوغهم اه وهو كلام نفيس ، لكن ثم ما هو أنفس منه ، وهو أن الهدى يقبل الزيادة ولا يبلغ أحد منتهاه ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يطلب الزيادة والولى يطلب الزيادة والمعاصى يطلب الزيادة ، فلا يستغنى أحد عن سؤاله الهداية ، ولم يزل عنده أمر يغفر بالنظر للمقام الذى ترقى إليه وهكذا ، ثم هذا من باب : حسنات الأبرار سيئات المقربين والله تعالى أعلم .

وكان أخى أفضل الدين يسمع تأمين الملائكة فى السماء ، فربما طول التأمين زيادة على إمامه . فمثل هذا ربما يسلم له حاله ، وسيأتى فى عهود المنهيات بسط القول فى مشاهدة العارفين فى أركان الصلاة ونوافلها فراجعه فى عهد أن لا نتساهل بترك إتمام الركوع والسجود .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مالك والشيخان وأبو داود والنسائى وابن ماجه مرفوعا :

« إِذَا قَالَ الْإِمَامُ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ، فَقُولُوا آمِينَ فَإِنَّهُ مَنْ وَاَفَّقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وفى رواية للبخارى : « إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ ، فَوَأَفَّقَتِ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وفى رواية لابن ماجه والنسائى :

« إِذَا أَهَّنَ الْقَارِئُ فَأَمَّنُوا » الحديث .

وفى رواية للنسائى : « فَإِذَا قَالَ : يَعْنِي الْإِمَامُ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ، فَقُولُوا آمِينَ ، فَإِنَّهُ مَنْ وَاَفَّقَ كَلَامَهُ كَلَامَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لِمَنْ فِي الْمَسْجِدِ » .

قال الحافظ المنذرى : آمين تمد وتقصر وتشديد الممدود لغة ، قيل هو اسم من أسماء الله تعالى ، وقيل معناها اللهم استجب ، أو كذلك فافعل ، أو كذلك فليكن :

وروى ابن ماجه مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَانِي خِصَالًا ثَلَاثَةً : أَعْطَانِي صَلَاةً فِي الصُّفُوفِ ، وَأَعْطَانِي التَّحِيَّةَ ، إِنَّهَا لَتَبِحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَعْطَانِي التَّائِبِينَ ، وَلَمْ يُعْطِرْ أَحَدًا مِنَ التَّائِبِينَ قَبْلِي ؛ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَى هَرُونََ يَدْعُو مُوسَى وَيَوْمَهُ هَرُونََ . »
وروى الحاكم مرفوعا : « لَا يَجْتَمِعُ مَلَأٌ فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ ، وَيَوْمَهُ بَعْضُهُمْ إِلَّا أَجَاهَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نستعد للصلاة قبل فعلها بما يعيننا على الخشوع فيها ، وذلك بالجوع وترك اللغو وكثرة الذكر ونلاوة القرآن والمراقبة لله تعالى ، فإن كفت الجوارح عن المفضول إنما يسهل على العبد بذلك ، فمن شبع ولغا وغفل عن الله تعالى شردت جوارحه عن إمكانها وعسر على العبد كفها .
فاعمل يا أخى على تحصيل الحضور مع الله تعالى فى العبادات كلها فإنه روحها ، إذ كل عبادة لا حضور فيها فهى إلى المؤاخذه أقرب ، ولا تطلب حصول خشوع من غير مقدمات سلوك أو جذب ، فإن ذلك لا يكون لك أبدا .

واعلم أن وضع اليدين على اليسار تحت الصدر من سنن الصلاة ، لسكن إن شغل مراعاة ذلك القلب عن كمال الحضور مع الله تعالى ، فينبغى إرخاؤها بجنبه كما هو منذهب الإمام مالك فى نافلة الليل ، فمن لم يشغله مراعاة ذلك عن كمال الحضور مع الله تعالى بالنسبة لمقامه هو فن الأدب وضع يديه تحت صدره ، ومن شغله مراعاة ذلك عن كمال الحضور فن الأدب إرخاء يديه بجنبه فعلم أن جعل اليدين تحت الصدر من أدب الأكابر وإرخاؤها بالجنين من أدب الأصاغر ، وفى ذلك تلميذ على أن الأصاغر يعجزون عن مراعاة شيئين معانى وقت واحد ، بخلاف الأكابر فاعلم ذلك . وكان أخى أفضل الدين يعبد كل صلاة ظن أنه حصل له فيها خشوع ويقول : كل عبادة شعرت النفس بكاملها فهى ناقصة ، فلا يسع العبد إلا أن يصلى ويستغفر الله عز وجل :

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إنما كان الأكابر لا يحتاجون إلى تحصيل استعداد لكل صلاة كغيرهم لأنفسك كالقلوبهم عن التعلق بالأكوان ، فهم دائما حاضرون مع الله تعالى ورائة محمدية فى حال مزحهم ولغوهم اه . فليس كل مقام رجال والله تعالى أعلم .

وروى الطبراني مرفوعا: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى فَلَمْ يَمِمْ صَلَاتَهُ بِخُشُوعٍ وَلَا بِرُكُوعٍهَا
وَأَكْتَبَ مِنَ الْأَلْتِفَاتِ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ» .

وروى ابن حبان والطبراني بإسناد حسن مرفوعا :

«أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ أَعْمَالِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَكَادُ تَرَى فِيهَا خَاشِعًا» .

وقيل إنه موقوف وهو أشبهه . قاله الحافظ المنذرى ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكثر من نوافل
الصلوة زيادة على النوافل المؤكدة فإن صلاة أمثالنا عددها كثير وأجرها قليل .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول فى معنى حديث :

« سَيِّئَاتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ فِيهِ بِعُسْرٍ مَا عَلِمَ نَجَاً » .

المراد به أن الواحد منهم يعمل بعلمه كله ولا يحصل له من ذلك قدر عشر من عمل
بعشر علمه من السلف ، فلا تقتصر يا أخى على ثلثى عشرة ركعة فى اليوم والليالة إلا إذا كملت
فرائضك ، وأنى لك بذلك ؟ وأكثر من النوافل جهلك فى اليوم والليالة .

ثم لا يخفى عليك يا أخى أن سبب مشروعية النوافل هو علمه صلى الله عليه وسلم
بإخلالنا بإتمام الفرائض ، فلو علم أننا نأتى بالفرائض على وجهها كاملة ماشرع لنا نافلة
لأن التشريع مزاحة أو صاف الربوبية وإن كان لا ينطق عن الهوى ، فلما علم من أمته عدم
إتقانهم بالفرائض كاملة استأذن ربه فى أن يشرع لهم النوافل الجارية لخلل فرائضهم
فأجابه الله تعالى فرجع التشريع إلى الله تعالى حقيقة .

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) .

فهو صلى الله عليه وسلم كان أكثر العبيد أدبا .

واعلم يا أخى أن العلماء على قسمين : منهم من يقف فى النوافل على حسد العدد
المشروع الوارد فيها ، ومنهم من يزيد ، وينبغي حمل كلامهم على خالين ، فمن كملت
نوافله فى الخشوع والحضور لا ينبغي له الزيادة ، ومن نقصت نوافله فله الزيادة جبرا
لخلل نوافله ، كل ذلك ليكون العبد متبعا لا مبتدعا ، فاعلم ذلك والله يتولى هداك .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى مرفوعا :

« مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثِيَّ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ

الْقَرِيضَةِ إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وزاد الترمذى والنسائى : « أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَدَاةِ .
وزاد ابن خزيمة وابن حبان : « وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْعَصْرِ » .
وأسقطا ذكر ركعتين بعد العشاء ، وفى رواية لابن ماجه :
« وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْعَصْرِ » .
وهذا اختلاف فى تعيين الاثني عشر فتمحصل الاثنا عشر بصلاة اثني عشر ركعة منها ، والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على الصلاة بين المغرب والعشاء بحسب العدد الوارد فى الأحاديث ، لأنما ساعة يغفل الناس فيها عن ربهم ، وقد عمل بذلك مشايخ الطريق وشددوا على المرید فى المواظبة على فعلها ، ولها نور عظيم يجده الإنسان فى قلبه فاعمل عليه ، والله يتولى هداك .
ودليلهم فى ذلك ظاهر قوله تعالى :

(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) .

وروى ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والترمذى مرفوعا :
« مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتِّ رَكَعَاتٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فَيَا بَيْنَهُنَّ بِسُوءٍ عُدْلَانٍ بِمِيقَاتِهِ أُثْنَتَى عَشْرَةَ سَنَةً » .

وفى رواية للطبرانى : « غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » .

وروى ابن ماجه وغيره مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ عِشْرِينَ رَكَعَةً ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فى الْجَنَّةِ » .

وروى للطبرانى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يتول : نعم ساعة الغفلة ، يعنى الصلاة فيما بين المغرب والعشاء .

وروى رزين العبدرى مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ » .

وفي رواية : « أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، رُفِعَتْ صَلَاتُهُ فِي عَمَلِيَّيْنِ » .

قال الحافظ المنذرى ولم أره في شيء من الأصول - وروى النسائي بإسناد جيد عن حذيفة ، قال « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وصليت معه المغرب فصلى إلى العشاء » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصلى بعد العشاء أربع ركعات ، ثم نوتر بعدها قبل النوم وفي ذلك موافقة للعالم المسكى ، فإن الله تعالى يتجلى له في الثلث الأول من الليل ، ولكن لا يدرك سر ذلك إلا أكابر الأولياء الذين تروحنوا ، وأما أهل الكنائف فلا يحسون بذلك التجلى ولا يذوقون له طعما ، فاعمل يا أخى على تلطيف الكنائف لتأخذ حظك من ذلك التجلى ، والله يتولى هداك .

وروى الطبراني مرفوعا : « أَرْبَعٌ بَعْدَ الظُّهْرِ كَأَرْبَعٍ بَعْدَ العِشَاءِ ، وَأَرْبَعٌ بَعْدَ العِشَاءِ يَعْدِلْنَ أَرْبَعًا مِنْ لَيْلَةِ القَدْرِ » .

وفي رواية أخرى له مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى العِشَاءَ الأَخِيرَةَ فِي جَمَاعَةٍ وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ كَانَ كَعَدْلِ لَيْلَةِ القَدْرِ » .

وروى أبو داود والترمذى والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه واللفظ للترمذى ، وقال حديث حسن مرفوعا :

« إِنَّ اللهَ وَتَرُّهُ يُحِبُّ الوِتْرَ ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ القُرْآنِ » .

وقال على رضى الله تعالى عنه : الوتر ليس بحتم كالصلاة المكتوبة ، ولكن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى مسلم والترمذى وابن ماجه وغيرهم مرفوعا :

« مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ آخِرَ اللَّيْلِ ، فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ ، فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ وَذَلِكَ أَفْضَلُ » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود مرفوعا :

« الوِتْرُ حَقٌّ فَعَنْ لَمْ يُوتِرْ فَلَيْسَ مِنْهَا قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على الطهارة عند النوم وننوى القيام للتهجد كل ليلة ولا ننام على حدث إلا لضرورة شرعية أو غلبة نوم ، وكذلك نواظب على قراءة الأذكار الواردة عند النوم وعند الاستيقاظ لكون الحق تعالى يحب ذلك لعلمة أخرى إلا أن يصرح بها الشارع ، كالحفظ من الشياطين حتى يصبح ونحو ذلك ، وقد جربوا فوجدوا الأذكار عند النوم من أعون الأمور على قيام الليل وخفته على القلب والجوارح ، وهذا العهد يتأكد العمل به على الأكابر من العلماء والصالحين الذين يحبون مجالسة الحق تعالى والوقوف في حضرته مع الأنبياء والملائكة وخواص عبادته ، فإن الأذكار قوت أرواحهم والطهارة سلاحهم ، وفيه أيضا زيادة الوقوف في حضرة الله تعالى في عالم الغيب ، فإن الروح إذا فارقت الجسد بالنوم وهى على طهارة أذن لها في السجود بين يدي الله تعالى حتى يستيقظ ، وإذا فارقت الجسد محدثة وقفت بعيدة عن الحضرة ففاتها العبادة الروحية المجردة عن الجسد كالملائكة ، فافهم فهذا من سر النوم على طهارة .

وأما سر النوم على وتر فإنه أمر يحبه الله ، فاذا نام أحدنا أو مات كان آخر عهده عملا يحبه الله تعالى فيحشر مع المحبوبين الذين لا يعذبهم الله على ذنب أبدا كما أشار إليه قوله تعالى :

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ) .

أى فلو كنتم محبوبين له ما عذبكم فافهم ، فهذا من سر حكمة نوم العبد على وتر سواء كان من عادته التهجد أم لا وبهذا أخذ الأكابر من أهل الله ، وقالوا أرواحنا بيد الله ليس فى يدنا منها شيء ، فلا نعلم هل ترد أرواحنا إلينا بعد النوم أم لا ، وكان على ذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فكان يوتر قبل أن ينام . وكان عمر بن الخطاب ينام على غير وتر ويقول : أوتر إذا استيقظت ؛ وكان على رضى الله عنه ينام على وتر ، فإذا استيقظ تطهر وصلى ركعة فردة وأضافها إلى ما قبل النوم فيصير شغفا ثم يصلى ما كتب له ثم يوتر ، وهى حيلة فى عدم الوتر فى الليلة مرتين ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« لَأَوْتِرَانِ فِي لَيْلَةٍ » .

فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوتر أبى بكر وعمر قال :

« حَذَرَ هَذَا » يعنى أبا بكر « وَقَوِيَ هَذَا » يعنى عمر .

فقوله : حذر هذا إشارة لكمال أبي بكر وسعة علمه بالأخلاق الإلهية وقوله : قوى هذا إشارة إلى نقص مقام عمر في المعرفة عن أبي بكر ، هكذا قاله أبو الحسن الشاذلي ، والله تعالى أعلم :

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ ، فَلَا يَسْتَيْقِظُ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعِبْدِكَ فَلَانَ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا » .

والشعار: هو ما يلبى بدن الإنسان من ثوبه وغيره .

وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه مرفوعا :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ طَاهِرًا فَيَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَيَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ » .

وروى مالك وأبو داود والنسائي مرفوعا :

« مَا مِنْ أَمْرِيٍّ يَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِاللَّيْلِ فَيَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلَاتَيْهِ وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهِ صَدَقَةً مِنْ رَبِّهِ » .

وفي رواية لابن ماجه والنسائي باسناد جيد وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَنْ آتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَعَلِبَتَهُ عَيْنُهُ حَتَّى أَصْبَحَ كَتَبَ لَهُ مَا نَوَى ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ » .

وروى الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن البراء بن عازب قال :

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأَ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجْهِي وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوْضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْبَابُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَنجَاً وَلَا مَنجَاً مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسَلْتَ ،

فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ بِخَيْرٍ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ .

وفي رواية للبخارى والترمذى : « فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ خَيْرًا » .

وروى أبو داود واللفظ له والترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم مرفوعا ومتصلا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لنوفل رضى الله عنه :

« أَقْرَأُ قُلُوبَ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ مُنَّمْ نَمَّ عَلَى خَائِمَتِهَا فَأَيُّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشُّرْكِ » .

وروى أبو داود والترمذى والنسائى واللفظ للترمذى :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَرُقُدَ وَيَقُولُ : إِنْ فِيهِنَّ آيَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ » .

قال معاوية بن صالح : وكان بعض أهل العلم يجعلون المسبحات ستا (الحسيد) و (الحشر) و (الحوارين) و (الجمعة) و (التغابن) و (سبح اسم ربك الأعلى) .

وروى البزار ورجاله رجال الصحيح إلا واحدا مرفوعا :

« إِذَا وَضَعْتَ جَنْبَكَ إِلَى الْأَرْضِ يَعْينِ عَلَى الْفِرَاشِ ، وَقَرَأْتَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ، وَقُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْمَوْتَ » .

وروى البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه مرفوعا :

« مَنْ تَعَارَى مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَاسْتَحْمَدُ لِلَّهِ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ مُنَّمٌ صَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ » وقوله تعار: أى استيقظ .

وروى الطبرانى مرفوعا : « مَنْ قَالَ حِينَ يَتَحَرَّكُ مِنَ اللَّيْلِ : بِسْمِ اللَّهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ

وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَفَرْتُ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ عَشْرًا غَيْرَ لَهُ
كُلُّ ذَنْبٍ يَسْتَجْوِبُهُ وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُذْرِكُهُ إِلَّا مِثْلَهَا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نستعد لقيام الليل
بالزهد في الدنيا وشهواتها ، وعدم الشيع من حلالها . ومن هنا صححت المواظبة من
الصالحين على قيام الليل ومهاجرة غيرهم ، وما رأيت عيني من نساء عصرى أكثر مواظبة
على قيام الليل من زوجتى أم عبد الرحمن ، فربما صلت خلننى وهى حبلنى على وجه
الولادة بنصفت القرآن ، وهذا عزيز جدا وقوعه من الرجال على وجه الإخلاص فضلا
عن النساء .

وقد صلى خلننى مرة سلامة السند بصطى ، فقرأت به من أول سورة البقرة إلى سورة
المزمل فى الركعة الأولى فخر نائما ولم يشعر بنفسه ، هذا مع صحة جسمه وقلة تعب
فى النهار ، فرضى الله عن أم عبد الرحمن ما أعلى همتها حيث علت على همة الرجال ، وإنما
جعلنا الزهد فى الدنيا معينا على قيام الليل لما ورد فى الحديث :
« الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْجَسَدَ » .

ومفهومه أن الرغبة فى الدنيا تتعب القلب والجسد ، فإذا دخل الليل نزل الراغب فى
الدنيا إلى الأرض محلولة أعضاؤه فنام كالبيت ، بخلاف الزاهد فى الدنيا ينام وأعضاؤه
مستريحة فيقوم بسرعة ، وإذا نام كأنه مستيقظ فعلم أن من طلب قيام الليل مع ترجيحه
الذهب على الزبل فقد رام المحال ، وإن تكلف ذلك لا يدوم ، وإن دام فهو فى حجاب
لا يكاد يتلذذ بمناجاة الحق ، ولا يذوق لها طعما ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى
شيخ يخرج من حب الدنيا شيئا فشيئا ، حتى لا يبقى له هم دون الله تعالى ولا عائق
يعوقه ، فإن حكم الشيخ فى سلوكه بالمريد وترقيه فى الأعمال حكم من يمر بالمريد على جبال
الفلوس الجدد ، فإذا زهد فيها سلك به على جبال الفضة ، فإذا زهد فيها سلك به حتى يمر
على جبال الذهب ثم الجواهر ، فإذا زهد فيهما مر به إلى حضرة الله تعالى فأوقفه بين
يديه من غير حجاب ، فإذا ذاق ما فيه أهل تلك الحضرة زهد فى نعيم أهل الدنيا والآخرة
وهناك لا يقدم على الوقوف بين يدي الله شيئا أبدا ، وأما بغير شيخ فلا يعرف أحد
يخرج من ورطات الدنيا ، ولو كان من أعلم الناس بالنقول فى سائر العلوم .

فاطلب لك يا أخى شيخا يسلك بك كما ذكرنا ، وإلا فلا تطعم في دوام قيام الليل ، وكيف يتخلص إلى حضرة ربه من سداه ولحمته شهوات ورعونات وعلل وأمراض باطنية في كل عبادة سلكها ، فضلا عن المعاصي ؟ هذا مما لا يكون عادة وتكونه القدرة ، وقد كان سيدى محمد بن عنان رضى الله عنه مع زهده في الدنيا لا بد له من غمز أعضائه كل ليلة ليستريح جسمه ويقوم ليتجهجد بسرعة لأن البدن لا يستغرق في النوم إلا من شدة التعب .

وكان سيدى على الخواص إذا نام يرفع رأسه على موضع عاك ويقول : إن الرأس إذا كان على موضع عال نام كأنه مستيقظ ، وكان أخى أفضل الدين يقرأ كل ليلة سورة الكهف ويقول إنها تخفف النوم اه ، وقد جربت أنا ذلك فوجدت قلبى طول الليل كأنه مستيقظ .

وقد روى الإمام سنيد في تفسيره أن سورة الكهف كانت مكتوبة في لوح يداره مع الحسين بن على في كل بيت يكون فيه من بيوت زوجاته والله تعالى ه
وروى الشيخان وأبو داود والنسائى وابن ماجه مرفوعا :

« يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ، إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ عَلَى لُ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْتُدُّ ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ تَمَّالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدُهُ كُلُّهَا ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ » .

زاد في رواية لابن ماجه : « لَمْ يُصِبْ خَيْرًا ، فَحَلُّوا عُقْدَ الشَّيْطَانِ وَلَوْ بِرَكَعَتَيْنِ » .
وقافية الرأس : مؤخره ومنه سمي آخر بيت الشعر قافية :

وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :
« أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَّضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ » .

وروى الطبرانى بإسناد حسن مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ ،

وَالرَّجُلُ لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ وَفِرَاشٌ لَيْسَ حَسَنٌ فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ يَذُرُ شَهْوَتَهُ وَيَذُكُرُ رَبَّهُ وَلَوْ شَاءَ رَقَدَ .

وفي رواية للإمام أحمد وأبي يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ نَارَ عَنِّ وَطَائِهٍ وَفِرَاشِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحِبِّهِ إِلَى صَلَاتِهِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْظِرُوا إِلَى عَبْدِي نَارَ عَنِّ وَطَائِهٍ وَفِرَاشِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغَبَةً فِيمَا عِنْدِي » الحديث .

وفي رواية للطبراني : « إِنَّ اللَّهَ لَيَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ رَجُلٍ قَامَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مِنْ فِرَاشِهِ وَخَافِهِ وَدِثَارِهِ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَالَيْكَ كِتَابِهِ ، مَا حَمَلَ عَبْدِي هَذَا عَلَى مَا صَنَعَ ؟ فَيَقُولُونَ رَجَاءُ مَا عِنْدَكَ وَشَفَقَةٌ مِمَّا عِنْدَكَ فَيَقُولُ : فَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُهُ مَا رَجَاهُ وَأَمْنْتُهُ مِمَّا يَخَافُهُ » الحديث .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ نَامَ إِلَى الصَّبَاحِ فَذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ » .

قلت : وقد وقع لبعض أصحابنا ذلك فقام والبول سائح من أذنيه على رقبتيه فغسله بحضوري ، وكان يعتقد أن ذلك معنى من المعاني ، فينبغي لمن يؤمن بهذا الحديث إذا نام إلى الصباح أن يغسل أذنيه من بول الشيطان وإن لم يره .

وروى ابن ماجه وللمزمذى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين مرفوعا :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطِيعُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « عَلَيْكُمْ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ وَلَوْ رَكْعَةً » .

وفي رواية له باسناد حسن مرفوعا :

« شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ » .

وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي مرفوعا :

« أَشْرَافُ أُمَّتِي سَحَابَةُ الْقُرْآنِ وَأَصْحَابُ اللَّيْلِ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة نحو حديث :

« عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ مَقْرَبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَمُكَفِّرَةٌ لِسَيِّئَاتِكُمْ ، وَدَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ » . رواه الطبراني .

وسياتى في عهد صيام رمضان حديث أحمد والطبراني والحاكم مرفوعا :

« إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْ يَشْفَعُ فِي حَامِلِهِ ، وَيَقُولُ : يَا رَبِّ شَفِّعْنِي فِيهِ فَإِنِّي مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نقضى أوردنا التي نمنا عنها أو غفلنا في الليل ما بين صلاة الصبح إلى صلاة الظهر ولا تساهل في ترك ذلك ، وهذا العهد لا يعمل به في هذا الزمان إلا القليل من الناس لكثرة غفلتهم عن الله وعن الدار الآخرة ، فيفوت أحدهم الخير العظيم فلا يتأثر له ويقع منه النصف فيتأثر له لكون الدنيا أكبر همه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

واعلم أن أمر الشارع لنا بالقضاء إنما هو تنبيه لنا على مقدار ما فاتنا في الليل ، فإن النهار وقت حجاب ، فإذا حصل الحجاب للإنسان في عبادة النهار عرف مقدار ما فاتته من مناجاة الله تعالى والحضور فيها وقويت داعيته إلى قيام الليل في المستقبل ، وفي الحقيقة ما تم قضاء لأن كل عبادة وقعت إنما هي وظيفة ذلك الوقت بأمر جديد من الشارع ، وذلك الوقت ذهب فارغا فلا يملؤه ما فعل في غيره أبدا ، ومن هنا قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك ، والله تعالى أعلم .

وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على صلاة الضحى لئلا يطول زمن غفلتنا عن الله تعالى ، فإن الشارع صلى الله عليه وسلم أمين على الوحي ، وقد سن لنا صلاة الضحى ربيع النهار لتكون الضحى كصلاة العصر بعد انقضاء وقت الظهر ، وإنما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ارتفاع الشمس كرمح لبيبن لنا

أن وقتها يدخل من ذلك الوقت ، وبعضهم سماها صلاة الإشراق ، ولدى عندي أن الصبح يحصل بصلاة الإشراق ، وأن لها اسمين وليستا بصلاتين ، وذلك كله شفقة علينا حتى لا يطول زمن الغفلة عن الله تعالى من صلاة الصبح إلى الزوال فتقسو قلوبنا حتى تصير لا تحن إلى فعل خير أبدا فافهم .

ومن فوائد المواظبة عليها نفرة الجن عن مصليها ، فلا يكاد جنى يقرب منه إلا احترق . فواظب يا أخي عليها واشكر نبيك الذي سنهالك خوفا عليك من طول زمن القطيعة والهجران ، والله لولا الحضور بين يدي الله في أوقات العبادات لنادت قلوب المشايق وتفتت أكبادهم ، فالحمد لله رب العالمين .

وروى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة قال «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الصبح ، وأن أوتر قبل أن أرقد» قال أبو هريرة رضى الله عنه وهى صلاة الأوابين .

وروى ابن ماجه والترمذى مرفوعا :

« مَنْ حَافِظَ عَلَيَّ شُفَعَتِي الصُّبْحِي غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » .

والشفعة : بضم الشين وقد تفتح هى ركعتا الصبحى .

وروى ابن ماجه والترمذى مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى الصُّبْحِي ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ مِنْ ذَهَبٍ » .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى ورجال أحدهما رجال الصحيح مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ أَكْفَيْتَنِي مَهَارَكَ بِأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ أَكْفَيْتَكَ بَيْنَ آخِرِ يَوْمَيْكَ » .

وروى أبو يعلى مرفوعا : « مَنْ قَامَ إِذَا اسْتَمْتَبَلَتْهُ الشَّمْسُ فِتْوَضًا فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ

مُّمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ ، وَكَانَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

وروى الطبرانى مرفوعا ورواه ثقات :

« مَنْ صَلَّى الصُّبْحِي رَكَعَتَيْنِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ صَلَّى أَرْبَعًا كَتِبَ

مِنَ الْعَابِدِينَ ، وَمَنْ صَلَّى سِتًّا كَفَيْ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَمَنْ صَلَّى سَمَانِيًّا كَتَبَهُ اللَّهُ مِنْ الْقَائِمِينَ ، وَمَنْ صَلَّى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، وَمَا مِنْ يَوْمٍ وَوَلِيَّةٍ إِلَّا لِلَّهِ مَا يَنْبَغِي بِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَمَا مِنْ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُلْهِمَهُ ذِكْرَهُ .

وروى الطبراني مرفوعا وإسناده متقارب :

« إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَطْلَعِهَا كَهَيْئَتِهَا لِصَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَصَلَّى رَجُلٌ رَكْعَتَيْنِ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ ، فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ : وَكَفَّرَ عَنْهُ خَطِيئَتَهُ وَإِثْمَهُ ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ : وَإِنْ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ . »

وروى الطبراني مرفوعا : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ بَابُ الضُّحَى . فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ : أَيُّنَ الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَ صَلَاةَ الضُّحَى هَذَا بَابُكُمْ فَأَدْخُلُوهُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى . »

قلت : وقد رأيت هذا الباب في واقعة ورأيت فيها باب الوتر أيضا مكتوبا عليه باب الوتر فأردت للدخول منه مع الداخلين فمنعني الملك وقال : إنك لم تصل الليلة الوتر فعجزت عنه ولم يمكني أدخل ، فلما استيقظت واظبت على صلاة الوتر ولو ثلاث ركعات وكذلك الضحى ولو ركعتين ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على صلاة التسبيح لما ورد فيها من الفضل ، ويتعين العمل بهذا العهد على كل من غرق في الذنوب وناله في عددها كأمثالنا .

وقد وردت صلاة التسبيح على كيفية أخرى غير المشهورة ، وهي ما رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أم سلمة قالت :

« عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أُقُولُنَّ فِي صَلَاتِي ، فَقَالَ : كَثْرَى اللَّهُ عَشْرًا ، وَسَبَّحِي عَشْرًا ، ثُمَّ صَلَّيْ مَا شِئْتِ ، ثُمَّ سَلِّ مَا شِئْتِ ، تَقُولُ نَعَمْ نَعَمْ . »

فصلاة التسييح على كفيات مختلفة ، ولكن أحصاها ما رواه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه .

قال الحافظ المنذرى : وصححه أيضا الحافظ أبو بكر الأجرى وشيخنا أبو محمد عبد الرحمن المقرئ وشيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسى .

وقال أبو داود : وليس في صلاة التسييح حديث صحيح غيره .

وقال مسلم : ليس في صلاة التسييح حديث أحسن إسنادا منه ، قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب :

« يَا عَمَّاهُ أَلَا أُعْطِيكَ ، أَلَا أَمْنُحُكَ ، أَلَا أَحْبُوكَ ، أَلَا أَفْعَلُ لَكَ عَشْرَ خِصَالٍ ، إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوْلَهُ وَآخِرَهُ وَقَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ وَخَطَأَهُ وَعَمْدَهُ وَصَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ وَسِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ ، وَالْعَشْرُ خِصَالٌ هِيَ : أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ ، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكَعَةٍ فَقُلْ وَأَنْتَ قَائِمٌ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، ثُمَّ تَرَكِعُ فَتَقُولُ وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرَّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا فَتَقُولُ وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ ، تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ففِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ففِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ففِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ففِي عُمْرِكَ مَرَّةً » .

قال الحافظ المنذرى : وقد جاء في رواية الترمذى :

« أَنَّهُ يُسَبِّحُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ ، وَالتَّعْوِذِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، ثُمَّ يَتَعَوَّذُ وَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ وَالسُّورَةَ ، ثُمَّ يُسَبِّحُ عَشْرًا بَعْدَ الْقِرَاءَةِ وَالتَّعْوِذِ ، وَقَبْلَ الرَّكُوعِ وَلَا يُسَبِّحُ فِي جَلْسَةِ الْأَسْتِرَاحَةِ شَيْئًا » ٥١ .

وفي رواية للطبراني بعد التشهد وقبل السلام :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَوْفِيقَ أَهْلِ الْهُدَى ، وَأَعْمَالَ أَهْلِ الْيَقِينِ ، وَمُنَاصِحَةَ أَهْلِ
التَّوْبَةِ ، وَعَزْمَ أَهْلِ الصَّبْرِ ، وَجِدَّ أَهْلِ الْخُشْيَةِ ، وَطَلَبَ أَهْلِ الرَّغْبَةِ ، وَتَعَبُدَ
أَهْلِ الْوَرَعِ ، وَعِزَّ فَانْ أَهْلِ الْعِلْمِ حَتَّى أَخَافَكَ ، اللَّهُمَّ خَافَةَ تَحْجُزُنِي عَنْ مَعْصِيَتِكَ
حَتَّى أَعْمَلَ لِمَا عَمَلَتْ عَمَلًا اسْتَحِقُّ بِهِ رِضَاكَ ، وَحَتَّى أَنْصَحَكَ بِالتَّوْبَةِ خَوْفًا مِنْكَ ،
وَحَتَّى أُخْلِصَ لَكَ النَّصِيحَةَ حَيَاءً مِنْكَ ، وَحَتَّى أَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ فِي الْأُمُورِ حُسْنِ
ظَنِّ بِكَ ، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ » ثم يسلم .

قال المنذرى : وقد وقع في صلاة التسبيح كلام طويل وفيما ذكرناه كفاية اه .

قال البيهقي : وفعلمها عبد الله بن المبارك ، وتناولها الصالحون بعضهم من بعض ، قال
ابن المبارك : وإذا صلاها ليلا فالأحب له أن يصلي ويسلم من كل ركعتين ، وإن صلاها
نهارا فإن شاء سلم وإن شاء لم يسلم ، قال ويبدأ في الركوع « بسبحان رب العظيم » ثلاثا وفي
السجود بـ « سبحان رب الأعلى » ثلاثا ، ثم يسبح التسبيحات المذكورة فقليل لعبد الله بن المبارك
سها فيها هل يسبح في سجدة السهو عشرا عشرا ، قال لا إنما هي ثلاثمائة تسبيحة .

واعلم يا أخي أن ما ذكرته لك من الأدلة هو الذي ذكره الحافظ المنذرى وهو أصح
ما ورد وقد اضطرب كلام النووي في أدلتها لعيبه كتاب الترغيب والترهيب عنه ، فإن
الكتاب لم يشتهر إلا أيام الحافظ ابن حجر وجده في تركة إنسان مسودا فيبيضه وأبرزه
للناس ، ولو أن النووي كان رآه لثقل ذلك عن المنذرى لسكونه من الائمة الحفاظ ،
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على صلاة
التوبة كلما نذنب ذنبا وإن تكرر ذلك الذنب في كل يوم سبعين مرة أو أكثر ، وذلك
لأن التنصل من الذنوب مقدم على كل طاعة كالوضوء للصلاة ، وقد واطبت على هذه
الصلاة أول بلوغى مدة سنتين حتى كنت أعد ذنوبي عندي في دفتر فلما كثرت ذنوبي
وزادت عن الحصر عجزت عن الصلاة عند كل ذنب ، فإيا سعادة من مات من المذنبين
صغيرا وياشقاوة من طال عمره منهم .

واعلم أنه تعالى وإن كان :

(يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) .

يعنى المتطهرين بالتوبة أو بالماء أو بالتراب ، فهو لمن لم يتب لعدم ذنبه أحب إليه تعالى كالأنبياء والملائكة ، لأنهم ليس لهم ذنوب حقيقة يتوبون منها ، وما قال الله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) .

إلا جبرا لخلل من نفذت فيه الأقدار وتكررت عليه المعاصي ، وطلب الإقالة منهم فلم يقل كما أشعر به : قوله التوابين : أى من تكرر منهم التوبة بتكرار الذنب فافهم : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إنما كان صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنِّي لَأَتُوبُ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ كَذًا وَكَذَا مَرَّةً » .

تشريعا لأتمه ليستسوا به ، ولأفاعةمناذنا أنه صلى الله عليه وسلم لا ذنب له في نفس الأمر ، إنما هو ذنب تقديرى . ولا يخفى أن للتوبة من جملة المقامات المستصحية للعبد إلى الممات لقوله تعالى :

(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

فلا يستغنى عنها مؤمن ، ولو ارتفعت درجته حتى يدخل الجنة فتنقضى حضرة اسمه تعالى التواب لزوال التكليف ، وقد يكون إحكام التواب في الجنة كحكمه قبل وجود التكليف ، فيكون توابا بالقوة لا بالفعل حقيقة .

واعلم أن من فضائل الصلاة أن العبد إذا وقف بين يدى الله عز وجل نادما مستغفرا لا يرده الله إلا مقبول التوبة التى هى الرجوع إلى كشف الحجاب بعد أن كان محجوبا حتى وقع فى الذنب ، فإذا رفع حجابيه وجد الله تعالى فاعلا دون العبد إلا بقدر نسبة التكليف فقط ، وهناك يخف ندمه ضرورة قهرا عليه ، ولو أراد أن يندم كما كان فى حال الحجاب لا يصح له وثم مقام رفيع ومقام أرفع ، ولولا أن فى شدة الندم تعظيم أوامر الله تعالى وتعظيم الوقوع فى المخالفات لكانت شدة الندم إلى الشرك أقرب ، وذلك لأنه يؤذن بترجيح كونه فاعلا دون الحق ، فمن رحمة الله تعالى بالعبد أن حبسه فى مقام شركة نفسه مع الله تعالى فى الفعل حتى يحكم ذلك المقام قبل أن ينقله إلى مافوقه .

فإن قيل : إن الأكابر من الأنبياء بكوا حتى نبت العشب من دموعهم . ويكى آدم حتى صارت دموعه بركة ماء يشرب منها الدواب والهوام نحو ثمانين سنة كما ورد ، وهؤلاء لا يتصور فى حقهم أنهم يرون شركة نفوسهم فى الفعل مع الله تعالى إلا بقدر

نسبة الفعل إليهم لأجل التكليف ، وذلك القدر ضعيف جدا لا يكون لأجله الدم ولا الدموع الكثيرة ، وهذا الأمر هو بالأصالة للأنبياء ، لأن النبوة تأخذ بدايتها من بعد منتهى الولاية .

فالجواب : إن بكاء كل داع إلى الله تعالى إنما هو تشریح لقومه ، فيجری الله تعالى عليه صورة الندم حتى لا يسأل يوم القيامة عن تفريطه في شيء من أحوال قومه التي كلفه الله تعالى بيانها لهم ، ولا عن بيان كيفية خروجهم من ذنوبهم إذا وقعوا فيها ، ويحتمل أن يكون بكاء الأكابر من باب الفتوة على قومهم فحملوا عنهم ببكائهم ذلك البكاء الذي كانوا مأمورين به بعد وقوعهم في الذنوب ، فكانت تلك البركة التي نشأت من بكاء آدم عليه السلام هي دموع بنيه التي كانت متفرقة فيهم ودفعها عنهم ، وهذا ما ظهر لي في هذا الوقت من الجواب عن الأكابر ، فعلم أن أحدا لا يستغني عن الاستغفار سواء كشف له الحجاب أو لم يكشف فانه إن شهد له مدخلا في شركة الفعل فالواجب عليه سؤال المغفرة ، وإن لم يشهد له مدخلا فيه ، فالواجب عليه أيضا سؤال المغفرة قياما بواجب نسبة التكليف إليه كما قال أبونا آدم عليه الصلاة والسلام مع معرفته بما الأمر عليه من القضاء المبرم الذي لا مرد له :

(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

فلا يخلو حال المستغفر من أحد أمرين : إما تحقيق الذنب ، وإما التشریح ويكون ندمه صورة ، فتأمل ذلك وحرره ، والله يتولى هداك .

وروى الترمذی ، وقال حديث حسن ، وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَا مِنْ رَجُلٍ يَذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ، ثُمَّ يُصَلِّي ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) « الآية .

وفي رواية للبيهقي وابن حبان : « ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ » .

وكذلك ذكر ابن ماجه في صحيحه الركعتين لسنن بغير إسناد .

وفي رواية البيهقي مرسلا : « مَا أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا ثُمَّ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى تَرَاوِي مِنَ الْأَرْضِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ وَأَسْتَغْفَرَ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ لَهُ » .

والبراز : هو الأرض الفضاء ومثلها كل موضع خال من الناس لاسما المكان المعظم والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصلى صلاة الحاجة لإظهارها للفاقة والحاجة ، كالهديّة التي يرسلها الإنسان لمن له عنده حاجة قبل أن يجتمع به : وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : ينبغي فعل صلاة التسبيح قبل صلاة الحاجة لما ورد من أنها تكفر الذنوب كلها وذلك من أكبر أسباب قضاء الحاجة ، فإن تأخير قضاء الحوائج إنما يكون بسبب الذنوب في الغالب اه .

وسمعه يقول أيضا : ينبغي شدة الحضور في أذكار السجدة الأخيرة من صلاة الحاجة التي يسلم بعدها ، وعلامة الحضور أن يحس أن مفاصله كادت تنقطع وعظمه كاد يذوب من هيبة الله تعالى ، وهناك ترجى الإجابة . وإيضاح ذلك أن قراءة القرآن على الله تعالى في السجود لا يطيقها أحد لكون العبد في أقرب ما يكون من الله تعالى كما ورد اه .

وكانت عائشة رضی الله عنها تقول : مفتاح قضاء الحاجة الهدية بين يديها ، هذا في حكم معاملة الخلق مع بعضهم بعضا :

(وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) .

وجميع ما يقدمونه له هدية هو من خزائنه ، فكأن العبد نقل تلك الهدية من بين يدي الله تعالى إلى بين يدي الله ، قال تعالى :

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ) .

فكانت صلاة الحاجة من العبد لإظهار عبودية لا غير سواء كان مشاهدا لكونها من فضل الله حال إهدائها أو غافلا عن هذا المشهد كحال العوام .

وقد سمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول مرة : ليس للعبد أن يشهد له ملكا شئ مما أعطاه الحق تعالى له إلا على وجه النسبة فقط لئبني عليه الشكر وإلا فحقيقة العطاء أن ينقل ذلك الشئ من ملك المعطى إلى ملك المعطى ، وذلك محال في جانب الحق .

وسمعه أيضا يقول : لقاتل أن يقول إن الحق تعالى لم يعط أحدا شيئا حقيقة إنما ذلك استخلاف لينة فقه على المحتاجين إليه بطريقه الشرعي كالوكيل ، قال : ومن هنا لم يفرح أحد من أهل الله تعالى بشئ من أمور الدنيا والآخرة وتساوى عندهم نسبة ذلك إليهم وسلبه عنهم على حد سواء لأن أحدا منهم لا يشهد له ملكا مع الله تعالى في الدارين ، وهذا

أمر لاتذوقه يأخى إلا بالسلوك على يد شيخ ناصح ، فإن أردت العمل بذلك المشهود النفيس فاطلب لك شيخا يرشدك إليه وإلا فلا سبيل لك إلى ذلك ولو عبدت الله تعالى بعبادة التفلين .

ومن هنا افترى السالكون والعابدون ، فرمما مكث العابد يعبد ربه على علة خمسمائة سنة . والسالك يخرج عن العلة من أول قدم يضعه في الطريق ، لأن بداية الطريق التوحيد لله تعالى في الملك ثم الفعل ثم الوجود والعابد لا يذوق لهذه الثلاثة مقامات طعاما ، كما أشار إليه خبر الطبراني وغيره مرفوعا :

« أَنْ عَابِدًا عَابَدَ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ خَمْسِمِائَةَ سَنَةً ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ بَلْ بَعَمَلِي فَيَكْرُرُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُوَ يَقُولُ يَا رَبِّ بَلْ بَعَمَلِي . »

وهذه المقالة لوقالها المرید لشيخه في أول بدايته لعبيت عليه فو الله لقد فاز من كان له شيخ وخسر من لم يتخذ له شيخا أو اتخذه ولم يسمع لنصحه كما عليه غالب المریدين في هذا الزمان .

واعلم أن من شروط إجابة الدعاء كون العبد ليس عليه ذنب ، فمن سأل الله تعالى في حاجة وعليه ذنب واحد لم يتب منه فهو إلى الرد أقرب .

وكان سيدي على البحيري رحمه الله لا يسأله أحد الدعاء إلا قال : قواوا كلكم ، أستغفر الله العظيم ، الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه من كل ذنب ، ثم يدعو ويقول : يا أولادى كيف يطلب العبد من ربه حاجة وهو قد أغضب ربه بالمعصية ، وإذا تاب منها ربما أوجب دعاؤه ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك .

وروى الترمذى وقال حديث حسن واللفظ له وابن ماجه باسناد ضعيف مرفوعا :

« مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى اللَّهِ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنِ الوُضُوءَ وَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ لِيُنِزِلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ لِيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْعَنِيمَةَ

مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لَا تَدْعُ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَجْتَهُ ،
وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وروى الترمذى وقال حديث حسن والنسائى واللفظ له وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين :

« أَنْ أَعْتَمَى أَنْى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصْرِي ، قَالَ أَوْ ادْعُكَ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ قَدْ شَقَّ عَلَىَّ ذَهَابُ بَصْرِي ، قَالَ : فَأَنْطَلِقُ فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ صَلِّ رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِىِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّى أَتَوَجَّهُ إِلَى رَبِّى بِكَ أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصْرِي ، اللَّهُمَّ شَفِّعْنِي فِيَّ وَشَفِّعْنِي فِي نَفْسِي . »

قال عثمان بن حنيف : فرجع وقد كشفت الله تعالى عن بصره .

وفى رواية للطبرانى فقال : عثمان بن حنيف ، فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط .

وروى الحاكم مرفوعا : « اثنتا عشرة رُكْعَةً تُصَلِّيَنَّ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ وَتَشْهَدُ بَيْنَ كُلِّ رُكْعَتَيْنِ ، فَإِذَا تَشْهَدْتَ فِي آخِرِ صَلَاتِكَ فَأَنْتِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقْرَأْ وَأَنْتِ سَاجِدَةٌ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِمَعَاوِدِ الْعِزِّ مِنْ عَرَشِكَ ، وَمِنْ مَنَى الرَّحْمَةِ مِنْ كِتَابِكَ ، وَأَسْمِكَ الْأَعْظَمِ ، وَجَدِّكَ الْأَعْلَى ، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ ، ثُمَّ سَلِّ حَاجَتَكَ ، ثُمَّ أَرْفَعْ رَأْسَكَ ، ثُمَّ سَلِّ يَمِينًا وَشِمَالًا وَلَا تَعَلَّمُوهَا الشُّهَاءَ فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ بِهَا فَيُجَابُونَ . »

قال أحمد بن حرب قد جربته فوجدته حقا :

وقال إبراهيم بن على الدبلى قد جربته فوجدته حقا .

وقال الحاكم قال لنا أبو زكريا : وقد جربته فوجدته حقا : قال الحافظ المنذرى : والاعتماد

فى مثل هذا على التجربة لا على الاسناد ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نستعد لنفهم إشارات الحق تعالى بتلطيف الكنائف حتى نحس إذا استخرنا ربنا بما هو الأولى لنا من فعل ذلك الأمر أو تركه فإن من كان غليظ الحجاب لا يحس بشيء من ذلك ، ولهذا نقول له استخر ربك فيقول قد استخرته فلم يرجح عندي أمر ولو أنه كان رقيق الحجاب لأدرك ما فيه الخيرة له من فعل أو ترك ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حتى يمزق حجب عوائده ، ولا يصير له عن الله عائق بل يفهم مراد الحق تعالى بأول وهلة ، وهذا أمر عزيز الوجود ولذلك عول غالب الناس على استشارة بعضهم بعضا لاسيما إشارة الفقراء ، ولكن يحتاج أيضا إلى تلطيف حجاب حتى يعرف طريق الخيرة لذلك العبد من طريق كشفه وإلا فإشارته معكوسة ، وربما أشار على أحد بأمر فكان فيه هلاكه فيكون على المشير الإثم في ذلك مثل من يقى في دين الله بغير علم .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحم الله يقول : لا ينبغي لأحد أن يشير على أحد بشيء إلا إن كان مطمح نظره اللوح المحفوظ الذى لا تبدل فيه فإن لم يكن مطمح نظره ما ذكر فليقل له استخر ربك :

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : الإستشارة بمنزلة تنبيه النائم ، فترى الإنسان يكون جازما بفعل شيء فيشاور فيه بعض إخوانه فيقول له إن فعلت كذا حصل لك كذا ، فينجل عزمه عنه في الحال ، فلو قال له إنسان بعد ذلك افعل كذا لا يرجع إلى قوله .

وسمعت أيضا يقول : لا تستشر بحب الدنيا في شيء من أمور الآخرة فإن تدبيره ناقص لحجابه بالدنيا عن الآخرة ، ولا تستشر أيضا بحب نعيم الآخرة من الزهاد والعباد في شيء من الأمور المتعلقة بالأدب مع الحق تعالى فإنه محبوب بذلك عن الحق وعن حضرته الخاصة واستشر كمل العارفين بالله في أمور الدنيا والآخرة فإنهم قطعوا المرتبتين ووصلوا لحضرة الحق وعرفوا آدابها ودرجات أهلها في الأدب ، وفي المثل السائر : استعينا على كل حرفة بصالح من أهلها فتأمل ذلك واعمل عليه :

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لمن كان مشغوبا بحب الدنيا أن يفعل شيئا برأيه ولا باستخارته بل يسأل أهل الخير عن ذلك ويفعل ما يشتركون به عليه ، ولو كان من أكابر ملوك الدنيا ، فإن صحة الرأى إنما تكون لمن زهد في الدنيا

وشهواتها والولاية غارقون في محبة الدنيا مع زيادة السكر الحاصل لهم من لذة الأمر والنهي والحكم ، ولذلك طلب الملوك العادلون أن يكون لهم وزراء ، لأن رأى الوزير ربما كان أكمل وأتم من الملوك لسكون الوزير أنقص حكما وتصريفا منهم ، فلذلك قل سكره ، وقال العارفون لا يعرف الشئ إلا من زهد فيه ، وفي الحديث :

« حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ » .

ولولا ظهور عيب الدنيا للزاهد لزال ما زهد فيها .

فأعمل بأخى على جلاء مرآتك بإشارة شيخ مرشد إن أردت أن تعرف مراد الحق وطريق الخيرة فيما تفعله في المستقبل ، وإماما وورثى صلى الله عليه وسلم أصحابه امثالا لأمر الله تعالى بقوله :

(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) .

وإلا فهو صلى الله عليه وسلم أتم خلق الله تعالى رأيا وأوسعهم علما وعقلا ، فكانت مشاورته لهم تمهيدا لخاطرهم لاعمالا بشارتهم ، من غير أن يظهر له صلى الله عليه وسلم وجه الحق في ذلك ولذلك قال تعالى له :

(فَإِذَا عَزَمْتَ) يعنى على فعل ما أشاروا عليك به : (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)

لا على مشورتهم ، على أنه لا يقدح في كما له صلى الله عليه وسلم عدم التفاته إلى أمور الدنيا كما قال في معشلة تأبير النخل :

« أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ » .

يعنى التى لاوحى عندى من الله تعالى فيها ، فافهم .

قال بعض العارفين : ولم يمت صلى الله عليه وسلم حتى صار أعلم الناس بأموال الدنيا اه . فشاوِر في جميع الأمور التى تحبها نفسك من يكون زاهدا فيها من العارفين لامن المتعبدين فإن المتعبد ربما نفرت نفسه من الأشياء بحكم الطبع ونفر غيره عنها كذلك ولو كان فيها مصلحة له كما يقع فيه كثير ممن ترك الكسب واشتغل بالعبادة وقنع بما يتصدق للناس به عليه فتراه يأمر الناس كلهم بترك الأسباب والكسب كذلك ويقول لهم ، ربكم يرزقكم وغاب عنه أن اعتماد مثله على الخلق لا على الله تعالى ، ولو أن هذا الشخص

شاور عارفا فقال له عليك بالكسب واعتمد على الله لا على الكسب ، وأعتق نفسك من تحمل من الخلائق :

بل قال بعض مشايخ العرب لما ظن أنه متوكل أنا ما ولاني أحد من الفقراء هذه الوظيفة ، وإنما ولاني الله تعالى ، فقال له شخص من قرناء السوء أنت والله من الأولياء فقلت له ، لا يكون من الأولياء إلا إن صرح بهذا القول بين يدي الباشا الذي ولاه وقال له في وجهه أو قال لمن يبلغه ليس لك على جميل أو ليس للباشا على جميل وما ولاني إلا الله ، فقال متى قلت ذلك ، عزلني وسلب نعمتي قلت : فإذا قولك إنك معتمد على الله تعالى دون الخلق افتراء على الله تعالى وازدراء بطائفة النعماء لا غير .

قلت : وقد رأيت بعض الأكابر من العارفين يشهد الله تعالى كل يوم في جميع ما يتحرك فيه أو يسكن ، ويقول اللهم إن كنت تعلم أن جميع حركاتي وسكناتي في هذا اليوم خير لي فاقدرها لي ويسرها لي وإن كنت تعلم أنها شر لي فاصرفها عني واصرفني عنها وقال من واطب على ذلك كان في أمان من الله تعالى أن يمكر به اه .

قال البيهقي ويعيد صلاة الاستخارة والدعاء ثانيا وثالثا أو أكثر ، حتى ينشرح صدره لشيء اه :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

روى الإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم مرفوعا :

« مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وزاد في رواية الحاكم : « وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرَكَهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وروى الترمذي مرفوعا بلفظ : « مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ كَثْرَةُ اسْتِخَارَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى

وَرِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرَكَهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَسَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ » .

وروى البخارى وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جابر بن عبد الله قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن فيقول :

« إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَايِشِي وَهَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَأَقْدِرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَايِشِي وَهَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَأَصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَقَدِّرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ ، قَالَ : وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ « وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(أَخَذَ عَلَيْنَا الْعَهْدَ الْعَامَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ نَوَاطِبَ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى حُضُورِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِحَيْثُ نَصَلِيَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهَا قَبْلَ صُعُودِ الْإِمَامِ الْمُنْبَرِ اهْتِمَامًا بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا بِقَوْلِهِ :

(إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) .

يعني والشراء ولو كنتم محتاجين إلى ذلك إلا أن تبلغوا مرتبة الاضطرار .

وسمعت سيدي عليا الخواص يقول . يدخل الناس الجنة على حسب سرعة مبادرتهم لحضور الجمعة وحسب بظنهم ، فمن حضر المسجد أولا دخل الجنة أولا ومن حضر ثانيا دخل الجنة بعده وهكذا وهكذا ويقاس الجمعة في ذلك المسارعة لسكل خير والله أعلم : وهذا العهد قد صار غالب الناس يخل به فلا يكادون يحضرون إلا بعد أن يصعد الإمام المنبر ، وبعضهم يفوته سماع الخطبتين ، وبعضهم يفوته الركعة الأولى ، وبعضهم يفوته ركوع الثانية ويصلها ظهرا ، وكل ذلك أصله قلة الاهتمام بالدين ، ولو أنه وعد بدينار إن حضر قبل الوقت لترك كل عائق دون ذلك وربما كان تخلف بعضهم للهو واللعب والوقوف على حلق الخطبين والمسخرة ، وربما كان تخلفه حتى عمم عمامة تعجبه فصار يهدمها ويبنها حتى فرغ الخطيب ، بل رأيت من شرع في تميمها من طلوع الشمس فلم يزل يهدمها ويبنها حتى صلوا من الجمعة ركعة ، وذلك ربما يكون معدودا من الجنون نسأل الله اللطيف .

وكان سيدي محمد بن عنان يستعد لحضور الجمعة من عصر يوم الخميس فلا يزال

مراقبا لله تعالى حتى يحضر المسجد ، ولا سكل مقام رجال :

(وَاللَّهُ شَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مالك والشيخان وغيرهما مرفوعا :

« مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ مُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقْرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ » .

وفي رواية : « لُهَمَّا مِثْلُ الْمَهْجَرِ » .

وفي رواية للبخارى : « الْمُسْتَعِجِلُ لِلْجُمُعَةِ كَأَلْمُهْدِي بَدَنَةً » الحديث .

وفي رواية للإمام أحمد مرفوعا :

« تَقْعُدُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ فَيَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثَ حَتَّى إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ رُفِعَتِ الصُّحُفُ » .

وروى الطبراني والأصبهاني وغيرهما مرفوعا .

« إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَتَأَخَّرُ عَنِ الْجُمُعَةِ ، فَيُؤَخَّرُ عَنِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِهَا » .

والأحاديث في ترقيب درجات الداهيين إلى الجمعة كثيرة .

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه مرفوعا :

« مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَمَنْ مَسَّ الْخَصْيَ فَقَدْ لَفَا » .

ومعنى لفي خلى من الأجر وقيل أخطأ وقيل صارت جمعته ظهرا وقيل غير ذلك قاله الحافظ المنذرى .

وروى البخارى والترمذي عن يزيد بن أبي مریم قال : لحقنى عبادة بن رفاعه

ابن رافع ، وأنا أمشى إلى الجمعة فقال أبشر . فإن خطاك هذه في سبيل الله ، قال فلانى

سمعت أبا عيسى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنِ اغْتَبَرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهَمَّا حَرَامٌ عَلَى النَّارِ » .

وفي رواية للبخاري . « حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ » .

وروى الإمام أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طَيِّبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ ، وَلَيْسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ مَا بَدَأَ لَهُ وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يُصَلَّى كَانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْآخِرَى » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه مرفوعا :

« مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ وَبَسَّكَرَ وَابْتَسَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَذَنَا مِنْ الْإِمَامِ وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةِ أَجْرِ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا » .

وفي رواية الطبراني : « كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عِشْرُونَ حَسَنَةً ، فَإِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ أُجِيزَ بِعَمَلِ مَائَتِي سَنَةٍ » .

قال الخطابي رحمه الله ، قوله « غسل واغتسل وبكر وابتكر » اختلفت الناس في معناه فذهب من ذهب إلى أنه من الكلام المتظاهر الذي يراد به التوكيد ولفظه مختلفت ومعناه واحد ، ألا تراه يقول في هذا الحديث ، ومشى ولم يركب ، ومعناها واحد وإلى هذا ذهب الأثرم صاحب أحمد ، وقال بعضهم ، معنى غسل غسل الرأس خاصة وذلك لأن للعرب لهم لهم وشعور وفي غسلها مؤنة ، فأراد غسل الرأس من أجل ذلك وإلى هذا ذهب مكحول وقوله : واغتسل معناه غسل سائر الجسد ، وذهب بعضهم إلى أن معنى « غسل » أصاب أهله قبل خروجه إلى الجمعة ليكون أملك لنفسه وأحفظ في طريقة لبصره ، ومعنى « بكر » أدرك باكورة الخطبة وهي أولها ، ومعنى « وابتكر » قدم في الوقت وقيل معنى بكر تصدق قبل خروجه ، قاله ابن الأنباري وتأول في ذلك ماروي في الحديث من قوله :

« يَا كِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبِلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا » .

وقال أبو بكر بن خزيمة من قال في الخبز غسل واغتسل يعنى بالتشديد فمعناه جامع

فأوجب الغسل على زوجته أو أمته واغتسل، ومن قال غسل يعني بالتخفيف أراد غسل رأسه واغتسل فغسل سائر الجسد كما في الحديث الصحيح مرفوعا :

« اغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَاغْسِلُوا رُؤُوسَكُمْ ، وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا جُنُبًا »

الحديث والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نستعد لساعة الإجابة التي في يوم الجمعة ونقل الأكل والشرب ، ونمنع اللهو واللغو والغفلة والذي أعطاه الكشف أن الساعة نحو خمس درج ، فينبغي أن لا يغفل العبد إلا مقدار نحو درجتين ليبقى له من الساعة نحو ثلاث درج للدعاء والتوجه إلى الله تعالى ، وهذه الساعة مبهمة في اليوم كليلة القدر في ليالي رمضان ، وتنتقل بيقين كما يؤيده الأحاديث والأخبار التي تأتي آخر العهد وكما أعطاه الكشف ، فتارة تكون في بكرة النهار وتارة تكون في آخر النهار ، وتارة تكون بعد الزوال إلى أن تنقضي الصلاة وهو الأغلب .

وبالجملة أهل الحجاب ، ومحبة الدنيا في غفلة عن مثل هذا المشهد ، لاسيما طائفة المجادلين ، ومن يعبد الله على جهل ، وإنما خصصنا معظم الخير الذي يرجى في ساعة الإجابة بمن يشعر بها تحصيلًا للقيام بأداب العبودية الظاهرة ، وإلا فقد ورد :

« مَنْ أَشْغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ » .

فافهم ، وإن كان ولا بد لك من الاشتغال بذكر أو قرآن فينبغي ذلك بحضور مع الله تعالى ، لا كما عليه الطائفة الذين يعبدون الله وقلوبهم غافل عن الله تعالى فيفوتهم الحضور الذي هو قوت الأرواح ، وربما اشتغل أحدهم بالقرآن أو الذكر ومرت عليه الساعة ولم يشعر بها .

فاعمل يا أخي على جلاء مرآت قلبك لتدرك ساعة الإجابة التي لا يرد فيها سائل لوسع الكرم الإلهي فيها ، ولا تطلب معرفتها بلا جلاء فإن ذلك لا يكون وكم من نفحات للحق في الليل والنهار والناس في غفلة عنها :

وقد أخبرني شيخنا عن الشيخ أحمد بن المؤذن بناحية منية أبي عبد الله أنه جلس مراقبا لله تعالى مدة أربعين سنة لا يضع جنبه الأرض ، وكان أولياء عصره يقولون ، ماترك هذا قطرة مدد تنزل من السماء في ليل أو نهار إلا وله فيها حظ ونصيب .

وأخبرني سيدي علي الخواص ، أن سيدي عيسى بن نجم خفير بحر البرلس ، مكث مراقبا لله تعالى بوضوء واحد مدة سبع عشرة سنة ، فلم تنزل قطرة مدد من السماء إلا وله فيها نصيب ، فإن لم تستطع بالأحى دوام المراقبة كالقوم فواظب على الساعات التي ورد فيها التجلي الخاص والله يتولى هداك .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما مرفوعا :

« أَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمٍ الْأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ مَا سَأَلَ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا » .

وفي رواية لابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« إِنَّ فِيهِ يَعْني يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا مُؤْمِنٌ يُصَلِّي بِسَأَلِ اللَّهِ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ » الحديث .

وروى أبو يعلى وغيره مرفوعا : « أَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً ، لَيْسَ فِيهَا سَاعَةٌ إِلَّا وَرَدَّ اللَّهُ فِيهَا سِتِّمِائَةَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ » .
زاد في رواية : « كُلُّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ » .

رواه البيهقي مختصرا بلفظ : « لِلَّهِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ سِتِّمِائَةَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ » .
وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال :
« فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي بِسَأَلِ اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ يَقُولُهَا » .

وفي رواية للترمذي وابن ماجه :

« قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ آيَةُ سَاعَةِ هِيَ؟ قَالَ حِينَ تُقَامُ الصَّلَاةُ ، إِلَى الْإِنصِرَافِ مِنْهَا » .

وفي رواية للترمذي والطبراني مرفوعا :

« التَّمَسُّوا السَّاعَةَ الَّتِي تُرْجَى فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ » .

وفى رواية لابن ماجه على شرط الشيخين :

« هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ : إِنَّهَا لَيْسَتْ سَاعَةً صَلَاةٍ ؟ »
قَالَ بَلَى ، إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى ثُمَّ جَلَسَ لَمْ يَجْبِسْهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ . »
وفى رواية للإمام أحمد مرفوعا :

« بَعْدَ ذِكْرِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَفِي آخِرِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنْهَا سَاعَةٌ مِنْ دَعَا اللَّهِ فِيهَا اسْتُجِيبَ لَهُ » .

وروى الأصبهاني مرفوعا : « السَّاعَةُ الَّتِي يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، أَغْفَلَ مَا يَكُونُ النَّاسُ » .
قال الإمام أحمد : وأكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها لإجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر ، وقال : وترجى بعد الزوال .

وقال ابن المنذر : روينا عن أبي هريرة أنه قال : هي من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ومن بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس .
وقال الحسن البصرى وأبو العالية : هي عند زوال الشمس .
وعن عائشة أنها من حين يؤذن المؤذن لصلاة الجمعة .
وفى رواية عن الحسن ، أنه قال : هي إذا قعد الإمام على المنبر حتى يفرغ .
وقال أبو بردة : هي الساعة التي اختار الله فيها الصلاة .
وبالجملة فالأقوال في ذلك كثيرة ولا يعرف الساعة حقيقة إلا أهل الكشفت ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على غسل الجمعة صيفا وشتاء ، ولا نتركه إلا لعذر شرعى ، وفى ذلك من الأسرار ما لا يذكر إلا مشافهة .

وكان الإمام الشافعى يقول : ما تركت غسل الجمعة في شتاء ولا صيف ، ولا سفر ولا حضر ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس ، حتى بعض الفقراء وطلبة العلم ، فقراهم نتساهلون به ويستثقلونه إما كسلا أو لعدم سماحة نفوسهم بفلوس الحمام .
ومن الحكمة الظاهرة في الغسل انتعاش الأعضاء بالماء حتى يصير بدنه كله حيا

فيناجى الله بكل عضو فيه ، ولذلك أمرنا الشارع بالغسل قبل الذهاب إلى الجمعة لنصلى على أثر الغسل ، ولو أمرنا بالغسل أول ليلة الجمعة ربما تخلل ذلك معصية أو غفلة فيموت البدن ، وإذا مات فما بقى يناجى ربه ويتضرع إليه على الوجه المطلوب من العبد ، فتأمل ذلك ، والله تعالى أعلم .

وروى الطبراني وغيره مرفوعا : « مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَفَّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا ورواه ثقات :

« إِنَّ الْغُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَيَسُّهُ الْخَطَايَا مِنْ أَصُولِ الشَّعْرِ اسْتِثْلَالًا » .

وروى ابن خزيمة في صحيحه والطبراني مرفوعا :

« مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَانَ فِي طَهَارَةٍ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخِرَى » .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه :

« مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَمْ يَزَلْ طَاهِرًا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ » .

وروى مسلم وغيره مرفوعا : « غُسْلُ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ » .

وروى ابن ماجه باسناد حسن :

« إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ جَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ ،

وَإِنْ كَانَ طَيْبٌ فَلْيَمْسَ مِنْهُ ، وَعَلَيْكُمْ بِالسُّوَالِكِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصت لسماح الخطيب حتى لا يموتنا سماع شيء من الوعظ الذي يمكننا سماعه ، وأن نأخذ كل كلام سمعناه من الواعظ في حق أنفسنا كما نأخذه في حق غيرنا ، وهذا العهد قد أكثر الناس الإخلال به حتى بعض فقهاء هذا الزمان وطلبة العلم يتلاهون عن سماع كلام الخطيب ، وإن سمعوا ذلك أخذوه في حق غيرهم من الظلمة وأعوانهم دون أنفسهم ، وغاب عنهم أنهم ظلموا أنفسهم بالوقوع في المعاصي المتعلقة بالله وبخلقه ، وما أحد منهم سلم منها ؛ بل بعضهم يرى نفسه على الخطيب وأنه لا يحتاج إلى سماع وعظه ؛ ويقول : جميع ما قاله الخطيب معروف ، وبعضهم يقول : الإنصات سنة ويؤدي إلى حرام وذلك أننا نسمع منه الوعظ ولا نعمل به ، وهذا جهل عظيم من هذا القائل ، ولو فتح هذا الباب لأدى إلى كراهة سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لسكون الناس عاجزين عن العمل بذلك على التمام ، ولا قائل بذلك .

فاخضع يا أخی لله تعالى واسمع الوعظ من الخطيب ، فإنه على لسان الحق لا بما إن
خاطبك بنحو قوله :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ) (أَوْ) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا
وَرَابِطُوا) .

فانك المخاطب بذلك قطعا من الحق على لسان ذلك الخطيب ، ولو كشف الله لغالب
الخلق لراوا في نفوسهم جميع الذنوب والقبايح إما فعلا وإما قولا وصلاحية ، ولكنهم
قد صاروا في غمرة ودعوى ومقت حتى لا يكاد أحد منهم يتعظ بوعظ. واعظ فلا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وروى أبو داود وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طَيْبٍ امْرَأَتُهُ إِنْ كَانَ لَهَا وَلَبَسَ مِنْ
صَالِحِ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ ، وَلَمْ يَلْغُ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ كَانَ كَفَّارَةً
لِمَا بَيْنَهُمَا » .

وروى أيضا مرفوعا : « يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ : فَرَجُلٌ حَضَرَهَا يَلْغُو فذلِكَ
حُظُّهُ مِنْهَا . وَرَجُلٌ حَضَرَهَا يَدْعُو اللَّهَ فذلِكَ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنْ شَاءَ قَبِلَهُ وَإِنْ شَاءَ رَدَّهُ .
وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِإِنْصَاتٍ وَسُكُوتٍ وَلَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَةَ مُسْلِمٍ ، وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا فَهِيَ
كَفَّارَةٌ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا وَزِيَادَةٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَذلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : مَنْ جَاءَ
بِالْحُسْنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على قراءة صورة
الكهف ليلة الجمعة ويومها ، وكذلك نواظب على قراءة آل عمران ، ويس وحم الدخان
اهتماما بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لنا بذلك ، سواء أعتقنا سر تخصيص هذه السور بليلة
الجمعة أم لم نعقل ذلك ، ولو أن العقول تحمل سر ذلك لأوضحناه للناس ، ولكن من
الأدب كتم ما كتمه الشارع ، وإظهار ما أظهر من إضاءة النور والمغفرة ونحو ذلك ،
والله حلیم حكيم .

وروى النسائي والبيهقي مرفوعا والحاكم موقوفا وقال صحيح الإسناد :

« مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ » .

وافظ الدارمي موقوفا : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ السَّكَّهِنِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ » .

وفي إسناده أبو هاشم ، والأكثرون على توقيفه .

وروى ابن مردويه في تفسيره بإسناد لا بأس به مرفوعا :

« مَنْ قَرَأَ سُورَةَ السَّكَّهِنِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَطَعَ لَهُ نُورٌ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِ إِلَى عَتَانَ السَّمَاءِ ، يُضِيءُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَغُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ » .

وروى البيهقي والأصبهاني مرفوعا : « مَنْ قَرَأَ حُمَ الدُّخَانَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ غُفِرَ لَهُ » .

وفي رواية : « مَنْ قَرَأَ حُمَ الدُّخَانَ فِي لَيْلَةِ أُصْبِحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ » .

وفي رواية للطبراني والأصبهاني أيضا مرفوعا :

« مَنْ صَلَّى بِسُورَةِ الدُّخَانَ فِي لَيْلَةِ بَاتَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ » .

وفي رواية أخرى لها مرفوعا :

« مَنْ قَرَأَ حُمَ الدُّخَانَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وروى الأصبهاني مرفوعا : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ بَسِّ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ قَرَأَ السُّورَةَ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا آلُ عِمْرَانَ يَوْمَ

الْجُمُعَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ حَتَّى تَغِيَّبَ الشَّمْسُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب إخواننا أصحاب الأموال بأن يعطفوا على فقراء بلادهم ويخرجوا زكاتهم ، ونبين لهم مرتبة الزكاة من الدين والإيمان ، فربما كان المسانع لهم من إخراج زكاة أموالهم جهلهم بما ورد فيها من الآيات والأخبار لقلّة مجالستهم للعلماء فإذا بيننا لهم مرتبة وجوب الزكاة ولم يخرجوا هجرناهم وجوبا لقبوله تعالى :

(فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) .

ومفهومه أن من لم يقم الصلاة ولم يؤدّ الزكاة فليس هو من إخواننا في الدين ، ولا يخفى حكمه فوالله لقد صارت أفعال غالب الخلق كأفعال من لا يؤمن بيوم الحساب ، ولا بما توعد الله تعالى عليه عباده ، فإن من لم يسكن عنده ما توعد الله عليه أو وعده من الأمور المغيبة عنه كالحاضر فلم يمانه مدخول .

وتأمل يا أخى لو أن السلطان أوقد نارا المانع الزكاة ، وقال إن لم تخرج زكاتك أحرقتك في هذه النار كسيف يخرجها ولا يتوقف أبدا ؟ ولو قال له صديقه لا تخرج زكاتك لا يطيعه ، وذلك لشهود النار وتعذيبه بها عاجلا غير آجل ، فهكذا فليكن الأمر فيما توعد به الحق تعالى عباده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم تأمل يا أخى في تسمية الله تعالى لإخراج الإنسان حق الله تعالى في ماله زكاة : أى نموا وزيادة تعرف أن ذلك إنما هو امتحان لمن يدعى الإيمان ، وتصديق الله عز وجل فيما أخبر به هل يصدقه في زيادة المال إذا أخرج حق الله منه ، ويكون في شهوده كالزيادة أم لا ؟ وتأمل لو جلس يهودى بشكارة ذهب وقال لكل من مر عليه من المؤمنين كل من أعطى هذا الفقير درهما أعطيته دينارا ، كيف يتزاحم الناس على إعطاء هذا الفقير ، لأجل زيادة العوض ؟ وقد قال الله تعالى :

(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ) وقال تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) وقال صلى الله عليه وسلم « مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ » .

فليمتحن المدعى للتصديق بكلام الله ورسوله نفسه ، فإن رآها لا تمل من الإعطاء أبدا للفقراء ولو طلبوا منه جميع ماله أعطاه لهم فليحكم لها بكمال الإيمان ، وإن رآها تمل من ذلك فليحكم عليها بنقص الإيمان ، وربما كان أحدهم يعطى للفقراء لكثرة ما جرب من إضعاف التوسعة عليه كما أعطى ، فهذا عيب تجرّبه ، وربما كان الخاط له على العطاء كون الحق تعالى يخلف عايبه أضعاف ما أعطى ، والمؤمن الكامل من أعطى عباد الله تعالى أمثالا لأمر الله لالعله إخلاف الله عليه ولا غير ذلك ، اللهم إلا أن يريد بكثرة الاعطاء كثرة الانفاق في مرضاة الله تعالى فهذا لا مانع منه ، وربما كان الانسان يخف عليه إعطاء الدينار للسائل أول مرة ، ثم إذا طلب منه السائل دينارا ثانيا أعطاه لكن ببعض ثقل ، ثم إذا سأله ثالثا أعطاه بثقل لكن أعظم من الثاني ، وهكذا حتى ربما

لا يصل إلى الدينار العاشر ومعه بقية داعية للعطاء ، فلو أن مثل هذا كان كامل الإيمان لكان آخر دينار في الخفة عليه كأول دينار على حد سواء في الخفة .

وقد أخبرني الشيخ جمال الدين ابن شيخ الاسلام زكريا أن الشيخ فرجا المجدوب لقيه ومعه أربعون نصفاً فسأله الشيخ فرج نصفاً فأعطاه ثم سأله آخر فأعطاه ، فأزال يسأله حتى بقي معه نصف واحد من الأربعين ، فقال أعطني النصف الآخر ، فقال : يا شيخ فرج أنا محتاج إليه ، فقال : قد كتبت لك وصولاً على شموال اليهودى بتسعة وثلاثين ديناراً ، فقال : قف خذ النصف الآخر فقال مارضيت ، قال الشيخ جمال الدين : فبينما أنا جالس في أثناء النهار وإذا يهودى يدق الباب فقلت له من هذا ؟ فقال يهودى ، فقلت له ادخل ، فقال : إن والدك كان أعطاني أربعين ديناراً قرضاً وما بيني وبينه إلا الله تعالى ، وقد عجزت عن دينار منها فأبرى ذمتي ، ووضع الدنانير بين يدي ، فمن ذلك اليوم ماسألني الشيخ فرج شيئاً ومنعته إياه ، قال سيدى جمال الدين : فندمت أنى ما كنت أعطيته النصف الآخر ، فإنه عوض لى في كل نصف واحد أربعين نصفاً ثم قال تبت إلى الله تعالى أن أحداً من أولياء الله يطلب منى شيئاً ولا أعطيه له اه .

فانظريا أختى كيف صار إيمان سيدى جمال الدين في آخر نصف من توقفه ، ولو أنه كشف حجابيه لم يتوقف في آخر نصف بل كان يعطيه من غير توقف ، قال سيدى جمال الدين : ثم إنى لقيت الشيخ فرجا بعد ذلك فذكرت له القصة فقال : إنما فعلت ذلك معك لأمرتك على معاملة الله عز وجل ، فإذا كنت وأنا عهد قد وفيت لك أضعاف ما أعطيتنى فالحق تعالى أولى بذلك :

(وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) ؟ .

فقلت له لأى شيء ما قلت لى أعطنى درهما أعطك بدله ديناراً؟ فقال : كانت تبطل فائدة الامتحان لأنه حينئذ يصير العوض مشهوداً لك ولا تظهر ثمرة المحنة إلا إذا لم يذكر الممتحن العوض ، وأوهمه أنه لا يعوض عليه بدل ذلك شيئاً اه .

فعلم أن الواجب على العبد أن يعطى الله ما أمره به محبة في ربه عز وجل لا طلباً للعوض الدنيوى أو الأخرى ، فإن ذلك سوء أدب وجهل بعظمة الله تعالى .

فأخرج بأختى زكاتك طوعاً وامتثالاً لأمر ربك ، وإن لم تطاوعك نفسك فاتخذك شيخاً يرقبك إلى كمال الإيمان ، فهناك لا تتوقف على توعده لك بحرقك بالنار إن لم

تخرج زكاتك ، فإنك تصير كمن آمن كرها فلا يصبح إيمانك والله يتولى هداك .
وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ
رَمَضَانَ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « الزَّكَاةُ قَنْطَرَةُ الْإِسْلَامِ » .

وروى أبو داود ومرسلا للطبراني والبيهقي مرفوعا متصلا قال الحافظ المنذرى
والمرسل أشبه :

« حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ » .

يعنى النافلة ، والأحاديث في الزكاة كثيرة مشهورة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نساعد الفقراء بالعمالة
إذا طلب منا الفقراء أن نكون عمالا لهم على الزكاة إلا إذا لم نثق بنفوسنا في جميع ذلك
وإعطائه للفقراء من غير غلول ، فإن خفنا ذلك تركنا العمالة تقديما لمصلحة نفوسنا على
مصلحة الغير ، وهذا العهد يخل به كثير من الفقراء والعلماء ، ويقولون : أى شيء لنا
في ذلك؟ فإن شاءوا يعطون الفقراء ، وإن شاءوا يمنعونهم ، وغاب هؤلاء عن قول الله تعالى :
(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) .

يعنى اطلبها منهم ولا تتوقف على أنهم يعطونها لك بغير سؤال فإن المسأل محبوب
للفلوس ، وقليل من الناس من يوق شح نفسه ، فكان على هذا القدم سيدي الشيخ
أبو بكر الحديدى رحمه الله تعالى ، فكان يأخذ من الناس الزكاة بالإلحاح ويعطيها للفقراء
والمساكين ، فقبل له إنهم يصيرون بكرهونك ، فقال سوف يجونى في الآخرة حين يرون
ثواب أعمالهم اه .

وقد قال أخى أفضل الدين لشخص مرة لا تترك فعل الخير ولو خفت أن يذمك
الناس ، فقال له سيدي على الخواص ولو ذموك وفرغوا من الذم اه .

فافل يا أخى كل شيء ندبك الشرع إليه ولا تتعلل بعذر عادى من حياء أو خوف
ذم ، فإن العذر لا يقبل إلا إن كان شرعيا كخوفه على نفسه من الغلول لما يعلم من شدة
حبة نفسه للدنيا وميله إليها ، فروض يا أخى نفسك مدة قبل دخولك في جباية الأموال
والله يتولى هداك .

وروى الإمام أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« الْعَامِلُ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ لَوْجِهَ اللَّهِ تَعَالَى كَالْعَازِمِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ . »

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « الْعَامِلُ إِذَا اسْتَعْمَلَ فَأَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى الْحَقَّ لَمْ يَزَلْ كَأَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ . »
وروى الإمام أحمد ورواته ثقات مرفوعا :

« خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ . »

وروى الإمام أحمد مرفوعا وفي إسناده مجهول :

« سَتُنْفَتِحُ عَلَيْكُمْ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَعَارِبُهَا وَإِنْ عُمَلَهَا فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ . »

وروى أبو داود مرفوعا : « مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزْنَا لَهُ رِزْقًا فَأَخَذَ فَوْقَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ . »

وفي رواية لمسلم وأبي داود وغيرهما مرفوعا :

« مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَسَكَّرْتُمَا نَحِيظًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَا أَيُّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن يكون سدانا ولحمتنا القناعة والتعفف ، والأكل من الكسب الحلال بطريقة الشرع الشامل لمداييد باللدعاء إلى حضرة الله تعالى ، إذا عجزنا عن عمل الحرفة المعتادة ، ولا نأكل بديننا ، وهذا العهد لا يعمل به على وجهه إلا من سلك الطريق على يد شيخ ، وإلا فلا يشم من العمل به رائحة ، فإن العبد ما لم يصل إلى معرفة الله تعالى لا يصبح له في القناعة ولا التعفف قدم ، وذلك أنه إذا عرف الله تعالى فن لا يرضاه من الكونين ولا يطلب قط فيهما نعيما غير مجالسة الحق جل وعلا ، ولا يبالي بما فاته منهما إذا كان الحق تعالى له عوضا من كل شيء ، وأما من لم يصل إلى معرفة الله تعالى ، فن لا يرضاه شراة النفس لأن الدنيا مشهودة فذلك كان

هذا العهد ينحل به كثير من الناس في هذا الزمان حتى لا يكاد الإنسان يرى متعقفا ولا قائما ولا متورعا في اللقمة أبدا بل غالب الفقراء يقولون وخلق لكم وغيرهم ، يقول هات لنا ولا نفتش ، وبعضهم يقول الحرام علينا هو ما لم تصل يدنا إليه ، وهذا كلام لا يجوز لمؤمن أن يتلفظ به لثلا يسمعه بعض العوام فيتبعه ، على ذلك .

ومن هنا قال العارفون : يجب على من لم يكن عنده ورع أن يتفعل في التورع ، فإن لم يكن له نية صالحة في الورع فربما صلحت نية من يتبعه في الورع ، وقالوا أيضا : يجب على العالم إذا لم يعمل بعلمه أن يعلمه لمن يعمل به .

وقالوا إذا رأيت عالما لا يعمل بعلمه فاعمل أنت به يحصل لك وله الخير :

« وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » .

ثم لا يخفى أن من أقبج الصفات عدم تعفف العالم والصالح وطلبهما من الولاية جوالى أو مسموحا أو مرتبا على بساط السلطان : ثم يطلبان بعد ذلك تمشية شفاعتهم عندهم في أمور المساكين ، وهذا أمر لا يتم لهم ، فإن شرط الشافع العفة والورع عما بأيدي الولاية فلو لم يروا زاهدا فيما رغب فيه ملوكهم فضلا عنهم عظموه ضرورة وأحبوه وقبلوا شفاعته وتبركوا به ، وقد كثر طلب الدنيا من طائفة الفقراء وغيرهم وصاروا يسافرون من نحو مصر إلى بلاد الروم والعجم ويتعللون بضيق المعاش ، وربما يكون أحدهم كاذبا ، لأن عنده في بلده ما يكفيه الكفاية اللاتقة بأمثاله ، وكان من الأدب لكل من عمل رئيسا في الناس أن يرد جميع ما يعرضه عايه أعوان الظلمة والسلطان ، ويقول لهم : أعطوه لمن هو أنفع نبي للمسلمين من الجنيد الذين يسافرون في التجاريد ونحوهم ، فأما أنا فجالس أذكر الله تعالى في زاويتي أو أشتغل بعلم ما أحد يعمل به ، والأمر في زيادة من حيث قلة العمل بالعلم فكيف أراحم عسكر السلطان على ماله .

فاسلك يا أخى طريق الفقراء والعلماء الذين مضوا ولا تتبع أهل زمانك تلك :

وقد بلغنا عن أبي إسحق الشيرازي أنه كانت تعرض عليه الأموال فيردها ، مع أن القمل سائح على وجهه ورأسه ولحيته ، وعايه فروة كباشية ، وكان يتغدى بماء الباقلا فيقت السكرة اليابسة ويغمسها بماء الفول رضى الله تعالى عنه فاعلم ذلك .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : لله تعالى رجال يجمعون المال

ولا يظهرون قناعة ويلحون في السؤال ثم يعطون كل شيء حصل بأيديهم لمن هو محتاج إليه ولا يدوقون منه شيئاً .

فإياك يا أخى والمبادرة بالانكار عليهم .

وبعضهم يجمع من الدنيا عنده حتى لا تستشرف نفسه لما في أيدي الناس أو يقف لهم على باب وكان على ذلك سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول : إذا ضاق على فقير أمر معيشته فليسال الله تعالى في تيسير رزق حلال مما قسمه الله تعالى له ، ولا يعين جهة ، ليكون ذلك معدوداً من بخله الرزق الذى لا يحتسبه ، فإن كل شيء جاء باستشراف نفس فهو غير مبارك فيه ، كما صرحت به الشريعة ثم نقل عن الشبلى أنه كان إذا جاع مد يده وسأل الله تعالى ، وقال هذا كسب يمينى .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغي لفقير أن يأكل مما وعده به أحد ، لأن نفسه تصير متشوفة له حتى يحضر .

وجاءه مرة إنعان وقال قد خرجت لكم عن قنطار عنب فأرسل معى أحداً يحمله فأبى وقال لا نحب أن نأكل إلا ما لم يكن فى حسابنا ، فإذا خرجت بعد ذلك عن شيء للفقراء فلا تعلمهم به قبل حضوره إن طلبت أنهم يأكلون منه .

وبلغنا عن إبراهيم أنه فقد الحلال فسف من التراب مدة أربعين يوماً حتى وجد الحلال اللائق بحاله ومقامه :

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : ينبغي لكل مؤمن فى هذا الزمان إذا حضر عنده طعام أو شراب أن لا يأكل منه حتى يقول بتوجه تام : اللهم إن كان فى هذا الطعام شبهة حرام فأحمنى منه ، وإن لم تحمنى منه فلا تجعله يقيم فى بطنى ، وإن جعلته يقيم فى بطنى فأحفظنى من المعاصى الناشئة من أكله ، فإن لم تحفظنى منها فنّ على بالتوبة النصوح ، فإن لم تمن على بالتوبة فالطف بى ، ولا تؤاخذنى يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين .

وكان يقول : لا ينبغي لفقير السؤال حتى يبيع آلات الدار الزائدة على الضرورة كالطراحة والمخدة والعمامة الزائدة والثوب والأواني كلهم حتى نعله الزائد .

وكان يقول : لا ينبغي لفقير فى هذا الزمان إذا وجد الحلال الصفر أن يشبع منه ، بل يأكل بقدر سد الرمق فقط خوفاً أن يقع فى المحرام .

وسمته أيضا يقول : ليست القناعة أن تأكل كل ما وجدته ولو كسرة يابسة كل يوم ، وإنما القناعة أن تطوى الثلاثة أيام فأكثر مع وجود الأكل عندك اه .
ولعل مراده رضى الله عنه الطى الذى لا يضر الجسم فإن جوع المحققين إنما هو اضطرار للاختيار ، وذلك لأن الكامل يجب عليه إعطاء كل ذى حق حقه من جسمه أو غيره ، ولا يظلم شيئا من رعيته سواء الجوارح وغيرها .

وبالجملة فلا بد لمن يريد العمل بهذا العهد من شيخ يسلك به حتى يخرج من حضرات الإتهام ويدخله حضرات اليقين ، فيعرف إذ ذاك أن ما قسمه الله تعالى للعهد لا يمكن أن يفوته وما لم يقسمه له لا يتبعه نفعه اه .

ومن هذا الباب أيضا الأقدار الجارية على العبد فإنها لا تخلو عن كون ذلك الأمر الذى دافع العبد الأقدار فى عدم وقوعه مقدر أو غير مقدر ، فإن كان مقدر فلا فائدة فى المدافعة إلا تعظيم انتهاك مجارم الله تعالى لا غير ، وقد كلف الله تعالى العبد بذلك وجعل له الثواب فيه سواء كان مقدر أو غير مقدر ، حتى أنه لو كشف له أن الله تعالى كتب عليه الزنا أو شرب الخمر لا يجوز له المبادرة إلى ذلك ، لأنها مبادرة إلى ما يسخط الله عز وجل ، فيجب عليه الصبر حتى يقع ذلك فى حالة غفلة أو سهو كما أشار إليه خبر :

« إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْفَادَ قَضَائِهِ وَقَدَرَهُ سَلَبَ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ عُقُولَهُمْ » .

يعنى عقولهم الحافظة عن الوقوع لا عقول التكليف فافهم ، لئلا يؤدي إلى إبطال الحدود كلها ، فتأمل فى هذا الحل واعمل به .

وقد كان أخى الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى على هذا القدم فأرسلت مرة أن يجعل على مقنأة البطيخ حارسا حتى يحضر له بالمركب يوسقه ، فأرسل يقول لى المؤمن لا يحتاج إلى مثل ذلك ، فإن ما قسمه الله تعالى لأهل الريف أن يأكلوه لا يقدر أحد يحمل منه إلى مصر بطيخة واحدة ، وما قسمه الله تعالى لأهل مصر لا يقدر أحد من أهل الريف يأكل منه بطيخة واحدة ، ومن كان إيمانه كذلك فلا يحتاج إلى حارس اه .

هذانى ملك الإنسان نفسه أما مال الغير فيجب على الحارس حفظه وإن لم يحرسه أمم ولم يستحق أجرة فافهم والله يتولى هداك .

وروى الشيخان واللفظ للبخارى مرفوعا :

« أَيْدُ الْعُلِيَّا خَيْرٌ مِنَ أَيْدِ الشُّفَلَى ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ

يُعْنِهِ اللَّهُ » .

قال الخطابي وقد اختلفت الناس في المراد باليد العليا ، فقال بعضهم هي المنفقة
والأشبه أن يكون المراد بها المتعفة لأنها أوضح من حيث المعنى والله تعالى أعلم :
وروى البزار مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْغَنَى الْمُتَصَدِّقَ وَالْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّتَ » .
وروى ابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« أَوْلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : الشَّهِيدُ ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ
لِسَيِّدِهِ ، وَعَقِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « وَمَنْ يَقْنَعُ يَقْنَعُهُ اللَّهُ » .

وفي رواية له مرفوعا : « عِزُّ الْمُؤْمِنِ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « لَيْسَ الْغِنَى عَنِ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَإِنَّمَا الْغِنَى عَنِ
النَّفْسِ » .

والعرض كل ما يقنئ من المال وغيره :

وروى مسلم وغيره مرفوعا : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِنَّمَا الْغِنَى عَنِ الْقَلْبِ ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « لَيْسَ الْمُسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ وَالْتَمَرَةُ
وَالْتَمَرَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمُسْكِينِ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ
وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ » .

وروى مسلم والترمذي وغيرهما مرفوعا :

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزِقَ كِفَافًا وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ » .

والكفاف من الرزق ما كف عن السؤال مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة .

وروى مسلم والترمذي وغيرهما مرفوعا :

« يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِذَا تَبَدَّلَ الْفَضْلَ خَيْرَكَ ، وَإِنْ تَسْتَكْبِرُ فَشَرُّكَ ، وَلَا تَلَامُ

حَتَّى كِفَافٍ » .

يعنى أن تطلب من الدنيا ما يكفيك ويغنيك عن سؤال الناس .

وروى البيهقي مرفوعاً : « الْقَنَاعَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى » .

قال الحافظ المنذرى ورفعه غريب وروى الترمذى ، وقال حديث حسن مرفوعاً :

« مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَاقٍ فِي بَدَنِهِ عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّما حَبِزَتْ

لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا » والمراد بسربه : نفسه .

وروى البخارى وابن ماجه وغيرهما مرفوعاً :

« لِأَنَّ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ أَحْبَلَهُ قِيَاتِي بِحُزْمَةِ حَطْبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعُهَا فَيَسْكُفُ بِهَا

وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ » .

وروى البخارى مرفوعاً : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ

يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » .

قال بعضهم كان يضفر الخوص ويعمل أذراع الحديد .

وروى أبو داود والترمذى : « أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَسَأَلَهُ فَقَالَ : أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟ فَقَالَ بَلَى حِلْسٌ نُلْبَسُ بَعْضُهُ وَنَبْسُطُ بَعْضُهُ وَقَعْبٌ

نَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ ، فَقَالَ اثْنِي بِهِمَا ، فَأَتَاهُ بِهِمَا ، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ بِيَدِهِ فَقَالَ : مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا أَخَذُهَا بِدِرْهَمٍ ، فَقَالَ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّةً ثَلَاثًا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا أَخَذُهَا

بِدِرْهَمَيْنِ ، فَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدَّرَاهِمِينَ فَأَعْطَاهَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا

طَعَامًا فَاذْبُدْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأُثِنِي بِهِ ، فَلَمَّا أَتَاهُ بِهِ شَدَّ فِيهِ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُوْدًا بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَأَحْتَطِبْ وَبِيعْ وَلَا أَرِيَنَّكَ خَمْسَةَ

عَشْرٍ يَوْمًا ، ففَعَلَ وَجَاءَ فَأَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا تَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَبْجِيَ الْمَسْئَلَةَ نُكُتَةً فِي وَجْهِكَ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ الْمَسْئَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِثَلَاثٍ : لَذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، وَلَذِي غُرْمٍ مُفْطِعٍ ،

وَلَذِي دَمٍ مُوجِعٍ » .

والمدقع : هو الشديد الملتصق صاحبه بالدقعاء يعنى الأرض التى لا نيات بها والغرم هو الذى يلزم صاحبه أداؤه بتكلف فيه لافى مقابلة عوض ، والمفطع هو الشديد الشنيع ، والدم الموجه هو الذى يتحمل عن قريبه أو حميمه أو نسيبه دية إذا قتل نفسا أيدفعها إلى أولياء المقتول : ولو لم يفعل قتل قريبه أو حميمه الذى يتوجع لقتله ، والله تعالى أعلم ، (أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ننزل جميع فاقاتنا ومهمات أمورنا فى الدنيا والآخرة بالله تعالى فى سرائرنا قبل ذكرها للخلق لأنه تعالى :

(بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) .

فإن لم يجيبنا سبحانه وتعالى إلى رفعها علمنا حينئذ أن المانع إنما هو منا لعصياننا لأوامره . وعدم اجتنابنا لمناهيه فنكثر من الاستغفار ، ثم نسأل فإن لم يجيبنا توسلنا بالخلق فنسألهم من غير وقوف معهم ، وزاهم كالأبواب التى يخرج منها صدقات الحق تعالى وهذا العهد قل من يتنبه له من الفقراء فيسبق لهم الطلب من الخلق قبل الطاب من الله تعالى ، والخلق كاهم مفلسون فلا يعطونهم شيئا فيعسر الله تعالى عليهم أرزاقهم عقوبة لهم على سوء أدبهم معه سبحانه وتعالى ، وقد رأيت فى واقعة أننى نزلت تحت الأرض فوجدت الأموات فى فضاء واسع وهم جالسون حلقا حلقا يتحدثون على كتيب من رمل أبيض ، فسلمت عليهم فلم يردوا على السلام ، وقالوا لسننا فى دار تكليف ، فقال لى شخص منهم اسمع منى هذا الدعاء لتدعو به إذا رجعت إلى الدنيا فقلت له نعم ، فقال إذا أصابك أمر يهلك من أمور الدنيا والآخرة فقل اللهم : إنى أنزلت بك ما يهمنى من أمور الدنيا والآخرة ، فحفظتها منه ، فلم أزل أدعو بها فى كل أمر مهم إلى وقى هذا .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به إلى خضرة التوحيد حتى يكون الغالب عليه ذكر الله عز وجل فيرى الحق تعالى أقرب إليه من الخلق فيسأله قبل كل أحد ومن لم يسلك كما ذكرناه فن لازمه البداءة بسؤال الخلق ليكون الغالب عليه شهو دهم قبل الحق ، كما أن من لازمه أيضا عداوتهم إن لم يعطوه ، ولو قلت له إنما لم يعطوك لأن الله تعالى لم يقسم لك على أيديهم شيئا لم يأنفت إلى قولك ، وهذا كله جهل بالله تعالى وبالشرعية ، فإن الله لو قسم لأحد شيئا عند ذلك البيخيل مثلا لوصل إليه أو بالنصب والتقب ، فعلم أن الكريم ليس له منة على أحد والمنة فى ذلك لله وحده وإنما مدحه الله بحر أيضا له على التكرم لما هو عليه فى نفسه من البخل والشح ، فلولا المدح لربما كان

بخيلا لم يعط أحدا شيئا وإمكان الحق تعالى ذمه كما ذم البخيل ، فعلم أن الحق تعالى ما ذم
للبخيل إلا تحر يضا للمؤمن على الإنفاق وإن لله عبادا رفع درجاتهم بعدم إطعامهم الطعام
لأن في ذلك رائحة منة تطرق العبد وعبيد الله الخالص لا يرون أنهم يشاركون الحق تعالى في
المنة على عباده ، بقوله تعالى حكاية عن لقمان :

« إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » فافهم .

واعلم أن مدح الكريم لإذن من فضل الله وذم البخيل لإذن من عدل الله من حضرتي اسميه
المعطي والمانع كما أو ضحنا ذلك في رسالة الأنوار القدسية .

فاسلك يا أخى على يدشيخ إن أردت العمل بهذا العهد ، والله يتولى هداك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وقد روى أبو داود والترمذى وقال حديث حسن والحاكم ، وقال صحيح
الإسناد مرفوعا :

« مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتَهُ ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا
بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ رِزْقٌ عَاجِلٌ أَوْ آجِلٌ » .

وفي رواية للحاكم : « أُرْسِلَ اللَّهُ لَهُ بِالْغَنَى ، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غَنَى آجِلٍ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « مَنْ جَاعَ أَوْ احْتَجَّاجَ فَكْتَمَهُ عَنِ النَّاسِ وَأَفْضَى بِهِ
إِلَى اللَّهِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ قُوَّةَ سَنَةٍ مِنْ حَلَالٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نقبل كل ما جاءنا
من الحلال من غير استشراف نفس ولا ترده ، وذلك لأنه جاءنا من عند الله تعالى من غير تعمد
وقوع منا أو اجتلاب ، قال تعالى :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) .

ولا يمتن الحق تعالى على العهد إلا بما هو حلال محمود :

وكانت طريقة سيدى أبى الحسن الشاذلى ، أنه لا يسأل ولا يرد ولا يدخر ، وكذلك

كانت طريقة سيدى أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى .

وفي الحديث : « مَنْ تَوَرَّعَ عَنِ الْحَلَالِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ » .

وهذا أمر ربما يخل به كثير من المشايخ فضلا عن غيرهم ، وكذلك كان دأب سيدي على الخواص إلى أواخر عمره ، ثم قبل من الناس قبل موته وصار يضع الدراهم والدنانير عنده في قدرة ، فكل من مر عليه من العميان والعاجزين والمديون يعطيه من ذلك ويقول ما في الكون مال إلا وله نامس يستحقون الأكل واللبس منه من أصحاب الضرورات .

وسمعت رضى الله عنه يقول : لو كشف للمحجوبين لرأوا جميع ما يأتهم من الناس إنما هو هدية من الحق تعالى وهو الذى قدمه إليهم فكيف يصح لصاحب هذا المشهد أن يرد :

فقلت له : فأين ميزان الشريعة حينئذ؟ فقال : موجود ، وهو أنه لو شهد أن الحق تعالى هو المعطى لا يقبله إلا إن رأى وجه رضاه به فإن المعاصى كلها بتقدير الله وإرادته ، ومع ذلك فيردها العبد وجوبا ويدافعها جهده حتى لا يقع في هلاكه ، فعلم أنه ما وقع لأحد رد إلا وهو محجوب في حجاب ظاهر الشريعة المطهرة ، فإن لسان حاملها يقول : إذ جاءكم مال من غير طيبة نفس اخلق فردوه ، ولو شهدتم أن الله تعالى هو المعطى فإنه هو الذى نهاكم عن قبوله فما ردتموه إلا بأمره ، ولسان الحقيقة يقول : ما ثم أحد يملك مع الله شيئا كشفنا وبقينا فخذوا كل ما وصل إليكم عن الله لآعن خلقه ، ولسان الجامعين بين الحقيقة والشريعة يقولون : لا نقبل شيئا للشرع عليه اعتراض لأن كون الأمور ملكا لله تعالى محل وفاق بين جميع الملل ، وما جعل الله تعالى الرقى في الدرجات إلا بالورع عما حرم الله ، فلما لم أن تحرقوا سور الشرع ؛ فإن الذى قال لكم الوجود كله ملكى هو الذى نهاكم عن قبول الحرام والشبهات ، وكأنه تعالى يقول : ولو شهدتم أنه ملكى فلا تأخذوه إلا بطيبة نفس من عبدي فلان ، فإن أخذتموه بغير طيبة نفس منه عدبتكم ، فالعذاب إنما هو من أجل مخالفة ما حده الله لنا لآمن جهة أن العبد يملك مع الله تعالى فإنه لا يصح أن يتوارد ملكان حقيقيان على عين واحدة أبدا اه .

فيجب على صاحب الحقيقة مراعاة الشريعة وعكسه ، ومن لم يكن كذلك فهو أعور لا يصح أن يقتدى به في طريق أهل الله تعالى .

وأجمع العارفون على أن من شرط الكمال أن لا يطفى نور معرفته نور ورعه يعنى أن نور معرفته يحجبه عن شهود الملك لغير الله ، ونور ورعه لا يكون إلا مع شهود نسبة الملك للخلق ، فالكمال من يتورع عن أكل ما بأيدي الناس إلا بطريقه الشرعى مع شهوده جز ما أن ذلك ملك لله

عزوجل . فالزم يا أخى طريق الشريعة وإلا هلكت والسلام .
وقد روى الشيخان والنسائي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء فأقول له أعطه لمن هو أفقر إليه منى فقال :
« إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُسْتَشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ فَيَمُوتَ لَهُ
فَإِنْ شِئْتَ فَكُلْهُ وَإِنْ شِئْتَ فَتَصَدَّقْ بِهِ وَمَالًا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ » .

قال سالم فلاجل ذلك كان عبد الله بن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه
وفي رواية للملك مرسلا : « إِنْ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى عُمَرَ عَطَاءً
فَرَدَّهُ فَقَالَ لِمَ رَدَدْتَهُ ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ خِيَارَنَا مَنْ لَا يَأْخُذُ مِنْ
أَحَدٍ شَيْئًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا ذَلِكَ عَنِ الْمَسْئَلَةِ فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ
غَيْرِ مَسْئَلَةٍ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقُ رِزْقِكَ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
لَا أَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا وَلَا يَأْتِينِي بِشَيْءٍ مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ إِلَّا أَخَذْتُهُ » .

وروى أبو يعلى والإمام أحمد باسناد صحيح والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم
وقال صحيح الاسناد مرفوعا :

« مَنْ بَلَغَهُ عَنْ أَخِيهِ مَعْرُوفٌ مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ وَلَا اسْتِشْرَافٍ نَفْسٍ فَلْيَقْبَلْهُ
وَلَا يَرُدَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقُ سَاقِهِ اللهُ إِلَيْهِ » .

وروى الإمام أحمد والطبراني والبيهقي وإسناد أحمد جيد قوى مرفوعا :

« مَنْ عَرِضَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرِّزْقِ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ وَلَا اسْتِشْرَافٍ فَلْيَتَوَسَّعْ
بِهِ رِزْقَهُ فَإِنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيُوجِّهْهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهُ » .
قال شيخنا يعنى بشرط الحل فى ذلك الرزق .

وفى الحديث بيان جواز أخذ العبد ما زاد على رزقه بنية التوسعة به على غيره والله
تعالى أعلم .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت والدى عن الاستشراف فقال هو قولك فى
نفسك سييئى إلى فلان سييئى فلان اه والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتصدق بكل ما فضل

عن حاجتنا ولاندخر منه شيئا إلا للضرورة شرعية سواء كان مالا أو طعاما أو ثيابا عملا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نخلى يوما واحدا من صدقة ، فإن لم نجد شيئا مما ذكرناه تصدقنا بالتسبيح وقراءة القرآن والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من صنائع المعروف .

وفي الحديث : « صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشَّوْءِ » .

ومعنى التصدق بالتسبيح وشبهه أن يجعل ثواب ذلك في صحائف المسلمين ، وهذا العهد يتعين العمل به على كل من كان قدوة في دين الله من العلماء والصالحين ، فينبغي لأحدهم أن يكون مقداما للناس في كل خير . وفي ذلك فوائد : منها امتثال أوامر الله تعالى ومنها عكوف الطلبة والمريدين على شيخهم إذا رأوه يعيهم على أمر معاشهم فيتقيدون عليه ويحصلون العلم وينشرون ذلك بعده ، ومنها دفع البلايا والمحن عنه في ذلك اليوم .

ومن هنا قالوا : أقبح من كل قبيح صوفي شحيح ، وفي المثل السائر أن فلانا وفلانا جلسوا يأكلون كذا وكذا وتركوا في مثل قط الفقيه لم يعزموا على "يعنى أن غالب الفقهاء يشح على القط أن يرمى له ورك دجاجة أو رقبته والأمثال لا تضرب في شيء إلا إذا كان تكرر ذلك الشيء من أهله ، ويقولون في المثل : يد تأخذ لا تعطى يعنى أن كل من تهود الأخذ من صدقات الناس فهو يشح على غيره .

وقد كان سيدى على الخواص إذا سأله فقير شيئا ينقسم الطعام والفلوس قسمه ما عنده في ذلك بينه وبين ذلك الفقير نصفين ، ويقول : إن الله تعالى يكره العبد المتميز عن أخيه . وكان الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول : إذا طاب منك أحد أن يؤخيك فاسأله نصف ماله ، فإن أعطاك النصف فهو أخ وإلا فلا تجبه لصحبة اه .

ثم اعلم يا أخى أن من الأولياء من لم يجعل الله تعالى على يديه شيئا من أرزاق الخلائق لإقامته في حضرة اسمه تعالى « المانع » فيقول الناس حاشى أن يكون هذا من أولياء الله تعالى ، فإن من شرط الولى السخاء والتكرم ، ولو كان هذا من أولياء الله تعالى لسكان كرىما سخيا ، وذلك لا يقدح في كمال ولاية ذلك الولى لأنه لم يمنع ذلك بخلا وإنما هو يود أن لو جعل الله على يديه رزقا لأحد وأعطاه له والائتم إنما هو في حق من يمنع بخلا وشحا في الطبيعة ، وأما من يمنع للحكمة فلا إثم عليه ، إذ الأولياء على الأخلاق الإلهية درجوا ، وقد ممي تعالى نفسه المانع ولم يسم نفسه بخيلا ، وربما كان ذلك الولى الذى ليس له صمياط

ولا يطعم أحدا لقمة أعلى في المقام ممن سفرته ممدودة ليلا وهارا ، وقد قدمنا قبل هذا العهد قريبا أن من عباد الله الكمل قوما حماهم الله تعالى من مشاركة الحق تعالى في خطور منتهم على أحد من خالقه ، فلذلك لم يجعل على يدهم رزقا لأحد يميزون به على أقرانهم خوفا أن يخطر على بالهم المنة على من أخذ منهم ولو في حال العطاء فقط ، ورأوا أن صلاحهم من مزاحمة الحق في المنة أرجح من ثواب ذلك العطاء كما هو مشهد الكمل من الملامية في تركهم كثيرا من النوافل التي يرى العبد ما أنه قد وفى بحق الربوبية وزاد عليه ، فافهم .

واسلك يا أخى على يد شيخ ليخرجك من حكم الطبيعة عليك بالشح ويخلصك إلى حضرات الكرم والسخاء ، فلا تكاد تبخل على فقير بشيء كما درج عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : إذا علمت شيئا يقتدى بك فإياك أن تدع أبناء الدنيا يخرجون عليك في البخل بأن لا تشح بشيء مطلقا ، إذ من شرط الشيخ أن يكون الألف دينار عنده إذا أعطاهم لفقير حكم الحصاة من التراب على حد سواء ، ومتى استعظمت يا أخى شيئا مما أعطيته فأنت لم تشم من طريق الصالحين شمة . قال : وتأمل الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي رضى الله تعالى عنه لما دخل اليمن أنه بعشرة آلاف دينار ففرقها في المجلس ، فصار يفرق منها ويعطى الناس حتى فرغت .

وقد حلق شخص لابراهيم الخواص رأسه على ما يفتح الله به فجاءه وهو يحاق ألف دينار فدفعها إلى المزين فرماها المزين ، وقال للخواص أما تستحي تقول لي احلق رأسي لله ثم تعطيني شيئا من الدنيا ، والله ما حلق لك إلا لله ورماها للناس .

وسأل شخص على بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين شيئا فأخرج بكرة فيها عشرة آلاف دينار وقال : والله ما وجدت لك غيرها ، فقال له الشخص أعطني أجرة حملها إلى منزلي ، فأعطاه طيلسانه فولى وهو يقول أشهد أنك من أولاد المرسلين حقا .

وكان على بن الحسين بن علي بن أبي طالب إذا وجد على بابيه سائلا يقول له مرحبا بمن يحمل زادي إلى الآخرة بغير أجرة مني حتى يضعه بين يدي الله عز وجل اه .

قلت: ومن أدركته على هذا القدم الشيخ عبد الحلیم بن مصلح ببلاد المنزلة غربی دمیاط وسیدی محمد بن المنیر المدفون بخارج الخانقاه السریاقوسیة ، والشیخ محمد الشناوی رضی الله تعالی عنهم ، فرأیت الشیخ عبد الحلیم وقد لقیه شخص وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة فقال أعطنی هذه الثیاب ، فأعطاها له ولم یرجع إلى البیت ، وصلى بفوطة حمی فی وسطه .

ورأیت الشیخ محمد بن المنیر أعطی شخصاً فی طریق الحجاز ماتت بجماله خمسائة دینار ، فلما وصل الرجل إلى مكة أتى بها ، فقال له ما أعطيتها لك إلا لله ولم یکن له به معرفة قبل ذلك .

وأما الشیخ محمد الشناوی فلا یحصى ما أعطاه للناس من البهائم والخیل والغنم والقمح والنقود والثیاب ، وكان یصرح ویقول جمیع ما یدخل یدی من الدنيا لیس هو خاص بی ، وإنما أراه مشترکاً بینی وبين المحتاجین ، فیکل من كان أحوج قدم منی أو منهم ، وقد من الله تعالی علی بذلك فلم أرلی محمد الله تعالی شیئاً یخصنی من المحتاجین به ، فالحمد لله رب العالمین .

فاسلك یا أخی علی ید شیخ صادق لیخرجک من شح الطبیعة بأفعاله وأقواله ، وإلا فمن لا زمک الشخ وبتقدیر أنك تعطی الناس ما یسألون فلا یخلو ذلك من علة تؤثر فی الإخلاص كما یعرف ذلك أرباب السلوك ، فإن الشیخ إذا لم یکن فعله سابقاً علی قوله كان قدوة لهم فی الضلال كما إذا أمرهم بقیام اللیل ونام هو ، وبالزهد فی الدنيا ورغب هو ، والله إنی لأصلی بالقرآن كاملاً فی ركعة واحدة فی بعض اللیالی وأود أن لو اطلع علی ذلك بعض المریدین لیقتدوا بی فی ذلك ، فإنی أعلم أنى إذا نمت ناموا فیمن یقتدون إذا كنت باللیل نائماً ، وربما أخالفت ما أمر الناس به فیعملون معلى ولو فی أنفسهم ، ویقولون إن الشیخ یأمرنا بالصلاة فی اللیل وینام ، ویأمرنا برمی الدنيا ویجمعها هو ، ویزهدنا فی الدنيا ویأمرنا بإخراجها والتصدق بها ولا نراه ینعل هو شیئاً من ذلك ، بخلاف ما إذا زهد الشیخ وأنفق أو تصدق أمامهم فانهم ربما یتبعونه ، والله إنی لأتصدق فی بعض الأوقات بالدینار والقمیص وأنا أحوج إلیه أشد من الآخذ له تنشيطاً للإخوان حتى یخرجوا عن مسك الید ، وأرى ذلك مقداً علی نفع نفسی ، فاعلم ذلك واعمَل علیه والله یتولى هداك .

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وروى الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه مرفوعا :

« مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ، وَيُرَبِّهَا لِصَاحِبِهَا ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » .

وفى رواية لابن خزيمة : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَصَدَّقَ مِنْ طَيِّبٍ ، تَقَبَّلَهَا اللَّهُ مِنْهُ وَأَخَذَهَا بِيَمِينِهِ قَرَابَاهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ مُهْرَهُ أَوْ فَصِيلَهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْصُقُ بِالْقَمَةِ فَتَرْبُو فِي يَدِ اللَّهِ ، أَوْ قَالَ فِي كَفِّ اللَّهِ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ ، فَتَصَدَّقُوا » .

وروى مسلم والترمذى مرفوعا : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ » .

وروى الترمذى وقال حديث حسن صحيح :

« عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا ذَبَحُوا شاةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ : مَا بَقِيَ إِلَّا كَتِفُهَا ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَقِيَ كُلُّهَا إِلَّا كَتِفُهَا » .
ومعناه أن ماتصدقوا به هو الباقي .

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« يَقُولُ الْإِنْسَانُ مَالِي مَالِي ، وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ : مَا أَكَلَ فَأَقْتَى ، أَوْ لَبِسَ فَأَقْبَلَى ، أَوْ أَعْطَى فَأَقْبَى ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ » .

وروى أبو يعلى بإسناد صحيح مرفوعا :

« وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ انْخِطِئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ » .

وروى الترمذى وابن حبان فى صحيحه :

« إِنَّ الصَّدَقَةَ وَلَوْ قَلَّتْ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتُدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ » .

وفى رواية : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَدْرَأُ بِالصَّدَقَةِ سَبْعِينَ بَابًا مِنْ مِيتَةِ السُّوءِ » .

وقد روى الإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح

الإسناد مرفوعا :

« كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » .

وقال يزيد بن حبيب: وكان أبو مرة العبدي لا يحطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو بكمكة أو بصلمة .

وفي رواية لابن خزيمة: كان يزيد بن عبد الله أول أهل مصر دخولا المسجد بمصر ، فمارؤى داخلا قط المسجد إلا وفي كفه صدقة أو فلوس وإما قح وإما خبز حتى ربما حمل البصل ، فإذا قيل له إنه ينن ثيابك فيقول إنى لم أجد في البيت ما أتصدق به غيره ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ظِلُّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ » .

وروى الطبراني والبيهقي مرفوعا : « إِنَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ » .
وروى الإمام أحمد والبخاري وابن خزيمة من صحيحه مرفوعا :
« لَا يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَبْكُ عَنْهَا لِحَيِّ سَبْعِينَ شَيْطَانًا » .
زاد في رواية البيهقي : « كُلُّهُمْ يَسَى عَنْهَا » .

وروى الطبراني مرفوعا : « الصَّدَقَةُ تُسَدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ » .

وروى البيهقي مرفوعا : « بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ ، فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ » .

وروى موقوفًا عن أنس وهو الأشبه قاله الحافظ المنذرى والأحاديث في ذلك كثيرة والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتصدق بما وجدنا ولا نستقل من الصدقة شيئا لما تقدم من الأحاديث الصحيحة من :

« أَنْ الْحَقَّ تَعَالَى يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّبُهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوهُ أَوْ فَصِيلَهُ » .

ولما سأتى من الأحاديث ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس ، فيستحيون أن يتصدقوا بمثل ثمرة أو لقمة أو زبينة وهو حياء طبيعي لا شرعى ، وليس اللوم إلا على من يمنع الصدقة بالكثير بخلا ، وأما من يخرج ما وجد بعد جوع وقلة فهو مأجور وربما يسبق الدرهم منه ألف درهم من غيره كما يأتي وقال تعالى :

(لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا آتَاهَا) .

فانظر يا أخى إلى ما وسع الله تعالى به على عباده حيث لم يأمرهم بالصدقة تكليفاً مع حاجتهم إليها بل نهاهم عن ذلك ، لأن كل من تصدق بما فوق طاقته فن لازمه أن نفسه تتبع ذلك ثم يندم على إعطائه ، وفي الحديث :

« تَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ بِرَأْيِ مِنَ التَّسْكَفِ » فافهم .

وقد تصدقت عائشة رضى الله عنها مرة بحبة عنب فكانت السائل يستقلها ، فقالت مالك لا تفقه ، كم فى هذه من مثقال ذرة ؟ وفى القرآن :

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ - وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الصدقة أفضل ؟ قال :

« جَهْدُ الْمُقِلِّ وَابْتِدَاءُ بَيْنَ تَعُولٍ » .

وروى النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه واللفظ والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم مرفوعاً :

« سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ رَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ أَخَذَ مِنْ عُرْضِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ تَصَدَّقَ بِهَا ، وَرَجُلٌ لَيْسَ لَهُ إِلَّا دِرْهَمَانِ فَأَخَذَ وَاحِدًا فَتَصَدَّقَ بِهِ » .

وقوله « من عرضه » أى من جانبه :

وروى الترمذى وابن خزيمة عن أم بجيد أنها قالت : يا رسول الله إن المسكين ليقوم على بابى فما أجد شيئاً أعطيه ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنْ لَمْ تَجِدْ إِلَّا ظِلْفًا مُجْرَدًا فَادْفَعِيهِ إِلَيْهِ فِي يَدِهِ » .

وروى ابن حبان فى صحيحه مرفوعاً :

« تَعْبَدَ عَابِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَعَبَدَ اللَّهُ تَعَالَى فِي صَوْتَعَتِهِ سِتِينَ عَامًا فَأَمَطَّ رَبُّهُ

الارضُ وَاخْضَرَّتْ فَأَشْرَفَ الرَّاهِبُ مِنْ صَوْمَعَتِهِ فَقَالَ: لَوْ نَزَلْتُ فَذَكَرْتُ اللَّهَ؛
فَأَزْدَدْتُ خَيْرًا، فَنَزَلَ وَمَعَهُ رَغِيفٌ أَوْ رَغِيفَانِ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الْأَرْضِ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ
فَلَمْ يَزَلْ يُسْكَلُّهَا وَتُسْكَلُّهُ حَتَّى غَشِيَهَا مُمٌّ أُعْمِي عَلَيْهِ فَنَزَلَ الْفَدِيرَ يَسْتَجِمُّ
فَبَجَاءَ سَائِلٌ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ الرَّغِيفَيْنِ مُمٌّ مَاتَ قَوُزَتْ عِبَادَةُ سِتِّينَ سَنَةً مَعَ
حَسَنَاتِهِ بِتِلْكَ الزُّنْيَةِ فَرَجَّحَتِ الزُّنْيَةُ بِحَسَنَاتِهِ، مُمٌّ وَضِعَ الرَّغِيفُ أَوْ الرَّغِيفَانِ مَعَ
حَسَنَاتِهِ فَرَجَّحَتِ حَسَنَاتُهُ فَغْفِرَ لَهُ .

وفي رواية للبيهقي موقوفًا عن علي وابن مسعود :

« أَنَّ الرَّاهِبَ نَزَلَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَوَاقَعَهَا سِتَّ لَيَالٍ مُمٌّ سَقَطَ فِي يَدِهِ فَهَرَبَ فَأَتَى
مَسْجِدًا فَأَوَى فِيهِ ثَلَاثًا لَا يَطْعَمُ شَيْئًا فَأَتَى بِرَغِيفٍ فَسَكَّرَهُ فَأَعْطَى رَجُلًا عَنْ
يَمِينِهِ نِصْفَهُ، وَأَعْطَى آخَرَ عَنْ بَسَارِهِ نِصْفَهُ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَ الْمَوْتِ فَبَهَسَ
رُوحَهُ، فَوُضِعَتِ عِبَادَةُ السَّتِّينِ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتِ السَّتُّ لَيَالٍ فِي كِفَّةٍ فَرَجَّحَتِ يَغْنَى
السَّتُّ لَيَالٍ، مُمٌّ وَضِعَ الرَّغِيفُ فَرَجَّحَ، يَغْنَى عَلَى السَّتِّينَ سَنَةً .

وروى البيهقي مرفوعًا : « إِنَّ الصُّعْلُوكَ كُلَّ الصُّعْلُوكِ الَّذِي لَهُ مَالٌ لَمْ يُقَدِّمْ
مِنْهُ شَيْئًا » .

يعني لم يتصدق منه بشيء، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتصدق بما نحب
أدبًا مع الله تعالى وعملاً بقوله تعالى :

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) .

ونحن نحب أن نناك مقام البر عند الله تعالى ونكره أن نكون ناقصي المقام لما فيه من
الجفاء والبعد في شهودنا له في نفس الأمر ، ولا يقوم بالعمل بهذا العهد لإكمال الرجال
الذين يغلب عليهم الحضور مع الله تعالى .

وقد بلغنا أن المنادي ينادي يوم القيامة « أَلَا مَنْ أَعْطَى شَيْئًا نَهَى فَمَا يَأْتِ بِهِ » فيأتي
الرجل بالثياب البالية والكسر اليابسة والأور التي ترهدها النفوس ، ثم ينادي ثانياً .

ألا من أعطى شيئاً لغير الله فليأت به فيأتي الرجل بالثياب الفاخرة والأطعمة النفيسة والأموال التي تهواها النفوس فيكاد الرجل من الحياء أن يذوب ويسقط لحم وجهه ؛ وبالجملعة فعاملة الله تعالى تابعة لمعرفته كثرة وقلة .

فاسلك يا أخى على يد شيخ ناصح إن طلبت أن تعرف صفاء المعاملة مع الله تعالى ، وإن لم تسلك كما ذكرنا فن لا زمك عدم صفاء المعاملة كما هو مشاهد فيمن يسأل الأغنياء بالله من الفقراء أن يعطوه رغيفا أو درهما فلا يعطونه ، ويمر على نحو الألف نفس أو أكثر فلا يلتفتون إليه ، ولو أنهم كانوا جالسين بمحضرة ملك من ملوك الدنيا وسألهم أرذله الثامن بحياة رأس الملك أن يعطوه رغيفا أو درهما لأعطوه المائة رغيف ، أو الدينار الذهب ، أو أكثر مراعاة لوجه العظيم ، فأیما أعظم عند هؤلاء قدرا حينئذ الله أو ذلك الملك ؟

فانظر وتأمل في نقص إيمانك وقلة تعظيمك لله تعالى ، يا أخى وتب واستغفر وتشهد لتسلم الإسلام الكامل فان الله تعالى يعامل العبد بحسب ما في قلبه من التعظيم وغيره ، ولو أن إنسانا قال السلطان أعظم عندي من الله تعالى لحكم الشرع بقتله أشد قتله لسكفره بعد إيمان فتأمل :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَبِيَدِهِ عَصَا وَقَدْ عَلَّقَ رَجُلٌ فَنَوَّحَ حَشْفٍ فَجَعَلَ يَطْعُنُ فِي ذَلِكَ الْقِنْوِ وَيَقُولُ : كَوْ شَاءَ رَبُّ هَذِهِ الصَّدَقَةِ تَصَدَّقَ بِأَطْيَبَ مِنْ هَذِهِ ، إِنَّ رَبَّ هَذِهِ الصَّدَقَةِ يَا كُلُّ حَشْفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى ابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبْقَتْ غِنَى ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » والله

تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نسر بصدقاتنا المندوبة دون المفروضة على وزان الصلاة إلا ما استثنى مما تسن الجماعة فيه امتثالا لأمر الله عز وجل ، لا لطلب الأجر والثواب ، فإن الشارع صلى الله عليه وسلم قد وعد

بذلك وهو لا يخلف وعده ، ولا يضيع أجر من أحسن عملا ، اللهم إلا أن نطلب الأجر من باب الفضل والمنة فلا يخرج على العبد في ذلك ، إذ لا يستغنى عبد عن فضل سيده طوعا أو كرها .

واعلم أن الشارع ما أمر العبد بصدقة السر إلا لما يعلم من نفس العبد من محبة المال وإنفاقه ليقال ، فلا يكاد يسكت على ما أعطاه لأحد أبدا لعظمته عنده ، ولو أنه سلك الطريق لسكان إخراج الألف دينار صدقة عنده كحبة عنب على حد سواء ، وما رأينا أحدا قط أعطى حبة عنب وصار يذكرها في المجالس ويفتخر بها أبدا لحوانها عنده ، وكذلك الألف دينار عند الفقير الصادق إذا تصدق بها لا يحتفل بها ولا يذكرها في المجالس أبدا ، وما سمى الفقير فقيرا إلا لكونه لا يملك شيئا مع الله تعالى ، فكيف يرى نفسه بشيء ليس هو له ؟ وفي الحديث :

« إِنَّ الدُّنْيَا لَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ » .

فما قدر ما يخص الفقير من ذلك الجناح إذا فرق أجزاء صغارا حتى عم جميع الخلق من الملوك إلى السوق ، فالفقير الصادق يستحي من الله تعالى أن يرى نفسه على الفقراء ، ولو تصدق بجميع الدنيا لو تصور أنه ملكها كلها ، لأنه يراها كجناح البعوضة ، وإنما لم نقل لأنه يراها قدر جناح بعوضة أدبا مع الله تعالى أن يشترك العبد مع ربه في صفة من الصفات ، فلذلك قلنا كجناح بكاف التشبيه ، فافهم .

فعلم أنه يتعين على كل من يريد العمل بهذا العهد أن يسلك على يد شيخ مرشد يسلك به حتى يخرج عن الرغبة والمحبة في الدنيا ويدخله حضرة الزهد فيها ، وإلا فن لازم أنه يكره الإصرار بالصدقة ويجب إظهارها لما عنده من العظمة والمحبة لها ولجلهه بالله تعالى ، فإنه لا يعامل الله إلا من يعرف عظمة الله تعالى .

وقد صحبتني شخص من ذوى الأموال فذكرت له ماورد في صدقة السر من الأحاديث فقال لي ثبت إلى الله تعالى عن إظهار شيء من الصدقات للناس ورؤية المنة على آحادها ، فقلت له : هذا لا يكون إلا بعد سلوك الطريق ، فقال لي قد تحققت بحمد الله بذلك فأرسلت له فقيرا سرا وقلت له أسأله في دينار ولا تسأله إلا ليلا أو حيث لا يعلم بذلك أحد ، فسأله فأعطاه الدينار فلم يزل به أبو مرة يوسوس له بإظهار ذلك حتى جاءني وصار يذكر شدة احتياج الناس إلى الصدقة في هذا الزمان ، إلى أن جاء إلى ذلك الفقير وقال إن

فلانا محتاج وقد بلغنا أنه جاء إلى بعض التجار وسأله دينارا فأعطاه له ، ثم لم يزل به إبليس حتى ذكره لي وقال إنما ذكرته لك ياسيدي لكوني لأحب أخفى عنك شيئا ، فانظر كيف أخرجه إبليس من صدقة السر وأوقعه في تركية نفسه ، ودعوى أنه لا يخفى عنى شيئا من أحواله ، ولو أنى قلت له أعلمنى بعدد ما عندك من الدنيا ماسمح بذلك ، فوالله لقد صار الصدق أعز من الكبريت الأحمر ، ولو أنه كان دخل طريق الفقراء من بابها على يد شيخ لصار دخوله النار أهون عليه من إظهار ما أمره الله بكنمه

قلت : وقد بلغنا أن شخصا صام أربعين سنة لا يشعر به أحد فلم يزل به إبليس حتى أوقعه في التحدث بها . وذلك أن إبليس جاء إلى القصاب في هيئة فقير وفي عنقه سبحة وعلى كتفه سجادة وصار يقول للجزار أعطنى هذه القطعة اللحم المليحة لأن لى ثلاثة أيام صائما ، فلم يزل يكرر ذلك حتى تحرك في قلب ذلك العابد داعية إظهار صومه ، وقال اكتم صومك أنت أفضل لك فإنى صائم أربعين سنة ما شعر بذلك أحد ، فقال له إبليس أنا إبليس ومالى حاجة باللحم إلا حتى أوقعتك في إظهار صيامك ، ثم قال له إبليس ، كيف تقول لى اكتم صومك فإنه أفضل وتقع أنت في إظهاره ؟ فنسدم العابد وفارقه إبليس .

واعلم أنى مارأيت فى عمرى كله أكثر صدقة سرا من شيخنا شيخ الاسلام زكريا شارح البهجة ، والشيخ شهاب الدين ابن الشلبى الحنفى ، لانتكاد تجدهما يظهران من صدقتهما شيئا .

وقد جاء شخص من الأشراف إلى شيخنا الشيخ زكريا وقال له ياسيدى قد خطفوا عماتى الليلة فأعطنى ثمن عمامة ، فأعطاه فلسا فرده الشريف فأخذه الشيخ ، فقلت له إن الفللس لا يكفى فى مثل ذلك ، فقال الذئب له الذى جاء بحضرة الناس وقد رغبنى الله تعالى فى الإسرار بالصدقة فلا أظهر ذلك لأحد من الخلق ، ولو أنه جاء من غير أن يكون عندى أحد لأعطيته ثمن العمامة أو أكثر لأجل جهده صلى الله عليه وسلم ، ثم لقيت الشريف بعد ذلك فأخبرته بما قال الشيخ فقال : إن الشيخ أرسل لى عمامة فى الليل وهامى على رأسى .

وكذلك بلغنا عن سيدى على النبتي بن الجبال أنه كان يرسل كل سنة المائة حمل قمحا وأرزا وغير ذلك إلى مكة فى البحر ، ويسافر هو فى البر مع الحجاج ، ثم يجلس يبيعها

في المسعى ويخبر بالسعر العالي زيادة على الناس وينظر ، فكل من اشترى منه بالزيادة على السعر يعرف أنه مضطر فيعطيه ما اشتراه بلا ثمن ويأمره بالسكتان ، فعلم بذلك غالب أهل مكة فكان يعطيهم كذلك حتى أنه لم يأخذ درهما واحدا في بعض السنين ، فقيل له إن كان ولا بد لك من العطاء للناس بلا ثمن فتصدق أنت به ، فقال البيع أسر لنا من الصدقة وكذلك كان يفعل في الثياب التي يفرقها يأمرهم بالسكتان فيها ، وكل من تكلم بذلك يرسل يأخذ الثوب منه ويقول : يا ولدى غلطنا والثوب لشخص غيرك ، حتى لا يصير يتكلم بعد ذلك بشيء .

وكان أخى أفضل الدين رحمه الله يأخذ صدقات أصحابه ويجمعها عنده للفقراء ويقول لهم : إن جماعة من التجار أرسلوا لي على اسمكم شيئا من الفضة والذهب لأفرقه عليكم ثم يخلط على ذلك أضعافه ويفرقه عليهم بحيث لا يعلم أحد من الخلق بذلك ، ولولا أنى رأيت فعل ذلك وهو لا يشعر بي ما علمنى به ، وكان بعض من لا يعرف مقامه يتهمه بأنه اختلس من مال الفقراء لنفسه ويبلغه ذلك عنه فيتبسم ولا يجيب عن نفسه شيئا .

فبهى هذه الأشياخ يا أخى اقتده لتفوز بمضاعفة الأجر ورضا الرب ، والله يتولى هداك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ » .

وروى الترمذى واللفظ له والبيهقى وغيرها مرفوعا :

« لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيْدُ فَأَرْسَاهَا بِالْجِبَالِ فَاسْتَقَرَّتْ فَعَجَبَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ ، فَقَالَتْ : يَا رَبَّنَا هَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ الْجِبَالِ ؟ قَالَ : نَعَمْ الْحَدِيدَ ، قَالُوا : فَهَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ ؟ قَالَ : النَّارَ ؟ قَالُوا : فَهَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : الْمَاءَ . قَالُوا : فَهَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ الْمَاءِ ؟ قَالَ :

الرَّيْحَ ، قَالُوا : فَهَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ الرَّيْحِ ؟ قَالَ : ابْنُ آدَمَ ، إِذَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا عَنْ شِمَالِهِ . » .

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعا : « صَدَقَةُ السَّمْرِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ » .
وروى الإمام أحمد والطبراني مرفوعا :

« أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَتْ سِرًّا إِلَى فَقِيرٍ أَوْ جَهْدًا مِنْ مُقِلٍّ ، ثُمَّ قَرَأَ : إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمًّا هِيَ وَإِنْ نَحَفُوهَا وَتَوَنُّوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » الآية .
وروى أبو داود وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ وَرَجُلٌ أَنْى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَالْمَ يَسْأَلُهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنْعُوهُ فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لِأَلَّا يَعْلَمَ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ » الحديث ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نقرض كل من استقرضنا من المحتاجين ، سواء كان مشهورا بحسن المعاملة أم لا امتثالا لقول الله تعالى :

(أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) .

ومن أقرض الله تعالى من الخلق لا يطلب جزاء .

واعلم يا أخى أن الله تعالى لم يأمر بالقرض إلا الأغنياء ، فهم الذين فازوا بلذة خطاب الله تعالى بقوله لهم : (أقرضوا) وأما الفقراء ففئاتهم تلك اللذة وذلك الأجر ، ومن هنا سارع الأكابر من الأولياء إلى التكسب بالتجارة والزراعة والحرفة ليفوزوا بلذة ذلك الخطاب لالعملة أخرى من طلب ثواب أو غيره قال تعالى :

(رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) الآية .

فوصفهم بالرجولية لأجل أكلهم من كسبهم وإفراضهم من فواضل كسبهم كل محتاج ، ومفهومه أن من لا كسب له والناس ينفقون عليه فهو من جنس النساء وإن كان له الحية

كبيرة وسبحة وسجادة وعذبة ومرقعة وشفاعات عند الحكام وغير ذلك ، وليس له في الرجولية نصيب قال تعالى :

(الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) الآيَة .

واعلم أن طلب التلذذ بخطاب الله تعالى كما ذكرنا محمود بالنسبة لمن هو تحته في المقام ، وإلا فله تعالى رجال يتوبون من التلذذ بخطاب الله تعالى إلا على وجه الشكر لا غير ، فإن من كان الباعث له التلذذ بخطاب الله تعالى فهو عبد لله لا يكون عبد الله تعالى . وقد أخبرني أخي أفضل الدين رحمه الله أنه كان يقوم الليل مدة كذا وكذا سنة وهو لا يشعر به أحد ، قال : فكنت أظن بنفسى الإخلاص في ذلك ، فسمعت هاتفا يقول : إنما تقوم الليل للذة التي تجدها حال مناجاتك ، ولولا هي ماقت للحق بواجب عبوديته ، قال : فاستغفرت الله تعالى وتجردت من تلك اللذة وعلمت أن تلك اللذة تجرح في إخلاصى فالحمد لله رب العالمين .

فعلم أنه لا يقدر في شيخ الزاوية أن يكون تاجرا ولا زارعا بل ذلك أكمل له هـ
فإياك يا أخي أن تنكر على فقير الكسب بالتجارة والزراعة أو معاملة الناس أو آخر عمره وتقول فلان كان من الصالحين أول عمره وقد ختم عمره بمحبة الدنيا وشهواتها ، بعد أن كان زاهدا فيها وفي أهلها ، فرجما يكون مشهد ذلك الفقير ماقلنا أو غير ذلك من النيات الصالحة ، فإن زهد الكمل ليس هو بخلو اليدين من الدنيا وإنما هو بخلو القلب ، ولا يتحقق لهم كمال المقام إلا بزهدهم فيما بأيديهم وتحت تصريفهم من غير حائل يحول بينهم وبين كثره .

وأما زهدهم مع خلو اليد ، فرجما يكون لعلة الفقر .

وقد قالوا : من شرط الداعي إلى الله تعالى أن لا يكون متجردا عن الدنيا بالكلية ، بأن تخلو يده منها وذلك لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس إما بالحال وإما بالمقال ، وإذا احتاج إلى الناس هان عليهم وقل نفهم به بخلاف ما إذا كان ذا مال يعطى منه المحتاجين من مريديه وغيرهم ، فإن فقد الحال الذي يميل به قلوب المرئيين إليه كان معه المال يميلهم إليه به ، ومن لا حال له ولا مال لا ينفعه المقال ، وفي الحديث :

« عِزُّ الْمُؤْمِنِ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ ، وَشَرَفُهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ » .

ومن جاهد نفسه بالتجرد عن الدنيا زمانا طويلا ثم مسك الدنيا من أشياخ العصر وتاجر فيها الشيخ عبد الرحيم البيروتي والشيخ علي الكازروني نفعنا الله بهر كاتهما ، فأساء

الناس بهما الظن وأخرجوهما عن دائرة الفقراء ، والحال . أنهما الآن أكمل مما كانا عليه
في بدايتهما على ما قرراه آنفا .
فاياك ياأخي وسوء الظن بأهل الطريق أو بمن لبس الزيق ، والله يتولى هداك :
(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

ومن محك صه : ق من طلب الدنيا لله تعالى طلبا للفوز بلذة خطابه أن لا يشح بشيء منها
على محتاج إليه لأن من أحب شيئا وتلذذ به أحب تكراره ، ومتى تكدر من كثرة السائلين
لما عنده فهو كاذب في دعواه أنه يحب الدنيا لئلا تلبذ بخطاب الله أو لنفع عباد الله فاعلم
ذلك ، وخرج بقولنا أن لا يشح مالوشح ومنع الحكمة شرعية إن ذلك لا يقدر في صدقه :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الإمام أحمد والترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه مرفوعا :
« مَنْ مَنَحَ مِئْتَةَ لَبَنٍ أَوْ وَرَقٍ أَوْ أَهْدَى رِفَاقًا كَانَ لَهُ مِثْلُ عِتْقِ رَقَبَةٍ » .
ومعنى قوله منحة ورق : عني به قرض الدرهم ، وقوله أو أهدي رفاقا : عني به
هداية الطريق ولإرشاد السبيل .

وروى الطبراني لإسناد حسن والبيهقي مرفوعا :

« كُلُّ قَرْضٍ صَدَقَةٌ » .

وروى الطبراني وابن ماجه والبيهقي مرفوعا :

« دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فَرَأَى عَلَى بَابِهَا مَكْتُوبًا الصَّدَقَةُ بِمَشْرِئِهَا ، وَالْقَرْضُ
بِمَأْنِيَةِ عَشْرٍ » .

قال بهضمهم : وذلك أن الصدقة قد تقع في يد غني في الباطن والقرض لا يأخذه
إلا محتاج .

وروى مسلم وابن ماجه والترمذي وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّةً إِلَّا كَانَتْ لَهُ كَصَدَقَتِهَا مَرَّتَيْنِ »

والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا كان لنا دين على

معسر أن ننظره ونضع عنه امثالاً لأمر الشارع صلى الله عليه وسلم وطلباً لمرضاته ، فإنه لا يأمرنا قط إلا بما فيه النفع لنا في الدنيا والآخرة ، لكن بشرط الإخلاص له صلى الله عليه وسلم عن الرياء والسمعة ، وربما سامح أحدنا المعسر ببعض ما عليه بمحضرة الناس ليقال ، ولو أنه لم يعلم به إلا الله تعالى لربما كان يثقل عليه ولا ينشرح له صدره ، فلينته من يفعل المعروف لمثل ذلك ويفتش نفسه التفتيش المبرى للذمة ، فن حاسب نفسه في هذه الدار خفت حسابه في الدار الآخرة ، وإن وقع له حساب وإنما هو في أمور لم يحاسب نفسه عليها في دار الدنيا .

واعلم أنه ليس مراد الحق تعالى بالحساب إلا إقامة الحق على العبد وبيان فضله وحلمه عليه لا غير ، وإلا فالعبد ليس معه شيء يدفعه أسبده ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وروى مسلم والطبراني مرفوعاً : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّبَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيَنْفَسْ عَنِ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ » .

وفي رواية للطبراني : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّبَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنْ يُظَلِّمَ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ فَلْيَنْظُرْ مُعْسِرًا » .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعاً : « تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ يَمِّنُ كَانَ قَبْلَكَمْ فَقَالُوا أَعْمِلْتَ مِنْ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، فَأَلَوْا تَدَّ كَرًّا ، قَالَ : كُنْتُ أَدِينُ النَّاسَ ، فَأَمْرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظَرُوا الْمُعْسِرَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوْسِرِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ » .

ومعنى تجوزوا عن الموسر : أى خسلدوا ما تبسر معه بقريئة الحديث الآتى ، والله أعلم .

وفي رواية للشيخين : « كَانَ رَجُلٌ يَدَّيْنِ النَّاسَ ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاةٍ : إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزِي عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَلَتِي اللَّهُ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ » .

وفي رواية للنسائي مرفوعاً : « أَنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، وَكَانَ يَدَّيْنِ النَّاسَ فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ خُذْ مَا تَبَسَّرَ وَأَتْرُكْ مَا عَسَرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا ، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللَّهُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ وَكُنْتُ أَدِينُ

النَّاسَ ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ يُتَقَاصَى قُلْتُ لَهُ خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ
يَتَجَاوَزُ عَنَّا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدِّينُ فَلَهُ
كُلُّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ ، فَإِذَا حَلَّ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ كُلُّ يَوْمٍ مِثْلَهُ صَدَقَةٌ » .
وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه مرفوعا :
« مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ فِي الدُّنْيَا يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

وروى الترمذى وقال حسن صحيح مرفوعا :
« مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ ، أَظْلَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ ، يَوْمَ
لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » .

ومعنى وضع له : أى ترك له شيئا مما له عليه .
وروى ابن أبى الدنيا والطبرانى مرفوعا :
« مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا إِلَى مَيْسَرَتِهِ ، أَنْظَرَهُ اللَّهُ بِذَنْبِهِ إِلَى تَوْبَتِهِ » والأحاديث
فى ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ننفق جميع ما دخل
يدنا من المال على أنفسنا وعيالنا وأصحابنا وغيرهم ، ولا ندخر منه شيئا إلا لغرض صحيح
شرعى لا تلبس فيه ، وكذلك نبادر بالصدقة لسكن بنية صالحة من غير تمهور فيها ،
وعلى السائل الصبر حتى نحرر النية ، ولا ينبغى له المبادرة إلى سوء الظن ورمينا بالبخل
ولو مكثنا شهرا حتى نجد لنا نية صالحة ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس ، فلا المعطى
يتربص حتى يجد نية ، ولا الفقير يصبر : وخلق الإنسان عجولا .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يخرجه من شع
الطبيعة إلى حضرة الكرم ، حتى لا يشح على محتاج إلا الحكمة دون بخل ، ومن لم يسلك فلا

سهيل له إلى العمل به ولو صار من أعلم الناس فإن العلم بمجردة محتف بأفان يتيه بها العبد عن طريق الوصول إلى العمل بما علم .

ومن كلام سيدى إبراهيم للدسوق رضى الله عنه : إنما احتاج العلماء إلى شيخ يربهم مع ذلك العلم العظيم الكثير لعدم إخلاص نيتهم فيه ودخول الإعجاب فيه ، وطلب أحدهم أن يصرف وجوه الناس إليه ؛ ولو أنهم سلموا من الآفات وأنوا حضرة العلم بلا علة لنارت قلوبهم بالعلم وأشرفوا على حضرة الله عز وجل ، ولهان عليهم بذلك نفوسهم في مرضاة الله تعالى ، فضلا عن شىء من أعراض الدنيا .

فلا تطمع يا أخى أن تعمل بهذا العهد بنفسك من غير شيخ تقتدى به فإن ذلك لا يصح لك ، بل من شأنك أن تكون جموعا منوعا حتى تموت كما هو مشاهد في غالب الناس ، حتى رأيت بعض الناس وهو يسأل من بعض شيوخ العرب الظلمة أن يرتب له خبزا من صدقة ، فقلت له في ذلك ، فقال : الضرورات تبيح المحظورات ، فقومت ثيابه وفرسه فوجدت ثمنها نحو ألفين ونصفا ، فقلت له : أين الضرورة ؟ فما درى ما يقول : فسألت عنه بعض من يعامله ، فوجدت له مع الناس نحو عشرة آلاف دينار ، فقلت له : أتلبس على الله ما هو مليح ؟ فقال لى : كان الواحد من الصحابة يملك العشرة آلاف دينار أو أكثر فقلت له وكان مع ذلك لا يدخرها عن محتاج فلم يجد جوابا ، ولو أنه كان سلك طريق أهل الله تعالى لأغناه الله عن السؤال بماك حلال أو بقناعة ، وذلك أن السالك على مصطلح أهل الله تعالى طريقه الذكر ، ومن خاصيته جلاء القلب من ظلمات الرءونات النفسانية حتى يشرف على الجزء الجسماني أو الروحاني الذى وعد الله به المنفقين والمتصدقين في الدار الآخرة ، فإذا أشرف على ذلك صغرت عنده الدنيا بأسرها فيصير يبادر لإيقاقها ، ولو منعه وجهه أنفق سرا لما يرى لنفسه في ذلك من المصلحة ولا فكندا من يعلم أحكام الله على التقليد مع تعاطى شهوات النفوس من أكل وشرب ولباس ومركب ومنكح وغير ذلك من الأمور التي لاتكمل له إلا بالدنيا ، فلا يكاد ينفق شيئا في مرضاة الله تعالى إلا إن اكتفت نفسه من شهواتها والشهوات لاقرار لها إذ كل شهوة تجذبها إليها ، ولو كان له في كل يوم مائة دينار ما كفته .

واعلم يا أخى أنه قد ورد : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُرْزَقُ رِزْقَ سَنَةٍ فِي شَهْرٍ ، فَإِنْ رَفَقَ بِهِ كَفَاهُ وَإِلَّا احتاجَ فِي بَقِيَّةِ سَنَتِهِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُرْزَقُ رِزْقَ شَهْرٍ فِي جُمُعَةٍ ، فَإِنْ رَفَقَ بِهِ كَفَاهُ وَإِلَّا احتاجَ فِي بَقِيَّةِ الشَّهْرِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُرْزَقُ رِزْقَ جُمُعَةٍ فِي يَوْمٍ ، فَإِنْ رَفَقَ بِهِ كَفَاهُ وَإِلَّا احتاجَ فِي بَقِيَّةِ جُمُعَتِهِ » .

وهذا محمول على من كان ضعيف اليقين كما يدل عليه نحو قوله صلى الله عليه وسلم
لكعب بن مالك :

« أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » .

وقوله لبلال: « أَتَقِي وَلَا تَخْشَى مِنْ ذِي الْمَرَشِ إِذْ لَأَلَا » فانهم .

فلا ينبغي لمن معه ما يزيد على حاجته أن يصدق به إلا أن يكون قوى اليقين
من الأغنياء أو من المتجردين .

أما من يأكل من كسب ربحه ، فله أن يمسك رأس ماله وما بقي من ربحه ينفقه على
الأقارب وغيرهم ، وربح الألف الآن خمسة أصداف كل يوم للعامل ، فمن لا يكفيه لنفقته
ونفقة عياله وضيوفه كل يوم لإعشرة أصداف فله أن يمسك الألف دينار أو أكثر بحسب
حاجته ، ومن يكفيه كل يوم نصف فله أن يمسك نصفاً وقس على ذلك ، وليس اللوم
لأعلى من يجمع ويجمع ، نسأل الله اللطف .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : لكل خلق من أخلاق النبوة كرب
في مقابلة تركه يوم القيامة ، فمن لم يطعم الله جاء يوم القيامة جيعاناً ، ومن لم يسق الماء لله
جاء يوم القيامة عطشاناً ، ومن آذى الناس جاء يوم القيامة يؤذى ، ومن لم يستر مسلماً لله
جاء يوم القيامة مهتوكاً مكشوف السوءة على رؤوس الأشهاد ، ومن لم ينفس عن مسلم
كربة جاء يوم القيامة مكروباً ، ومن لم يسامح أحداً في حقه كان يوم القيامة تحت أسر
من له عليه حق ، ومن أزدرى بالناس أزدرى هناك ، وهكذا فلا ينجى أحد إلاثرة عمله
في الدنيا والآخرة كما ستأني الإشارة إلى ذلك في أحاديث العهد الثالث إن شاء الله تعالى ؛
ومن وصية سيدي سالم أبي النجاء القوي رضى الله عنه لأصحابه وهو مختصر : اعلموا
يا إخواني أن الوجود كله في الدنيا والآخرة بعاملكم بحسب ما برز منكم من الأعمال ،
فانظروا كيف تكونون :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعاً : « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ إِلَّا وَمَلَكَانِ
يَنْزِلَانِ مِنَ السَّمَاءِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ
مُمْسِكًا تَلْفًا » .

ولفظ رواية ابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ إِلَّا وَمَلَكَُ بِيَابِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضِ
الْيَوْمَ يَجِدْ غَدًا، وَمَلَكَُ بِيَابِ آخَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَأَعْطِ مُمْسِكًا
تَلْفًا » وكذلك رواه الطبراني، إلا أنه قال : « بِيَابِ السَّمَاءِ » .

قلت: قال بعض المحققين : والمراد بقول الملك « اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا » .

أى إنفاقا في وجوه الخير لأن الملك من عالم الخير فلا يدعو بفساد ، كما يقال فلان
أتلف نفسه وماله في مرضاة الله تعالى ، وأما على ما يتبادر إلى الأذهان فالمتلف لماله إنمه
عليه الإثم وهم لا يدعون بالإثم فافهم ، والله تعالى أعلم .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيَّكَ » .

وروى مسلم والترمذى مرفوعا : « ابْنُ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تَبَدَّلَ الْفَضْلَ خَيْرَ لَكَ وَإِنْ
مُتْسِكُهُ شَرُّ لَكَ وَلَا تَلَامُ عَلَى كِفَافٍ » .

والكفاف ما كف من الحاجة إلى الناس مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة ، والفضل
ما زاد على قدر الحاجة .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا
جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا فَجَعَلَ الْمُتَّصِدُّ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ
انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تَغْشَى أَنْفَهُ وَتَعْفُوَ أُنْرَهُ ، وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ
قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلَّ حَلْقَةٍ بِمَكَانِهَا ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِأَصْبُعِهِ هَكَذَا فِي جَنَّتِهِ يُوسِّعُهَا » .

والجنة بضم الجيم والنون: كل ما وقى الإنسان، وتضاف إلى ما يكون منفعة، وقلصت :
أى انجمعت وتشمرت وهو ضد استرخت وانبسطت .

قال الحافظ المنذرى : والمراد بالجنة هنا الدرع لأنه يجن المرء ويستتره ، وهو جنى
التوسيد : أن المنفق كلما أنفق طالت عليه وسبغت حتى تستر بنان رجله ويديه ،
والبخيل كلما أراد أن ينفق لزقت كل حلقة بمكانها فهو يوسعها ولا تتسع شبه صلى الله
عليه وسلم نعمة الله ورزقه بالجنة .

وفي رواية بالجبة بالباء الموحدة ، فالمنفق كلما أنفق اتسعت عليه النعم وسبغت ووفرت حتى تستره سترًا كاملاً شاملاً ، والبخيل كلما أراد أن ينفق منعه الشح والحرص ، وخوف النقص ، فهو يمنعه طلباً للمزيد والسعة زيادة على ما عنده فلا تزيد النعم عليه ولا تنسع ولا يستز بها ما يريد ستره ، والله أعلم .

وروى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقيس بن سلع الأنصاري :

« أَنْفِقْ يُنْفِقِ اللَّهُ عَلَيْكَ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » .

وكان يقلل النفقة فأنفق فصار أكثر أهله مالا .

وروى البزار بإسناد حسن والطبراني : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى بِلَالٍ وَعِنْدَهُ صَبْرٌ مِنْ تَمْرٍ ، فَقَالَ مَا هَذَا يَا بِلَالُ ؟ قَالَ أَعَدَدْتُهُ لِأَضْيَافِكَ قَالَ : أَمَا تَخْشَى أَنْ يَكُونَ لَكَ دُخَانٌ فِي جَهَنَّمَ ، أَنْفِقْ يَا بِلَالُ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا » .

وفي رواية للطبراني : « أَمَا تَخْشَى أَنْ يَكُونَ لَكَ بُخَارٌ فِي جَهَنَّمَ » .

وروى الشيخان وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأسماء بنت أبي بكر :

« لَا تَوَكِّي فِيوَكَّا عَلَيْكَ » .

وفي رواية لها : « أَنْفِقِي وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ » .

قال الخطابي ومعنى لا توكي لا تدخري ، والإيكاء : سد رأس الوعاء بالوكاء ، وهو الرباط الذي يربط به . يقول لا تمنعي ما في يدك ، فيقطع الله مادة بركة الرزق عليك اه . وروى البزار والحاكم وقال صحيح الإسناد عن بلال : قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يَا بِلَالُ مَتَّ قَمِيْرًا وَلَا تَمْتُ غَنِيًّا؟ قُلْتُ وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ قَالَ : مَا رُزِقْتَ فَلَا تَحْسِبْهُ ، وَمَا سُئِلْتَ فَلَا تَمْنَعْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟ قَالَ هُوَ ذَاكَ أَوْ النَّارُ » . وروى الطبراني بإسناد حسن أن طلحة بن عبيد الله جاءه مال كثير في يوم ، فقال لغلامه أَدْعُ لِي قَوْمِي فَدَعَاهُمْ ، فقسمه عليهم ولم يبق لنفسه شيئاً وكان أربعمائة ألف .

وروى الطبراني أن عمر بن الخطاب أرسل أربعمائة دينار مع الغلام إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وقال للغلام تلبث عنده في البيت ساعة لينظر ما يصنع ، فذهب بها الغلام إليه وقال أمير المؤمنين يقول لك اجعل هذه في بعض حوائجك ، فقال وصله الله ورحمه ، ثم قال تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة أيضا إلى فلان حتى أنفذها كلها ، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل ، فقال اذهب بهذه إلى معاذ بن جبل واقف في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع ، فذهب بها الغلام وقال : يقول لك أديب المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجاتك ، فقال رحمه الله ووصله ثم قال تعالى يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا وإلى بيت فلان بكذا ، فاطلعت امرأة معاذ فقالت ، ونحن والله مساكين فأعطنا فلم يبق في الخربة إلا ديناران فأرسلهما إليها ، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك وقال إنهم أحوج بعضهم من بعض .

وروى الطبراني وابن حبان في صحيحه عن سهل قال كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة دنائير فوضعها عند عائشة ؛ فلما كان عند مرضه قال يا عائشة ابعتي بالذهب إلى علي ثم أغمي عليه وتشتغل عائشة حتى قال ذلك مرارا ، كل ذلك ويغيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشغل عائشة ما به ، فبعث إلى علي فتصدق بها ، وأمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديد الموت ليلة الإثنين ، فأرسلت عائشة بمصباح لها إلى امرأة من نساءها فقالت ، اهدى لنا في مصباحنا من عكتك السم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسى في حديد الموت .

وروى الطبراني والإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح عن أبي ذر قال : إن خليلي صلى الله عليه وسلم عهد إلى قال :

« إِنْ سَكَلْ دَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ كَيْ عَلَيَّ فَهُوَ جَزْرٌ عَلَى صَاحِبِهِ حَتَّى يُفْرَغَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وقالت له الجارية يوما دعني أثبت عندنا هذه السبعة دنائير لما ينوبك من الخواج أو لما ينزل بك من الضيوف فأبى .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « مَنْ أَوْسَا عَلَى دَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ وَلَمْ يُنْفِقْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ جَزْرًا يُكْوَى بِهِ » .

وروى أبو يعلى والبيهقي عن أنس ورواته ثقات قال أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأطعم خادمه طائرا ، فلما كان من الغد أنت الخادم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَلَمْ أَهْكَ أَنْ تَرَفَعِي شَيْئًا لِنَدِّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْتِي بِرِزْقِي غَدٍ . »

وروى ابن حبان في صحيحه والبيهقي عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد .

وروى الطبراني باسناد حسن مرفوعا : « إِنِّي لَأَلْبِجُ هَذِهِ الْغُرْفَةَ مَا أَلْجِهَا إِلَّا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَالٌ فَأَتَوِيَّ وَلَمْ أَتَفِنَّهُ » والغرفة العلية .

وروى البزار مرفوعا : « مَا أَحَبُّ أَنْ لِي أَحَدًا ذَهَبًا أَبْقَى صُبْحَ ثَالِثَةٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْئًا أُعِدُّهُ لِدَيْنٍ » .

وروى الإمام أحمد والطبراني أن رجلا توفي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الصفة فلم يوجد له كفن فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

« انظروا إلي دَاخِلِ إِزَارِهِ فَوَجَدُوا دِينَارًا أَوْ دِينَارَيْنِ ، فَقَالَ : كَيْتَانِ أَوْ كَيْتَةٌ مِنْ نَارٍ » .

وفي رواية : فوجدوا دينارا فقال : « كَيْتَةٌ مِنْ نَارٍ » .

قال الحافظ المنذرى : وإنما جعل صلى الله عليه وسلم ذلك الدينار أو الدينارين كيتين أو كية من نار ، لأنه ادخر مع تلبسه بالفقر ظاهرا ، وشارك الفقراء فيما يأتيهم من الصدقة والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نأذن لزوجاتنا في التصدق بما جرت به العادة من مالنا ولا نمنعها من ذلك طلبا لنزول الرحمة على بيتنا في غيبتنا وحضورنا ، ولتدوم النعمة أيضا علينا ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس فيمنع زوجته أن تصدق برغيف أو مغرفة طعام على فقير ، فيكون ذلك سببا لتضييق الرزق على أهل البيت ، وكذلك لا نمنعها أن تقرى الضيف في غيبتنا على طريق العرب العرباء ، لكن من غير مخالطة للضيوف والأجانب ، وقد كان على هذا القدم سيدى الشيخ عثمان الخطاب ، والحافظ الشيخ عثمان الديلمي فكان كل منهما يذهب إلى بيت الآخر

فى غيبته ، ويجلس مع امرأة أخيه وتخرج له ما يأكل وما يشرب ، فكانا من أولياء الله تعالى ، لكن أنى لنا فى هذا الزمان أن يظفر أحدنا بأخ صالح يأمنه على الخلوة بعياله بحيث لا يتخلله تهمة فيه ، فوالله لقد قل الصادقون الذين يؤتمنون على مثل ذلك ، فنوصى عيالنا أن يخرجوا للضيف ما يأكل وما يشرب مع الخادم ولا يختلطن به .

واعلم يا أخى أنه كلما كثر طعامك للناس كلما كثرت النعمة عليك ، فإن الله تعالى يسوق لسلك عهد من الرزق بقدر ما يعلم فى قلبه من السخاء والكرم ، فمنهم من يكون عنده قوت خمسة أنفس ، ومنهم من يكون عنده قوت عشرة ، وهكذا إلى الألف نفس أو أكثر ، فتعرف مراتب الناس فى الكرم بقدر عيالهم ، وقد يكون بعض الأولياء يطلب لنفسه الخفاء والتجرد ، فلا يكون عنده أحد وهو فى غاية الكرم ، ويود أن لو كان كل من فى الدنيا عائلته ، فمثل هذا يعطيه الله تعالى فى الآخرة أجر من عال جميع الخلق وراثة محمدية ، فيحصل له هذا الثواب العظيم مع الخفاء وعدم الشهرة ، فإن الله هو الرزاق للعبد ، ومن كان هذا مشهده فكثرة العيال وقتلهم عنده سواء لا يتحمل هما من جهتهم أبدا ، وإنما يلحقه بعض كرب إذا توجهت العائلة إليه من حيث كونه واسطة مع عدم شهودهم أن الله هو الرزاق ، فيقصرون نظرهم على ذلك العبد فيؤثرون فيه الضيق والسكرب حتى يصل إليهم رزقهم الذى قسمه الله لهم على يده ، ولو أنهم كلهم كانوا متوجهين إلى الله دون ما تأثر من جهتهم قط ولا حمل هما .

وقد كان سيدى أحمد الزاهد يقول : وعزة ربى لو كان أهل مصر كلهم عيالى ما طرقتى هم أبدا لعلمى بأن القسمة وقعت فى الأزك فلا زيادة ولا نقص ، ولا يقدر أحد يأكل لقمة قسمت لغيره وتعويق الرزق عن العهد إنما هو تأديب له أو اختبار أو رفع درجته اه .

قلت : وقد من الله تعالى علينا بذلك فلو كان جميع من فى الأرض كلهم عيالى ما اهتمت لهم إلا من جهة توجههم إلى وقصور بصرهم على أو لسكونهم لا يستحقون ما طلبوه منى لتكريم الصلاة وتعليمهم الحدود ونحو ذلك فالحمد لله رب العالمين .

ولا تصل يا أخى إلى العمل بهذا العهد إلا بالسلوك على يد شيخ مرشد يوصلك إلى شهود ما ذكرناه ، وإلا فن لازمك الاهتمام بالرزق وترادف الأوهام المكدره عليك حتى لا تكاد ترجع إلى شهود أن الله تعالى فرغ من قسمة الرزق إلا بعد تأمل وتفكر ،

وهناك تعلم أن إيمانك مدة الاهتمام بالرزق ناقص وأنه يجب عليك تجديد إيمانك كلما حصل عندك اهتمام بالرزق ، ولو أنك سلكت الطريق لم يتركك الله تعالى ولا اهتمام بما وعد الله بحصوله لك أو لغيرك ، ولا منعت زوجتك من الصدقة في ليل أو نهار إلا لعذر شرعي .

فاسلك يا أخى على يد شيخ يخرجك من ظلمات الاتهام والأوهام ، والله يتولى هداك :
(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) . .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُسَدِّدَةٍ كَانَتْ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ وَلِزَوْجِهَا بِمَا اكْتَسَبَ وَلِلْخَازِنِ مِثْلَ ذَلِكَ لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَجْرِ بَعْضٍ شَيْئًا » .

وفي رواية : « إِذَا تَصَدَّقَتْ » بدل أنفقت .

وروى أبو داود أن أبا هريرة : سئل عن تصدق المرأة من بيت زوجها قال لا إلا من قوتها ، والأجر بينهما ، ولا يحل لها أن تصدق من مال زوجها إلا بإذنه ، فزاد الحفاظ رزين العبدي في جامعه : فإن أذن لها فالأجر بينهما ، فإن فعلت بغير إذنه فالأجر له والإثم عليها .

وروى أبو داود والنسائي مرفوعا : « لَا يَجُوزُ لِمَرْأَةٍ قَطُّ عَطِيَّةٌ إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا » .

وروى الشيخان وغيرها عن أسماء بنت أبي بكر قالت : يا رسول الله مالي ماك إلا ما أدخل به على الزبير أفأتصدق ؟ فقال :

« تَصَدَّقِي وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ » .

وفي رواية لها أنه صلى الله عليه وسلم قال لها :

« ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ » .

وروى الترمذي بإسناد حسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبة عام حجة الوداع :

« لَا تُنْفِقِي أُمَّرَأَةٌ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ

وَلَا الطَّعَامَ ؛ قَالَ ذَلِكَ أَفْضَلُ أَمْوَالِنَا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، أن نطعم الطعام لكل من ورد علينا ، ونسقى الماء كذلك ولا نتوقف على استحقاقه لذلك إلا بطريق شرعى تخلقا بأخلاق الله عز وجل ، فإنه يرزق البز والفاجر ، ومن أدركناه على هذا القدم الشيخ محمد بن عنان والشيخ يوسف الحربى ، والشيخ عبدالحليم بن مصلح ، والشيخ أبو الحسن الغمرى ، والشيخ محمد الشناوى الأحمدي رضى الله عنهم ، فكان طعامهم وشرابهم لكل وأرد ، وكان الشيخ يوسف الحربى إذا لم يحضر عنده طعام لا يدع الضيف يخرج من عنده حتى يسقيه الماء .

وقد قدمنا أن السخاء هو خلق الله الأعظم ، ويحتاج من يعمل بهذا العهد إلى شيخ يخرج من ظلمات البخل إلى حضرة الكرم ، ويخرجه من الآفات التى تطرق الكرم من شهود فضله على الناس الذين يطعمهم وحب المدحة على ذلك فى المدائن وقراها ، فقل كريم فى هذا الزمان أن يخلص من هذه الورطة ، بل غالب الكرام وجلوا فى حب البلد بالكرم وحب تفضيلهم على أقرانهم بذلك .

فاسلك يا أخى الطريق على يد شيخ ، وإلا فن لازمك الآفات وذلك لتطمع الله وتمنع الله وترى على الكشف وللشهود أن جميع ما أنت فيه من النعم هو كله لله تعالى يجعله الله تعالى لعباده على يديك ، ليس لك تعمل فى تحصيله ، إنما أنت خازن استأمنك الملك على أرزاق عباده ، فلوسجدت لله على الجمر أهد الآبدين ما أدبت شكر ذلك ، وقد عم غالب الفقراء فى هذا الزمان العلل فى أعمالهم وأخلاقهم لقلته من يريهم أو لقلته سماعهم لمن يريهم ، فصار المطعم يطعم لعله والمائع يمنع لعله ، وصار من لا يطعم الناس يحسد من يطعم الناس ، ويود أن الله تعالى يحول من ذلك الكرم النعمة . وبعضهم يقول : هو يطعم الناس من عنده إنما المنة لله تعالى فى ذلك كل ذلك يقصد أن يطفى نور أخيه بين الناس حسدا وبغيا ، ولو أنهم فطموا على يد شيخ لحفظهم الله تعالى من تلك الآفات .

واعلم يا أخى أن من شأن البشر الملل ممن يحتاج إليه ، فمن الأدب أن لا يطعم العبد للناس إلا ما سمحت به النفس من غير كلفة ، ومن تكلف سوف يهرب ، فححر النية يا أخى وأطعم الطعام ، واسق الماء من البحر أو من الصهاريج أو من الآبار حسب الطاقة . ومن رأيته تحقق بهذا المقام سيدى على الخواص ، وكان أكثر ملئه الماء لقاوى الكلاب وحيضان بيوت الخلاء .

ومن رأيته تبعه على ذلك وزاد عليه أخى العبد الصالح الشيخ أحمد الهندي المقيم بناحية منبوبة تجاه بولاق بمصر المحروسة لا يمل من حفر الآبار وسقى الماء وحمله إلى الأسمية ، تارة يحملها في يديه وتارة على حمارته رضى الله عنه ، وكان على هذا القدم جدى الشيخ نور الدين الشعراوي كان وظيفته في كل يوم يملأ سبيل الجامع وسبيل الزاوية وسبيل آخر في وسط البرية ، يقوم لذلك من الليل فيملؤها قبل الفجر ثم يملأ المطهرة وحيضان بيوت الحلاء كذلك قبل الفجر رضى الله تعالى عنه :

و « كُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خَاقَ لَهُ » .

وقائدة ذكرنا مناقب الرجال إنما هي ليتنبه الفقير لتخلفه عن مقامات الرجال ، فيعرف نقص نفسه عن العمل بأخلاقهم ولا يقنع بلبس الصوف والجلوس على سجادة يخبط في دين الله ، تارة بالرأى وتارة بالوهم ، وتارة يتكلم في الله بما لا يليق بجلاله وعظمته ، حتى إنى سمعت بعضهم يقول : ما ثم موجود إلا الله فقلت له ، فأنت إيش؟ فقال كلاما والله لو كان معى شاهد آخر يشهد لذهبت به إلى حكام الشريعة يضربون عنقه ، ولم يكن هذا الأمر في الأشياخ الذين أدركناهم إنما هو الزهد والورع واتباع السنة المحمدية رضى الله عنهم أجمعين :

فإياك أن تجالس من يتكلم في الذات والصفات بغير ما صرحت به الشريعة أو تصغى لقوله ، والله يتولى هداك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) :

وروى الشيخان وغيرهما أن رجلا قال : يا رسول الله أى الإسلام خير؟ قال :

« تَطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتُقْرِئُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » .

وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة قال : قلت يا رسول الله أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة قال :

« أَطْعِمِ الطَّعَامَ وَأَفْشِ السَّلَامَ وَصَلِّ الْأَرْحَامَ وَصَلِّ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » .

وروى أبو الشيخ مرفوعا : « خِيَارُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ » .

وروى الحاكم والبيهقي مرفوعا: « مِنْ مُوجِبَاتِ الرَّحْمَةِ إِطْعَامُ الْمُسْلِمِ الْمُسْكِينِ ». وفي رواية: « مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ إِطْعَامُ الْمُسْلِمِ السَّعْبَانَ » يعنى الجائع .
وروى الطبراني وأبو الشيخ والحاكم والبيهقي ، وقال الحاكم صحيح الإسناد مرفوعا:
« مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَتَّى يُشْبِعَهُ ، وَسَقَاهُ حَتَّى يُرْوِيَهُ ، بَاعَدَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ سَبْعَ خَنَادِقَ ، مَا بَيْنَ كُلِّ خَنَدَقَيْنِ مَسِيرَةٌ مُخَمَّسَاتَةٌ عَامٍ » .

وروى البيهقي وغيره مرفوعا: « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تُشَبِّعَ كَيْدًا جَائِعًا » .
وروى ابن الدنيا وغيره مرفوعا موقوفا عن ابن مسعود والوقت أشبهه قاله
الحافظ المنذرى :

« يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْرَى مَا كَانُوا قَطُّ ، وَأَجْوَعَ مَا كَانُوا قَطُّ ، وَأَظْمَأَ مَا كَانُوا قَطُّ ، فَمَنْ كَسَى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كِسَاءَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ أَطْعَمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَطْعَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ سَقَى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَقَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

وروى أبو الشيخ مرفوعا: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِالَّذِينَ يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ مِنْ عِبِيدِهِ » .

وروى الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رجل ، فقال : ما عمل إن عملته دخلت الجنة ؟ فقال :

« أَنْتَ بِبَلَدٍ تَجْلُبُ الْمَاءَ قَالَ نَعَمْ ؟ قَالَ فَاشْتَرِ بِهَا سِقَاءً جَدِيدًا ثُمَّ اسْقِ فِيهَا حَتَّى تَخْرُجَ قَهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ تَخْرُجَ قَهَا تَبْلُغُ بِهَا عَمَلِ الْجَنَّةِ » .

وروى الإمام أحمد ورواته ثقات مشهورون ، أن رجلا قال : يا رسول الله إنى أفرغ فى حوض حتى إذا ملأته لإبلى ورد على البعير لغيرى فسقيته ، فهل لى فى ذلك من أجر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرًا أُجْرٌ » .

وروى الشيخان مرفوعا: « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ ، فَوَجَدَ بُرًّا وَنَزَلَ فِيهَا وَشَرِبَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ التُّرَى مِنَ الْعَطَشِ

فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي؟ فَزَلَّ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ حَتَّى رَفَى فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ .
وفي رواية: « فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » .

وروى أبو داود واللفظ له وابن ماجه وغيرهما أن سعد بن عبادة قال :
« يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي مَاتَتْ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ الْمَاءُ » .
فحضر بئرا وقال هذه لأم سعد :

وفي رواية للطبراني فقال : « عَلَيْكَ بِالْمَاءِ » .

وروى البخاري في تاريخه وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« مَنْ حَفَرَ بَيْرَ مَاءٍ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ ذُو كَيْدٍ حَرَاءٌ مِنْ جِنَّ وَلَا إِنْسٍ وَلَا طَائِرٍ
إِلَّا أُجِرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « مَنْ سَقَى مُسْلِمًا شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ حَيْثُ يُوجَدُ الْمَاءُ ،
فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً ، وَمَنْ سَقَى مُسْلِمًا شَرْبَةً مَاءٍ حَيْثُ لَا يُوجَدُ الْمَاءُ فَكَأَنَّمَا
أَحْيَاهَا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نشكر كل من أسدى
إلينا معروفًا ونكافئه على ذلك ولو بالدعاء أدبا مع الشارع في أمره لنا بذلك ، وقد كثرت
الحيافة لهذا العهد من غالب الناس ، حتى صرت تربي اليتيم إلى أن يصير له أولاد ولا يتذكر
لك نعمة ولا يحفظ معك أدبا ، وصار من وقع له ذلك يحذر من يريد يفعل مثله مع الناصر ،
فبتقدير أن المنعم من أولياء الله تعالى لا يلتفت إلى شكره ، فالمنعم عليه لا يستحق ذلك كما
سيأتي ، والكامل على الأخلاق الإلهية ، والله عز وجل يحول النعم حين تكفر .

فاشكر يا أخى من أسدى إليك معروفًا لكن من غير وقوف معه ، فتراه كالقناة
الجارية لنا منها الماء أو كالأجير الذى يغرف لنا من طعام رجل غيره بأجرة جعلها له :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ مرشد حتى يصل به إلى
حضرة الإحسان ويرى الأمور كلها لله تعالى كشفا وشهودا ، ويصير يرى النعم من الله

تعالى ببادئ الرأي ولا يضيفها إلى الخلق إلا بعد تأمل وتفكر ، عكس من لم يسلك الطريق ، فإنه لا يكاد يشهد النعمة من الله تعالى إلا بعد تفكر وتأمل .

فاسلك يا أخى الطريق لتفوز بالأدب مع الله تعالى ومع خلقه كما أمرك ، فقال تعالى :
(أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) .

وقد قرن الله تعالى السعادة بشهود الأمور كلها من الله ، وقرن الشر بشهودها من الخلق ، ومقام الكمال في السعادة شهود الأمور كلها ببادئ الرأي من الله خلقا وإيجادا ، ومن العبد نسبة وإسنادا لأجل إقامة الحدود وكأن لسان الحق تعالى يقول : من قتل نفسا بغير حق فاقتلوه ، ولو شهدتم أنى قدرت عليه ذلك أو أنى أنا الفاعل ، كما قال :
(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) .

فلا يسعنا إلا امتثال الأمر ، وكذلك الحكم في الزنا وشرب الخمر ونحوها ، فكأنه قال تعالى : من ظهر من جوارحه كذا فافعلوا به كذا ، فنقول سمعا وطاعة ، وأكثر الناس عمى عن تحقيق هذه المسألة فلما يضيفونها إلى الله تعالى فقط أو إلى الخلق فقط ، لكن من يضيفها إلى الله وحده أكبر أدباً ممن يضيفها إلى الخلق وحدهم غافلاً عن الله تعالى .

وقد رأيت شخصاً من خطباء الجامع الأزهر رسم له السلطان سليم بن عثمان مائة دينار لما صلى الجمعة في الجامع الأزهر وكانت نوبته تلك الجمعة ، فجاءه رفيقه ومنعه عن الخطبة ذلك اليوم لأجل المائة دينار ، فصار الخطيب المنوع يحط على المانع وصرت أقول له : إن الله تعالى لم يقسم لك شيئاً ، فيقول : هذا قد تسبب في قطع رزقي ، فقلت له : ولو تسبب قليس هو بقاطع إنما هو آلة للقدرة الإلهية والحكم لمن حرك الآلة ، فحكمت حكم من ضربت بعضاً فصار يسبب العصا ، أو عرف له طعام بمغرفة فصار يمدح المعرفة ويشكرها بين الناس وينسى الفاعل بتلك الآلة ، فهذا حكمه على حد سواء عند أهل التحقيق ، ولا يخفى ما في ذلك من قلة العقل :

ثم قلت له : أين قولك في الخطبة كل جمعة : والله ثم والله لا يعطى ويمنع ويضع ويرفع إلا الله ؟ فقال قطعته بالحجة ، ولو أن هذا سلك الطريق وبني أمره على التوحيد السكامل ما توقف في ذلك ولا احتاج إلى مجاهد ولا عادي أحداً عارضه في طريق وصوله إلى رزقه ، بل كان يرى كل شيء عورض فيه أن الله تعالى لم يقسمه له فلا يتعب نفسه .

فاعلم ذلك واصلك طريق القوم إن أردت العمل بهذا العهد على وجه الكمال لتكون
من أهل السنة والجماعة ، والله يتولى هداك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

واعلم أن كفران النعمة للوسائط مما يحولها ، وإذا حولت فلا يقدر من كفرت نعمته
أن تجرى لك نعمة على يديه :

(سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) .

لأن كفران النعمة يقطع طريقها ، فبتقدير أن من كفرت نعمته لا يؤاخذك ، فأنت
لا تستحق تلك النعمة فلا بد من وجود ضيقة الاستحقاق في المنعم عليه ، وعدم كفرانه
نعمة من كان واسطة فيها من زوج ووالد وسيد ونحوهم ، وقد كثر كفران النعم في هذا
الزمان من الزوجة والأولاد والأرقاء والمريدين ، وبذلك تعسرت عليهم الأرزاق ، وكما
تأخر الزمان زاد على الناس الأمر في تعسير الأرزاق وفي تحويلها عنهم بالكيفية ، لقلّة
الشكر بالعمل من قيام الليل وغيره حتى تنورم منهم الأقدام ، فإن الشكر بالقول ما بقي يكفي
لغالب النعم في هذا الزمان لكون الموازين قد أقيمت فيه على الناس لقرب الساعة ، وما
قارب الشيء أعطى حكمه وقلّة الإخلاص في القول ، وقد قال تعالى في حق آل داود :

(اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) .

ولم يقل قولوا آل داود شكرا ، وهذه الأمة المحمدية أولى بأن يشكروا بالعمل
الأنهم أعظم نعمة بنبيهم وشريعتهم ، فليتنبه من كان غافلا عن ذلك ليدوم الماء في مجاريه .

وقد كان الشيخ عصفير المجدوب المدفون نخط بين السورين بمصر ، كلما رأى حوضا
مملوا للبهائم يفتح بالوعته فيسبح على الأرض ويقول الذي يملؤه أنت أعمى القلب ، فإن
أهل هذا الزمان صاروا لا يستحقون رحمة ولا نعمة لكثرة عصيانهم ومخالفتهم ، فقال
ياسيدي : إنما هذا للبهائم فقال إنها تحملهم إلى مواضع المعاصي اه فكان يتكلم على لسان
أحوال الزمان بلسان الحقيقة دون لسان الشريعة لسكونه مجذوبا ، وكان مراده مما قاله
تنبيه الناس إلى المشى على طريق الاستقامة لتدوم عليهم النعم ، وإلا فالخلق لا يستحقون
على الله تعالى شيئا مطلقا ، وإنما جميع نعمه عليهم من باب الفضل والمنة ، والله
تعالى أعلم .

وروى أبو داود والنسائي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما مرفوعا :

« مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْوهُ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَأَمْتُوهُ » .

وفي رواية الطبراني : « حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ شَكَرْتُمُوهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ شَاكِرٌ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ » .

وروى الترمذي وأبو داود وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُتَيْنِ فَإِنَّ مَنْ أَمْنَىٰ فَقَدْ شَكَرَ ، وَمَنْ كَفَرَ فَقَدْ كَفَرَ » .

وفي رواية للترمذي مرفوعا وقال حديث حسن :

« مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ » .

وفي رواية له : « مَنْ أَسَدَىٰ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِلَّذِي أَسَدَاهُ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ » .

وروى الإمام أحمد ورواه ثقات والطبراني مرفوعا :

« إِنْ أَشَكَرَ النَّاسُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ أَشَكَرَهُمُ لِلنَّاسِ » .

وفي رواية لأبي داود والترمذي وقال حديث صحيح :

« لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ » .

قال الحافظ المنذرى : روى هذا الحديث برفع الله و برفع الناس ، وروى أيضا

بنصبهما و برفع الله وينصب الناس وعكسه ، أربع روايات :

وروى الطبراني وابن أبي الدنيا مرفوعا :

« مَنْ أُولِيَ مَعْرُوفًا فَلْيَذْكُرْهُ ، فَمَنْ ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ كَتَمَهُ

فَقَدْ كَفَرَهُ » .

وروى ابن الدنيا وغيره مرفوعا بإسناد لأبأس به :

« مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَا يَشْكُرِ الْكَثِيرَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ وَالتَّحَدَّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرُهُ وَتَرَهُ كُفْرًا » .

وروى أبو داود والنسائي واللفظ له : « قَالَ الْمُهَاجِرُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلُّهُ ؟ مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَحْسَنَ بَدَلًا لِلْكَثِيرِ ، وَلَا مُوَأَسَاتٍ فِي الْقَلِيلِ مِنْهُمْ ، وَلَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤَنَّةَ ، قَالَ أَلَيْسَ تُنْتُونَ عَلَيْهِمْ بِهِ وَتَدْعُونَ لَهُمْ ؟ قَالُوا بَلَى ، قَالَ : فَذَلِكَ بِذَلِكَ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن يكون معظم محبتنا للصوم من حيث كون الله تعالى قال : « الصوم لى » لامن حيثية أخرى كطلب ثواب أو تكفير خطيئة ونحو ذلك ، فإن من عمل لله تعالى كفاههم الدنيا والآخرة وأعطاهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فضلا عن الثواب وتكفير الخطايا ، وغيرهما من الأغراض النفسانية فى الدنيا والآخرة ، ولم يبلغنا عن الله تعالى أنه قال فى شيء من العبادات إنه له خالصا إلا الصوم ، فلولا مزيد خصوصية ما أضافه إليه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : معنى قوله تعالى « الصوم لى » يعنى من حيث إنه صفة صمدانية ليس فيه أكل ولا شرب ولذلك أمر الصائم أن لا يرفث ولا يفسق ، ولا يقول الهجر من الكلام أدبا مع الصفة للصمدانية التى تلبس بتظير اسمها اه .

وقال سفيان بن عيينة فى معنى قوله تعالى :

(كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) .

قال : إذا كان يوم القيامة يحاسب الله تعالى عبده ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله ، حتى لا يبقى إلا الصوم فيحمل الله تعالى ما بقى عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة اه وهو كلام غريب .

ومن فوائد الصوم أنه يسد مجارى الشيطان من بدن الصائم ويصير عليه كالجنة فلا يجد الشيطان من بدنه مسلكا يدخل إلى قلبه منه من العام إلى العام ، ومن الاثنين إلى الخميس

أو من الخميس إلى الاثنين ، أو من الأيام البيض إلى الأيام البيض ، أو من الشهر الحرام إلى الشهر الحرام ، أو من عاشوراء إلى عاشوراء ، أو من يرم عرفة إلى يوم عرفة ، كل صوم يكون جنة منه إلى نظيره من الصوم الذى يعده كل جنس بما يقابله ، فللاثنين دائرة وللخميس دائرة ، ولأيام الليالي البيض دائرة ، وللشهر الحرام إلى مثله دائرة ، ولأيام عرفة إلى مثله دائرة ، ولأيام عاشوراء إلى مثله دائرة ، ولكل دائرة حفظ من أمور خاصة ، بها فلا يصل إبليس إلى العبد لئوسوس له بها كنظيره من الصلاة والزكاة والحج والوضوء والركوع والسجود ، فكل منهما ذنوب تكفر بها ، فلا يكفر عمل ما يكفر غيره من الأعمال ، ويؤيد ما قلناه خبر مسلم مرفوعاً :

« الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرَ » .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إنما كان صوم رمضان شهراً كاملاً لما تسعا وعشرين أو ثلاثين ، لأن أصل مشروعيته كان كفارة للأكلة التى أكلها آدم عليه السلام من الشجرة ، فأمره الله تعالى بصومه كفارة لها .

وقد ورد أنها مكنت فى بطنه شهراً حتى ذهبت فضلتها ، وورد :

« الشَّهْرُ يَكُونُ ثَلَاثِينَ وَيَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ » فافهم .

واعلم أن فائدة الصوم لانهلص إلا بالجوع الزائد على الجوع الواقع عادة فى غير رمضان فمن لم يزد فى الجوع فى رمضان فحكمه كحكم المفطر ، سواء فى عدم سد مجارى الشيطان لاسيما إن تنوع فى المآكل والمشارب وأنواع الفواكه وتعشى عشاء زائداً عن الحاجة ، ثم تعتم بالكفاة أو الحلاوة أو الجبن المقل ثم تسحر آخر الليل كذلك ، فإن مثل هذا يفتح من بدنه للشيطان مواضع زائدة عن أيام الإفطار فتكثر مجارى الشيطان التى يدخل منها إلى هلاكه فى مثل هذا الشهر العظيم ، الذى فيه ليلة القدر خير من ألف شهر ، وهى مدة أعمار الناس الغالبة وهى ثلاث وثمانون سنة ، فلو وزنت عبادة العبد طول هذا العمر مع أعماله فى ليلة القدر لكانت ليلة القدر أرجح من سائر أعماله الخالصة الدائمة التى لا يتخللها فتور فكيف بالأعمال التى دخلها الرياء وتخللها معاص وسينات وغفلات وشهوات .

ومن نظر بعين البصيرة وجد جميع صوم الأيام التى قبل ليلة القدر كالأستعداد والتطهير

للقلب حتى يتأهل لرؤية ربه عز وجل في تلك الليلة وأظن غالب كبراء الزمان فضلا عن غيرهم غارقين فيما ذكرناه فيمضى عليهم شهر رمضان ، وقد زاد قلبهم ظلمة بأكل الشهوات والنوم .

وقد كان المؤمن في الزمن الماضي لا يخرج من صوم رمضان إلا وهو يكشف الناس بما في سرائرهم لشدة الصفاء الذي حصل عنده من توالى الطاعات وعد المخالفات .

وسمعت الشيخ إبراهيم عصفورا المجذوب رضى الله تعالى عنه يقول : والله إن صوم هؤلاء المسلمين باطل لأكلهم عند الإفطار اللحم والحلوات والشهوات ، وما عندي صوم إلا صوم القوم الذين يفترون على زيت أو نخل ونحو ذلك ، وكان الناس لا يهتمون لمعاني إشاراته لكونه مجذوبا وكنت أنا أفهم معاني كلامه وإشاراته وتوبيخاته كأنه يقول المسلمون لا ينبغي لهم في رمضان إلا الجوع الشديد :

وسمعت أحمى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : من أدب المؤمن إذا أفطر عنده الصائمون أن لا يشبعهم الشيع العادي وإنما يشبعهم شيع السنة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لَقِيَّاتٌ يَقِمْنَ صُلْبَهُ » .

قال أهل اللغة : واللقيمات جمع لقمة من الثلاث إلى التسعة ، فتي أخرج الإنسان لمن أفطر عنده أكثر من تسع لقييات فقد أساء في حقه ، ولا تبقى له أجرا لإفطاره بما حصل له من تعدى السنة اه ، وهذا الأمر لا يفعله إلا من خرج عن حكم الطبع ومعاملة الخوطين إلى فضاء الشريعة ، ومعاملة الله وحده حتى صار يشفق على دين أخيه المسلم أكثر مما يشفق هو على نفسه ، وعلامات خروجك من حكم الطبع أن لا تتأثر من ذمه فيك بين الأعداء إن لم تشبعه ، لأن حكم من يتعدى السنة مع المعارف كحكم الطفل على حد سواء والطفل لا يجاب إلى كل ما اشتبهت نفسه :

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رضى الله عنه يخرج للصائمين أقل من عاداتهم في الإفطار فاشتكوا النقيب له فقال إن شكوتم منه في الدنيا فسوف تشكروني في الآخرة .

ومن وصية سيدي على الخواص رحمه الله : إياك أن تخرج للضيف في رمضان كشيخ العرب أو غيره فوق رغيف خوفا أن يتكدر منك إن لم تشبعه ، فإنه لو كشف له عن صنيعك معه لقبيل رجليك ، وقال جزاك الله عنى خيرا الذي لم تعط نفسى الحبيثة حظها من شهواتها ، وسعيت في كمال صومها .

فاسلك يا أخى على يدشيخ حتى يخرجك عن حكم الطبيعة وتصير تعامل الخلق بالرحمة والشفقة ، وإلا فتر لازمك الخوف من عتاب المخلوقين .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : أولياء الله أشفق على العباد من أنفسهم لأنهم يمنعونهم من الشهوات التى تنقص مقامهم وهم لا يفعلون بأنفسهم ذلك أبدا ما أمكنهم وراثه محمدية اه .

فاعلم ذلك واعمل به ، والله يتولى هداك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وروى الشيخان وغيرهما واللفظ للبخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصَّيَّامُ جَنَّةٌ ، فَإِذَا صَامَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَرَفُثُ وَلَا يَصْخَبُ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ تَخْلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَلِلصَّائِمِ قَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ » .

وفى رواية لاسلم : « كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي » .

وفى رواية لمالك وأبى داود والترمذى :

« وَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَجَزَاهُ فَرِحَ » الحديث .

قلت : وإنما كان الصائم يفرح بهذين الشيئين لأن الإنسان مركب من جسم وروح فغذاء الجسم الطعام وغذاء الروح لقاء الله والله أعلم .

قال الحافظ : ومعنى قوله « الصيام جنة » بضم الجيم هو مايجن للعبد ويستره ويقيه مما يخاف ، قال : ومعنى الحديث : إن الصوم يستر صاحبه ويحفظه من الوقوع فى المعاصى .

والرفث يطلق ويراد به الجماع ويطلق ويراد به الفحش، ويطلق ويراد به خطاب الرجل للمرأة فيما يتعلق بالجماع .

وقال كثير من العلماء: المراد به في هذا الحديث الفحش وردئ الكلام. والخلوف: بفتح الخاء وضم اللام هو تغير رائحة الفم من الصوم .

وروى الطبراني والبيهقي مرفوعا: « الصِّيَامُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْلَمُ ثَوَابَ عَامِلِهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

وروى الطبراني ورواته ثقات مرفوعا: « صُومُوا تَصِيحُوا » .

وروى الإمام أحمد باسناد جيد والبيهقي مرفوعا :

« الصِّيَامُ جَنَّةٌ وَحَصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ » .

وفي رواية لابن خزيمة في صحيحه :

« الصِّيَامُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ كَجَنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ » .

وروى الإمام أحمد والطبراني والحاكم ورواتهم محتج بهم في الصحيح مرفوعا :

« الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ أَنْ يَشْفَعَا لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَيَقُولُ الصِّيَامُ: أَمَى رَبِّ مَنَعْتُهُ

الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالشَّمُونَ فَشَفَعَنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ

فَشَفَعَنِي فِيهِ قَالَ فَيَشْفَعَانِ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا: « لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصَّوْمُ » .

وروى البيهقي مرفوعا: « إِنْ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لِدَعْوَةٌ لَا تُرَدُّ » .

وروى الإمام أحمد والترمذي وحسنه واللفظ له وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان

في صحيحه مرفوعا :

« ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُنَّ الصَّائِمُ حَتَّى يُفِطَرَ » الحديث .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا: « مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا

بَا عَدَّ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا » .

قال الحافظ : قد ذهب طوائف من العلماء إلى أن هذا الحديث في فضل الصوم

في الجهاد وبوب على ذلك الترمذى وغيره ، وذهبت طائفة إلى أن كل صوم في سبيل الله إذا كان خالصا لله تعالى والله أعلم .

(أخذنا من قيام رمضان وغيره امتثال أمر الله عز وجل والتلذذ بتناجاة الحق لأطلب أجر أخروى ونحو ذلك هروبا من دناءة الهمة ، فإن من قام رمضان لأجل حصول الثواب فهو عبد الثواب لا عبد الله تعالى ، كما أشار إليه حديث :

« تَسِرَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالِدُ الرَّهْمِ وَأَخْلِيصَةَ » .

اللهم إلا أن يطلب العبد الثواب لإظهار الفاقة ليميز ربه بالغنى المطلق ويتميز هو بالفقر المطلق ، فهذا لا يخرج عليه ، لكن هذا لا يوضح له إلا بعد رسوخه في معرفة الله عز وجل بحيث يصير يحجل الله تعالى أن يعبده خوفا من ناره أو رجاء لثوابه .

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حتى يدخله حضرة التوحيد فبرى أن الله تعالى هو الفاعل لكل ما برز في الوجود وحده ، والعبد مظهر لظهور الأعمال إذ الأعمال أعراض وهى لا تظهر إلا في جسم ، فلولا جوارح العبد ما ظهر له فعل في الكون ولا كانت الحدود أقيمت على أحد ، فافهم .

ومن لم يسلك على يد شيخ فهو عبد الثواب حتى يموت لا يتخلص منه أبدا ، فهو كالأجير السوء الذى لا يعمل شىء حتى يقول لك قل لى ليش تعطيني قبل أن أتعب؟ فأين هو ممن تقول له افعل كذا وأنا أعطيك كذا وكذا؟ فيقول والله ما قصدى إلا أن أكون من جملة عبيدك ، أو أن أكون تحت نظرك أو أن أكون فى خدمك لا غير ، أليس إذا اطاعت على صدقه أنك تقربه وتعطيه فوق ما كان يؤمل لشرف همته ، بخلاف من شارطك فإنه يثقل عليك وتعرف أنت بذلك خسة أصله وقلة مروءته ، ثم بعد ذلك تعطيه أجرته وتصرفه عن حضرتك ، وربما انصرف هو قبل أن تصرفه أنت لعدم رابطة المحبة التى بينك وبينه ، فما أقبل عليك إلا لأجرته ، فلما وصلت إليه ولى ونسيك ولا هكذا من يخدمك محبة فيك فاعلم ذلك .

وسمعت سيدى عليا الخواص إذا صلى نفلا يقول أصلى ركعتين من نعم الله على فى هذا الوقت ، فكان رضى الله عنه يرى نفس الركعتين من عين النعمة لاشكرا لنعمة أخرى فقلت له فى ذلك فقال ومن أين يكون المثلئ أن يقف بين يدى الله عز وجل والله إنى لأكاد

أذوب خجلاً وحياء من الله لما أتعاطاه من سوء الأدب معه حال خطابه في الصلاة ، فإن أمهات آداب خطابه تعالى مائة ألف أدب ، ما أظن أننى عملت منها بعشرة آداب ، فأنا إذا وقفت بين يديه في صلاة أو غيرها من العبادات إلى العقوبة أقرب فنكيف أطلب الثواب ؟

وسمعت مرة أخرى يقول : يجب على العبد أن يستقل عبادته في جانب الربوبية ولو عبد ربه عبادة الثقلين بل ولو عبده هذه العبادة على الجمر من ابتداء الدنيا إلى انتهائها ما أدى شكر نعمة إذنه له بالوقوف بين يديه في الصلاة لحظة ولو غافلاً ، وكذلك ينبغي له إذا قلت طاعته أن يرى أن مثله لا يستحق ذلك القليل ، ومن شهد هذا المشهد حفظ من العجب في أعماله وحفظ من القنوط من رحمة الله تعالى اه .

وقال له مرة شخص ياسيدى ادع لى ، فقال يا ولدى ما أتجرأ أسأل الله في حاجة وحدى لالنفسى ولا لغيرى ، اصبر حتى نجتمع مع الناس في صلاة العصر وندعوك معهم في غمارهم .

وسمعت أخى أفضل الدين يقول : والله إنى لأقوم أصلى بالليل فأرى نفسى بين يدي الله كالمجرم الذى قتل النفس وفعل سائر الفواحش وأتوبه إلى الوالى يتلفه ، وأرى الجميلة لله تعالى الذى أذن لى في الوقوف بين يديه ولم يطردنى جملة واحدة كما طرد التاركين للصلاة .

وسمعت مرة أخرى يقول : من شرط الكامل في الطريق أنه يكاد يذوب حياء من الله تعالى إذا تلا كلامه وإن كان الله تعالى قد أذن في تلاوة كلامه للكبير والصغير ولكن من شرط العارف أن لا يتلو كلامه إلا بالحضور معه تعالى ، لأن قراءة كلامه مناجاة له تعالى وكيف حال من يناجى رب الأرباب وهو غافل ، فوالله لو رفع الحجاب لذاب كل نال للقرآن كما أشار إليه قوله تعالى :

(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) .

وقوله تعالى : (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) اه .

وهذا أسرار يذوقها أهل الله تعالى لا تذكر إلا مشافهة لأهلها .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول أيضا : من شرط الفقير أن يرى نفسه كصاحب المكتبة من الحشيش واللواط والزنا وغير ذلك ، فإذا قال له شخص من المسلمين ادع لى يكاد يدوب حياء وخجلا لأن معاصيه مشهودة له على الدوام : ورأيت مرة فى وليمة فقال له شخص من العلماء ، ادع الله لى فصار يعرق جبينه ولم يقدر ينطق من البكاء وقال لى ما كأن إلا قتلى هذا .

ولما أراد الزوج عرض عليه للناس بناتهم فكان كل من خطبه لابنته يقول ياأخى بنتك خسارة فى مثلى فلم يرنفسه أهلا لواحدة يتزوجها ، ثم قال لى : مارأيت يقارب شكلى ورذالى لإعرب الهيم الذين يطوفون على أبواب الناس يأكلون الطعام الذى يصبه الناس على المزابل فى أفنية بيوتهم رضى الله عنه .

وقد قلت مرة لصاحب كتبة ادع لى فاستحى وعرق جبينه وقال ياسيدى لاتعد من فضلك تقول لى ذلك تؤذنى ، فإنى والله لما قلت لى ادع لى رأيت نفسى كيهودى قال له شيخ الإسلام ادع لى اه .

وكان سيدى أبو المواهب الشاذلى يقول حكم الملك القدوس أن لا يدخل حضرته أحد من أهل النفس .

وكان سيدى إبراهيم الدسوقى يقول : لاتبرز لى لمن يطلب على الوقوف بين يديها عرضا منها وإنما تبرز لمن يرى الفضل والمنة لها التى أذنت له فى الوقوف بين يديها : وكان يقوم من كان الباعث له على حب القيام بين يدى الله تعالى فى الظلام لذته بمناجاته فهو فى حظ نفسه ما بريح ، لأنه لولا الأنس الذى يجده فى مناجاته ما ترك فراشه وقام بين يديه ، فكان هذا قام محبة فى سواه وهو لا يحب من أحب سواه إلا بإذنه ، فإن الأنس الذى يجده فى قلبه سواه بيقين .

وكان يقول : ماأنس أحد بالله قط لعدم المجانسة بينه وبين عبده بوجه من الوجوه ، وماأنس من أنس إلا بما من الله تعالى من التقريب الإلهى ، لا بالله تعالى .

ومن هنا قامت الأكابر حتى تورمت منهم الأقدام لعدم اللذة التى يجدونها فى عباداتهم ، فإن اللذة تدفع الألم فلايتورم لهم أقدام ، فعلم أن عبادتهم لله تعالى محض تكليف لايدخلها اللذة ، ولو دخلها لذة لكانوا عبيدها وهم مطهرون مقدسون عن العبودية لغير الله تعالى اه .

فاسلك يا أخى الطريق على يد شيخ حتى يخرجك من العال وتصير تأتى العبادات امتثالاً لأمر ربك لا غير ولا تريد بذلك جزاء ولا شكورا .

وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا وقع لأحدكم تقرب في المواكب الإلهية فلا يقتصر على الدعاء في حق نفسه فيكون ذنب الهمة وإنما يجعل معظم الدعاء لإخوانه المسلمين .

وقد من الله تعالى علىّ بذلك ليلة من الليالي لما حججت في سنة سبع وأربعين وتسعمائة ، فكثت في الحجر أدعو لإخوانى إلى قرب الصباح ، فأعطاني الله تعالى بركة دعائى لهم نظير جميع مادعوتهم بسموارة ، ولو أنى دعوت ذلك الدعاء لنفسى لربما لم يحصل لى ذلك ، فالحمد لله رب العالمين .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا تقتصروا في قيام رمضان على العشر الأواخر من رمضان ، بل قوموه كله واهجروا نساءكم فيه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، فإنى رأيت ليلة القدر في ليلة السابغ عشر منه قال : وقد أجمع أهل الكشف على أنها تدور في ليالى رمضان وغيره ليحصل لجميع الليالى الشرف ، وبه قال بعض الأئمة أى إنها تدور في جميع ليالى السنة فإذا تمت الدورة افتتحت دورة ثانية ، وهكذا سمعته يقول : وظواهر الأدلة كلها يعطى تخصيصها بشهر رمضان وهو المعتمد فاعلم ذلك :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى النسائى والبيهقى عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ وَتُغْلَقُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ حَرَمٍ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِّمَ الْخَيْرُ كُلُّهُ » .

وفي رواية لمسلم : « فُتِحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ » .

وفي رواية لابن خزيمة وابن ماجه وغيرها :

« إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ » .

وفي رواية لابن خزيمة : الشياطين مرده الجن بغير واو ، ومعنى صفدت : أى شدت بالأغلال .

قال الحلبي : وتصفيد الشياطين في شهر رمضان يحتمل أن يكون المراد به أيامه خاصة ، وأراد الشياطين الذين يسترقون السمع ؛ ألا تراه قال مردة الشياطين لأن شهر رمضان كان وقتا لنزول الرحمة والقرآن إلى السماء الدنيا ، وكافت الحراسة قد وقعت بالشعب كما قال تعالى :

(وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ) الآية .

فزيد التصفيد في شهر رمضان مبالغة في الحفظ ، والله تعالى أعلم .

قال : ويحتمل أن المراد أيامه ولياليه ويكون المعنى أن الشياطين لا يخلصون فيه إلى إفساد الناس كما يخلصون في غيره لاشتغال المسلمين بالصيام الذي فيه قمع الشهوات بقراءة للقرآن وغيره من سائر العبادات اه .

وروى ابن ماجه بإسناد حسن مرفوعا :

« إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَ كُمْ وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ حُرْمَتِهَا فَقَدْ حُرِّمَ الْخَيْرُ كُلُّهُ وَلَا يُحْرَمُ خَيْرُهَا إِلَّا بِمَحْرُومٍ » .

وروى أبو الشيخ والبيهقي بإسناد فيه ضعف مرفوعا :

« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيْلِي رَمَضَانَ : يَنَادِي مِنَ السَّمَاءِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأُغْفِرَ لَهُ » الحديث .

وروى البزار وغيره مرفوعا : « إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ » .

وروى البيهقي وقال الحافظ المنذرى حديث حسن مرفوعا :

« يَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ كُلَّ لَيْلَةٍ - يَعْنِي مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ - إِلَى انْفِجَارِ الْفَجْرِ ، يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ تَمِّمْ وَأَبْشِرْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وَأَبْصِرْ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيَغْفِرَ لَهُ ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ يُتَابَ عَلَيْهِ ، هَلْ مِنْ دَائِعٍ يُسْتَجَابَ لَهُ ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ » الحديث .

وروى النسائي مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْكُمْ صِيَامَ رَمَضَانَ ، وَسَدَنَتْ

لَكُمْ قِيَامَتُهُ ، فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ
وَلَدَتْهُ أُمُّهُ .

وذكر مالك في الموطأ قال : سمعت من أتق به من أهل العلم يقول : إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أرى أعمار الأمم قبله . فكانه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل
الذي بلغ غيرهم فأعطاها الله ليلة القدر خير من ألف شهر .

وروى الشيخان مرفوعا : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » .

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة : « مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَوَاقَفَهَا أَرَاهُ قَالَ : إِيمَانًا
وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وروى الإمام أحمد وغيره عن عبادة بن الصامت قال : قلنا يا رسول الله أخبرنا عن
ليلة القدر قال :

هِيَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، أَوْ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ
أَوْ سَبْعَ وَعِشْرِينَ ، أَوْ تِسْعَ وَعِشْرِينَ ، أَوْ آخِرَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، مَنْ قَامَهَا إِيمَانًا
وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتبع صوم رمضان
بصوم ستة أيام من شوال تطهيرا لما عساه تدنس من غفلات يوم العيد ، بأكل الشهوات
التي كانت النفس محبوسة عن تناولها مدة صوم رمضان فربما أقيت النفس بهمتها على
أكل الشهوات في يوم العيد ، وحصل لها فيه من الغفلة والحجاب أكثر مما كان يحصل
لها لو تعاطت جميع الشهوات التي تركتها في رمضان ، فكانت هذه السنة كأنها جوارب لما
نقص من الآداب والخلل في صومنا لفرض رمضان كالسنن التابعة للرائض أو كسجود
المسهور .

ومن هنا قال سيدي علي الخواص : ينبغي الحضور والأدب في صوم هذه السبعة أيام كما
في رمضان بل أشد لأنها جوارب ، وإذا حصل النقص في الجوارب لم يحصل بها المقصود ، فيتسلسل
الأمر فيحتاج كل جابر إلى جابر قال : ونظير ذلك تخصيص الشارع الجبر للخلل الصلاة بالسجود

دون القيام والركوع وغيرها ، لما ورد أنها حالة أقرب ما يكون العبد فيها مع ربه عز وجل فلا يقدر إبليس يدخل لقلب العبد فيها حتى يوسوس له ، ولو جعل الجابر غير السجود لربما كان يوسوس للعبد فيه فيحتاج الجابر لجابر آخر وإنما استحب بعض العلماء صومها متوالية غير متفرقة في الشهر لأن التوالت أقرب في جلاء الباطن من المتفرق ولذلك سن الأشياخ الخلوة على التوالت من ثلاثة أيام إلى أربعين يوما إلى أكثر من ذلك حسب القسمة الإلهية لتتوالى جمعية قلوبهم بالحق تعالى ، كما يشهد لذلك حديث البخارى وغيره في تحننه صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بغار حراء .

ومن هنا أمر الأشياخ مريدتهم في حال الخلوة بالجوع وترك اللغو وتوالت الذكر وعدم النوم ، وذلك لتراكم الأنوار وتنقوى فيهنزم جيش الشياطين ، ويكون حزب الله هم الغالبون .

وإيضاح ذلك أنه إذا تخلل الخلوة غفلة أو شبع أو لغو أو نوم فإن الظلمة تغلب على تلك الأنوار المتفرقة لكون الظلمة هي الأصل ، إذا الطين هو الغالب في نشأة البشر على النور ، فالنور لا يمكن عسك النور أقوى لم يخرج الإنسان عن الظلمة والكثافة ، فقد بان لك حكمة صوم الستة أيام المذكورة ، وحكمة صومها على التوالت والله يتولى هداك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيره مرفوعا :

« مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ » .

وزاد الطبرانى « فقال أبو أيوب كل يوم بعشرة يارسول الله ؟ فقال : نعم » قال الحافظ المنذرى ورواه الطبرانى رواة الصحيح .

وفى رواية لابن ماجه والنسائى مرفوعا :

« مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ كَانَ كَصِيَامِ السَّنَةِ ، مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا »

وفى رواية للنسائى مرفوعا : « فَشَهْرُ رَمَضَانَ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ ، وَصِيَامُ سِتَّةَ بِشَهْرَيْنِ ، فَذَلِكَ صِيَامُ سَنَةٍ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا قال الحافظ المنذرى في إسناده نظر :

« مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ مُتَتَابِعَةً فَكَأَنَّمَا صَامَ السَّنَةَ كُلَّهَا » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ خَرَجَ مِنْ

ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصوم يوم عرفة ولا نترك صومه إلا لمنذر شرعى ، كأن نكون بعرفات أو بنا مرض يشق معه الصوم ونحو ذلك . والحكمة في كراهة صومه للحاج أنه يوم تحط فيه الخطايا فيتأثر البدن ويضعف لقهوره مع كمال تعشقه لجميع أهويته المكروهة ، لأنها لا تخرج إلا بجذب من البدن كدم الحجامة ، فيحصل للبدن فتور وانحلال فلا يضاف إليه الجوع المقوى للانحلال ، فكما يكره للصائم الحجامة كذلك يكره لمن وقف بعرفة الصوم وهذا من رحمة الله تعالى بهعباده لأن النهى عن صومه للحاج إنما هو نهى شفقة عليه فمن خالف وصام وأظهر القوة فلا بد من إخلاله بالأعمال من وجه آخر كما جرب ، هذا ماظهر لى من الحكمة في هذا الوقت وهنا أسرار يعرفها أهل الله لا تسطر في كتاب .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مسلم واللفظ له وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذى مرفوعا :

« صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ » .

وفي رواية للترمذى مرفوعا : « سِيَّامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنِّي أُحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ

السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ » .

وفي رواية لابن ماجه مرفوعا : « مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ غُفِرَ لَهُ سَنَةٌ أَمَامَهُ .

وَسَنَةٌ بَعْدَهُ » .

زاد في رواية الطبراني بإسناد حسن :

« وَمَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُ سَنَةٍ » .

وروى الطبراني بإسناد حسن والبيهقى عن مسروق ، أنه دخل على عائشة رضى الله

عنها في يوم عرفة فقال اسقوني ، فقالت عائشة يا غلام اسقه عسلا ، ثم قالت : وما أنت

بامسروق بصائم؟ قال لأنى أخاف أن يكون يوم الأضحى ، فقالت عائشة ليس ذلك إنما عرفة يوم يعرف الإمام ، ويوم النحر يوم ينحر الإمام ، أو ما سمعت بامسروق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدله بألف يوم؟ قلت ، والألف يوم أكثر من سنتين . وروى أبو داود والنسائي وابن خزيمة فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة .

وكان ابن عمر يقول : لم يصم النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة بعرفة ، ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان وأنا لا أصومه ، وكان مالك والثورى يختاران الفطر ، وكان ابن الزبير وعائشة يصومان يوم عرفة . وروى ذلك عن عثمان بن أبى العاص ، وكان إسحق يميل إلى الصوم ، وكان عطاء يقول أصوم فى الشتاء ولا أصوم فى الصيف ، وكان قتادة يقول لا بأس به إذا لم يضعف عن الدعاء .

وقال الإمام الشافعى : يستحب صوم يوم عرفة لغير الحاج ، فأما الحاج فالأحب إلى أنه يفطر ليقويه على الدعاء . وقال الإمام أحمد بن حنبل إن قدر على أن يصوم صام وإن أفطر فذلك يوم محتاج فيه إلى القوة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا المهدي العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصوم يوم عاشوراء ونوسع فيه على عيالنا بالطعام والكسوة وغير ذلك من كل ما هم محتاجون إليه ، لكن بشرط أن يكون ذلك من وجه حل لا اعتراض للشريعة عليه فلا يؤمر من لم يجد المال الحلال أن يوسع على نفسه فضلاً عن غيره ، فيكون للأكل المهنة وعليه هو الإثم ، وقد أصبح عيال الفضيل بن عياض يوماً وليس عندهم شيء يأكونه فأرسل إليه الخليفة خمسمائة دينار فردها ، فقال له العيال لو كنت أخذت منها نفقة يومنا ، فقال : ما مثلى ومثلكم إلا كبقرة شردت من أهلها فصار كل من قدر عليها يطعمها أو يلبسها ، ثم قطع قטיפه كانت تحته نصفين ، وقال بيعوا هذه وأتقوا ثمنها فى هذا اليوم خير لكم من أن تطعنوا فضيلاً أو تلجوه ، فعلم أن من جملة الكسب الذى لا يؤمر العباد بالتوسعة على العيال منه معلوم الوظائف التى لا يباشرها بنفسه ولا بنائيه ، ومنه ما كان من هدايا التجار الذين يبيعون على الظلمة ، ومنه هدايا من يأخذ البلى من أركان الدولة ومش يخ العرب ، ومنه ما أرسله الناس إلى الشيخ اعتقاداً فى صلاحه فليس له قبوله ولا التوسعة به على عياله ،

لأن أكل الرجل بدينه من أقيح الكسب ، ووالله إن أكل خبز الخنطة الآن من غير آدم
توسعة عظيمة ، ولكن الناس لما هوروا في أكل الشهوات والشهات ولم يفتشوا على الحل ،
صاروا لا يعدون التوسعة إلا بأكل ما فوق ذلك .

وسأني قريبا في عيش النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأكل خبز الشعير غير منخول
وما كان يسبغه إلا بجرعة من ماء ، فتورع يا أخى ولا تتحج بالعيال وعدم صبرهم فلان
في باب الإحسان إلى الأرقاء :

« أَطْمِئِنُّوا بِمَا تَأْكُلُونَ وَالْبِئْسَ مَا تَلْبَسُونَ وَمَنْ لَا يَلْبَسُكُمْ فَيَبْغُوهُ
وَلَا تَعْذِبُوا خَلْقَ اللَّهِ » .

فكذلك القول في الزوجة والأولاد ، ومن لا يلائمنا منهم فنارقه بالطلاق والفراق
أو نخبره بين ذلك وبين الإقامة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسائه .

هذا ما عليه أهل الله تعالى فاسلك طريقهم ولا تلبس على نفسك :

وقد كان بشر الخافي يقول : لو أنى أجببت العيال إلى كل ما طلبوه منى نخفت لئن
أعمل شرطيا أو مكاسا ولا أكنهم :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى مسلم وغيره مرفوعا : « صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يُكْفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ » .

ولفظ رواية ابن ماجه مرفوعا : « صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ
يَكْفُرَ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ » .

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه :

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُ سَنَةٍ » .

وروى البيهقي وغيره من طرق مرفوعا :

« مَنْ وَسَّعَ عَلَى عِيَالِهِ وَأَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَائِرَ سَنَتِهِ » .

قال البيهقي وهذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة فهي إذا ضم بعضها إلى بعض أحدثت

هجة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن تقوم ليلة النصف من شعبان ، ونصوم نهارها ونستعد لها بالجوع الشاق وقلة الكلام والصمت ، فإن من يشبع ليلتها وأكثر اللغو من الكلام والغفلة عن الله تعالى لا يدوق لما فيها من الخيرات طعاما ، ولو سهر فهو كالجماد الذي لا يحس بشيء ، وما حث الشارع العبد على الاستعداد لحضور المواكب الإلهية إلا ليشعر بما يمنحه في تلك المواكب ، ويتلقى ما يخصه من الإمداد بالأدب ، ومن لا يشعر بذلك فإنه خير كبير ، فعلم أنه يجب على كل مؤمن أن يتوب من جميع ما ورد في الحديث أنه يمنع حصول المغفرة لصاحبه ليلة النصف من شعبان قبل دخول ليلة النصف كالمشاحن بغير عذر شرعي ، وكأخذ العشور من المكس وكالعقوق للوالدين ونحو ذلك ، فيجب السعي في إزالة ما عندنا من الشحنة وما عند غيرنا منها في حقنا ولو بإرسال كلام طيب أو مدح بين الأقران ونحو ذلك ، كإهداء هدية وبذل مال لنتلك الرحمة والمغفرة من الله تعالى في تلك الليلة ولا نتهاون بالمبادرة في إزالة الشحنة إلى ليلة النصف . فربما يتعسر علينا إزالة ما عندنا أو عند المشاحن لنا من الحقد الكمين ؛ فتفوتنا المغفرة تلك الليلة .

وبالجملة فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ أبيض من محبة الدنيا وأغراضها ومناصبها ، وطلب المقام عند أهلها ، ومن لم يملك كذلك فمن لازمه غالبا الشحنة بواسطة الدنيا إما لسكونه بحرف على الناس أو هم يحوفون عليه ، ولذلك قل العاملون بهذا العهد حتى من العلماء ومشايخ الزوايا ، فتراهم تدخل عليهم ليلة النصف من شعبان وأحدهم مشاحن أخاه ولا يبالي بما يفوته من المغفرة العظيمة .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : يجب على قاطع الرحم المبادرة قبل ليلة النصف من شعبان إلى زوال القطيعة ، وكذلك الحكم في جميع ما ورد فيه التجلي الإلهي كالثلاث الأخير من الليل في جميع ليالي السنة ، فيجب عليه أن يتوب من جميع الذنوب وإلا لم يكن من أهل دخول حضرة الله عز وجل ولو وقف يصلي فصلاته صورة لاروح فيها ٥١ .

وسمعت سيدي محمد بن عنان رحمه الله يقول : تجب المبادرة على قاطع الرحم إلى صلة الرحم ولا يؤخر الصلة حتى تدخل ليلة النصف ، فربما يتعسر صلتها تلك الليلة ،

وكذلك تجب المبادرة إلى بر الوالدين على كل من كان عاقا لوالديه ، وكذلك يجب علينا إذا كان أحد من معارفنا عشارا أو مكاسا أن نأمره بالتوبة عن تلك الوظيفة والعزم على أن لا يعود لايها لينال المغفرة تلك الليلة ، فإن الله تعالى أخبر أنه لا يغفر لأهل هذه الذنوب ولا يرفع لهم إلى السماء عملا ، وذلك عنوان الغضب من الله تعالى عليهم ، نسأل الله اللطف .

فعلم أن التوبة عن هذه الأمور وإن كانت واجبة على الدوام فهي في ليلة النصف آكله كما قالوا يستحب للصائم أن يصون لسانه عن الغيبة والنميمة في رمضان ، ومعلوم أن ذلك واجب في رمضان وغيره ، ولكن لما توقف كمال العبادة على ذلك استحب من تلك الحيشية فافهم ، والله تعالى أعلم .

وروى الطبراني وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« يَطَّلِعُ اللهُ تَعَالَى إِلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا الْمُشْرِكِ أَوْ مُشَاكِنِ » .

وروى البيهقي مرفوعا : « أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، وَاللَّهِ فِيهَا عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ بَعْدَ شُعُورِ غَمِّ بَنِي كَلْبٍ ، لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مُشْرِكٍ وَلَا إِلَى مُشَاكِنٍ ، وَلَا إِلَى قَاطِعِ رَحِمٍ ، وَلَا إِلَى مُسْبِلِ إِزَارَةٍ ، وَلَا إِلَى عَاقٍ لَوَالِدَيْهِ وَلَا إِلَى مُدْمِنٍ سَخِرٍ » .

وفي رواية الإمام أحمد : « فَيَغْفِرُ لِعِبَادِهِ إِلَّا أُنْسِينَ مُشَاكِنِ أَوْ قَاتِلِ النَّفْسِ » .

وفي رواية للبيهقي مرفوعا : « يَطَّلِعُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ ، وَيَرْحَمُ الْمُسْتَرْحِمِينَ ، وَيُوَخِّرُ أَهْلَ الْحَقْدِ كَأْهُمْ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَتَهَا وَصُومُوا يَوْمَهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ فِيهَا لِعُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : أَلَا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ، أَلَا مِنْ مُسْتَرْزِقٍ فَأَرْزُقَهُ ، أَلَا مِنْ مُبْتَلٍ فَأَعِيفِهِ أَلَا كَذَا ، أَلَا كَذَا حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ » .

قلت : ومعنى ينزل ربنا أنه ينزل نزولا لا تقا بذاته لا يتعقل ، لأنه لا يجتمع مع خلقه في حد ولا حقيقة .

ومن فوائد أخبار الصفات امتحان العبد هل يؤمن بها كما وردت ، فيفوز بكمال الإيمان أم يؤولها فيحرم كمال مقام الإيمان ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصوص الاثنين والخميس ولا نترك صومهما إلا للعدر شرعى ، وتجب المبادرة إلى إزالة الشحناء قبل صومهما حتى لا يطلع النجر وبيننا وبين أحد شحناء ، نظير ماورد في ليلة النصف من شعبان . ومن العذر للعبد أن يكون الصوم يضر يده أو عقله لانحراف مزاجه عن مقام الاعتدال ، وكل أحد مؤتمن على ما يدعيه في نفسه من ذلك ، وكذلك من العذر أن يتعاطى العبد الأعمال الشاقة المأمور بها في طريق الكسب الشرعى ، كالحرث والحصاد والدراس وسد الجسور وجرفها وتخميم الطين ، وحمله إلى البناء من بكرة النهار إلى آخره ، ونحو ذلك ، فلا يؤكد على هؤلاء صيام الاثنين والخميس ونحوها من التوافل إلا إن تبرعوا بأنفسهم وصاموا ، مع أن رخصة الله تعالى لهم أتم وأكمل ، لأنهم ربما أخلوا بأعمال أضر أفضل مما فعلوه .

فاتبع يا أخى الشرع ، وكن من المتبعين ولا تسكن من المبتدعين ، واخف صومك إن خفت أن أحدا يمدحك على ذلك وتمبل نفسك إليه .

وسمعت سيدى عليا الخواص يقول : إنما قال صلى الله عليه وسلم :

« فَأَحِبُّ أَنْ يَرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ » .

لأن كل يوم الاثنين والخميس أوقات رضا ، ولأوقات الرضا دزبة على أوقات الغضب ، فأين من يرفع حاجته في وقت رضا الملك ممن يرفعها في وقت غضبه ؟ اه أنتأمل ذلك ، والله يعولى هداك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وروى الترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْأِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأَحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ » .

وروى مالك وأبو داود والترمذى والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم الاثنين والخميس ، فقال رجل : يا رسول الله إنك تصوم الاثنين والخميس فقال :

« إِنَّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْاِثْنَيْنِ يَغْفِرُ اللهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ اِلَّا الْمُتَهَاَجِرِينَ » ،
يعنى بغير حق « فَيَقُولُ دَعُوهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « تُذَسِّخُ دَوَاوِينَ اَهْلِ اَلْاَرْضِ فِي دَوَاوِينَ اَهْلِ
السَّمَاءِ فِي كُلِّ اِثْنَيْنِ وَحَمِيسٍ فَيَغْفِرُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ لَّا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا اِلَّا رَجُلًا
بَيْنَهُ وَبَيْنَ اَخِيهِ شَحْنَاءٌ » .

وزوى الطبراني ورواته ثقات مرفوعا : « تُعْرَضُ الْاَعْمَالُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَالْحَمِيسِ
فَمَنْ مُسْتَعْفِرٍ فَيَغْفِرُ لَهُ ، وَمَنْ تَائِبٍ فَيَتَّابُ عَلَيْهِ ، وَيُرَدُّ اَهْلُ الضَّغَائِنِ بِضَغَائِنِهِمْ
حَتَّى يَتَوَبُوا » .

وروى ابن ماجه والنسائي والترمذى وقال حسن عن عائشة قالت : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس ، والله تعالى اعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصوم ثلاثة أيام
من كل شهر لاسيا أيام الليالى البيض ، ولا نترك صيامها لإلالمذر شرعى لا إيثار الشهوة
الأكل ، فإن اللوم إنما هو على من ترك الصوم لإيثارا للشهوة ، وهذا يجرى معنا فى
سائر الأعمال : (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

ومن فوائد صومها أنها تزيل من صاحبها ما فى قلبه من الحقد والغش وسوء الظن
وغيرها من الكبائر الباطنة .

وقد ورد أن أول من صامها آدم عليه السلام لما وقع فى الخطيئة واسود وجهه ،
فكان كل يوم يبيض منه ثلثه حتى رجع إلى لونه المعتاد بعد صوم هذه الثلاثة أيام ،
فكان ذلك تشريعا لأولاده المختصين أن يصوموها إذا وقعوا فى معصية واسودت أبدانهم ،
وأما غير المختصين فرمما يقعون فى أكبر الكبائر ولا يظهر عليهم شيء من السواد
استهانة بهم جزاء على وقوعهم فى المعاصى ، استهانة بمحارم الله تعالى فرد عليهم عدم
الاعتناء بشأنهم نظير فعلهم بخلاف الأكار من الأمة لما كانت معاصيهم نفوذ أقدار
لا انتم كما للمحارم ، اعنى الحق تعالى بهم ، ونبهم على ما يزيل الإثم عنهم .
وقد وقع لبعض المريدين أنه نظر إلى امرأة سرا فاسود وجهه وصار كالقار ، فانتضح

بين الناس ، فذهب إلى الإمام أبي القاسم الجنيد فشفع فيه عند الله فرد الله عليه لونه ، وذلك لأن هذا المرید كان ممن اعنق الحق به ، وإلا فكم يقع غيره في كبائر وصغائر ولا يظهر عليه شيء من ذلك ، فلا يزال من هذا شأنه يزيد باطنه ظلمة حتى يستوجب النار . وقد سئل بعضهم عن تحقيق سواد جسد آدم ما سببه ؟ فقال : كان ذلك دليلا على أنه حصل له السيادة بأكله من الشجرة ، ويؤيد ذلك ما ورد في الحجر الأسود أنه نزل من الجنة أبيض فسودته خطايا بني آدم : أى صيرته سيدا بالتقريب والتبرك ، وكان أظهر علامة على حصول السيادة اللون الأسود ، وأيضا فإن من مقام الأنبياء أن لا ينتقلوا من درجة إلا لأعلى منها للدوام ترقيمهم وكذلك كمل ورثتهم اه وهو جواب حسن :

فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هذاك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وروى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة قال : أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام .
وروى مسلم ذلك أيضا عن أبي الدراء ولفظه : أوصاني حبيبي بثلاث لا أدعهن ماعشت فذكر بعتاه .

وروى الشيخان مرفوعا : « صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ » .

وروى الطبراني والبيهقي وقال في إسناده لم أقف فيه على جرح ولا تعديل مرفوعا :

« صَامَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّهْرَ ، إِلَّا يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى ، وَصَامَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نِصْفَ الدَّهْرِ ، وَصَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، صَامَ الدَّهْرَ وَأَفْطَرَ الدَّهْرَ » .

زاد في رواية للإمام أحمد البيهقي والنسائي وابن ماجه وغيرهم ، وأنزل الله تعالى تصديق ذلك في كتابه :

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) اليوم بعشرة أيام .

وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والبخاري ورجال الصحيح مرفوعا :

« صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ - يعنى رمضان - وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُدْهِنَ

وَحَرَ الصَّدْرَ » .

وفي رواية لمسلم وأبي داود والنسائي مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ » .

ووجر الصدر : هو غشه وحققه ووسواسه .

وروى الطبراني عن ميمونة بنت سعد قالت : يا رسول الله أفننا عن الصوم : فقال :

« مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ ، مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَصُومَهُنَّ فَإِنَّ كُلَّ يَوْمٍ يُكْفَرُ عَشْرَ سَعِيَّاتٍ وَيَنْقَى مِنَ الْإِثْمِ كَمَا يُنْقَى الْمَاءُ الثُّوْبَ » .

وروى النسائي مرفوعا : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَذْهَبُ وَحَرَ الصَّدْرِ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ » .

وروى الشيخان وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص :

« بَلِّغْنِي أَنْتَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ - أَي كَلَهُ - فَلَا تَفْعَلْ إِنْ لَجِسَتْ عَلَيْكَ حَقَا ، وَلَعَيْنَيْكَ عَلَيْكَ حَقًا ، وَإِنْ لَزُورِكَ عَلَيْكَ حَقًا ، صُمْ وَأَفْطِرْ ، صُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَذَلِكَ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ » الحديث .

وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن عن أبي ذر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثًا فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ » .

وفي رواية لأبي داود والنسائي عن قدامة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يأمرنا بصيام أيام البيض ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة :

وقال صلى الله عليه وسلم : « هُوَ كَهَيْئَةِ الدَّهْرِ » .

زاد في رواية : « الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا » .

قال الحافظ هكذا جاء في رواية النسائي وغيره قدامة والصواب قتادة كما في رواية

أبي داود وابن ماجه .

وروى الطبراني ورواته ثقات أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصيام فقال :

« عَلَيْكَ بِالْبَيْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصوم عند القدرة ما أمرنا بصومه من صوم الأشهر الحرم ، لاسيما الحرم ، وصوم يوم وإفطار يوم ، والإكثار من الصوم في شعبان ، وكذلك صوم الأربعاء والخميس والجمعة والسبت والأحد على التوالي ، وغير ذلك مما ورد امثالاً للأمر واغتناماً للأجر ، ولانترك شيئاً من ذلك إلا لعذر شرعى كما أشرنا إليه بقولنا عند القدرة .

وفائدة الأمر بالعبادات لمن لم يقسم له الاستغفار إذا لم يفعل فيجبر ذلك الخلل الواقع ، وفيه إظهار أنه لم يترك ذلك إلا لعدم القسمة لاتبوانا بالأوامر الشرعية .

وفى المثل السائر : وقع من فلان كذا وكذا وما هى عادته إنما وقع ذلك منه لقرط الحرص ، ولكن بذلك تفاوتت مراتب الناس ، فإن العمل الصالح إنما شرع وسمى صالحاً لحضور صاحبه فيه مع الحق تعالى ، فأكثر الناس فعلاً للمأمورات أكثر مجالسة للحق فى الدنيا والآخرة :

ومن من الله تعالى عليه بدوام الحضور فى بعض العبادات ليلاً ونهاراً ، فجالوسه مع الحق تعالى كذلك دائم ، لكن يفوته تنوعات الواردات من الحق إذ التنوع أكثر نعيماً من التمتع بالشئ الواحد عادة ، فربما شمت منه نفسه فلا يصير بعده نعيماً لعدم اللذة فيه .

وسمعت سيدى علياً الخواص رضى الله تعالى عنه يقول : لكل مأمور شرعى من فرض أو مندوب مجالسة مع الحق تعالى ، ولكل منهى عنه من حرام أو مكروه حجاب عن الله تعالى ، ومن شهد كشفاً أن المشرع هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأمر والنهى كان على وزان ذلك فيكون حجاباً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحضوره معه على حسب فعل أوامره واجتناب نواهيه ، وكذلك القول فيما سبته الأئمة ومقلدوهم فيما يوافق الشريعة تكون مجالسة العامل بذلك للأئمة ومقلديهم بقدر ما فعل من سائر مأموراتهم واجتناب من منبهاتهم وحجابهم عنهم ، بقدر ما وقع فى مخالفتهم اه وهو كلام نفيس .
فاعلم ذلك ، والله يتولى هداك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وروي الطبرانى وغيره مرفوعاً : « صُومُوا الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه مرفوعاً واللائظ لمسلم :

« أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ » .

وفي حديث للطبراني مرفوعا : « وَمَنْ صَامَ يَوْمًا مِنَ الْمَحْرَمِ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مَلَأْتُونَ يَوْمًا » .

قال الحافظ المنذرى : وهو حديث غريب وإسناده لا بأس به ، فجملة الشهران كان كاملا بتسعمائة يوم .

وروي الشيخان وغيرهما : « أَفْضَلُ الصِّيَامِ صِيَامُ دَاوُدَ ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيَنْفِطِرُ يَوْمًا وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى الْعَدُوَّ » .

وزاد في رواية : « وَهُوَ أَعْذَلُ الصِّيَامِ »

وفي رواية لسلم : « أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صِيَامُ دَاوُدَ » الحديث .

وروى النسائي عن أسامة بن زيد قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهر ما تصوم من شعبان ؟ قال :

« ذَلِكَ شَهْرٌ يُغْفَلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ » .

وفي حديث أحمد والطبراني ، وكان أحب الصيام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان .

وروى الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا صيام شهر رمضان ، وما رأيت في شهر أكثر صياما منه في شعبان .

زاد في رواية لأبي داود وغيره : « كَانَ يَصُومُهُ إِلَّا قَلِيلًا بَلْ كَانَ يَصُومُهُ كُلَّهُ ، وَكَانَ يَقُولُ :

خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » .

وروى أبو يعلى وغيره مرفوعا : « مَنْ صَامَ الْأَرْبَعَاءَ وَالْأَلْمِيسَ كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ صَامَ الْأَرْبَعَاءَ وَالْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ يَرَى ظَاهِرَهُ مِنْ بَاطِنِهِ وَبَاطِنَهُ مِنْ ظَاهِرِهِ » .

وفي رواية للطبراني والبيهقي : « بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ مِنْ لَوْلُوِّ وَيَأْقُوتِ وَزَبْرَجِدٍ ، وَكَتَبَ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ » .

وفي رواية لها أيضا : « مَنْ صَامَ الْأَرْبَعَاءَ وَالْخَمِيسَ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ تَصَدَّقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِمَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ غُفِرَ لَهُ كُلُّ ذَنْبٍ عَمِلَهُ حَتَّى يَصِيرَ كَيَوْمِ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطِيئَاتِ » .

وروى ابن خزيمة في صحيحه وغيره عن أم سلمة قالت : أكثر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الأيام يوم السبت ويوم الأحد ، كان يقول :

« إِنَّهُمَا يَوْمَا عِيدٍ لِلْمُشْرِكِينَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَهُمْ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا لم نكن محتاجين إلى الجماع أن نأذن لحليائتنا في الصوم ولا نمنعها منه إلا عند الحاجة لخوفنا أو خوفها العنت أو مقدماته ، أو ضعف قوتها الموجبة لضعف النطفة لاسيما أيام توقع الحمل فتأمرها بالأكل للدمم وشرب السكر ونحو ذلك ، ونمنعها الصوم وأصل هذا العهد ماورد في الصحيحين وغيرهما مرفوعا :

« لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ أَنْ تَصُومَ وَرَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ » .

وظواهر الحديث تفهم أن التحجير عليها في الصوم إنما هو تقديم لمصلحة الزوج ، فإن كان غير محتاج فمن السنة أن يساعدها على العبادة وسيأتي بسط ذلك في قسم المنهيات إن شاء الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتسحر من الحلال دون الشبهة في كل ليلة نصوم يومها ، ولا نترك ذلك أبدا امتثالا لأمر الشارع صلى الله عليه وسلم لنا بذلك لا لعلة أخرى ، لأن تلك العلة إن كانت للتقوية على الصيام فذلك حاصل بنية امتثال الأمر لا يحتاج إلى نية ، وإن كانت لعلة ثواب فالثواب حاصل لكل

من أخلص في عمله ، وإن كانت للشهوة مع غفلته عن النية الصالحة فذلك خارج عن الشريعة فلا نتكلم عليه .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : ينبغي للمتسحر أن لا يزيد على ثلاث اقم أو ثلاث تمرات ، فإن السر في التقوية على الصوم بالسحر حاصل بالأكل القليل فليس في الكثير فائدة ، كما أن نوم القيلولة ينفع من يقوم الليل ولو كان قدر ثلاث درج كما جرب اه .

وكان سيدي الشيخ عبد العزيز الدبريني يقول : النوم بعد الزوال دواء للسهر الآتي ، والنوم قبل الزوال دواء للسهر الماضي اه .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لعبد أن يتسحر إلا بنية ولا ينام إلا بنية ، وكذلك ينبغي لكل من عمل عملا يتعدى نفعه للناس أن ينوي بذلك نفع الناس ليثاب عليه ، وأما نفع نفسه فحاصل بحكم التبعية فأى شيء يضر الطباخ إذا قام من الليل فغسل اللحم رهياه في القدر وأوقد عليه النار ، حتى غذى منه نحو الثلاثمائة نفس أن ينوي بذلك نفع من يأكل من العاجزين ، عن الطبخ لكبير أو عدم عيال وغير ذلك ، فإنه لا يعطيهم طعامه إلا بثمنه ، فالثمن حاصل على كل حال ، وإنما لم نقل بحصول الثواب له إذا لم يتوقع الناس ، لحديث :

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .

وهذا لم ينو ، فلقد فاز والله عبيد الله الخالص الذين عبدوه امتثالاً لأمره ورأوا الفضل له تعالى عليهم في تأهيلهم لذلك ، وخسر ذلك المقام عبيد الثواب ، والعلل الدنيوية :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعاً : « تَسْحَرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَتًا » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة مرفوعاً :

« فَضْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحُورِ » .

وروى الطبراني ورواه ثقات مرفوعاً :

« الْبَرَكَتُ فِي ثَلَاثَةٍ : فِي الْجَمَاعَةِ وَالْتَّيِّدِ وَالسَّحُورِ » .

وفي رواية للطبراني وابن حبان في صحيحه مرفوعاً :

« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ » .

وروى أبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما عن العرابض بن سارية قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السحور في رمضان ، فقال :

« هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ » .

يعنى السحور كما في رواية ابن حبان .

وروى ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحهما والبيهقي مرفوعا :

« اسْتَعِينُوا بِطَعَامِ السَّحُورِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ وَبِالْقِيُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ » .

وفي رواية : « وَبِقِيُولَةِ النَّهَارِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ » .

وروى النسائي بإسناد حسن : « السَّحُورُ بَرَكَةٌ أُعْطَاكُمْ اللَّهُ تَعَالَى لِأَيَّامِهَا فَلَا تَدَعُوهُ » .

وروى البزار والطبراني مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ فَيَا طَعَمُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا كَانَ حَالَاً : الصَّائِمُ ، وَالْمُتَسَحِّرُ ، وَالْمُرَابِطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وروى الإمام أحمد وإسناده حسن مرفوعا :

« السَّحُورُ خَيْرٌ كُلُّهُ بَرَكَةٌ فَلَا تَدَعُوهُ ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جَرَعَةً مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ » .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه : « تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِجَرَّةٍ مِنْ مَاءٍ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « نِعْمَ السَّحُورُ التَّمْرُ ، وَقَالَ يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُتَسَحِّرِينَ » .

وفي رواية مرفوعا : « نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ » .

رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والله تعالى أعلم .

« أَخَذَ عَلَيْنَا الْعَهْدَ الْعَامَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَعَجِّلَ الْفِطْرَ وَنُؤَخِّرَ السَّحُورَ .

وأما تعجيل الفطر فالحكمة فيه المسارعة إلى تعجيل حظ النفس من حيث كونها

مطينتا ، ولولا هي ما استطنعنا ظمأ هواجر في أيام الصيف الطوال ، وفي المثل السائر :

تقول النفس لصاحبها كن معي في بعض أغراضى وإلا صرعتك ، وفي الحديث :

« أُعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ » .

وفي حديث آخر : « الْمُنْبِتُ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى » .

والمنبت: هو الذي حمل دابته فوق طاقتها حتى عجزت واضطجعت ، فلا هو قطع طريق السفر ولا هو أبقي ظهر دابته ، فبمجرد ما تغرب الشمس نحن النفس إلى الفطر وتناقم لتأخيره ويكون كالعذاب عليها .

وأما تأخير السحور ، فالحكمة فيه عدم التفات النفس إلى الأكل والشرب حين الشروع في الصوم حتى لا يخرج ذلك كإل الصوم ، فإن شرط العبودية أن يتوجه المنكلفت بقلبه وقالبه إلى فعل ما كلف به فإن التفات إلى تمنى فعل ما منعه الله منه في الصوم فكأنه دخله بلا قلب والمدار على القلب ؛ فلو أن الشارع أمرنا بعدم تأخير السحور لربما اشتاتت النفس إلى الأكل عند الفجر ، فلما أمرنا بتأخيره إلى قبيل الفجر قل التفات النفس إلى الأكل والشرب فدخلت للصوم بكليتها ، ومعلوم أن العمل القليل مع الأدب خير من الكثير بلا أدب . وإذا كان العيد عنده التفات إلى الأكل والشرب أول شروعه في الصوم فسكيف حاله أواخر النهار ، فلا تسكاد النفس تنشرح لفعل ما كلفت به أبدا وعبادة المكروه لا يقبلها الله تعالى :

ومن هنا كره الشارع قيام العبد للصلاة ونفسه تتوق إلى الطعام :

ومن هنا كره أيضا بعض العلماء الوضوء بالماء الشديد السخونة أو البرودة لنفرة النفس منه ونفرة العبد من العبادة تبعده عن حضرة ربه :

ومراد الشارع بالطهارة تقريبه منها فلا يجتمع التقريب والتباعد في عمل واحد ، فإنه إن حضر هذا غاب هذا :

ون المعلوم أن الله تعالى أمرنا بالإحسان إلى أنفسنا ، ومن الإحسان إليها تعجيل فطرها وتأخير سحورها ، فإن فيها جزءا يطلب ذلك وإن لم تعطه عصي عليها وجمح ونازعها في الخروج من الصوم لنيل شهواتها هذا مشهد الكمل ، وأما العباد فلا ذوق لهم في مثل ذلك :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

روى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَا يَزَالُ النَّاسُ يُخَيِّرُ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ » .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه :

« لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى سُنَّتِي مَا لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِهَا النَّجُومَ » .

وروى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنْ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعَجَلْتُهُمْ فِطْرًا » .

وروى الطبراني مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : تَعْجِيلُ الْفِطْرِ ، وَتَأْخِيرُ

الشُّحُورِ ، وَضَرْبُ الْيَدَيْنِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فِي الصَّلَاةِ » .

روى أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما مرفوعا :

« لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَلَ النَّاسُ الْفِطْرَ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُوَخَّرُونَ » .

وروى أبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما عن أنس قال : مارأيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم قط صلى صلاة المغرب حتى يفطر ولو على شربة من ماء ، والله

تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نفطر من صومنا على

تمر ، فإن لم نجد فعلى ماء .

والحكمة في ذلك أن معظم ما كانت النفس مبهوسة عنه في النهار الطعام والشراب

وهي محتاجة إلى الطعام أكثر ، فلذلك قدم على الشراب ، فانهم قالوا شهوة الشرب كذابة

فلذا ردها الانسان مرارا ذهبت ، ولا هكذا شهوة الطعام : وكان أخى أفضل الدين

يكتفى في غاب أيامه بالريق الذى يعجن به الطعام قبل بلعه ولا يشرب إلا في النادر ،

وفي الفطر على التمر المسارعة إلى تخليّة النفس بعد تعبها لتطبعنا في وقت آخر إذا دعوناها إلى

مثل ذلك العمل الذى حليناها لأجله ، وفي الشرب للماء المسارعة إلى طفاء لبيب تلك

النار التى تأججت من الجوع وحرارة الطعام حتى انطبخ ، فلو قيل بالجمع بين التمر

والماء عند الإفطار لم يكن بعيدا عن مراد الشارع ، لأنهما يكسران حدة الصوم ، وربما

كان له ورد من صلاة أو غيرها بعد المغرب فيأتى به على وصف الإقبال وعدم الانتفات

إلى الأكل والشرب ، ولذلك ورد :

« إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ وَالصَّلَاةُ فَأَبْدَهُوا بِالطَّعَامِ » .

ولعل محل ذلك إذا كان عنده توفان نفس إلى الطعام ، وإلا فقد ورد أيضا :

« فَأَبْدَهُوا بِالصَّلَاةِ وَلَا تَوَخَّرُوا الصَّلَاةَ لِشَيْءٍ » فيحمل ذلك على حالين .

فاسلك يا أخى على يد شيخ صادق بطلحك على حكمة جميع الأعمال التي أمرك بها للشارع لتتلاذ بأسرار الشريعة وتزداد محبة فيه صلى الله عليه وسلم ، وتعرف أنه أشفق على بدنك وعلى دينك من نفسك ، والله يتولى هداك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

روى أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذى حديث حسن صحيح مرفوعا :

« إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا فَأَلْمَلَهُ فَإِنَّهُ طَهُورٌ » .

وروى أبو داود والترمذى وقال حديث حسن ، عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلى على رطبات ، فإن لم يكن رطبات فتمرات ، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء .

وفي رواية لأبي يعلى : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يفطر على ثلاث تمرات أو شيء لم تصبه النار .

قلت : ولعل الحكمة في ترك الفطر على ما مسته النار كون النار مظهرا غضبيا ، فإذ كان أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نفطر على ماء أو تمر لأنهما مما لم تمسه النار ، ويؤيده أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من الأكل مما مست النار ، ثم إنه ترك ذلك توسعة لأمة فمن يتوضأ الآن من ذلك فلا بأس بتركها عند الفطر لما قيل إنه ناقض في الجملة ، والله تعالى أعلم .

وقد روى ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقال صحيح على شرطهما مرفوعا :

« فَمَنْ وَجَدَ تَمْرًا فَلْيُفْطِرْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى الْمَاءِ فَإِنَّهُ طَهُورٌ » والله تعالى أعلم .

(اخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا كان عندنا طعام من حلال وفاض عنا وعن عيالنا ومن نلزمنا نفقته ، أن نطعمه لإخواننا ، فإن لم نجد حلالا

أو وجدناه ولم يفضل عنا فلا نؤمر بتفطير أحد من الصائمين جندنا ، وهذا للجهد يحل بالعمل به كثير من العلماء والصالحين الذين اشتهروا بالكرم فضلا عن غيرهم ، وربما كان مايطعمه أحدهم لإخوانه من جملة مال أيتام كان وصيا عليهم ، فقد رأيت بعضهم أخذ أموال الأيتام وعمل بها أطعمة ، ولا زال يعزم على وجوه العظم الذين يشكرونه في المجالس حتى أنى ذلك المال كله ، فجاء قيم الأيتام الذى نصبه الحاكم يطالبه فلم يجد معه شيئا فجاء الذين كانوا يأكلون عنده فشهدوا بافلاسه .

وقد سمعته مرة يقول : قد خلت مصر من العلماء العاملين ومن الصالحين وما بقي أحد يتورع عن الحرام .

وسمعه مرة أخرى يقول : لا أحد يسمعى كلام أحد من هؤلاء الفقهاء أبدا فإنيهم ليس لهم دين .

وسمعه مرة أخرى يقول : لو علمت أن فى مصر كلها أحدا بمحمد الله أروع منى أو أعلم منى لتعلمت له وقيلت فعالة اه .

فثل هذا من (زُبَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا) .

وذلك أن المؤمن مرآة المؤمن ، ولا يرى الإنسان فى المرآة إلا صورته لاصورة المرآة ، بل لوجهه كل الجهد أن ينظر جرم المرآة لا يقدر لسبق الطباع صورته فى المرآة قبل نظره جرم المرآة .

وقد جاء رجل إلى أبى زيد فقال ياسيدى رأيت صورتك الليلة صورة خنزير ، فقال : له صدقت يا أخى ، المؤمن مرآة المؤمن ، رأيت صورتك فى فحسبت أنك أنا .

فالزم يا أخى الورع فى نفسك وفيمن تعول جهلك ولا تنهبط فى شىء إلا بنية صالحة حلّى الوجه الشرعى ، وإياك أن تبادر إلى الفطر فى رمضان عند من اشتهر بالعلم والصلاح حتى تخالطه وتعرف شدة ورعه ، والله يتولى هداك :

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما مرفوعا :

« مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ » .

وفى رواية : « مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ » .

وروي الطبراني وأبو الشيخ مرفوعاً: « مَنْ فَطَرَ صَائِماً عَلَى طَعَامٍ وَثَمَرَاتٍ مِنْ حَلَالٍ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ فِي سَاعَاتِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ جِبْرِيلُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ » .

وفي رواية لأبي الشيخ : « وَصَافَحَهُ جِبْرِيلُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَمَنْ صَافَحَهُ جِبْرِيلُ رَقَّ قَلْبُهُ وَكَثُرَتْ دُمُوعُهُ ، قَالَ سَلْمَانَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ ؟ قَالَ فَقَبِصَةٌ مِنْ طَعَامٍ ، قَالَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ لُقْمَةٌ خَبِيزٍ ؟ قَالَ : فَمَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ ، قَالَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ ؟ قَالَ فَشَرْبَةٌ مِنْ مَاءٍ » .

والقبصة بالصاد المهملة : وهو ما يتناوله الآخذ بأصابعه الثلاث .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعاً :

« مَنْ فَطَرَ صَائِماً يَفْعَى فِي رَمَضَانَ كَانَ مَغْفِرَةً لِدُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَةٍ مِنَ النَّارِ ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِهِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ كَلْنَا نَجِدُ مَا يُفْطَرُ الصَّائِمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُعْطَى اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الثَّوَابَ لِمَنْ فَطَرَ صَائِماً عَلَى تَمْرَةٍ أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ أَوْ مَذْقَةٍ لَبَنٍ » الحديث .

وروى الترمذي والمفضل له وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى عِمَارَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ طَعَامًا فَقَالَ كَلِي : فَقَالَتْ إِنَّ صَائِمَةً ، فَقَالَ : إِنْ الصَّائِمُ تَصَلَّى عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّى يَفْرَغُوا وَرُبَّمَا قَالَ حَتَّى شَبِعُوا » .

وفي رواية لابن ماجه : « إِنْ الصَّائِمُ تَسَبَّحَ عِظَامَهُ وَاسْتَغْفِرَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ مَا أُكِلَ عِنْدَهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا للمعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نعتكف في كل وقت لا يكون لنا فيه ضرورة لاسيما في رمضان ، فإن كان لنا ضرورة خارج المسجد فالأولى تقديمها على الاعتكاف ، ولولا أن الضرورة تجذب قلب صاحبها وتخرجه من المسجد إذا اعتكف في المسجد لكان الأولى لكل من لزم الأدب مع الله تعالى ، أن لا يخرج من

المسجد، لأنه بيته الخاص واولا خصوصية المسجد ما أمر الشارع بالاعتكاف فيه دون البيوت والأسواق وغيرها، و او أراد صاحب القدم من الأولياء أن تحصل له مراقبة الله تعالى في غير المسجد مثل المسجد لما قدر ، فما أمرنا الله تعالى ورسوله بالاعتكاف في المسجد إلا لفتنه لأنفسنا، ونعلم أننا بين يدي الله تعالى على الدوام شعرنا أو لم نشعر، فإذا ذقنا ذلك في المسجد وتلذذنا بمراقبة الحق تعالى فيه انجز ذلك إن شاء الله تعالى إلى خارج المسجد، وصرنا نشهد كوننا بين يدي الله تعالى على الدوام على الكشف والشهود إلا ما شاء الله تعالى .

ومن هنا شرع القوم الخلوة للمريد ليتعمرن على الوحدة وعدم الشواغل عن الله تعالى وأمر الأشياخ مرديهم بعدم مد الرجل في الخلوة على التقليد والإيمان بأنهم بين يدي الله تعالى ، وكذلك أمره أن لا يشتغل في الخلوة إلا بالمأمورات الشرعية وذلك ليعاين العبد ربه فيها على التقليد .

وقد قال بعضهم لاتنجز ربك إلا بكلامه فإنك إن ناجيته بغير كلامه لم يجبك إلا إن كنت مضطرا ، فتسامح بمناجاته بغير كلامه تعجيلا لزوال الاضطراب ، فعلم أن المريد لا يزال يراعى الأدب إيمانا حتى يصير مشهودا ويصير يتأدب مع الله خارج الخلوة كما مر في الكتاب ، والله لو كشف عن المؤمن الحجاب لما قدم على مجالسته تعالى شيئا ولكن الحجاب عليه أشد من دخوله النار .

وانظر إلى اعتناء الحق جل وعلا بمحمد صلى الله عليه وسلم كيف جعل عينيه تنامان ولا ينام قلبه ، تعجيلا لنعيمه في الدنيا قبل الآخرة من غير أن ينقص من نعيمه الأخرى شيء ، وهذا المقام لغيره من الأنبياء ولكل وارث له من بعده ، فتنام عيناه ولا ينام قلبه ، وذلك ليكون حكمه من حيث شهود الحق تعالى كاليقظان ، وحكمه من جهة راحة جسده كالنائم ، ايعطى كل ذى حق حقه ، فعلم أن نوم الأكاير لا ينقص به رأس ماله ، وإنما هو من نعمة الله تعالى عليهم لكونه غلبة لاتعمل لهم فيه ، بخلاف من يتمل ويفرش تحت طراحة ويضع له منحة لغير ضرورة فإن مثل هذا يتقص رأسه ماله بيقين .

واعلم يا أختي أنه يحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ وإلا فن لازمه غالبا غفلته عن حضرة ربه بشهوة من شهواته فإنه ماتعاطاها مع معرفته بأنها تخرجه عن حضرة ربه إلا وهو مختار لها ، فسيار رائحة اختيار مجالسة غير الحق على الحق ، وذلك يكاد أن يكون حراما وأكثر الناس في غمرة ساهون عن جميع ماقلناه ، فلا يزال السالك

يترك شهوة بعد شهوة حتى لا يكون بينه وبين ربه إلا حجاب العظمة ويصبر مشاهدا لربه بلا كلفة كما لا يتكلف لدخول النفس وخروجه ، ومادام يغفل ويسهو فهو لم يتحقق بالمقام ومن هنا حفظ من حفظ من الأولياء ووقع من وقع منهم .

وبالجملة فإدام مع العبد بقية غفلة فن لازمه الحجاب ووقوعه فيما لا يليق وهو ما لم يأمره الحق به ولم يحبه عليه ، إذ العهد لا يجالس الحق تعالى إلا في فعل المأمورات أو اجتناب المنهيات ، وما عدا ذلك فلا يقدر على مجالسته فيه أبدا إنما هو مجالس الكون .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من شرط الكمال أن لا يعمل بقول من الأقوال إلا مع الحضور مع صاحب القول من الحق تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو أحد من الأئمة أو مقلديهم ، فإذا كان يوم القيامة امتدت مجلسته المذكورة وانسبط في الزمان وتنعم مع أصحابها بقدر مقامه في الحضور معهم ، ومن لم يحضر حال العمل مع صاحب ذلك الكلام الذي عمل به لم يتنعم يوم القيامة بشهود أصحابه ولا كأنه جالسهم قط .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : كل مقام لا يدركه العبد هنا لا يعطاه هناك .

فاسلك يا أخى على يد شيخ ناصح إن أردت أن تكون من أهل الله تعالى ، وإلا فأنت غافل عن الله تعالى في أكثر هيادائك كلها والله يتولى هداك .

وروى البيهقي مرفوعا : « مَنِ اعْتَكَفَ عَشْرًا فِي رَمَضَانَ كَانَ كَحَجَّتَيْنِ وَعُمْرَتَيْنِ » .

وروى الطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي مرفوعا :

« مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ وَبَلَغَ فِيهَا كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ ، وَمَنْ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقٍ أَبَدًا مِمَّا بَيْنَ انْخِلَاقَيْنِ » .

وأحاديث اعتكاف النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد كثيرة مشهورة والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نخرج زكاة فطرنا كل سنة قبل صلاة العيد ، ولا نترخص في تركها إلا بطريق شرعى ، وهذا العهد قد صار

غالب الناس يخل به حتى بعض مشايخ الزوايا وبعض العلماء ، فينبغي لكل شيخ في زاوية أو عالم في حارة أن يخرج زكاته قبل الناس لمقتدى الناس به فإنه قدوة لهم وقد صار في أفواه غالب الناس إذا قيل له افعل كذا أو كذا من الأمور التي أمره الله بها يقول قل هذا للعالم القلاني فإننا ما رأيناه يفعل ذلك أبدا ، فإذا قيل لهم إذا علمتم أنكم مأمورون به من جهة الشارع نعين عليكم فعله ولو لم يعمل به العلماء ، فيقولون فإذا كان العلماء لا يقدرون على العمل به فنحن أعجز فأعذرونا من باب أولى فإننا أنقص منهم درجة في الإيمان ، وغاب عن هؤلاء أن الحجية بفعل العالم لا تكون إلا فيما لم يصل إلينا علمه من الشارع أما ما وصل علمه إلينا فلا حجة لنا في تركه لتركه غيرنا ، وإنما ذلك حجة في قلة الدين .

وقد أدركننا ونحن صغار أبواب المساجد والقمح على أبوابها كالسكبان من كثرة من يخرج زكاته فصرت الآن لا ترى على باب مسجد شيئا من القمح إلا في نادر من المآجد كل ذلك لعدم اعتناء الناس بالأوامر الشرعية ، وبذلك اندرست الشريعة فلا عالم يبدأ بالعمل قدام الناس ولا هو يتكر عليهم بالقلب والغلب ، هكذا تخرج عظمة الله تعالى من قلوب هذه الأمة كما خرجت من قلوب بني إسرائيل ، فعمهم الله بعذاب .

وقد كنت أترخص في ترك إخراج زكاة فطري مدة عمرى ، لكوني ما لمسكت قط نفقة يوم وإيلة في ليلة العيد إلى أن دخلت سنة خمسين وتسعمائة ، فرأيت في واقعة عقب العيد أنني في أرض فضاء واسعة وفيها خلق كثير معهم شيء كالأرائك التي يتكأ عليها وكل واحد يرمى أريكته نحو السماء فتصعد نحو أربعة أذرع وترجع إلى الأرض ، فرميت أنا الآخر أريكتي فصعدت يسيرا ورجعت ، فقلت لك من الملائكة يجنبى ما هذا ؟ فقال لي تنظر هذه الأرائك كلها وأصحابها ؟ فقلت نعم : فقال هؤلاء صاموا رمضان ولم يخرجوا زكاة فطرهم ، فتطور صومهم كالأريكة جلدا محشوا لارواح فيه ، فقلت له أنا لم أملك قوت يوم وليلة ، فقال أما عندك قميص زائد ؟ أما عندك رداء زائد ؟ أما عندك ثياب زائد ؟ تباع ذلك وتشتري به قمحا وتخرج به زكاتك ، فقلت نعم ، فقال : فأخرج فلان مثلك لا ينبغي له الأخذ بالرخص ، فتذكرت قبها باجديدا كان عندي في صندوق أهواه لي بعض التجار فبعته وأخرجت زكاتي ، ومن تلك السنة وأنا أخرج زكاتي وزكاة من تلمزنى نفقته ، وتقوى بذلك عندي الحديث الوارد في :

« إِنْ صَوْمَ رَمَضَانَ مَوْفُوفَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى يُخْرِجَ الْعَبْدُ صَدَقَتَهُ »

فالحمد لله رب العالمين .

فأخرج يا أخي زكاة فطرك ، ولا تبخل بشيء تبعه من أمتعتك التي لا ضرورة لهما في ثمن زكاة فطرك، وتأمل نفسك وبذها الدراهم الكثيرة للقاضي وحاشيته ، والمفتش وحاشيته إذا لم يمشواك حاجتك وحسابك الدنيوي ، بل ترى الحظ الأوفر لنفسك في إعطائها كل ما طاب له الولاية ، وذلك لتوفر داعية نفسك إلى محبة الدنيا دون الآخرة ، بل لو قال لك قائل لا تبدل هذه القلوس كلها في تحصيل تلك الوظيفة أو في تمشية ذلك الحساب لا ترجع إليه وتخالف رأيه ، فهكذا يا أخي فليكن دينك عندك أرجح ، فإن لم يكن راجحا على حب دنيك فلا أقل من المساواة .

وقد أجمع الأشياخ على أنه لا يقدر أحد يعامل الله تعالى للدار الآخرة حتى يرى الدنيا كلها في عينه كالتراب لا يستكثر شيئا منها يبذله في مرضاة الله :

وقالوا: من كانت عنده دنياه أعز عليه من دينه فهو أخس الناس مرتبة عند الله وعند خلقه ، وإن عظمه أحد من الخلق فإنما ذلك لعله دنيوية . فعمل أنه ينبغي لكل من صار قدوة أن لا يتخلف عن فعل مأمور أو اجتناب منهي ، وذلك لئلا يكون من أئمة الضلال ، والله إنى لأخرج من البيت لصلاة الجماعة وقراءة الورد وأنا أحسن بعظمى أنه ذائب ، وربما اضطجح في المجلس بين الفقراء وهم يقرءون الورد خوفا أن يتخلف فيتبعني بعض الكمال على ذلك ، فأكون معدودا من أئمة الضلال ، أو يكون عليّ زر كل من تخلف بتخاني ، فلا يوجد أحد أنعب قلبا ولا جسدا ممن يطلب أن يكون قدوة للناس في الخير ، فإن القدوة إن بخر بخلوا ، وإن تكرم تكرموا ، وإن جبن عن الجهاد جبنوا ، وإن تشجع تشجعوا ، وإن قام الليل قاموا ، وإن نام الليل ناموا ، وإن زهد في الدنيا زهدوا ، وإن رغب في شهواتها رغبوا ، وإن اغتاب الناس اغتابوا ، وإن حفظ لسانه حفظوا ، وإن أكل الحرام والشبهات أكلوا ، وإن خزن الدنيا خزنوا ، وإن أنفقها أنفقوا ، وإن ناقش نفسه في دنائسها ناقشوا أنفسهم كذلك ، وإن أهملها أهملوا ، وإن تحمل أذى الناس تحمل أصحابه ، وإن لم يعحمل لم يتحموا ، وإن ستر عورات الناس ستروا ، وإن هتك عورتهم هتك أصحابه كذلك تبعاه ، وإن تواضع للناس تواضع أصحابه ، وإن تكبر تكبروا وإن جلس على الحوانيت وأبواب المساجد جلس أصحابه كذلك ، وإن جلس في خلوته جلس أصحابه في خلواتهم كذلك ، وهكذا في سائر الأحوال ، فالعاقل من اعتبر في نفسه ولم يكن عبرة لأحد .

واعلم أنه قد ورد في حق الفقراء والمساكين :

« أَغْنَوْهُمْ عَنِ الطَّوَافِ هَذَا الْيَوْمَ » .

يعنى أغنؤهم عن الطواف على الناس للسؤال عن كل شىء يأكلونه يوم العيد ليصير لهم وقت يستريحون فيه ، ويفرحون بالعيد ويحصل لهم به سرور من أجل التعب والنصب فى العبادة مدة شهر رمضان ؛ فإن أحدهم كان يجوع حتى يقع فى الجوع المفرط ، ومقتضى الحديث السابق بقريظة العلة المذكورة أن إعطاء الفقراء المساكين الطعام المطبوخ كالمريسة مثلاً أفضل من إعطائهم الحب صحيحاً وبه قال الإمام مالك رضى الله عنه ، فإن القمح مثلاً يحتاج إلى غربلة وتنقية وطحن وعجن وخبز وأجرة ودخول وخروج ووقود وقدر وحوائج طعام وغير ذلك ، وهذا من الإمام مالك رضى الله عنه من باب التوسعة على الفقراء وتسهيل الأمر عليهم ، وإن خالف قاعدته الأغلبية من أن الوقوف على حد ما ورد أفضل من الابتداع ولو استحسن ، وقد صححت الأحاديث بتعيين الحب دون الطعام واللحم النيء ، والمطبوخ ، ولذا قد أذن الشارع للأمة بعده أن يبينوا ماشاءوا بقوله :

« مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا » .

وهم أمناء على الشريعة بعد الشارع صلى الله عليه وسلم ، فمن وقف على حد ما ورد فهو أحسن ، ومن تعدى إلى أمر تشهد له الشريعة بالحسن فهو لا أحسن .

وإنما كان الغالب على الناس لإخراج الحبوب فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم لقلّة الطواحين فى عصره صلى الله عليه وسلم ، فكان كل واحد يطحن القمح على الرحى فى بيته ، فالو أن المخرج لآزكاة كلف طحن القمح أو طبخ الطيبخ مثلاً للمساكين فى ذلك اليوم الذى هو يوم أكل وشرب وبعال لنقص عليه السرور ذلك اليوم ، لأنه كان يشتغل ذلك اليوم كله فى عمل الطعام لأهل بيته وللفقراء ، فعادله صلى الله عليه وسلم بين الدافع والآخذ فى التعب فى ذلك اليوم ، فعلى المخرج القمح فقط وما بعد ذلك على الفقير ، وإلا فمعلوم أن الفقير يفرح بالصحن المريسة يوم العيد أكثر من فرحه بالقمح واللحم والدهن النيء . لكونه المطبوخ موافقاً لسرور ذلك اليوم عكس القمح ، فإنه يدخل على الفقير هما وشغل بال حتى يصلح للأكل فيفوته كمال السرور فى ذلك اليوم .

ومن هنا قال بعض العارفين ، إنما سمي العيد بذلك لعود ما كان مأموراً به فى غيره من العبادة . بإساركة أو لعود ما كان منهيًا عنه مباحاً فيه من نحو الغفلة والسهو ، وعن

الإكثار من العبادة وإعطاء النفس حظها من الشهوات ، لأن بدون ذلك لا يتم للإنسان مرور اليوم ، فن حبس النفس للعبادة في يوم العيد فقد أخطأ حكمة الشارع التي طلبها لأتمته في يوم العباد ، ففي الحديث :

« أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُجِيفَ عَرَقَهُ » .

ولا شك أن النفس كانت مع صاحبها كالأجير في رمضان ليلا ونهارا ، فكان من المعروف إعطاء النفس حظها في يوم العيد ، فهو كالتنفيس لها من تعب التكليف ، فهكنا فلفنهم مقاصد الشارع صلى الله عليه وسلم فما قال لنا قط في يوم :

« إِنَّهُ يَوْمٌ أُكْلٍ وَشُرْبٍ وَبِعَالٍ » .

إلا يوم العيد وأيام التشريق فالحمد لله رب العالمين .

قال الخطابي رضي الله عنه : وما يدل على تأكيد إخراج زكاة الفطر قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر » فإنه بين فيه أن صدقة الفطر فرض واجب كما في الزكاة الواجبة في الأموال ، وفيه بيان أن ما فرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم ملحق بما فرض الله ، لأنه :

(مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) .

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

قال : وقد قال بفرضية زكاة الفطر وجوبها عامة أهل العلم ، وقد علت بأنها طهارة للصائم من الرث والغر ، فهي واجبة على كل صائم غني ذي خدم أو فقير يجدها فضلا عن قوته ، وإذا كان وجوبها لعلة التطهير ، فكل صائم محتاج إلى التطهير ، فكما اشتركوا في العلة فكل ذلك يشتركون في الوجوب اه .

وقال ابن المنذر : أجمع عامة أهل العلم ، على أن صدقة الفطر فرض ، ومن حفظنا عنه ذلك من أهل العلم محمد بن سيرين وأبو العالية والضحاك وعطاء ومالك وسفيان الثوري والشافعي وأحمد وأبو ثور وإسحاق وأصحاب الرأي .

وقال إسحق هو كالإجماع من أهل العلم اه .

وروى أبو داود وابن ماجه وغيرهما وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَضَ صَدَقَةَ الْفِطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ الْفَقْرِ »

وَالرَّفَثِ وَطُمَّةٍ لِلسَّكِينِ ، فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ .

وروى الإمام أحمد وأبو داود مرفوعاً : « صَاعٌ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ قَمْحٍ عَلَى كُلِّ امْرِئٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى غَنِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ ، أَمَّا غَدِيكُمْ فَيُزَكِّيهِ اللهُ ، وَأَمَّا فَقِيرُكُمْ فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ . »

وروى أبو حنيفة بن شاهين في فضائل رمضان ، وقال حديث غريب جيد الإسناد مرفوعاً :

« شَهْرُ رَمَضَانَ مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَا يُرْفَعُ إِلَّا بِزَكَاةِ الْفِطْرِ . »
وروى ابن خزيمة في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية :
(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) فقال : « أَنْزَلْتُ فِي زَكَاةِ الْفِطْرِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نجبي ليلتي العيدين بالصلاة ذات الركوع والسجود لأن إحياءها بذلك هو المتبادر إلى الأفهام ، وبدل عليه عمل السلف الصالح كلهم بذلك ، وإن كان الإحياء يحصل بفعل كل خير من قراءة وتسبيح وغير ذلك كالصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال سيدي علي الخواص : ويجب أن يستعد لقيام كل ليلة أراد العبد قيامها بالجوع سواء ليلة العيدين أو الجمعة أو ليلة النصف ، من شعبان أو غير ذلك ، كالثلاث الأخير من الليل إذا كان يقومه فإن من شبع قل مدده ام .

وسمعه رضى الله عنه يقول : الحكمة في إحياء ليلتي العيدين ، أنه يعقبهما يوماً لهما ولعب ، فيكون نور العبادة في هاتين الليلتين متبسطة على العبد ، ويمتد إلى النهار فيمسك رج العبد من غير أن يرخي عنانه بالكلية في ميدان الغفلة والسهو ، بخلاف من بات نائماً إلى الصباح ، أو غافلاً عن ربه ، فإنه يصبح مطلق العنان في الغفلات .

فانظر ما أحكم أوامر الشارع وما أشفقه على دين أمته . فإذا علمت ذلك فكلف نفسك يا أخى في إحياء هاتين الليلتين ولو لم يكن لك بذلك عادة ، ولا تتعلل بأن السهر

يشق عليك ، فإننا نراك تسهر في ليالى الأعراس كذا وكذا ايلة وربما كان ذلك من غير نية صالحة ولا امتثال لأمر الشارع ، فامتنل ماأمرك به أولى .

وقد قلت مرة لشخص من أبناء الدنيا تعال اسهر معنا هذه الليلة وكانت ليلة العيد الأصغر ، فتعلل بأن السهر يضره ، فقلت له بالله عليك اصدقنى إذا أردت أن تفتح مطلباً وأبطأ عليك البخور الذى تطلقه من الاشياء إلى الفجر هل كنت تسهر إلى الصباح تترقب مجيئه ؟ فقال نعم ، فقلت له : فإذا أبطأ من بعد الفجر إلى المغرب هل كنت تترقبه ولا تنام ؟ فقال نعم : فدرجته إلى تسعة أيام وهو يجد من نفسه أنه يقدر على السهر من غير وضع جنبه إلى الأرض ، فقلت له في اليوم العاشر فقال لا أقدر ، فقلت له : يا أخى فإذا أنت تؤثر الدنيا على الآخرة ؟ فقال نعم : ولو كنت أحب الآخرة لكان الأمر بالعكس .

فقلت له : فإذا يجب عليك اتخاذ شيخ يخرجك من محبة الدنيا وشهواتها حتى تنقلب تلك الداعية التى كانت عندك في فتح المطالب إلى محبة الأجر الأخروى ونصير تحس بنفسك أنك تقدر تسهر في الخير تسعة أيام بلباها من قوة الداعية ، كما هو شأن أهل الله على الدوام ، وذلك أنهم كانوا إذا دعوا للسهر في الخير أجابوا وإذا دعوا للسهر في التفرج على المخيطين لا يجيدون لهم داعية وذلك لاعتناء الحق تعالى بهم ورائة مجمديّة ، كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم عزم ليلة وهو شاب أن يسهر مع فتيان مكة في هو فأخذ الله بروحه إلى الصباح ، فلم يستيقظ حتى أحرقه حر الشمس .

فاسلك يا أخى على يد شيخ حتى لا تصير تجد ثقلا من العبادة ، وبمجرد ما يأتى وقت عبادة أمرك الحق تعالى بها تتوفر الدواعى منك على فعلها ، ولو كان وراءك ألف غرضى تركته لثلا يفوتك امتثال أمر ربك أو الأجر الباقى الذى جعله لك الحق في ذلك الأمر . بل تعمل إذا عارضك أحد في طريقه ومنعك منه ألف حيلة ، كما تفعل ذلك في أهوية نفسك فتأمل ذلك والله يتولى هداك .

وروى ابن ماجه مرفوعا ورواته ثقات إلا واحدا :

« مَنْ قَامَ لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ مُحْتَسِبًا لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ » .

وفى رواية للأصبهاني مرفوعا : « مَنْ أَحْيَا اللَّيْلَةَ الْخَمْسَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » .

لَيْلَةَ التَّرْوِيَةِ ، وَلَيْلَةَ عَرَفَةَ ، وَلَيْلَةَ النَّحْرِ ، وَلَيْلَةَ الْفِطْرِ ، وَلَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « مَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ الْفِطْرِ وَلَيْلَةَ الْأَضْحَى لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ مَمُوتِ الْقُلُوبِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرفع أصواتنا بالتكبير في الأوقات التي ندب إايده فيها ، كالعيدين وأيام التشريق في المساجد والطرق والمنازل ، ولا نتعلل بالحياء من ذلك ، تقديمًا لامتنال أمر الله عز وجل على حياثنا الطبيعي ، وكذلك نأمر به من حضر عندنا من الأمراء والأكابر بل هم أولى من الفقراء بالتكبير ليخبر جوا عن صفة التكبير التي تظاهروا بها في ملاسهم ومراكبهم ، فكأن أحدهم بقوله الله أكبر قد تبرأ من كبرياء نفسه ، وتعاضلها .

وهنا أسرار أخرى في ذلك لاندكر لإمشافهة وصفة التكبير ووقته مقرر في كتب الفقه والله تعالى أعلم :

وروى الطبراني مرفوعا : « زَيَّنُوا أَعْيَادَكُمْ بِالتَّكْبِيرِ » .
قال الحافظ المذري ولكن فيه نكارة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نضحى عن أنفسنا وعبالنا وأولادنا كل سنة ولا نترك التضحية إلا لعذر شرعى . والحكمة في ذلك إماطة الأذى عن ذبحت على اسمه ومغفرة ذنوبه ، فعلم أن من شرط دفع الضحية البلاء عن أهل المنزل أن تكون من وجه حلال .

فليحذر الشيخ أو العالم من التضحية بما يرسله مشايخ العرب ، أو الكشاف من نهب غنم البلاد وبقرها ، فإن ذلك يزيد في البلاء على أهل المنزل .

وعلم أيضا أنه لا يكتفى شراء اللحم والتصدق به ، لأن السر إنما هو في إراقة الدم ، ومن لم يكن له قدرة على شراء أضحية وليس عنده فضل ثوب ولا دابة فليكثر من الاستغفار بدم الأضحية ، ففعل الاستغفار يجبر ذلك الحلال .

وكذلك ينبغي للفقراء المتجردين أن يلبحوا نفوسهم بسيوف المخالفات وليس لأحد الاون بأوامر الله عز وجل حسب الطاقة :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى ابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن والحاكم، وقال صحيح الإسناد مرفوعا :
« مَا عَمِلَ آدَمِيُّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ ، وَإِنَّمَا
لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا ، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ
أَنْ يَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ فَطَيَّبُوا بِهَا نَفْسًا » .

وروى ابن ماجه والحاكم وغيرهما وقال الحاكم لانه صحيح الإسناد :
« أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : مَا هَذِهِ الْأَصْحَى فَقَالَ :
سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ؟ قَالُوا فَمَا لَنَا فِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٍ قَالُوا :
فَالصُّوفُ ؟ قَالَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٍ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ » يعنى يوم العيد
الأضحى « أَفْضَلَ مِنْ دَمٍ يُهْرَاقُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجَاءً يُوصَلُ » .
وروى الطبراني مرفوعا : « بِأَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا وَاحْتَسِبُوا بِدِمَائِهَا فَإِنَّ الدَّمَ وَإِنْ
وَقَعَ فِي الْأَرْضِ فَإِنَّهُ يَقَعُ فِي حِرْزِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .
وفي رواية له مرفوعا : « مَنْ ضَحَّى طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ مُحْتَسِبًا لِأُضْحِيَّتِهِ كَانَتْ لَهُ
حِجَابًا مِنَ النَّارِ » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « مَا أَنْفَقَتِ الْوَرَقُ فِي شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ نَحْرِ يُنْحَرُ
فِي يَوْمِ عِيدٍ » .

وروى الحاكم مرفوعا وموقوفا ولعله أشبهه :
« مَنْ وَجَدَ سَعَةً لِأَنْ يُضَحَّى فَلَمْ يُضَحِّ فَلَا يَحْضُرَنَّ مُصَلَّانَا » .
وروى أبو داود والترمذى وغيرهما مرفوعا :

« خَيْرُ الْأُضْحِيَّةِ الْكَبِشُ » زاد ابن ماجه « الْأَقْرَنُ » والله تعالى أعلم .
(أخذ علينا المهدي العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نذبح أضحيتنا
بنفسنا ، وإن كان لنا عذر شرعى وكلنا من يذبح عنا وحضرنا الذبيح اهتماما بأوامر الله عز

وجل ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس فلا يذبح بنفسه ولا يحضر الذبح فينبغي الاعتناء بما ذكرنا .

وروى البزار وأبو الشيخ وابن حبان :

« أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : قُومِي إِلَى أَضْحِيَّتِكَ فَأَشْهَدِيهَا ، فَإِنَّ لَكَ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا أَنْ يُغْفَرَ لَكَ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَنَا ذَلِكَ خَاصَّةً أَهْلَ الْبَيْتِ أَوْلَانَا وَلِلْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ بَلَى لَنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ » .

وفي رواية للأصبهاني مرفوعا : « يَا فَاطِمَةُ قُومِي فَأَشْهَدِي أَضْحِيَّتَكَ فَإِنَّ لَكَ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا مَغْفِرَةً لِكُلِّ ذَنْبٍ ، أَمَا أَنْتَ يُجَاهِ بِدَمِهَا وَلَحْمِهَا فَيُوضَعُ فِي مِيزَانِكَ سَبْعِينَ ضِعْفًا . فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لِأَلِ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً فَإِنَّهُمْ أَهْلٌ لِمَا خُصُّوا بِهِ مِنَ الْخَيْرِ أَوْلِيَّ أَلِ مُحَمَّدٍ وَلِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً ؟ قَالَ : لِأَلِ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً وَلِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً » .

قال الحافظ المنذرى : وقد حسن بعض مشايخنا هذا الحديث ، والله تعالى أعلم .

(أخذ عاينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتصدق بلحم أضحيتنا حتى جلدها كما ورد ، ولاندخر اللحم عندنا لتأكله في المستقبل كما يفعله بخلاء الناس ، فإن ذلك لا يدفع عنا البلاء الذي شرعت له الأضحية ، وكان هذا البيخيل يقول رضيت بأني آكل أضحيتي ولا يندفع عني بلاء وهذا من خفة العقل ، فربما يحدث ببدنه حكمة أو جرب أو جراحات أو جذام أو تهمة باطلة ونحو ذلك فيندم حيث لا ينفعه الندم . ثم إن جميع ما يحصل له بعض ما يستحق مع أن ذلك لا يهون قط على الشارع صلى الله عليه وسلم كما لا يهون على الوالد وقروح البلاء والعقوبة بولده العاق له .

ومن أشرب قلبه الإيمان ومحبة الشارع صلى الله عليه وسلم أتى قياده له ، فإنه لا يأمر قط بشيء إلا وفيه مصالحة للعبد في الدنيا والآخرة .

وليحذر المضحى أن يرى له فضلا على من يرسل إليه اللحم من الفقراء ، بل يرى الفضل عليه للفقير الذي يتحمل عنه البلاء بذلك الورك مثلا ، بل لو عرض عليه وجع الضرس

مثلا حتى يمنعه نوم الليل والأكل والشرب فجاء شخص يتحمل عنه ذلك بالأضحية كلها
لسمحت نفسه بها .

ومثال الفقير الذى يتحمل البلاء عن صاحب الصدقة ، مثال من غسل ثوب إنسان
من الوسخ أو فصدته وأخرج من بدنه الدم الفاسد فلا يلبق بصاحب الثوب والدم ، أن
يرى نفسه على من غسل ثوبه أو فصدته بل اللاتئ به إعطاؤه الدراهم والشكر له :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وقد روى الحاكم مرفوعا وقال صحيح الإسناد .

« مَنْ بَاعَ جِلْدَ أَضْحِيَّتِهِ فَلَا أَضْحِيَّةَ لَهُ » .

قال الحافظ المنذرى : وقد جاء فى غير ما حديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
بيع جلد الأضحية ، والله تعالى اعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحسن الذبحة وذلك
بإحداد الشفرة بحيث لا تراها البهيمة ، والإسراع بالذبح فى المنحر .

ومن هنا استحب العلماء النحر لسكل ما طال عنقه دون الذبح تعجيلا لزهوق الروح .
وإنما يرحم الله من عباده الرهاء ، وفى الحديث أيضا :

« إِنْ اللَّهُ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ » .

فمن ذبح البهيمة بغير رحمة تطرق قلبه بها فهو جبار ليس له فى ديوان المحسنين ولا فى
أجورهم سهم ولا نصيب ، ومن لا يرحم لا يرحم .

وقد روى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه مرفوعا :

« إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ » يعنى فيما أمرتم بقتله « وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا

الذَّبْحَةَ وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَأَبْرِحْ ذَبِيحَتَهُ » .

وروى الطبرانى ورجاله رجال الصحيح : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ

عَلَى رَجُلٍ وَاضِعَ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةٍ شَاةٍ وَهُوَ يُحِدُّ شَفْرَتَهُ وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا

قَالَ : أَفَلَا قَبِلَ هَذَا؟ أَوْ تَرِيدُ أَنْ تُمَيِّمَهَا مَوْتَتَيْنِ » .

وفى رواية الحاكم : « مَوْتَتَانِ هَلَا أَحَدَدْتِ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْحِمَهَا » .

وروى ابن ماجه عن ابن عمر قال :

« أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِّ الشَّفَارِ وَأَنْ تُوَارَى عَنِ الْبَهَائِمِ ، وَقَالَ :
إِذَا ذَبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجْهَزْ » .

والشفار : جمع شفرة وهى السكين ، وقوله فليجهز ، أى فليسرع ذبحها وبتمه .
وروى عبد الرزاق موقوفا : إن عمر رضى الله عنه رأى رجلا يسحب شاة برجله
ليذبحها ، فقال له : وبلك ، قدها إلى الموت قودا جميلا :
وسياتى إن شاء الله فى عهد الشفقة والرحمة على خلق الله مزيد أحاديث والله تعالى أعلم .
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، أن نبادر بالحج إذا
استطعناه ، لاسيما عند خوفنا اخترام المنية ، ولا نتأخر لعلة دنيوية ، ولا لخوف الموت
فى الطريق ، كما يقع فيه بعض من غلب عليه حب الدنيا وشق عليه مفارقة أهله وأوطانه
وشربه الماء الحلو وأكله الفواكه وجلسه فى الظل ، وجمعه المال من وظائفه وغير ذلك ،
فيموت أحدهم من غير أن يحج حجة الإسلام ، وذلك فى غاية النقص ، فإنه لا يكمل
أركان دين الغنى والفقير إلا بالحج .

وقد قلت مرة لبعض طلبة العلم : ألا تحج ؟ فقال لا أستطيع ، فقلت له : لماذا ؟
فقال : خوفا أن يسعى أحد على وظيفة تدريسيى للعلم ، فقلت : هذا ليس بعذر شرعى ،
فإن تدريس العلم ما شرع إلا بغير معلوم احتسابا لوجه الله ، وما أحد يعارض فى مثل
ذلك ، فقال : أخاف أن يأخذها أحد لأجل المعلوم الذى فيها . فقلت له : كم عيالك ؟
فقال أربعة أنفس ، فقلت له : كم لك من المعلوم كل يوم ، فقال عشرة أنصاف
غير معلوم هذه الوظيفة ، فقلت : إنها والله تكفيك ، فتهاون فى الحج حتى جاءه شخص
فسرق من بيته قبيل موته نحو ثلثمائة ذهبا ، فدخلت له فقلت له : أين قولك إنك
لا تستطيع الحج ، فقال حب الدنيا غلب على قلوبنا ، فقلت له : فيجب عليك أن تتخذ
لك شيئا ليسلك بك الطريق حتى يخرجك من محبة الدنيا ، فقال لأستطيع مجاهدة نفسى ،
فقلت له فاذهب من هذه الدار ، فقال ماهو بيدي ، فقلت له : قل اللهم اقبضنى إن كان
الموت خيرا لى ، فقالها فمات بعد شهر رحمه الله .

واعلم يا أخى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل تكفير الخطايا إلا فى الحج

المبرور الذى لا إثم عليه ، ومن يترك الصلاة فى الطريق أو يخرجها عن وقتها فهو عاص ،
ببر حجة ، فلا يكفر عنه حجه خطيئة واحدة ، كما متأنى الإشارة إليه فى الأحاديث .
فواظب يا أخى على الصلاة فى الطريق وحرر النية الصالحة وحج واعتمر عند القدرة
وإلا خسرت فأوسك ودينك والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « أَفْضَلُ الْعَمَلِ إِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : حَسْبُ مَبْرُورٌ » .
وفى رواية لابن حبان فى صحيحه مرفوعا :
« أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِيمَانٌ لَا شِرْكَ فِيهِ ، وَعَزْوٌ لَا غَوْلَ فِيهِ ،
وَحَسْبُ مَبْرُورٌ » .

وكان أبوهريرة رضى الله عنه يقول : حجة مبرورة تكفر خطايا سنة . قال الحافظ :
والمبرور هو الذى لا يقع فيه معصية .

وفى حديث جابر مرفوعا : « إِنَّ بِرَّ الْحَجِّ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الْكَلَامِ » .
وفى رواية : « وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « مَنْ حَسِبَ وَلَمْ يَرَفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ
كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

وفى رواية الترمذى : « غَيْرَ لَهُ مَا نَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

قال ابن عباس : والرث هو ما روجع به النساء .

وقال الأزهرى : الرث كلمة جامعة لكل ما يريد به الرجل من المرأة فيما
يتعلق بالجماع .

وقال الحافظ المتدرى ، ويطلق الرث أيضا ويراد به الجماع ، ويطلق ويراد به الفحش
ويطلق ويراد به خطاب الرجل للمرأة فيما يتعلق بالجماع .

وقد نقل فى معنى الحديث كل واحد من هذه الثلاثة عن جماعة من العلماء ، والله
تعالى أعلم .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « إِنَّ الْحَجَّ الْمَبْرُورَ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ » .
وروى مسلم وغيره مرفوعا : « إِنَّ الْحَجَّ يَهْدِيكُمْ مَا كَانَتْ قَبْلَهُ » .
وروى النسائي بإسناد حسن مرفوعا : « جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ
الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ » .

وفرواية لابن خزيمة في صحيحه :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ جِهَادٍ؟
قَالَ عَائِشَةُ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ : الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « حُجُّوا فَإِنَّ الْحَجَّ يَغْسِلُ الذُّنُوبَ كَمَا يَغْسِلُ
الْمَاءُ الدَّرَنَ » .

وروى ابن خزيمة في صحيحه قال : ولكن في القلب من واحد من روايته
شيء مرفوعا .

« إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى الْبَيْتَ أَلْفَ أُنْيَةٍ لَمْ يَرَ كَبَّ قَطُّ فِيمِنْ مِنَ الْهِنْدِ
حَلَّى رِجْلَيْهِ » .

وروى أبو يعلى مرفوعا روايته ثقات إلا واحدا .

« مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ كَتَبَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ خَرَجَ
مُعْتَمِرًا فَمَاتَ كَتَبَ لَهُ أَجْرُ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ننفق في الحج
والعمرة بقدر وسعنا ، ولا نتكلف لما فوق مقامنا من الجبال أو المحفة أو المحارة أو مؤنة
الأكل أو الحلوات ، خوفا أن يعقبتنا ندم لمعاملتنا غير الله مع إظهار أن ذلك لله تعالى
ولا تقرب إلى الله تعالى بشيء تنقبض النفس للإفناق فيه عاجلا أو آجلا ، وإنما اللائق
أن ينفق الإنسان ماله في مرضاة الله وهو منشرح القلب والقلب ، وذلك لا يكون إلا إذا
أنفق من ماله حسب طاقته ، وإلا فن لازمه غالبا ارتكابه الدين ودخول الفقر وحب
السمعة في حجه ، فإن من أوسع في النفقة فوق طاقته فالغالب عليه وقوعه فيما ذكرنا

لا سيما إن كان شيخا أو عالما لا كسب له ، فإن الإنسان ربما ساعده بالنفقة حتى الكشاف ومشايخ العرب وغيرهم من الظلمة ، إذ لو تبع الحل وتورع لما وجد في هذا الزمان أجرة ركوبه على الحمل بلا محمل ، ولكن والله قد دخل الدخيل في الأعمال لثقله الناصحين من العلماء والصالحين ، فإن من لا ينصح نفسه لا ينصح الناس ، ومن يغش نفسه فلا يبعد أن يغش الناس .

وقد حجج صلى الله عليه وسلم على رجل رث يساوى ثلاثة دراهم ، ثم قال :

« اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةً » .

واعلم يا أخى أن كل من تكلف ودخله الفخر في حجه فهو إلى الإثم أقرب ، فإياك يا أخى وقبول المعونة في الحج بمن لا يتورع في مكسبه ، كالتجار الذين يبيعون على الظلمة والمكاسين ولا يردونهم إذا اشتروا منهم ، أو كمشايخ العرب ، فإن كسبهم يكاد أن يكون سحت السحت ، وكذلك جهالمهم يأخذونها من بلادهم من الناس غصبا في حجة حول جماعة السلطان ، فربما أرسلوا السيدى الشيخ جملا أو جملين فحج عليهما فيذهب غارقا في المعصية ، إلى أن يرجع أو يموتا منه في الطريق .

وإنما نهبناك يا أخى على مثل ذلك لعلمي بأن النفس غالبية على كل من لم يسلك الطريق على يد شيخ أو لم تحفه عناية الله تعالى فيدخل أعماله العلل والرياء وحب الشهرة بالكرم أو السخاء في الطريق ليقال ، فإن أبا مرة لا يترك مثل هؤلاء يأتون بأعمالهم كاملة بل ولا ناقصة ، فيزين لهم أعمالهم ويهون عليهم المساعدة في الحج بمال الظلمة ولا يكاد أحدهم يسلم له شيء من أعماله : وما رأيت عيني في الثلاث سفرات التي سافرتها أحدا حجج من العلماء وتورع في مأكله وملبسه مثل أخى الشيخ الصالح شمس الدين الخطيب الشربيني المفتى بجامع الأزهر فسمح الله تعالى في أجله ، فاني رأيت له لا يقبل من أحد شيئا لنفقة نفسه في الطريق ، ويكرى له جملا لا يكاد يتميز من جمال عرب الشعارة ويصير يمشى عن الجمل في أكثر الأوقات ليلا ونهارا فيمشى ويتلو القرآن والأوراد ، ولا يركب إلا عند التعب الشديد رحمة بالجمل ، ثم يحرم مفردا فلا يحل من إحرامه حتى يتحلل أيام منى وأكثر أيامه صائما في مكة وغيرها ، وإن جاءه غداء أو عشاء أطعمه لفقراء مكة وطوى ، ولا يمل من الطواف بالبيت ليلا ونهارا ، وفي طول الطريق يعلم الناس مناسكهم ولا تنكاد

تسمع منه كلمة لغو يبدؤك بها فضلا عن كلمة غيبة في أحد تعريضا أو تصريحاً رضي الله عنه ، وزاده من فضله .

فحج يا أخى مثل هذا الأخ وإلا فلا ننج غير حجة الإسلام .

وقد رأيت شخصا آخر أقام من العلماء بمكة سنتين فجلست عنده نحو درجة في الحجر فحرق في أهل مكة ثم اتصل إلى علماء مصر فلا خلى ولا بقي ، فقلت له : يا أخى جلوسك في هذه البلد معصية وجميع ما تحصله من الخير في مكة لا يرضى به واحد من هؤلاء العلماء الذين استغبتهم يوم القيامة ، بل أعرف منهم واحدا لا يرضيه جميع أعمالك الصالحة في غيبة واحدة ، فضلا عن أعمالك التي دخلها الدخيل ، ثم قلت له : لو علم أهل مصر ما أنت منظر عليه ما حسدك أحد على هذه الإقامة بل كان يستعبد بالله من حالك ، فيأطول ماسمهم يقولون : هنيئا لفلان .

فإياك يا أخى أن تسلك هذا المسلك ، والله يتولى هداك .

وروى الحاكم مرفوعا وقال صحيح على شرط الشيخين .

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَائِشَةَ فِي مُعْرَتِهَا : إِنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ

عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ وَنَفْتَتِكَ » .

والنصب هو التعب وزنا ومعنى .

وروى الإمام أحمد والطبراني والبيهقي وإسناده حسن أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال :

« النَّفَقَةُ فِي الْحُجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ » .

وفي رواية « الدَّرْهُمُ بِسَبْعِمِائَةٍ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « مَا أَمَرَ حَاجٌّ قَطُّ » .

قيل لجابر ما الإعمار؟ قال ما افتقر وروه البزار ورجال الصحيح .

وروى الطبراني والأصبهاني مرفوعا : « إِذَا خَرَجَ الْحَاجُّ حَاجًّا بِنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ فَنَادَى

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ زَادَكَ حَلَالٌ وَرَاحِلَتُكَ

حَلَالٌ وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَا زُورٌ وَإِذَا خَرَجَ بِالنَّفَقَةِ الْخَبِيثَةِ فَنَادَى لَبَّيْكَ نَادَاهُ

مِنَ السَّمَاءِ لَا لَبَّيْكَ وَلَا سَعْدَيْكَ زَادَكَ حَرَامٌ وَنَفَقَتُكَ حَرَامٌ وَحَجُّكَ مَا زُورٌ غَيْرُ

مَبْرُورٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نعتمر في رمضان إذا جاورنا بمكة أو دخلنا في رمضان ولا نفوتها إلا لعذر شرعى ، فإنه ورد أنها تعدل حجة ، وذلك لما عند الإنسان من الصفاء والنور في رمضان لما هو عليه من الجوع وكثرة العبادة والأجر يعظم بحسب شدة القرب من حضرة الله تعالى ، ولا شك أن الجيعان يكاد يلحق بحدام أهل الحضرة من الملائكة والأنبياء بخلاف الشيعان ، فإنه بعيد منها قريب من حضرة البهائم ، وأين عبادة المتدنس المتلطخ بالفواحش ، من عبادة المتطهر منها ، فاعلم ذلك والله يتولى هداك .

وروى أبو داود وابن خزيمة في صحيحه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِيَ » .

وفي رواية للبخارى والنسائي وابن ماجه مرفوعا :

« عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكثر من التواضع في الحج ، ونلبس ثياب المدون اللائقة بالخدمة في السفر ، ونحرم في العباية الغليظة دون الحمسينى الرفيع ونحو ذلك مما يفعله التجار وغيرهم ، كل ذلك اقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فعلم أنه لا ينبغي لبس الثياب الرقيقة والفرجيات المجررات التي فيها خطوط خمر وخضر وصفر ونحو ذلك من لباس أهل الرعونات : لأن لثياب الزينة محلا مخصوصا ليس هذا موضعه . وقد اجمع أهل الله عز وجل على أن من كان فيه صفة الغنى أو رائحة التكبر لا يدخل حضرة الله تعالى ، ولا يحصل له شيء من الإمدادات التي تفرق على أهل تلك الحضرة قال تعالى :

(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) .

والتكبر ولا بس الثياب الفاخرة فخرا ليس فيه صفة الافتقار ولا المسكنة ، وإنما فيه صفة الجبارة فيبغى لمن عادته في بلده الملابس الفاخرة أن يبيعها كلها ويأخذ له ثيابا تناسب حالة الفقراء والمساكين في الطريق حتى يرجع من الحج ، وربما زاد من تلك الثياب على مائة دينار ثم إن احتاج إلى صرف ثمنها في مؤنة سفره نفعته وإن استغنى عنها تصدق منها صدقة مضاعفا كل درهم يرجع على ألف درهم في الحضر ، فضلا عن ثواب

لبس الثياب الفاخرة بقصد إظهار النعمة ، فإن لإظهار النعمة وقتا آخر ليس هذا موضعه ولعل لراكبه عاجزا مرحلة واحدة أفضل من حجه هو ، ولو أن ثيابه الفاخرة كانت معه في الطريق ربما لا تنفعه لقلته من يشترها في السفر :

وكذلك ينبغي لمن يبحج أن لا يستصحب معه الهدايا النفيسة من شاشات وأزر وحجر كما يفعله التجار لأن ميزان الحق منصوبة على من ورد تلك الحضرة ، ولم يقطع عنه علائق الدنيا بأجمعها ثم إنها ربما تسرق منه في الطريق ، وإن لم تسرق منه نقص بعض رأس ماله في الدين ، وكان الأولى له أن ينفق ثمن تلك الهدايا على فقراء مكة أو يحملها معه لمن عجز في الطريق عن الفقة ، أو عن المشي ، فينبغي للحاج أن تكون له بصيرة :

وقد رأيت شخصا من الفقراء أشرف على الموت من الجوع والعطش والتعب ، فجاء إلى شخص في محمل عظيم فقال اسقني لله أو ركبني لله ، فقال يفتح الله عليك ، فقال أعطني دينارا أركب به ، فقال مامعنى شيء فصدته لكونه مشهورا بالدين ، فرد الفقير وهو يقول في سبيل الله دورانك في هذه الجبال ، والله للقمّة أو شربة ماء لفقير أرجح من طبل خاناتك ، ولو أن هذا الراكب في المحمل كان عنده بضيرة لحسب حساب الفقراء والمساكين وأبى لهم بقية نفقة ، وإلا ركب مقتبا ، فإن المحمل مشهور ، ويقصد الناس الراكب فيه ، فإن لم يقيم بواجبه وإلا فليركب في شيء مستور ، ثم إن راكب ذلك المحمل تخاصم مع زوجته تلك الليلة فسمعتة يقول لها : لك معى سبعين بندقيا ، قم بأفلاق عدّها من كيسى فتعجبت من رده ذلك السائل في وادى النار ، قبيل الأزل بمرحلة ممايلى ينبوع ، وقد بنى أن ذلك التقير مات تلك اللبنة ، فمثل هذا حجه إلى الاثم أقرب ؛ فإياك أن تبغى في مثل ذلك وقد تقدم في عهد إطلاة الجلوس في المساجد وتخفيفه في السوق نبذة صالحة في آداب المسجد الحرام وبيان أن من الأدب أن لا يبديت المقيم بمكة على دينار ولا درهم ، وهو يعلم أن فيها جائعا أو محتاجا ، وأن لا يخطر على باله مدة إقامته بمكة معصية ، وأن لا يمسك طمانا أو شرابا إلا للضرورة فلا بأس بمراجعتها :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

روى الترمذى في الشمائل وابن ماجه عن أنس قال :

« حَجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَحْلِ رَثٍّ وَقَطِيفَةٍ خَلِقَةٍ تَسَاوَى أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ أَوْ لَا تَسَاوَى مُمٌّ قَالَ : اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا مُنْمَةَ » .

والقطيفة : كساء بال له حمل .

وروى البخارى أن أنسا رضى الله عنه حج على رجل ولم يكن شحيحا وحدث :
« أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّ عَلَى رَجُلٍ وَكَانَتْ زَامِلَةً » .

وروى ابن خزيمة فى صحيحه عن قدامة بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك .
وروى ابن ماجه بإسناد صحيح وابن خزيمة :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَقَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاضِعًا أَصْبَعَهُ فِي أُذُنِهِ لَهُ جُورًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّلْبِيَةِ مَرًّا بِهَذَا الْوَادِي وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَسِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَذِيَةِ هَرَشَى فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ نَذِيَةِ هَذِهِ ؟ قَالُوا نَذِيَةِ هَرَشَى أَوْلَيْتَ قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ عَلَيْهِ جَبَّةٌ صُوفٍ وَخِطَامٌ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ مَرًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلْبِيًا » .

ونذية هرشى : قريبة من الجحفة ، ولفت بكسر اللام وفتحها ، هى نذية جبل قديد بين مكة والمدينة . والخلبة : هو الليف كما ورد فى رواية أخرى .

وروى الطبرانى وإسناده حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا مِنْهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ عِبَاءٌ تَانٍ فَطَوَّانِيَّتَانِ وَهُوَ مُحْرِمٌ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلٍ شَوْعَةَ مَخْطُومٍ مَخْطُومٍ لَيْفٍ لَهُ صَفِيرَتَانِ » .

وروى الإمام أحمد والبيهقى عن ابن عباس قال :

« كَانَ لِمَا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَادِي عُسْفَانَ حِينَ حَجَّ قَالَ : لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُوَذَا وَصَالِحٌ عَلَى بَكَرَاتٍ خَطْمُهَا الْيَفُ أُرُّهُمَا الْعَبَاءُ وَأُرُّدِيَهُمُ الْبَارُ يَحْمِجُونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ » .

وعسفان : موضع على مرحلتين من مكة . والبكرات : جمع بكرة بسكون الكاف وهى

الفتية من الإبل . والمار : جمع نمره ، وهو كساء مخطط .

وروى الطبراني : « أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَجَّ عَلَى نَوْرِ أَحْمَرَ وَعَلَيْهِ عِبَادَةٌ قُطُورَانِيَّةٌ » ورواه ثقات إلا ليث بن أبي سليم .

وروى أبو يعلى والطبراني مرفوعا : « لَقَدْ مَرَّ بِالرَّوْحَاءِ سَبْعُونَ نَدِيًّا مِنْهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى حُفَاةً عَلَيْهِمُ الْعِبَادَةُ يُؤْمُونَ بِبَيْتِ اللَّهِ الْعَتِيقِ » .

وروي ابن ماجه باسناد حسن : « أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنِ الْحَاجُّ؟ قَالَ الشَّعِثُ التَّفِيلُ قَالَ : فَأَيُّ الْحَاجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ الْعَجْجُ وَالنَّبِيجُ قَالَ : وَمَا السَّبِيلُ؟ قَالَ الرَّادُ وَالرَّاحِلَةُ » .
وفي رواية : « قَالَ فَمَا يُوجِبُ الْحَاجَّ؟ فَقَالَ الرَّادُ وَالرَّاحِلَةُ » .

رواه ابن ماجه باسناد حسن . والتأمل : بفتح التاء وكسر الفاء ، هو الذى ترك الطيب والتنظيف حتى تغيرت رائحته . والعمج : هو رفع الصوت بالتلمية أو التكبير . والشج : هو نحر البدن .

وفي حديث أحمد وابن حبان فى وقوف الناس بعرفة مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَهْبِطُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَبْأُهِى بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ ، يَقُولُ عِبَادِي جَاءُونِي شُعْتًا غُبْرًا » الحديث .

والشعث من الناس هو البعد العهد بتسريح شعره وغسله ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرفع صوتنا بالتلمية ولا نتعلل بالحياء من الناس كما يفعل بعض الكبراء ، فإن ذلك وقت لا راعى فيه إلا الله عز وجل .

والمراد بالتلمية ، لإظهار العبودية وأنا أجهنا الداعى لنا إلى الحج ولم نتخلف تهاونا به ؛ وقد راعى الشارع صلى الله عليه وسلم رفع الصوت بذلك ، ولم يكتف باذعان قلوبنا كما راعى أفال الصلوات ولم يكتف بما فى باطننا من الخضوع .

وقد قلت مرة لشخص من الأكابر ، أما ترفع صوتك بالتلمية؟ فقال : أستحي ، فما مهدت له دهليزا حتى رفع صوته إلا بعد جهد كبير ، وكل هذا من شدة الجفاء وعدم مخالطة أهل الشريعة ، فأرفع صوتك بأخى والله يتولى هداك .

وروى الترمذى وابن ماجه والبيهقى مرفوعا :

« مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إِلَّا أَبِي مَا عَنِ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدِيرٍ
حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا عَنِ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ » .

وروى أبو داود والذَّهَبِيُّ وابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ أَصْحَابِي أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ
بِالْإِهْلَالِ وَالتَّلْبِيَةِ » .

زاد في رواية ابن خزيمة وابن حبان :

« فَإِنَّهَا - يَعْنِي التَّلْبِيَةَ - مِنْ شِعَارِ الْحُجِّ » .

وروى الطبراني والبيهقي مرفوعا : « مَا أَهْلٌ مُهِلٌّ قَطُّ وَلَا كَبِيرٌ مُكَبَّرٌ قَطُّ إِلَّا
بُشْرٌ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ نَعَمْ » .

وفي رواية للإمام أحمد وابن ماجه :

« مَا مِنْ مُحْرِمٍ يَضْحَى لِلَّهِ يَوْمَهُ وَيُلَبِّي حَتَّى تَفِيَبَ الشَّمْسُ إِلَّا غَابَتْ بِذُنُوبِهِ
فَعَادَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

ومعنى يضحى أى لا يجعل بينه وبين الشمس حجابا ، لأن الضح هو الحر والله تعالى أعلم :
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكثر من الطواف
واستلام الحجر الأسود والركن اليماني مدة إقامة مكة المشرقة ، وكذلك نكثر من الصلاة
في المقام ، وندخل البيت ، لكن بعد الاستعداد بالجوع المفرط حتى تخشع وتذل نفوسنا
فإن تلك حضرة لا أقرب منها في سائر المساجد ، فإن خفنا من الزحمة اكتفينا بدخول
الحجر ، فإنه من البيت إن شاء الله تعالى .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من شبع في مكة فهو كالبهائم لأن
الشبعان ينعدق عليه بخار الأكل كأنه بيضة فولاذ سابعة على جسمه فلا يكاد يصبه شيء
من مطر الرحمة النازل هناك ، ومن كان جائعا فكأنه عريان تحت المطر فيفرق في الرحمة
إن شاء الله تعالى .

وأخبرني سيدى علي الخواص أن سيدى إبراهيم المتبولى لما حج كلمته السكبة وبشرته
بقبول حجة تلك السنة ووقع بينه وبينها معاتبات ومباسطات اه .

وكذلك رأيت أنا في الفتوحات المسكية أن الشيخ أخبر أنه وقع بينه وبين الكعبة مراسلات ومخاطبات، وذكر أنه رآها ناقصة في بعض المقامات فأكملها وتلذمت له حتى رقاها هكذا .

قال رضى الله عنه ولكل مقام رجال .

وسمعت سيدى عليا الخواص أيضا رحمه الله يقول إنما كان الحجر الأسود أسود لأنه ليس فى الألوان لون يدل على السيادة إلا اللون الأسود ، وأن معنى « سودته خطايا بنى آدم » أى جعلته سيديا بكثرة التقبيل ، قال وكذلك القول فى اسوداد جلد آدم لما خرج من الجنة إلى الأرض كان دليلا على حصول السيادة بخروجه من الجنة إلى الأرض . - ر خلافته ، وقد أجمع المحققون على أن الأنبياء لا يتقلون قط من حال إلا لأعلى منها اه .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : إنما أمر خواص بنى آدم عليه السلام بتقبيل الحجر مع كونهم أشرف من الحجر ابتلاء من الله تعالى لهم جبرا لما أخذت الخلافة فى الأرض من عبوديتهم ، لأن الخلافة تعطى الزهو والعجب ، فأمر كل خليفة بتقبيل ما هو دونه لينظر الحق تعالى وهو أعلم بمن ينقاد لأوامر الله تعالى ، ومن يتكبر عنها اه :

(وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وروى الإمام أحمد أنه قيل لعبد الله بن عمر ، ما لى لأراك تستلم إلا هذين الركنين الحجر الأسود والركن اليماني ، فقال ابن عمر : إنما أفعل ذلك لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إِنَّ اسْتِلامَهُمَا يَحِطُّ أَخْطَابًا » .

قال : وسمعتة أيضا يقول : « مَنْ طَافَ أَشْهُوعًا يُحْضِيهِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ كَانَ كَعِدْلِ رَقِيَّةٍ » .

قال وسمعتة يقول : « مَا رَفَعَ رَجُلٌ قَدَمًا وَلَا وَضَعَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ » .

وفى رواية للحاكم وقال صحيح الإسناد :

« أَنَّ ابْنَ مَعْرَةَ قَالَ ، إِنَّمَا أَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَسْحُهُمَا يَحِطُّ أَخْطَابًا » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ أُشْبِعُوا لَابِلْغُو فِيهِ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ بَعْتَقَهَا » .

والعدل بالفتح المثل ، وماعاد الشيء من عين جنسه ، وبالكسر ماعادله من غير جنسه وكان نظيره .

وقال البصريون : العدل والعدل اذتان وهما المثل ،

وروى الترمذي مرفوعا : « مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ سَحْسِينَ مَرَّةً خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ » .

وقال البخاري : هو من قول ابن عباس رضي الله عنهما .

وروى الترمذي وقال حديث حسن وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحجر :

« وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يَبْصُرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّي » .

قلت : قال بعض المحققين وعلى هنا بمعنى اللام :

وقال الشيخ محيي الدين في الفتوحات : الحق أن على هنا على بابها وأن الحق تعالى إنما كلف العبد أن يستلم الحجر بصفة عبوديته وافتتاره وذلك لا بصفة ربوبيته وسيادته من كونه يقول : فملت قمتا قعدت ، ومن جهة كون الحق شرفه على غيره من الحيوانات ، فقولته : بحق أي بصفة لا تليق إلا بالحقى كالسكبرياء والعظمة ، فمن استلمه كذلك شهد الحجر عليه لاله ، وتأمل ذلك فإنه دقيق قال ولما أودعت الحجر الأسود شهادة التوحيد خرجت الشهادة عند تلفظي بها ، وأنا أنظر إليها بعيني في صورة ملك وانفتح في الحجر الأسود طاق حتى نظرت إلى قعر الحجر والشهادة قد صارت مثل السكبة واستقرت في قعر الحجر وانطبق الحجر عليهما وانسد ذلك الطاق وأنا أنظر إليه ، فقال لي الحجر . هذه أمانة لك عندي أرفعها لك عندي يوم القيامة فشكرته على ذلك اه والله أعلم :

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن والطبراني مرفوعا :

« إِنَّ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْبَرُ مِنْ أَبِي قَبِيْسٍ لَهُ لِسَانٌ وَسَفَتَانِ » .

زاد في رواية للطبراني : « يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بِالْحَقِّ ، وَهُوَ يَمِينُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ » .

وروى الترمذى وقال حديث حسن صحيح مرفوعا :

« نَزَلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا
بَنِي آدَمَ » .

وفي رواية لابن خزيمة : « أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنْ حِجَارَةِ الْجَنَّةِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِنَ الْجَنَّةِ غَيْرُهُ وَكَانَ أَبْيَضَ كَالْمَاءِ ، وَلَوْلَا مَا مَسَّهُ مِنْ رِجْسِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا مَسَّهُ ذُرْعَاهُ
إِلَّا بَرِيءٌ » والمها مقصورة: جمع مهاة وهي البلورة .

وفي رواية لابن خزيمة : « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَا قُوْتَةُ بَيْضَاهُ مِنْ يَوَاقِيْتِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّمَا
سَوَّدَتْهُ خَطَايَا الْمُشْرِكِينَ ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ أَحَدٍ » الحديث .

وروى الطبراني موقوفا بإسناد صحيح :

« نَزَلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ السَّمَاءِ فَوَضِعَ عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ كَأَنَّهُ مِهَاقَةٌ بَيْضَاهُ
فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ وُضِعَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ »

وروى الترمذى وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« الرَّكْنُ وَالْمَقَامُ يَا قُوْتَتَانِ مِنْ يَوَاقِيْتِ الْجَنَّةِ ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَمَسَ
نُورَهُمَا لِأَضَاءِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » .

وروى ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم عن ابن عمر قال :

« اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَرَ ثُمَّ وَضَعَ شَفْتَيْهِ عَلَيْهِ
يَبْسُكِي طَوِيلًا ثُمَّ التَمَّتْ فَإِذَا هُوَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَبْسُكِي ، فَقَالَ : يَا عُمَرُ ؟ هُنَا
نُسْكِبُ الْعِبْرَاتُ » .

وروى ابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما أن النبي صلى الله

عليه وسلم لما قبل الحجر بعد الطواف ، وضع يديه عليه ثم مسح بهما وجهه ، والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، أن نستعد للعبادة في عشر ذى الحجة بإزالة الموانع التي تمنع العبد من شعوره بأوقات تقريبات الحق تعالى لتؤدي الأعمال الصالحة فيها على ضرب من رائحة الكمال كما مر في ليالي القدر ، فإن من غلظ حجابه لا يشعر بأوقات المواهب ولا يحس بها .
وقد جعل الله تعالى تمام الأعمال بحضور العبد فيها مع الله تعالى ، وجعل نفعها بحسب ما غاب العبد عن شهوده لربه فيها .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : كل من مرت عليه ليالي التقريب ولم ينقطع صوته من شدة البكاء والتحبيب فكأنه نائم ، فوالله لقد فاز أهل الله تعالى بمجاهدتهم لنفوسهم حتى لم يبق لهم مانع يمنعهم من دخول حضرة الله تعالى في ليل أو نهار ، ووالله لو سجدوا على الجمر ما أدوا شكر الحق تعالى على إذنه لهم في الدخول إلى حضرة لحظة واحدة في عمرهم ، ووالله لو وقف المريدون على الجمر بين يدي أشياخهم من منذ خلق الله الدنيا إلى انقضائها لم يقوموا بواجب حق معلمهم في إرشادهم إلى إزالة جميع تلك الموانع التي تمنعهم من دخول حضرة الله عز وجل . وإذا كان العبد يحب من أعطاه العزيمة والبخور حتى فتح المطلب ولا يكاد يبغضه مع كون ذلك مكروها لله عز وجل ، فكيف بمن يهبطه الاستعداد الذي يدخل به حضرة الله عز وجل حتى يصير معدودا من أهلها بل من ملوك الحضرة والله إن أكثر الناس اليوم في غمرة ساهون ، نسأل الله اللطيف بنا وبهم .
وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يطلب من غالب أهل هذا الزمان كمال مقام الإيمان فإنه متعذر جدا ، وإنما السعيد كل السعيد من خرج من الدنيا ومعه رائحة الإيمان ، ومن ادعى منهم كمال الإيمان ، كذبته أفعاله من الانهماك على الدنيا وندمه على فواتها أكثر من ندمه على فوات مجالسة الله عز وجل .

وسمته يقول أيضا من علامة نقض الإيمان في العهد عدم تأثره على فوات شيء من درضاة الله عز وجل وعدم حفظه لجوارحه مع علمه بأنه يحاسب على جميع ما فعل .
وقد قدمنا عن الحسن البصرى أنه كان يقول : أدركنا أقواما كنا في جنبهم لصوصا ولو رأوكم لقالوا إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب .

وقد كان مالك بن دينار يقول . والله لو حلف إنسان بأن أعمالى أعمال من لا يؤمن بيوم الحساب لقلت له صدقت ، لا تكفر عن يمينك ، فتأمل ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك .

وروى البخارى والترمذى وأبو داود وابن ماجه والطبرانى وغيرهم مرفوعا :
« مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا رَجُلًا خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ » .
وروى الترمذى وابن ماجه والبيهقى مرفوعا :

« مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ » .
وفى رواية للبيهقى : « إِنَّ الْعَمَلَ فِيهِنَّ » يعنى فى ليلالى عشر ذى الحجة « يُضَاعَفُ بِسَبْعِينَ ضِعْفٍ » .

وروى البيهقى والأصبهانى باسناد لا بأس به عن أنس بن مالك قال : كان يقال فى أيام عشر ذى الحجة كل يوم ألف يوم ، ويوم عرفة عشرة آلاف يوم ، يعنى فى الفضل ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نستعد لو قوف عرفة بتلطيف الكنائف وإزالة الحجب المانعة من قبول الدعاء من الغذاء الحرام ، والثياب الحرام ، ووجود دغل أو حقد أو حسد فى القلب لأحد من المسلمين ، فان تلك مواضع ذل وانكسار ، وبكاء وعويل ، وأكل الحرام ولبسه يقسى قلب العبد ، ومن أعظم دواء لحصول رقة القلب الجوع الشرعى يوم التروية وليلة عرفة ، وهذا أمر قل من يتنبه له من الحجاج فياً كل أحدهم اللحم والطعام حتى يشبع ويطلب رقة قلبه يوم عرفة فلا يقدر ، ويريد يسكى على ذنوبه فلا يقدر ، وقد ورد القلب القاسى بعيد عن الله ثم بتقدير قربه من الله فهو لا يرجو إجابة دعائه عقوبة له فلا يستجاب له ، لأن الله تعالى عند ظن عبده به ومن ظن بالله أنه لا يجيب دعاءه لم يجبه .

ثم مما لا يخفى عليك يا أخى ، تحريم رؤيتك نفسك على أحد من الخلق فى عرفات

لأنه موقفت لا يناسبه إلا الذل والمسكنة ، وقد قبل رجل فيه رجل سيدي أفضل الدين رحمه الله ، فكاد أن يذوب من الحياء من الله تعالى وصار يضرب بيلده على وجهه ، فاعلم يا أخى أنك متى رأيت نفسك على أحد هناك فرجما رمت المغفرة .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إياكم وازدراء أحد ممن وقفت بعرفة من جمال أو عكام أو غيرها ممن لا يؤبه له ، فإن الجماعة الذين يغفر الله لأهل الموقف كلهم بدعائهم من شأنهم الخفاء والتستر بحجب العوائد حتى لا يكادوا يتميزون عن عامة الناس بعمل ، فمن ازدري مثل هؤلاء مقتته الله ورجح بلا مغفرة عقوبة له قال وهم عدد قليلون ، تارة يكونون ستة وتارة ثلاثة وتارة واحدا ، فيغفر الله تعالى لأهل الموقف كلهم بشفاعه هؤلاء .

فيتبغى للعاقل مراعاة هذا الأدب في كل مجمع أشد من غيره ، فإن المجمع لا يخلو غالبا عن ولي مستور يحضر فيه مع الناس يغفر لهم بسببه ، حتى قال بعض العارفين : لا يجتمع ثلاثة قط إلا وفيهم ولي لله تعالى أو ولية .

وقد أخبرني سيدي على الخواص أن شخصا من العلماء استأذنه في الحج سنة من السنين فقال الشيخ له لا تسافر تمت فقال : كيف أمقت بالحج ؟ ثم خالف وسافر إلى مكة فحضر وقت الخطبة فنهض قائما وقال : يا أهل مكة جمعتمكم باطلة ، فان شرطها أن يسمعها أربعون رجلا من أهل الجمعة ، وما هنا إلا مسافرون ، وكانت الناس متفرقين في ظل الكعبة من شدة الحر ، فوقع لذلك ضجة عظيمة وأعادوا الخطبة ، وكان من جملة من كان حاضرا هناك القطب والأوتاد والأبدال ومن شاء الله تعالى من أوليائه ، فرجع ممقوفا . قال الشيخ على الخواص : فأول مارأيته حين دخل مصر وجدته ممقوتا كالجلد الذي لا روح فيه ، ثم قال لي : تقول لي إن حججت تمت ولو لا حضوري هناك في هذه السنة بطلت جمعة أهل مكة في الموسم ، قال الشيخ : فعرفت تمكن المقت منه من القطب والأولياء الحاضرين هناك اه :

وقد رأيت أنا صاحب هذه الواقعة ، وقد نزع الله تعالى منه الاعتقاد في سائر العلماء والصلحاء فلا تكاد تذكر له أحدا إلا جرحه ، وكان مع ذلك يقرأ كل يوم ختمة .

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى مرارا يقول : أنا خائف على هذا الرجل من الموت على غير حالة مرضية فقلت : ولو أن هذا المنكر كان عنده أدب لعلم أن

لله تعالى رجالا يسمعون كلام من بينهم وبينه مسيرة ثلاثين ألف سنة وراثة إبراهيمية .
وقد وقع لي في ابتداء أمرى أنى كنت أسمع كلام من فى أقطار الأرض من الهند
والصين وغيرها ، حتى انى كنت أسمع كلام السمك فى البحار المحيطة ، ثم إن الله تعالى
حجب ذلك عنى وأبى معى العلم كى لا أنكر مثل ذلك على أحد .
وكان سيدى أحمد بن الرفاعى يتكلم على السكرسى بأمر عبيدة فيسمعه من حولها
من القرى :

(وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

وحكى الشيخ يوسف الحرثى رحمه الله قال : لما حججت سهرت ليلة فى الحرم خلفت
المقام وكانت نيلة مقمرة فلما راق الليل دخل جاعة يخفق النور عليهم فطافوا وصلوا خلف
المقام ، وجلسوا يسيرا ، فجاءهم شخص وقال : يعيش رأسكم فى الشيخ على ، فقالوا رحمه الله ،
فقال : من يكون موضعه ؟ فقالوا : حسن الخلبوص بناحية زفتى بالغبية ، فقال : أنا ديه فقالوا نعم ،
فقال يا حسن ، فإذا هو واقف على رؤوسهم عليه ثوب معصفر ، ووجهه مدهون بالدقيق
وعلى كتفه سوط ، فقالوا له كن موضع الشيخ على ، فقال على الرأس والعين وذهب ،
فلما رجعت إلى بلادى فقصدته بالزيارة فى خان بنات الخطاء فوجدت واحدة راكية
على عنقه ويدها ورجلاها مخضوبتان بالحناء وهى تصفعه فى عنقه ، وهو يقول لها
برفق ، فإن عيناي موجعتان ، فأول ما أقبلت عليه قال لى مبادرا يافلان زغلت عينك ،
وغررك القمر ماهو أنا فعرفته أنه هو ، وأمرنى بعدم إشاعة ذلك .

وحكى سيدى محمد بن عنان رحمه الله قال : حججت سنة من السنين فلما وقفت بعرفة
قلت فى نفسى ، ياترى من هو صاحب الحديث اليوم فى هذا الموقف ، فإذا بالقائل
يقول لى : هو أبو على معداوى دجوة ، فلما رجعت إلى مصر قصدته بالزيارة فإذا هو
رجل زفر اللسان ، يشتم الناس وفى رجلية مركوب مكعوب ، وعمامته مخططة بأزرق
كحمامة النصارى ، فأول ما رآنى ، قال لى اكنم مامعك ، ثم عزم على وأدخلنى داره .
وضيفنى ، فقلت له بم نلت هذه المنزلة ؟ فقال لا أعلم ولكنى رأيت صبيا فى جامع
فى قهاطه فأخذته وأعطيته لأمرأة فى بلد أخرى ترضعه وجعلت لها أجرة وأشعت أنه ولدى
ليس فى ثدى أمه لبن ، فلم أزل أتردد إليه حتى كبر وفظم ، فإن كان الله تعالى أعطانى
شيئا فهو لسترى على أم ذلك المولود ، قال : ثم أخذ على العهد بالتستر له ، وقال إياك
ثم إياك أن تذكرنى بذلك حتى أموت اه :

ورأيت سيدى عليا انخواص يرسل الناس الذين لهم حوائج عند الله تعالى ويقول لهم :
روحوا الى جامع الملك الظاهر بمصر يوم الأربعاء فى صلاة العصر فاسقوا الشجرة النبق
التي فيه ، وقولوا : يا أولياء الله اقصوا حاجتى نقض حاجتكم ، فكانوا يذهبون ويسقونها
فيقضى الله حوائجهم ، فبلغ ذلك العالم الذى قدمنا أنه مقت فأنكر على الشيخ وقال إيش
خلى هذا لعباد الأوثان ؟ فأعلمت الشيخ بذلك ، فقال : إنما أرسل الناس فى حيلة سقى
الشجرة سترة للأولياء الذين يجتمعون تحتها يوم الأربعاء ليقتضوا حاجة كل من راح هناك
حين يسمعون به يذكر ذلك للشجرة ، وكان ذلك كاللغز بينه وبين الأولياء الذين يصلون
العصر تحتها فى كل يوم الأربعاء ، وإلا فهو يعلم أن الله تعالى لم يجعل للشجرة قضاء حاجة
أحد من الناس ، ولولا أن الأولياء الذين يحضرون يحبون الخفاء ويتشوشون من إظهارهم
للناس لسكان الشيخ يرسل الناس لأليهم دون الشجرة ، فلذلك راعى الشيخ خواطرهم .
وسمعتة مرة يقول : لله تعالى رجال إذا مروا على جماعة من العصاة فسلموا عليهم
أمنهم الله من عذابه ، ولله رجال أقامهم فى قضاء حوائج الناس فيقضون حوائجهم
فى السر ثم يرسلونهم إلى من اشتهر بالصلاح فى بلدهم لتقضى حاجتهم ظاهرا لا باطنا ،
ويسترون بذلك نفوسهم ويكبرون بغيرهم ممن لا سر له ولا برهان ، ثم يسألون الله أن
يحميه من الدعوى ، ولله رجال يسقون الناس الماء فى الأسواق وعلى الأسيلة التى على
الطرق ، فلا يشرب أحد منهم إلا ويملئونه مددا ، فيقوم ذلك مقام الأخذ للطريق ،
ولله رجال نصبهم لتحمل البلايا والحن عن أهل بلدهم أو لإقليمهم ، ومع ذلك فهم
يبغضونهم وينكرون عليهم ليلا ونهارا فلا يصددهم الإنكار عن تحملهم البلايا عنهم ،
فبيبت الولي منهم سهرانا بالضارب تنام الإنس والجن وهو لا ينام والناس يضحكون
ويلعبون ويتلذذون بالنساء على الفرش لا يحسون بشيء مما تحملوه عنهم مما كان نازلا عليهم
ولله رجال يسألون الله تعالى أن يكبر جنهم فى النار لأجل تحقيق الوعد من الله بملئها فيحملون
عن آلاف من العصاة حرقهم بالنار ، وهذه فتوة ما سمعنا بملئها إلا عن الشبلى رضى الله
تعالى عنه ، فإنه كان يقول : أتمنى على الله تعالى أن يكبر جنى فى الآخرة حتى يملأها
طباق النار كلها ولا يدخل أحد من هذه الأمة النار بحبة فى نبها محمد صلى الله عليه
وسلم اه .

وسمعتة مرة أخرى يقول : إياكم أن تزردوا أحدا من أصحاب الحرف للدينية ،

كالقراد والخبيط والشوذب ، فإن الله تعالى ربما أعطاهم القوة على سلب إيمان العلماء والصالحين حال رؤية العالم أو الصالح نفسه عليهم ، فإن أكبر الأولياء يقدر على سلبه أصغر الناس إذا رأى نفسه على أحد من الخلق .

كما حكى عن سيدي محمد بن هرون الذي كان أخبر بسيدي إبراهيم الدسوقي وهو في ظهر أبيه ، إنه كان إذا خرج من صلاة الجمعة يشيعه الناس إلى داره ، لا يكاد أحد منهم يقدر على التخلف عنه اغتناما لرؤيته ولحظه ، فمر يوما على صبي يتحط حائط يقبل ثوبه من القمل وهو ماد رجله لم يضمهما ، فقال سيدي محمد في سره هذا الصبي قليل الأدب ، يمر عليه مثلي ولا يضم رجله ، فسلب لوقته ، وتفرقت عنه الناس ، فواصل داره ومعه أحد ، فتنبه لنفسه ورجع للصبي يستغفر في حقه ، فلم يجده فسأل عنه أين ذهب ؟ فقال له : هذا صبي القراد ولعله ذهب إلى الإسكندرية ، فسافر الشيخ إليه فلم يجده فقالوا له : لعله سافر إلى المحلة الكبرى ، فرجع إلى المحلة فلم يجده ، فقالوا لعله سافر إلى مصر فرجع الشيخ إلى مصر فوجدته في الرملة فلما وقف على الحلقة ، قال القراد الكبير للصبي ، أقم وجهك هذا زبونك جاء فتلاهي عن الشيخ حتى فرغ من اللعب ثم دعاه ، وقال : مثلك في العلم والصلاح والشهرة يلغى له أن يخطر في باله أنه خير من أحد من خلق الله عز وجل ، أما تعلم أن ذلك ذنب إبليس الذي طرد لأجله عن حضرة الله عز وجل ، فقال : التوبة فقال وكلنا نتوب عن مثل ذلك ، ثم قال المعلم للصبي يا قريمنار أين وضعت علمه ومعارفه حين سلبته ، فقال في قلب السحلية لقي كنت أفلى قميصي عند شقتها في الحائط الفلاني ، فقال له : رد عليه حاله فقال قريمنار ، قل لها بأمانة ما وضع لك قريمنار اللباب على باب شقك ردى إلى حالي ؛ فذهب سيدي محمد بن هرون إلى بلده ونظر في شقتها وذكر لها الأمانة ؛ فخرجت ونفخت في وجهه فرد عليه حاله وإذا بالخلق انقلبت إليه يقبلون أقدامه حتى أذى بعضهم بعضا من الزحام ؛ ثم أخذ الشيخ هدية لقريمنار وسافر إليه فقال له كيف ترى نفسك بعلم تستقل بحمله سحلية ؟ فن ذلك الوقت ما ازدرى الشيخ أحدا من خلق الله حتى مات .

فانظر يا أخى كيف أخذ سيدي محمد بن هرون مع جلالة قدره حتى سلبه صبي قراد .
وحكى الشيخ الإمام العالم العلامة السيد الشريف بزواية الخطاب بمصر ، قال : كان ابن البساطي شيخ سوق الوراقين محونا بابنة عمه ، فرأت يوما في فخذه بدو البرص

خفرت منه إلى بيت أهلها فحصل له غم شديد ، فخرج إلى السوق فبينما هو مغموم إذ وقف عليه شخص مشهور بالخلاعة فيقف على الواحد يطلب منه جديدا ، فإذا أعطاه له لا يفارقه حتى يقول له سكتي عشر سكات ، فأعطاه ابن البساطي الجديد ، فقال أعطني السك فقال ياسيدي الشيخ أعتقني من ذلك فاني مغموم ، فما زال به حتى أخرج عينه فيه وسكه عشر سكات ملاح ، فقال له حاجتك مقضية من جهة ابنة عمك ، ولكن هات لنا في المقبرة الفلانية تحت الجبل المقطم أربعين رغيفا ، في كل رغيف نصف رطل جبن مقلى ، وهات معلقا إبريقا كبيرا ملآن ماء ، ففعل ذلك وحمله عند الفجر ، ثم نظر من شق الباب فوجد جماعة مطرقين عليهم خر وهيبة ينتظرون صلاة الصبح ، وإذا بالرجل الذى سكه أمامهم فقال للحاضرين : من يقضى حاجة هذا الذى على الباب ويدخل مامعه؟ فقال شخص أنا ، ففتح الباب وكشف عن عورة ابن البساطي ، ومسح بريقه على موضع البرص فذهب لوقته ثم قال له هاهى خارجة من بيت عمك ، جاءت إلى بيتك ، فرجع فوجدها في البيت فقال لها من جاء بك ؟ فقالت حصل لي غم ما كنت إلا مت ، فلولا جئت لك طلعت وروحي ، فدكتم ذلك عنها فبعد أيام ؛ وإذا بالشيخ داخل سوق الوراقين وهو يقول : ما يضر الإنسان غير لسانه فكل من رأى شيئا وقال لا رأيت ولا نظرت سلم ، وكل من قال رأيت رد إليه كل شيء إلى موضعه يعرف بتلك الواقعة ، فلما وصل إليه قال أعطني جديدا ، فقدم إليه الحق الذى فيه الغلة ، وقال ياسيدي : خذ ما أختار ، فقال ما آخذ إلا الجديد ، فأعطاه له : فقال كمل لي عادتى بالسك فذاب ابن البساطي من الحياء ولا يقدر يفشى سره ، فقال له تشفعت عندك بسيد المرسلين تعتقني من السك ، فقال له : عتقتك بشرط السكمان ، فلم يتكلم ابن البساطي بذلك حتى علم بموته .

وحكى لي شيخ الإسلام المحدث الشيخ أمين الدين إمام جامع العمري بمصر عن شيخ الإسلام صالح البلقيني أن والده الشيخ سراج الدين مر يوم ما بباب اللوق فوجد هناك زحمة . فقال ما هذه الزحمة ؟ فقالوا له : شخص من أولياء الله يبيع الحشيش ، فقال لو خرج الدجال حينئذ في مصر لاعتقدوه من شدة جهاهم . كيف يكون شخص حشاش من أولياء الله؟ إنما هو من الجرافيش ثم ولى فسلب الشيخ جميع مامعه حتى الفاتحة ، فتنسكرت عليه أحواله وصارت الفتاوى تأتي إليه فلا يعرف شيئا ، ونسى ما قاله في حق الحشاش ، فكث كذالك في مدرسته بحارة بهاء الدين ثلاثة أيام ، فدخل عليه فقير فشكى إليه حاله

فقال هذا من الحشاش الذى أنكرت عليه ، فإن الفقراء أجلسوه هناك يتوب الناس عن أكل الحشيش فلا يأخذها أحد من يده ويعود إلى أكلها أبدا حتى يموت ، فأرسل استغفر له يرد عليك حالك ، فأرسل له فبمجرد ما أقبل الرسول أنشده الشيخ :

نَحْنُ الْخُرَافِيشُ لَا نَسْكُنُ عَلَايَ الدُّورِ وَلَا نُرَآئِي وَلَا نَشْهَدُ شَهَادَةَ زُورٍ
نَقْنَعُ بِلُقْمَةٍ وَخِرْقَةٍ فِي مَسْجِدٍ مَهْجُورٍ مَنْ كَانَ ذَا الْحَالِ حَالَهُ ذَنْبُهُ مَغْفُورٍ

فلو كنا عصاة نبيع الحشيش ما أقدرنا الله على سلب شيخ الإسلام ، ثم قال له : سلم على شيخ الإسلام ، وقل له اعمل أربعة خراف معايف شواء وأربعائة رغيف وتعال اجلس عندي ، وكل من يمته قطعة حشيش ن له رطلا وأعطه رغيفا ، فشق ذلك على شيخ الإسلام ، فإزال به أصحابه حتى فعل ذلك ، وصار ين لكل واحد الرطل ويعطيه الرغيف والشيخ يتبسم ، ويقول : نحن نخليهم في الباطن وأنت تخليهم في الظاهر ، إلى أن فرغ الخرفان ثم قال له : اذهب إلى الديك الذى فوق سطح مدرستك فاذبحه وكل قلبه يرد لك علمك ، فبالله عليك كيف تتكبر على المسلمين بعلم حله للديك في قلبه ، فمن ذلك اليوم ما أنكر الشيخ البلقيني على أحد من أرباب الأحوال .

هذه حكاية الشيخ أمين الدين عن والده الشيخ سراج الدين وكان قبل ذلك ينكر على سيدى على بن وفا أشد الإنكار ، حتى أنه تنكروا دخل من جملة المغاربة الذين يحضرون ميعة سيدى على فرأى الشيخ سراج الدين فى رجليه حبلا معقودا ، وسيدى على يحل عقده ، والشيخ سراج الدين يعقدها وهو بين النائم واليقظان ، فأنشده سيدى على قصيدته التى أوحا :

يَا أَيُّهَا الْمَرْبُوطُ إِنَّا نُرِيدُ حَلَّكَ وَأَنْتَ تُرِيدُ تَرْبِطُ رِجْلِي إِلَى رِجْلِكَ

إلى آخرها ، فلما وقعت له هذه الواقعة مع الحشاش تاب إلى الله عن الإنكار ، وأوصى أن سيدى عايبا يصب عليه الماء إذا مات ففعل له ذلك سيدى على بن وفا وقال والله رجوع أمرك إلى سلامة :

وقد وقع للشيخ أبى بكر الدقوسى شيخ سيدى عثمان الخطاب وقائع غريبة مع هذا الحشاش وكان يتردد إليه كثيرا ويرسل له أصحاب الخوايج فيقضئها لهم على أتم حال ، وكان يقول ما أخذها أحد من يده وعاد إلى بلعها .

وحكى الشيخ محمد الطنيجي عن إمام جامع سمناود أن شخصا كان ينام في المحراب بشباب دنسة ، فكان كلما أراد أن يفتح في المحراب يجده نائما فيه فسماه عجل المحراب ، فبعث الإمام يوما فعمز به برجله في جنبه ، فقام وعينه كالدم الأحمر فسك الإمام ودفعه في المحراب فوجد نفسه في أرض قفراء وعرة فتعرجت رجاله من المشي ، فقطع عمامته ولف منها على رجله ، فلما تعب تراءت له شجرة فقصدتها فإذا عندها عين ماء ، وإذا بأثر أقدام توضأت وزهبت فتبع الآثار فوجد جماعة كثيرة في عطفة جبل ، وإذا بالرجل الذي كان ينام في المحراب هو شيخ الجماعة وعليه ثياب نظيفة ، فالتفت إلى أصحابه وقال هل رأي أحد منكم يوما وأنا عجل بقر فقالوا لا ، فقال قولوا لهذا ، فقال الإمام أستغفر الله وتاب فأشار الشيخ إلى واحد من الجماعة فدفعه إلى جامع سمناود فقام ودفعه فوجد نفسه خارجا من حائط المحراب والناس ينتظرونه في صلاة العصر فأخبرهم بالقصة ، وأن تلك الأرض القفراء سفر سنة كاملة عن مصر .

هذه حكاية الشيخ شمس الدين الطنيجي رواية عن صاحب الواقعة .

وحكى الشيخ الصالح أحمد بن الشيخ الشربيني أنه كان مجاورا بمكة واشتاق إلى والدته بشربين ، وليس معه دراهم يكرى بها ولا ركب يسافر إلى مصر ، فبينما هو كذلك إذ وجد رجلا مبتلى بالمسعى ينكر عليه أهل مكة أشد الإنكار ، ففاجأه بالكلام وقال تريد تروح إلى مصر فقال نعم ، فدفعه وإذا به على باب داره بشربين هذه حكاية لي ، وأخبرني أنه كان صاحب الشفاعة لأهل الموقف في سنة ثلاثة وعشرين وتسعمائة .

وحكى الشيخ نور الدين الشونى أن شخصا في قنطرة الموسكى كان مكاريا يحمل النساء من بنات الخطا وكان الناس يسوونه ويصفونه بالتعريض ، وكان من أولياء الله تعالى لا يركب امرأة قط من بنات الخطا وتعود إلى الزنا أبدا ، فقال للشيخ نور الدين له : بم وصلت إلى هذه المنزلة فقال باحتمال الأذى .

قال : وأخبرني أن شخصا من ممالك السلطان الغورى ركب حماره البارحة وساقه إلى ناحية مصر العتيق ، ثم عدى إلى الروضة ثم إلى الجزيرة حتى وصل إلى الأهرام والشيخ يجرى وراءه مع عجزه ، فطالب الشيخ منه أجرته فصر به بالدبوس حتى دغدغ أكتافه وكان قادرا أن يسأل الله تعالى أن يحسف به الأرض فيخسفها به .

قال الشيخ نور الدين : وأخبرني شخص عن هذا المكارى أن شخصا طلب منه أن

يحملة إلى زاوية الخلفاء التي بنى السورين فحملة في ساعة إلى الحرام المدني فقال أنزل
فهذه زاوية الخلفاء فرار ورجع بجواب تمر إلى بيته زاوية الخلفاء فأعطاه أجرته ديناراً
فردده وأخذ عثمانياً اهـ

وكان سيدي علي الخواص رضى الله عنه يرسل أصحاب الحوائج إلى شخص يبيع
الفجل على باب جامع الأزهر فيقضيها لهم في الحال .

وجاءه شخص وفي حلقه علقه صارت مثل السمكة فقال له اذهب إلى الرجل الذي
يبيع الفجل على باب جامع الأزهر وأعطه جديداً ، وخذ منه حزمة فجل فساكنها ففعل
الرجل فأكل منه ورقة واحدة فعطس فطلعت العلقه من حلقه .

وأخبرنا الشيخ أن هذا الرجل كان لا يأكل أحد من فجله ويبذره مرض من جذام
أو برص أو غيرهما إلا شفى .

وسمعه يقول : إن الله تعالى أعطى أرباب الأحوال في هذه الدار التقديم والتأخير
والولاية والعزل والقهر والتحكيم على الله تعالى الذي هو الإدلال عليه ونفوذ الأمر في كل
ما أرادوه من الأمور ، فإذا كنم والإنكار على أحد إلا بعد التوجه إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليحفظكم من ذلك الرجل وإلا فرمما مقتكم فهل كنتم .

وسمعت سيدي عبد القادر الدشوطي يقول : أرباب الأحوال مع الله كحالهم قبل
خلق الخلق وإنزال الشرائع اهـ .

قلت : ورأيت عند سيدي علي الخواص إبريقاً كبيراً يضعه في حانوته بجانبه ليمس فيه
غير الإبريق ، وكان يزن أجرة الحانوت كل شهر نصفين لأجل هذا الإبريق وكان كل
من جاءه مكروباً في أمر عظيم كخوف القتل فما دونه يقول له افتح هذا الباب واشرب
من الإبريق الذي هناك بنية قضاء حاجتك ، فكان الناس يفعلون ذلك فتقضى حوائجهم ،
فقلت له في ذلك ، فقال إن الأربعين يشربون منه كل ليلة ، وكان الإبريق يخبرهم بحاجة
كل من شرب منه عقب شربه فيقتضون حاجته .

فتأمل في هذه الحكايات فإنها غريبة ، وإنما ذكرتها لك لتحفظ الأدب ولا تقول
أبداً إنك خير من أحد من خلق الله تعالى ، لعلمى بأن مثل ذلك هو ذنب إبليس الذي
طرده الله ولعنه بسببه .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو يعلى والبخاري وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الْأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ : انظُرُوا إِلَيَّ عِبَادِي جَاءُونِي شُعْتًا غُبْرًا ضَاحِحِينَ مِنْ كُلِّ فَنَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي . فَلَمْ يَرَأْ كَثْرَةَ عِتْقًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ عَرَفَةَ . »

قوله ضاححين : بالضاد المعجمة والحاء المهملة أى بارزين للشمس غير مستترين منها يقال لكل من برز للشمس من غير شيء يظله ويكنه ضاحح :

وروى البيهقي مرفوعا :

« إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ : أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : إِنْ فِيهِمْ فَلَانًا مُرَهَقًا ، وَفَلَانًا كَذَّابًا ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . »

والمرهق : هو الذى يغشى المحارم ويفعل المفسد .

وروى ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي مرفوعا :

« مَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ وَسَمِعَهُ وَبَصَرَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ غَفِرَ لَهُ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى عَرَفَةَ . »

قلت : فهذا سبب قولى : أول العهد أن نستعد للوقوف بالجوخ ، فإن العبد إذا جاع ثلاثة شبعت جوارحه وانكفت عن المحارم ، بخلاف ما إذا شبع . وفى هذا الحديث تأييد لما قدمناه من أن كل طاعة إذا سلمت من الآفات حفظ صاحبها من المعاصى إلى مثلها ، وتقدم بسطه فى عهد صوم رمضان فراجعه ، والله تعالى أعلم .

وروى البيهقي وقال ليس فى إسناده من نسب إلى وضع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ وَقَفَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِالْمَوْقِفِ فَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ بِوَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مائة مرة ، ثُمَّ يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مائة مرة ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا

صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ مِائَةٌ مَرَّةً ، إِلا قَالَ اللهُ تَعَالَى يَا مَلَائِكَتِي مَا جَزَاهُ عَبْدِي هَذَا ، سَبَّحْتَنِي وَهَلَّلْتَنِي وَكَبَّرْتَنِي وَعَظَّمْتَنِي وَعَرَّفْتَنِي وَأَنْتَنِي عَلَىٰ وَصَلْتِي عَلَىٰ نَبِيِّ؟ اشهدوا يَا مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَشَفَعْتُهُ فِي نَفْسِهِ وَلَوْ سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا شَفَعْتُهُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ « والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نأتى بالمناسك كلها كما وردت ، فنقدم ما قدم صلى الله عليه وسلم ونؤخر ما أخر ؛ ولو خيرنا صلى الله عليه وسلم اخترنا الكيفية التي فعلها هو في حجة الوداع ، وهي معروفة عندنا في كتب الأدلة ، سواء عقلنا الحكمة في التقديم أم لم نعقلها . فلا يقال لأى شيء إذا دخل الحجاج مكة طافوا بالبيت ثم يخرجون إلى عرفات التي هي طرف الحرم ثم يرجعون ثانيا ، لأننا نقول إنما نفعل ذلك اقتداءً بأبينا آدم عليه السلام لما حج من الهند ، فكان اقتداءً به في الخروج من الحرم إلى خارجه ثم دخولنا ثانياً أولاً ، مع أن العقل ، يقتضى بأن من وصل إلى حضرة الملك من أى طريق كان ، لا معنى لخروجه ، ثم دخوله ثانياً ، لأن الكعبة هي المقصود الأعظم ، مع أننا لم نعقل ذلك إلا بأمر الشارع لابعقولنا ، فحكمتنا حكم ما إذا كان في حضرة الملك جماعة ثم أرسل لهم الملك أن اخرجوا إلى حجة كذا وكذا ، فإن من الأدب ذهابهم إلى تلك الحاجة ، فلوتخالفوا في الحضرة عصوا . وأيضاً فإن من يأتى حضرات الملوك من غير طرقها المعتادة لا يحصل له من العلم ما يحصل لمن سلك الطريق التي دخل منها الأنبياء والأولياء .

ولكن لا يخفى أن من رحمة الله تعالى وشفقته على عباده أنه أذن لهم أن يدخلوا مكة قبل الوقوف لما علم عندهم من شدة الشوق ليحصل لهم التبريد لبعض أشواقهم ، لامن كلها ، إذا لحق تعالى لا يبدى لهم ما يطيقونه من عظمتهم ويخلع لهم الخلع إلا أن وقفوا بعرفة أولاً ثم بالزدلفة ثانياً ثم بمنى ثالثاً ؛ فلا يزال العبد يقرب من مكة وهو يزداد تعظيماً لله تعالى حتى يدخل مكة والحرم ، فهناك يعرف كل أحد ربه بقدر مقامه ، فربما يكون أعلى مقام لنا في التعظيم يستغفر منه قوم آخرون .

ومن حجب عما قلنا للشيخ محيي الدين بن العربي رضى الله تعالى عنه وسع اطلاعه ، فقال الذى أقول به إنه لا يجب على المعتمر الخروج لأدنى الحل ليحرم بالعمرة ، لأنه قد وصل إلى الحضرة التي هي محل القرب ولا معنى للخروج .

قال : وأما قصة عائشة رضي الله عنها وإنما أمرت بالخروج لأنها كانت آفاقية ثم نفست فأمرت بالقضاء على صورة ما فاتها هـ ، والجمهور على خلافه .

فدر يا أخى مع السنة ولا تدر مع كشفك أو عقلك ، فإن الله تعالى إنما جعل الأجر والثواب والدرجات لمن كانت أعماله تبعاً لما شرعه تعالى ، وكأن لسان حال الشارع يقول : من لم يأت من الأمة إلى حضرتي من تلك الطريق البعيدة طردته ولم يمكنه من شهودي .

وتأمل يا أخى شأن الحق تعالى تجده أقرب إلينا من جبل الوريد ، ومع ذلك أسدل الحجاب بيننا وبينه ، حتى أننا رأيناه من حيث التنزيه أبعد من كل شيء ، فلما صرنا كذلك أمرنا بالسلوك ثانياً ، كالذى كان في مكان بعيد ثم يرجع إلى محل القرب الذى كان مقبلاً فيه أولاً ، فلا يزال سالكين والحجب ترفع حتى نعود إلى محل بروزنا من حضرة القرب ، فلو طلبنا أن ندخل حضرة القرب من غير سلوك لم يصح لنا ذلك .

وإيضاح ذلك أن ننظر يا أخى في حضرة الحق تعالى قبل أن يخلق المخلوقات كلها ، فتجد ليس هناك إلا الله تعالى ثم أنت ، ولا تقول بفناء الشاهد ، لأننا إذا نفينا أنفسنا فنحن هناك يشهد الحضرة أو يتعاقها فافهم ، فلا يزال الحق تعالى كلما خلق واحداً أخذ الواحد مكاناً في شهودك وبعد الحق في وهمك ، إذ لا حلول ولا اتحاد فلا تزال دائرة الخلق تتسع في الشهود وتنسبط بتكثير أفراد الوجود شيء بعد شيء ودائرة الحق تعالى تضيق في شهودك حتى لا تكاد ترى الحق تعالى أبداً ، لأنك إنما تشاهد خلقاً ، حتى أن بعضهم لما اتسعت عليه الدائرة عطل فخسر الدارين ، فإنه مازال يشهد دائرة الخلق تتسع وكل شيء وقف عقلمه عليه من جبل أو بحر أو فضاء ، يقول له نور الإيمان فما وراء ذلك ، فإذا قال سماء أو بحراً أو جبلاً أو فضاء قال له : فما وراء ذلك ؟ فلما تاهت عقول المنزهين لله تعالى هذا التوهان أو جب الله تعالى عليهم السلوك بأعمال مخصوصة أرسل الله بها رسله إليهم ، وقال إن طلبتم القرب من حضرتي من غير باب ما شرعته لكم لا تردادون من حضرتي إلا بعداً ، فقالوا سمعاً وطاعة ، فلا زالوا يعملون بالشرعية ، ودائرة الخلق تضيق بنقص أفرادها التي تكثر بها الوجود واحد بعد واحد ، ودائرة الحق تتسع حتى يرجعوا إلى الحال الأولى فلا يرون إلا الله . فلا يقال فلأى شيء ما أوقف الله تعالى عباده في الحضرة التي شردوا عنها أولاً وأغناهم عن هذا التعجب . لأننا نقول ماسبق العلم أن يكون الرقي في الدرجات إلا

على هذا الحكم ، ولا يقال في سبق العلم لم ؟ بل من الأدب أن العبد يتطلب الحكمة في ذلك من الله تعالى ، فإذا أطلعه على الحكمة رأى أن ما فعله الحق بعباده أكمل في وجوه المعارف .

وتأمل حكمة الإسراء به صلى الله عليه وسلم إلى الأفلاك العلى تعثر على ما أو مانا إليه .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وقد روى البيهقي منقطعاً عن علي بن أبي طالب ، وقال الحافظ المنذرى : الأشبه عندي أنه من قول ذى النون المصرى رضى الله عنه عن أبي سليمان الداراني قال :

سئل علي بن أبي طالب لم كان الوقوف بالجبل ولم يكن بالحرم ؟ فقال لأن الكعبة بيت الله والحرم باب الله ، فلما قصدوه وافدين أوقفهم بالباب يتضرعون ، قيل يا أمير المؤمنين ، فما معنى الوقوف بالمشعر الحرام ؟ فقال لما أذن لهم في الدخول إليه أوقفهم بالحجاب الثاني وهو المزدلفة ، فلما أن طال تضرعهم أذن لهم بتقريب قربانهم بمعنى ، فلما أن قضوا تقديمهم ، وقربوا قربانهم ، وتطهروا بها من الذنوب التي كانت عليهم أذن لهم بالزيارة إليه على الطهارة ، فقيل : يا أمير المؤمنين ، فمن أين جرم عليهم صيام أيام التشريق ؟ فقال : لأن القوم زوار الله تعالى وهم في ضيافته ، ولا ينبغي للضيف أن يصوم بغير إذن رب المنزل الذي أضافهم ، فقيل : يا أمير المؤمنين ، فما تعلق الرجل بأستار الكعبة ، لأى معنى هو ؟ فقال : هو مثل الرجل إذا كان بينه وبين صاحبه جناية فيتعلق بثوبه ويتنصل إليه ويتخذ له ليهب له جنايته . والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نبادر لرمى الجار إيماناً حتى ننكشف لنا حكمتها جهاراً ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له :

« يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا فِي رَمِيِّ الْجَارِ ، فَقَالَ : تَجِدُ ذَلِكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ » .

لما علم أن السائل لا يتعقل حكمتها ، وربما امتحن الحق تعالى عباده في أمرهم بما لا يتعقلون حكمتهم كرمى الجار وتقبيل الحجر الأسود وكإضافته إلى نفسه تعالى ما يحيله العقل

بدليله كالتزول إلى سماء الدنيا، وغير ذلك من آيات الصفات وأخبارها لينظر كيف يعملون؟ هل يؤمنون بما أضافه الحق تعالى إلى نفسه على السنة رسله وإن لم يتعلوه؟ أم يردون ذلك على الرسل أو يقبلونه، لكن بعد تحريفه بالتأويل عن مواضعه، فيفتوهم الإيمان الكامل كما يقع فيه غالب الناس فيخافون أن يكذبوا الرسل فتضرب أعناقهم، ويخافون أن يقبلوا آيات الصفات على ظاهرها فيقعون في التشبيه؛ فلذلك رأوا التأويل أحسن عندهم لأنه طريق وسطي بين طريقين، وإنما قلنا فاتهم كمال الإيمان دون فوات الإيمان كله، لأنهم لولا آمنوا به ما اشتغلوا بتأويله ولكانوا يرونه لغيرهم.

فاعمل يا أخي بأوامر الحق على الوجه المشروع سواء أعقلت معناها أم لم تعقل، وسيأتي في الأحاديث ما يشير إلى الحكمة.

وذكر الشيخ محيي الدين في باب الحج من الفتوحات مانصه :

إنما كان حصى الرمي سبعا لأن الشيطان يأتي للراعي هناك بسبع خواطر لا بد من ذلك فيرمي كل خاطر بحصاة، ومعنى التكبير عند كل حصاة الله أكبر من هذه النسبة التي أنانا بها الشيطان وأطال في ذلك ثم قال :

فإذا أتاك بخاطر الشبهة بالإمكان للذات ، فارمه بحصاة الافتقار إلى المرجح ، وهو أنه واجب الوجود لنفسه .

وإن أتاك بأنه جوهر فارمه بالحصاة الثانية ، وهو دليل الافتقار إلى التحير والوجود بالغير .

وإن أتاك بخاطر الجسمية فارمه بحصاة الافتقار إلى الأداة والتركيب والأعضاء .

وإن أتاك بالعرضية فارمه بحصاة الافتقار إلى المحل والحدوث بعد أن لم يكن .

وإن أتاك بالعلوية وهي دليل مساواة المعلول له في الوجود فارمه بالحصاة الخامسة وهي :

« كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ » .

وإن أتاك بالطبيعة فارمه بالحصاة السادسة وهي دليل نسبة الكثرة إليه ، وافتقار كل واحد من آحاد الطبيعة إلى الأمر الآخرفي الاجتماع به إلى إيجاد الأجسام الطبيعية ، فإن الطبيعة مجموع فاعلين ومفعولين حرارة وبرودة ؛ ورطوبة وبيوسة ، ولا يصح اجتماعها لذاتها ولا افتراقها لذاتها ولا وجودها إلا في عين الحار والبارد والرطب واليابس .

وإن أتاك بالعدم وقال لك فإذا لم يكن الحق هذا ولا هذا من جميع ما تقدم فأمم شيء ،

ظارمه بالحصاة السابعة وهى دليل آثاره فى الممكن ، ومعلوم أن العدم لا تأثير له ، وهو كلام نفيس .

فاعمل يا أخى برياضة نفسك على يد شيخ مرشد حتى تصير تحس هذه الخواطر الشيطانية وترى وتنظر وتسمع من أنك بها فترميه على الكشف واليقين ، وإلا فارمها على وجه الإيمان بها ، وكذلك تعرف من طريق الكشف ما يقبل من حصاك وما يرد فتأخذ فى إزالة تلك الصفة التى كانت سببا لعدم قبول رميك ، فترسلها وتوب منها ، فإن من لم يتقبل عمله كأنه ما عمل شيئا :

« فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلُّهُ » . (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى البزار والطبرانى وابن حبان فى صحيحه مرفوعا فى حديث طويل :

« وَإِذَا رَمَى الْجِمَارَ لَا يَدْرِى أَحَدٌ مَالَهُ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وفى رواية لابن حبان : « وَأَمَّا رَمِيكَ لِلْجِمَارِ فَلَا يَكُلُّ حَصَاةٍ رَمِيَهَا تَكْفِيرٌ

كَبِيرَةٌ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ » .

قلت : ويصح تنزيل ذلك على الخواطر السبعة التى ذكرها الشيخ محي الدين ، فإن

• كل خاطر منها كبيرة بلا شك ، والله تعالى أعلم :

وروى الطبرانى « أَنْ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا فِي رَمَى الْجِمَارِ ؟ فَقَالَ : تَجِدُ

ذَلِكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ » .

وروى ابن خزيمة فى صحيحه والحاكم واللفظ له وقال إنه على شرط الشيخين مرفوعا :

« لَمَّا أتَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ إِلَى الْمَنَاسِكِ عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ حَتَّى سَاحَ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّانِيَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ حَتَّى سَاحَ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّلَاثَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ حَتَّى سَاحَ فِي الْأَرْضِ » .

قال ابن عباس : الشيطان ترجمون ، وملة أيبكم لإبراهيم تدبعون .

وروى للطبرانى والحاكم وقال صحيح الاسناد عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قلنا

يارسول الله هذه الجمار التى ترمى كل سنة فنحسب أنها تنقص ، فقال :

« مَا تُقْبَلُ مِنْهَا رُفِعَ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَأَيْتُمُوهَا مِثْلَ الْجِبَالِ » .

قال الحافظ المنذرى : وفي إسناده يزيد بن سنان وهو مختلف في وثيقته .

قلت : ومجموع الحصى كل سنة ستائة ألف حصاة مضروبة في سبعين فيكون كل حصاة من حصى الرامين كل سنة مضروبة في سبعين بستائة ألف .

وإيضاح ذلك أن الله تعالى وعد البيت كل سنة أن يحججه ستائة ألف فصدق صلى الله عليه وسلم في قوله :

« وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَأَيْتُمُوهَا مِثْلَ الْجِبَالِ » .

يعنى على طول السنين ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نخلق رؤوسنا أو نقصر في النسك ويكون معظم قصدنا بذلك أن نحصل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لنا بقوله :

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ » .

قال شيخنا : والحكمة في إزالة الشعر بالخلق أو التقصير أنه شرع لكونه مأخوذا من الشعور ، فكان الخلق إشارة إلى زوال الشعور وحصول العلم إذا شعر حجاب على الرأس هـ .

وقد بسط الشيخ محي الدين بن العربي أسرار الحج كلها في الفتوحات المكية ، فراجعها ثم العجب فما رأينا أحدا أبان عنها مثله رضى الله عنه .

وروى الشيخان وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالْمُقَصِّرِينَ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالْمُقَصِّرِينَ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالْمُقَصِّرِينَ ؟ قَالَ : وَالْمُقَصِّرِينَ »

وروى مسلم عن أم الحصين أنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة .

وروى الإمام أحمد والطبراني بإسناد حسن عن مالك بن أبي ربيعة قال : سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ » قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ .

قال مالك بن أبي ربيعة وأنا يومئذ محلق الرأس ، فإيسرني بخلق رأسي حمر النعم ٧ أو خطرا عظيما .

قلت : والذي ظهر لي ، أنه صلى الله عليه وسلم ما دعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثا إلا لشهودهم أنهم وفوا بما كلفوا على التمام ، وذلك معدود من ذنوب الخواص ، فلذلك احتاجوا إلى تكرار الدعاء لهم بالمغفرة ، بخلاف المقصرين فإنهم معترفون بالتقصير ، فلذلك استغفر لهم مرة واحدة لما عساه ينفي غيرهم من دعوى الوفاء بما كلفوا به ، والله تعالى أعلم .

(أخذنا عاينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتضلع من شرب ماء زمزم مدة إقامتنا بمكة امتثالا لقول السائب رضى الله عنه : اشربوا من سقاية العباس فإنه من السنة ، وتأسيا بفعله صلى الله عليه وسلم وفعل الأنبياء قبله والأولياء والأقطاب إلى وقتنا .

وقد سألت الله تعالى لما حججت سنة سبع وأربعين وتسعمائة وشربت من ماء زمزم في سبع وخمسين حاجة لي ولإخواني ففضى الله جميع ما كان منها من حوائج الدنيا ، ورجو من كرم الله قضاء الحوائج الأخروية فإن قضاء حوائج الدنيا عنوان للأخرة :

ومن جعلتها تهبير دويلة كانت طلعت بجنبي فقدر البطيخه تحت طبقات الجراد ، وكان حكماء مصر كلهم أجمعوا على أن يشقوا جنبي ويخرجوها منه فشربت ماء زمزم للشفاء منها ، فأبى الله تعالى في باطني نارا ثلاثة أيام حتى طبختها وقتلتها فنزات في منزل خليص كمشيمة البهيمة سوداء كالزفت الأسود حتى لأت بركة وحصل لي عند نزولها من الطاق كما يحصل للمرأة فعوفيت منها بركة شربي من ماء زمزم ، وعلمت صحة الحديث الوارد في شربها والله هو الشافي ، فإن الماء بطبعه لا يفعل مثل هذه الأفاعيل كلها .

فاشرب يا أخي من ماء زمزم وقدمه على مياه المطر وغيرها فإن علوبته حلاوة في إيمانك وشفاء لأمرضك .

واحذر ياأخي أن تكثر من شراء الشاشات والأزر والحبر ونحو ذلك كما يفعله التجار ، فإن ميزان الحق منصوبة على كل فقير ورد على تلك الحضرة في عدم حذف العلائق ، ومن حمل الهدايا كما ذكرنا فلا بد أن ينقض رأس ماله أو يسلم الله تعالى عليه من يسرقها في الطريق عقوبة له فلا يرجع من الحج إلا وعليه الديون ، ثم يعسر الله عليه القضاء عقوبة كما جرب فاعلم ذلك ، والله يتولى هداك .

وروى الطبراني ورواته ثقات وابن حبان في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ ، فِيهِ طَعَامُ الطُّعْمِ وَشِفَاءُ الشُّقْمِ ، وَشَرُّ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ وَادِي بَرْهَوْتِ بِتَيْبِهِ يَحْضُرُ مَوْتٌ » الحديث .

قلت : ولا يرد على هذا الحديث الماء الذي ينبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك ليس هو من الماء الذي على وجه الأرض ، بل هو من المعجزات ، وقد أفنى البلقني وغيره بأنه أفضل من ماء زمزم ، والله أعلم .

وفي رواية للبخاري باسناد صحيح مرفوعا :

« مَاءُ زَمْزَمَ طَعَامٌ طَعِيمٌ وَشِفَاءٌ سُقْمٍ » .

ومعنى طعام طعم : أى يشبع من أكله .

وروى الطبراني موقوفا باسناد صحيح عن ابن عباس : قال كنا نسهبها شباعة يعنى زمزم وكنا نجد لها نعيم الحون على العيال .

وروى الدارقطني مرفوعا : « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ ، إِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفَى شَفَاكَ اللَّهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِشَبَمِكَ أَشْبَمَكَ اللَّهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِقَطْعِ ظَمْتِكَ قَطَعَهُ اللَّهُ ، وَهِيَ هَمْزَةٌ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسُقِيَا اللَّهُ إِيمَاعِيلَ » .

ورواه الحاكم وزاد فيه : « وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيدًا أَعَاذَكَ اللَّهُ ، قَالَ فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا شَرِبَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا وَاسِعًا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ » :

وروى البيهقي باسناد صحيح أن عبد الله بن المبارك كان إذا شرب من ماء زمزم استقبل الكعبة وقال : اللهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَا زَمَزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » .

وها أنا أشربه لعطش يوم القيامة ثم يشرب .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه المرفوع منه باسناد حسن ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكثر من الصلاة في مسجد مكة والمدينة لما ورد في ذلك من الفضل ، فإن الشارع صلى الله عليه وسلم إنما بين لنا فضل هذين المسجدين لنستغتم الصلاة فيهما مدة إقامتنا هناك ، لاسيما إن زادت الصلاة في الخشوع هناك ، كما هو الغالب فيجتمع للمصلي شرف البقعة وشرف الخضرة وربما يحصل لبعض المصلين الأجر الذي يخرج عن الحصر لسكونه جلوس الملك وجلساء الملوك لا تحصى مواهبهم في العادة .

وتقدم في عهود الصلاة قوله صلى الله عليه وسلم :

« الصَّلَاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٍ » .

لأن فيها عمل جميع البدن ، فيكون معظم عملنا الصلاة والطواف واعداد المناسك ومهمات الحوائج وهذا العهد يخل به كثير من التجار الذين يبيعون في الموسم القماش فلا يتهمأ أحدهم بطواف بل ولا بصلاة الجماعة ، فيصير في النهار غافلا وبالليل نائما أو يحسب ما باع به وما اشتراه حتى يرحل الحاج .

وقد رأيت ذلك وقع لقاضي المحمل وكان من العلماء لسكونه سافر بأحمال قماش ، فرأيته طائفا يوما واحدا ورأيته يصلي الصلاة منفردا فقاته خير كثير ، فمن أراد من التجار أن يتفرغ للعبادة فليوكل من يبيع له ذلك بشرط أن تكون نفسه غافلة عن الحسابات والربح والحسارة في الطواف وغيره ، فإن كانت أكبر همه هناك حرم الخير ، لتكون القلب ليس له اشتغال إلا بأمر واحد متى توجه إليه حجب عن غيره ، والحكم للأغاب من الأمرين :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى مسلم والنسائي وابن ماجه : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيآ سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » .

زاد في رواية الإمام أحمد وابن خزيمة :

« وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي هَذَا » .

يعني مسجد المدينة كما صرح به في رواية ابن حبان والبخاري ولفظ رواية البزار :

« صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيآ سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَآئُهُ يُزِيدُ عَلَيْهِ بِمِائَةِ » .

قال الحافظ المنذرى وإسنادها صحيح .

وفي رواية لأحمد وابن ماجه بإسنادين صحيحين :

« وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ » .

وروى البزار مرفوعا : « أَنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَسْجِدِي خَاتَمُ مَسَاجِدِ الْأَنْبِيَاءِ » .

والأحاديث في فضل الحرمين وبيت المقدس مشهورة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نشككي أحدا من أهل المدينة المشرفة ، ولا نخيفه ولو بحق لنا ، إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكون جميع أهل المدينة جيرانه ، وهذا العهد يخل به كثير من التجار وجماعة أمير الحاج ، فثقل هؤلاء سافروا ليربحوا ففخسروا لإخلاقهم بالتعظيم لمن الوجود كله في بركته صلى الله عليه وسلم ، ووالله إن غالب الناس اليوم لا تتعدى محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حنجرته وأقل تعظيمه صلى الله عليه وسلم أن يكون في الحرمة كأعظم ملوك الدنيا في إكرام جايسه ، ومن نزل عن ذلك فهو قليل الإيمان ، ووالله لو شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لغرت عليه من رؤية مثلى له ولم أر نفسي أهلا لرؤيته ، وكيف لثقلنا أن يرى وجهها رأى الله جهارا وجلس بين يديه .

وسمعت سيدي عليا الخواص يقول : من حقق النظر وجد جميع أهل المدينة من حر وعبد صغير وكبير كلهم جالسين في داره صلى الله عليه وسلم ، وكيف يخيف الإنسان من هو جالس في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشككيه من الأحكام ، هل رأيت

من اشتكى شربها ابتاع منه تمرا وصار يقول للشريف أنت رافضى كلب مالك دين ،
ولعمري هذا الكلام لا يقع ممن شم رائحة الهبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن
الشرفاء كلهم أولاده صلى الله عليه وسلم ، وإذا كرهوا أحدا من أصحاب والدهم أو سيوه
فلا ينبغي أن يحكم بينهم إلا جدهم صلى الله عليه وسلم في الآخرة ، وأما نحن فلإننا عبيد
للقريتين ، وكيف يقول عبد لسيده يا كلب ؟

فالزم الأدب يا أخى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاده وأصحابه وجيرانه ،
ولا تظهر الخصومة والعصبية لأولاده لأجل أصحابه ولا عكسه ، فإن مثل ذلك ليس إليك
والله يتولى هذاك :

وروى الشيبان مرفوعا : « لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْتَمَعَ كَمَا يَنْتَمِعُ الْمِلْحُ
فِي الْمَاءِ » .

وفي رواية لمسلم وغيره : « لَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا آذَاهُ اللَّهُ فِي النَّارِ
ذَوْبَ الرِّصَاصِ أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ » .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَقَدْ أَخَافَ
مَا بَيْنَ جَنَيْتِي » .

ومن هنا كان جابر يقول : من أخاف أهل المدينة فقد أخاف رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

وروى الطبراني بإسناد جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« اللَّهُمَّ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَأَخَافَهُمْ فَأَخَفَهُ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ » .

قلت : يعنى والله أعلم لافرض ولا نفل لأن الصرف هو الفريضة ، والعدل هو النافلة
كما قاله سفيان الثوري ، وقيل الصرف هو النافلة والعدل هو الفريضة ، وقيل الصرف
التوبة والعدل الفدية :

قال : مكحول : وقيل الصرف الاكتساب والعدل الفدية ، وقيل الصرف الوزن والعدل
السكريل ، وقيل غير ذلك .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ آذَى أَهْلَ الْمَدِينَةِ آذَاهُ اللَّهُ » الحديث ، والله
تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ؟ إذا دخلنا نغرا من نغور
المجاهدين ، أن ننوى المرابطة مدة إقامتنا فيه ولو لم يكن هناك عدو لاحتمال أن يحدث
هناك عدو .

ومن هنا استحب للإنسان أن يتعلم رمي الثناب والمضاربة بالسيف والرمح ليكون
مستعدا لرد العدو عن نفسه وماله وعياله وإخوانه المسلمين في أى محل حل ، سواء كان
العدو كفرا أو من البغاة أو من قطاع الطرق ، ويقبح على من أعطاه الله قوة أن يبخل بها
ولا يتعلم آلات الحرب ، فربما يخرج عليه بعض اللصوص فهنتك حرمة وأخذ ماله
أو قتله أو جرحه :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا
وَمَا فِيهَا : وَمَوْضِعٌ سَوِطٌ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا
العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْعُدُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا » .

والعدوة : المرة الواحدة من الذهاب ، والروحة : المرة الواحدة من المجيء :

وروى مسلم وغيره مرفوعا : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ،
وَلِإِنْ مَاتَ فِيهِ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ رَأْجِرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانَ » .
زاد في رواية للعلبراني : « وَبُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَهِيدًا » .

وفي رواية لأبي دارد والترمذي وقال حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال على شرط
مسلم وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« كُلُّ مَيِّتٍ يُحْتَمُّ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُرْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَئِذٍ مِنْ فِتْنَةِ النَّبِيِّ » والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا سافرنا إلى الحجاز أو
الشام أو غيرهما نحرص إخواننا وأمتعتهم ودوابهم لاسيما إن كان معهم وديعة لأحد أو مسافرين

جمال غيرهم ، كل ذلك وفاء بحق أنفسنا ونفوس إخواننا ، فينبغي لمن يسافر أن يطوى النوم في الليل والنهار إلا غلبة ، ويتمرن على ذلك قبل السفر ليدخل له مستعدا :

« وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » .

وهذا العهد يخل بالعمل به غالب الحجاج فينظر أحدهم الحياص وقد أخذ رجل الحجاج أو عمامته وهو قادر على أن يخلص ذلك من الحياص فلا يتبعه لعدم ارتباط قلبه بأخيه المسلم .

ومن هنا استحب بعضهم أن يجتمع أهل كل بلد أو حارة أو إقليم على بعضهم لأجل العصبية ، والخلاص من المهالك في مضائق الأودية ، فرجما زلقت رجل جملة بحمله فوقع في الوادي فلا يستطيع صاحبه أن يمسكه عن الوقوع فكان بأخى رجيا شفوفا على إخوانك ليعاملوك في سفرك بنظير ما تفعل معهم ، والله يتولى هداك .

وروى الترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« عَيْنَانِ لَا تَمْتُهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وفي رواية للإمام أحمد وأبي يعلى والطبراني مرفوعا :

« مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَطَوِّعًا لَمْ يَرِ النَّارَ بِعَيْنَيْهِ إِلَّا تَحْمِلَةَ الْقَسَمِ » أى في قوله تعالى : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) .

والمراد بتحملة القسم تكفير القسم وهو اليمين .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« مَنْ حَرَسَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلَهَا وَصِيَامُ سَهْرَهَا » .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكرم الغزاة والحرسين لودائع الناس في مثل العقبة والأزلام ، وكذلك نكرم خفر الدرب من العرب أصحاب الإدراك ، وإذا ضاع لنا شيء لم نلزمهم به إلا بطريق شرعى ، ولو كان لهم على ذلك صرفي بيت المال ، بل ينبغي أن نساعدهم بما نقدر عليه من البقسماط والأدم والنقد ترغيبا لهم في الإقامة في تلك الأماكن المخوفة ، ونحوط أمتعة الناس ونبدؤهم بالعزاء ولا

نذلهم بالسؤال ، وكذلك نكرمهم إذا وردوا علينا في مصر وغيرها ، ولا نبخل عليهم ونقول إن هؤلاء لهم جامكية من جهة السلطان مع قدرتنا على الإحسان إليهم حسب الطاقة قال الله تعالى :

(لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) .

فن لم نجد نقدا يعطيه للغزاة فليعطهم ولو رغيفا أو نصفاً أو يخدم عيالهم مدة سفرهم ويقوم بمهمات حوائجهم ، ومثل الغزاة والحارسين في سبيل الله في نفقة عيالهم بالبر والإحسان كل من سافر لمصلحة إخوانه كالجاني الذي يجي لهم مال وقفهم أو يأتي لهم بالقمح والحطب وما يقوم بمصالحهم ، فينبغي لإخوانه أن يتعاهدوا عياله وأولاده بالبر وقضاء الحوائج ولا يخل بذلك إلا من ليس له مروءة وما رأيت عيني في عصرى أحدا قام بهذا الأمر معي ومع أصحابه مثل الشيخ أحمد الكعكي رحمه الله .

وبالجمللة فقد صارت أخلاق المؤمنين قليلة لقلة ارتباط قلوبهم ببعضهم بعضا ولا يقوم بمثل ذلك إلا من باشر صريح الإيمان قلبه وهو مقام عزيز في هذا الزمان لغاظ الحجاب من أكل الحرام (والله عليم حكيم) .

وروى النسائي والترمذي وقال حديث حسن وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَتَبَتْ بِسَبْعِينَ ضِعْفٍ » .

وروى ابن حبان والبيهقي لما نزلت الآية قوله تعالى :

(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ) : « قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ زِدْ أُمَّتِي » فنزلت الآية قوله تعالى : (إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

وروى الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم مرفوعا :

« مَنْ جَهَرَ غَارِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَرَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَارِيًّا فِي أَهْلِهِ بِخَبِيرٍ فَقَدْ غَرَا » .

زاد في رواية ابن ماجه : « مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الْغَارِي شَيْءٌ » .

وروى الطبراني ورجاله رجال الصحيح مرفوعا :

« وَمَنْ خَلَّفَ غَازِيَا فِي أَهْلِهِ بَخَيْرٍ وَأَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نسأل ربنا أن نموت شهداء في سبيل الله لا على فرشنا ، فإن لم يحصل لنا مباشرة ذلك حصل لنا النية الصالحة ، وربما ترجح على ثواب من باشر الجهاد حتى قتل لغلبة ما يطرق المجاهدين من حب الرياء والسمعة ، ومن نوى ولم يباشر الجهاد حتى مات على فراشه ربما أعطاه الله تعالى ذلك الأجر كاملا من غير مناقشة ، كما ورد مثل ذلك فيمن عزم على قيام الليل فأخذ الله بروحه إلى الصباح ، وقد وسع الله تعالى على هذه الأمة باعطائهم الأجر بالنية الصالحة ، فكل فعل لم يقسم الله تعالى لهم مباشرة يجوزون فضله بالنية قال صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » .

لم يقل وإنما لكل امرئ ما عمل مع أن النية أيضا عمل قلبي ، فافهم واشكر الله تعالى على ذلك .

وسمعت سيدي عايبا الخواص رحمه الله يقول : في قدرة من وفقه الله تعالى أن لا يترك عملا من أعمال أهل الإسلام إلا وله فيه نصيب ، وذلك أن ينوى فعل كل خير بنية جازمة فإذا لم يحصل له فعله حصل له أجره من حيث النية :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه مرفوعا :

« مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَادَةِ ، وَإِنْ مَاتَ

عَلَى فِرَاشِهِ » .

وفي رواية لمسلم وغيره مرفوعا : « مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ يُصْبِهِ » .

وروى أبو داود والترمذي : « وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا ثُمَّ مَاتَ أَوْ

قُتِلَ كَانَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ » .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ مُخْلِصًا أُعْطَاهُ أَجْرَ شَهِيدٍ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ »

والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا لم يقسم لنا جهاد أن
لأنفرد من الأمور التي ورد أنها تلحقنا بالشهداء في الثواب الآخروي بل نتلقاها بالرضا ،
فلن لم يتيسر فبالصبر لا أنقص من ذلك فليس بعد الصبر إلا السخط .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح ليرقيه إلى حضرات الصبر
ثم حضرات الرضا ، وذلك أن المحجوب لا يعرف للصبر طمها وما عنده إلا السخط والكراهة ،
فلا يزال يرقيه عن مقام السخط بذكر الثواب الآخروي حتى يصير يتجلد ويصبر ،
فلذا أحكم مقام الصبر بين له مافي الصبر من ادعاء القوة ومقاومة الفهر الإلهي بنفسه وعدم
استحلاله أقدار الله وما هو فيه من سوء الأدب مع الله تعالى من حيث ترجيحه خلاف
ما اختاره الحق تعالى له ، وهناك ينشرح للبلاء وينبسط اه ° فعلم أن للبلاء ثلاث مراتب
سخط وصبر رضا ، فيحبس الله تعالى العبد في مرتبة حتى يأتي بها ذوقا قبل أن ينقله
إلى ما بعدها ، فكل مرتبة في محن أفضل من غيرها ، فلا يقال من يتلذذ بالبلاء أفضل
مطلقا ، ولا مقام الصبر أفضل مطلقا ، فلا بد لكل إنسان من هذا ومن هذا ليشكر
ويصبر ، وفي الحديث :

« عِظْمُ الْأَجْرِ مَعَ عِظْمِ الْبَلَاءِ » .

فما ربحه الراضى خسرته من جهة عدم إحساسه بالبلاء ، وما ربحه من أحسن بالبلاء
خسرته من جهة عدم الرضا عن الله والتلذذ بقضاء الله .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : الرضا عن الله تعالى لا يخلو من كراهة
خفية ، لأن في كل إنسان جزءا يكره المرض ولا يخرج عنه أبدا ، وجزءا يختار خلاف
ما اختار الله ولا يخرج عنه أبدا ، وجزءا يحب الدنيا ولا يكرهها أبدا ، وقس على ذلك سائر
التقائص ، ولو كشف للمتصوفة أروا ذلك الجزء يدق ولا يزول ومن هنا استغفر الأكابر
من أفعالهم الحسنة .

وسمعت أيضا يقول : الرضا مشتق من روض الدابة الشموس فلا بد أن يبقى بعد رياضتها
بقية من الرعونة ، وما خرج عن ذلك سوى الأنبياء لأن الله تعالى طهر طبيعتهم من التقائص
بسابق العناية ومن هنا عصموا دون غيرهم :

فاسلك يا أخى على يد شيخ ليخرجك من الرعونات وتصير تتلقى أقدار سيدك بالرضا
والانشراح ظهرا وتستغفر من الجزء الخفي الذي فيك يكره أقدار سيدك .

وقد كان سفيان الثوري رضى الله عنه يقول : إنما خاف الأكابر من المرض لما يطرَق المريض من كراهيته ومن السخط اه ، وكان بجوارى امرأة بها ضارب العظم ليلا ونهارا فسمعتها ليلة تقول أنا حسب ٧ زربونك ، يارب تفضل على بغمض الجفن لحظة ، ثم تقول : أستغفر الله مائة زربون ، وسمعتها أيضا تقول : ايش عملت لك يارب لهذا كله .

وكان سفيان الثوري يقول : رجال البلاء إنما هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثم يقول والله ما أدري ماذا يقع منى لوابتات فلعلى أكرولا أشعر اه وهذا منه اتهام لنفسه رضى الله عنه ، ولكل مقام رجال :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وقد روى الإمام مالك والشيخان وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مَا تُدُونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، قَالَ : إِنْ شُهِدَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيلَتْ ، قَالُوا : فَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ مَاتَ مِنَ الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ » .

زاد في رواية لهم : « وَالْفَرِيقُ شَهِيدٌ » .

وفي رواية لسلم مرفوعا : « الشُّهَدَاءُ حَمْسَةٌ : الْمَطْعُونُ ، وَالْمَبْطُونُ ، وَالْفَرِيقُ ،

وَصَاحِبُ الْهَدْمِ ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وفي رواية للإمام أحمد والطبراني مرفوعا ورواها ثقات :

« وَفِي النِّفْسَاءِ يَتَّخِذُهَا وَلَدَهَا جَمْعَاءَ شَهَادَةٍ » .

والجمعاء : هى التى تموت وولدها فى بطنها .

وفي رواية للطبراني ورواها رواة الصحيح :

« وَالْحَرْقُ شَهَادَةٌ ، وَذَاتُ الْجَنْبِ شَهَادَةٌ » .

زاد في رواية الإمام أحمد باسناد حسن « وَالسُّلُّ شَهَادَةٌ » .

قال الحافظ : والسئل هو داء يحدث في الرثة يثول إلى ذات الجنب ، وقيل هو زكام أو سعال طويل مع حمى هادئة ، وقيل غير ذلك .
وروى الشيخان مرفوعا : « الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » .

وروى البخارى مرفوعا : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَكُونُ فِي بَلَدٍ فَيَكُونُ فِيهِ يَغِي
الطَّاعُونَ فَيَمَكْتُ لَا يَخْرُجُ صَارًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ
إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجْرِ شَهِيدٍ » .

وروى أبو داود والنسائي والترمذى وابن ماجه ، وقال الترمذى حسن صحيح
مرفوعا :

« مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ
دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » .

وفى رواية للترمذى وغيره مرفوعا : « مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِبَيْزٍ حَقٍّ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ
فَهُوَ شَهِيدٌ » .

ولفظ رواية النسائي : « مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُومًا فَهُوَ شَهِيدٌ » والله تعالى أعلم .
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نعلم أولادنا وعيالنا
القرآن ونأمرهم أن يعلموه لغيرهم ولا يقولوا لمن طلب منهم التعليم مانحن فارغين فإن
ذلك من أعظم القربات ، ولعله يكون مقدما على الشغل الذى هو فيه .
واعلم أن الله تعالى ما أمرنا بتعليم القرآن والعلم للناس لإطالبا للأجر الآخروى ، فن
خف عليه تعليمه للناس بلا أجر دنيوى فهو كامل الإيمان ، ومن أحس بثقل إذا علمه
بغير أجرة فهو رجل دنيوى خالص وأجره فى الآخرة قليل .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : الحكم فى جميع الأعمال الصالحة لغلبة
الباعث ، فن غلب عليه تلاوة القرآن لدنيا بصيها حبط عمله المذكور ، أو للأجر الآخروى
فلا حبط .

قال : ومن أراد من الفقراء أخذ الأجرة على القرآن أو العلم من غير نقص الأجر فى
الآخرة . فليعقد نيته على تلاوته تقربا إلى الله عز وجل ، ثم يأخذ تلك الدراهم التى تعطى

له على تلاوته على نية أن ذلك ابتداء عطاء من الله لبيع لقراءة القرآن ، والعلم بتلك الدراهم اه .

واعلم يا أخى أن الله تعالى ما أعطى كتابه وسنة نبيه لعباده إلا ليعملوا بهما ، ويعلموهما للناس بالأصالة .

وقد روى الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم مرفوعا :

« خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .

وروى الترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَيْسَ لِي اللهُ بِهِ فَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَهُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ » .

وروى الحاكم عن ابن عباس وقال صحيح الإسناد :

« مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَرُدَّ إِلَى أَرْضِ الْعُمْرِ » وذلك قوله . (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ

سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) قال الذين قرءوا القرآن .

والأحاديث في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نستعد بالطهارة لقراءة القرآن، ونأمر أصحابنا بذلك بنية تعظيم كلام الله عز وجل ونية سجود التلاوة إذا قرأنا آية سجدة أو سمعناها ، ويتعين ذلك أديبا متأكدا على التجار والمباشرين الذين يحضرون المساجد قبل الصلوات في مثل جامع الأزهر ونحوه ، فيجاسون محدثين في لغو وغفلة بل وغيبة ، وربما يمشون بلا طهارة حتى تقام الصلاة فيذهبون للوضوء فتفتوتهم صلاة الجماعة أو بعضها ، فليتنبه الجالس في محل يتلى فيه القرآن ويصلى فيه الجماعة لمثل ذلك فإن عرف من نفسه عدم السلامة من اللغو في المسجد فضلا عن الغيبة ، فليجاس خارج المسجد ليفوز بالسلامة :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مسلم وابن ماجه والبخاري مرفوعا :

« إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ أُعْزِلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ » .

وفي رواية : « يَا وَيْلَى أَمِيرَ ابْنِ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَأَمِرَتْ
بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فِي النَّارِ » .

وروى البزار بإسناد جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كتبته عنده سورة النجم فلما
بلغ السجدة سجد ، قال أبو هريرة وسجدنا معه ، وسجدت الدواة والقلم والأحاديث ،
في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتعاهد القرآن
بالتلاوة ولنحسن صوتنا به جهلنا طلبا لميل الناس إلى سماعه ، فإن علمنا من الناس أنهم
لا يستلذون بسماعه منا أسمعنا به أنفسنا فقط ، لئلا يقع الناس في حقنا وحق القرآن ،
ويقولون قراءة فلان نقسى القلب فيجعلون سماع كلام الله يقسى القلب كأنه معصية ومن
لحق بنفسه استراح وأراح .

واعلم بالأخى أن روح تلاوة القرآن هو الحضور مع الله تعالى فيه ، لكن يحتاج من
يشهد هذا المشهد إلى سلوك على يد شيخ صادق حتى يصير لا يتشتت قلبه بتلاوة القصص
التي في القرآن عن شهود صاحب الكلام ، فيجمع في شهوده بين سماع كلام الله القديم
في حال كونه حكاية عن كلام الخلق الحادث ، وهو مشهد عزيز لم أر له ذاتقا إلى
وقتي هذا :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ مَثَلُ الْإِبِلِ الْمُعْتَلِّقَةِ
إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ » .

وروى مسلم مرفوعا : « تَمَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَشَدُّ تَفَلُّتًا
مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا » .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كَمَا أَذِنَ لِلسَّبِيِّ حَسْنَ الصَّوْتِ
يَتَفَتَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ » .

ومنى أذن بفتح الدال أى يستمع وقيل بكسر الدال :

قال الحافظ المنذرى : ومعنى الحديث ما استمع الله لشيء من كلام الناس كما استمع إلى

من يعنى بالقرآن أى يحسن به صوته ، قال وذهب سفيان بن عيينة وغيره إلى أنه من الاستغناء وهو خلاف الظاهر .

وروى أبو دارد والنسائي وابن ماجه مرفوعا :

« زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » .

قال الخطابي رحمه الله: معناه زينوا أصواتكم بالقرآن هكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث ، وزعموا أنه من باب المقلوب كما قالوا عرضت الناقة على الحوض أى عرضت الحوض على الناقة ، لأن الذى يشرب هو الذى يعرض عليه الماء ، ثم روى باسناده مرفوعا .

« زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ » قال : وهو الصحيح .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَأَبْكَوْا فَإِنْ لَمْ تَبْكَوْا فَتَبَّأْ كُوا وَتَغَنَّوْا بِهِ فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتُمُوهُ يَقْرَأُ حَسِبْتُمُوهُ يَحْشَى اللَّهَ » .

وروى أبو داود أنه قيل لابن أبي مليكية ، أ رأيت إن لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع اه ومعناه حسن القراءة لا المقرء والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على قراءة ماورد من الآيات والسور كل يوم وليلة ، كالفاتحة وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة وخواتيم سورة آل عمران وقراءة سورة يس ، والواقعة والدخان وتبارك ونحو ذلك والأحاديث فى ذلك كثيرة مشهورة ، ومن واظب على ذلك كان فى حرز وأمان من الآفات الظاهرة والباطنة .

وأشهر من يخل بهذا الجهد بعض طلبة العلم الذين حدثوا فى هذا الزمان فلا تكاد نجد لأحدهم وردا من القرآن ولا من الأذكار وإن كلمهم أحد فى ذلك جادلوه ، وقالوا نحن مشغولون بالعلم ، وربما جلس أحدهم ياغو ويمزح ويستغيب الناس أضعاف زهون تلك الأوراد ولا يقول لنفسه قط إن الاشتغال بالعلم أفضل أبدا بل ربما نسى بعضهم القرآن فى حجة اشتغاله بالعلم وهو ذنب عظيم ، كل ذلك لعدم من يريهم .

وقد كان السلف الصالح إذا رأوا طالب العلم لا يمتنى بالعمل بما علم لابعامونه العلم .
فلازم يأخى على قراءة ما أمرك به الشارع صلى الله عليه وسلم وأرشدك إليه شفقة
عليك من الآفات ، ولا تكن من الغافلين عن ذلك .

وتأمل يأخى من لاورد له من طلبه العلم ولا أدب تجده معرى من الخبر ليس على
وجهه أنس ولا عليه خشية من الله تعالى ، بخلاف من له أورااد وأذكار .

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى مسلم والنسائي والحاكم وغيرهم مرفوعا :

« نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَسَلَّمَ وَقَالَ : أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ
أَعْطَيْتَهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ : فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ
اَلْحُرْفَ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ » .

وروى مسلم والترمذى والنسائي مرفوعا « لَا تَجْمَعُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ
يَفْرُجُ مِنَ النَّيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » .

وروى الترمذى مرفوعا فى قصة الغول الذى كان يأكل من تمر أبى أنصارى
كل ليلة فلما أمسكه أبو أيوب قال إنى أذكر لك شيئا اقرأ آية الكرسي فى بيتك فلا يقربك
شيطان ولا غيره ، فجاء أبو أيوب فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال :

« صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ » .

ووقع مثل ذلك أيضا لأبى هريرة رضى الله عنه ، فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم :

« صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ » اه باختصار .

وقال الحافظ المنذرى والغول : هو شيطان يأكل للناس ، وقيل هو من يتلون
من الجن :

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا :

« آيَةُ الْكُرْسِيِّ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ ، لَا تُقْرَأُ فِي بَيْتٍ وَفِيهِ شَيْطَانٌ إِلَّا

خَرَجَ مِنْهُ » الحديث .

وفي رواية « قِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ تَعْدِلُ قِرَاءَةَ أَلْفِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ». قال بعضهم: وفي إخبار الشارع صلى الله عليه وسلم لنا بذلك فوائد: منها أن من نام عن ورده حتى فات وقته فينبغي له قراءة سورة «قل هو الله أحد» بعد قراءة آية الكرسي وسورة «إذا زالزلت» ونحو ذلك مما ورد أنه يعدل ثلث القرآن، أو ربع القرآن، أو نصف القرآن جبراً لما فاتته من التطويل، والله أعلم.

وروى الإمام أحمد وأبو دارد والنسائي واللفظ له وابن ماجه والحاكم وصححه مرفوعاً:

« قَلْبُ الْقُرْآنِ سُورَةُ يُسَّ ، لَا يَفْرُؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ » .

وروى أبو داود والترمذي وحسنه واللفظ له والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً:

« إِنَّ سُورَةَ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثِينَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ » .

وروى الترمذي وقال حديث حسن مرفوعاً:

« سُورَةُ تَبَارَكَ هِيَ الْمَانِعَةُ تُنَجِّي قَارِئَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » والله تعالى أعلم.

(أخذ علمنا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نداوم على الاكثار من ذكر الله سرا وجهراً ولا نترك الذكر لفظاً إلا إذا حصل لنا ثمرته التي هي دواء الحضور مع الله في جميع أحوالنا، فلا يزال الذاكر ينسى أفراد العالم شيئاً بعد شيء إلى أن يحجب عن شهوده لشيء منه، ويصير لا يرى إلا الله، ثم إنه يحجب عن شهوده نفسه كذلك بأن يرق ويدق حتى يصير كالذرة ثم يغيب فإذا تحقق بالمقام قيل له ارجع إلى شهود أفراد العالم، وانظر ما انطوت عليه من الحقائق، فإنها كأنها دلائل على ذلك فإنك حجبت عن معرفتي بقدر ما حجبت عن شهود العلم ثم يرجع بعد معرفة الله إلى أفراد العالم شيئاً بعد شيء إلى أن لا يغيب عنه من العالم ذرة إلا ما كان فوق دائرته فتأمل.

وكذلك ينبغي لنا أن نحث المتردين لاينا على حضور مجالس الذكر ونحارب من سعى في إبطال مجلس ذكر ونجادله ونباحثه، فإن ظهر الحق على يديه أيدناه وقالنا معه، وذلك

لأن غالب من يعقد مجالس الذكر في المساجد يدخله الدخيل من حب الرياء والسمعة والشهرة ، لاسيما في مثل جامع الأزهر ، فإن ذكر الله تعالى من أعظم القربات ، ومثل ذلك يقعد له إبليس في كل مرصد ، حتى يحرف نيته واحتفاف القرآن ملحق بالأدلة ، ولم يزل الجدل بين طلبة العلم وبين المتصوفة في شأن هذه المجالس ، والحق أحق أن يتبع ، فلا ينبغي لعاقل أن يجهر بذكر الله في مسجد إلا إذا لم يشوش على نائم أو مصل أو مدرس لعلم ، فإن احتفت القرائن في إخلاص الذاكرين لله تعالى نصرناهم أو بإخلاص المطالع للعلم نصرناه : ويحتاج من يمشى بين هؤلاء إلى نور عظيم وسياسة عظيمة :

وقد وقع للجنيد أن الإمام أحمد بن سريج قال له : إن رفع أصواتكم بالذكر يؤذى حلقتنا في العلم ، فقال له ينبغي مراعاة أقرب الطريقتين إلى الله تعالى ، فقال ابن سريج فإذا وجب مراعاة طريقتنا لأنها أقرب إلى الله تعالى من طريقكم ، فقال الجنيد وما علامة القرب ؟ قال ابن سريج : أن يكون الغالب عليه شهود الحق ، فقال الجنيد هذا عليكم لالكم ، لأن الغالب عليكم إنما هو شهود أحكام دين الله لالكم ، فقال ابن سريج : تريد حالة يقع الامتحان بها ، فقال الجنيد يا فلان خذ هذا الحجر وألقه في حضرة هؤلاء الفقراء ، فألقاه فصاحوا كلهم : الله ثم قال له خذ هذا الحجر وألقه بين هؤلاء الذين يطالعون في العلم ، فألقاه فقالوا له : حرام عليك ، فقال ابن سريج الحق معك يا أبا القاسم .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من علامة ترجيح ذكر الله على قراءة العلم ثقل العلم على لسان الإنسان وهو يطالع في الروح وخفة ذكر الله تعالى ، فإن المشرف على الانتقال من هذه الدار يجب عليه استغنام ما هو الأفضل ، فلو كان تعلم مسائل الفقه والنحو والأصول أفضل لما ثقلت على لسان المحتضر وأهل الله تعالى لقصر أملهم كأنهم محضرون في كل وقت اه .

وأخبرني الشيخ أحمد الضرير المقيم في منية الخنازير بالشرقية ، قال : جاورت عند الشيخ عمر روشني شيخ الشيخ دمر داش بمصر ، وكان في مدينة توريز العجم أن شخصا من علماء توريز اسمه ملا عبد اللطيف كبير المفتين بها سعى في إبطال مجالس الذكر المتعلقة بالشيخ عمر في الجامع الكبير وقال إن المسجد إنما جعل بالأصالة للصلاة ، وكان يحضر ذلك المجلس نحو خمسة آلاف نفس ، فقال الشيخ عمر فإذا ذكرنا بخفض الصوت تمنعنا

من ذلك ، قال لافعال الشيخ عمر معاشر الفقراء اخفضوا أصواتكم في الذكر ومن قوى عليه وارد برفع الصوت فليرده ويكتمه ما استطاع ففعلوا ، فحمل من المجلس ذلك اليوم نحو خمسمائة نفس مرضى واحترقت أكباد نحو أربعة عشر نفسا ، وخرجت من أجنابهم فأتوا قال الشيخ أحمد فحسست بيدي على أكبادهم فوجدتها مشوية محروقة فتفتت كالكبِد المشوى على الجمر فأرسل الشيخ عمر إلي ملا عبد اللطيف وجماعته ، وقال : هل يقول عاقل إن مثل هؤلاء الذين ماتوا لهم قفعل في الموت ولكن سهم الله تعالى في البعيد قال الشيخ أحمد فتطبقت دار ملا عبد اللطيف تلك الليلة عليه وعلى أولاده وعياله وبهائمهم وغلمانهم ، فلم يسلم أحد منهم وماتوا أجمعين ، وكان يوما شهودا في توريث .

فعلم أنه ينبغي لطالب العلم أن يتلطف في العبارة للذاكرين . ولا يقوم عليهم كقيامه ، على من يخرج من الدين بل فعله ذلك هو الذي يذكر لأنه كالمنع من الدين ولو استحضر عظمة الله تعالى لما استطاع أن يتطرق بكلمة في حق أحد من الذاكرين له .

فلازم يأخى على الذكر وانصر أصحابه بالطريق الشرعى . لا كرايا الله تعالى وتعظيما له ، وإن احتفت قرائن الرياء وعدم الإخلاص في الذاكرين فانصر طلبة العلم المخلصين ، ولا تكن من الذين ينصرون أحد الفريقين بحظ النفس والله يتولى هداك .

وسمعت سيدى عليا المرصنى رحمه الله يقول : مراد الشارع صلى الله عليه وسلم ومشايخ الطريق من مریدهم ؛ إذا أكثر من الذكر باللسان والقلب أن يحصل له الأُنس ويصير قلبه لا يغفل ولا يتكلف للذكر ، بل يكون الحق مشهوده على الدوام وتارة يشهد بقلبه وتارة يشهد هو ، أنه في حضرة الله وإن الله يراه ، وكلا الحالين إذا دام بمنع العبد من وقوعه في المعاصى وسوء الأدب مع الله تعالى ، وما لم يكن العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأُنس ، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة .

وسمعت مرة أخرى يقول : من خاصية تمكن الذكر من القلب أن يهذب أخلاق صاحبه ، فمن لم يهذب فسكانه لم يذكر فهذا مقصود الشارع والأشياخ بأمرهم المرید لا كثاره ، من الذكر .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : ما ثم كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى ، لأنه يصير جلوسا للحق كلما ذكر .

وقد اختلى مرید سنة كاملة ، فإرأى نفسه وقعت له كرامة ، فذكر ذلك لشیخه فقال أترید كرامة أعظم من مجالسة الحق تعالى ، ثم قال له ما رأیت ، قال له ما رأیت أكشف حجبا منك لك فی الكرامة العظمی سنة كاملة ولا تشعر بها اه فاعلم ذلك .
واحذر یا أخى من التصدر للذكر فی مثل جامع الأزهر ، فرجما كان الباعث لك على المواظبة هناك رؤية الناس لك اه فاعلم ذلك والله أعلم .

وروی الشیخان والترمذی والنسائی وابن ماجه وغيرهم مرفوعا :

« يقول الله عز وجل: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ » .
وفی رواية للطبرانی بإسناد حسن مرفوعا قال الله عز وجل ذكره :
« لَا يَذْكُرُنِي عَبْدٌ فِي نَفْسِهِ إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ مِنْ مَلَائِكَتِي، وَلَا يَذْكُرُنِي فِي مَلَأٍ إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » .

وفی رواية لأبن ماجه وابن حبان فی صحيحه مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتَاهُ » .
قلت : وفی هذا الحديث إطلاق أن أسماء الله تعالى ليست عينه لقوله فيه « وتحرکت بی شفاته » وما تحرکت الشفتان إلا بالإسم فافهم والله أعلم :

وروی الترمذی وابن حبان فی صحيحه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد أن رجلا قال : یا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علی ، فأخبرنی بشيء أنشبت به قال :
« لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ » .

ومعنى أنشبت أتعاق .

وروی ابن أبي الدنيا والطبرانی والبزاره عن معاذ بن جبل قال : آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلت : أى الأعمال أحب إلى الله تعالى قال :
« أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى » .

وروی الشیخان مرفوعا : « مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلِ

الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ » .

وانظ. مسلم « مثل البيت الذى يذكر الله فيه » .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا تَجْنُونَ » .

وروى الطبراني والبيهقي مرسلا : « أَذْكَرُوا اللَّهَ ذِكْرًا يَقُولُ الْمُتَأَفِّقُونَ
إِنَّكُمْ مُرَاهُونَ » .

قلت : وإنما سمي صلى الله عليه وسلم من ينسب الذاكرين إلى الرياء منافقا ، لأنه لا ينسبهم إلى الرياء إلا وقد تحقق هو به ، فعرفه صلى الله عليه وسلم حاله ، وأنه لو لم يكن عنده رياء لحملهم على الإخلاص نظير ما عنده ومن هنا قالوا : لا يصرح من الشيطان أن يسلم أبدا لأنه لو أسلم لم يتصور في باطنه كفر يوسوس به الناس ، فكان بباطنه الكفر من العالم ، لأنه لا واسطة لأحد في الكفر إلا إبليس فافهم والله أعلم .

وروى ابن أبي الدنيا مرفوعا : « مَا مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا وَاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ صِدْقَةٌ
يَمُنُّ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا مِنْ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ بِأَفْضَلٍ مِنْ أَنْ يُلْهِمَهُ ذِكْرَهُ » .

وروى الإمام أحمد والطبراني : « أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمَجَاهِدِينَ أَفْضَلُ
وَأَعْظَمُ أَجْرًا ؟ قَالَ : أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا ، قَالَ فَأَيُّ الصَّامِّينَ أَعْظَمُ
أَجْرًا ؟ قَالَ أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا : ثُمَّ ذَكَرَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ
وَالصَّدَقَةَ كُلَّ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
ذِكْرًا : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ : يَا أَبَا حَفْصٍ ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَلٌ » .

وروى الطبراني والبيهقي بإسناد جيد مرفوعا :

« لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى فِيهَا » .

قلت وقوع التحسر في الجنة إنما يكون لهم أول دخولهم حين يرون مقام من فوقهم
والله أعلم .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ لَمْ يُكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ فَقَدْ بَرِيَ مِنَ الْإِيمَانِ » .

قال الحافظ المنذرى ، حديث غريب .

وروى البخارى ومسلم واللفظ للبخارى مرفوعا :

« إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَبَادَرُوا وَقَالُوا هُمُوهَا إِلَى حَاجَتِكُمْ فَيُحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ » فذكر الحديث إلى أن قال : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ خَفَرْتُ لَهُمْ . قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فَلَانَ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْتَقِي جَلِيسُهُمْ » .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى والبيهقى وغيرهم مرفوعا :

« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ مَنْ أَهْلُ الْكِرَامِ ، فَقِيلَ وَمَنْ أَهْلُ الْكِرَامِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَهْلُ تَجَالِسِ الذِّكْرِ » .

وروى الإمام أحمد ورواه محتج بهم فى الصحيح إلا واحدا مرفوعا :

« مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مَسَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَوْمُوا مَغْفُورًا لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ » .

وروى الطبراني باسناد حسن مرفوعا : « آتَيْنَا اللَّهَ تَعَالَى أَقْوَامًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ السُّورُ عَلَى مَنَابِرَ لَلْوَالِدِ يُغْبِطُهُمُ النَّاسُ أَيْسُوا بِأَنْبِيَاءِ وَلَا شُهَدَاءَ ، قَالَ فَجِئْتِي أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا نَعْرِفُهُمْ ؟ فَقَالَ : هُمْ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ قِبَائِلِ شَتَّى وَبِلَادِ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ » .

وروى الترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« إِذَا مَرَّرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : حِلَقُ الذِّكْرِ » .

قلت ولا يخفى أن محل أفضلية الذكر على غيره ما إذا تعلم العلم وعرف أمور دينه كلها إذ الذاكر جالس للحق ولا يذغى مجالسته إلا بعد التضرع فى أحكام الشريعة ، ويصبر

عنده علم بشروط جميع العبادات وآدابها، وهناك يصلح لمجالسة الملك، فإن الشريعة حكمها كالدهليز لمجالسته .

ومن هنا قالوا : يجب على العبد أن يقدم العلم المتعلق بأدب الملوك على مجالستهم ومن جالسهم بلا أدب فهو إلى العطب أقرب والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحفظ لساننا في كل مجلس نجلسه عن كلام اللغو والفحش ما أمكن وإن وقعنا في ذلك فلا ننصرف حتى نذكر الله تعالى بما ورد ، أنه يكفر ما وقع في المجلس ، وذلك أن الملك لا يكتب ما عمله العبد من السيئات إلا بعد ساعة أو ثلاث ساعات كما ورد :

« فَإِنْ أَسْتَفْرَرَ لَمْ يَكْتُبْهَا وَإِنْ لَمْ يَسْتَفْرِ يَكْتُبْهَا » .

وهذا من جملة رحمة الله تعالى بعباده من حيث كون رحمته وحلمه سبق غضبه وانقمامه فإذا وقع العبد في معصية تسابق إليه أسماء الرحمة والانتقام .

ومعلوم أن أسماء الرحمة أسبق ، فتأتى أسماء الانتقام فتجد أسماء الرحمة قد سبقتها إلى محل الانتقام فرجعت أسماء الانتقام بلا تأثير فالحمد لله رب العالمين .

وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول : إذا عصيت الله تعالى في أرض فلا تفارقها حتى تعمل فيها خيرا ، كقولك لا إله إلا الله أو سبحان الله أو الحمد لله فكلما صارت البقعة تشهد عليك كذلك صارت تشهد لك يوم القيامة والله يحفظ من يشاء كيف يشاء .

وروى أبو داود والترمذي واللفظ له والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال الترمذي حديث حسن مرفوعا :

« مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا كَثُرَ فِيهِ لَفْظُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ » .

وروى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس :

« سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ

إِنَّكَ تَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فَيَا مَصِي ؟ فَقَالَ هُوَ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ
فِي الْمَجْلِسِ .

وقوله بأخرة غير ممدود: أى بآخر أمره.

وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كلمات
لا يتكلم بهن أحد في مجلس حق أو مجلس باطل عند قيامه ثلاث مرات إلا كفرت عنه
خطاياها ، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغثرك وأتوب إليك ، والله
تعالى أعلم .

والأحاديث في فضل قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له وفي التسبيح والتحميد
والتكبير والتهليل ، وفي لاحول ولا قوة إلا بالله وفي أذكار المساء والصباح ، وعقب الصلوات
كثيرة مشهورة ، ولا يثبت حفظ الأذكار عند العبد إلا عمله بها .

فاعمل يا أخى بكل ما تقدر عليه من هذه الأذكار وكلما تجد لك وقتا يحملك أكثر من
ذلك فزد من الأذكار ، وإن جمعت لك حزبا جامعا تقرؤه في مجلس صباحا ومساء كان
أعون لك :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتحفظ من الشيطان
كلما نريد النوم ، وذلك بالنوم على طهارة باطنة وظاهرة وبقراءة الأذكار الواردة في ذلك ،
فإن من نام على حدث وعدم قراءة أذكار فننلزمه عدم مفارقة الشيطان له فلا يزال
يوسوس له بكثرة النوم ، ويريه المنامات الرديئة ليحزنه حتى يستيقظ .

فاعمل يا أخى بالأذكار الواردة عند النوم ونم على طهارة إن أردت الحفظ
من الشيطان .

وقد سمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : إنما كان أكابر الأولياء يرون المنامات
الرديئة مع حفظهم من الشيطان تنشيطا لهم لأن المنام وحى المؤمن ، وإنما كانوا لا يرون
المنامات التي تسرههم كالمرئيين لقوتهم ، فإنهم فرغوا من الأمور التي تولفهم على الطريق
وعرفوا سعة فضل الله على العباد فصاروا لا ينظرون إلا إلى الذي عليهم من الحقوق لا إلى
الذي لهم بخلاف المرئيين لو رأى المنامات الرديئة أول دخوله الطريق لانقطع عنها وفترت
همة اه .

فقلت له إن في الحديث : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ »

وكل رؤيا أحزنت العبد فهي غير صالحة فكيف سهيموها صالحة ؟ .

فقال : لولا أنها صالحة ما نشطت ذلك الولي ولانهمته على نقائصه إذ كل شيء أورث

خيرا فهو خير اه .

قلت : وقد وقع لي مرة أنني تمنيت أن أرى حالى في القبر فتمت فرأيت تلك الليلة أني نائم في القبر على طراحة خيش محشوة بشوك أم غيلان ، وأنا أتقلب عليها ، فتمتبت لأمر كنت عنه غافلا وهذا الحال لم يزل الحق تعالى ينبهني عليه في النوم ، فربما أترك وردى ليلة فأرى نفسي في هو ولعب أو حاملا حطبا أو مارا في شجر التين فأعرف بذلك أنني ملت إلى شهوة أو عندي نفاقا ونحو ذلك مما حجبت عن شهوده في اليقظة فإن الله يدل على الغفلة عن الله وحمل الحطب إشارة للنفاق ، فإن كان النفاق الذي عندي قليلا رأيت أنني حامل حطب الطرفاء ، وإن كان فوق ذلك رأيت أنني حامل حطب الزند وإن كان خشبا علمت أن عندي نفاقا عظيما .

وأما شجر التين فهو علامة على القرب من الوقوع في معصية لأن شجرة التين هي التي أكل منها آدم عليه السلام ، وهذا كله من جملة فضل الله على أتوب من ذلك وأستغفر فالحمد لله رب العالمين .

وروى مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه مرفوعا :

« إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُرْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا ، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثَلَاثًا ، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ » .

وفي رواية للترمذي وقال حديث حسن صحيح مرفوعا :

« إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ ، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ » .

وروى الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه مرفوعا :

« الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ » .

قال الحافظ المنذرى: والحلم هو رؤية الجوع في النوم، وهو المراد هنا يقال حلم الجلد إذا فسد وتغير، والله تعالى أعلم.

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا حصل لنا قلة نوم وسهر مفرط لقلّة رطوبات البدن أو لخوف من لصوص أو من عفريت ونحو ذلك أن نتداوى بالأذكار الواردة في ذلك قبل التداوى بالحكاه ، فإني رأيتهم يداوون من غلب عليه الخوف بإحساء الذهب على النار ثم يطفونه بالماء ويسقونه للخائف :

واعلم يا أخي أن قلة النوم تقع كثيرا عقب المرض الطويل فيخف دماغ العبد من الرطوبات والدسومات ، فلا يكاد ينام ويحصل له بذلك ضرر شديد حتى يصير يتمنى الموت من شدة الألم . فعلم أنه لا ينبغي للعبد أن يترك التداوى بما ذكر ، ويقول الأفضل للعبد أن يحمد الله تعالى على ترك النوم . لأننا نقول التداوى بذلك لا ينافي الحمد لله تعالى على السهر من حيث تقديره ، فيتداوى العبد من حيث إن السهر المفرط لا يصير به عند العبد لإقبال على الله تعالى في عبادة من العبادات ، بل يصير يعبد الله تعالى من غير شدة داعية ولو كان يحصل عنده زيادة السهر المفرط داعية لما كان ينبغي للعبد أن يستعمل شيئا يجلب النوم أبدا فافهم :

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إنما يفرغ في النوم من غفل عن الحق تعالى في اليقظة وخاف من الخاق ، وإلا فرأى أكثر من ذكر الله عز وجل أنس بكل شيء واستأنس به كل شيء من ناطق وصامت .

فاعمل على جلاء مرآك يا أخي حتى لا تصير تخاف أحدا إلا الله ، وإلا فن لازمك بالخوف من الجن والإنس وغيرهما وعدم استئناسهم بك .

فقد كان في بيتي امرأة من الجن فكانت إذا قربت مني قامت كل شعرة في جسدي فكنت أكر الله فتبهد من وقتها ، ثم كانت تقف في طريقي إلى المسجد في الظلام فما فرغت منها قط بل كنت أمر عليها في الحجاز المظلم فأقول لها السلام عليكم ، وما نفر خاطري منها قط مع أن طباع الإنس تنفر من الجن :

وسكن عندي مرة أخرى جماعة من الجن أيام الغلاء ، فكنت أقول لهم كلوا من الخبز والطعام بالمعروف ولا تضروا بإخوانكم المسلمين ، فأسمعهم يقولون سمعا وطاعة .

وسكن يدق في بيتي مرة أخرى ، فكان يأتي كل ليلة في صورة جدى كبير . فيظننى*
السراج أولاً ، ثم يصير يجرى في البيت فكان العيال يحصل لهم منه فزع ، فكلمت له
تحت رف وقبضت على رجله فزاق وصار يستغيث فقلت له تتوب ؟ فقال نعم فلا يزال
يدق في يدي حتى صارت رجله كالشعرة الواحدة وخرج ، فمن ذلك اليوم ماجئنا .

ونمت ليلة في بيت على الخليج الحامى ضيفاً عند إنسان في قاعة وحدى فغلق على
الباب فدخل جماعة من الجن فأطعموا السراج وداروا حولى يجرىون كالخيل ، فقلت لهم
وعزة الله كل من دارت يدي عليه ما أطلتته إلا ميتاً ، ونمت بينهم ، فما زالوا يجرىون حولى
إلى الصباح .

ودخلت مرة الميضاة بجامع الغمرى بالقاهرة أتوضأ ، وكانت ليلة شتاء مظامة فدخل
على عفريت كالفحل الجاموس فهبط في المغطس وبصعد الماء فوق الإفربز نحو نصف
ذراع ، فقلت له ابعد عنى حتى أتوضأ فلم يرض ، فجعلت في وسطى مئزراً وهبطت عليه
فزهق من تحتى وخرج هاربا ، ووقع لى مع الجن وقائع كثيرة .

وإنما ذكرت لك لتعلم أن من قرأ الأوراد الواردة في عمل اليوم والليلة فليس للجن
ولا الإنس عليه سبيل ، فإنه لولا الأوراد التى كنت أتلوها لكنت خفت ضرورة من هؤلاء
الجان كذبرى ، فاعمل على ذلك والله يتولى هداك .

وروى أبو داود والترمذى وقال حسن والنسائى والحاكم واللفظ للترمذى

مرفوعا :

« إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَدَقَّ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ
وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَخْضَرُونَ فِيهَا لَا تَضُرُّهُ » .

وكان عبد الله بن عمر يلقنها من عقل من واده ومن لم يعقل منهم كتبها له في صك ثم
عاقها عليه ، وليس عند الحكم تخصيص ذلك بالنوم .

وفي رواية النسائى عن خالد بن الوليد أنه كان يفزع في منامه فشككا ذلك لرسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا اضْطَجَعْتَ فَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ » فذكر مثله .

وفي رواية للطبرانى أن خالد بن الوليد حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

أهوييل يراها في الليل ، حالت بينه وبين صلاة الليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ لَا تَقُولُهُنَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَذْهَبَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْكَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي وَأُمِّي ، فَإِنَّمَا شَكَوْتُ هَذَا إِلَيْكَ رَجَاءَ هَذَا مِنْكَ؟ قَالَ قُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ » .

قالت عائشة رضی الله عنها : فإلبث إلا ليالي حتى جاء خالد بن الوليد فقال :
يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، والذي بعثك بالحق ما أتتكم الكلمات التي علمتني ثلاث مرات حتى أذهب الله عني ما كنت أجد ما أهالي لمو دخلت على أسد في خبيسته بنيل أو نهار . وخيسة الأسد : هو موضعه الذي يأوى إليه .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى باسناد جيد صحيح به رواه مالك مرسل أيضا عن عبد الرحمن بن خنيس التميمي أنه قيل له هل أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال نعم ، فقيل كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الجن ؟ فقال إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل كما أقول قل :

« أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَرْجُحُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ » .
قال فطفئت نارهم وهزمهم الله تعالى :

وروى الطبراني باسناد جيد : « أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَصَابَهُ أَرَقٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ نِمْتَ؟ قَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ

كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ أَنْ يَغْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يَطْفَنِي، عَزَّ جَارُكَ
وَتَبَارَكَ اسْمُكَ .

زاد في رواية أخرى له : « وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » والله
تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على الأذكار
الواردة في دخول البيت والمسجد والخروج منهما امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع ما في ذلك أيضاً من المصلحة لنا في الدنيا والآخرة ، ومن لم يكشف له عن حكمة
ذلك فليفعله على وجه الإيمان بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشفق عليه من والديه فلا
يأمره إلا بما فيه حفظه من الآفات ، فالله تعالى يجعلنا وإخواننا ممن سلم قيادته للنبي صلى
الله عليه وسلم في كل أمر آمين ، آمين آمين .

وروى الترمذى وحسنه والنسائى وان حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ ، يُقَالُ لَهُ حَسْبُكَ هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُفِّيْتَ وَتَنَجَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ » .

زاد في رواية أبي داود : « قَيْمُولُ لَهُ » يعنى للشيطان شيطان آخر : « كَيْفَ لَكَ
بِرَجُلٍ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُفِيَ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ يُرِيدُ سَتْرًا أَوْ خَيْرَهُ
فَقَالَ حِينَ يَخْرُجُ آمَنْتُ بِاللَّهِ ، اعْتَصَمْتُ بِاللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ ، إِلَّا رَزَقَ خَيْرَ ذَلِكَ الْمَخْرَجِ » .

وروى الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن أنس بن مالك قال : قال لى رسول
الله صلى الله عليه وسلم :

« يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ فَيَكُونُ بَرَكَاتٌ عَلَيْكَ وَعَلَى
أَهْلِ بَيْتِكَ » والأحاديث في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان نستعيد بالله ونستعد

للسيطان باستعمال ما يبعبده منا خوف الوسوسة المضرّة في إيماننا وأعمالنا .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يدشيخ صادق يسلك به حتى يدخله الحضرات التي تحرق كل من قرب إليها من الشياطين ويصير الشيطان يفر من ظله وذلك بالزهد الكامل في حلال الدنيا إلا بقدر الضرورة ، فإن من لم يزهّد في الدنيا فهو أعمى للقلب غارق في شهوات الدنيا لا يعرف طريق الآخرة ، ومثل هذا يكون من خمير إبليس الذين يركبهم ويتصرف فيهم :

وإيضاح ذلك أن القوم جعلوا الحضرات ثلاثة : حضرة الله ، وحضرة الخلق ، وحضرة الخيال التي هي النوم ، فتى خرج المستيقظ من حضرة شهود أن الله يراه ركبه إبليس ، لأنه واقف على باب الحضرة على الدوام ولا يمكنه الدخول أبدا ، فمن توسوس في صلواته فهو لم يدخل حضرة الله فصلواته صورة لاروح فيها وهي باطلة في مذهب الخواص يجب عليهم إعادتها لأن الله تعالى ما سامح عباده بالغفلة إلا بخارج الصلاة وأما فيها فلا ، ولذلك أوجبنا الاستعداد لطرد إبليس لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وفي الحديث :

« أُعْبِدُ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَسْكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .

ولا يمكن العبد ذلك إلا بدخوله حضرته فافهم .

وسمعت سيدي عليا الخواص يقول : الدنيا كلها ابنة إبليس وكل من أحبها زوجها له ويصير إبليس يتردد إليه لأجل ابنته ، بل سمعته يقول : الشيطان يتردد إلى من خطب ابنته ولو لم يدخل بها على عادة الأصهار فإن أردت يأخى الحفظ من وسوسته فلا تصابره ولا تحطب ابنته وهذا باب غلط فيه غالب طلبة العلم فضلا عن العوام فتجد أحدهم لا ينفك عن السعى في تحصيل الدنيا صيفا وشتاء ، ثم يطلب أن يصلي مثل صلاة الصالحين حين يسمع بذكر خشوعهم في الصلاة وحضورهم مع ربهم فيها ، فتراه يقصر ويطول عند النية ويهز في الهواء ويخطف النية حين هربت منه في الهواء ، فلا يزال في وسوسة في أقواله وأعماله حتى صار غالبهم يجهل في الصلاة السرية ، وبعضهم بترك الاحرام مع الإمام ويصبر حتى يركع الإمام فينوي ويركع معه بلا قراءة فاتحة خوفا أن يجرم عقب إحرامه ، فيأزمه قراءة الفاتحة التي من شأنه أنه يتوسوس فيها فعمل به إبليس حتى فوته قراءة الفاتحة ومناجاة ربه في الركعة الأولى . وبعضهم يحلف بالطلاق الثلاث ، وباللّه تعالى أنه ما يزيد على نية واحدة ثم ينقض ذلك ، ويقول أستغفر الله أنسيت ، وكل ذلك لإتيانهم البيوت من غير

أبوابها ، وليس أبوابها إلا السلوك على يد أشياخ الطريق بالوهد والورع عن كل ما كمل
 وملبس فيه رائحة شهية ، ولعمري من يشك في أفعاله وأقواله المحسوسة فلا يبعد أن يشككه
 إبليس في إيمانه بالله وملائكته ، حتى يموت على الشك في الإسلام والعباد بالله تعالى .
 وقد رأيت بعضهم يفطر في رمضان عند بعض المكاسين ، وإذا توضأ يمشى على
 حصر المسجد بتاسومة جلد خوفا من توهم نجاسة في الحصير لا يعلم بها ، فقلت له شاكل
 بعضك بعضا ، فقال الضرورات تبيح المحظورات ، فإننا مضطرون إلى الدنيا وما نحن عاجزين
 عن عدم التحفظ من النجاسة ، فسكت عنه ثم مات بعد شهر فوجدوا عنده نحو ثلاثة
 آلاف دينار زائدة على نفقته ونفقة زوجته .
 فياك يا أحمى أن تسلك مسلك مثل هذا وتدعى الحاجة والضرورة ، فإن الناقد بصير ،
 والله يتولى هداك .

وروى الإمام أحمد بإسناد جيد وأبو يعلى والبخاري والطبراني مرفوعا :
 « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَكَ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ ، فَيَقُولُ مَنْ
 خَلَقَ اللَّهُ ؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ
 يَذْهَبُ عَنْهُ » .

وروى الترمذى وصححه وابن خزيمة وابن حبان وغيرهما مرفوعا في حديث طويل :
 « وَأَمْرُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرٌ وَمَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي
 أَثَرِهِ حَتَّى أَتَى حِصْنًا حَصِيصًا فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يَنْجُو مِنَ الشَّيْطَانِ
 إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ » .

وروى مسلم : « أَنَّ عُمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ أُنِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي بَلْبَسَهَا عَلَيَّ ، فَقَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزَبٌ ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ
 فَتَمَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَانْقُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا . قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي »
 والله تعالى أعلم .

(أحمد عينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نذكر من الاستغفار
 ليلا ونهارا سواء استحضرنا ذنوبنا أو لم نستحضرها ، وهذا العهد يخل به كثير من المتصوفة

الذين لم يفظموا على يدشيخ ، فيزين الشيطان لهم أنهم صاروا موحدين ، لافعل لهم مع الله تعالى فلا يكاد أحدهم يستحضر له ذنبا يستغفر الله منه ، وربما قال في نفسه بعيد أن مثلي يعذبه الله ، ولو كشف الله عن بصيرته كما كشف للعارفين لرأى أنه قد استحق الخسفت به في الدنيا ودخول النار في العقبى ، إذ العبد سداه ولحمته ذنوب وكم وقع العبد في ذنب ونسيه وسيبدو له ذلك يوم القيامة ، فأكثر ياأخى من الاستغفار .

وقد كان سيدى على الخواص يتفقد أعضائه من رأسه إلى قدمه كل يوم صباحا ومساء ويتوب إلى الله تعالى من جناية كل عضو ذلك اليوم أو تلك الليلة لاسما الأذن والعين واللسان والقلب ، ويقول إن الاستغفار يطفي غضب الجبار ، ومن قال استغفر الله لم يبق عليه ذنب إن شاء الله تعالى ، لاسما إن أشرف الإنسان على معترك المنايا وضاق عمره عن العمل الصالح فإن هذا ما بقى له شيء أنفع من الاستغفار .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : ماوقف عن أحد حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا من تركه الاستغفار قال تعالى :

(وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى)
الآية . وقال تعالى : (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) .

فعلم أنه مالم عزل عن وظيفته أو حبس على جريمته أو دينه أنفع من كثرة الاستغفار وذلك أن العزل والحبس خزي للعبد بين الناس ونكال ، فإذا أرضى ربه بالاعتراف والاستغفار ورضى عنه ربه أخرجه لوقته من السجن فإن استغفر ولم يطلقه الحق تعالى فهو دليل على أن الحق تعالى لم يقبل توبته وأن عنده بقية تجبر أو ميل إلى معصية .

وقد جرب أن كل من أحكم سسد باب المعاصى لم ترد له دعوة لأنه يصير كالملائكة .

فلا تقع ياأخى في المعاصى وتطلب إجابة دعائك فإن ذلك لا يكون ، وإن كان فهو استدرج ، فكما دعاك الحق تعالى إلى طاعته فلم تجب كذلك دعوته فلم يستجب لك ، وكما أسرع إلى طاعته حين دعاك إليها ، كذلك أسرع الحق تعالى بإجابةك على الفور « جزاء وفاقا » .

ومن وصية الشيخ أبى النجاسالم المدفون بمدينة نوى لأصحابه وهو مختصر : اعلموا أن الوجود كله يعاملكم على حسب ما برز منكم ، فانظروا كيف تكونون ؟ اهـ .

ومن كلام سيدي على الخواص : من غزل شيئاً لبس منه فلم يلم الحائك اهـ .
وبالجملة فقد صرنا في زمان علامات الساعة وهو النصف الثاني من القرن العاشر
صاحب الفتن والحن وبرزت علامات الساعة على كواهلنا شيئاً أم أبينا فلا في يدنا رد التقدير
عنا ولا في يدنا دفع الجزاء عنا ومع ذلك فنقول أستغفر الله العظيم امثالاً للأمر الله
تعالى لا غيره .

« ومن لزم الاستغفار جعل الله له من كل فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من
حيث لا يحتسب » والله لو جلس الواحد منا بقية عمره كله يقول أستغفر الله لا يغفل ساعة
واحدة لا يفي بجبر خلال معاصيه السابقة فضلا عن اللاحقة .

(والله غفورٌ رحيمٌ) .

وروى مسلم والترمذي وحسنه وابن ماجه والبيهقي مرفوعا :

« يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا بَنِي آدَمَ كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُهُ فَاسْتَغْفِرُونِي
أَغْفِرْ لَكُمْ ، وَمَنِ اسْتَغْفَرَ نِي وَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى أَنْ أَعْفِرَ لَهُ غَفَرْتُ لَهُ
وَلَا أُبَالِي » الحديث .

وروى الترمذي مرفوعا وقال حديث حسن :

« قَالَ اللهُ : يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغْتَ ذُنُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَ نِي غَفَرْتُ لَكَ
وَلَا أُبَالِي . يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطَاباً ثُمَّ لَفَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً
لَأَتَيْتَكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةً . يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ
مِنْكَ وَلَا أُبَالِي » .

والعنان : بفتح العين المهملة ، هو السحاب . وفراب الأرض : بضم القاف ،
ما يقارب ملأها .

وروى الإمام أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« قَالَ إِبْنُ أَبِي عَرِينَةَ : وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أُبْرِحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ
فِي أَجْسَادِهِمْ ، فَقَالَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أُرَالُ أُغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي » .

وروى البيهقي مرفوعا : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ ؟ أَلَا إِنَّ دَاءَكُمْ
الذُّنُوبُ وَدَوَاءُكُمْ الْإِسْتِغْفَارُ » .

وقال الحافظ المنذرى : الأشبه أنه من قول قتادة .

وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي مرفوعا :

« مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا » .
وروى ابن ماجه باسناد صحيح والبيهقي مرفوعا :

« طُوبَى لِمَنْ وُجِدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارٌ كَثِيرٌ » .

وفي رواية للبيهقي باسناد لا بأس به مرفوعا :

« مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرَهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيَكْتُبْ فِيهَا مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ » .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعْمَلُ ذَنْبًا إِلَّا وَقَفَ الْمَلَكُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ ، فَإِنْ اسْتَغْفَرَ مِنْ ذَنْبِهِ
لَمْ يُوقَفْ عَلَيْهِ وَلَمْ يُعَذَّبْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

قلت : ولعل المراد بالساعات أمر يسير وليس المراد بها الساعات الفلكية ، فإن
قواعد الشريعة تقتضى وجوب التوبة على الفور ، والثلاث ساعات يخرج العاصي بها عن
الفورية ، ولكن رأيت بخط سيدى الشيخ أحمد الزاهد أن حد الإصرار على الذنب أن يدخل
عليه وقت صلاة أخرى وهو لم يتب ، وهذا فيه رائحة تطويل المدة ، لكن ذلك لا ينضب
لزيادة الأوقات ونقصها صيفا وشتاء فليتأمل ، والله أعلم .

وروى الترمذى والنسائي وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على

شرط مسلم مرفوعا :

« إِذَا أَخْطَأَ الْعَبْدُ خَطِيئَةً نُكِّتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكَّةٌ ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ
صَلَّتْ ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَمَلُّوْا قَلْبَهُ فَذَلِكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ » (كَلَّا بَلْ
رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) » .

وروى البيهقي مرفوعا : « إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدًّا كَصَدِّ النَّحَّاسِ وَجِلَاوُهَا الْإِسْتِغْفَارُ » .

وروى أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه مرفوعا وقيل
إنه موقوف :

« مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ
اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ - وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ - « الآية .

وروى أبو داود والترمذى مرفوعا : « مَنْ قَالَ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَرَمَ مِنَ الزَّحْفِ .
ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد على شرطهما إلا أنه قال يقولها ثلاثا :
وروى ابن أبى الدنيا والبيهقى والأصبهاني عن أنس بن مالك قال :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرِهِ فَقَالَ : اسْتَغْفِرُوا فَاسْتَغْفِرْنَا فَقَالَ :
أَتَمُّوهَا يَعْني سَبْعِينَ مَرَّةً فَأَتَمَّهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْ
عَبْدٍ وَلَا أُمَّةٍ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فِي يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ ذَنْبًا وَقَدْ خَابَ
عَبْدٌ أَوْ أُمَّةٌ فِي يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ ذَنْبًا .

وروى الحاكم عن البراء بن عازب وقال صحيح على شرطهما فى قوله تعالى :
(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) .

هو الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفره الله لى .

وروى الحاكم وغيره مرفوعا : « مَنْ قَالَ اللَّهُمَّ مَغْفِرَتِكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي وَرَحْمَتِكَ
أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذعلمنا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحسن ظننا فى ربنا ، وأنه
يجيب دعائنا ولا نترك الدعاء أبدا استنادا إلى السوابق ، فإن فى ذلك تعطى للأوامر
الشرعية ، ولو تأمل العبد وجد نفس دعائه من الأمور السوابق ، ونحن نعلم من ربنا
جل وعلا أنه يحب من عبده إظهار الفاقة والحاجة ، ويشب عبده على ذلك سواء أعطاه
أو منعه ، وأكثر من يخل بالعمل بهذا العهد من سلك الطريق بغير شيخ ، فيترك الوسائل
كلها ويقول : إن كان سبق لى قضاء هذه الحاجة فلا حاجة للدعاء ، وإن لم يقسم لى قضاء

تلك الحاجة فلا فائدة في الدعاء ، وقد مكثت أنا في هذا المقام نحو شهر ثم أنهدني الله منه على يد شيوخ الشيخ محمد الشناري رحمه الله ، وفي القرآن العظيم :

(قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) .

فأخبر أن العبد من أدبه مع الله أن يدعو في كل شدة ولا يعول على السوابق ، فإن العبد لا يعلمها نفياً ولا إثباتاً ، وقد دعت الأكابر من الأنبياء والأولياء ربهم سبحانه وتعالى ولم ينظروا إلى السوابق :

(فَيَهْدَاهُمْ أَقْتَدِهٖ) والله يتولى هداك .

وروى مسلم واللفظ له والترمذي وابن ماجه مرفوعاً فيما يروى عن ربه عز وجل :

« يَا عِبَادِيَ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِيكُمْ . يَا عِبَادِيَ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ . يَا عِبَادِيَ كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِيكُمْ . يَا عِبَادِيَ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ » الحديث .

وروى الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه واللفظ لمسلم مرفوعاً :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي . »

وروى أبو داود مرفوعاً والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم

وقال صحيح الإسناد واللفظ للترمذي وقال حسن صحيح :

« الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ - وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ - » أي صاغرين .

وروى الترمذي والحاكم وإسناد كل منهما صحيح مرفوعاً :

« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ

فِي الرَّخَاءِ » .

وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد

مرفوعاً :

« لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ » .

وروى الترمذى والحاكم باسناد صحيح وحسن مرفوعا :

« مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَتْ عَنْهُ مِنْ الشَّوْءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، إِذَنْ نُكْثِرُ ، قَالَ اللَّهُ أَكْثَرُ » .

وروى الإمام أحمد والبخاري وأبو يعلى كلهم باسناد جيد والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ يُعْجَلَ لَهُ دَعْوَتُهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّوْءِ مِثْلَهَا ، قَالُوا إِذَنْ نُكْثِرُ قَالَ : اللَّهُ أَكْثَرُ » .

زاد في رواية الحاكم : « فَإِذَا عُجِّلَ لِلْعَبْدِ دُعَاؤُهُ فِي الدُّنْيَا وَرَأَى مَا أُدْخِرَ لِغَيْرِهِ فِي الْجَنَّةِ ، يَمَنَّ لَمْ يُسْتَجَبْ دُعَاؤُهُمْ قَالَ : يَا لَيْتَنِي لَمْ يُعْجَلَ لِي شَيْءٌ مِنْ دُعَائِي فِي الدُّنْيَا » الحديث بمعناه .

وروى أبو داود والترمذى وحسنه واللفظ له وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ حَتَّى كَرِيمٌ يُسْتَجَبُ إِذَا رَفَعَ الْعَبْدُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْرًا حَاتِبَتَيْنِ » والصفير : هو الفارغ .

وروى ابن حبان في صحيحه، والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعَمَلِ إِلَّا الْبِرُّ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُذْنِبُهُ » .

وروى البخاري والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« لَا يُغْنِي حَذْرٌ مِنْ قَدَرٍ ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيُنزَلُ فَيَتَلَقَاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

ومعنى يعتلجان : يتصارعان ويتدافعان .

وروى الترمذى وابن الدنيا مرفوعا :

« سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام . من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لاندعو ربنا بدعاء مخترع إلا إذا لم نستحضر شيئا من الأدعية الواردة ، وذلك لأن لفظ الشارع صلى الله عليه وسلم أمم وأكمل ونسكون به متبعين لا مبتدعين :

وسمعت سيدى عليا الخواص يقول : من دعا الحق تعالى بدعاء شرعه أجابه تعالى بسرعة ، ومن دعاه بدعاء مخترع لم يجبه إلا إن كان مضطرا .

وسمعت مرة أخرى يقول : لا يجيب الحق تعالى دعاء العبد في صلواته إلا إن كان الدعاء مشروعا ، ولذلك شرع تعالى لنا مناجاته بكلامه لأنه وحى منه بخلاف كلام الخلق هكذا قال ، فينبغى للعبد أن يحفظ له جملة من الأدعية الواردة ليدعو بها في الشدائد وغيرها :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ » .

وفي رواية للحاكم وقال صحيح على شرطهما :

« لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِأَسْمِهِ الْأَعْظَمِ » .

قال الحافظ المقدسى وإسناده لا مطعن فيه ولم يرد في هذا الباب حديث أجود إسنادا منه . قلت : والمراد بالاسم الأعظم فعامة الألفاظ الثلاثة بالجذاب الأعلى ، وإلا فليس لله اسم غير أعظم .

وقد قال رجل لذى النون المصرى : علمنى الاسم الأعظم ؟ فقال أرنى الأصغر وزجره .

وسمعت بعض العارفين يقول : الاسم الأعظم هو كل ما قام له التعظيم في قلب الداعى ،

فكأنه أعظم عنده من اسم آخر كما يقع فيه بعض العوام وإلا ففي قوة كل اسم مافى سائر الأسماء الإلهية لرجوعها كلها إلى ذات واحدة ، والله تعالى أعلم .

وروى الترمذى وقال حديث حسن :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ قَدْ اسْتَجِيبَ لَكَ فَسَلْ » .

وروى الحاكم مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ مَلَكَ مُوَكَّلًا بَيْنَ يَقُولِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، فَمَنْ قَالَهَا مَلَأْنَا ، قَالَ الْمَلَكُ إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أُقْبِلَ » .
ومعنى أقبل : أذن في الدعاء عليك فسل .

وروى الإمام أحمد واللفظ له وابن ماجه وأبوداود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم .

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِأَبِي عِيَّاشٍ وَهُوَ يُصَلِّي وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، يَا مَنْنَانُ ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » .

زاد في رواية : « يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِأَسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » .
زاد في رواية للحاكم :

« أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ » والله تعالى أعلم .

(أخذنا عينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانسأل الله تعالى شيئا إلا بعد أن نحمد الله تعالى ونصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك كالمهدية بين يدي الحاجة .

وقد قالت عائشة رضی الله عنها: منفتح قضاء الحاجة الهدية بين يديها ، فإذا حمدنا الله تعالى رضی عنا ، وإذا صلينا على النبي صلى الله عليه وسلم شفع لنا عند الله في قضاء تلك الحاجة ، وقد قال تعالى :

(وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) .

وتأمل بيوت الحكام تجدها لا يبد لك فيها من الوسطة الذي له قرب عند الحكام
وإدلال عليه ليمشى لك في قضاء حاجتك ، ولو أنك ظلمت الوصول إليه بلا واسطة لم
تصل إلى ذلك . وإيضاح ذلك أن من كان قريبا من الملك فهو أعرف بالألفاظ التي يخاطب
بها الملك وأعرف بوقت قضاء الحوائج ، ففي سؤالنا للوسائط سلوك للأدب معهم ،
وسرعة لقضاء حوائجنا ومن أين لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عز وجل .

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا سألت الله حاجة فاسألوه بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقولوا اللهم إنا نسألك بحق محمد أن تفعل لنا كذا وكذا ، فإن الله
مليكا يبلغ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له : إن فلانا سأك الله تعالى بحقك
في حاجة كذا وكذا فيسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه في قضاء تلك الحاجة فيجيب ،
لأن دعاه صلى الله عليه وسلم لا يرد ، قال : وكذلك القول في سؤالكم الله تعالى بأوليائه ،
فإن الملك يبلغهم فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي واللفظ له وقال حديث حسن واللساني

وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى ثُمَّ قَالَ :
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَأَرْحَمْنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَجَلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي ، إِذَا
صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَأَحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلِّ عَلَى مَنْ أَدْعُهُ ، قَالَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ :
ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي أَدْعُ اللَّهَ تُحِبُّ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن تؤخر الدعاء بحوائجنا
المهمة إلى الأوقات التي أخبر الحق تعالى أنه لا يرد فيها الدعاء كحال السجود بين الأذان
والإقامة ، وأوقات التجلي الإلهي في الثالث الأخير من الليل لاستدعائه تعالى منا الدعاء
فيها ، وما طلب ذلك منا إلا وقد أراد إجابتنا وقضاء حوائجنا ، فله الفضل وله الثناء الحسن
الجهيل ، ولكن يحتاج الداعي أن يكون ملبسا بأداب الدعاء ، ويتمحفظ جهده من أن
يدعو الله تعالى في حضور شيء إلا بعد تفويض ذلك الأمر إليه ، فرمما سأل العبد شيئا

فمكأن فيه هلاكه كما وقع لبلعام بن باعوراء ، وكما وقع لشعلية حين قال يارسول الله اسأل الله لي أن يكثر مالي فمكأن في ذلك هلاكه ، ولو أن العبد قال اللهم أعطني كذا أو ادفع عني كذا إن كان فيه صلاح لي لم يهلك ، لأنه تعالى إن أعطاه ما سأل كان خيرا ، وإن منعه إياه كان خيرا ، وإن دفع عنه ذلك البلاء كان خيرا ، وإن لم يدفعه كان خيرا .

ومن كلام سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه : إذا خيرك الله تعالى في شيء فإياك أن تختار ، وفر من اختيارك إلى اختياره ، فإنك جاهل بالعواقب .

وسمعت سيدي محمد بن عثمان يقول : من أقبح الذنوب عند الله أن يسأل العبد ربه في حصول شيء من غير تقويض ، ثم إذا أعطاه له وحصل له منه ضجر وتعب سأل الله تعالى أن يحوله عنه ، فإن الحق تعالى جوده فيأض على عبده وله أوقات لا يرد فيها سائلا ولو كان كافرا ، والحق تعالى ليس هو تحت أمرنا ولا طاعتنا ، حتى نقول له بكرة النهار مثلا افعل لنا كذا ثم آخر النهار نندم ونقول له حول عنا ما أعطيتنا لنا بكرة النهار هـ .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى يعلمه أدب الخطاب مع الله تعالى ، فإن غاية أدب العامة أن يعرفوا أدب الخطاب مع جنسهم من الخلق من ملوك وأولياء . وأما أدب خطابهم مع الله تعالى فلا بد لهم فيه من شيخ ربي في الحضرة الإلهية ، ومكث فيها زمتنا طويلا حتى صار يعرف أديها بانفعال وأدب أهلها على اختلاف طبقاتهم كما هو شأن من يدخل ويخرج حضرات ملوك الدنيا ليلا ونهارا :

(وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) .

وروى مسلم وأبو داود والنسائي مرفوعا :

« أَقْرَبُ مَا يَسْكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ » .

زاد في رواية : « فَقَمِّنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ » أى حقيق .

وروى مالك والشيخان والترمذي وغيرهم مرفوعا :

« يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ فَيَقُولُ :

مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » .

وفي رواية لمسلم : « إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى

السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى سُؤَالَهُ هَلْ مِنْ دَائِعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ .

قلت: قال العلماء ونزول الحق تعالى هو نزول يلحق بذاته لا يقدر الخلق على تعقله لمباينة الحق تعالى لخلقه في سائر المراتب، فلا يجتمع مع عباده في حد ولا حقيقة ولا جنس ولا نوع فكيف يصح لهم تعقل صفاته فاعلم ذلك .

وروى أبو داود والترمذى واللفظ له وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم مرفوعا :

« أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مَعْنَى يَدِ كَرُّ اللَّهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ » .

وروى الترمذى وقال حديث حسن عن أبي أمامة :

« قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ ، أَيُّ أَرْجَى لِجَابَةِ ؟ قَالَ جَوْفُ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ وَدُبْرُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ » والله تعالى أعلم .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكثر من الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا ونذكر لاختواننا ما في ذلك من الأجر والثواب ، ونرغبهم فيه كل الترغيب لإظهارا لمحبهته صلى الله عليه وسلم وإن جعلوا لهم وردا كل يوم وليلة صباحا ومساء من ألف صلاة إلى عشرة آلاف صلاة ، وكان ذلك من أفضل الأعمال .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : صلاة الله تعالى على عبده لا يدخلها العدد لأنه ليس لصلاته تعالى ابتداء ولا انتهاء وإنما دخلها العدد من حيث مرتبة العبد المصلي لأنه محصور مقيد بالزمان ، فتنزل الحق تعالى للعبد بحسب شاكلة العبد وأخبر أنه تعالى يصلي على عبده بكل مرة عشرًا فافهم ، ويؤيد ما قلنا كون العبد يسأل الله تعالى أن يصلي على نبيه دون أن يقول هو اللهم إني صليت على محمد مثلا لأن العبد إذا كان يجهل رتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرتبة الحق تعالى أولى ، فعلم أن تعداد الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو من حيث سؤالنا نحن الله أن يصلي عليه ، فيحسب لنا كل

سؤال مرة، ويحتاج المصلي إلى طهارة وحضور مع الله لأنهم مناجاة لله كالصلاة ذات الركوع والسجود ، وإن لم تكن الطهارة لها شرطا في صحتها منه وصاحبها جالس بين يدي الله عز وجل في محل القرب يسأل أن يصلى على نبيه ، وإن كان الفضل لمحمد صلى الله عليه وسلم أصالة فإنه هو الذى سن له أن يصلى عليه ليحصل للمصلي الصلاة من الله تعالى :

فمن واطب على ما ذكرناه كان له أجر عظيم وهو من أولى ما يتقرب به إليه صلى الله عليه وسلم وما في الوجود من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا وأخرى مثله صلى الله عليه وسلم ، فمن خدمه على الصدق والمحبة والصفاء دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المؤمنين كما ترى ذلك فيمن كان مقربا عند ملوك الدنيا ، ومرح نخدم السيد خدمته للعباد .

وكانت هذه طريقة شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ نور الدين الشونى نسبة إلى بلدة اسمها شونى قريبا من بلد سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ، وكذلك كانت طريقة الشيخ العارف بالله تعالى أحمد الزواوى المدفون بدمهور من أعمال البحيرة ، فكان ورد الشيخ نور الدين الشونى كل يوم عشرة آلاف ، وكان ورد الشيخ أحمد الزواوى أربعين ألف صلاة ، وقال لى مرة طريقتنا أن نكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يصير يجالسنا يقظة ونصحبه مثل الصحابة ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله صلى الله عليه وسلم فيها وما لم يقع لنا ذلك ، فلستنا من المكثرين للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

واعلم يا أختى أن طريق الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أقرب الطرق فمن لم يخدمه صلى الله عليه وسلم الخدمة الخاصة به وطلب دخول حضرة الله فقد رام المحال ، ولا يمكنه حجاب الحضرة أن يدخل ، وذلك لجهله بالأدب مع الله تعالى ، فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الإجماع بالسلطان بغسير واسطة فافهم .

فعليك يا أختى بالاكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كنت سالما من الخطايا فإن غلام السلطان أو عبده إذا سكر لا يمرض له الوالى أبدا ، بخلاف من لم يكن غلاما له ، ويرى نفسه على خدام السلطان وعبيده وغيرهم ، ولا يدخل من دائرة

الوسائط فإن جماعة الوالى يضر بونه ويعاقبونه ، فانظر حماية الوسائط وما رأينا قط أحدا تعرض لعلام الوالى إذا سكر أبدا إكراما للوالى ، فكذلك خدام النبى صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لهم الزبانية يوم القيامة إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد نفعت الحماية مع التقصير مالا تنفعه كثرة الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستناد الخاص .

وقد كان في زمن شيخنا الشيخ نور الدين الشونى من هو أكثر منه علما وعملا ، ولكنه لم يكن يكتر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يكتر الشيخ فلم يكن ينهض له علمه وعمله إلى التقریب الذى كان فيه الشيخ نور الدين فكانت حوائجه مقضية وطريقه ماشية وسائر العلماء والحاذيب تحبه ووالله ليس مقصود كل صادق من جمع الناس على ذكر الله إلا المحبة في الله ولا جمعهم على الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا المحبة فيه فافهم .

وقد قدما أوائل اليهود أن صحبة النبى صلى الله عليه وسلم البرزخية تحتاج إلى صفاء عظيم ، حتى يصلح العبد لمجالسته صلى الله عليه وسلم ، وأن من كان له سريرة سيئة يستحى من ظهورها في الدنيا والآخرة لا يصلح له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولو كان على عبادة الثقلين ، كما لم تنفع صحبة المنافقين ، ومثل ذلك تلاوة الكفار للقرآن لا ينتفعون بها لعدم إيمانهم بأحكامه .

وقد حكى الثعالبى في كتاب العرائس أن الله تعالى خلقا وراء جبل ق^٢ لا يعلم عددهم إلا الله ، ليس لهم عبادة إلا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اه .

وقد حجب لى أن أذكر لك يا أخى جملة من فوائد الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تشويقا لك ، لعل الله تعالى أن يرزقك محبته الخالصة ، ويصير شغلك في أكثر أوقاتك الصلاة والتسليم عليه ، وتصير تهدي ثواب كل عمل عملته في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أشار إليه خبر كعب بن عميرة أنى أجعل لك صلاحك كلها ، أى أجعل لك ثواب جميع أعمالى ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :

« إِذَنْ يَكْفِيكَ اللهُ تَعَالَى هَمَّ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ » .

فمن ذلك وهو أهمها صلاة الله وسلامه وملائكته ورسوله على من صلى وسلم عليه ،

ومنها تكفير الخطايا وتزكية الأعمال ورفع الدرجات ، ومنها مغفرة الذنوب ، واستغفار الصلاة عليه لقائلها ومنها كتابة قيراط من الأجر مثل جبل أحد ، والكيل بالكيل الأوفى ومنها كفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها عليه كما تقدم ، ومنها نحو الخطايا وفضلها على عتق الرقاب ، ومنها النجاة من سائر الأهوال وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بها يوم القيامة ، ووجوب الشفاعة ، ومنها رضا الله ورحمته والأمان من سخطه والدخول تحت ظل العرش ، ومنها رجحان الميزان في الآخرة وورود الحوض والأمان من العطش ، ومنها العتق من النار والجواز على الصراط كالبرق الخاطف ، وورية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت ، ومنها كثرة الأزواج في الجنة والمقام الكريم ومنها رجحانها على أكثر من عشرين غزوة وقيامها مقامها ، ومنها أنها زكاة وطهرة ينمو المال ببركتها ، ومنها أنه تقضى له بكل صلاة مائة حاجة بل أكثر ، ومنها أنها عبادة وأحب الأعمال إلى الله تعالى ، ومنها أنها علامة على أن صاحبها من أهل السنة ، ومنها أن الملائكة تصلى على صاحبها مادام يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها أنها تزين المجالس وتنفي الفقر وضيق العيش ، ومنها أنها يلتمس بها مظان الخير ، ومنها أن فاعلها أولى الناس به صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، ومنها أنه ينتفع هو وولده بها وبثوابها ، وكذلك من أهديت في صحيفته ، ومنها أنها تقرب إلى الله عز وجل وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومنها أنها نور لصاحبها في قبره ويوم حشره على الصراط ، ومنها أنها تنصر على الأعداء وتطهر القلب من النفاق والصدأ ، ومنها أنها توجب محبة المؤمنين فلا يكره صاحبها إلا منافق ظاهر النفاق ، ومنها رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام إن أكثر منها في اليقظة ، ومنها أنها تقلل من اغتياب صاحبها وهي من أبرك الأعمال وأفضلها وأكثرها نفعاً في الدنيا والآخرة وغير ذلك من الأجور التي لا تحصى .

وقد رغبتك بذكر بعض ثوابها فلأزم يا أخى عليها فإنها من أفضل ذخائر الأعمال ، وقد أمرني بها أيضاً مولانا أبو العباس الخضر عليه السلام ، وقال لازم عليها بعد الصبح كل يوم إلى طواع الشمس ، ثم اذكر الله عقبها بحاسا لطيفا فقلت له سمعا وطاعة ، وحصل لى ولأصحابى بذلك خير الدنيا والآخرة وتيسر الرزق بحيث لو كان أهل مصر كلهم عائلتي ما حات لهم ها فالحمد لله رب العالمين .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه مرفوعا .

« مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا » .

وفي رواية للترمذي : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ » .

وروى الإمام أحمد والنسائي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم :

« الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا » .

وفي رواية : « عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْرًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِائَةً ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةً كُتِبَ لَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَأُسْكِنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ » .

وروى الإمام أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي أَلَا أُبَشِّرُكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا بإسناد حسن :

« مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ سَبْعِينَ صَلَاةً » .

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعا :

« حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ تَبْلُغُنِي » .

وروى أبو حفص بن شاهين : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ » .

وروى البيهقي مرفوعا بإسناد حسن : « إِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُرْمَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ » .

مُجْمَعَةٍ ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَى صَلَاةٍ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنزِلَةً » .
وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ قَالَ جَزَى اللَّهُ عَنَّا مُحَمَّدًا مَا هُوَ أَهْلُهُ أَنْتَعَبَ
سَبْعِينَ كَاتِبًا أَلْفَ صَبَاحٍ » .

قلت : وهي من أورادى فأقولها ألف مرة صباحا وألف مرة مساء كل يوم فالحمد لله
وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ قَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ الْمُقَرَّبَ
عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي » .

وروى الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه ، وقال الترمذي حسن صحيح :
« عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ
فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي قَالَ مَا شِئْتِ قُلْتُ الرَّبِيعُ قَالَ مَا شِئْتِ ، وَإِنْ زِدْتِ فَهَوَ
خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ النُّصْفُ ، قَالَ مَا شِئْتِ وَإِنْ زِدْتِ فَهَوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي
كُلَّهَا قَالَ إِذَنْ تُسَكِّنِي هَمَّكَ وَيُغْفِرُ ذَنْبَكَ » .

وفي رواية لهم : « إِذَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ هَمَّ ذُنُوبِكَ وَآخِرَتِكَ » .
وقوله فكم أجعل لك من صلاتي ، قال الحافظ المنذرى ، أى كم أجعل لك من
دعائى صلاة عليك اه .

وقال الشيخ أبو المواهب الشاذلى : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول
الله ، مامعنى قول كعب بن عجرة فكم أجعل لك من صلاتي ، قال : أن تصلى على وتمدى
ثواب ذلك إلى لا إلى نفسك اه :

والأحاديث فى فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة مشهورة والله
تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب لإخواننا الذين
لم يكثرُوا التَّعَبُ بِعِلْمٍ وَلَا غَيْرِهِ فِي التَّكْسِبِ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالزَّرَاعَاتِ وَكُلِّ عَمَلٍ يَسَاعِدُهُمْ
عَلَى الْقَوَاتِ بِطَرِيقِهِ الشَّرْعِيِّ عَلَى وَجْهِ إِحْلَاصٍ لَا عَلَى وَجْهِ التَّكَاثُرِ وَالْمُفَاخَرَةِ بِمَطَاعِمِ
الدُّنْيَا وَمَلَابِسِهَا وَشَهْوَاتِهَا ، فَإِنَّ مِنْ اِكْتَسَابِ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِ التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ ، فَمَنْ لَازَمَهُ
تَعَدَّى الْحُدُودَ الشَّرْعِيَّةَ فِي الْحُلِّ لِأَنَّ الْحُلَالَ فِي كُلِّ زَمَانٍ لَا يَتَحَمَّلُ الْإِسْرَافَ .

وقد زار الحسن البصرى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، فأخرج له عمر كسرة
يابسة ونصف خيارة ، وقال : كل يا حسن فإن هذا الزمان لا يتحمل الحلال فيه
الاسراف اه ، فلا ترى أحدا في سعة من الدنيا إلا وهو قليل الورع فيغش وينصب ،
ويبيع على المكاسين وأكلة الرشا وغيرهم ، وأما إن طلب التوسع في الدنيا بغير طريق
التكسب الشرعى وأقبل على العبادة فرمما أكل بدينه ، ووقع في الرياء والنفاق لمن يحسن
إليه ، وإن لم يكن مقبلا على العبادة ساق الناس بألسنة حداد إذ لم يعطوه ما طلب فالتكسب
الشرعى أولى بكل حال .

وقد ورد أن الله تعالى علم آدم عليه السلام ألف حرفة ، وقال له يا آدم قل لبنيك
يكتسبون بهذه الحرف ولا يأكلون بدينهم .

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : قد تغير التكسب اليوم على كل فقير
وفقيه لعدم من يتقدمهم بالبهر والإحسان في هذا الزمان لقلّة المكاسب ، فقد صار التاجر
اليوم يمكث الثلاثة أيام أو أكثر لا يستفتح ، فكيف يفتمد غيره ، وهو لم يعمل بقوت
نفسه وعياله وضيوفه ، فضلا عن المغارم التي عليه من كراء بيت وحانوت وعوائد للظلمة
من غفراء ورسل محتسب ومشد التراب ومشد الفلوس ، والذهب في الأسواق ، فالتاجر
في أغلب أيامه ينفق من رأس ماله أو ماله أو مال غيره الذى هو عامل فيه ، ومثل هذا
لا يطالب أن يفتمد فقيرا ولا فقيها ، لا سيما إن كان الفقير أو الفقيه غير مخلص في علمه
وعبادته ، وأمل الفلاح فهو طول سنته في شقاء وتعب وكأفت لقصاد الكشاف والعمال
والعرب والعشير وأتباعهم فلا يزال يقدم هؤلاء كلما كان عنده من لبن وسمن ودجاج وغنم
حتى أنه يبيع غزل امرأته لهم ثم آخر السنة يحملونه عاطل البلد زيادة على خراجه وربما
رسموا على زرعه في الجرن فيطلب لأولاده منه طحيننا فلا يمكنه من ذلك فيما يبتهم جعلوه
كغلمان الأمين الذين لهم عادة ، ومعلوم أن القرى هي مادة الأمصار فجميع ما في الأمصار
إنما يحمل من القرى ، فوالله لقد صارت الرعية اليوم بأعمالهم السيئة ؛ كأنهم في صحراء
من نار أو كسمك كان في بركة فنزل عنه الماء ، فصارت الكلاب والجوارح تفسخه
بالنهار والذئب والثعالب تفسخه بالليل ، وما بقى يرجى عود الماء في البركة الذى
هو كناية عن الرحمة لينغمر فيه السمك ، ولا يعرف ما قلناه إلا الذين يلزمون بما لا يلزم
ممن تقدم ذكرهم من السوق والفلاحين .

وسمعت سيدي عليا الخواص يقول : غالب أهل النعم لا تعرف مقدارها إلا بالتحول كما حكى أن عبدا كان سيده يكرمه ويلبسه الثياب الحسنة ويأكل معه على السماط فتنكر عليه سيده يوما ونقمة فقال بعني في سوق السلطان فاشتره إنسان حاله أضييق من سيده ، فخلع عنه ثيابه وألبسه خليقات وصار يطعمه من فضلة السماط ، فقال سوق السلطان ، فاشتره إنسان حاله أضييق من الثاني فصار يأكل الدقيق ويطعمه النخالة فقال سوق السلطان ، فاشتره إنسان يأكل النخالة ويجوعه ، فقال سوق السلطان ، فاشتره إنسان يجوع ويجوع العبد معه ، واحتاج في ليلة إلى منارة يضع عليها المرسجة ، فما وجد شيئا فأجلسه ، ووضع المرسجة على رأسه إلى بكره النهار ، فقال سوق السلطان ، فوجده فقير وهو خارج إلى السوق ممن كان يعرف حاله الأول ، فذكر له قصته مع هؤلاء الذين اشتروه فقال له : إن سمعت مني رددتك إلى سيدك الأول ، فقال : وماذا أصنع قال تعترف له بالنعمة فاعترف فرجع فاشتره سيده الأول ، فما عرف هذا العبد مقدار النعمة إلا بتحويلها لاسما من فتح عينه على النعمة من غير اكتساب كالجالسين في مثل جامع الأزهر أو الزوايا التي لها خبز وجوامك وليس عليهم مغارم فإن هؤلاء لا يعرفون ما الخلق فيه وربما بطر أحدهم النعمة التي هو فيها حتى صار يرد على الخادم والنقيب الخبز اليابس ، فحول الله عنه النعمة ثم إنه يريد استرجاعها فلا يتيسر له ذلك أبدا .

وقدرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرة يابسة في بيت عائشة رضی الله عنها تحت حائط وقد علاها الغبار ، فأخذها صلى الله عليه وسلم ونفخ التراب عنها ثم أكلها وقال :
 « يَا عَائِشَةُ أَحْسِنِي مُجَاوِرَةَ نِعَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ النُّعْمَةَ قَلٌّ مَا تَفَرَّتْ عَنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ » .

وفي القرآن العظيم : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) .

ففهمننا من هذه الآية أن النعم لا تتحول عن صاحبها وهو شاكر لله تعالى أبدا .

وقد أخبرنا الشيخ عبد الحلیم بن مصلح ببلاد المنزلة رحمه الله تعالى قال : بيت جماعة من الفقراء في الزاوية حتى زوجتهم ، وكانوا يخدمون وأزواجهم في الزاوية ، فتركوا ذلك

تكبيرا ، فنقص رزقهم عما كان ، ثم لأنهم طلبوا أن يعملوا لهم صنائع فنقص الرزق عما كان ، ثم تركوا الجلوس على السباط مع الفقراء والمساكين والعميان وصاروا يأخذون خبزهم وطعامهم منفردين متكبرين فنقص الرزق عما كان ، ثم اختصروا الأسباع التي ربت عليهم فيها كل خمسة أحزاب وجعلوها خريين ، وبعضهم جعلها ثلاثة ، واختصر المؤذنون نوب الأذان في الخمسة الأوقات إلى وقتين أو ثلاثة فنقص رزق المؤذنين وقرأه الأسباع بقدر ما نقصوا ، وتعطل بعض الحراج عما كان ثم لأنهم امتنعوا من خدمة بعضهم بعضا ، فصاروا لايسافرون ليأتوا بالقمح والخطب مثلا إلا بعوض بعد أن كانوا يسافرون طلبا للأجر والثواب فنقص الرزق عما كان ، ثم لأنهم امتنعوا عن السفر بالأجرة أيضا حين صار معهم بعض فلوس حصلوها من جوامكهم وأظهروا الغنى عن مثل ذلك فنقص الرزق عما كان ، ثم لأنهم منعوا زوجاتهم عن غريبة القمح ترفها فنقص الرزق عما كان ، ثم لأنهم منعوهن من العجين فنقص الرزق عما كان ، ثم لأنهم طلبوا تخفيف عدد المحاورين فطلبوا التخصيص بتفرقة الجبن والعسل وغير ذلك عليهم وحدهم دون غيرهم فنقص الرزق عما كان اه.

قلت : وقد ربيت أنا جماعة فسكانوا في أرغد عيش فتمحرت نفسهم لمحبة الدنيا فنقص رزقهم عما كان وكفروا بواسطى لهم في الرزق ، فقلت لهم : إن الله تعالى كما جعل مفاتيخ رزقكم بيدي كذلك ربما يجعل المنع بيدي عقوبة لكم فلم يسمعوا ، فما مكثت نحو شهر حتى وقع التفتيش في الأوقاف والرزق فخرجت جباة الزاوية كلها للسلطان ، فنعوا يدنا عن استخراجها ، حتى يعرضوا فيها للسلطان ببلاد الروم ، فهي معطلة إلى الآن .

قلت : وقد وعدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة العشرين من شهر صفر سنة ثمان وخمسين وتسعمائة بعودها إلى الزاوية إن تابوا ودخلوا في الأدب والتربية حتى يرجعوا عن جميع ماوقعوا فيه من أسباب تنقيص الرزق اه. ولو أنهم سمعوا لشيخهم فيما يأمرهم به من الهدى ما تغير عليهم حال ، فإنه كرئيس المركب ، وكم غرقت مركب قال الرئيس للنوتية اطووا القلع في هذا الريح أو أرخوا جبل الراجع فلم يفعلوا ففرقت ، فالله تعالى يلهم جميع الإخوان سماع نصيحتى وعدم مخالفتى حتى لا يندموا حيث لا ينفهم الندم فيطلبوا رجوع رزقهم إليهم كما كان فلا يصح لهم ويطلبوا عمل

الحرف من التجارة والحدادة وخطاطة التعال مثلا فلا يصبرون ويطلبون الرجوع إلى عبادة الله كما كانوا ، فلا يقدرون فيها فيهلكون ثم لا يهونون على كما لا يهون على الوالد ضرر الولد العاق له ، ثم أقل ما يمكن الإنسان في عمل الحرفة التي يأخذ منها الخبز والأدم من أول النهار إلى بعد العصر ، وربما كانت تلك الأجرة لا تكفيه ، ولذلك ينبغي للفقير القاطن في زاوية أن يشتغل بالله في أوراده بقدر ما يشتغل المحترف في حرفته ولا يكفيه الاشتغال في ورده من الفجر إلى الضحى مثلا .

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : قد شرعت النعم التي بأيدي الخلائق في التحويل واحتاجوا في تسخير أرزاقهم إلى المشي على قواعد أخرى غير ما كانوا عليه ، وما بقي يكفي أحدهم في تسخير النعمة له العمل الذي كان عليه في الزمن الماضي . وجملة الأمر أن من كان له شيخ يجب عليه أن لا يخالفه فإنه لا يستعمل كل واحد إلا فيما يصلح له ولا يمنع أحدا من شيء إلا وهو يضره فأعلموا ذلك أيها الإخوان والله يتولى هذا كم آمين .

وروى البخاري وغيره مرفوعا : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » .
يعنى يضمفر الخوص كما في رواية . وروى ابن ماجه مرفوعا :
« مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ » .

وروى الإمام أحمد والبخاري والطبراني :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ الْكَسْبِ ؟ فَقَالَ بَيْعُ مَبْرُورٍ ، وَعَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ » .

وروى الطبراني ورجاله رجال الصحيح والبيهقي مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ » .

وفي رواية له أيضا عن كعب بن عجرة قال : « مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَرَأَى أَمْنَحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَلْدِهِ وَنَشَاطِهِ ؛ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وِلْدَةٍ صِغَارٍ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبِي بْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ .
وروى الطبراني مرفوعا: « مَنْ أَمْسَى كَالَأَمْسَى يَدِهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ » .

وروى الأصبهاني وغيره مرفوعا : « نِعْمَ هُوَ الْمَرْأَةُ مِعْزُهَا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نهكر في طلب الرزق مبادرة لقطع خاطر الاهتمام بأمر الرزق لاحبا للدنيا من حيث هي دنيا ، فإن في الآدى ماعدا الأكارب جزءا . يهتم بأمر المعيشة ويضطرب ولا يسكن حتى يحصل العبد كفايته ذلك اليوم . وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يفتحون حوانيتهم فإذا ربحوا قدر نفقة ذلك اليوم أغلقوا الحانوت ورجعوا إلى بيوتهم ، وكذلك بلغنا عن الشيخ المحقق الصالح جلال الدين المحلى شارح المنهاج أنه كان يفتح حانوته من بكرة النهار فيبيع الناس القماش ويقول : إنما أبكر للسوق اغتناما لدعائه صلى الله عليه وسلم بالبركة لمن يبكر في طلب رزقه ودعاؤه لا يرد فلا يزال يبيع حتى يتعالى النهار ثم يغلقه ويرجع إلى الجلوس لإقراء الناس في المدرسة المؤيدية أو غيرها .

وكان سيدى على الخواص يفتح حانوته إلى أذان العصر فيغلقه ويقول دخل وقت التأهب لليل ، وكان إذا فتح حانوته قال : بسم الله الرحمن الرحيم نويت نفع عبادك يا الله فلا يزال يقضى للناس حوائجهم من زيت وطحينة وأرز وفول وبيع قفاف وغير ذلك حتى ينصرف ، وكان إذا عرف من إنسان أنه لا يعتقده يرجح له الوزن والكيل ، وإن عرف أنه يعتقده أعطاه على تحرير الذهب ، وكان إذا أخذ إنسان منه شيئا بدرهم وماطله يذهب إلى داره ويطلبه كذا كذا مرة في اليوم الواحد ويقول نعظم حقوق الناس عندهم حتى لا يتساهلون في قضائها في دار الدنيا ، ونخلصهم بمطالبتنا لهم من مئتنا عليهم يوم القيامة إذا سألناهم بذلك في الدنيا ونربح أنفسنا أيضا من رؤيتها أن لها حقا على أحد من عباد الله تعالى :

وقد أودعنا غالب آداب رضى الله عنه في طريق كسبه في كتاب [البحر المورود] فراجعها ، فعلى ما قرناه يحمل ما ورد من الترغيب في عدم المبادرة إلى السوق على من لم يكن له نية صالحة ، وإنما يبادر اهتماما بالدنيا لكونها أكبر همه .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

وروى أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه :

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا » .

وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار ، وكان صخر بن وداعة الغامدى تاجرا فسكران يبعث فى تجارته مع أول النهار فأثرى وكثر ماله . قال الحافظ : وروى هذا الحديث جماعة كثيرون من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم على وابن عباس وابن مسعود وعدة عشرة .

وروى البزار والطبرانى مرفوعا :

« بَا كِرُوا طَلَبَ الرِّزْقِ فَإِنَّ الْغُدُوَّ بَرَكَةٌ وَنَجَاحٌ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتعاطى أسباب تعسير الرزق كعدم الإيثار وكالمعاصى الظاهرة والباطنة من زنا وغيبة وحقد وحسد وتكبر وفخر وعجب ، وكانوم فى الأسحار وقت تفرقة الغنائم وكانوم بعد الفجر حتى يتعالى النهار :

وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إن الله تعالى يقسم الأرزاق المحسوسة بعد صلاة الصبح والأرزاق المعنوية بعد صلاة العصر ، قال : ولذلك نهينا عن النوم فى هذين الوقتين لأن فيه إظهار عدم الفاقة وعدم الأعتناء بمشاهدة من يقسم الأرزاق من قبل الحق تعالى :

وسمعته مرارا يقول : والله إنه ليصبح عندى نفقة الجمعة أو أكثر ويكون على اليوم فلا أنام لأجل حضورى بقلبي مع الله تعالى وقت القسمة ، حتى لا أظهر عدم احتياجى إلى فضله فى وقت من الأوقات اه :

وقد كان لى مرید ، فسكنت إذا فرقت تينا أو عنبا أو حلوة يحضر مع الفقراء محبة فى رؤيتى لا لعلة أخرى فاصطفاه الله إلى حضرته رحمه الله ، وكنت إذا اطلعت على ما فى قلبه من ذلك القصد أكاد أدخله فى قلبى من شدة أدبه معى ، وأيضا فى النوم بعد الصبح علة أخرى ، وهو أنه يورث وجع الجنب كما تجربته ، وذلك أنى كنت أسهر ليلة الجمعة فى مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من العشاء إلى صلاة الصبح ، فسكنت

أصل الصبح وأنام ، فاعتراني وجع الجنب ولا أعرف سببه ، فرأيت شيخى الشيخ الصالح المحدث الشيخ أمين الدين بن النجار إمام جامع الغمري بالقاهرة ، فروى لي حديثا سنده بالسرياني عن أنس بن مالك ومنتنه بالعربي ، وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ وَاطَبَ عَلَى النَّوْمِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالْبَعْجِ » .

فقلت للشيخ : وما هو البعج ؟ فقال : هو وجع الجنب ، فتركت النوم بعد الصبح حتى تطلع الشمس فزال المرض بحمد الله تعالى .
وروى الإمام أحمد والبيهقي وغيرهما مرفوعا :
« نَوْمُ الصُّبْحِ يَمْنَعُ الرَّزْقَ » .

وروى البيهقي عن فاطمة رضى الله عنها قالت :

« رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ فَحَرَّ كَنِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِجْلِهِ ، فَقَالَ قَوْمِي اشْهَدِي رِزْقَ رَبِّكَ وَلَا تَكُونِي مِنَ الْغَافِلِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُقَسِّمُ أَرْزَاقَ النَّاسِ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ » .

وروى البيهقي أيضا عن علي رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة ، بعد أن صلى الصبح وهى نائمة فذكره بمعناه .

وروى ابن ماجه عن على ، قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النوم قبل طلوع الشمس » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نجعل في طلب أرزاقنا ولا نعتمد للرزق كل مرصد إيماننا بأن ما قسمه الله تعالى لنا لا يقدر أهل السموات وأهل الأرض أن يردوا عنا منه ذرة ، كما أن من لم يقسمه الحق تعالى لنا لا يقدر أحد أن يوصل إلينا منه ذرة ، وكان على هاتذا القدم أخى العبد الصالح الشيخ عبد القادر شقيقى رحمه الله ، كان يزرع القمح والفلو والسمسم وغير ذلك مع الشركاء ، فلا يعرف أين هو الطين الذى زرع ذلك فيه ، ولا أين وضعوه فى الجرن ، فلا يزال كذلك حتى يدرسوه ويلدروه فى الريح ولا يحضره إلا وهو داخل الدار فهما أعطاه الشركاء قبله منهم من غير أن تحدثه نفسه بمحاشيتهم ، وأرسلت له مرة أن يوقف على مقشاة بطيخنا الذى زرعه فى الجزيرة قريبا منه حارسا يحرسه حتى يرسل له المركب نوسقه فأبى

وأرسل يقول لى: وبعد ، فإن ما قسم الله لأهل الريف أن يأكلوه لا يقدر أحد أن يحمل منه شيئاً إلى مصر ، وما قسمه الله لأهل مصر لا يقدر أحد من أهل الريف أن يأكل منه شيئاً ، فلا حاجة إلى حارس ، فقلت له فى ذلك تعطيل الأسباب ، فقال : لا تعطيل إن شاء الله تعالى ، فإن الحارس إنما جعل لطمأنينة قلب المنزل فى إيمانه بأن ما قسمه الحق تعالى له لا يمكن أن غيره يأخذه وأنت بحمد الله إيمانك صحيح فلا حاجة لحارس اه ، فعمل أن من تحقق بهذا الإيمان لا يحتاج قط إلى غلق بابه على شىء من حوائجه ، إلا من حيث منع اللصوص عن السرقة لما عنده من أموال الناس ومساعدته لهم بعدم غلق الباب ، فإنه إذا غلقه عسر عليهم الوصول إلى ما يسرقونه ، وكذلك إذا كان يأكل الدجاج المحشو أو الكلاب والوزينج ونحو ذلك لا يحتاج إلى غلق بابه خوفاً من أحد يدخل .

وقد وقع لى مرة أنى كنت آكل فى دجاج أنا وأخى للشيخ الصالح العالم العلامة نور الدين الطنتائى ، فسمع الله فى أجله ، فقلت : هذا وقت مجيء الشيخ الصالح شمس الدين الخطيب الشربينى ، وكان بيننا نحن الثلاثة صداقة وود ، فقال لى الشيخ نور الدين اغلق الباب لئلا يجيء الخطيب فيأكل دجاجنا ، فقلت له : لا يخلو الحال من أمرين إما أن يكون قسم له أكله فلا يمكننا منعه ولو قفلنا الباب جاء من الحيط ، وإما أن لا يكون قسم له معنا أكل فلا يحتاج إلى غلق باب ، فقال : اغلق الباب وخذ فى الأسباب ، فقلت له : ما دليلك فى ذلك ؛ فقال حديث :

« أَعْقِلْ وَتَوَكَّلْ » .

فقلت له : ذلك فى حق من يخاف فوات شىء هوله ، وأنا لا أخاف من ذلك ، فقال : تمنعه من الأكل حتى تحرر نيتك فى مسامحتك بما يخصك من الدجاجة ، فقلت له : قد ساعدته من قبل أن يدخل ، وإذا كان خاطر الإنسان طيباً منسرحاً لما يأخذه اللص فلا تحريم على اللص إلا من حيث القصد للجرام لا من حيث أكله الطعام مثلاً ، لأن تحريم الأكل عليه إنما كان لأجل الأذى وعدم طيب النفس ، بدليل قرائن أدلة الشريعة ، فسكت الشيخ نور الدين ، ثم دخل الشيخ الخطيب وأكل ما قسم له رضى الله تعالى عنهما .

فإياك يا أحمى أن تراحم على رزق بحيث تؤذى أحداً فى طريق تحصيله ، واعمل على جلاء مرآة قلبك من الصدأ والغبار المانع من تحقيق الإيمان على يد شيخ صادق ليخرجك من حضرات الأوهام إلى حضرات اليقين ، بحيث تصير لا تتم بالحضور إلى محل تفرقة السلطان مثلاً ما لا على العلماء والصالحين ، ولا تتأثر على فوات ذلك إذا نسوك ، ولا تتأثر

من منهم أن يكتبوا اسمك ، ولا ممن قال لهم امسحوا اسم فلان بعد الكتابة لأنه غنى غير محتاج إلى مثل ذلك أو قال لا تعطوه إلا إن حضر فإنه كبير النفس يحب الضخامة ، ونحو ذلك :

فامتحن يا أخى نفسك فى إيمانك فقد أعطيتك الميزان وأنت أعرف بنفسك ، فإن رأيتها تأثرت من منعها فالواجب عليك أن تتخذ لك شيخا يريك إلى حضرات اليقين ، فإنك مغمك من ذلك ولا تعتذر بعدر فتموت على نقص فى إيمانك ، فكم قتل الناس بعضهم على تحصيل الدنيا فضلا عن ترك المزامحة عليها ، ولو أن إيمانهم كان كاملا لم يفعلوا شيئا من ذلك :

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : الرزق فى طلبه صاحبه دائر والمرزوق فى طلب رزقه وبسكون أحدهما يتحرك الآخر .

وكان كثيرا ما يقول : لأن تجيء إلى ربك وأنت كامل الإيمان مع النقص فى الأعمال خير لك من أن تأتى بعبادة الثقلين وفى إيمانك ثلثة ، فإن السعادة دائرة مع كمال الإيمان وصحته اهـ :

ويتعين السلوك قولاً واحداً على كل تاجر حصل عنده حزاة فى صدره بكثرة وقوف الزبونات على جاره دونه ، وكذلك يتعين على كل عالم أو شيخ حصل عنده حزاة بكثرة المريدين لأحد من أقرانه أو بتركهم درسه واجتماعهم على غيره ، بحيث لم يبق عنده أحد من الطلبة أو المريدين أن يتخذ له شيخا يسلك على يديه ، حتى يرقيه إلى درجة الإخلاص ، بحيث يشرح لكل من تحول من طلبته إلى غيره ، فن تكرر من طلبته إذا تحولوا عنه فليس له فى الإخلاص نصيب كما صرحت به الأخهار ، والله يتولى هداك :

و (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى الترمذى وقال حديث حسن ومالك وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أَلَسَمْتُ الْحَسَنُ وَالْثَوَدَةَ وَالْأَقْتِصَادُ جُزْءًا مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا

مِنَ النَّبُوَّةِ » .

ولفظ مالك وأبو داود : « مِنْ تَحْسِينِ وَعِشْرِينَ » .

وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبْدٌ رِيمُوتَ حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَ رِزْقِهِ هُوَ لَهُ فَأُجِلُوا فِي طَلَبِ أَخْذِ الْخِلَالِ وَتَرَكَ الْحُرَامِ » .

وفي رواية لابن ماجه مرفوعا : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوِيَ فِي رِزْقِهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا ، فَخُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرَّمَ » .

وفي رواية له أيضا : « أُجِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كَلَامَ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ » .

وفي رواية للحاكم : « فَإِنَّ كَلَامَ مُيسَّرٍ لِمَا كُتِبَ لَهُ مِنْهَا » .

وفي رواية للحاكم : « فَإِنْ اسْتَبْطَأَ أَحَدُكُمْ رِزْقَهُ فَلَا يَطْلُبُهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ فَضْلَهُ بِمَعْصِيَتِهِ » .

وروى ابن حبان في صحيحه والبخاري والطبراني بإسناد جيد مرفوعا :

« إِنَّ الرِّزْقَ لِيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ » .

وافظ الطبراني : « أَكْثَرَ مِمَّا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ » .

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعا :

« لَوْ فَرَ أَحَدُكُمْ مِنْ رِزْقِهِ أَدْرَكَهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « لَا تَعْجَلَنَّ إِلَى شَيْءٍ تَظُنُّ أَنَّكَ إِنْ اسْتَعْجَلْتَ إِلَيْهِ

أَنَّكَ مُدْرِكُهُ إِنْ كَانَ لَمْ يَقْدِرْ لَكَ ذَلِكَ ، وَلَا تَسْتَأْخِرَنَّ عَنْ شَيْءٍ تَظُنُّ أَنَّكَ إِنْ اسْتَأْخَرْتَ عَنْهُ أَنَّهُ مَرْفُوعٌ عَنْكَ إِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْرَهُ عَلَيْكَ » .

وروى الطبراني بإسناد جيد وابن حبان في صحيحه والبيهقي :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى تَمْرَةً غَابِرَةً فَأَخَذَهَا فَنَآوَلَهَا سَائِلًا

فَقَالَ : أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَأْخِزْهَا لَأَتَيْتَكَ » .

وروى الطبراني مرفوعا ، وقيل إنه موقوف على ابن مسعود ، قال الحافظ المنذرى وهو أشبهه :

« لَوِ اجْتَمَعَ الثَّقَلَانِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ عَلَى أَنْ يَصُدُّوا عَنِ الْعَبْدِ شَيْئًا مِنْ رِزْقِهِ مَا اسْتَطَاعُوا » .

وروى ابن حبان في صحيحه : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا حَسَنًا وَسَوَازِرَ ابْنِي خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَالَ لَا تَيْسَأَسَا مِنَ الرَّزْقِ ، مَا هَزَّهَتْ رُؤُوسُكُمْمَا خَانَ الْإِنْسَانَ تِلْدَهُ أُمُّهُ أَحْمَرٌ وَهُوَ لَيْسَ عَلَيْهِ قَشْرٌ ، ثُمَّ يُفْطِيهِ اللَّهُ وَيَرْزُقُهُ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نجتهد في طلب الحلال لتأكل منه ونلبس منه وننفق على عيالنا وإخواننا منه ، فإنه موجود مادام المسكلفون في الدنيا ، وإذا صدق العبد في طلب الحلال استخرجه الله من بين الحرام والشبهات ، كما يستخرج اللبن من بين فرث ودم ، فلا تسمع يا أخى إلى قول من يقول ما بقى في الدنيا حلال فإن ذلك جهل منه وأصل ذلك كثرة أكله هو من الحرام والشبهات ، فظن أن أحدا لا يسلم من ذلك قياسا عليه هو ، وغاب عنه أن الله تعالى إذا اعتنى بعبد طهره من الخبائث ، ويسر له الحلال الصريف الخالص ، فلولا ما سبق في علم الله تعالى من خبث نفس هذا القائل ماساق إليه الخبيث ، قال تعالى :

(الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ)

فن خبثت نفسه سبقت للخبيث ، وسبق الخبيث لها ، ومن طابت نفسه سبق لإيها الرزق الطيب وسبقت إليه ، فاعمل يا أخى على إصلاح النية واطلب الحلال جهدا ، فإن رزقت حلالا فاحمد الله ، وإن رزقت حراما فاستغفر الله ، وقد بذلت جهدا فلا يبقى عليك إن شاء الله تعالى كثير لوم في الآخرة كماوم من أخى عنانه في أكل الحرام ولم يجاهد نفسه ولم يدافع الحرام ، وقد كلف الله تعالى العبد بمدافة الحرام ولو كشف له أن الله قسمه له ، ومتى لم يدافع عصى فلا يقال كيف يؤاخذ الله تعالى العبد على ما قسمه له ، لأن ذلك يؤدى إلى أن يقيم العذر للكفار وجميع العصاة ، ولا يبقى لله تعالى عليهم حجة ،

وذلك خروج عن الشرائع ، فعلم أنه إذا كان من كشف له عن قسمة الحرام له يعصى بترك المدافعة . فغيره ممن هو في حضرة الأوهام من باب أولى :

وقد أجمع أهل الكشف على أن العبد إذا كشف له عن اللوح المحفوظ من الخو ورأى الحق تعالى قد قدر عليه زنا أو شرب خمر لا يجوز له المبادرة إلى ذلك ، بل يدافع الأقدار جهده حتى يقع في غفلة أو حجاب فينفذ الله تعالى فيه قضاءه وقدره ، ولو أنه بادر لعصى ربه واستحق بذلك العقوبة زيادة على عقوبة تلك المعصية .

فتأمل ذلك واعمل عليه فإنك لا تجده في كتاب وعاشر أهل الورع من العلماء والفقهاء وإياك وعشرة من لا يتورع فإن صفات العبد قد تكون مكتسبة ، ولذلك قالوا إن كل شيء رأيت في جليسك ربما ينتقل إليك ولو على طول من خير أو شر ، فمن خالط أهل الشر فكأنه تماطى أسباب المعصية ، فيكون عقابه أشد عقاب مما وقع غفلة أو سهوا ، وهأنذا أعطيتك ميزانا تعرف بها أهل الورع من غيرهم ، وهو أن كل من رأيت يزاحم عسكر السلطان في الجوامك ويطلب أن يكون له مسموح أو مرتب أو نظر على وقف أو كثرة وظائف فأبعد عنه وكل من رأيت يعرض الحكام عليه المال ويرده فأقرب منه فإنه يعينك على مقصودك ، ومن هنا قالوا ، من تمام التوبة هجر لإخوان السوء الذين كان يعصى الله معهم ، فإنه إذا شاهدتهم وهم يعصون على عادتهم خف القبح الذي كان عنده للمعصية وبالحرى أن يرجع إلى فعل ما تاب منه ، فقد بان لك أن مجاهدة النفس في ترك الحرام والشبهات واجبة وأن المدار بعد ذلك على حماية الله للعبد أو عدم حمايته ، وأن العبد مثاب في مدافعته سواء قسم له ذلك أم لم يقسم وأنه لا ينبغي لمن قدم له طعام فيه شبهة فلم يأكل منه أن يرى نفسه على من أكل إلا من حيث الشكر لله على حمايته له لا غير ، وإلا فلو قسم له أكله لأكله منه كما أكل من رأى نفسه عليه .

وليضاح ذلك أن بعض المتورعين ربما يقول في نفسه أنا كنت قادرا على أن آكل من طعام ذلك المسكاس مثلا ، ولكنني منعت نفسي هذا مع كونه غافلا عن شهود القسمة وهو وهم باطل ، فلم يتورع المتورعون ولم يزهد الزاهدون إلا فيما لم يقسم لهم وإنما أثابهم الله تعالى من حيث مدافعتهم للأكل من الحرام فقط ، وفي التحقيق ذلك حماية لهم من الله تعالى فاعلم ذلك :

-(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)-

وروى مسلم والترمذى مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ ، وَإِنَّ اللَّهَ
أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : - يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا
صَالِحًا - « الآية وقال : - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ - ثُمَّ
ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ
حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ » .
وروى الطبرانى باسناد حسن : « إِن شَاءَ اللَّهُ « طَلَبُ الْحَلَالِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » .
وفي رواية للطبرانى والبيهقى مرفوعا : « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ » .
وروى الترمذى وقال حديث حسن والحاكم وقال صحيح الإسناد أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال :

« مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا وَعَمِلَ فِي سُنَّةٍ وَأَمِنَ النَّاسُ بِوَأَثَمِهِ أَيْ شَرَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قَالُوا
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا فِي أُمَّتِكَ الْيَوْمَ كَثِيرٌ قَالَ : وَسَيَكُونُ فِي قُرُونِ بَعْدِي » .
وروى الإمام أحمد والطبرانى وإسنادهما حسن مرفوعا :
« أَرْبَعٌ إِذَا سَنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، حِفْظُ أَمَانَةٍ ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ ،
وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ ، وَعِفَّةٌ فِي طَعْمَةٍ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا :
« أَيُّمَا رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا مِنْ حَلَالٍ فَأَطْعَمَ نَفْسَهُ أَوْ كَسَاهَا مِنْ دُونِهِ مِنْ خَلْقِ
اللَّهِ كَانَ لَهُ بِهِ زَكَاةٌ » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « طُوبَى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَكَرُمَتْ
عَلَانِيَتُهُ وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرُّهُ ، طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ،
وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنَ قَوْلِهِ » .

وروى الطبرانى أن سعد بن أبي وقاص قال : يارسول الله أدع الله أن يجعلنى مستجاب
الدعوة فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« يَا سَعْدُ أَطِيبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نفتش كل شيء دخل بدنا في هذا الزمان من مال وطعام ولباس وغير ذلك ، ولا نستعمل شيئا تردد في صدورنا حله وحرمة ، وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يفتشون كل شيء دخل يدهم إلى سابع يد استولت عليه في الحل ، وبعضهم إلى عاشر يد في الحل ، ثم يستعملونه فإن لم يتداوله العشرة أيد لم يستعملوه ، وهذا أمر تعذر فعله الآن على غالب فقراء الزمان ، ويكفى أحدهم إن شاء الله تفتيش أول يد يأخذون منها :

واعلم يا أخى أن من أعظم المساعدة على الورع القناعة ، فمن لم يقنع أكل رأس الفيل ولم يشبع ، ومن لازم الشره عدم الورع ، وإن كان المتورعون لم يتورعوا إلا فيما لم يقسم لهم على وزان ماتقدم في العهد قبله .

وقد جاء شخص إلى سيدى على الخواص فقال : ياسيدى خاطرك على ما بقيت أقدر آكل كثيرا فقال له الشيخ أحمد الله تعالى على ذلك الذى حاك من أكل الشبهات في هذا الزمان ، ولم يصف له دواء ، مع أنه كان يعرفه :

قلت : ومن هنا كان الفقير الصادق لا يرى نفسه أبدا على من لم يتورع ، فإن المنة لله تعالى لا تفعل العبد في ذلك ، ولو أنه تعالى قسم له شيئا من الحرام لأكله فإهناك إلا حماية الله للعبد أو عدم حمايته كما مر في العهد قبله ثم لا يخفى أن أهل الله تعالى لا يعولون في الورع على العلامات الظاهرة في الأيدي وإنما يعولون على ما يلقى الحق تعالى في قلوبهم ، فقد يكون الذى يأخذونه من يد صالح حراما ، وقد يكون الذى يأخذونه من يد ظالم حلالا فمثل هؤلاء يسلم لهم حالهم لاطلاعهم على بواطن الأمور ، بخلاف من لم يطلع إلا على ظواهرها ، فإن هذا ربما رأى ظلما أخذ حراما ثم توارى عنه بجدار ، فقال يحتمل أن ذلك الحرام يخرج عن يده ، وهذا غيره ولكل مقام رجال وقد عزم على شخص أنا وأخى أفضل الدين ، وقدم إلينا خروف شواء مشويا وكانت النية فيه غير صالحة لأنه عزم على جماعة أولاد عمر أمراء الصعيد فلم يحضروا عنده ، فعزم علينا لنا كلة مكانهم فلما وضعه بين أيدينا وجدته يغلى دودا مثل أذئاب المغازل فلم أقدر أننا منه لقممة واحدة ، وصار صاحب الطعام يقول : كلوا هذه اللقمة فقط ولا أقدر أعلمه بما رأيت لكونه محجوبا عن ذلك ، وكذلك رآه أخى المذكور واسكنه قال رأيت يغلى سعالى ، فقلت له ، أنا مارأيت إلا دودا ، فقال : المقصود الحماية ونفرة الخاطر منه ، وقد حصلت والله الحمد ، فإن لم تصل يا أخى إلى

ورع أهل الله تعالى فإياك أن تنزل عن الورع في ظاهر الشرع فتزل قدمك إلى النار والله يتولى هداك .

وروى الشيخان والترمذى مرفوعا : « الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ » الحديث .

وفي رواية للبخارى وغيره : « وَمَنْ اجْتَرَأَ عَلَى مَا شَكَّ فِيهِ مِنَ الْإِنْمِ يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ » ومعنى يوشك أى كاد وأسرع .
وروى الإمام أحمد بإسناد حسن مرفوعا :

« الْبِرُّ مَا أَطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِنْمُ مَا حَاكَ فِي الْقَلْبِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ » .

وفي رواية لأحمد بإسناد جيد : « الْبِرُّ مَا سَكَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالْإِنْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَمْ يَطْمئنْ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ » .

وفي هذا الحديث سلامة من سوء الظن بالناس فإنه ماتورع صاحب العلامات الظاهرة إلا مع سوء الظن بذلك الشخص الذى تورع عن طعامه مثلا ولو أنه حسن به الظن لأكل طعامه وهذا ورع المنتطحين وفيه أيضا آفة وهى الشهرة بالورع بين الناس بخلاف من يعمل بميزان قلبه يكون ورعه مستورا والله أعلم .

وروى الشيخان : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ : لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا » .

وروى الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« دَعَا مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ » .

زاد فى رواية للطبرانى : « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ الْوَرَعُ ؟ قَالَ الَّذِي يَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَةِ » .

وروى البخارى أن أبا بكر قدم إليه غلامه شينا فيه شبهة فأكله ، ولم يعلم فلما علم قام كل شىء فى بطنه :

قلت : وفي هذا الحديث بيان عدم عصمة غير الأنبياء ، وأن المحفوظ قد يقع في الحرام ولكن من عناية الله تعالى بأوليائه أن لا يترك الحرام يقيم في باطنهم : وربما يكون ما وقع فيه أبو بكر إنما كان ليعلم الأمة أن يتقيوا ما أكلوه من الحرام لا غيره ، وكان ذلك حراما بصورة كما وقع لآدم عليه السلام في أكله من الشجرة والله تعالى أعلم :

وروى الطبراني مرفوعا : « أَفْضَلُ الدِّينِ الْوَرَعُ » .

وفي رواية له أيضا : « خَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ » .

وروى ابن ماجه والبيهقي مرفوعا : « كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ » .

قلت . وإنما كان المتورع أعبد الناس لأن من أكل الحلال الخالص يصير لا يمل من العبادة ومن لا يمل فهو أعبد ممن يمل على اختلاف طبقات الناس كثرة وقلة والله تعالى أعلم .

وروى الترمذى وقال حديث حسن وابن ماجه والحاكم ، وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَدَرًا عَمَّا بِهِ بَأْسٌ » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن يكون عندنا سماحة في البيع والشراء وسهولة في أخذ حقتنا وفي وزن ما للناس علينا :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق يخرج به من حضرة محبة الدنيا والحرص على جمعها ويدخله حضرة الولاية التي منها يرى الدنيا بأسرها لاتزن عند الله جناح بعوضه ويرى منها عظمة حرمة المؤمن وأن الدنيا بأسرها لو كانت في يده وأخذها إنسان فلا فرق عنده بينها وبين كناسة البيت وهناك يكون عنده السماحة في البيع والشراء وحسن المطالبة والعطاء ومن لم يسلك الطريق كما ذكرنا فنن لازمه غالبا تقديم تحصيل الجديد النقرة على حرمة أبيه فضلا عن الأجانب .

فاعمل يا أخى على السلوك على يد شيخ إن أردت أن تكون من أهل الجنة ومحبوها عند الله وعند الناس ، والله يتولى هداك .

وروى البخارى وابن ماجه واللفظ له مرفوعا :

« رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى سَمَحًا إِذَا اقْتَضَى » .

ولفظ الترمذى مرفوعا : « غَفَرَ اللهُ لِرَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ سَهْلًا إِذَا بَاعَ ، سَهْلًا إِذَا اشْتَرَى ، سَهْلًا إِذَا اقْتَضَى » .

ولفظ رواية النسائي : « أَدْخَلَ اللهُ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا الْجَنَّةَ » .

وروى الترمذى ، وقال حديث حسن والطبراني بإسناد جيد مرفوعا :
« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يُحْرَمُ عَلَى النَّارِ وَتَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ ، حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ لَيْنٍ سَهْلٍ » .

وفى رواية للحاكم وقال صحيح على شرط مسلم :
« مَنْ كَانَ هَيِّنًا لَيْنًا قَرِيبًا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ » .

وروى الترمذى والحاكم مرفوعا : « إِنْ اللهُ يُحِبُّ سَمَّحَ الْبَيْعِ ، سَمَّحَ الشَّرَاءِ ، سَمَّحَ الْقَضَاءِ » .

زاد فى رواية للطبراني : « سَمَّحَ الْأَقْضَاءِ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « أَنْ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَطَ لَهُ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعُوهُ ، إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا ، ثُمَّ قَالَ : أَعْطُوهُ شَيْئًا مِثْلَ سِنِّهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَا نَجِدُ إِلَّا أُمَّثْلَ مِنْ سِنِّهِ ، قَالَ أَعْطُوهُ ، فَإِنْ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً » .

وروى الترمذى مرفوعا فى حديث طويل :

« أَلَا وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ حَسَنَ الْقَضَاءِ ، حَسَنَ الْطَلْبِ ، وَمِنْهُمْ سَيِّئَ الْقَضَاءِ ، حَسَنَ الْطَلْبِ ، فَتِلْكَ بَيْتِلْكَ . أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ سَيِّئَ الْقَضَاءِ السَّيِّئِ الْطَلْبِ ، أَلَا وَخَيْرُهُمْ أَحْسَنُ الْقَضَاءِ ، أَحْسَنُ الْطَلْبِ . أَلَا وَشَرُّهُمْ سَيِّئُ الْقَضَاءِ ، سَيِّئُ الْطَلْبِ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « إِنْ صَاحِبَ الدِّينِ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ حَتَّى يَقْضِيَهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نقيّل كل نادم على بيع أو شراء عملا بأخلاق السلف الصالح كما نقيّل كل نادم على وقوعه في حقنا .

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رضى الله عنه يقول : لا يبلغ الإنسان مقام المحبة لله ولرسوله إلا إن ساهج جميع الخلق ماله عليهم من مال وعرض في الدنيا والآخرة لإكرامهم لمن هم عبيده ، ولمن هم من أمته صلى الله عليه وسلم اه ، وقد تحققنا بذلك ولله الحمد ، ونرجو من فضل ربنا دوام ذلك إلى الممات فلست أرى لي قط على أحد حقاً لا في مال ولا في عرض ولو عمل معي ما عمل لإكرام الله تعالى ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن سامح الناس سامحه الله وبالعكس ، فعلم أن من شاحح أحداً من هذه الأمة المحمدية ولم يسامحهم بحقه من غير ضرورة شرعية فما عرف قدر عظمتهم صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن معرفته بقدر عظمة الله تعالى التي كلف بها الخلق ولا يقدر على العمل بما قلناه إلا من حفته العناية الربانية وسلك الطريق على يد شيخ صادق ، وإلا فن لازمه غالباً مشاححة كل من له عليه حق ولو كان شريفاً بل رأيت من حبس شريفاً على ألف نصف سع كونه هو يملك الثلاثين ألف دينار فقلت له إن هذا عضو من أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن حبسه فقد آذى جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن آذى جده فقد آذى الله ، فلم يسمع ، فبعث الله تعالى له في تلك الجمعة مرضاً منعه الأكل حتى مات .

وكذلك رأيت شخصاً من طلبة العلم اشتكى شخصاً مشهوراً بالصالح وسجنته إلى بيت الحكام على نصف وعثمان ، فبئس هؤلاء مقامهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، كقمامه عندهم في الدنيا فيأطول تعبهم في عرصات القيامة ، ويأطول قهرهم حين يرونه صلى الله عليه وسلم يشفع لأقرانهم الذين كانوا يجلونه ويعظمونه ويريجهم من تعب الموقف ، وأهل الجفاء واقفون يتحسرون على تخلفهم عن دخول الجنة ، وفي الحديث :

« أَقْرَبُكُمْ مِنِّي بِجَلْسَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا » .

ومن أخلاقه العفو والصفح والمسامحة بحقه صلى الله عليه وسلم .

وقد بسطت الكلام على الأدب مع الشرفاء في كتاب البحر المورود وذكرنا فيه أن مسامحة الشريف الذي طعن في نسبه أوجه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسامحة

من ثبت نسبه كما يقال يكرم الناس لأجلنا اه أى وجه لمن اشتكى شريفا يوم القيامة حين يلتقى جده صلى الله عليه وسلم ، والله أن غالب الخلق الذين لا يكرمون الشرفاء اليوم كالبهائم السارحة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
وروى أبو داود وابن حبان فى صحيحه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرطهما واللفظ لابن حبان مرفوعا :

« مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا بَيْعَتَهُ أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وفى رواية لابن حبان : « مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا عَثْرَتَهُ » .

وفى رواية لأبي داود فى المراسيل :

« مَنْ أَقَالَ نَادِمًا أَقَالَ اللَّهُ نَفْسَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ننصح كل مسلم ولو لم يطلب هو منا ذلك ، فكيف إذا استنصحننا ، وهذا العهد المبارك قل من يفعل به الآن من التجار فإنه يخاف إن بين عيب مبيعه أن لا يشتريه منه أحد حتى قال لى بعض إخوانى الصادقين أنا فى غلبة ، فقلت له لماذا ، فقال : صرت أنصح المشتري وأعطيه أحسن القماش فيرده ويقول هات لى من ذاك الذى هو دونه ، فأحلفت له بالله أن ما أعطيته له أولا هو الأنفع والأحسن ، فلا يرجع لى ، ويأخذ الرديء قياسا لى على الناس الذين يغشون فهل على إثم إذا أعطيته الرديء ؟ فقلت له : لا ، فلكثرة غش الناس لبعضهم بعضا صاروا لا يصدقون من نصحهم من التجار .

وكان الشيخ على المليجى المدفون بناحية مليج ، ينسج ويبيع القماش وكان بجانيه وعاء فيها زعفران فكل خيط انقطع يجعل عليه نقطة زعفران ، ويقول : تحت كل نقطة عيب :

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يبيع القفاف فكان إذا أعطاه أحد زيادة على ثمنها رده إليه ، فإذا قال له المشتري أنا خاطرى طيب بذلك ، فيقول الشيخ أنا خاطرى بذلك ما هو طيب .

وسمعتة يقول : لا يبلغ المؤمن كمال الإيمان حتى يكون أشفق على أخيه المؤمن من نفسه وراثة محمدية اه .

قلت : وقد تحققتنا بذلك والله الحمد فأنا أشفق على المسلمين من أنفسهم وامتحنت

تفمى في ذلك مرارا فوجدتها صادقة، وأعطوني مرة في خراج رزقى فوق العادة. فرددتهم إلى العادة، فكنت بذلك أشفق على المستأجر من نفسه، ومن ذلك أنا أنأثر على كل خير فات أحدا من إخواني المسلمين أكثر مما يتأثرون فأنا أشفق عليهم حينئذ من أنفسهم فالحمد لله رب العالمين .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يخرججه من الحجب المانعة من التحقق بهذا المقام وإلا فلا يشم له رائحة :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مسلم والنسائي مرفوعا : « اللَّهُ يَنْ النَّصِيحَةَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ اللَّهُ وَلِكِتَابِهِ وَرِسُولِهِ وَالْأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .

وروى الشيخان عن زياد بن علاثة قال : سمعت جرير بن عبد الله يقول : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فشرط على النصح لكل مسلم ، فبايعته على ذلك .

وفي رواية للشيخين وغيرهما عن جرير قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم زاد النسائي فكان جرير إذا باع الشيء واشترى قال : أما أن الذي أخذنا منك أحب إلينا مما أعطينا إليك فاختر .

قلت : وتقبيد وجوب النصح بالمسلم في الحديث جرى على الغالب وإلا فغير المسلم كذلك لا يجوز غشه كما يشهد لذلك :

« جِهَادًا نَأْفِيهِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَسْلَمَ فَإِنَّهُ مِنَ النَّصْحِ لَهُ » والله أعلم .

وروى الامام أحمد مرفوعا : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، أَحَبُّ مَا تَعَبَّدَ لِي عَبْدِي النَّصْحُ لِي » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ لَا يُضِيحُ وَيُبْسِي نَاصِحًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَإِمَامِهِ وَلِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .

ولفظ رواية ابن حبان في صحيحه : « لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد للعام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب لإخواننا التجار وغيرهم في الصدق في أخبارهم بالثمن خوفا عليهم وعلى أموالهم من النقص ، فإن الله جعل البركة مقرونة بالصدق في العمل والعلم والعمر والرزق وغير ذلك ، فمن لم يصدق نزع الله البركة من علمه وعمله وعمره ورزقه .

وقد كان شخص يجوارنا معصرانيا ، يجبر بالثمن باطلا وكان ماله نحو العشرة آلاف دينار ، فذهبت كلها وصار يسأل الناس ، فقلت له : ما سبب خسارتك ، فقال : كنت أخلط الزيت الحلو على الشيرج وأبيعه على أنه شيرج ، ولا أتذكر قط أني بعث بخسارة ، فقلت له ، كني بخاطك الزيت الحلو غشا وخسارة فتوبته عن ذلك ، فتاب بحمد الله ، وقال : ما بقى عندي شيء من الغش ولا غيره ، فأخذت له ألف دينار من بعض إخواننا واشترى بها حبا للمعصرة ، وجلس يبيع فرأيت تلك الليلة وهو يضع الغلة في حق فسكل شيء وضعه فيه طار منه في الهواء كقشر السمك ، فقلت لصاحب الفلوس : النية تغيرت فادرك مالك قبل أن يتلف فراح المعصراني إلى شيخ قالوا إنه يكشف فقال لصاحب المال : لا تخف ولا تسمع لمن يخوفك فرأيت تلك الليلة يطحن السمسم فيخرج من تحت الحجر كالنخالة لادهن فيه ، فقلت لصاحب الفلوس : أدرك مالك فراحوا لشيخ آخر فقال لا تخافوا فتمت تلك الليلة فرأيت بيني له جدارا على حرف جسر الفيض أول قطعة ، وكلها وضع شيئا ينهال به الجرف ، فقلت لصاحب المال حد مالك فدعا المعصراني إلى القاضي فأنكر المال جملة واحدة فجمعت بين الإثنين وقلت لصاحب المال قد عرفنا قلة بركة مال المعصراني فما سبب قلة البركة في مالك أنت الآخر ، فقال : كنت أبيع الناس بالنساء وزيادة الثمن حتى لا يكاد أحد يستفيد شيئا من ورأى فمحق الله بركة مالي فما رأى بعد ذلك خيرا .

فاصدق يا أخى في إخبارك المشتري ولا تغش فيعزل الله عنك النعم والله يتولى هداك .

وروى الترمذى وقال حديث حسن وابن ماجه مرفوعا :

« التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ » .

وفي رواية للأصبهاني مرفوعا: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفي رواية له أيضا مرفوعا: «إِذَا كَانَ فِي التَّاجِرِ أَرْبَعُ خِصَالٍ طَابَ كَسْبُهُ إِذَا اشْتَرَى لَمْ يَدُمَّ ، وَإِذَا بَاعَ لَمْ يَمْدَحْ وَلَمْ يَدُلَّسْ فِي الْبَيْعِ وَلَمْ يَخْلِفْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ». وفي رواية للبيهقي مرفوعا: «إِنَّ أَطْيَبَ الْكَاسِبِ كَسْبُ التَّجَارِ الَّذِينَ إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يَكْذِبُوا ، وَإِذَا اثْتَمِنُوا لَمْ يَخُونُوا ، وَإِذَا وَعَدُوا لَمْ يَخْلِفُوا ، وَإِذَا اشْتَرَوْا لَمْ يَدْمُوا ، وَإِذَا بَاعُوا لَمْ يَمْدَحُوا ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِمْ حَقٌّ لَمْ يُعَاطِلُوا ، وَإِذَا كَانَ لَهُمْ لَمْ يَعْسُرُوا».

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا: «الْبَيْعَانِ بِاخْتِيَارٍ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَ الْبَائِعَانِ بَوْرِكَ لَمَّا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا فَعَسَى أَنْ يَرْبِحَا وَيَمْحَقَا بَرَكَةً بِيَمِيهِمَا ، وَالْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ مُنْفِقَةٌ لِلْسَّلْعَةِ مُمَحِقَةٌ لِلْكَسْبِ».

وروى الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا:

«إِنَّ التَّجَارَ يَبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَارًا إِلَّا مَنْ اتَّقَى وَبَرَّ وَصَدَقَ» والله تعالى أعلم.

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ننوى الوفاء لكل شيء استندناه من الناس ، ولو صدقا لامرأة لا مرأة خوفا أن لا يعيننا الله تعالى على الوفاء إذا نوينا عدم الوفاء ويصير علينا التبعة في الآخرة ويزيد الصداق بكون الشارع ، جعل وطء تلك الزوجة التي نوينا عدم وفاء مهرها كالزنا .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حتى يقطع به الحجب المانعة عن شهوده الآخرة بعين البصيرة ويصير يطابق بين الدارين فكل شيء رأى أن الله تعالى لا يمشيه هناك يتركه هنا ومن لم يسلك كذلك فمن لازمه قصر بصره على هذه الدار ولا يكاد يتذكر الآخرة بل يقول لكل شيء وقت كما سمعته من خلق كثير ، ولذلك كثرت الخيانة لهذا العهد من غالب الناس في هذا الزمان ، فصار كل واحد ينصب على الآخرة ويأخذ عمارة هذا يلبسها لهذا فلذلك ركبهم الديون ودخلوا الجحوس ، ولو أنهم نوا الوفاء

بصدق لأعانهم الله على الوفاء ، وكَم من شخص تحبسه امرأته ويحكمها الله تعالى فيه حتى يصبر يقبل نعلها أن تطلقه فلا تطلقه ، وهذا من أعظم الخزي ، على كل ذي مروءة .
ثم إذا وقعت يا أخى فى الدين فإياك أن تظهر لصاحب للدين الفقر ، والأمر بخلاف ذلك فيسلطه الله عليك بالحبس ، وتقضى قلبه عليك وإياك أن تزوح وعليك دين أو تتسرى أو تعمل عرسا أو سماطا بل قتر على نفسك كل التمتير ، وكل شىء دخل يدك مما زاد على ضرورتك ، فأعطه لصاحب الدين ، واشكر فضله فى صبره عليك ، وقل له بحق وصدق والله أنا فى بحجل منك ، ولكن ادع الله لى أن يوسع على حتى أوفيك وأوفى غيرك ، وقد دخل جماعة كثيرة من إخواننا الحبوس بسبب الكلام المر لصاحب الدين وبسبب التزويج وعمل الأعراس ، والعزومات ، وقال أصحاب الديون نحن أحق بذلك المالك الذى ينفقه على شهوات نفسه وهو حق ، وإذا طلب صاحب الدين أن يحبس المديون فن الأدب أن لا يتوارى عنه بل يجيء بنفسه إليه ويقول أنا أسيرك فى الدنيا والآخرة ، فإن شئت فاحبس وإن شئت فأطاق ، وكذلك من الأدب أن يشكره بين الناس ويدعو له فيما بينه وبين الله بتوسعة الرزق وتعطيفه عليه حتى لا يحبس ولا يضيق عليه ، وإذا ساق الفقراء أو العلماء فن الأدب أن يكونوا مع صاحب الحق لأن بيده العقد والحل ولا يكونوا مع المديون فيزداد الأمر شدة فإن المديون هو القليل الدين الذى أتلفت مال الناس وفى الحديث :

« هَلَا مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ » .

ثم إذا جاء العلماء أو الفقراء سياقاً ، فن الأدب من صاحب الدين أن يجعل لسياقهم تأثيراً ولا يخالفهم يندم وإن راح بعدهم إلى الشرع غلبوه ، وإياك أن تستكثر مع القدرة إسقاط شطر الدين لأجل سياق العلماء والصالحين فإن جميع ذلك الدين لا يجيء فى مقابلة خطوة واحدة يمشيها إليك عالم أو صالح .

وقد بلغ سيدى عليا الخواص أن شخصاً أتى بفقير سياقاً على خصمه ليصبر عليه بدينه وكان خمسمائة دينار فأبى أن يصبر فقال الشيخ وعزة ربي الخمسمائة دينار لأجبيء حتى طريق الفقير ، ولكن ما بقى يصل منها إليه شىء فاتهم ذلك الشخص بتهمة فى بيت الوالى فضرب ثقات وحضرنا جنازته رحمة الله عليه ، فاعلم ذلك والله يتولى هداك .

وروى الحاكم والطبرانى مرفوعاً : « مَنْ تَدَايَنَ بَدَيْنِ وَفِي نَفْسِهِ وَقَاؤُهُ لَمْ مَاتَ

تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى غَيْرِيهِ بِمَا يَشَاءُ ، وَمَنْ تَدَايَنَ يَدَيْنِ وَلَيْسَ فِي نَفْسِهِ وَفَاؤُهُ ثُمَّ مَاتَ اقْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى لِغَيْرِيهِ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

ولفظ رواية الطبراني : « مَنْ آدَانَ دَيْنًا وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يُؤَدِّيَهُ آدَاهُ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ اسْتَدَانَ دَيْنًا وَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَهُ فَمَاتَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ظَنَنْتُ أَنِّي لَا آخِذُ لِعَبْدِي حَقَّهُ فَيُؤَخِّذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَتُجْعَلُ فِي حَسَنَاتِ الْآخِرِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْآخِرِ فَتُجْعَلَ عَلَيْهِ . »

وروى البخارى وابن ماجه وغيرهما مرفوعا :

« مَنْ آخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ آدَاءَهَا آدَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ ، وَمَنْ آخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ إِنْتِلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ . »

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني مرفوعا :

« مَنْ سَحَلَ مِنْ أُمَّتِي دَيْنًا ثُمَّ جَهَدَ فِي قَضَائِهِ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَهُ فَأَنَا وَوَلِيِّهِ . »

وروى الإمام أحمد والطبراني عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تداين ، فقبل لها مالك وللدن ولدك عنه مندوحة ، فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَا مِنْ عَبْدٍ كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِي آدَاءِ دَيْنِهِ إِلَّا كَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَوْنٌ » فَأَنَا أَلْتَسِ ذَلِكَ الْعَوْنَ .

وفي رواية للطبراني : « كَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَوْنٌ وَسَبَبَ لَهُ رِزْقًا . »

وروى النسائي وابن ماجه وابن حبان : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَدَانِ دَيْنًا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ يُرِيدُ قَضَاءَهُ إِلَّا آدَاهُ اللَّهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا . »

وروى ابن ماجه والبيهقي مرفوعا : « أَكْثِمًا رَجُلٍ تَدَايَنَ دَيْنًا وَهُوَ مُجْمِعٌ أَنْ لَا يُؤَفِّيَهُ إِبَاهُ لَقِيَ اللَّهَ سَارِقًا . »

وروى ابن أبي الدنيا والطبراني مرفوعا :

« أَرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْأَذَى فَذَكَرَ مِنْهُمْ : وَرَجُلٌ مُعَلَّقٌ عَلَيْهِ تَابُوتٌ مِنْ جَمْرٍ فَيُقَالُ : مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى فَيَقُولُ إِنَّ الْأَبْعَدَ مَاتَ وَفِي عُنُقِهِ أَمْوَالُ النَّاسِ لَا يَجِدُ قَضَاءً أَوْ وَفَاءً » الحديث، والله تعالى أعلم.

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نبادر إلى وصية ميتنا وإلى قضاء دينه وفاء بحقه ولا نتهاون بذلك وينبغي للوارث أن لا يشاحح أصحاب الدين ولا يتعهم في المطالبة حتى يقع الإبراء للميت بغير طيب نفس فر بما ادعى بما بقى عليه يوم القيامة ، بل ينبغي له أن يعطى من نصيبه الذى ورثه للمديون نصيبا ويقول لنفسه قدرى أن ذلك ناقص من حصتك من الأصل لاسيما إن شح ولم يبرى ذمة الميت ، وقال بنى وبينه معاملات باطنة فإن الميت لو عاش لم يعط الوارث إلا ما فضل عن الدين ، فليعامل الوارث ميتة معاملة الحى ، فإنه لا بد له من لقائه يوم القيامة ، ويدعى عليه بما أخذه من إرثه بغير حق إذ ليس له إلا ما فضل بعد وفاء الدين ، فلا فرق بين من يأخذ مال مورثه سرا أو جهرا وخصم أرباب الديون ، ومنعهم حقهم وبين الغاصب أو السارق ، فافهم وبادر يا أخى إلى وفاء دين مورثك وبرد قلبه فى قبره كما برد قلبك بالذهب وأدخل عليه سرورا كما أدخل عليك سرورا ووسع عليه كما وسع عليك والله يتولى هداك .

وروى الإمام أحمد والترمذى وقال حسن وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدِينِهِ حَتَّى يُقْضَى » .

ولفظ ابن حبان : « نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ مَا كَانَ عَلَيْهِ دِينَ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا باسناد حسن والحاكم والدارقطنى :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِرَجُلٍ عَلَيْهِ دِينَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَأَبَى فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ : عَلَى دِينِهِ فَصَلَّى عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : الْآنَ بَرَدَتْ جِلْدَتُهُ » .

وروى أبو يعلى والطبراني مرفوعا : « إِنَّ جِبْرِيلَ نَهَانِي أَنْ أَصَلِّيَ عَلَى مَنْ

عَلَيْهِ دِينَ وَقَالَ إِنَّ صَاحِبَ الدِّينِ مُرْتَمٍ فِي قَبْرِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ دِينُهُ » .

وفي رواية : « إِنَّهُ أُنِيَ بِرَجُلٍ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَإِذَا عَلِيٌّ دَبِنٌ فَقَالَ : صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلِّ عَلَيْهِ ، قَالَ فَمَا يَنْفَعُكُمْ أَنْ أُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلَى رَجُلٍ رُوحُهُ مُرْتَهِنَةٌ فِي قَبْرِهِ لَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا ضَمِنَ دِينَهُ قُمْتُ فَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ فَإِنَّ صَلَاتِي تَنْفَعُهُ » .

قال الحافظ المنذرى : وهذا منسوخ بحديث مسلم وغيره أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح الله عليه الفتوح صلى على من عليه دين وقال :

« أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، فَمَنْ تَوَفَّى وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَعَلَى قَضَائِهِ » الحديث والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرجع في جميع مهماتنا وشدائدنا في الدنيا والآخرة إلى الله تعالى ، وندعو ربنا بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عند الكرب ، وأمر به أمته ، ولا نخترع دعاء من عند أنفسنا ما أمكن ، وينبغي لنا أن نعتقد إجابة دعائنا ، ويكره أن نظن عدم الإجابة خوفاً أن لا يجيب دعائنا ، فإن الله تعالى عند ظن عبده به .

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا ظن أحدكم أن الله تعالى لا يستجيب دعاءه لكثرة عصيانه مثلا فليسال غيره أن يدعو له ، لكن إن كانت الحاجة مما فيه راحة التبسط في الدنيا فلا يسأل فيها من خرق ببصره إلى شهود الدار الآخرة من الصالحين ، فإنه ربما رأى عدم قضاء تلك الحاجة أولى لما في تركها من الثواب والدرجات ، وليسأل في ذلك من لم يخرق بصره إلى الدار الآخرة فإنه أكثر توجهها إلى الله في قضائها ، إذ العارف ليس له همة تجلب شيئا من شهوات الدنيا ، بل يرى لله الفضل في حرمانه منها اه وهو كلام نفيس ، وقد ذقت ذلك من نفسي فرمما يسألني أحد في حاجته فأعلم أن له في تركها الأجر العظيم ، فاسأل الله له عدم قضائها لأن الخلق عند العارفين كالأطفال لا يجابون إلى كل ما سألوا ، وينبئني لكل داع أن يدعو بما ورد لا كما عليه الإمام البوني وأضرابه ، فإن كلام النبوة أفصح وأكثر أدبا ، فإذا دعونا بدعائه صلى الله عليه وسلم الذي فعله أو أمرنا به كان أقرب إلى الإجابة ، وما أمرنا صلى الله عليه وسلم أن ندعو بشيء أو بحصول شيء

إلا وقد مهد لنا عنده طريق الإجابة ، وكل من في قلبه تعظيم للشارع صلى الله عليه وسلم يستعظم أن يسلك طريقا لا يرى فيها قدم الاتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم ، بل لو كشف له لرآها طريقا وعرة مظلمة كثيرة المهالك قليلة الأانس ، وقد ترك أقوام كثيرون من المباشرين وأركان الدولة الأدعية الواردة في السنة واستعملوا أدعية مختزعة لها شروط أكثر أكل الزفر والجوع والبخورات ونحو ذلك ، فازدادوا مقنا وطرذا ، وأين نفس البونى مثلا من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

فاسلك يا أخى طريق أهل الله وتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبك الله ، والله يتولى هداك .

وروى الترمذى واللفظ له والحاكم وقال صحيح الإسناد أن مكاتبا جاء إلى على رضى الله عنه فقال : إني عجزت عن مكاتبتى فأعنى ، قال : ألا أعلمك كلمات علمنهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو كان عليك مثل جبل ثبير دينا آداه الله عنك .

« قُلِ اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ » .

قلت : وإضافة الحرام إلى الله في هذا الحديث بيان للجواز :

وروى أبو داود : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَرَأَى رَجُلًا جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ فَقَالَ : مَا أَجْلَسَكَ هَهُنَا فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ ؟ فَقَالَ : مُهُومٌ لِمُؤْتِنِي وَدُيُونٌ ، فَقَالَ : أَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ وَقَضَىٰ دَيْنَكَ ، فَقَالَ : بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ » .

قال الرجل فقلتها فأذهب الله همى وقضى عني دينى :

وروى الطبرانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ :

« أَلَا أَعْلَمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ دَيْنًا لَأَدَّاهُ اللَّهُ عَنكَ ، قُلْ يَا مَعْزُومُ : اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمَلِكُ تُؤْتِي الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ ، إِلَى قَوْلِهِ : قَدِيرٌ رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمُهُمَا تَمُطِّهِمَا مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ أُرْحَمَنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَمَّنْ سِوَاكَ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِبْنُ عَبْدِكَ وَإِبْنُ أُمَّتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِي حُكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ذَبِيحَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي ، وَجَلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ كَهْمِي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ وَابْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا » .

وروى الطبراني وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« كَلِمَاتُ الْمَكْرُوبِ : اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ يَا إِلَهَ إِلَاهٍ إِلَّا أَنْتَ » .

وروى الترمذي والنسائي والحاكم مرفوعا :

« دَعْوَةُ أَحْيَى ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ »

وروى الطبراني والحاكم مرفوعا : « مَنْ قَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ كَانَ لَهُ دَوَاءٌ مِنْ تِسْعَةِ وَتِسْعِينَ دَاءً أَيْسَرُهَا اللَّهُمَّ » .
والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نبجل العلماء والصلحين والأكابر ولو لم يعملوا بعلمهم ، ونقوم بواجب حقوقهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى ، فنأخذ بواجب حقوقهم من الإكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله ، فإن العلماء نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمله شرعه وخدامه ، فنأستهان بهم تعدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر ، وقد مال إلى ذلك من كفر من قال عن عمارة عالم هذه عميمة عالم بالتصغير ، وتأول من استهان بغلام السلطان إذا أرسله إليه كيف يسمع السلطان من رسوله فيه ويسلب نعمة ذلك الذي استهان ويطرده عن حضرته ، بخلاف من بجله وعظمه ، وقام بواجب حقه يقربه السلطان ولو كان بعيدا ويكرمه ويجله .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به الطريق حتى يدخله حضرة الولاية الكبرى ، ويشهد هناك من هو المقدم عند الله ومن هو المؤخر ، ويصير يقدم من قدمه الله ويؤخر من أخره الله على الكشف والشمود ، كما يشاهد الإنسان ذلك في حضرة ملوك الدنيا ، فإن لم تسلك يا أخى كما ذكرنا فلا يصح لك تقديم أحد على أحد لإلعملة دنيوية ، وليس ذلك التقديم هو الذى أمرك الله به . فعلم أن كل من أقام الميزان بغير حق على العلماء والأكابر حرم النفع بهم وعصى الله ورسوله :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى الطبراني مرفوعا : « تَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ » .

وفى رواية له أيضا مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا يَسْتَحِفُّ بِهِمْ إِلَّا مُتَارِفٌ : ذُو الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَذُو الْعِلْمِ ، وَالْإِمَامُ الْمَقْسُطُ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكُنِي زَمَانٌ أَوْ لَا تُدْرِكُوا زَمَانًا لَا يَتَّبِعُ فِيهِ الْعَلِيمُ وَلَا يَسْتَحْيَا فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذَّنَابِ ، وَالسِّنُّهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نعطي جميع الحقوق التي علينا للخلق في هذه الدار ونتحللهم منها قبل يوم القيامة ، وذلك لسكون الدنيا أوسع من الآخرة لاجتماع الحقوق علينا هناك وكثرة الطالبين لنا ، ولا هكذا الدنيا إنما يطالبنا فيها بعض أناس .

سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يكمل حال الفقير إلا إن أعطى جميع الحقوق التي عليه قبل المطالبة ، ومتى أحوج صاحب الحق إلى وقوف عندحنا كم فقد خرج من طريق الفقراء إلى طريق العوام والظلمة سواء أكان ذلك الحق لزوجة أو جار أو أجير أو فقراء يستحقون زكاته ونحو ذلك ، وهذا العهد لا يصح العمل به إلا لمن سلك الطريق وخرج عن محبة الدنيا وشهد مواقف القيامة ، وما يقع فيها من مناقشات الحساب حتى لا يفوت صاحب الحق مثقال ذرة من حقه ، ومن لم يسلك الطريق فن لازمه محبة الدنيا والوقوف مع أربابها للحكام كما هو واقع لغالب فقراء هذا العصر فضلا عن غيرهم .

وقد رأيت بعيني شخصا من فقراء العصر تولى نظرا على وقف له فيه معلوم النظر تصف وعماني كل شهر ، اشتكاه شخص من المستحقين وقال له أنت أكلت معلومنا ه والمسئول منك إما أن تعطينا حقنا، وإما أن نسامحك فيما مضى وتنزل عن النظر فأبى ورضى بوقوفه عند الحكام ، فأخذ بعض المستحقين ومسكه من كفه ودخل هو وإياه بيت قاضي العسكر فهدله غاية الهدلة على شان نصف وعماني كل شهر ، مع أن تجارة هذا الشيخ كما حكى عنه أصحابه نحو عشرة آلاف ونصف ، فإذا كان هذا حال المشايخ في هذا الزمان فكيف حال غيرهم ، وما رأيت هذا الحال قط في أحد من الأسيخ الذين أدر كناهم ، فلم نر أحدا منهم قط واقفا عند حاكم يدعى عليه نحو زوجة أو جار أو صاحب أو أجير بل كانوا يعطون الحق الذي عليهم قبل السؤال .

فاسلك يا أخى طريقهم إن أردت أن ينفع الله بك المسلمين في إرشادهم والشفاعة فيهم عند الحكام وغيرهم ، فإن من شرط الشيخ أن يكون محفوظ الظاهر مهابا في العيون وتأمين الظالم أو المرید لو جاء لزيارة الشيخ فوجده مربوطا برسل الحكام يدعون عليه ويخرجونه كيف يهون في عين الظالم أو المرید فلا يقبل ذلك الظالم بعد ذلك له شفاعا ولا ينتفع به ذلك المرید ، فشرط الشيخ أن يكون وارثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كونه يحكم في غيره ولا يحكم أحد عليه ، فاعلم ذلك والله يتولى هداك .

وقد روى البخارى وابن ماجه وغيرهما مرفوعا قال :

« قَالَ اللهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَّمْتُهُ : رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا حُرًّا فَأَكَلَ مَمْنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوَفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ . »

وروى ابن ماجه مرفوعا : « أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ . »

وهو وإن كان ضعيفا فكثرة طرقه تكسبه قوة ، والله تعالى أعلم .

(أخذنا عابنا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نعظ كل عبد غضب من سيده ونرغبه في أداء حق الله وحق موليه ، كما نعظ سيده ونأمره أن يرفق به عملا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يفرغر ويقول :

« الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ . »

فلولا أن الاحسان إلى الأرقاء أمر عظيم مناقرنه صلى الله عليه وسلم بالصلاة التي هي عماد الدين .

واعلم يا أخى أنك أو أحسنت إلى عبدك مدى الدهر لا تقوم بواجب حق عبدك عليك لأنه بالأصالة إنما هو عبد الله كما أنك عبده ، فأحسانك إليه يصحبه شهود المنة عليه ، ولا هكذا إحسان عبد إليك ، فأجره موفر للدار الآخرة بخلاف أجرك ، وهنا أسرار يعرفها أهل الله تعالى لا تسطر في كتاب .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي للفقراء أن يروا لهم ملكا لشيء من الوجود لا عبدا ولا أمة ولا دابة كما كان صلى الله عليه وسلم وكل ورثته يفعلون ، وكان كل عبد دخل في يدهم أعتقوه لوقته ، فهم يستحيون من الله تعالى أن يراهم يستعبدون أحدا من الخلق ، ويجعلون عبد سيدهم عبد لهم ، فإن ذلك عندهم من أعلى طبقات سوء الأدب ، ومن هنا كانوا عبيد الله خالصين لم يسترقهم شيء من مملكة الدارين ، ولو أعطاهم الحق تعالى شيئا قبلوه أديبا ثم خرجوا عنه في الحال لربهم حياء منه أن يراهم مشاركين له في وصف من الأوصاف ، وليس فرحهم سوى إقبال الحق عليهم ، وليس حزنهم إلا على إدمارهم عنه لا غير ، فسواء أقطعهم الجنة كلها أو لم يقطعهم منها هو عندهم سواء ، لعدم شهودهم دخول شيء من الكونين في مملكتهم وشكرهم لله تعالى ، إنما هو من حيث النسب لا غير ، فافهم ذلك فإنه نفيس جدا .

ويؤيد ما قلناه من عدم ملك العبد مع ربه حديث :

« لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي » .

وبالجملة فليس في الدارين نعيم أكبر من نعيم مجالسة الحق تعالى ، ولذلك ورد :

« لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ

تَعَالَى فِيهَا » .

وذلك لأنهم لا يجالسون الله تعالى في الجنة إلا بقدر مجالستهم له في ذكره في دار الدنيا وإن كانت الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، فمجالسة الحق في دار الدنيا كالنواة الكامل فيها أغصان وورق وثمار ، فربما تكون الذرة من مجالسة العبد لربه في الدنيا تضعف له في الآخرة ألف ضعف أو أكثر أبد الآبدين :

(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فيحتاج العامل بهذا العهد إلى شيخ يرشده إلى مشاهد الرجال في ذلك :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ » .

وروى البخاري مرفوعا : « الْمَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الْخَلْقِ وَالنَّصِيحَةِ وَالطَّاعَةِ لَهُ أَجْرَانِ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ مَوْلَاهُ ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أُمَّةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَالَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الْمُصْلِحِ أَجْرَانِ » .

وكان أبو هريرة يقول : والذي نفسى بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبرّ أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك :

وروى الطبراني مرفوعا : « أَنَّ عَبْدًا أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَطَاعَ مَوْلَاهُ أَدَخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَبْلَ مَوْلَاهُ بِسَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَيَقُولُ السَّيِّدُ رَبِّ هَذَا كَانَ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا ، قَالَ : جَازَيْتُهُ بِعَمَلِهِ وَجَازَيْتُكَ بِعَمَلِكَ » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « إِنَّ عَبْدًا أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَرَأَى عَبْدَهُ فَوْقَ دَرَجَتِهِ فَقَالَ : يَا رَبِّ هَذَا عَبْدِي فَوْقَ دَرَجَتِي ؟ قَالَ : قَدْ جَازَيْتُهُ بِعَمَلِهِ وَجَازَيْتُكَ بِعَمَلِكَ » .

وروى الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : شَهِيدٌ ، وَصَفِيْفٌ مُتَعَفِّفٌ ، وَعَبْدٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ وَنَصَحَ مَوْلَاهُ » .

وروى الترمذى والطبرانى مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ أَرَاهُ ، قَالَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عَبْدٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوْلِيهِ » الحديث .

وفى رواية : « ثَلَاثَةٌ لَا يَهُوُّهُمْ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ، وَلَا يَنَالُهُمُ الْحِسَابُ وَهُمْ عَلَى كُنُيبٍ مِنْ مِسْكِ حَتَّى يُفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلْلَاتِقِ ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ : وَعَبْدٌ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، وَفِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلِيهِ » .

وفى رواية للطبرانى مرفوعا : « أَوَّلُ سَابِقٍ إِلَى الْجَنَّةِ مَمْلُوكٌ أَطَاعَ اللَّهَ وَأَطَاعَ مَوْلِيَهُ » والأحاديث فى ذلك كثيرة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد للعام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب كل غنى عنده عبيد أو مال فى العتق لاسيما إن كان كثير الذنوب كالحكام وحاشيتهم وقضاة الأرياف الذين يتهورون فى الأحكام ، فعلم أن الفقير لا يطالب بعتق العبيد ، وليكن قد جعل الله تعالى للفقراء ما هو كعتق رقبة منه ، ماروى فى الصحيح :

« أَنْ مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُخَيَّرُ وَيُمَيَّتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ يَبْتَقِيهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَمَنْ قَالَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَ كَعَدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ » .

وررد أيضا : « مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُكَ وَأَشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مَرَّةً وَاحِدَةً عَتَقَ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ ، فَإِنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ عَتَقَ نِصْفَهُ ، فَإِنْ قَالَهَا ثَلَاثًا عَتَقَ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ عَتَقَ كُلَّهُ » .

والأحاديث فيها هو كعدل رقبة أو رقاب من الأعمال كثيرة مشهورة لمن تتبعها فى السنة ، والله تعالى أعلم :

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ » .

ولما سمع بذلك على بن الحسين رضى الله عنه بادر إلى عهد أعطى فيه عشرة آلاف درهم أو ألف دينار فأعتقه .

وفي رواية للشيخين مرفوعا : « مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ » .

وروى الترمذى وابن ماجه مرفوعا :

« أَيُّمَا أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فَكَاكُهُ مِنَ النَّارِ، يَجْزِي كُلُّهُ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ كَانَتْمَا فَكَاكُهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِي كُلُّهُ عَضْوٍ مِنْهُمَا عَضْوًا مِنْهُ » .

وفي رواية للإمام أحمد باسناد حسن صحيح وأبى داود والنسائى مرفوعا :

« مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً فَهِيَ فَكَاكُهُ مِنَ النَّارِ » .

ولفظ رواية الحاكم وقال صحيح الإسناد :

« مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً فَكَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ » .
والأحاديث فى ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نغض بصرنا عن رؤية كل ما هنا الله تعالى عن النظر إليه من مستحسنات الدنيا المحسوسة والمعنوية ، وأن نروض نفوسنا قبل الغرض بالجوع ونحوه حتى يصير غرض البصر مما تعطيه سجينتنا لانتكلف له ، ويحتاج من يريد ذلك إلى السلوك على يد شيخ ناصح .

وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم مع كمالهم وتمكنهم يجعلون على رؤوسهم الطيلسان ، ويرخون حاشية الرداء على أعينهم ، حتى يكون بصرهم مكفوفاً فلا يرون إلا مواقع الأقدام ، وبعضهم كان يلبس للبرنس صيفا وشتاء منهم أنس بن مالك رضى الله عنه ، وكان يقول إنه يكف البصر عن فضول النظر وتبعهم على ذلك سادات الصوفية وأمرؤا به مريدهم إذا خرجوا إلى السوق حتى يرجعوا ، وللشيخ جلال الدين السيوطى فى ذلك مؤلف سماه [الأحاديث الحسان فيما ورد فى الطيلسان] ٥

وقد خرج شخص من مريدى سيدى مدین مرة بغير طيلسان فرأى جرة خر فكسرها

فهجره سيدى مدين ، فقيل له في ذلك فقال : إني لم أهجره من أجل كسره جرة الخمر ، وإنما هجرته من جهة تعاطيه أسباب فضول النظر وعدم خروجه إلى السوق بالطيلسان ، فعرض نفسه لأمر قد يعجز عنه ، ولو أنه خرج بطيلسان أو غض بصره لما وقع بصره على محرم اه .

ويتعين فعل ما ذكرناه اليوم من غض البصر على فقراء الزاوية لعدم ضبطهم على امتثال أمر الله لهم بغض البصر ، فإذا لبسوا الطيلسان رد بصرهم قهرا ويصير بينهم على الكف حين يحتاجون لرفع الرأس ، ويتكلمون لرفعه بخلاف ما إذا تركوا للطيلسان ، فإنه يسهل عليهم الالتفات إلى طبقات البيوت وغيرها .

وسأني في عهد المنهيات في معنى حديث : « وكانت خطيئة أنخي داود عليه السلام النظر » أن المراد بالخطيئة كونه رفع بصره عليه السلام بغير حضور ، وذلك لأن الأكابر مكلفون بأن لا يقع منهم حركة ولا سكون إلا بعد حضور مع الله ومراقبة له ، فكانت الخطيئة عين الرفع مع الغفلة ، لاعتين النظر إلى امرأة أوريا كما قيل ، لأن الأنبياء معصومون عن الوقوع في النظر المحرم ولو فجأة ، لمكوفهم بقلوبهم في حضرة الإحسان فلا يقع منهم خطيئة لاسهوا ولا عمدا . وأيضا فلأنهم مشرعون لأنهم في جميع الحركات والسكنات ، فلو صحح في حقهم الوقوع في معصية ما لصدق عليهم تشريع المعاصي ولا قائل بذلك من المسلمين ، فكانت ذنوبهم صورية ليروا من وقع من أهمهم في خطيئة كيف يفعل ، وقد بكى داود حتى نبت العشب من دموعه تعظيما لحرمة الله تعالى على أن قومه يفعلونها ، فكان بكائه صلى الله عليه وسلم إنما هو من باب شفقتة على قومه ، كما كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة وقال :

« إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي » .

يعنى مما استقع فيه أمتى بعدى ، هكذا كان سيدى على الخواص يقول لنا في معنى استغفار المعصومين ، وقال جميع ما ذكر عن الأنبياء مما يخالف هذا إنما أخذه الناس من كتب اليهود الذين كذبهم الله تعالى في وجوههم ولم يأتنا ذلك في كتاب ولا سنة وإنما جاء الأمر محملا ، والأنبياء من مقامهم الكوف في حضرة الإحسان التي منها حفظ من حفظ من الأولياء الذين دخلوا حضرة الإحسان .

فاسلك يا أخى على يد شيخ ناصح ليدلك على دخول الحضرة التي تحفظ منها جوارحك

عن الوقوع في شيء من المعاصي ، ولا يصبر لها قط شهوة إلى معصية ، وإلا فن لازمك الوقوع حتى لا يكاد يسلم لك عضو واحد من أعضائك من المعصية ، والله يتولى هداك :

وسمعت سيدي عليا الخواص يقول : مراتب شهود الأكابر أن لا يروا شيئا إلا ورون الله تعالى قبله ، فيكون الحق تعالى حاجبا لهم عن الأكوان ، ومثل هؤلاء لا يؤمرون بغض البصر كالغير ، وإنما يعصمون أبصارهم حياء من الله تعالى وإجلالا له . قال ومشهد من دونهم أن لا يروا شيئا إلا ورون الحق تعالى معه ، فيشهدون الحق مع الخلق مع الفرق بين العبد والرب ، ومشهد أصحاب للفكر من العلماء أن لا يشهدوا شيئا إلا يرون الله بعده لأن الأكوان أمارات على القدرة الإلهية والصنعة تدل على الصانع بيقين اه .

وسمعت أخى أفضل الدين يقول : من شهد الخلق مع الحق معا فهو الكامل الذى لا أكمل منه ، خلاف قول الجنيد وغيره : من شهد الخلق لم ير الحق ومن شهد الحق لم ير الخلق اه .

قلت : وقول أخى أفضل الدين هو الحق لاسيا والرسول مكلفت يد عليه أمته لهلا ونهارا من حيث الأمر والنهى ومعظم رسالته إنما هو لأجلهم ، إذا كان شهود الخلق تعالى حاجبا له عن الكون ، فلمن يأمر وينهى ولمن يخاطب بالتكاليف وفيمن يجاهد بالسيوف فتأمل . فقد علمت يا أخى أن كراهة عدم غرض البصر إنما هو في حق من يورثه ذلك محظورا لا في حق أهل الله تعالى المتقدم ذكرهم ، والله تعالى أعلم :

وروى الطبرانى والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا عن الله عز وجل قال :

« النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ تَخَافَتِي أَبَدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحْسِنٍ امْرَأَةٍ ، ثُمَّ يَقْضَى بَصَرَهُ إِلَّا أَحَدَّثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا فِي قَلْبِهِ » .

ولفظ الطبرانى : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ أَوْ لَرَمَقَةٍ » .

قال البيهقي : والمراد أن يقع بصره على المرأة من غير قصد فبصرف بصره عنها تورعا لا أنه يقصد النظر إليها أولا :

وروى الأصبهاني مرفوعا : « كُلُّ عَيْنٍ بَأْكِيَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنًا غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ » الحديث .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا تَرَى أَعْيُنُهُمُ النَّارَ فَذَكَرَ مِنْهُمْ ، وَعَيْنٌ كَفَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ » .

وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« أَضْمَتُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضَعَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ ، فَذَكَرَ مِنْهَا : وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ » الحديث .

وروى مسلم عن جرير قال : « سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرِ الْفَجَاءَةِ فَقَالَ أَصْرِفْ بَصْرَكَ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نختار التزويج على العزوبة ولو كنا في عبادة ليلا ونهارا ، ونعين من طلب التزويج جهلنا ، وذلك لأن عبادة العازب ناقصة ، وإنما مدح الله تعالى السيد يحيى عليه السلام بالعزوبة بقوله :
(وَسَيِّدًا وَحَصُورًا) .

لأن مقامه أعطى ذلك . فخرج عن الشهوة الغالبة على للبشر :
وقال الشيخ يحيى الدين بن العربي رحمه الله : لم تكن العزوبة مقصودة ليحيى عليه السلام وإنما ذلك لأن زكريا كان يعجبه حال مريم عليها السلام ، كلما دخل عليها من حيث أنها كانت بتولا أى منقطعة عن الأزواج ، فلما استفرغ وسعه في ذلك خرج ولده يحيى كذلك فإهى صفة كمال في نفس الأمر بدليل أن الله تعالى أثنى على الرسل بالتزويج في قوله تعالى :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) ٥١ .

وكم يقع العازب في فاحشة ويستتره الله ، وكم تخطف في باله الفاحشة ويحميه الله ، وكم يصلى صلاة وجارحته منتشرة في حال الصلاة ، وكم يسىء الناس ظنهم به ، وكم يمنعونه

عن السكنى بين النساء في الربوع وغيرها ، ولو أنه تزوج لكان أعف نفسه عن مثل ذلك
ومن هنا ورد :

« مَنْ غَسَلَ وَاغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ » الحديث .

أى أتى زوجته قبل أن يحضر لصلاة الجمعة خوفاً أن يخطر في باله وهو بين يدي الله عز وجل الجماع ولو حالاً في تلك الحضرة الخاصة ، والجمع العظيم ، فإذا جامع زوجته وخرج للجمعة أمن من ذلك .

ومن فوائد التزويج أنه ينشط الكسلان للمكسب الحلال بالأصالة ، وإن وقع بسببه في المكسب الحرام فليس ذلك بالأصالة وإنما هو بالعرض .

وقد حكى لي شيخنا رضى الله عنه : أن شخصاً كان يتعبد في زاوية ويأكل من صدقات الناس وأوساخهم ، وكان كثير التزويج ، فكانت كل امرأة تزوجها لانقيم معه إلا نحو يومين أو ثلاثة أو جمعة ثم يطلقها حين تطلب منه النفقة ، فخطب امرأة صاحبة عقل فنصحتها الناس عنه ، فقالت تزوجته وتوكلت على الله ، فلما كان اليوم الثاني من دخوله بها ، قالت له يارجل أما تخرج تكسب للأولاد شيئاً؟ فقال ما أعرف صنعة فقالت له خذ هذه الحلقة الذهب وبها واشتر بها لنا فولاً ، فاشترى به نحو ثلاثة أرادب ، فشرعت تنقى هى وإياه ثم بلته بالماء إلى اليوم الثاني ، ثم مألقته ، وقالت أخرج به وقل يا صباح العافية فما زال يبيع إلى قريب الظهر ثم جعلت الباقي مقل ، وقالت أخرج به بمشاق أو نخالة أو بجنز ، ولا تتوقف فما فرغ لنصف العصر فلقبه بعض إخوانه بعد جمعة ، وقال قد تمجبتنا من إقامة هذه المرأة معك هذه المدة ، فقال : والله ما أنا فارغ أطلق فلانى إلى الظهر في الفول الحار وإلى نصف العصر في المقل .

واعلم أن الله تعالى قال : (الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) .

ففضل الرجال بذلك فمن لا كسب له فهو والمرأة سواء في الدرجة :

وانظر يا أخى إلى إبحار السيد موسى عليه السلام نفسه عشر سنين في تحصيل مهر امرأة تعرف مقدار التزويج .

وقال لى بعض فقراء العصر وقع لى أتى أمرت بعض الفقراء المتعبدى فى الزاوية بالتزويج ، فقال لا حاجة لى بذلك ، فغلبته نفسه فوقع فى الزنا ، فتزوج ياعازب واسع

سعى الرجال فلأن تزوج وتساءل الناس وتكتسب بنصب وتعيب خبر لك من أن تأتي يوم
القيامة زانيا أو محشورا مع قوم لوط ، ولو كنت على عبادة الثقلين .
ومن القواعد أن السلامة مقدمة على الغنمة وقول بعض الفقهاء في هذا الزمان أن
العزوبة مقدمة على التزويج ، إنما ذلك في حق من لم يخف على نفسه العنت ، أما من
يخاف العنت فالتزويج مطلوب له بالإجماع ، وقد ورد :

« شِرَارُكُمْ عَزَابُكُمْ » وورد « خَيْرُكُمْ بَعْدَ الْمَائِتَيْنِ الْخَفِيفُ الْحَادُّ ، وَهُوَ
الَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا زَوْجَةَ » .
وهما محمودان على ما قرناهما .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول لمن شاوره في التزويج ، وليس له كسب ،
شاور يا أخي غيري أتريد مني أن أعلمك سرقة العاهم فتلخص من جميع ذلك أن صفة
للتزويج أولى من صفة العزوبة بكل حال لأجل النسل والإعفاف .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الشيخان واللفظ لهما وأبو داود والترمذي والنسائي ، أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال :

« يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصَرِ
وَأَحْسَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ » .
وروى ابن ماجه مرفوعا : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ طَاهِرًا مُطَهَّرًا
فَلْيَتَزَوَّجِ الْخُرَّاءَ » .

يعنى الالاقى يعففته عن النظر إلى الأجانب .

وروى الترمذي مرفوعا وقال حديث حسن :

« أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ الْحِنَاءُ وَالتَّعَطُّرُ وَالسَّوَالِكُ وَالتَّنَاحُ » .

وفي بعض الروايات : « وَالْحَيَاءُ » بالياء دون النون .

وروى البيهقي مرفوعا : « إِذَا تَزَوَّجَ الْعَبْدُ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ الدِّينِ فَلْيَتَّقِ

اللَّهَ فِي النِّصْفِ الْبَاقِي » .

وروى الترمذى وقال حسن صحيح وابن حبان فى صحيحه والحاكم مرفوعا :
« ثَلَاثَةٌ حَقَّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ : الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ
الْأَدَاءَ ، وَالذَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ التَّعْفَافَ » .

وروى الطبرانى والبيهقى مرسلًا باسناد حسن :

« مَنْ كَانَ مُوسِرًا وَهُوَ مُحْتَاجٌ لِأَنْ يَنْسَكِيحَ فَلَمْ يَنْسَكِيحْ فَلَيْسَ مِنِّي » .

وروى الشيخان وغيرهما : « فِي خَبَرِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ قَالَ أَحَدُهُمْ ، أَمَا أَنَا فَأَعْتَزَلُ
النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَرْقُدُ
وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي » والله تعالى أعلم .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نختار ذات الدين
الشوهاء على الجميلة الفاسقة عند فقد ذات الدين الجميلة ، وهذا العهد يخل بالعمل به
غالب الناس ، حتى بعض من ينسب إلى العلم والصلاح لإيثارهم الدنيا على الآخرة ،
وفى الحديث :

« لَوْ تَدَعَوْنَ مَا أَعْلَمُ مَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ » .

والقاعدة عند أهل الله تعالى أن يكون نومهم ضرورة وأكلهم ضرورة ولبسهم ضرورة
وجماعهم ضرورة أما عند غلبة شهوتهم عليهم أو غلبة شهوة عيالهم عليهم ، ومن أتى الجماع
عند الضرورة كفاه جارية سوداء ، كما اكتفى الإمام الشافعى بالجارية ، وكان اسمها بلاغا
وكانوا إذا طلبوه لتزويج المنعمات يقول مالى فراغ إلى الاستمتاع بهن ثم يقول إن فى
بلاغ لبلاغا .

واعلم يا أخى أن من أكبر الفسق الذى تقع فيه المرأة تركها الصلاة ، وعدم الغسل من
الجنابة كلما يقع لها جنابة فيصير الإنسان يضاعفها وهى جنب ساخط عليها ربها ، ومنه
الإمام أحمد رضى الله عنه أنها مرتدة لا يجوز نكاحها وأولادها من زنا ، على
قاعدة الشريعة :

فابحث يا أخى على دين المرأة وحسن خلقها ولا يضرك ما فاتك بعد ذلك عكس ما عليه
غالب الناس ، فترى أحدهم يسأل عن حسنها وعن مالها فقط ، وما عليه من دينها بل يصير

يقبلها ويعانقها ، كما تفعل الأمة مع سيدها مع أنها مرتدة مراقبة الدم إن لم تنب ، وذلك في غاية الجهل والتهوير ، ولذلك يكون عاقبة أحدهم وخيمة من الفراق والشكاوى حين يريد أن يأخذ شيء من حوائجها ليرهنه أو يبيعه لينفقه ، بل رأيت بعض الشباب تزوج عجزوا ذات مال وصار يخدمها ، وينتظر موتها ليرثها فلم تمت فطلقها بعد اثنتي عشرة سنة ، وكان يقول كلما أقرب منها يحصل لي في بدني الأذى كأنني شربت سما ، وهذا كله لا ينبغي لمؤمن أن يفعله لاسيما من كان مشهورا بالعلم والصلاح ، وقد قالوا من ادعى طريق الفقراء واسترقته شهوة من شهوات الدنيا فهو كاذب في دعواه :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح والبخاري وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه

مرفوعا :

« تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى إِحْدَى خِصَالٍ ، لِحَمَالِهَا ، وَمَالِهَا ، وَخُلُقِهَا ، وَدِينِهَا فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ وَالْخُلُقِ تَرَبَّتْ يَمِينُكَ » .

وفي رواية للشيخين وغيرهما مرفوعا : « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِحَمَالِهَا ، وَدِينِهَا . فَأَظْفَرَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ » .

قال الحافظ عبد العظيم قوله « تربت يدك » كلمة معناها الحث والتحريض ، وقيل هي كلمة دعاء عليه بالفقر ، وقيل بكثرة المال ، واللفظ مشترك بينهما قابل لكل منهما والثاني هنا أظهر ومعناه أظفر بذات الدين ولا تلتفت إلى المال أكثر الله مالك :

وروى الأول عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قال له ذلك لأنه رأى الفقر خيرا له من الغنى ، والله أعلم بما أراد نبيه صلى الله عليه وسلم :

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لِعِزِّهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا ذُلًّا ، وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لِمَالِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا فَقْرًا ، وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لِحُسْنِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا دَنَاءَةً ، وَمَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لَمْ يُرِدْ بِهَا إِلَّا أَنْ يَعْضَّ بَصْرَهُ وَيُحْصِنَ فَرْجَهُ أَوْ يَصِلَ رِجْلَهُ ، بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا وَبَارَكَ لَهَا فِيهِ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « لَا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ الْحُسَيْنِ فَمَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ وَلَا

تَزَوَّجُوهُنَّ لِأَمْوَالِهِنَّ ، فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْفِئِينَ ، وَلَكِنَّ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ
وَلَأُمَّةٌ جَذَمَاهُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينَ أَفْضَلُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نختار تزويج
الودود الولود على الجافية الطبع العجوز ، من حيث إن تزويج الولود الودود أشرح
للخاطر . ، لما فيه فتح باب الشكر لله عز وجل وارتباط القلب بها من حيث أولادها ،
ولا هكذا العجوز الجافية فإن من تزوجها ربهما سخط على مقدور ربه عز وجل لنفرة
الخطاير منها ، وربما ولدت الجافية ولدا فجاء نصف الخلق ضعيفا للضعف الداعية
بخلاف الودود ، يستخرج بحسن ملاحظتها وحلاوة كلامها المنى الكثير من جميع مكائمه
فتنزل للنطفة غزيرة فيأبى الولد ضخم الخلق ، حسن الوجه جميل الأخلاق على صورة
ما كان أبواه عليه حال الوقاع بإذن الله تعالى :

وبالجملمة فلا تجد أحدا يختار خلاف ما اختار له الشارع صلى الله عليه وسلم إلا لعله
دنيوية ، اللهم إلا أن يكون في مقام رياضة النفس فهذا له حكم آخر :

وقد كان بعضهم يتزوج كل امرأة رآها شوهاء ويصبر عليها ويقول : أنا أحق بها من
غيري فأحلمها عن إخواني المسلمين وكان بعضهم يختار شراء العبد القوى الرأس أو الدابة
البطيئة السير ويصبر عليها .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : قل أحد من الأولياء إلا وهو تحت
حكم امرأته تؤذيه بلسانها وبأفعالها ، إما أن يكون ذلك لمشاكلتها لنفسه ، وإما أن يكون
ذلك اختبارا منه ليحمل أذاها عن غيره ممن يتزوجها .

وأخبرني شيخنا الشيخ نور الدين الشونى شيخ مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمصر وقراها أنه جاور عند سيدي عثمان الخطاب بمصر فخرج يتوضأ في
ليلة باردة ، فوجد شخصا ملفوفا في نوح حلفاء قال : فحركته برجلي وقلت له من أنت ؟
فقال عثمان ، فقلت له ياسيدي مالك نائم هنا ، فقال أخرجتني أم أحمد من البيت اه .

وكذلك رأيت زوجة سيدي الشيخ محمد بن أبي الحمايل السروى تشتمه وتخرجه عن
طريق الفقر ويخاف منها ، ورأته مرة وهو طائر في الليل مع الطيارة فقالت : انظروا
عرصته أيش قام عليه بطيران ، وكانت زوجة سيدي على الخواص تهجره الثلاثة

أشهر وأكثر ، وهجرته شهرا لكونه سقى دجاجها من الماء المكشوف ، وغلط مرة فشرب من قلتها فحكمت موضع فيه بشقفة حتى لا تضع فيها موضع فيه ، وسافر بها إلى الحجاز وهى هاجرة له ، فسافر بها من مصر ورجع من غير أن يقع بينها وبينه كلام ، ثم لما ماتت تبعها براءة بيضاء أمام نعشها ، مع أنه أخبرني في مرض موتها بأن له سبعا وخمسين سنة من حين دخل بها لم ييم معها ليلة واحدة ، وهما مصطلحان ، فثل هؤلاء لهم مقاصد صحيحة فينبغي التسليم لهم فيمن يزوجونه من العجائز الشوهات والسيئات الخلق :

وَ (اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى أبو داود واللفظ له والحاكم وقال صحيح الإسناد والنسائي :

« أَنْ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ وَمَالٍ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَلِدُ أَقَاتِرَ وَجُهَاً؟ فَهَمَّ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ؟ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ : تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى البيهقي أن عمر رضی الله عنه كان يقول : حصير في بيت خير من امرأة لم تلد ، والله تعالي أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكون رحمة بين العباد وميزان عدالة بين الناس لانخيف على واحد دون آخر فنرغب مثلا الزوج في الوفاء بحق زوجته وحسن عشرتها ، ونرغب المرأة في الوفاء بحق زوجها وطاعته وعدم مخالفته وتلتو على كل واحد منهما ماورد في ذلك في حقه عن الشارع صلى الله عليه وسلم ، وهذا العهد قل من يعمل به الآن لأمر يطول شرحها ، وأولى الناس بالعمل به حملة القرآن والعلم لاطلاعهم على ماورد في ذلك بخلاف العوام والظلمة فإن أكثرهم لا يكاد يعرف أصول الدين فضلا عن فروعه ، وينبغي للفقهاء إذا وعظ النساء والرجال أن يذكر لكل فريق ماعليه من الحق للآخر .

وقد دخل الأمير محيي الدين بن أبي أصيبغ أحد أركان الدولة بمصر المحروسة يوما فرأى قارىء البخارى لعياله في البيت يقرأ عليهن حقهن على الزوج ؛ فقال له يا أعمى القلب

اذكر لمن ماعليهن من حق الزوج أولا ، لأننا لا نطبقهن مع جهلهن بما لهن علينا من الحق فكيف نطبقهن إذا عرفن الحقوق التي لهن علينا ؟ اهـ .

فإياك يا أخى إذا عرفت العلم أن تتخذة سلاحا تقا تل به كل من له عليك حق ، فإن ذلك حق أريد به باطل ، وربما عملت يا أخى بالأقوال التي ليست في مذهبك وخاصمت بها زوجتك وظفرت عليها بالحجج حتى تقهرها وتظهر للناس أنها ظالمة ، والحال بخلاف ذلك ، والناقد بصير .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يبين له طرق السياسة وتمهيدها لكل خصم حتى يكون كل منهما يبادر إلى إعطاء ماعليه من الحق لما لنفسه من الحظ والمصلحة ، فإن من لم يعرف طرق السياسة ربما نسبه إلى غرض وخاصمه أحد الخصمين وأخرجه عن كونه ميزان عدالة .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : أخلاق الزوجة على صورة أخلاق الرجل في نفسه لأنها منه خلقت ، فمن جهل شيئا من أخلاقه فلينظر إلى أخلاق زوجته فإنها تغمز عليه ، فإن أردت يا أخى استقامة زوجتك في الأخلاق فاستقم مع الله فيما بينك وبينه ، قال وهذا أمر قد أغفله غالب الناس فصاروا يشكون من أخلاق زوجاتهم ولا ينتبهون لنفوسهم ولو أنهم عرفوا ما قلناه لرجعوا لنفوسهم فاستقاموا في أخلاقها فاستقامت أخلاق نساءهم اهـ .

وقد جربت أنا زوجتى أم عبد الرحمن رضى الله عنها في أخلاقها ، فلا أتعوج في عمل ظاهر أو باطن إلا وتتعوج على في أخلاقها قهرا عليها مع أنها ذات خلق حسن ، وربما أكون معها في أحسن ما يكون من حسن العشرة فيخطر في بالى فعل شيء من الشهوات فتتغير في المجلس قهرا عليها فأعرف سبب ذلك فأرجع عنه فترجع في الحال .

وفي رسالة القشبرى عن الفضيل بن عياض : أنه كان يقول : إني لأعصى الله تعالى فأعرف ذلك في خلق حمارى وخادى وزوجتى ، فإذا استغفرت وندمت زال ذلك الخلق السيء فأعرف قبول التوبة ، وكثيرا ما كنت أستغفر وأندم فيدوم الحمار على شموسه ، والعبد والزوجة على مخالفة ما أمرهم به فأعرف أن توبتى لم تقبل . ففتش يا أخى نفسك في الأخلاق السيئة قبل أن تشكو من زوجتك ، وكذلك المرأة ينبغي لها أن تفتش نفسها ثم تشكو من زوجها . ثم إن ما ذكرناه من هذه القاعدة هو الغالب في الناس ، وقد يكون

بعض الأولياء مستقيماً في الباطن ويبتلى بزوجته وبأصحابه وغيرهم اختباراً له وتحملاً عن غيره من الناس ، فربما كان غيره يتزوج تلك الزوجة فلا يتحمل أذاها :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الطبراني وغيره مرفوعاً : « أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَلَى مَا قَلَّ مِنَ الْمَهْرِ أَوْ كَثُرَ لَيْسَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُودَىٰ إِلَيْهَا حَقًّا خَدَعَهَا فَمَاتَ وَلَمْ يُوَدِّ إِلَيْهَا حَقًّا لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ زَانٌ » الحديث .

وروى الشيخان مرفوعاً : « كَلَّكُمْ رَايِعٌ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالخَادِمُ رَايِعٌ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَايِعٌ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَايِعَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا » .

وروى الترمذى وابن حبان في صحيحه مرفوعاً :

« أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ » .

وفي رواية للترمذى والحاكم مرفوعاً : « إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَالْأَطْفَمُ بِأَهْلِهِ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعاً :

« خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعاً :

« إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ فَإِنْ أَقَمْتَهَا كَسْرَتَهَا فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا » .

قلت : والمدارة تكون باسقاط جزء من الدنيا والمداهنة تكون باسقاط شرط من الدين .

فالمدارة مستحبة ، والمداهنة حرام في حرام ومكروه في مكروه ، والله أعلم :

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً : « أُسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيْمُهُ كَسْرَتُهُ ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ » .

وفي رواية لمسلم مرفوعا: « إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ ، فَإِنْ أَسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَثُرُهَا طَلَّاقُهَا » .

والضلع : بكسر اللضاد المعجمة وفتح اللام أفصح من سكونها ، والعوج : بكسر العين وفتح الواو ، وقيل إذا كان فيها هو منتصف كالحائط والعصا يقال فيه عوج بفتح العين والوار وفي غير المنتصب كالدين والخلق والأرض ونحو ذلك يقال فيه عوج بكسر العين وفتح الواو ، قاله ابن السكيت .

وروى مسلم مرفوعا : « لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ » .

ومعنى : يفرك يبغض ، وهو بسكون الفاء وفتح الباء والراء وضم الراء شاذ :

وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه :

« أَنْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَنِيْدَةَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ ؟ قَالَ : أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا كَتَسَيْتَ ، وَلَا تُضْرِبَ الْوَجْهَ ، وَلَا تُقَبِّحَ ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ » .

ومعنى لا تقبح : أى لا تسمعها المكروه ، بأن تشتمها وتقول قبحك الله ونحو ذلك .

وروى ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح مرفوعا :

« أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ، فَإِنْ أَطَعَنَّكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِلنِّسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، فَحَقُّكُمْ عَلَيْهُنَّ أَنْ لَا يُؤْطِنَنَّ فَرَشَكُمْ مِنْ تَكَرُّهُنَّ ، وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ ، وَطَعَامِهِنَّ » .

وقوله عوان : أى أسيرات ، ومنه فك العانى .

وروى ابن ماجه والترمذى والحاكم مرفوعا :

« أَيَّمَا امْرَأَةٍ مَا نَتَّ وَزَوْجَهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ » .

وروى ابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ حَمْسَهَا وَحَصَلَتْ فَرُجَهَا وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا دَخَلَتْ مِنْ أَىِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ » .

وروى البزار باسناد حسن والحاكم : « عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَىُّ النَّاسِ أَكْبَرُ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ ؟ قَالَ زَوْجُهَا : قُلْتُ أَىُّ النَّاسِ أَكْبَرُ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ ؟ قَالَ زَوْجُهَا : قُلْتُ فَأَىُّ النَّاسِ أَكْبَرُ حَقًّا عَلَى الرَّجُلِ ؟ قَالَ أُمُّهُ » .

وروى البزار باسناد جيد وابن حبان فى صحيحه :

« أَنَّ رَجُلًا أتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِابْنَتِهِ فَقَالَ : إِنَّ ابْنَتِي هَذِهِ أَبَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطِيعِي أَبَاكَ ، قَالَتْ : وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَتَزَوَّجُ حَتَّى تُخَيِّرَنِى مَا حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ ؟ قَالَ : حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ لَوْ كَانَ بِهِ قَرْحَةٌ فَلَحَسَتْهَا أَوْ انْتَشَرَ مِنْخَرُهُ صَدِيدًا أَوْ دَمًا ثُمَّ ابْتَلَعَتْهُ ، مَا أَدَّتْ حَقَّهُ ؟ قَالَتْ : وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُنْكَحُوهُنَّ إِلَّا بِإِذْنِي » .

وفى رواية لابن ماجه وابن حبان فى صحيحه فى قصة أخرى :

« فَقَالَتْ : وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَتَزَوَّجُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا » .

وروى أبو داود مرفوعا : « لَوْ كُنْتُ امْرَأَةً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ

أَنْ يَسْجُدْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّى الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّى حَقَّ زَوْجِهَا » .

زاد فى رواية ابن ماجه : « وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسُهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعَهُ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَمَرَ امْرَأَتَهُ أَنْ تَنْتَقِلَ مِنْ جَبَلٍ أَوْ

إِلَى جَبَلٍ أَسْوَدَ ، أَوْ مِنْ جَبَلٍ أَسْوَدَ إِلَى جَبَلٍ أَحْمَرَ ، لَكَانَ عَلَيْهِمَا أَنْ تَفْعَلَ .

وروى الطبراني مرفوعا: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ فِي الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: كُلُّ وَدُودٍ وَوَلُودٍ ، إِذَا غَضِبْتَ أَوْ أُسِيءَ عَلَيْهِمَا أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ لَا أُكْتَحِلُ بِنِعْمِضٍ حَتَّى تَرْضَى . »

وروى النسائي والبخاري مرفوعا: « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِرِزْقِهَا وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ . »

وروى الترمذي وقال حديث حسن والنسائي وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى تَنُورٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ننفق على زوجاتنا وعبائنا وبناتنا ونؤدبن ونصبر عليهن ، ونقدم في النفقة من أمرنا الشارع بتقدمه ، لكن أمر الشارع لنا بالانفاق إنما يكون بشرط وجود ما تنفقه من وجه حلال ، فإن لم نجد ذلك من وجه حلال خيرنا في الإقامة مع عدم تكليفنا عيالنا بذلك ، أو في الفراق أو في الرضا بالخبز الحاف من غير آدم ، فمن أوجب فهو منا ، ومن عصى فليس منا ، ولسنا منه .

ويحتاج العامل بهذا العهد إلى صبر شديد هو وعباله وأولاده كما كان أهل بيت النبوة في حال حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا فن لازم كل منهم السخط على المقدور وعدم الرضا بما قسمه الله له ، وقد قل في هذا الزمان المكاسب ولو من شبهات وصار التاجر فضلا عن غيره لا يعمل بالقوت إلا بمعاينة أسباب الموت .

ثم اعلم أن من الناس من لم يقسم الله تعالى له ولعياله رزقا إلا من الوظائف على طريقة فقهاء الزمان ، فتأنف نفس ذلك المعيل أن يباشر تلك الوظائف ، إما تكبرا وإما خوفا أن يقول الناس فيه إنه ذنوبى كما يقع لبعض المعتقد فيهم ، بل رأيت بعضهم لم يباشر وظيفته كذا وكذا سنة ، وطلب من الناظر أن يصرف له معلوما ، فأبى إلا أن يباشرها فسلط عليه جماعة من ذوى اللسان ، واشتكوا الناظر وحسوه كأنه هو الجاني ، وأعرف جماعة لا يسألون الناس مع حاجتهم وإن أعطوهم شيئا ردوه بحضرة الناس ،

ويأكلون معلوم وظائفهم من غير مباشرة ، مع أنهم يفتنون بتحريم ذلك في حق غيرهم ، وهذا كله من الجهل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَيْسَ الْمُعْطَى بِأَفْضَلَ مِنَ السَّائِلِ إِذَا كَانَ مُحْتِاجًا » .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : اسع على عيالك ليلا ونهارا ولو سماك الناس دنوبيا فانه خير من أن يسموك صالحا وأنت تأكل صدقاتهم وأوساخهم ، وناظر لما في أيديهم ، وكل من لم يعطك شيئا تصير تكرهه ، مع أن تلك الكراهة من غير حق . وقد رأى سيدي علي الخواص مرة شخصا من مشايخ العصر ، كان يتعجر في البرز والقماش ، فترك ذلك وعمل شيئا ، فقال له ارجع إلى حالتك الأولى فلإنها أرجح لك ، وأطهر لقلبك فلم يسمع ، فدعا الشيخ عليه بمحبة الدنيا وحرمانه منها فصار بعد شهر كذلك فلا هو يترك الدنيا ولا يقدر على أن يأكل منها ولا يتصدق منها ، ولا ينفق على عياله فتلف بالكلية لمخالفته الإشارة ، وبلغني أن له الآن كل سفرة نحو خمسة عشر ألف دينار في بلاد التكرور وفي بلاد الشام وفي الحجاز ، وقد قالوا : أقبح من كل قبيح صوفي شحيح .

فامل يا أخى على تحصيل النفقة عليك وعلى عيالك كل يوم بيوم ، ولا تدخر شيئا إلا لعذر شرعى .

« وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » والله تعالى أعلم .

وقد تقدم في كتاب الصدقات الترغيب في النفقة على الزوج والأقارب ونقدمهم على غيرهم .

وروى مسلم مرفوعا : « دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مَسْكِينٍ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمَهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ » .

وفي رواية لسلم والترمذي : « أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى ذَاتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .
قال أبو قلابة : بدأ بالعيال ، ثم قال أبو قلابة ، وأي رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على عياله صبغار ؟ يفهم الله أو يتفهم الله به ويفهمهم .

وروى ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحيه والترمذى مرفوعا :
« عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ : وَضَعِيْفٌ مُتَعَفِّفٌ
ذُو عِيَالٍ . »

وروى الشيخان : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ :
وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي
فِي امْرَأَتِكَ . »

وروى الإمام أحمد بإسناد جيد مرفوعا :
« مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ ،
وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَتِكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَمَا أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ . »
وروى الطبراني وغيره مرفوعا : « وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعْمَلُ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأَخِيكَ وَأَخَاكَ
وَأَدْنَاكَ فَأَدْنَاكَ . »

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « مَا أَنْفَقَ الْمَرْءُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَذَوِي رَجِحِهِ وَقَرَابَتِهِ
فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ . »

وروى الدارقطني والحاكم وصحيح إسناده مرفوعا :
« وَمَا وَقَى الْمَرْءُ بِهِ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ ، وَمَا أَنْفَقَ الْمُؤْمِنُ مِنْ نَفَقَةٍ ،
فَإِنَّ خَلْفَهَا عَلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ ضَامِنٌ إِلَّا مَا كَانَ فِي بُنْيَانٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ . »
وسئل محمد بن المنكدر عما وقى المرء به عرضه ؟ فقال : هو ما يعطى للشاعر وذى
اللسان المتقى .

وروى البزار مرفوعا : « إِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ
يَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ الْبَلَاءِ . »

وروى الطبراني مرفوعا : « أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ نَفَقَتُهُ عَلَى أَهْلِهِ . »
وروى الإمام أحمد والطبراني مرفوعا :
« إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنَ الْمَاءِ أُجِرَ . »

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ فِيهِ الْعِبَادُ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا . »

قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله والمراد بالتلف فيمن أمسك أن يتلف ذلك بالإتفاق في سبيل الله لأن الملك من عالم الخبير فكأنه سأل الله تعالى أن الممسك ينفق ماله في سبيل الله كالسخي ولا يشح به إلا بطريق شرعى ، والله أعلم .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ سَكِينٌ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ . »

وروى مسلم والترمذى مرفوعا : « مَنْ عَالَ جَارِ يَتِيمٍ حَتَّى يَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَصَمَّ أَصَابِعُهُ . »

وفي رواية للترمذى مرفوعا : « مَنْ عَالَ جَارِ يَتِيمٍ دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ . »

« يعنى السبابة والى نلها » كما فى رواية ابن حبان فى صحيحه .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ ابْنَتَانِ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ أَوْ صَحِبَتَاهُ إِلَّا أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ . »

وروى البزار والطبرانى مرفوعا : « مَنْ سَعَى عَلَى ثَلَاثِ بَنَاتٍ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَكَانَ لَهُ كَأَجْرِ مُجَاهِدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَائِمًا قَائِمًا . »

زاد فى رواية : « فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَثِنْتَانِ ؟ قَالَ : وَثِنْتَانِ » وشواهدة كثيرة .

وفى رواية للترمذى وأبى داود مرفوعا :

« مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ . »

وروى أبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« مَنْ كَانَتْ لَهُ أُتَى فَلَمْ يَبْدِهَا وَلَمْ يَبْسُهَا وَلَمْ يُؤْمِرْ وَلَدَهُ الَّذِي كُورَ عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ » .

ومعنى لم يبدّها : أى لم يدفنها حية وكانوا يدفنون البنات أحياء ، ومنه قوله تعالى :
(وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ) والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نسمى أولادنا بالأسماء الحسنة ، ونرشد جميع أحوالتنا إلى ذلك ونمنع بعضهم من تسمية ميخائيل وغبريان ونحوهما كشموال ، من حيث كونها صارت من أسماء اليهود والنصارى ، كما نمنع المسلم من لبس العمامة الصفراء والزرقاء ، من حيث كونها صارت شعارا لأهل الكتابين ، ويؤيد ذلك حديث :

« مَنْ أَشْبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » .

ونمنع بعضهم من تسمية أحدهم بأسماء الله تعالى ، كنافع ومالك ومؤمن وعزيز وحكيم وعدل وجليل وحليم ووكيل ونحوهم مماورد ، لكن ظواهر الشريعة تشهد بالجواز لورودها فى السنة .

قال سيدى على الخواص : وينبغى اجتناب الألقاب الكاذبة كشمس الدين ، وقطب الدين وبدر الدين ونحوها وإن كان لها معنى صحيح بالتأويل ، كأن يقال المراد أنه شمس دين نفسه ، أو قطب دين نفسه ، أو بدر دين نفسه وهكذا ، وهذا أمر قد عم غالب الناس حتى العلماء والصالحين ، وصاروا يستنكرون النداء بأسمائهم المحرّدة عن الألقاب كمحمد وعمر وعلي ونحو ذلك ، واتبعوا السنة أولى . ومن أراد الفخيم لعالم أو صالح فليخطبه بلفظ السيادة ، كسيدى محمد ، وسيدى عمر ، ونحو ذلك ، فإنه أبعد عن الكذب من قطب الدين ونحوه .

(اللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى أبو داود وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَحَسِّنُوا أَسْمَاءَكُمْ » .
قلت : قال بعض العلماء : ليس كل الناس يدعى بأبيه يوم القيامة ، وإنما ذلك خاص

بمن ليس له ذنب يفتضح به ، أما من له ذنب يفتضح به فينادى باسم أمه ستراله ،
والله أعلم .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه مرفوعا :

« أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ مَا عُبِدَ أَوْ مُحَدَّ » .

وفى رواية : « أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ » .

وروى أبو داود والنسائي مرفوعا : « تَسَمُّوا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى

اللَّهِ تَعَالَى عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ » .

أى لأن الحارث هو الكاسب ، والهمام هو المدى يهم مرة بعد أخرى ، وكل إنسان
لا ينفك عن هذين الأمرين ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نؤدب أولادنا
الذكور والإناث ، ولا نكل تأديب البنات إلى أمهن جملة كما عليه بعضهم ، لاسيما إن
كنا أعلم بالأدب من الأم ، وهذا باب قد أغفله غالب الناس حتى صار الولد الأمرد يجلس
يلغو بين الرجال الأكابر يمزح ، ولا شك أن الأب المستول عن ذلك فعليه الأمر لولده
بالخير ويبقى التوفيق من الله تعالى ، وقد أدركنا الناس وهم يؤدبون أولادهم ليلا ونهارا ،
ولا يكتفون بالفقيه أو المعلم ، فإن قلب الأجنبي على الولد ليس كقلب الوالد .

وقد كان أخى الشيخ عبد القادر لا يجلس قط بين رجال حتى دارت لحيته ، ولما
تزوج مكث نحو سنة لا يقدر على مجالسة والده ، وما اطلع والده ولا أمه قط على غسله
من الجنابة :

ورأى سيدى على الخواص شخصا من أولاد العلماء دخل الحمام مع والد زوجته فى
جمعة الدخول بها ، فأنكر ذلك غاية الإنكار وقال إذا كان هذا حال أولاد العلماء
فكيف بغيرهم :

وسمعت مرة يقول : إنما كان غالب أولاد الأولياء والعلماء لاجياع فيهم ولا أدب
ولا فضيلة لأنهم عكارة ظهور آباؤهم حين تصفون من السكودرات ، فنزل ذلك فى نطقة
أولادهم بخلاف أولاد الفلاحين والعوام الغالب عليهم اكتساب الفضائل لموت آباؤهم من
غير تصفية .

فأدب يأخى ولدك ولا تغفل عنه وإن كنت شيخ زاوية ، فعلمه كيف يتلقى الواردين من الفقراء والعلماء والأمراء ومشايخ القرى وغيرهم ، وعلمه آداب الضيافة ، ومكافأة الناس على هداياهم ، وعدم ادخار شيء عن الضيف وعدم تكلفه له ، وأخبره بأن من تمكلف للضيف سوف يهرب ولو على طول ، وأمره باجلال جماعة والده وبمحببتهم والإحسان إليهم ، وإيثارهم على نفسه في المأكل والمدايا وغير ذلك ، وذلك ليعكفوا عليه بعد والده حتى يظهر له فضله ، ويحتاج الناس إليه في علم أو سلوك أو شفاة ونحو ذلك .

وأمره باكتساب الفضائل ليلا ونهارا والإيثار على نفسه ، وتحمل الأذى من جميع الخلق حتى يصير يهرب من الناس فيتبعونه ، فإن كل من احتاج إلى جلب الناس بالإحسان فمشيخته مفتعلة ، وإن رفعهم من جهة تصرموا من جهة أخرى ، وليس هذا من شأن الفقراء ، إنما ذلك من شأن أبناء الدنيا ، وقد خالف كثير من أبناء ما ذكرناهم وعادوا أصحاب والدهم ففر الناس منهم وأخربوا الزاوية ، ولو أنهم أجلوا أصحاب والدهم لسكلوهم بالأدب للذي أخذوه عن والدهم .

وبعضهم ادعى أنه رأى والده بعد موته في المنام ، وقال له كل من كنت أحبه فابغضه ففعل بذلك ، فقات له هذا إبليس ، فلم يعتقد صدق مقالتي وقال رأيت والدى حقا ، فقلت لو رأى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أكره أبا بكر وعمر وكل من كنت أحبه فابغضه هل يجوز له بغضهم ؟ فقال لا ، فقلت فكذلك في أصحاب الأولياء ، فرجع واستغفر الله تعالى وتاب وصالح جماعة والده فعمرت الزاوية ، فالحمد لله رب العالمين .

وقد جافى الشيخ جلال الدين البكرى بولده محمد وقال لى ادع الله له أن يجعله كأخيه أبى الحسن فقلت له يكفى واحد فى البيت مرصد لإقراء الناس العلم ولمكن ادعو له أن الله يعرفه مقادير الواردين على الزاوية فانقبض خاطره من ذلك .

وبالجملة فالكمال فى الشخص إنما يكون بمراعاة معرفة الشرع والعرف والعمل بهما والسلام :

وروى الترمذى مرفوعا : « لَأَنَّ يُؤَدَّبَ الرَّجُلُ وَوَلَدُهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا ومرسلا : « مَا تَحَلَّ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ تَحَلِّي أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ » ومعنى نحل : أعطى ووهب .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « أَكْرَمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ » والله تعالى أعلم .
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نروض نفوسنا في عدم الميل الطبيعي إلى أولادنا بحيث نعرف من أنفسنا أنها صارت لا تتأثر لو ماتوا في ساعة واحدة تقدما لمرضاة الله تعالى على مرضاة نفوسنا .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق يسلك به حتى يخرج به عن محبة الدنيا وشهواتها ، وإلا فمن لازمه التأثر المصاحب للضجر على فراق ماله وأولاده ، ولو أنه كان راض نزهة قبل ذلك لم يقع منه تأثر ، إن لم يكن ذلك كشفا كان إنا بقوله تعالى :

(فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) .

وربما أتت المصيبة للولي في حال إدباره عن الله تعالى فيتأثر ضرورة ، وربما أتت المصيبة للعاصي في حال إقباله على الله تعالى فلا يتأثر ، وقد بسطنا الكلام على هذا العهد في عهود المشايخ فراجعها ، والله تعالى أعلم :

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ » .

وفي رواية للنسائي مرفوعا :

« مَنْ احْتَسَبَ ثَلَاثَةً مِنْ صَلَاتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَقَامَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : وَائْتَانِ؟ فَقَالَ : وَائْتَانِ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ يَا كَيْتَنِي قُلْتُ وَوَاحِدًا » .

والحنث هو الإثم والذنب ؛ والمعنى أنهم لم يبلغوا السن الذي يكتب عليهم فيه الذنوب :

وروى ابن ماجه بإسناد حسن مرفوعا :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ إِلَّا تَلَقَّوهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ » .

وروى مالك والشيخان وغيرهم مرفوعا :

« لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ » .
 وفي رواية لمسلم : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ :
 لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ كُنَّ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ فَتَحْتَسِبُ إِلَّا دَخَلَتْ الْجَنَّةَ ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ
 مِنْهُنَّ أَوْ أَثْنَانٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَوْ أَثْنَانٍ » .

وفي رواية للنسائي : « يُقَالُ لَهُمْ » يعنى الأولاد « أُدْخِلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُونَ حَتَّى
 يَدْخُلَ آبَاؤُنَا فَيُقَالُ لَهُمْ أُدْخِلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ » .

وروى مسلم مرفوعا : « صِبَاغُهُمْ » يعنى الأموات « دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَى أَحَدُهُمْ
 أَبَاهُ أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ فَيَأْخُذُوا بِتَوْبِهِ ، أَوْ قَالَ بِيَدِهِ فَلَا يَتَنَاهَى ، أَوْ قَالَ يَنْتَهَى حَتَّى
 يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَإِبَاهُ الْجَنَّةَ » .

والدعاميص : بفتح اللدال جمع دعووص بضمها . وهى دويبة صغيرة يضرب لونها
 إلى السواد تكون فى الغدران ، شبه الطفل بها فى الجنة لصغره وسرعة حركته ، وقيل
 هو اسم للرجل الزوار للملوك الكثير الدخول والخروج عليهم ، لا يتوقف على إذن منهم
 ولا يخاف أين يذهب من زيارهم ، شبه به طفل الجنة لكثرة ذهابه فى الجنة حيث شاء
 لا يمنع من بيت فيها ولا موضع ، وهذا قول ظاهر والله أعلم .

وروى الطبرانى مرفوعا : « مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ لَمْ يَبْلَغُوا الْحِنْتَ لَمْ يَرِدِ
 النَّارَ إِلَّا عَابَرَ سَبِيلٍ » يعنى الجواز على الصراط « فَقَالَ رَجُلٌ وَاثْنَانٍ ؟ فَقَالَ : وَاثْنَانٍ » .
 قال جابر : وبالجمله لوقال وواحد لقل له وواحد .

وروى الإمام أحمد وغيره بإسناد حسن مرفوعا :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ السَّقَطَ لَيَجْرُ أُمَّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ » .

والسرر : هو ما تقطعه القابلة ، وما بقى بعد القطع هو السرة :

وروى الترمذى مرفوعا : « مَنْ كَانَ لَهُ فَرَطَانٍ مِنْ أُمَّتِي أُدْخِلَهُ اللَّهُ بِهِمَا الْجَنَّةَ ؟
 فَقَالَتْ عَائِشَةُ : وَفَرَطٌ ؟ قَالَ : وَفَرَطٌ يَا مُوقِفَةٌ ، قَالَتْ : فَمَنْ لَمْ يَسْكُنْ لَهُ فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِكَ
 قَالَ أَنَا فَرَطٌ أُمَّتِي لَنْ يُصَابُوا بِمِثْلِي » .

والفرط : هو الذى لم يدرك من الأولاد الذكور والإناث وجمعه أفراط :
وروى ابن ماجه مرفوعا : « مَنْ قَدَّمَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْوَالِدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحَنْثَ كَانُوا لِهُ
حِصْنًا حَصِينًا مِنَ النَّارِ ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : قَدَّمْتُ اثْنَيْنِ ، قَالَ وَاثْنَيْنِ . قَالَ أَبُو بِنُ كَعْبٍ :
قَدَّمْتُ وَاحِدًا قَالَ : وَوَاحِدًا » .

والأحاديث فى ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نسعى فى تطهير
باطننا من سائر الأذناس بالسلوك على يد شيخ مرشد ليطابق لباسنا الأبيض قلبنا الأبيض ،
فإن الشارع صلى الله عليه وسلم ما ندبنا إلى لباس الأبيض إلا ليتنبه لذلك العارفون ،
فيسعون على تبييض قلوبهم مثل ثيابهم .

وقد قدمت أم أخى أفضل الدين مرة له ثوبا أبيض فرده ، وقال أستحى من الله
أن ألبس ما يخالف لون باطنى ، فهكذا يكون نظر العارفين .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا رأيتم النكير يعتنى بلبس الثياب
البيضا أو الجبة النقية البيضاء قبل نخود نار بشريته ، فاعلموا أنه قد مكر به فلا ترجوا
له فلاحا اه :

وسمعت سيدى محمد الشناوى رحمه الله يقول : مثال من لبس الثياب النقية البيضاء
مع دنس القلب مثال من تلطخ بالعدرة قبل الخروج إلى صلاة الجمعة فى بدنه وثيابه ثم
رش ماء الورد عليه اه .

وكان الشعبى رضى الله عنه لا يغسل ثوبه حتى يبلى ، فإذا قيل له إن ثوبك قد اتسخ
واسود يقول : ليت قلبى فى القلوب مثل ثوبى فى الثياب .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى أبو داود والترمذى مرفوعا وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه والحاكم ،
وقال صحيح على شرط الشيخين :

« أَلْبَسُوا الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ ، وَكَفَنُوا فِيهَا مَوْتَانَا كُمْ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « أَحْسَنُ مَا زُرْتُمُ اللَّهَ بِهِ فِي قُبُورِكُمْ وَمَسَاجِدِكُمْ » .

الْبَيَاضُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحب من الثياب التميمص اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعصر في ذلك كونه ساترا لأكثر البدن بخلاف الإزار والرداء ، اللهم إلا أن يكون الوقت حارا شديدا الحر فلنا التخفيف بلبس الإزار .

وسمعت سيدي محمد بن عنان يقول : أبدان الفقراء كأبدان المخدرات من النساء ، ليس لأحدهم أن يغتسل لإمستور البدن بقميص مهلهل ، فقلت له ، إن أعلى ما أمر به الشارع عند الغسل الإزار الساتر للعورة فقط ، فقال صحيح ، ولكن هكذا أدركنا أشياخنا وماهم على خلاف في ذلك ، وربما كان لهم دليل في ذلك لم يطلع عليه غيرهم ، وبتقدير عدم الدليل في ذلك ، فالأدب مع الله ستر البدن كله قياسا على الصلاة ، فإن الشارع لم يكتف فيها بساتر العورة فقط ، بل أمر المصلي بستر ظهره وبطنه وأكتافه كما هو معلوم اه .

وقد قال الإمام أحمد بوجوب ستر المنكبين في الصلاة برداء ونحوه :

وسمعت أختي أفضل الدين رحمه الله يقول : يجب الحضور مع الله تعالى في كل عمل مشروع ، ولا شك أن الغسل عمل مشروع ،

ومن أدب الحضور أن يكون العبد مستورا البدن كله إلا ما استثنى شرعا ، وأهل الله تعالى في جميع أوقاتهم في صلاة كما أشار إليه قوله تعالى (على صلاتهم دائمون) اه : واغتسل أختي أبو العباس الحرثي مرة بازار فقط فزجره سيدي محمد بن عنان وقال : بدن الفقير كله عورة والله أحق أن يستحي منه ، فقد بان لك وجه حب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للقميص وتقديمه على الإزار والسراويل في الفضل ، ومن بالغ في الأدب فلا لوم عليه ولو لم يرد في ذلك شيء بخصوصه ، فإن العمومات تشهد له .

وقد قلت مرة لشيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله : السنة في العذبة أن تكون أربع أصابع فقط كما ورد في دليل الصوفية في تطويلها أكثر من ذراع حتى أنهم يغرزونها في أعلى العمامة فقال لي : لولا أنهم رأوا في ذلك شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلوه .

وقد بلغنا أن بغداد لما خربها التتار رموا كتب المجتهدين والمحدثين في الدجلة ، حتى صارت الخليل تمشى عليها إلى ذلك البر كالجسر ، فكم ذهب في تلك الكتب من أحاديث وعلوم اه .

فكانت عذبه رضى الله عنه نحو ذراع ونصف لكبر العمامة . كان يوم الجمعة يلبس عمامة صغيرة سبعة أذرع بعذبة ، فيصلى الجمعة بالسلطان قايتباى ، ويرجع إلى البيت فيلبس العمامة الكبيرة رضى الله تعالى عنه .

واعلم يا أخى أن بعض الأولياء يصل إلى مقام لا يصير يقدر على حمل القميص ، فيكتفى بلبس الازار ليلا ونهارا ومثل هذا يسلم له حاله :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو داود والنسائي والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن أم سلمة قالت : كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص . ولفظ ابن ماجه وهى رواية لأبي داود « ولم يكن ثوب أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القميص » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحضر قلوبنا مع الله تعالى عند كل نعمة تجددت علينا ، وننلقاها بكل شعرة فينا ، ونحمد الله تعالى عليها كما ورد ولا نرى نفوسنا تستحق ذرة منها بكسبها وقوتها بل هى محض فضل من الله تعالى علينا من غير استحقاق .

وكان عيسى عليه السلام يقول للحواريين : بحق أقول لكم ، والله إننا لاستحق على ربنا الرماد نسفه .

وفى رواية : والله لأكل التراب والنوم على المزابل مع الكلاب ولبس المسوح من الثياب لكثير على أهل الدنيا .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول فى سجوده : اللهم إنى أعترف بين يديك بأنى لأستحق ذرة واحدة مما أنعمت به على فى الدنيا والآخرة ، اللهم إنى أعترف بين يديك بكل ذنب فعلته جوارحى إلى وقتى هذا فتطول عليها بالعتو والمغفرة لتطمئن .

وكان يقول : من أراد تخليد النعم عليه فليلقاها بالشكر والاعتراف بالذنب ، فإن من تلقاها مع الغفلة فقد حل عقابها وعرضها للزوال وهذا شأن غالب الناس اليوم فيتلقون النعم وهم غائبون عن الشكر كالبهايم السارحة ، ولذلك تفلت منهم النعم وربما أخذوها مع الإستهانة بها ، فكان ذلك سبب زوالها وفى الحديث :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا مُوسَى إِذَا جَاءَتْكَ مِنِّي بِأَقْلَابَةٍ مُسَوَّسَةٌ عَلَى يَدِ أَحَدٍ مِّنْ عِبَادِي فَأَشْكُرْنِي عَلَى ذَلِكَ فَأِنِّي مُهْدِيهَا إِلَيْكَ وَلَا تَرَى نَفْسَكَ أَهْلًا لَهَا هَكَذَا شَأْنُ الْعَبِيدِ » .

واعلم أن نعمة الشكر أن يتصدق العبد بالخلق إذا لبس الجديد ولا يحبسه عنده إلا لغرض شرعى ، كأن يعده للمحتاج إليه من قرابته أو يكون من وجه حل :
(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

واعلم أن أعظم الشكر والحمد على النعمة أن يكون ذلك بالفعل لا بالقول قال تعالى :
(اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) .

ولم يقل قولوا آل داود شكرا ، وهذه الأمة أولى بذلك لعلو مقامها فافهم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه شكرا لله ولم يكتب بالقول ، فما ورد من الاكتفاء بالشكر بالقول إنما هو رخصة للضعفاء .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وسمعت أختي أفضل للدين يقول : يجب على الشاكر أن يرى جميع ما يشكر به ربه من جملة نعم الله عليه ، فلا يرى أنه كافأ الحق في نعمة من النعم ، ولو سجد على الجمر من افتتاح الوجود إلى انتهائه :

(وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) .

وروى أبو داود والحاكم مرفوعا « مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غَيْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ لَيْسَ ثَوْبًا جَدِيدًا فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » وليس في رواية الحاكم « وما تأخر » .

وروى الترمذي وغيره أن عمر رضى الله عنه لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى ، وأنجمل به فى حياتى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنْ لَيْسَ ثَوْبًا جَدِيدًا فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي مَا أَوَارَى بِهِ عَوْرَتِي ،

وَأَجْمَلُ بِهِ فِي حَيَاتِي ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى التَّوْبِ الَّذِي خَلَقَ فَتَصَدَّقَ بِهِ كَأَن فِي كَنَفِ اللَّهِ
وَفِي حِفْظِ اللَّهِ ، وَفِي سِتْرِ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا .

وفي رواية للبيهقي : « ثُمَّ عَمَدَ إِلَى تَوْبِهِ اَتَخَلَّقِي فَكَسَاهُ مِسْكِينًا لَمْ يَزَلْ فِي جِوَارِ
اللَّهِ ، وَفِي ذِمَّةِ اللَّهِ ، وَفِي كَنَفِ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ، مَا بَقِيَ مِنَ التَّوْبِ سِلْكٌ » .
قيل لعبد الله بن زحر من أى التوبين؟ قال لأدرى .

وروى ابن أبي الدنيا والحاكم والبيهقي مرفوعا :

« مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَعَلِمَ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ شُكْرَهَا قَبْلَ
أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، وَمَا أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَندِمَ عَلَيْهِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مَغْفِرَتَهُ قَبْلَ أَنْ
يَسْتَغْفِرَهُ ، وَمَا اشْتَرَى عَبْدٌ تَوْبًا بِدِينَارٍ أَوْ نِصْفِ دِينَارٍ فَلَيْسَهُ فَحَمِدَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَّا لَمْ
يَبْلُغْ رُكْبَتَيْهِ حَتَّى يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب نساءنا في ترك
لبس الحرير تورعا لما ورد من عموم الأحاديث الآتية في الباب ، وأيضا فإن زماننا قد
ضاق عن مثل ذلك لقلّة المكاسب على التجار فضلا عن الفقراء الذين يأكلون من صدقات
الناس من الأوقاف والزكوات والافتقادات ونحو ذلك .

واعلم يا أخى أن كل من أمعن في التفتيش على المال الحلال لم يجد ثمن لبس الخيش
لعباله فضلا عن الكتان ، فضلا عن الحرير . فينبغي للفقير إذا طلبت امرأته ثوب حرير
أو بخرق حرير أو منديل حرير أن لا يجيها إلا إن وجد ثمن ذلك من وجه حل ، فإن لم
تصبر فليخبرها بين الإقامة على الفاقة وبين الفراق ، كما خیر رسول الله صلى الله عليه
وسلم نساءه حين ضاقت عليهن المعيشة امتحانا واختبارا لهن ، لتظهر مراتبهن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فيعرف من يحبه ممنه لله تعالى ومن يحبه لعملة الدنيا ، هذا شأن الصادقين
وأما النصابون فلا يتوقفون على شيء يأخذونه من الولاة تارة بالسؤال وتارة بالقال والقليل
وتارة بالخال ، ولم يكن السلف الصالح هكذا إنما كانوا يلبسون الخليقات والمرمعات ،
فالعاقل من اتبعهم في ذلك هـ

وكانت زوجة سيدى على الخواص رحمه الله كلما تطلب شيئا من الثياب الفاخرة يقول

لها الملابس الفاخرة أمامك في الجنة ، وما بقي إلا القليل وما دخلنا دار الدنيا لمثل ذلك إنما
ادخلناها للعمل الصالح اه
فينبغي للعالم والصالح أن يقرأ على عياله ماورد في السنة من الأحاديث ليتركن لبس
الحرير اختيارا من أنفسهم :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ فَإِنَّهُ مِنْ لِبْسِهِ فِي الدُّنْيَا لَمْ
يَلْبَسَهُ فِي الْآخِرَةِ » .

زاد في رواية قال ابن الزبير :

« مَنْ لَبَسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ - » .
وفي رواية للنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم مرفوعا :

« مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسَهُ فِي الْآخِرَةِ ، فَإِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَبَسَهُ أَهْلُ
الْجَنَّةِ وَلَمْ يَلْبَسَهُ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « لَا يَسْتَمْتِعُ بِالْحَرِيرِ مَنْ يَرْجُو أَيَّامَ اللَّهِ » .

وروى الشيخان وغيرهما أن ابن الزبير خطب فقال : لا تلبسوا نساءكم الحرير فإني
سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

« لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ فَإِنَّ مَنْ لَبَسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسَهُ فِي الْآخِرَةِ » .

وروى النسائي والحاكم وقال صحيح على شرطهما :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ الْحِلْيَةَ وَالْحَرِيرَ ، وَيَقُولُ :

إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ حِلْيَةَ الْجَنَّةِ وَحَرِيرَهَا فَلَا تَلْبَسُوهَا فِي الدُّنْيَا » .

وروى البزار بإسناد حسن مرفوعا : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ تَرَكَ الْحَرِيرَ وَهُوَ

يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَأَكْسُوَنَّهُ إِيَّاهُ مِنْ حَظِيرَةِ الْقُدْسِ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْسُوَهُ اللَّهُ الْحَرِيرَ فِي الْآخِرَةِ

فَلْيَتَرَكَهُ فِي الدُّنْيَا » .

وروى أبو الشيخ ابن حبان وغيره « أُرِيْتُ أَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَعَالِي أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَرَّاهُ الْمُهَاجِرِينَ وَذَرَارِي الْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ أَقَلٌّ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَالنِّسَاءِ قَقِيلَ لِي أُمَّةُ الْأَغْنِيَاءِ فَإِنَّهُمْ عَلَى الْبَابِ يُحَاسِبُونَ وَيُحَصِّنُونَ وَأُمَّةُ النِّسَاءِ فَأَلْهَاهُنَّ الْأَحْمَرَانِ : الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا « وَبَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الْأَحْمَرَيْنِ الذَّهَبِ وَالْمُعْصَرِ »
والأحاديث في ذلك كثيرة .

وقال بعض العارفين إنما شرع لبس الحرير للنساء لاستمالة قلوب الرجال إليهن حال الوقاع ، فينبغي للمرأة الخاذقة لبسه قبيل الوقاع ومقدماته ثم تنزعه لوقته ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نترك الترفع في اللباس تواضعا واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولو كان معنا قناطر من الذهب ، فنجعل ذلك في مرضاة الله تعالى من الإنفاق على الفقراء والمساكين والمخاويج وهذا العهد يخلف به كثير من الفقراء فضلا عن العوام وربما خلف الواحد منهم نحو سبعين زيقا ثمن كل زيق ثلاثة ذهبا أو أكثر ، وقد رأيت من خالف سبعمائة زيق من العلماء .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : ينبغي التسليم لمن لبس الثياب الفاخرة من الأولياء ، كسيدي عبد القادر الجيلي ، وسيدي علي بن وفا ، وسيدي مدين وأضرابهم . وقد كان سيدي عبد القادر يلبس كل ذراع من الخمام بدينار ، فاعترض عليه بعض الناس فقال : العبد إذا مات كفن مرة ، وأنا قدمت أكثر من مائة مائة في مخالفة نفسي ، فلي أن ألبس كل بداية ثمن مائة كفن اه .

ثم السرف في ترك اللباس الرفيع أن النفس تميل إليه بالخاصية ، وتفرح به وكل شيء فرح به العبد من الدنيا حججه عن دخول حضرة الله عز وجل كما تحجب المعصية ، فيريد الإنسان أن يجد قلبه حال لبس الرفيع الفاخر مثل حاله في حال لبسه الخلق القليل الثمن فلا يقدر ومن شلك فليجرب ، وكذلك جربنا السجود على الأرض الطاهرة بلا حائل يجد الإنسان انفساحا وانسراحا وصلة بالله عز وجل بخلاف الصلاة على بساط أو حصير ، ومدار كلام للشيارع ونصحه لنا على عكوفنا في حضرة الله عز وجل ليعطى الخدمة للحق

حقها ويتملى بشهوده تعالى ، لأنه صلى الله عليه وسلم أشفق علينا من أنفسنا ، فضلا عن
والدينا ، فما منعنا من فعل شيء إلا هو يبعدنا عن حضرة الحق تعالى ، وقد أخبرنا أن كل
من تكبر قصمه الله .

ثم لا يخفى عليك يا أخى أن التواضع حقيقة إنما هو في النفس لا في الثياب ، وربما
يلبس الإنسان العباءة والخيش ، وعنده من الكبر ما ليس عند أهل اللباس الرفيع ؛
فليتفقد الإنسان نفسه عند لبس الخيش والحلق ، فرمما يكون يرى نفسه بذلك على أصحاب
اللباس الرفيع فيمقته الله ، وهو لا يشعر وما رقع السلف الصالح ثيابهم لإلتقاة الحلال في
زمانهم بالنظر لمقامهم ، فإن التجار وغيرهم كل يوم في نقص من الورع ، فكان أحدهم
إذا اشترى له ثوبا بدراهم حلال لا يجده مثلها بعد ذلك حتى يشتري قميصا كاملا ، فلما
كانوا لا يعجبهم كل الحلال في زمانهم كانوا يرقعون كل شيء الخرق بشراميط الثياب
التي اشتروها في الزمن الماضي التي هي أحل من دراهم زمانهم وقت الترقيع ، فعلم أن من
يجمع له شراميط من جوخ أو غيره والتدمها ثم خيطها مراعي كل لون في صف كما
يفعله بعض فقراء الأحمدية فهو مغرور ، وقد رأيت من اشترى قطعة جوخ ثم قطعها
قطعا بقدر جديد نقرة ، وذلك من أكبر رعونات النفوس مع ما فيه من إتلاف المال
لغير غرض شرعى فافهم ، بخلاف مرقعات السلف فإن في لبسها فوائد ، منها كونه
أحل ؛ ومنها عدم التفتات النفس إليه بخلاف الجديد يصير كل وقت يلتفت إليه ، ومنها
خفة المؤونة وعدم الركون إلى الإقامة في هذه الدار .

وقد كان سيدي الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم بركة الرطل بمصر المحروسة ،
إذا أعطوه جوخة نفيسة أو صوفا نفيسا يقطعه بالسكين حتى يصير شرائح شرائح ، ثم يخيطه
بخيطة دارج بمسلة ويلبسه ، فقلت له في ذلك ؟ فقال ديني أعز هلى من الدنيا بأسرها ،
وإني إذا لبست ذلك وهو جديد لا تخزيق فيه تصير النفس تلتفت إليه كل قليل وتسارفتي
في النظر إليه ولو في الصلاة بخلاف ما إذا شرمطته . وإذا تعارض عندنا مفسدتان ارتكبت
الأخف منهما ولا شك أن إتلاف جميع مالى عندى دون ديني اه .

فتتش يا أخى نفسك فيما تأكل وفيما تلبس ، فن فتش لا يجده شيئا في هذا الزمان يشتري
به جوخة نفيسة ولاشاشا نفيسا أبدا ، وربما كان ذلك الشاش الرفيع أو الجوخة البندى التي
على العالم أو الصالح من هدايا بعض الولاة أو ثمنها من وظائف لا يسد فيها لابنته ولا بناتها ؛
(٢٣ — لواقع الأنوار)

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وقد تقدم في هذه العهود أن من آدب الفقراء كلما لبسوا ثوبا جديدا أو عمامة أو رداء في هذا الزمان أن يقول بتوجه تام : اللهم إن كان في هذا الثوب أو الرداء أو العمامة درهم من الحرام فأحمننا من لبسه أو ساءحنا في لبسه ولا تؤاخذنا بذلك في الدنيا والآخرة ، واجعلها تقيم عندنا بقدر ما فيها من الحل ، فإنك عالم بالسرائر ، ومن حين عمات أنا بهذا العهد ما تقطع لي ثوب ، وقد عد أخى إبراهيم السند بسطى الثياب التي كسوتها للناس في مدة صحبته لي فوجدتها سبعائة زيق ، ما بين جوخ و صوف و هضريات و جبيب و قمصان ، ومنها ما يقيم عندي يوما ، ومنها ما يقيم سنة وأقل وأكثر بقدر ما فيها من الحل في نفس الأمر الذي يعلمه الله تعالى ، فالحمد لله رب العالمين .

وروى الترسذى مرفوعا وقال حسن صحيح :

« مَنْ تَرَكَ اللَّبَاسَ تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنْ أَىِّ حُلَّةٍ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا » .

وروى أبو داود والبيهقى مرفوعا : « مَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبٍ جَمَالٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ قَالَ الرَّاوى أَحْسَبُهُ قَالَ : تَوَاضَعًا كَسَاهُ اللَّهُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ » .

وروى أبو داود وابن حبان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا الدنيا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« أَلَا تَسْمَعُونَ ؟ إِنَّ الْبَدَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ » .

يعنى ٧ التحفل . والبدآذة بالموحدة وذالين معجمتين هى التواضع فى اللباس برثائة الهيمئة وترك الزينة والرضا بالدون من الثياب :

وروى البيهقى مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْمُتَبَدَّلَ الَّذِى لَا يُبَالِى بِمَا لَبَسَ » .

وروى الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها « أنها أخرجت لأبى بردة كساء ملبدا من الذى يسمونه الملبدة وإزارا غليظا مما يصنع باليمن وأقسمت بالله لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين الثوبين » والملبد المرقع ، وقيل غير ذلك .

وروى البيهقي عن ابن عمر قال « توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن نمرة من صوف تنسج له » .

وروى ابن ماجه والحاكم « أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل خشنا ولبس خشنا ، لبس الصوف ، واحتذى المخصوف » قيل للحسن ما الخشن؟ قال : غليظ الشعر ، ما كان صلى الله عليه وسلم يسيغه إلا بجزعة من ماء .

وروى الترمذى والحاكم مرفوعا : « أَنَّهُ كَانَ عَلَى مُوسَى يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءٌ صُوفٍ ، وَجَبَّةٌ صُوفٍ ، وَكُمَّةٌ صُوفٍ ، وَسَرَائِيلُ صُوفٍ ، وَكَانَتْ تَغْلَاهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيْتٍ » .

والكمة بضم الكاف وتشديد الميم : القلنسوة الصغيرة .

وروى الحاكم موقوفا على عبدالله قال : « كانت الأنبياء لا يستمحيون أن يلبسوا الصوف ويحلبوا الغنم وبركبوها الحمير » .

وروى ابن ماجه عن عبادة بن الصامت قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعليه جبة من صوف ضيقة السكين ، فصلى بنا فيها ليس عليه شيء غيرها » .
وروى البيهقي مرفوعا : « بَرَاءَةٌ مِنَ السِّكْرِ لُبْسُ الصُّوفِ وَتُجَالَسَةُ قُرَّاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُكُوبُ الْحِمَارِ وَاعْتِقَالُ الْعَنْزِ ، أَوْ قَالَ الْبَعِيرِ » .

وروى البيهقي مرسلا عن الحسن قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى في مروط لنسائه ، وكانت أكسية من صوف مما يشتري بالستة والسبعة ، وكن نساؤه يأتزن بها » .

وروى مسلم وغيره « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر أسود » والمرط كساء يؤتزر به ، وقد يكون من صوف ، وقد يكون من خز ، والمرحل هو الذى فيه صور رحال الجمال :

وروى مسلم وغيره عن عائشة قالت : « كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وساد يتكىء عليه من آدم حشوه ليف » :

وفى رواية لمسلم وغيره أيضا « إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان ينام عليه آدم حشوه ليف » .

وروي أبو داود البيهقي عن عقبه بن عبيد السلمى قال : « استكسيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساني خبيشتين فلقد رأيتني وأنا أكسى أصحابي » والحيشة ثوب يتخذ من مشاققة الكتان تغزل غزلا غليظا ونسج نسجا رقيقا ، وقوله : وأنا أكسى أصحابي أى وأنا أعظمهم وأعلاهم كسوة :

وروي أبو داود وابن ماجه والترمذى عن بريدة قال « لو رأيتنا ونحن مع نبينا صلى الله عليه وسلم وقد أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن » .

قال الحافظ : ومعنى الحديث أنه كان ثيابهم الصوف ، وكان إذا أصابهم المطر تجيء من ثيابهم ريح الصوف : وزاد فى رواية للطبرانى فى آخره « إنما لباسنا الصوف ، وطعامنا الأسودان التمر والماء » ،

وروي أبو يعلى والترمذى واللفظ لأبى يعلى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه قال : خرجت فى غداة شامية جائعا ، وقد أوقفنى البرد ، فأخذت ثوبا من صوف قد كان عندى ، ثم أدخاته فى عنقى وأخرمته على صدرى أستدفئ به ، والله ما كان لى شىء أكمل منه ، ولو كان فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم شىء لبلغنى فذكر الحديث ، إلى أن قال : ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست إليه فى المسجد وهو مع عصابة من أصحابه ، إذ طلع علينا مصعب بن عمير فى برد له مرقعة بفروة ، وكان أنعم غلام بمكة وأرفع عيشا ، فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم ذكر ما كان فيه من النعم ، ورأى حاله التى عليها فنذرت عيناه فبكى ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ أُمَّ إِذَا غَدَى عَلَى أَحَدِكُمْ بِحِفْنَةٍ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ وَرِيحٍ إِلَيْهِ بِأُخْرَى وَغَدَاً فِي حُلَّةٍ وَرَاحٍ فِي أُخْرَى ، وَسَتَرْتُمْ بِيُوتِكُمْ كَمَا تُسْتَرُّ السَّكْعَةُ قُلْنَا بَلَى نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ نَتَمَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ ، قَالَ بَلْ أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ » .

ولفظ رواية الترمذى عن على قال : خرجت فى يوم شات من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أخذت إهابا مطويا فجوبت وسطه فأدخلته فى عنقى وشدت وسطى فحزمته بخوص النخل وإنى لشديد الجوع ، فذكر الحديث . ومعنى جوبت : خرقت فى وسطه خرقا كالجيب وهو الطوق الذى يخرج الإنسان منه رأسه ، والإهاب الجلد ، وقيل ما لم يدبغ .

وروى البيهقي « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ مُقْبِلًا عَلَيْهِ إِهَابٌ كَبَشٍ قَدْ تَنَطَّقَ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انظُرُوا إِلَيَّ هَذَا الَّذِي نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِي، لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَبِي بَرْزَةَ وَبَيْنَ أَبِي بَرْزَةَ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ شَرَاهَا أَوْ شُرَيْتَ لَهُ بِمَا تَتَى دِرْهَمٌ فَدَعَاهُ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَى مَا تَرَوْنَ ». .

وروى مالك عن أنس قال : « لقد رأيت عمر رضى الله عنه وهو يومئذ أمير المؤمنين ، وقد رقع ما بين كتفيه ثلاث رقايع لبد بعضها على بعض » .

وروى الترمذى وقال حديث حسن مرفوعا : « رَبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمْرَيْنِ لَا يُؤَيِّبُهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ مِنْهُمْ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ » .

وروى الطبرانى والبيهقى « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَعِيرُ الثَّوْبَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَيَلْبَسُهُ إِذَا خَرَجَ ، وَاسْتَعَارَ مِنْ شُرَحْبِيلَ دِرْعًا مَرْعًا صَلَّى بِالنَّاسِ فِيهِ » .

وروى الطبرانى بإسناد حسن والبيهقى ، عن عبد الله بن شداد قال : رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدنى غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة وربطة كوفية ممشقة . والعدنى : منسوب إلى عدن . والربطة : بفتح الراء وسكون التحتية كل ملاءة تكون قطعة واحدة ونسجا واحدا ليس لها لفقان . وممشقة : أى مصبوغة بالمشق بكسر الميم وهى المغرة .

وروى البزار عن جابر قال : حضرت عرس على وفاطمة ، فها رأينا عرسا كان أحسن منه ، حشونا الفراش يعنى الليف ، وأثينا بتمر وزبيب فأكلنا ، وكان فرشها ليلة عرسها إهاب كبش .

وروى البخارى والترمذى وحسنه عن ابن سيرين ، قال : كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان مشقان من كتان ، فمخبط فى أحدهما ثم قال بيخ بيخ يمتخط أبو هريرة فى الكتان الحديث . وروى البخارى عن أبي هريرة قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة مامنهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوها فى أعناقهم ، ففما ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين ، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته .

وروى الطبراني عن ثوبان قال : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَكْفِينِي مِنَ الدُّنْيَا ؟ قَالَ مَا سَدَّ جَوْعَتَكَ ، وَوَارَى عَوْرَتَكَ وَإِنْ كَانَ لَكَ بَيْتٌ يُظِلُّكَ فَذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ دَابَّةٌ فَبَيْحِ » .

وروى الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، عن ابن عمر سأله رجل فقال : ما ألبس من الثياب ؟ فقال : ما لا يزيدريك فيه السفهاء ، ولا يعيبك فيه الحكماء ، قال : ما هو ؟ قال ما بين الخمسة دراهم إلى العشرين درهما :

وروى ابن أبي الدنيا مرفوعا « شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غَدُوا بِالنِّعَمِ ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الْأَوَانَ الطَّعَامِ ، وَيَلْبَسُونَ الْأَوَانَ الثِّيَابِ ، وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتصدق بالثوب الخلق أو العامة الخلقة أو النعل الخلق إذا لبسنا الجديد ، وإنما لم يأمرنا صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالجديد ، لأن النفس تتبعه في الغالب ، ومن تصدق بما تتبعه نفسا فأجره ناقص ، فعلم أن من لم تتبع نفسه الجديد فالتصدق به أولى ، إلا أن يكون من الكاملين أو في مقام المجاهدين ، فإن الكامل فرغ من مجاهدة نفسه ، وأمر بالإحسان إليها ويعاملها على الأجناب لكونها أقرب الناس إليه ، والأقربون أولى بالمعروف :

وأما من كان في مقام المجاهدة ، فإنه مأور بمخالفة النفس فيما تهواه فيتصدق بالجديد ولو تبعته نفسه حتى يغلبها نزاعها له ، وسوف يدخل إن شاء الله مقاما لا تتبع نفسه شيئا يعطيه لأحد من الناس ، ولو كان أنفوس ما يكون كما جربناه وذقناه ، قال تعالى :

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) .

وقد سمع سيدي على الخواص رحمة الله فقيرا يقول : خليفة لله ، جديد لله ، كسيرة لله ، فنزع له خاقته ، وأعطاه جديدا وكسرة وقال : لما سمعته يقول لله ، كاد لحمي يندوب من الحياء ، ولو سألتني جميع ما على الله لأعطيته له ، وكان الخط الأوفر لي لما أرى لله على من المنة في إعطائي كل ما طلبه الفقير لله فإن الفقراء غافلون عن طلب العوض على ذلك في الآخرة ، لكونهم لا يشهدون لهم مع الله ملكا يعطون منه أحدا ، وإنما نعيمهم ولدتهم في الأخذ من الحق ، وإعطاء ذلك ثانيا للحق كما ياتذ من ألبسه السلطان بيده خلعة

ثم بعد مدة يقول له أعطها للفقير للفلاحي ، وأنا ألبسك خلعة أخرى أنفوس من تلك في الثمن واللون والرقعة ، فإذا أعطها ألبسه السلطان أخرى بيده .

وقد قال لي الأمير يوسف بن أبي أصيبغ : نزع لي السلطان قايتباي مضربته وألبسها لي بيده فكادت أن أغيب من لذة يده ، فكانت عندي ألد من جامكية وظيفتي .

وألبسه السلطان الغوري مرة ثوب صوف وعمامة فأعطاهما لي ، فأبيت أن ألبسهما أدبا مع السلطان فحلفت على قلبسهما ، وكان سجاف الصوف بسبعة عشر دينارا ذهبيا فضلا عن الصوف ، وأما الشاش فكان عرضه نحو سبعة أذرع ، ثم بعد مدة تصدقت بهما فالحمد لله الذي خلج علينا ملابس الملوك :

وحكى لي سيدي على الخواص رحمه الله أن السلطان قايتباي أرسل لسيدي إبراهيم المتولي سلاذي فلبسه ، وتحزم عليه بحبل حلفاء وصار يعزق في الغيط ، وهو لابس فصار كله وحلا ثم نزع وأعطاه لفقير ، وقال له بعه وانتفع بثمنه .

فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك .

وروى الترمذي والحاكم مرفوعا « مَا مِنْ مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا إِلَّا كَانَ فِي حِفْظِ اللَّهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ خِرْقَةٌ » .

وفي رواية للترمذي « مَنْ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا لَمْ يَزَلْ فِي سِتْرِ اللَّهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ حَيْطٌ أَوْ سِلْكٌ » .

وفي رواية لأبي داود مرفوعا: « أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ » .

وروى ابن أبي الدنيا موقوفا « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْرَى مَا كَانُوا قَطُّ وَأَجْوَعَ مَا كَانُوا قَطُّ وَأَظْمَأَ مَا كَانُوا قَطُّ وَأَنْصَبَ مَا كَانُوا قَطُّ ، فَمَنْ كَسَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَسَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » الخديث :

وروى الطبراني عن عمر مرفوعا « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِدْخَالُ الشُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَسَوْتِ عَوْرَتِهِ أَوْ أَشْبَعْتَ جَوْعَتَهُ أَوْ قَضَيْتَ لَهُ حَاجَةً » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن تبقى الشيب

فولحيتنا إذا شبتنا ولو قبل وقته المعتاد من حيث أنه نذير لنا ، يخبرنا بقرب الموت وانتقالنا من هذه الدار إلى البرزخ - ولا يخلو حالنا من أن نذتقل إما إلى خير أو شر ، وكلاهما يذكرنا به الشيب فمأخذبه في الأهبة للانتقال والتزود وننصل من ذنوبنا وتبعاتنا ، وقد ألغز في نظير ذلك في النعش الشاطبي في أبيات فقال :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ إِذَا سَارَ صَاحَ النَّاسِ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرَّ كُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَغْتَرِيهِ أَسِيرُ
يُحْضِرُ عَلَى التَّقْوَى وَيَسْكُرُهُ قُرْبَهُ وَتَنْفَرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَزِرْ عَن رَغْبَةٍ فِي زِيَارَةِ وَلَسَكِنْ عَلَى رَغْمِ الْمَزُورِ يَزُورُ

وأشده الإمام الشافعي محمد بن إدريس رضى الله عنه لما طالع الشيب رأسه ولحيته :

خَبَّتْ نَارُ نَفْسِي بِاشْتِعَالِ مَقَارِقِي وَأَظْلَمَ لَيْلِي إِذْ أَضَاءَ شِهَابُهَا
أَيَا بُؤْمَةً قَدْ عَشَشْتَ فَوْقَ هَامَتِي عَلَى رَغْمِ نَفْسِي حِينَ طَارَ غُرَابُهَا
رَأَيْتِ خَرَابَ الْعُمُرِ مِنِّي فَزُرْتِي وَمَا وَالِكَ مِنْ كُلِّ الدِّيَارِ خَرَابُهَا
أَأَنْعَمُ عَيْشًا بَعْدَ مَا حَلَّ عَارِضِي طَالَانِئُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغْنِي خِضَابُهَا
وَلَدَّةٌ عُمُرُ الْمَرْءِ قَبْلَ مَشِيْبِهِ وَقَدْ فَنَيْتِ نَفْسٌ تَوَلَّى شِهَابُهَا
إِذَا أَصْفَرَ لَوْنُ الْمَرْءِ وَابْيَضَّ شَعْرُهُ تَنَعَّصَ مِنْ أَيَّامِهِ مُسْتَطَابُهَا
فَدَعِ عَنْكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا حَرَامٌ عَلَى نَفْسِ التَّقِيِّ ارْتِكَابُهَا
وَأَدِّ زَكَاةَ الْجَاهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا كَمَثَلِ زَكَاةِ الْمَالِ تَمَّ نِصَابُهَا
وَأَحْسِنِ إِلَى الْأَحْرَارِ تَمَلِّكَ رِقَابِهِمْ فَخَيْرُ بِيَارَاتِ الْكَرِيمِ أَكْتِسَابُهَا
وَلَا تَمْسُحْ فِي مَنْكَبِ الْأَرْضِ فَاخِرًا فَعَمَّا قَلِيلٍ يَحْتَمِيكَ تَرَابُهَا
وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعَمْتُهَا وَسِيقَ إِلَيْنَا عَذَابُهَا وَعَدَابُهَا
فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا كَالآخِ فِي ظَهْرِ الْفَلَاةِ سَرَابُهَا
وَمَا هِيَ إِلَّا حَيْفَةٌ مُسْتَحْيِلَةٌ عَلَيَّهَا كِلَابُ هَمْهَمٍ اجْتِدَابُهَا
فَإِنْ تَجْتَنِبُهَا عِشْتَ سَلَامًا لِأَهْلِهَا وَإِنْ تَجْتَدِبُهَا نَارَعَتْكَ كِلَابُهَا
فَطُوبَى لِنَفْسٍ أَوْطَنْتْ قَعْرَ دَارِهَا مُعَلَّقَةُ الْأَبْوَابِ مَرْنِي حِجَابُهَا

فَلَنْ تَحْزَبَ الدُّنْيَا بَمَوْتِ شُرُورِهَا وَلَكِنْ مَوْتِ الْأَكْرَمِينَ خَرَابِهَا

انتهى كلام الشافعي رضى الله عنه . ولما بلغ الأربعين سنة رضى الله عنه أمسك العصا فقيل له : نراك تدمن إمساك العصا ولست بمحتاج إليها فقال لأذكر أنى مسافر من هذه الدار وأنشد أيضا لما خرج من بغداد إلى مصر :

وَمُتَّعَبُ الْعَيْشِ مُرْتَاخٌ إِلَى بَلَدِي وَالْمَوْتُ يُطَلِّبُهُ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ
وَمَاشٍ وَالْمَنَابِياَ فَوْقَ هَامَتِهِ لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَيْبًا مَاتَ مِنْ كَمَدِ
أَمَالِهِ فَوْقَ ظَهْرِ النَّجْمِ شَاخِئَةً وَالْمَوْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ عَلَى رَصَدِ
مَنْ كَانَ لَمْ يُعْطَ عِلْمًا فِي حَيَاةِ غَدٍ فَمَا تَفَكَّرُهُ فِي رِزْقِ بَعْدَ غَدِ

وأنشد أيضا لما خرج من بغداد أو من مكة إلى مصر :

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي تَتَوَقَّعُ إِلَى مِصْرٍ وَمِنْ دُونِهَا أَرْضُ الْمَهَامِدِ وَالْقَفْرِ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي إِلَى الْفَوْزِ وَالْغِنَى أَسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أَسَاقُ إِلَى قَبْرِ

ولما تمنى بعض الناس موته أنشد يقول :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتُ فَمَتَّكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى هَيْئًا لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدِ

وإنما ذكرت لك يأخى هذه الأشعار لتعرف أن السلف الصالح كان الموت على بالهم لا يخفون عنه ساعة ويحبون من يذكرهم بالموت سواء كان شيبا أو انحناء أو مرضا أو غير ذلك .

واعلم أنه قد يكون للإنسان زوجة شابة وهو شائب فتكره منه الشيب فلينظر صاحب هذا الحال بين مفسدة إبقائه ومفسدة نتفه ، ويفعل ما هو الأحق ؟ .

وقد أخبرني سيدى على الخواص رحمه الله أن عمره مائة سنة وشئىء ، فقلت له : إن شيبكم فى اللحية قليل ، فقال لما ضربنى الشيب وأنا ابن خمسین سنة تسكدت ابنة عمى ، فوقف الشيب عن الزيادة من ذلك اليوم اه

وكذلك وقع لى أنا مع زوجتى أم عبد الرحمن ، نمت بحضرتها فشرعت تنشف الشعرات البيض ، فاستيقظت على جذبها الشعر فوقف للشيب من ذلك اليوم .

وأخبرني شيخنا الشيخ دمرdash المحدث المدفون خارج مصر في طريق بركة الحاج ، أنه كان له صاحب شعري اللحية وكان معه زوجته إحداهما صغيرة والأخرى كبيرة ، فكانت الصغيرة تنتف الشعر الأبيض كلما نام عندها ليصير صغيرا ، وكانت الكبيرة تنتف الأسود ليصير مثلها ، فما مضى عاياه أشهر حتى لم يبق في لحيته شعرة ه :

فيحمل ماورد في ترغيب الرجل في إبقاء الشيب على ما إذا لم يعارضنا أمر آخر يتولد منه شرور ، وأنكاد مع شدة محبة الرجل لزوجته .

وقد روى البيهقي أنه رفع إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأة قتلت زوجها ، فقال لها ما حلك على قتله ؟ فقالت إني امرأة صغيرة السن ، وقد زوجني أبى له كرها على فلما عجزت عن التخلص منه غلبتني نفسي فرفضت رأسه بحجر رحى فمات ، فأمر ظاهرا بقتلها ثم أسر إلى بعض أهلها أنها تختفى أو تهرب .

وتزوج شخص من إخواننا شابة ، وكانت لحيته بيضاء لأجل ماله وكان كثير المال ليس له ولد ، فكانت تكلفه بعمل اللحم على الصاج ، وبالشهوات ، فإذا أتى بها قالت لا حاجة لي بذلك ، فيأتى ويقول لي : إني أنفق عليها كل يوم نحو عشرة أنصاف وما هو على قلبها ولا خاطرها ، وما أعرف لي ذنبا ، فقلت له : ذنبك بياض لحيتك ، فلم تزل به حتى طلقها . فكاد عقله يذهب .

وقد وقع لشخص آخر من إخواننا أنه صبغ لحيته بالسواد لأجل واحدة كان يحبها ، ثم عقد عاياه وأوهما أنه شاب ، فلما دخل عليها قالت له لحيتك لحية شاب ، وحركتك في الجماع حركة شيخ ، فطلقها من كثرة النكد .

وكذلك وقع لسيدى الشيخ نور الدين الشونى رحمه الله تعالى أنه تزوج بعد تسعين سنة شابة ، ولم يكن تزوج قبلها أحدا ، وكان أبوها من كبار المعتقدين في الشيخ ، فكانت تؤذى الشيخ فيقول لي ما أعرف إيش تكرهني على إيش فأسكت وأستحي أن أقول له من كبر سنك ، وشكت إلى والدها من خشونة جبة الشيخ فنزعها وصار ينام معها في ثياب الكتان الخمسينى ، ومع ذلك فكانت تشكو منه ، وكلما عمل على غرضها في أمر طلبت منه أمرا آخر حتى كدرت عليه معيشته فطلقها ، فاصبغ يا أخى الشيب الذى في لحيتك بغير السواد ، ولا تنتفم إلا لعذر شرعى والله يتولى هداك .

وروى أبو داود والترمذى مرفوعا « لَا تَنْتَفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ مَأْمِنٌ مُسْلِمٌ يَشِيْبُ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وفي رواية له مرفوعا « الشَّيْبُ نُورُ الْمُسْلِمِ » .

زاد في رواية للطبراني « فَقَالَ رَجُلٌ فَإِنَّ رَجُلًا يَغْتَفُونَ الشَّيْبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ شَاءَ فَلْيَنْتِفِ نُورَهُ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا « مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكتحل كل ليلة بالإمجد ونأمر بذلك عيالنا وأولادنا ، ويكون معظم نيتنا بذلك امتثال أمر الشارع صلى الله عليه وسلم لاجلاء البصر ، فإن جلاء البصر حاصل بذلك ولو لم نقصده ، اللهم إلا أنه يكون قصدا به للتداوى ففوى بجلاء البصر ، ومراد أهل الله تعالى أن تكون أفعالهم كلها وأقوالهم كلها من تحت حكم الشارع امتثالا لأمره ولو لم يعقلوا معناه ،

وقد أجمع أهل الله تعالى على أن العمل من غير معرفة العلة أقوى في استعداد العبد من العمل مع معرفة العلة ، لأنه إذا لم يعرف العلة لم يكن الباعث له على فعل ذلك العمل إلا امتثال الأمر ، بخلافه إذا علل فرمما يكون الباعث له على العمل حكمة تلك العلة ، من شقاء أو ثواب ، ولا شك أن من فعل شيئا من أوامر سيده محض امتثال أمر كان أجب إلى الله وأكثر أجرا من عمل لعله ، إذ من المعلوم أن من يخدمك محبة فيك لاطلبا للأجرة هو عندك أعظم قدرا وأقرب محلا من يخدمك لأجل الأجرة ، ولولا الأجرة ما خدمك فافهم ، والله تعالى أعلم .

وروى الترمذى وقال حديث حسن والنسائى وابن حبان في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« ا كْتَحِلُوا بِالْإِمْدِ فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ » .

قال ابن عباس رضى الله عنه : وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه : ولفظ رواية النسائى وابن حبان :

« إِنَّ مِنْ خَيْرِ أَسْمَاءِكُمُ الْإِمْدُ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ »

وروى الطبراني مرفوعا « عَلَيْكُمْ بِالْإِمْدِ فَإِنَّهُ مِنْبَتَةٌ لِلشَّعْرِ ، مَذْهَبَةٌ لِلْقَدَى ، مَصْفَاةٌ لِلْبَصَرِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نسمى الله تعالى عند الطعام والشراب ، وذلك لأن كل شئ فعل مع الغفلة عن الله فهو كالميتة ، وفي القرآن : (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) .

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فافهم ، ففي التسمية تقديس الطعام وتركيبته وتنميته والحضور مع الله تعالى بأسمائه الحسنى لاسيما والأكل محل الغفلة عن الله تعالى لقوة الداعية إليه ، ومن هنا كرهت الصلاة بحضرة طعام أو شراب تتوق إليه نفس المصلي ، ونهى عن الأكل والشرب في الصلاة ولو نفلا ، لأن العبد لا يقدر أن يردّ عن نفسه لذة الأكل والشرب فتزاحمه تلك اللذة في حال مناجاته ، وتحول بينه وبين لذة مناجاة الحق تعالى التي هي روح الصلاة .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يكمل الفقير حتى يحضر مع الله تعالى في حال الأكل والشرب وفي حال الجماع كما يحضر في حال الصلاة ، ويجمع بين لذة الأكل ولذة المناجاة في آن واحد لا تحجبه إحدى اللذتين عن الأخرى ، فيشكر الله تعالى من وجهين في آن واحد .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لا يكمل الفقير عندنا في الطريق إلا إن كان يسمع ملك الإلهام يقول يا فلان كل أو اشرب أو جامع أو قم أو اجلس ، أو نم أو مد رجلك أو اخزن قوتك أو تصدق بما عندك ونحو ذلك ، فمن لم يسمع ملك الإلهام فهو بعيد عن الحضرات الإلهية .

وسمعت مرة أخرى يقول : ما أكلت حتى ألهمت في نفسي يا فلان كل ، ولا فرغت من الأكل حتى ألهمت يا فلان يكتفى :

وسمعت يقول : كان سيدي عبد القادر الجيلي رضى الله عنه يقول : ما أكلت طعاما قط حتى قيل لى بحقتنا عليك كل ولا نمت حتى قيل لى بحقتنا عليك نم وهكذا اه :

وسمعت مرة أخرى يقول : ينبغي للفقير أن يأكل بنعت الحضور مع الله ، فيرى أنه يأكل والحق ناظر إليه بعينه التي لا تنام يرى شره نفسه أو قناعتها ، فمن أدمن ذلك رزقه الله القناعة وخلع عليه من الآداب ما لم يكن عنده .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : هموا الله تعالى على كل حركة وسكون يبارك لكم فيها ، وما شرعت التكاليف كلها إلا لحضر العبد فيها مع الله :

وكان ولدي عبد الرحمن وهو ابن ثلاث سنين يقول كلما يأكل : بسم الله الشافي ، من غير أن أعلمه ذلك وهي مناسبة للمقام ، ولا يخفى أن الخلق ولوعت رتبهم في المقامات يحتاجون إلى التسمية قياما بشعائر السنة بخلاف ما عليه بعض أهل الشطح من قوطم : إنما يسمى الله على طعامه من كان يرى ملكا مع الله تعالى ، أما من يرى الملك في الطعام لله تعالى وأنه مقدمه إليه فلا يحتاج إلى تسميته ، لأن طعام الحق تعالى إذا قدمه لعبده بركة في نفسه لا يقبل الزيادة في الغواه .

والحق أن كل طعام قدم للعبد له وجهان ، وجه إلى نسبه إلى العبد وكسبه ، ووجه إلى نسبه إلى الحق تعالى وخلقه ، فوجه نسبة الخلق يقبل الزيادة ، ووجه نسبة ذلك إلى الحق لا يقبل الزيادة .

ودخل على الشيخ شمس الدين الأوصيري أحد أصحاب الشيخ أبي السعود الجارحي رحمه الله فأكل ولم يسم ، فقال طعام الأستاذين لا يحتاج إلى تسمية الله تعالى عليه لأنه بركة في نفسه ، فأقمت عليه الحججة في ذلك ، فرجع إلى رحمه الله فاعلم ذلك وكان متبعا للسنة في كل عمل سواء عقلت معناها أم لم تعقله . فإنه لا أكمل مما شرعه الحق تعالى على السنة رسله أبدا .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن عائشة رضی الله عنها :

« أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلِقْمَتَيْنِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَى اللَّهُ لَكَفَأَكُمْ » .

وروى أبو داود وابن ماجه مرفوعا « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ » .

وروى الطبراني مرفوعاً « مَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَجِدَ لِلشَّيْطَانِ عِنْدَهُ طَعَامًا وَلَا مَقِيلًا وَلَا مَبِيئًا فَلْيَسِّمْ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَبِسْمِ اللَّهِ عَلَى طَعَامِهِ » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه مرفوعاً « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَبِيئَ عِنْدَكُمْ وَلَا عَشَاءَ ، وَإِذَا دَخَلَ قَلِمٌ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَذْرَ كُتْمُ الْمَبِيئَةِ ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَذْرَ كُتْمُ الْعُشَاءِ » :
والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نروض نفوسنا بأداب الصالحين حتى لا يصير عندها شره عند أكلنا مع الجماعة وذلك حتى لا نسابق إلى لحمة أو رطبة تم نضجها أو إلى عسل أو سمن في نحو العصيدة ونحو ذلك ، فنأكل من غير تقدم رياضة فنلزمه غالباً شراهة النفس .

وسمعت شيخنا الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري يقول : لا ينبغي لأحد أن يأكل مع جماعة إلا إن كان يؤثرهم بأطياب الطعام ، فإن لم يعلم من نفسه القدرة على إثارتهم ، فنالأدب أن يأكل وحده ، وتقدم في هذه العهود أن الفقراء في الزمن الماضي كانوا لا يأكلون مع والد ولا والدة ولا أستاذ ولا رجل كبير خوفاً أن تسبق عين أحدهم إلى لقمة أو لحمة أو نحوخة أو تفاحة أو رطبة ، فيأخذها فتأكلها وهو لا يشعر بسبق عين من ذكر إليها .

وكان سيدي أبو الحسن الغمري لا يأكل مع أحد إلا لضرورة ويقول : ما آمن على نفسي أن تأكل من قدام رفيقها ، ولا أن تسابق إلى أطياب الطعام دون جارها ، لتقله حياتها من الله تعالى أو من عباده

وقد أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالأكل مما يلينا لعلمه بشراهة نفوسنا من أصل الخلقة ، ولو أنها لم يسكن عندها شره ما احتجنا إلى الأمر بالأكل مما يلينا ، والله تعالى أعلم .

وروى أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن بسر قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم

قصعة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال ، فلما أصبحوا وسجدوا الضحى أتى بتلك القصعة وقد أترد فيها فالتقوا عليها ، فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أعرابي ماهذه الجلسة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا مُّمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلُّوا مِنْ جَوَانِبِهَا وَدَعُوا ذُرْوَهَا يُبَارَكُ فِيهَا » .

والذروة: هي أعلاها، وهي بكسر الهمزة المعجمة :

وروى أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« الْبَرَكَاتُ تَنْزِلُ فِي وَسْطِ الطَّعَامِ فَكُلُّوا مِنْ جَانِبَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ » .

ولفظ أبي داود : « وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا لَا يَأْكُلُ مِنْ أَعْلَى الصَّحْفَةِ وَلَسِكِنْ لِيَأْكُلُ مِنْ أَسْفَلِهَا فَإِنَّ الْبَرَكَاتُ تَنْزِلُ مِنْ أَعْلَاهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نقنع من الأدم بنغميس اللقمة بخل أو زيت ، لاسيما في هذا الزمان الذي صار فيه الدرهم الحلال أعز من الكبريت الأحمر ، وشيء يمدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز لأحد أن يذمه ، والله إن سفت التراب الآن لكثير علينا لقلة حياتنا من الله وكثرة غفلتنا عنه وقلة شكرنا له ، وعدم رضانا بما قسمه لنا ، وكل ذلك يناق صفات العبودية ، ومن لم يقم بأوصاف العبيد فلا ينبغي له مطالبة سيده بالقيام به ، لأنه لا يستحق على سيده شيئا ولو كان عبدا له كما أشار إليه نجر :

« فَكَمْ مِمَّنْ لَا مَطْعِمَ لَهُ وَلَا مَأْوَى » .

أى لا يطعمه الحق كما تختار نفسه ولا يؤويه كما تختار نفسه ، وإلا فهو تعالى يرزق الكافر فافهم .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من طلب من الحق فوق الضرورة في هذه الدار فهو أعمى البصيرة ، وإذا كان لا يقدر على القيام بالشكر لله على الضروريات فكيف يقدر على شكره على الشهوات .

وسمعتهم مرة أخرى يقول: من رضى عن الله بالقليل من الدنيا رضى الحق منه بالقليل من العمل .

وقد أجمع أشياخ الطريق على أن كل مرید وجد الخبز فقال آكل خبزى بلايش لايجىء منه شيء فى الطريق .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به إلى الحضرات التى يعلم منها العبد ماله تعالى عليه من الحقوق حتى يصير يرى لله المنة عليه الذى لم يخسف به الأرض فضلا هن تسخير الأرزاق التى تمواها نفسه ، فإن حكم أمثالنا فى تعدية حدود الله تعالى كحكم العبد الذى فسق فى حريم سيده ودخل سيده عليه وهو يفعل الفاحشة فى زوجته ، فهل يقدر مثل هذا إذا دفع له سيده رغيفا حافا يابسا أن يرد عليه ويقول ما آكل إلا بأدم من لحم أو عسل أو جبن ونحو ذلك ، لا والله لا يستحق الخبز اليابس ؛ ولا يقدر سيده على نفسه أن ينظر إليه فضلا عن كونه يطعمه ، هذا حكم أمثالنا مع الحق وهو معنى قوله تعالى :

(وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ) .

فكم وقع العبد فى الزنا فى إماء الله وهو تعالى يراه ؛ وكم سرق ؛ وكم سكر وكم نظر إلى ما لا يحل ، وكم أكل حراما ، وكم استغاب لإنسانا ، وكم قذف أعراضا ، وكم شهد لأصحابه زورا وكم قطع رحما ، وكم عق والدًا ، وكم أكل مال يتيم ، وربما اجتمعت هذه الصفات كلها فى عبد فمثل هذا إنما يستحق النار .

وفى البخارى «أن رجلا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس حلة وتبختر فيها فخسف الله به فى زقاق أبي لبيب فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة» وهذه الصفات أقبح من التبختر بيقين ، فهى أحق بأن يخسف بصاحبها ، وإذا علمت ذلك فلا ينبغي لمن جعل نفسه قدوة أن يطبخ ألوان الطعام فى هذا الزمان لقلة وجود ذلك من وجه حلال ، بل رأيت بعضهم له عمامة صوف وجبة صوف وله سرارى وزوجات لا تنصليخ إلا للأمراء ويطبخ ألوان الطعام أكثر من بعض أركان الدولة ، فنظرت فى أمره فإذا هو يأخذ هدايا الظلمة وصدقاتهم على اسم الفقراء ويتزوج بها ويتسرى ولا يعطى الفقراء شيئا فمثل هذا شيخه إنما هو إبليس .

وبالجملة فكل شيخ تخصص عن فقراء زاويته بشيء دخل على اسمهم ولو بالقرينة ، فليس له في المشيخة نصيب ، وإنما هو نصاب كما أوضحنا ذلك في عهد شيخ الزاوية في عهد المشايخ ، والله تعالى أعلم .

فانقذ يا أخى فيما بقى من عمرك ولو بكسر خبز الشعير المدشوش هلى الرحي من غير آدم ، واستح من الله الذى أطعمك ذلك ولم يعذبك بالنار فى الدنيا ولم ينزل عليك البلياء ، ومن استحق النار فصولح بالرماد لا ينبغي له إلا الشكر :

وقد قالوا مرة لسيدى على الخواص : رأينا شخصا من حملة القرآن ، يفعل معصية فتعجب من ذلك كل العجب ، ثم قال : والله لا ينبغي لحامل القرآن أن تغلبه نفسه على الشهوات المباحة ، فكيف غلبت هذا نفسه على شهوة محرمة ، ثم قال لى : بالله إيش يستحق هذا من الله تعالى ، والله إن مثل هذا خارج إلى طبع البهائم ولكن سبحان الحلیم اه .
فليحذر العبد إذا ترادفت عليه النعم وتيسرت له ألوان الطعام فى هذا الزمان من الاستدراج لا سيما لشيخ العلم وشيخ الزاوية ، فإن فى الحديث :

« إِنَّ اللَّهَ لَيَجْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَجْمِي الرَّاعِي الشَّقِيقُ غَنَمَهُ مِنْ مَرَاتِعِ أَهْلِكَ » .

فيقول الشيخ لنفسه : لو كنت عند الله بمكانه لحماك من الدنيا . وفى الحديث :

« حُلُوَةُ الدُّنْيَا مَرَّةٌ الْآخِرَةُ » .

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى مسلم وأبوداود والترمذى ، وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا ما عندنا إلا الخلل فجعل يأكل ويقول :

« نِعَمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ ، نِعَمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ ، نِعَمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ » .

قال جابر : فما زلت أحب الخلل منذ سمعتها من نبي الله صلى الله عليه وسلم :

وقال طلحة بن نافع : وما زلت أحب الخلل منذ سمعتها من جابر :

وروى الترمذى وابن ماجه : عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ قُلْتُ : لَا إِلَّا

سَرَّهُ يَا بَيْتَهُ وَخَلُّهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَّيْبِهِ ، فَمَا افْتَقَرَ بَيْتَهُ فِيهِ أَدَمٌ مِنْ خَلِّهِ .

وفي رواية لابن ماجه عن أم سعد قالت : « دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَائِشَةَ وَأَنَا عِنْدَهَا فَقَالَ : هَلْ مِنْ غِذَاءٍ ؟ فَقَالَتْ عِنْدَنَا خُبْزٌ وَتَمْرٌ وَخَلٌّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نِعْمَ الْإِدَامُ اتَّخَلُّهُ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي اتَّخَلُّهِ فَإِنَّهُ كَانَ إِدَامَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ، وَلَمْ يَفْتَقِرْ بَيْتُهُ فِيهِ خَلٌّ » .

ومعنى ما افتقر بيت : أى ما خلا من آدم ، ومعنى لم يفتقر : أى إن قنع أهله به فلا يحتاج إلى غيره :

وروى الترمذى والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« كُلُّوا الزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ » .

وفي رواية للحاكم مرفوعا : « كُلُّوا الزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ طَيِّبٌ مُبَارَكٌ » .
والله تعالى أعلم .

(أخذت علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نبحت عن كيفية أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم والفواكه والبطيخ وغير ذلك ، لنقتدى به في ذلك ، حتى نكون تحت العقوبة به صلى الله عليه وسلم في كل أمر ، فإن لم نجد شيئا عنه في ذلك سلكنا في الأكل لذلك الشيء مسلك المملوك والأسيء في الأدب ، فإن عند الأسيء من الأدب في الأكل ما ليس عند غيرهم ، أو نترك أكل ذلك الشيء جملة لاسيما إن كان أكله من الشهوات النفسية دون الضرورية .

وقد بلغنا عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه ترك أكل البطيخ الهندى والأصفر وقال : لم أعرف كيفية أكله صلى الله عليه وسلم له ، وما رأيت عيني في فقراء العصر أحرص على فعل السنة من سيدى محمد بن عنان ، ومن سيدى يوسف الجريشى ، ومن سيدى محمد بن داود بنواحي المنزلة ، لو أن الدنيا بحدائقها أعطوها ولم يعرفوا كيفية قبضها المشروع لتركوها كما يترك أحدهم البعرة .

وقد حضرت الشيخ يوسف الجريشى ليلة وفاته فقال لى : يا ولدى في نفسى غم ،

الذى خرجت من الدنيا ولم أعرف كيفية تحليل اللحية في الوضوء بخديث صحيح أو حسن وقد سألت عن ذلك الشيخ عثمان الليمي والشيخ جلال الدين السيوطي وغيرهما فلم يشفوا غليلي من ذلك، هذا لفظه ليلة وفاته، ثم توفي بعد نحو عشر درج رحمه الله :

وقد بوب الحافظ المنذرى على أكل اللحم بقوله : باب الترغيب في نهش اللحم دون تقطيعه بالسكين إن صح الخبر ، والله أعلم .

وسمعت سيدي عليا الخواص يقول : إن كان اللحم مثل مخ الدجاج أو الحمام فقربه إلى فيك لخفته وكل ، وإن كان كبيرا مثل ورك الخروف والإوز المألوف فاقطع منه بالسكين ثم خذ القطعة الخفيفة وأنهش لحمها من على عظمتها :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو داود والترمذي واللفظ له والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« أَنَهَشُوا اللَّحْمَ نَهْشًا فَإِنَّهُ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ » .

وفي رواية للحاكم عن صفوان بن أمية قال : « رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَخَذُ اللَّحْمَ عَنِ الْعَظْمِ بِيَدِي، فَقَالَ : يَا صَفْوَانَ قُلْتُ : لَبَّيْكَ، قَالَ : قَرَّبِ لِللَّحْمِ مِنْ فِيكَ فَإِنَّهُ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ » .

قال الترمذي حديث غريب ، وقال الحافظ عبد العظيم لا بأس به في المتابعات :

وروى أبو داود وغيره مرفوعا : « لَا تَقْطَعُوا اللَّحْمَ بِالسَّكِينِ فَإِنَّهُ مِنْ صَنِيعِ الْأَعَاجِمِ ، وَأَنَهَشُوهُ نَهْشًا فَإِنَّهُ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ » .

قال الحافظ : وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم اختز من كتف شاة فأكل ثم صلى ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نجتمع على الطعام كلما نأكل مع عيالنا وأولادنا وإخواننا وهو مجرب للبركة في الرزق ، وفيه اتئلاف القلوب ، وفي الحديث :

« شَرُّ النَّاسِ مَنْ أَكَلَ وَحَدَهُ وَجَلَدَ عَبْدَهُ وَمَنَعَ رِفْدَهُ » .

فلو لم يكن في الاجتماع لإخروجنا عن صفة شرار الناس بنص كلام الشارع لكان

في ذلك كفاية في الزجر ، وقد من الله تعالى على " بانسراح الخاطر بالأكل مع الناس ، وانقباضه إذا أكلت وحدي ، فأحس باللقمة تنزل في جوفه مظلمة موحشة ، فإذا دعوت أحدا للأكل معي ولو واحدا زال ذلك هذا تجربته في نفسي كما جرّبت ذلك في الصلاة في الجماعة والصلاة وحدي ، من حيث أن كلا من الجماعتين مطلوب شرعا ؛

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يريه حتى يخرجه عن شخ النفس ، ويعطل صفتة وعن ٧ الاستعمال ، فإنه جبلي في النشأة ولذلك قال تعالى :

(وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ) .

وما قال تعالى : ومن يزل شخ نفسه ، ونظير ذلك قوله تعالى :

(وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) .

والحسد مقرون بالنعمة ، فلو أنه شرع للإنسان أن يستعيذ بالله من وجود الحاسد لكان ذلك استعاذة من وجود النعمة ، فإن الحاسد لا يفقد إلا بفقد النعمة ، ومعلوم أن نعمة مع حسد خير من نعمة بلا حسد .

فاسلك يا أهني على يد شيخ حتى يخرجك من ضيق الشح والبخل إلى ساحة الجود والكرم ، فتكون محبوبا للناس ولو كنت فاسقا ، بخلاف ما إذا كنت شحيحا بخيلا ، فإنك تكون مبغوضا لهم ، ولو كنت على عبادة الثقلين ، ولا شك أن محبة أئمتنا المسلم لنا أنفع من أكلة نلقها عذرة في الخلاء وعلينا تبعثها وحسابها في الآخرة ، فأكثر من العزومات على الإخوان جهدك ليأخذوا بيدك إذا عثرت في الدنيا والآخرة ، لكن عند وجود ذلك من حلال من غير تكلف ، وإذا علم الحق تعالى من قلبك السخاء والكرم أجرى على يديك أرزاق الخلائق بقدر ما عندك من ذلك ، فطوبى للأجواد . وفي المثل السائر : إذا قل مال المرء وإطعامه الطعام قلت أصدقاؤه : وإيضاح ذلك أن الغالب على أصدقاء الزمان العلل النفسانية التي تميل إليها النفوس ، فلا يصحبون شخصا إلا ويشركون معه محبة إحسانه ، وإذا انتفى إحسانه لا يكادون يقدرّون على نفوسهم أن تميل إليه كل ذلك الميل الكلي ، بحيث يكون عندهم كمن يطعمهم ويحسن إليهم أبدا ، والدين ما قام إلا بالعصبية والمعاوضة ولا تقع عصبية وتعاضد قوم إلا بإحسانهم إلى بعضهم، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب :

وسمعت سيدي بدر الدين التوزي يقول: من مديده بالإحسان إلى الناس نفذت كلمته فيهم ، ومن بخل عليهم حرم انقيادهم له :

وسمعت مرة أخرى يقول : من مديده إلى الأخذ من الولاية وغيرهم قصرت كلمته ويده عندهم ، ومن زهد فيما بأيديهم ورد كل ما أعطوه له عليهم طالت كلمته ويده عندهم :

فتحجب يا أخى إلى إخوانك بالإحسان بكل ما تقدر عليه لاسيا إن كنت تدعوهم إلى الله ، والله يتولى هداك :

وروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه :

« أَنْ جَمَاعَةً قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ ، قَالَ : تَجْتَمِعُونَ عَلَى طَعَامِكُمْ أَوْ تَتَفَرَّقُونَ ؟ قَالُوا نَتَفَرَّقُ ، قَالَ : اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ . »

وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كُلُوا جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّقُوا فَإِنَّ الْبَرَكَتَ مَعَ الْجَمَاعَةِ . »

وروى الشيخان مرفوعا : « طَعَامُ الْاِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْاَرْبَعَةِ . »

وفي رواية لمسلم والترمذى وابن ماجه والبخاري مرفوعا :

« طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْاَرْبَعَةَ ، وَطَعَامُ الْاَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ . »

وزاد في رواية : « وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ . »

وروى أبو يعلى والطبرانى وغيرهما مرفوعا: « إِنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْاَيْدِي . »

قال الحافظ عبد العظيم : ولكن في الحديث نكارة ، والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نلتصق أصابعنا قبل

مسحها لإحراز البركة كما ورد ، فربما كانت البركة الموضوعه في الطعام في تلك البقايا التي على الأصابع ، ومن فاته بركة الطعام كان كالذي يأكل ولا يشبع ، وقد استعاذ من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وقد ورد « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْفَى ثَلَاثًا فِي ثَلَاثٍ : أَخْفَى رِضَاهُ فِي طَاعَتِهِ ، وَأَخْفَى سَخَطُهُ فِي مَعْصِيَتِهِ ، وَأَخْفَى أَوْلِيَاءَهُ فِي عِبَادِهِ » .

أى فربما كان رضا الله تعالى عنه معلقا على طاعة لا يؤبه لها لقلتها وسهولتها ، وربما كان سخطه تعالى في معصية صغيرة في رأى العبد لا يتنبه لها غالب للناس ، وربما كان ذلك الشخص الذى ازدريناه في عيننا من أولياء الله تعالى قيمقتنا الله تعالى ، فوجب على كل عاقل الإقبال على فعل كل مأمور ، والإدبار عن فعل كل منهى وتعظيم كل مسلم بطريقه الشرعى ، فإن الله تعالى إنما كلفنا بنهى المسلمين عن كل منكر ولم يبيح لنا ازدراءهم ، ولا يخفى أن رضا الله المعاق على فعل شيء إذا حصل لا يقع بعد وسخط على ذلك العبد أبدا ، كما أن سخطه إذا حصل لا يقع بعده رضا على ذلك العبد أبدا ، وإذا مقت من ازدرى وليا لا يفلح بعد ذلك أبدا :

فافعل يا أخى جميع المأمورات واعتن بالسنن كأنها واجبات واجتنب المناهى ولو مكروهات واجتنبها كما تجتنب المحرمات ، فمن استهان بالسنن كفر ، كما أن من استهان بالمكروهات كذلك : وفي الحديث :

« الْمُؤْمِنُ يُرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ تَحْتِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ ، وَالْفَاجِرُ يُرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا » .

ولا تقدر يا أخى على الوصول إلى العمل بهذا العهد إلا إن سلكت الطريق على يد شيخ صادق حتى يوصلك إلى حضرات تعظيم أوامر الله ونواهيه ، وإلا فن لازمك التهاون بها .

وسمعت سيدى محمد بن عنان يقول : لا يبلغ الفقير مقام الأدب مع الله تعالى إلا إن تاب من ترك السنن كما يتوب من ترك الواجبات ويندم على فعل المكروهات ، كما يندم على فعل الكبائر هذا لفظه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يبلغ العبد إلى مقام الأدب مع الله

تعالى حتى يفرق بين الأوامر والنواهي ، فيعتنى بالتوبة من ترك الواجب أكثر من توبته من ترك السنن ، ويندم في فعله للكبائر أكثر من ندمه عند فعله الصغائر ، ويندم في فعله للمكروهات أكثر من ندمه في فعل خلاف الأولى لأننا تابعون لامشروعون اه : أى فإن الشارع فاوت بين المأمورات والمنهيات ، فمن الأدب أن نفاوت بينها في المرتبة ولا نجعلها كلها واحدا ، فيحمل كلام سيدي محمد بن عنان على أحوال المريدين ، وكلام سيدي عليّ على أحوال العارفين ، لأن المريدي في مقام الزجر والتنفير والترغيب ، والعارف في مقام التحقيق لبعده مقامه عن الاستهانة بفعل مأمور أو ترك منهي بخلاف المريدي ، ولذلك رأى الأشياخ للمريدي أن رعى ما بيده من الدنيا في البحر أقوى في استعداده من التصديق به بشرط أن يضمّنوا له في نفوسهم رجوع ذلك المال إليه إذا خلص من ورطة محبته للدنيا كما وقع لسيدي مدين وغيره ، فأرادوا حسم مادة إمساك الدنيا وإخراج حبيها من قلبه ويده ثم إذا اكمل حاله أمر بإمساكها وإنفاقها في مصارفها الشرعية ، وحرّموا عليه إتلافها أو رميها في مضيعة أدبا مع الله تعالى ، فافهم .

واللسان يقصر عن البيان لمن لم يسلك الطريق إذ من لازمه استشكان الأحكام بعضها بعضها ، ولو أنه سلك الطريق لم يجد حديثا ولا أثرا ولا قولاً للأئمة يناقض آخر ، بل كل واحد محمول على مقام يليق به ، فإن الشارع يجلب مقامه عن وجود التناقض في كلامه ، لأنه كان يخاطب كل جليس بما يناسبه ، كما يعرف ذلك من تصفح الشريعة :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال :

« إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ » .

وقال في رواية مسلم أيضا : « إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيَلِمْهَا مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ وَلَا يَمْسُحْ يَدَهُ بِالْمُنْدِيلِ حَتَّى يَلْمَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ » .

وفي رواية لبلسم مرفوعا « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ ، فَإِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا » .

وفي رواية أخرى له مرفوعاً: « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَطَعَامَهُ أَصَابَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ تَنِينَ الْبَرَكَةِ ». .

وروى الشيخان وأبو داود وابن ماجه مرفوعاً: « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَمْسَحُ أَصَابِعَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ، وبعد كل نعمة إظهاراً للاعتراف بالنعمة ، ولتدوم علينا ، فنأكل وانصرف غافلاً عن الحمد فهو كالبهائم ، وربما عوقب بزوال النعم وقساوة قلوب الخلائق عليه ، حتى يتمنى الموت فلا يجاب .

وينبغي لوالد الطفل ووالدته أن يعلماه قول الحمد لله ، ولا يسامحا في ترك ذلك وقتاً واحداً ليصير ذلك من عادته ، وينبهاه على أن يقول ذلك بحضور القلب مع اللسان ، فإن القلب إذا شكر وقع الشكر من جميع الجوارح من حيث كونها رعيته ، وإذا شكر باللسان لم يتعد ذلك إلى غيره ، ولدوام النعم وتحويلها لتحقيق آخر يعرفه أهل الله ليس هذا موضعه ، وإنما للشارع يخوِّف صغار العقول بالأمور التي يخافون منها طلباً لردهم إلى مقام الأدب ، إذ لا يتمدى الحدود في الغالب إلا من لم يكمل عقله وكامل العقل لا يحتاج إلى تخويف في الدنيا والآخرة ، لعلمه بأن جميع ما يحول الله عنه مما يبده ليس له منه إلا ما استمتع به قبل التحويل والمملك في جميع الأشياء لله تعالى فلا يتأثر على فوات شيء لأنه ما فاته إلا وهو ليس من رزقه ، ومن لازم كامل العقل أيضاً حسن ظنه بربه فلا يحمل هم رزق فهو مرفوع الهممة على أن يحمد ربه أو يعبد له لعله ثواب أو خوف من عقاب .

وفي بعض الكتب المنزلة

« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ عَبَّدَنِي لِتَعِيمٍ جَنَّةٍ أَوْ يَخُوفٍ مِنْ نَارٍ لَوْ كُنَّ أَهْلًا لَأَنْ أُطَاعَ » . اهـ

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح حتى يخرج عن الرعونات النفسية ، ويصير يعبد الله امتثالاً لأمره لا لعله دنيوية ولا أخروية ، وذلك يحصل للمريد في أول مبادئ الطريق فليس هو بمقام عظيم كما يتوهمه من لم يسلك الطريق ، وقد تحققتنا بذلك والله الحمد أول دخولنا في الطريق ، وذلك أتى لما ذقت مقام التوحيد

والأفعال لله تعالى لم أجد لي عملاً حتى أطلب به الثواب ، وإنما هو تعالى يحركني كالألة. الفارغة التي ليس عليها شيء ينتقل إلى غيرها كدولاب الغزل الفارغ ، والتكاليف تابعة للنسب والإضافات الشرعية ، وقد أضاف الله تعالى الأعمال بالوجه اللائق بنا وبني على ذلك الثواب والعقاب ، ويكفينا ذلك في تعقل إقامة الحججة علينا .

فاحمد يا أخى ربك محبة فيه ، وامثالا لأمره ، لا ليعطيك شيئاً في نظير ذلك تكن من أهل الأدب معه تعالى ، والله يقول هداك .

وروى أبو داود وابن ماجه والترمذى مرفوعاً : « مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ غَيْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وروى مسلم والنسائي والترمذى وحسنه مرفوعاً : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَعْمَدُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَعْمَدُ عَلَيْهَا » .

قال الحافظ: والأكلة بفتح الهمزة المرة من الأكل ، وقيل بضم الهمزة وهى اللقمة ، وروى الطبرانى وابن حبان فى صحيحه :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى دَارِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ إِلَى أَنْ قَالَ : فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِنْ لَحْمِ الْجُدِيِّ ، فَوَضَعَهُ فِي رَغِيفٍ وَقَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ أَبْلِغْ هَذَا فَاطِمَةَ فَإِنَّهَا لَمْ تَصِبْ مِثْلَ هَذَا مِنْذُ أَيَّامٍ فَذَهَبَ بِهِ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى فَاطِمَةَ فَلَمَّا أَكَلُوا وَشَبِعُوا ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خُبْزٌ وَلَحْمٌ وَبُسْرٌ وَرُطْبٌ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ هَذَا هُوَ النَّعِيمُ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : بَلْ إِذَا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هَذَا فَضْرَبْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَقُولُوا بِاسْمِ اللَّهِ ، وَإِذَا شَبِعْتُمْ فَقُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ أَشْبَعَنَا وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا فَأَفْضَلَ ، فَإِنَّ هَذَا كَفَّافٌ بِهِذَا » .

وروى أبو يعلى مرفوعاً : « مَنْ أَكَلَ فَشَبِعَ وَشَرِبَ فَرَوَى ، فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

أُطْعِمَنِي وَأَشْبِعَنِي وَسَقَانِي وَأَرْوَانِي خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ .

قال الحافظ : والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتلقى جميع ما أنعم الله تعالى به علينا ونحن على طهارة كاملة ، كما نتطهر للصلاة والطواف ونحوهما ، فإن العلماء اختلفوا في المراد بالوضوء عند الأكل ، فقال قوم : المراد به الوضوء كاملا ، وقال قوم : المراد به غسل اليد فقط فمشنا على الأحوط وهو الطهارة الكاملة ، فإن لم يتيسر ذلك غسلنا اليد والضم ، وكذلك نفعل بعد الأكل .

وهنا أسرار يدوقها أهل الله لا تسطر في كتاب ، يعرفها من يعرف أن سيد القوم هو خادمهم ، ولذلك كان سيدي محمد بن عنان لا يمنع من صب الأمير الكبير على يديه ، ولا يستحي من استخدامه ويقول : من امتنع من صب الكبير على يديه فكأن لسان حاله يقول لأمكنك أن تكون سيدي على . وكان سيدي على الخواص لا يمكن أحدا يصب على يديه ولو زبالا ، فكان يشهد عبودية نفسه وسيادة غيره ، ويقول : ليس من الأدب استخدام السيد ولو طلب هو ذلك نجملا ، كما نزهه عن أن يكون هو المزيل لقاذوراتنا ، ولكل مقام رجاله ، ولكل رجال مشهد ، ومن هنا قال للعلماء : لا ينبغي أن يقال سبحان خالق الخنازير مع أنه تعالى خالق لها بالإجماع ، ولو كشف للعبد الحجاب لحاطبته أسرار الله من كل ذات وحجب بالسر القائم بالذوات عن الذوات كما أشار إليه خبر :

« إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ » الحديث ، وأكثر من ذلك لا يقال .
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو داود والترمذي عن سلمان قال : قرأت في التوراة أن بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما قرأت في التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بَرَكَةُ الطَّعَامِ الوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ » .

وفي سننه ضعف . وقال الحافظ عبد العظيم هو حديث حسن قال : وقد كان سفیان الثوري يكره الوضوء قبل الطعام ، ولعله لم يبلغه فيه شيء عن الشارع ؟ قال البيهقي وكذلك

وابن أنس كرهه ، وكذلك قال مالك ، الشافعي استحبه تركه واحتج بحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي وهو حديث ابن عباس قال :

« كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى اتِّخْلَاءَ مُنْمٍ إِنَّهُ رَجَعَ فَأَتَى بِالطَّعَامِ، فَقِيلَ لَهُ أَلَا تَتَوَضَّأُ؟ فَقَالَ: لَمْ أَصَلِّ فَأَتَوَضَّأُ » .

وفي رواية لأبي داود والترمذي فقال :

« إِنَّمَا أُمِرْتُ بِالْوُضُوءِ إِذَا قُمْتُ إِلَى الصَّلَاةِ » .

وبوب عليه الحافظ عبدالعظيم باب الترغيب في غسل اليدين قبل الطعام إن صح الخبر:

وروى ابن ماجه والبيهقي مرفوعا: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُكَبِّرَ اللهُ تَعَالَى خَيْرَ بَيْتِهِ

فَلْيَتَوَضَّأْ إِذَا حَضَرَ غِذَاؤَهُ وَإِذَا رُفِعَ » .

قال الحافظ عبد العظيم : والمراد هنا بالوضوء غسل اليدين ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب من ولى من

إخواننا ولاية في العدل في رعيته ومعاملتهم بالرفق والشفقة والإذن في الدخول عليه في

كل وقت إلا في وقت ضرورة شرعية ؛ لأن من لم يكن مع رعيته كذلك عزلته المرتبة ونفرت

منه ، وما ولى الله تعالى عبدا على عباده إلا أن يكون لهم كالأب الشفيق والأم الحنونة .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ورياضة نفس حتى يصير

يستلذ بمخالفة رعيته لأوامره العرفية ليحلم عليهم ، لأن الخلق في حجر الولاية كالغنم والمعز

في يد راعيهم ، وربما انتشروا منه في أرض ذات شوك وهو حاف فهذا حكم الخلق ،

ولولا أنهم بهائم لما احتاجوا إلى من يرعاهم :

وفي الأثر الوارد « أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَلَّمَهُ رَبُّهُ إِلَّا بَعْدَ صَبْرِهِ عَلَى رِعَايَةِ

الْغَنَمِ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ » .

والسر في ذلك الإدمان بصبره على الغنم قبل صبره على قومه ، وبلغنا أنه بالغ في

الشفقة حتى أنه أورد الغنم مرة على الماء فكان فيهم نعجة عرجاء فلم تستطع أن تشرب من

الجرف ؛ فنزل الماء وجعلها على ظهره حتى شربت اه فرعية كل راع من سلطان أو أمير

أو شيخ في الطريق هم ربحه وخسرانه ، فبهم يربح وبهم يخسر .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : ينبغي لكل من ولاه الله ولاية على الناس أن يصبر على مخالفتهم لأوامره لاسيما في أوائل الولاية حتى تراض نفسه ويتمكن في مقام الصبر والحلم ، فإن من كانت رعيته منقادا له فهو خدّاع ، لا يظهر مقامه في الحلم فليقل من ضجر من ولاه الله لنفسه إن لم تتحملى أنت عوج رعيته فن يحمله؟ اهـ .

وبلغنا أن ذا الكفل عليه للسلام لم يكن رسولا ، وإنما كفل رسول زمانه حين خرج في غزاة وقال له اخلفنى في قومى خلافة حسنة ، فكان لا ينام في الليل ولا في النهار ، فتقلق يوما من ذلك فأراد أن ينام في القافلة فغلق بابه ووضع رأسه ، فأول ما خفق به النوم دق إبليس عليه الباب فتصدع رأسه ، وقال قم افصل بينى وبين خصمى ، وكان قصد إبليس أنه يتقلق ويترك الخلافة لما علم الذى الكفل في ذلك من الأجر العظيم ، فقام وفصل بينهما فأتاه في اليوم الثانى كذلك والثالث كذلك إلى أن ألهمه الله تعالى أنه إبليس ، فاستعاذ بالله منه فانصرف عنه ، فاولا أنه كان من الصالحين لفته في دينه ، فليتنبه كل من ولى ولاية لمثل ذلك .

وربما وسوس إبليس للمريدين بالأموال المخالفة للأدب مع الشيخ من كل وجه ليعرض الشيخ للنفرة منهم فيلتقمهم كما يلتقم التمساح السمك ويصير يسخر بالشيخ ، فإنهم قالوا : حكم الشيخ حكم الصياد الذى يصطاد المريد من أفواه الشياطين ويخرجهم من تحت أسنانهم .

وقد وقع لى مرة أن جميع إخوانى المقيمين فى الزاوية تغيرت أحوالهم ونقل الذكر والخير على نفوسهم حتى لم يبق فى يد حكى منهم شعرة واحدة ، فأردت الانتقال من الزاوية إلى مكان ليس فيه فقراء ، فلما أردت الخروج من الزاوية تمثل لى إبليس تجاهها وهو يصفق ويرقص ويقول لى غلب غلب غلب ، فرجعت فزاد عليهم الأمر وطلبوا أن يحترفوا بالقرآن فى ليالى الجمع وغيرها ويكروا مجاس ذكر الله والصلاة على نبيهم صلى الله عليه وسلم احتسابا ، فتوجهت للنبي صلى الله عليه وسلم فى الاستئذان فى ذلك ، فرأيت سيدى عليا الخواص رحمه الله وهو واقف خلف باب لا أرى من وجهه إلا أنفه وهو يقول لى : يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبر على إخوانك طالبا وجه الله ولا تبال بمخالفتهم لأوامر الله عز وجل وتخولهم بالموعظة كل حين اه فعلمت أن ذلك إنما كان امتحانا لى فى الصبر حين وسوس لى إبليس وقال لى ليس لتربيتك فيهم ثمرة

والإنسان إنما يزرع في أرض تنبت الزرع ومن يذر في السباخ فهو قليل للعقل وغاب عنى أن الله تعالى ما طلب منى إلقاءهم إلى امتثال أمره ، وإنما طلب منى ما طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

« إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من وفور شفقتة يود أن لو دخل الناس كلهم الجنة ، فقال الله تعالى له :

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْثِقَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) وقال تعالى : (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) .

فكل داع إلى الله تعالى لا يبد أن يقع له تما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وراثه محمدية ، فيحجبه الله تعالى عن شهود انقسام أهل القبضتين إلى شقي وسعيد ، وعن كون ذلك حتما لا يبد منه فلذلك يضيق صدر الداعى إذا عصوا أمره فيحتاج الداعى إلى الله إلى مراقبة شديدة على الدوام عرفا لأنهم قالوا مراقبة الله على الدوام من غير تخلل فترة ليس من مقدور البشر ، فافهم .

وقد قال لى مرة شخص من حذاق المريرين المقيمين عندى : لولا كثرة مخالفتنا لك ما عظم الله أجرك ، فأنت مأجور على كل حال إن أطعناك أو عصيناك ، فلك الأجر من الجهتين ، فالله تعالى يزيد توفيقا كما أيدنى أمين ، فإنه نبهنى على أن ذوق الأمور ليس هو كالسمع بها وثبتنى حين تزلزلت وقد ثبت الله تعالى الرسل بما قصه عن بعضهم فقال :

(فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) وقال : (وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) وقال : (فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ) .

وكل داع إلى الله تعالى على قدم رسول من الرسل ، وكل من جاءه بلاء فوق طاقته احتاج ضرورة والله هو المصبر له إن صبر ، فلا يوجد أحد أتعب قلبا ولا بدنا ممن يتولى أمور المسلمين لغلبة وقوع الملل منه وعدم تحمله ذم رعيته له لاسيا نظار المساجد ، فإن جميع المستحقين يؤذونهم بلسانهم ويشكونهم للحكام ويحملونهم على المحامل السيئة وأنهم يأكلون ماك الوقف .

ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سمع جيرانه بكاء ووعولا في داره فسألوا عن ذلك ، فقالوا إن عمر قد خبير زوجته وسراريه بين الإقامة عنده من غير مسيس إلى أن يموت ، وبين أن يعتقهن أو يطلقهن ؟ وقال قد جاءني أمر شغلي عنكن فلا أقدر ألتفت إلى واحدة منكن حتى أفرغ من الحساب يوم القيامة رضى الله تعالى عنه .

وبلغنا أنه كان لا ينام ليلا ولا نهارا إلا بعض خفقات وهو جالس ويقول : إن نمت في الليل ضيعت نفسى ، وإن نمت في النهار ضيعت حقوق الرعية .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : يحاسب المؤمن الذى لم يتول ولاية عن نفسه في يوم كان مقداره قدر وقت صلاة يصلبها ، ويحاسب من تولى ولاية عن نفسه وعن جميع رعيته ويسأل عن جميع حقوقهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فمن قام بواجب حق ولايته كان إبليس له بالمرصاد ، فيدخل عليه الأمور التى يتعلق منها حتى يكاد يجزم بأنه يعزل نفسه من تلك الولاية ، وذلك مجرب لتحويل النعم والعزلة من تلك الولاية ، ثم إذا عزل يحرك الله تعالى عنده الندم عليها فيطلبها ويعسرها عليه حتى يقهره ويصير كالولى الذى سلب .

وقد وقع لبعض إخواننا أنه تفاق من كثرة الواردين عليه وكلفتهم ومؤنتهم فقلت له : إن الناس يتمنون أن يكونوا موضعك في النعمة ويصبرون على ضيافة الناس وقضاء حوائجهم ، فقال : اخترت أن أدخل مصر وأسكن في بيت من غير زاوية ولا مرديد ، ففي تلك الجمعة قبض الله تعالى له من زور له مكاتيب ، وادعى أن تلك الرزقة الموقوفة على سماط الفقراء الواردين والمقيمين له ، وصار شيخ الزاوية يبرطل الحكام على رجوعها فلم يجيبوه إلى وقتنا هذا ، فذكرته بقوله فاستغفر .

فأصبر يا أخى على رعيته كلما ملت نفسك منهم ، واعذر كل من فر من ولايته في هذا الزمان المبارك ، ولا تسخر به تبطل بنظير ذلك .

وقد حكى لى الأمير محيى الدين بن أبى أصبغ أحد أركان الدولة بمصر : أن شخصا كان له جار من القضاة سىء الخلق ، وكان يخرج خلقه على الأخصام ، فكان جاره يبالح في الإنكار عليه ويقول : إيش هذا الخلق ، وكان لذلك القاضى بيت فوق مجلس حكمه فلما أكثر عليه جاره من الإنكار ، قال له : احكم يا أخى مكانى غدا ، لأنى أنا هازم على شرب دواء فقال نعم ، فجاءه خصم ادعى على خصمه أن له عنده مائة دينار ، فقال :

ماله عندي شيء، فالتمس من المدعى البينة فأتى بثمانية يشهدون بها ، فقال : هؤلاء شهود زور ، فأتى بمزكين فزكواهم ؛ فثبت الحق على ذلك الخصم ، وطلب التيسيط عليه ، فأبى صاحب الحق ، فما أجاب إلا بعد أن كادت روحه تزهب منه ، فقال كم تقدر كل يوم على نصف ، فقال لا أقدر على ذلك ، فجعل عليه ذلك القاضي عثمانيا كل يوم ، فقال : لا أقدر ، فقال : كل جمعة عثمانيا ، فقال : لا أقدر ، فقال : كل شهر عثمانيا ، فقال : لا أقدر فقال كل سنة عثمانيا فقال : لا أقدر ، فقام القاضي النائب ورعى عمامة نفسه وصار ينطحه برأسه ويرفسه برجله وهو يقول : لا أقدر على عثمانيا ، ثم نادى القاضي الأصيل ، فقال تعال انزل لحكمتك عنذرتك عنذرتك عنذرتك هـ .

وما ذكرت لك ذلك يا أخى إلا لتقيم الأعدار للناس فى هذا الزمان إذا لم يصبروا على رعيتهم ، فإنهم فى النصف الثانى من القرن العاشر الذى اختفى فيه أكابر الأولياء لعجزهم عن شروط الظهور من الصبر على مروق الناس من الحق وتكليفهم الولي أن يرد عنهم الأقدار مع تماديهم على القبائح فاعلم ذلك :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الشيخان مرفوعا : « سَبَعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » فذكر منهم « إمام عادل » .

وروى الإمام أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ » .

وروى مسلم والنسائى مرفوعا : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَكَلَّمْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا » .

وروى مسلم مرفوعا : « أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُؤْتَقٌ » الحديث .
والمقسط : العادل .

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعا : « عَدَلُ يَوْمٍ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً » الحديث .

زاد في رواية الأصبهاني : « قِيَامُ لَيْلِهَا وَصِيَامُ نَهَارِهَا ، وَجَوْرُ سَاعَةٍ فِي حُكْمٍ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَعَاصِي سِتِّينَ سَنَةً » .

وروى الترمذى والطبراني مرفوعا . « أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ تَجَلِّسًا إِمَامٌ عَادِلٌ » . زاد في رواية « رَفِيقٌ » .

وسياتى في عهود المنهيات عدة أحاديث تتعلق بالجور في الحكم والاحتجاج ، وغير ذلك فراجعهم ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ننصر المظلوم ونرغب جميع إخواننا في ذلك حسب القدرة ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سياسة عظيمة بحيث يمهّد لكل من الخصمين بساطا حتى يبادر كل منهما إلى العمل بإشارته لاسيما أرباب الجدل والنفوس الأبية ، فإن أحدهم يكون ظلما ويطلب من الناس أن يعينوه في الظلم ، وكل من خالفه سلقه بلسان حديد وآذاه كل الأذى ، وهذا هو الغالب على الناس اليوم ، ولذلك ترك بعضهم التخليص بين الناس لاسيما بين جند السلطان وأولاد العرب وصار الخصمان يتضاربان بالعصا والسلاح ولا يتجرأ أحد يدخل بينهما ، بل صار بعض الحكام يخاصمون من أصلح بين الأخصام ، كل ذلك لعدم استحقاق الرعية للرفق بهم ، فإن أردت يا أخى العمل بهذا العهد فتعلم طرق السياسة أولا ، ثم انصر المظلوم وإلا تحول الأمر الذى كان فيه المظلوم إليك واحتجت إلى من ينصرك .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول ليس للمظلوم ونصره أعظم من صبره على ظلم عدوه له ، واستشعاره نظر الله تعالى إليه ورضاه بعلم الله فيه اه وقد جربت أنا ذلك فصبرت على أذى خصمى ففعل الله به من الأذى ما لم يكن فى حسابى . وفى الحديث :

« لَا يَنْتَصِرُ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِي بِي أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ يَتَقِينَا فَيَكِدُهُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ إِلَّا نَصَرْتُهُ عَلَيْهِمْ » . وفى الحديث أيضا : « أَنَا وَلِيُّ مَنْ سَكَتَ » .

فلما جربت ذلك في هلاك خصمى صرت أقابله ببعض الأذى صورة باللسان من غير قلب رحمة به وخوفا عليه من سطوات الحق حين ينتصر تعالى لى ، وفى القرآن العظيم :
(إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ) .

وقد جرب أن من غضب لله غضب الله لغضبه ، ومن غضب حمية جاهلية لم يغضب الحق لغضبه لأنه لم يغضب لله خالصا .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من قوى قلب أخيه على الصبر على من أذاه فقد نصره أيضا اه ، وهو لائق بأهل الرياضات من الفقراء لا بكل الناس ، فإن من يطلب أجره من الله ويعفو ويصفح قليل فى الناس اليوم ، وغالب الناس اليوم ليس قصدهم إلا أمور الدنيا وما رخص الله تعالى للخلق فى مقابلتهم من أساء عليهم إلا تنفيسا لهم ، أما من أقدره الله على كظم غيظه فترك المقابلة له أفضل بلا خلاف ، مع أن رخصة المقابلة مشروطة بقدر ما يسكن به الغضب خوفا من إثارة فتنة أعظم من فتنة عدم المقابلة ، فإن بعض الناس ربما يمنع من أن يقابل عدوه بالسيئة فيزداد حنقا ويقع منه الأذى لخصمه أضعاف ما أذاه به . ولما تأمل أهل الله تعالى فى تسمية سيئة المحازاة سيئة تركوا المقابلة وقالوا . إذا قابلنا المسمى بقدر إساءته فإذا الذى تركناه من السوء ؟ فنحن إذا من أهل السوء ، وأيضا فإن الله تعالى إنما شرط فى سيئة المحازاة المثلية تعريضا لعدم المؤاخذة ، فإن المثلية لا تكاد توجد لتعذر مساواتها للسيئة الأصلية فى التأثير والأذى وفى موافقة الألفاظ أو الأفعال أو الحاضرين ذلك المجلس وغير ذلك ، فلذلك سارعوا إلى الصفح .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو داود مرفوعا : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْهَكَ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ ، وَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ وَيُنْهَكَ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ » .

وروى أبو الشيخ ابن حبان مرفوعا : « أَمْرٌ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَنْ يُضْرَبَ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جَلْدَةٍ فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُو حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةٌ وَاحِدَةً فَأَمْتَلًا قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا ،

فَلَمَّا أَفْرُتْجِعَ عَنْهُ وَأَفَاقَ قَالَ عَلَامَ جِدَلْتُ مُؤْمِنِي؟ قَالُوا إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلَاةَ بَغْيٍ طَهُورٍ وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا نَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، وَلَا نَنْتَقِمَنَّ مِنْ رَأْيِ مَظْلُومًا فَقَدَّرَ أَنْ يَنْصُرَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ » .

وروى أبو داود مرفوعا : « مَنْ سَخَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ ، أَرَاهُ قَالَ : بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَحْمِي لِحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفْرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرْهُ؟ قَالَ تَحْجُزُهُ أَوْ قَالَ تَمْتَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ » .

وفي رواية لمسلم : « وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْصُرْهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرَةٌ ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ » والله تعالى أعلم .

.. (أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نستعمل ما ورد من الكلمات عند خوفنا من ظلم ولو كان لنا أخا لنقابل به الظالم بهلا إلى إظهار الضعف وتدابيرا مع الله ثم مع السلطان الذي ولي ذلك الظالم مع أن ذلك الظالم ما أسلط علينا إلا بذنوب وقعت منا ولم نتب منها توبة يقبلها الله تعالى ، فليرجع العاقل إلى نفسه ويفتش ما وقع فيه من الصغائر والكبائر ، وما ألقى بها ويتوب ويستغفر ، ثم بعد ذلك يلتجئ إلى الله تعالى ويدعوه بما ورد .

وقد قال لي سيدي على الخواص رحمه الله : إنه ليس من شأن الكامل أن يحمي نفسه من ظالم بالحال وإنما عليه الصبر ، وأما أصحابه فله حمايتهم من الظلمة بالحال فينتقمهم مثلا أو يعزلهم من ولايتهم وكذلك كان يفعل سيدي إبراهيم المتبولي ، كان يحتمل الأذى من الحكام في حق نفسه دون إخوانه ، ويقول : إنما أفعل ذلك لإخواني لعدم صبرهم وفاء بحقهم قال : وقد كان لي صاحب من أرباب الأحوال كان يقدر على تنفيذ حاله في السلطان فمن دونه وكان لا ينفذه في أحد وكان مكاريا ، فركب حماره يوما واحدا من

جند السلطان قايتباي من قنطرة الموسيقى إلى مصر للعتيق إلى الروضة ثم إلى الجزيرة ثم إلى نواحي الأهرام وكان قد طعن في السن ، فصار الجندى يسوق الحمار ويقول له للشيخ ارفق بي يا ولدي فلإني عاجز فلا يسمع له ، فلما وصل به إلى مكان ربيع الخليل طلب الشيخ منه كراهه فسحب الديوس وضربه حتى كسر يديه وأكتافه ، ورجع الشيخ فنام نحو شهر ضعيما .

وأخبرني الشيخ نور الدين الشونى رحمه الله عن هذا المكارى بعينه أن شخصا قال له : ركبني إلى مسجد الخلفاء قريبا من قنطرة الموسيقى بخط حارة عبد الباسط وأعطاه ثلاثة نقرة وكان مع ذلك الشخص قفة فيها سمك مقلى ، فما مشى وراءه إلا يسير ثم قال له : انزل هذا مسجد الخلفاء فوجد الشخص نفسه على باب السلام بالمدينة المشرفة ، فزار النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وزار البقيع والشيخ واقفت ينتظره على باب السلام بالسملك ، فلما خرج قال له إن شئت تقيم حتى يجيء الحاج وإن شئت ترجع معي ، فقال : أرجع معك ، فرجع معه وشرط عليه أن لا يتكلم بذلك لأحد حتى يموت الشيخ ، وذكر الشخص أن الشيخ حكى له واقعة الجندى الذى ركب حماره إلى ربيع الجزيرة فقال له يا سيدى لو كنت مكانك لقتلت الجندى بحالى ، فقال لا يا ولدى ما أمرنا الله تعالى فى هذه الدار إلا بالصبر على ظلم الظالم وأن ترى ذلك من بعض ما نستحقه .

وسمعت أخى أفضل الدين يقول : من كان مشهده مقام «وأعوذ بك منك» وظلمه ظالم فطريقه أن يلوذ بالله من تقدير الله فلا يستغنى عن الحاجة إلى الله أجده ، وتأمل سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم كيف أمره الله تعالى بالإستعاذة بالله :

(مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ .
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) وَ(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ - مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) .
هذا مع علو مقامه صلى الله عليه وسلم على مقام جميع الخلق .

فاتبع يا أخى طريق الاقتداء ودر فى الأبواب التى دخل منها الأكابر ، ولا تطاب الوصول إلى غرضك من غير طريقهم فإنها كلها مسدودة ، وقد علق الله الأسباب على المسببات وأحوج الخلق إلى الخلق وأحرج الجميع إليه شاعوا أم أبوا :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الطبراني ورجاله رجال الصحيح مرفوعا :

« إِذَا تَخَوَّفَ أَحَدُكُمْ السُّلْطَانَ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ » يعنى الذى يريدہ « وَشَرِّ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَاتَّبَاعِهِمْ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، عَزَّ جَارُكَ ، وَجَلَّ تَنَاوُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » .

وفى رواية له أيضا ورواتها محتج بهم فى الصحيح عن ابن عباس قال :

« إِذَا أَتَيْتَ سُلْطَانًا مَهِيْبًا تَخَافُ أَنْ يَسْطُوَ بِكَ فَقُلْ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا ، اللَّهُ أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُسِكُّ لِلْسَّمَوَاتِ أَنْ تَقَعَنَّ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، مِنْ شَرِّ عَبْدِكَ فَلَانٍ وَجُنُودِهِ وَاتَّبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ . اللَّهُمَّ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِمْ ، جَلَّ تَنَاوُكَ ، وَعَزَّ جَارُكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » .

ورواه الطبراني أيضا باسقاط قوله ثلاث مرات ورواية الثلاث أصح .

وروى ابن أبي شيبة مرفوعا عن أبي مخلد وهو تابعى ثقة :

« مَنْ خَافَ ظَلَمًا فَقَالَ : رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا ، وَبِالْقُرْآنِ حَكَمًا وَإِمَامًا ، تَجَاهَهُ اللَّهُ مِنْهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نروض نفوسنا إذا طابنا الدخول على الظلمة ومخالطتهم بالورع عن شبهات الدنيا والزهد فى حللها ، فإذا أحكمنا المقام فى ذلك دخلنا بعد ذلك على كل ظالم وخرجنا من حضرته سالمين من الإثم إن شاء الله تعالى . وأما من دخل إليهم من غير أن يروض نفسه فى الورع والزهد فمن لازمه غالبا الآثام والسكوت على متكراتهم ، لأن من يستمطر من أحد حسنة يخاف من تغير خاطر ذلك الأحد عليه ولو كان فى ذلك سخط الله كما جرب ، بخلاف من يدخل إليهم زاهدا فيما بأيديهم بحيث لو قبلوا نعله ليأخذ ما لهم لا يلين إليهم خوفا من الله ، فهذا

يخرج سالما من الإثم ومن تسليطهم عليه بضرب أو حبس أو تحويل نعمة : ولما وشوا بذي النون المصري وحيى به من مصر إلى بغداد ، مقيدا مغلولا في محنة وقعت له فلما مروا به على عجوز تصرح كتابا في مخزنها فقلت : ماهذه الكبكة ، فقالوا لها إنهم أتوا بذي النون المصري إلى الخليفة ليقتله لزعم أهل مصر أنه أترف عقائد الناس ، فقالت العجوز ائتوني به فأثوها به ، فقالت له : ياذا النون إن أردت النصرة على من ظلمك بين يدي الخليفة فاستحضر عظمة الله تعالى ، ومثل نفسك أنت والأخصام والخليفة بين يدي الله عز وجل وهو الحاكم ، وإياك أن تخاف من الخليفة فيسلطه الله عليك ، وإياك أن نجيب عن نفسك فيكلك الله إليها ، بل اسكت وارض بعلم الله فيك ، وانتظر ماينطق الله تعالى به الخليفة في شأنك ، فقال لها نعم ، فلما مضوا به إلى بين يدي الخليفة ادعى عليه أهل مصر بأنه زنديق أترف عقائد الناس ، فقال له الخليفة ماتقول؟ فقال : ماذا أقول؟ إن قلت لا كذبتهم وأنا أستحي أن أكذب مسلما ، وقد سافروا من مصر إلى هنا لتنصرهم على وإن قلت نعم كذبت نفسي وظلمتها وطالبنى الله بها فسكت الخليفة ثم قال : إن كان هذا زنديقا فما على وجه الأرض مسلم ، ثم صنع له محفة وفرش له فيها نحو ويبة من الذهب ، وقال أنفقه في سفرتك ولا تنسنا من دعائك ، فمر ذو النون على العجوز وقال لها ، جزاك الله عنى خيرا .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من لم يعطه الله التصريف في الظلمة بالعتل والتولية وتحويل النعم وتأثيره في أبدانهم فليس له إلا كثار من الدخول عليهم في شفاعاة ولا غيرها لاسيا في هذا الزمان الذى قد صار الفقير فيه عند الظلمة من أحقر الناس لا يقبلون له شفاعاة إما لعدم مشى الفقير على قواعد الصالحين ، وإما لعدم استحقاق الناس للشفاعة فيهم اه .

وقد صحبت أنا جماعة من الولاة على قدم الزهد فيما بأيديهم فلم يردوا إلى شفاعاة إلى أن عزلوا أو ماتوا ، فأحكمت بأخى مقام الزهد في أموالهم وهداياهم ثم ادخل عليهم ليلا ونهارا في الشفاعات لا يضررك ذلك إن شاء الله تعالى .

وقد شفح سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه في يوم مائة شفاعاة عند السلطان وهو يرد ولا يقبل ، فلما رجع مرة أخرى بعد المائة عرض عليه السلطان دراهم فردها ، وأشار إلى مدورات حجارة كانت بين يدي السلطان فصارت ذهبا . فاستغفر السلطان من مخالفة الشيخ ورسم بقضاء جميع الحوائج التى يسأل فيها كلها .

وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رضى الله عنه في الفتوحات المكية أنه دخل على الملك الظاهر بيبرس يشفع في وزير من وزرائه كان تغير عليه وأمر بصلبه ، فقال له السلطان لأقبل لك فيه شفاعا وذكر عنه أمورا يستحق بها القتل ، فقال له الشيخ يامولانا السلطان أنا من جملة رعيتهك وأستحى من الله أن تضيق دائرة حلمى وصفحى على واحد من الناس فكيف بدائرة حلم مولانا السلطان ؟ قال للشيخ : فقبل شفاعتى فيه وقضيت عنده فى ذلك المجلس مائة حاجة وثمانية عشر حاجة ، فثل هؤلاء يأخىهم الدين لا يخاف عليهم من الدخول على الملوك والأمراء والظلمة ، وأما محب الدنيا الذى يستمطر من الظلمة هدية أو حسنة فيخاف عليه من هلاك دينه :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وسياتى فى عهود المناهى حديث الإمام أحمد مرفوعا :

« مَنْ تَبِعَ الصَّيِّدَ غَفَلَ ، وَمَنْ آتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتَتَنَ ، وَمَا أَزْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا أَزْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا » اهـ .

وهو محمول على من دخل لىهم وهو راغب فى دنياهم .

وفى رواية الإمام أحمد وغيره مرفوعا :

« يَكُونُ بَعْدِي أَمْرَاءُ يَعْشَاهُمْ غَوَاشٍ وَحَوَاشٍ مِنَ النَّاسِ ، يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ ، وَلَمْ يُعِينْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا ورواه ثقات :

« سَيَتَفَقَّهُ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي فِي الدِّينِ ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَقُولُونَ نَأْتِي الْأَمْرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقِتَادِ إِلَّا الشُّوكُ كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ » .

قال ابن الصلاح كأنه يعنى الخطايا والأحاديث فى ذلك كثيرة وسياتى غالبها فى عهود المناهى والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نشفق على جميع خلق الله تعالى من مؤمن وكافر بطريقه الشرعى كل بما يناسبه من الرحمة ، لكن لانبالغ في الرحمة كل المبالغة بحيث نرحم الشاة فلا نذبحها مثلا لأن للرحمة حدا لانتعدها ، وقد سمي الحق تعالى نفسه أرحم الراحمين وأمرنا بذبح الحيوانات فنذبحها مع رقة القلب ، ونضرب من شرد عن طريق الإستقامة من رعية وعبد وولد وبهيمة رحمة به على وجه التأديب لا التشنى للنفس ونكون أرحم به من نفسه ورائة محمدية ، وقد تحققتنا بذلك والله الحمد ، فأنا أتأثر على إخواني إذا فاتهم شيء من الخير أكثر مما يتأثر أحدهم إذا فاته ذلك ، وأحب لهم أن لا يكون معهم من الدنيا سوى ما يسد جوعتهم ويوارى عورتهم ، وأكره لهم الزيادة من الدنيا التي تشغلهم عن ربهم وهم لا يكرهون ذلك وأحب لهم الأمراض التي تكفر عنهم خطاياهم وأفرح لهم بها وهم يغتمون من ذلك ويتقبضون له وأحب لهم أن يصبروا على ظلم الناس لهم ، وأذاهم لهم ، ويرضون بالصك والضرب بالنعال ، وأكره لهم الانتصار لأنفسهم وهم يحبون ذلك وهكذا ، فأنا أشفق عليهم وعلى دينهم من أنفسهم اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسياتى فى عهود المنهيات التي رأيت فى واقعة اوحة نزل من السماء فى سلسلة من فضة فى أرض من البلور الأبيض فرأيت فيه ثلاث عيون تنفجر ماء أبيض من الابن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج ، مكتوب على العين العليا : مستمد هذه العين من الله ، ومكتوب على الوسطى مستمد هذه العين من العرش ، ومكتوب على السفلى : مستمد هذه العين من الكرسي فألهمنى الله أن أشرب من عين العرش فشربت منه حتى رويت ، فقصصت ذلك على الشيخ شهاب الدين المعبر ، فقال تتخلق بالرحمة على جميع العالم على حسب الحد المشروع ، فالحمد لله رب العالمين .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من شروط من تتخلق بالرحمة على العالم أن يعامل الجراد معاملة الحى ، فيمسك كوز الماء مثلا ويضعه برفق وشفقة ، خوفا أن يتألم من الوضع قال : وقد وضعت الكوز مرة بعنف فقال آه ، فن ذلك اليوم وأنا أضعه برفق .

وكان رضى الله عنه يمالأ قعاوى الكلاب ويقول : إنهم مساكين لا يقدرون يملثون من البئر إذا عطشوا ويمنعهم الناس من دخول دورهم ، ومن الشرب من حيضان دوابهم خوفا التنجيس .

، كان يرسل بعض تلامذته إلى المذبح فيأني بشعث اللحم وبالضحال ونحوها للقطط
كل يوم ويقول : إن غالب الناس اليوم لا يطعم قطة الدار شيئاً ، وإنما تحطف كلما قدرت
عليه إذا جاءت على رغم أنه .

وكان يتفقد النمل الذي في شقوق الدار ويضع له الدقيق ولباب الخبز على باب جحره
ويقول : يمتهم من الانتشار لأجل القوت ، فإن النملة إذا جاءت خرجت تطلب رزقها
ضرورة ، وعرضت نفسها لوقوع حافر أو قدم عليها فتموت أو تنكسر رجلها ، فإذا
وجدت ما تأكل على باب جحرها استغنت عن الخروج اه .

قلت : وما وقع لي أن زوجتي فاطمة القصيبة أم ولدي عبد الرحمن نزل عليها حادر
وأشرفت على الموت وغابت عن إحساسها وصاحت أمها وأهل الدار عليها حين رأوا
أمارات الموت فحصل عندي كرب شديد لأجلها من جهة موافقتها للمزاج ودينها وخيرها
فإذا بقائل يقول لي : ادخل مجاز الخلاء تجد ذبابة في شق سحبا ضبع الذباب وهي
صائحة يريد أكلها فخاصها ونحن نخلص لك زوجتك ، فدخلت وصغيت إلى الشق
فسمعت صياح الذبابة فوجدت الشق ضيقاً لا يسع الأصبع ، فأدخلت عوداً برفق
واستخرجها وخلصتها من ضبع الذباب ، فأفاقت أم عبد الرحمن في الحال وزغرت أمها
هذا أمر وقع لي .

وقد تقدم في هذه العهود أن سيدي أحمد بن الرفاعي وجد بأم عبيدة كلباً أجرب
أبرص أجدم عافته نفوس الناس وأخرجوه من البلد ، فكث الشيوخ يخدمه في صحراء
أم عبيدة نحو أربعين يوماً ، وعمل عليه مظلة من الحر وصار يدهنه حتى يرى وغسله
بالماء الحار ، وقال : خفت أن يقول الله لي يوم القيامة : أما كان فيك رحمة تشمل
كلباً من خلقي اه .

وسمعت أخى أفضل الدين مرة يقول : من الأدب إذا ركب العبد دابة أن يرحمها
بالنزول عنها ولا يركب إلا عند الضرورة . ورأيت رضي الله عنه قلب حافر الحماره للمازل
من عليها وقيله ، وقال : اجعليني في حل وصار يعتذر إليها كما يعتذر لمن اعتدى عليه من
الناس رضي الله عنه . وكان يقول : لا ينبغي لفقير أن يجعل لأنامل الطائف على رزقه
مانعاً يحول بينه وبينه من قطران ونحوه إلا بعد أن يخرج له نصيباً معلوماً من ذلك ويضعه
له على باب جحره اه وهذا العهد قد صار غالب الخلق لا يلتفت إلى العمل به حتى حملة

للقرآن ، بل صار الناس يضربون المثل بجرمانهم القطة من طعامهم ، ويقولون : صار فلان وفلان يأكلون من الشيء الفلاني ، وأنا واقف أنظر إليهم لا يرمون لي شيئا مثل قطة الفقيه .

فأرحم يا أخی الخلق على حسب درجاتهم وتفاوتهم على الوجه الشرعى ، والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وأحمد والترمذى مرفوعا :

« مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ » .

زاد في رواية للإمام أحمد : « مَنْ لَا يَغْفِرُ لَا يُغْفَرُ لَهُ » .

وروى الطبرانى ورواه رواية الصحيح مرفوعا :

« لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرَاحُمُوا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكُلُّنَا رَحِيمٌ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدِكُمْ صَاحِبُهُ وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ الْعَامَّةِ » .

وروى الطبرانى بإسناد حسن مرفوعا : « مَنْ لَمْ يَرْحَمْ النَّاسَ لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ » .

وفي رواية له بإسناد جيد قوى مرفوعا :

« مَنْ لَا يَرْحَمُ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَا يَرْحَمُهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ » .

وروى أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح مرفوعا :

« الرَّاحُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَبْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » .

وروى الإمام أحمد بإسناد جيد : « ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاغْفِرُوا يُغْفَرَ لَكُمْ ، وَيَلْ

لِاقْمَاعِ الْقَوْلِ ، وَيَلْ لِلْمُصْرَبِينَ الَّذِينَ يُصْرَبُونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » .

وروى الإمام أحمد والترمذى وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« لَيْسَ مِنْهَا مَنْ لَمْ يُوقِرِ الْكَبِيرَ ، وَيَرْحَمِ الصَّغِيرَ ، وَيَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَ

عَنِ الْمُنْكَرِ » .

وروى الطبرانى ورواه ثقات مرفوعا : « إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ مَا إِذَا اسْتُرِحُوا

رَحِمُوا وَإِذَا حَكَمُوا عَدَلُوا » .

وروى الطبراني مرفوعا . « طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَبَةٍ وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ سَأَلَةٍ وَأَنْفَقَ مَالًا جَمَعَ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالْمَسْكِنَةِ » الحديث .
وروى أبو داود واللفظ له والترمذي وابن حبان في صحيحه مرفوعا :
« لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ قَلْبٍ شَقِيٍّ » .

وروى الشيخان وأبو داود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحسن والحسين عليهما السلام وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قلت منهم أحدا قط ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :
« مَنْ لَا يُرْحَمُ لَا يُرْحَمِ » .

وروى الشيخان : « أَنْ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
إِنَّكُمْ تُنْقَبُونَ الصَّبِيَّانَ وَمَا نُقِبْتُهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَمْلِكُ
لَكَ أَنْ تَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ » .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد : « أَنْ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لِأَرْحَمُ
الشَّاةِ أَنْ أُذْبِحَهَا فَقَالَ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ » .

وروى الطبراني والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين :
« أَنْ رَجُلًا أَضْجَعَ شَاةً وَهُوَ يُحِدُّ شَفْرَتَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُرِيدُ
أَنْ تُمَيِّتَهَا مَوْتَاتٍ هَلَّا أَحَدَدَتْ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْحِمَهَا » .

وروى عبد الرزاق : « أَنْ جَزَارًا فَتَحَ بِأَبَا هَلِي شَاةً لِيَذْبِحَهَا فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ حَتَّى
جَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبِعَهَا وَأَخَذَ بِسَحْبِهَا بِرِجْلِهَا فَقَالَ هَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبِرِي لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَأَنْتَ يَا جَزَارُ فَسُوقَا رَفِيقًا » .

وروى عبد الرزاق أن عمر رضى الله عنه رأى رجلا يسحب شاة برجلها ليدبحها ،
فقال له : ويلك ، قدما إلى الموت قودا جميلا .

وروى أبو داود عن أبي مسعود قال :
« كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمْرَةً وَمَعَهَا

فَرَّخَانَ فَأَخَذْنَا فَرَّخَانِيَا فَبَجَاءَتِ الْخُمْرَةُ فَجَعَلْتُمْ تُعْرِشُونَ فَبَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَنْ فَبَجَعَ هَذِهِ فِي وَلَدَيْهَا رُدُّوْا وَلَدَيْهَا إِلَيْهَا .

ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال : من حرق هذه قلنا نحن قال :

« إِنَّهُ لَا يَذْبَنِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا فِيهِ جَمَلٌ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ : مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَبَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنْكَ تُجِيعُهُ وَتُذِيبُهُ .

وروى الإمام أحمد عن يعلى بن مرة بإسناد جيد قال :

« كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ جَاءَ جَمَلٌ يُحَبِّبُ حَتَّى ضَرَبَ بِجِرَانِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَ وَيْحَكَ انْظُرْ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ إِنْ لَهُ لَشَأْنَا ، قَالَ فَخَرَجْتُ أَلْتَمِسُ صَاحِبَهُ فَوَجَدْتُهُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَدَعَوْتُهُ إِلَيْهِ فَقَالَ : مَا شَأْنُ جَمَلِكَ هَذَا؟ فَقَالَ : وَمَا شَأْنُهُ؟ لَا أَدْرِي وَاللَّهِ مَا شَأْنُهُ ، حَمَلْنَا عَلَيْهِ وَنَضَحْنَا عَلَيْهِ حَتَّى عَجَزَ عَنِ السَّمَايَةِ فَأَتَمَرْنَا الْبَارِحَةَ أَنْ نَنَحِرَهُ وَنُقَسِّمَ لَحْمَهُ قَالَ : لَا تَفْعَلْ هَبْنِي لِي أَوْ بَعْنِيهِ ، فَقَالَ بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَوَسَّمَهُ بِعَيْسَمِ الصَّدَقَةِ ثُمَّ بَعَثَ بِهِ . »

وفي رواية للإمام أحمد : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِصَاحِبِ الْبَعِيرِ؟ مَا لِبَعِيرِكَ بِشَكْوِكَ؟ زَعَمَ أَنَّكَ سَنَأْتُهُ حَتَّى كَبُرَ تُرِيدُ أَنْ تَنَحِرَهُ ، قَالَ صَدَقْتَ ، وَالَّذِي بَعْدَكَ بِالْحَقِّ لَا أَفْعَلُ » .

وفي رواية أخرى : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَاحِبِ الْبَعِيرِ بِعَيْنِيهِ ، فَقَالَ : لَا بَلْ أَهْبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنَّهُ لِأَهْلٍ بَيْتٍ مَا لَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ ، فَقَالَ : أَمَّا

إِذَا ذَكَرْتَ هَذَا مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقِلَّةَ الْعَلْفِ ، فَأَحْسِنُوا
إِلَيْهِ « الحديث .

وروى ابن ماجه عن تميم الدارى قال :

« كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ بَعِيرٌ يَعْدُو حَتَّى وَقَفَ عَلَى
هَامَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّهَا الْبَعِيرُ
أَشْكُ ، فَإِنْ تَكُ صَادِقًا فَلَكَ صِدْقُكَ ، وَإِنْ تَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْكَ كَذِبُكَ مَعَ أَنَّ اللهَ
تَعَالَى قَدْ آمَنَ عَائِدُنَا وَلَيْسَ بِخَائِبٍ لَأُذُنَا ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَقُولُ هَذَا الْبَعِيرُ ؟
قَالَ : هَذَا بَعِيرٌ هَمَّ أَهْلُهُ بِنَجْرِهِ وَأَكَلَ لَحْمَهُ فَهَرَبَ مِنْهُمْ وَاسْتَعَاثَ بِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ صَاحِبُهُ أَوْ قَالَ أَصْحَابُهُ يَتَعَادُونَ ، فَلَمَّا نَظَرَ
إِلَيْهِمْ الْبَعِيرُ عَادَ إِلَى هَامَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَاذَّ بِهَا ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ
هَذَا بَعِيرُنَا هَرَبَ مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَلَمْ نَلْقَهُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا إِنَّهُ يَشْكُو إِلَيَّ فَبِئْسَتِ الشُّكَايَةُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَقُولُ ؟
قَالَ : يَقُولُ إِنَّهُ رَبِّي فِي أَمْنِكُمْ أَحْوَالًا وَكُنْتُمْ تَرَوْنَ كِبُونَ عَلَيْهِ فِي الصَّيْفِ إِلَى مَوْضِعِ
الْكَلَالِ وَتَرَوْنَ حُلُونَ عَلَيْهِ فِي الشِّتَاءِ إِلَى مَوْضِعِ الدَّفَاءِ ، فَلَمَّا كَبُرَ اسْتَعَجَلْتُمْ فَرَزَقَكُمْ
اللهُ مِنْهُ إِبِلًا سَائِقَةً ، فَلَمَّا أَدْرَكَتَهُ هَذِهِ السَّنَةُ انْخَصِيبَتُهُ هَمَّتُمْ بِذَبْحِهِ وَأَكَلَ
لَحْمَهُ ، فَقَالُوا : وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا هَذَا جَزَاءُ
الْمَمْلُوكِ الصَّالِحِ مِنْ مَوْلَاهِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ لَا نَدْبِعُهُ وَلَا نَنْجُرُهُ ، فَقَالَ : كَذَبْتُمْ
قَدْ اسْتَعَاثَ بِكُمْ فَلَمْ تُغِيثُوهُ ، أَنَا أَوْلَى بِرَحْمَتِهِ مِنْكُمْ ، فَإِنَّ اللهَ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ
قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ وَأَسْكَنَهَا فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاشْتَرَاهُ عَلَيَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْهُمْ
بِمِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ : أَيُّهَا الْبَعِيرُ أَنْطَلِقْ فَأَنْتَ حُرٌّ لِرُؤُوسِ اللهِ تَعَالَى ، فَرَعَا عَلَى هَامَةِ رَسُولِ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ آمِينَ ، ثُمَّ رَعَا فَقَالَ آمِينَ ، ثُمَّ رَعَا
فَقَالَ آمِينَ ، ثُمَّ رَعَا الرَّابِعَةَ فَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ

مَا يَقُولُ هَذَا الْبَعِيرُ؟ فَقَالَ: يَقُولُ جَزَاكَ اللَّهُ أَيُّهَا النَّبِيُّ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ ،
فَقُلْتُ آمِينَ ، ثُمَّ قَالَ: سَكَنَ اللَّهُ رُغْبَ أُمَّتِكَ يَوْمَ النِّفَامَةِ كَمَا سَكَنْتَ رُغْبِي ،
فَقُلْتُ آمِينَ ، ثُمَّ قَالَ: حَقَّنَ اللَّهُ دِمَاءَ أُمَّتِكَ مِنْ أَعْدَائِهَا كَمَا حَقَنْتَ دَمِي ، فَقُلْتُ آمِينَ ،
ثُمَّ قَالَ: لَا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَ أُمَّتِكَ بَيْنَهَا فَبَسَكَيْتُ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ سَأَلْتُ رَبِّي
فَأَعْطَانِيهَا وَمَنْعَنِي هَذِهِ ، وَأَخْبَرَنِي حَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ أَنْ فَنَاءَ أُمَّتِي بِالسَّيْفِ
جَرَى الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَأَنَّ .

وروى البخارى وغيره مرفوعا : « دَخَلَتْ أُمْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَهَا فَلَمْ تَطْعَمِهَا
وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ » .

وفي رواية له أيضا : « عَذَّبَتْ أُمْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَهَا حَتَّى مَاتَتْ ، لَا هِيَ أَطْعَمَهَا
وَسَقَمَهَا إِذَا هِيَ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ » .

والخشاش بالمعجمتين والشينين المعجمتين : هوحشرات الأرض والعصافير ونحوهما :
وفي رواية لابن حبان في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم :

« رَأَى الْهِرَّةَ تَهَشُّ قُبُلَ الْمَرْأَةِ وَدُبُرَهَا إِذَا أُقْبِلَتْ وَإِذَا أُدْبِرَتْ » أى فى النار .

وروى الإمام أحمد والطبرانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى
حجة الوداع :

« أَرْفَأَوْكُمْ أَطْعَمُوهُمْ بِمَا تَطْعَمُونَ ، وَاسْكُوهُمْ بِمَا تَنْلِسُونَ ، فَإِنْ جَاءُوا بِذَنْبٍ
لَا تُرِيدُونَ أَنْ تَغْفِرُوهُ فَبَيْعُوا عِبَادَ اللَّهِ وَلَا تُعَذِّبُوهُمْ » .

وفي رواية للترمذى فى العبيد مرفوعا :

« إِنْ أَحْسَنُوا فَأَقْبِلُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا فَأَعْفُوا ، وَإِنْ غَلَبَكُمْ فَبَيْعُوا عِبَادَ اللَّهِ
وَلَا تُعَذِّبُوهُمْ » .

وفي رواية للترمذى والأصبهاني مرفوعا :

« الْعَبْدُ أَخْوَكُ فَاحْسِنُ إِلَيْهِ وَإِنْ رَأَيْتَهُ مَظْلُومًا فَأَعْنِهِ » .

وروى ابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« لِمَتَلُّوكِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَكِسْوَتَهُ وَلَا يُكَلِّفُ إِلَّا مَا يُطِيقُ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ وَلَا تَمُدُّ بُوا عِبَادَ اللَّهِ خَلْقًا آمَنَّاكُمْ » .

وروى أبو داود وغيره عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه قال : كان آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم :

« الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » .

وفي رواية لابن ماجه أنه قال : « الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، فَمَا يَزَالُ يَقُولُهَا حَتَّى مَا يَفِيضَ بِهَا لِسَانُهُ » .

وروى الطبراني مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« اللَّهُ اللَّهُ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، أَشْبِعُوا بَطُونَهُمْ ، وَأَكْسُوا ظُهُورَهُمْ ، وَاللَّيْنُوا لَهُمُ الْقَوْلَ » .

وروى أبو داود والترمذي : « أَنْ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ أَغْفُو عَنِ الْخَادِمِ ؟ قَالَ : كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً » .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، وسيأتي بعضها في عهود المنهيات ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب كل من صحبناه من الولاية أن يتخذ له وزيراً صالحاً ويطانة حسنة كما درج عليه الخلفاء الراشدون ، وذلك لأن للولاية والحكم في الناس لذة وسكراً يزلزل العقل ، والوزير ليس عنده تلك اللذة ، فربما يجزم السلطان أو الأمير بفعل شيء ويراه صواباً وهو خطأ ، فيأتي إليه الوزير فيقول يا مولانا السلطان إن فعلت كذا وقع كذا ، فيرجع السلطان في الحال عن ذلك الأمر ، فكأنه كان نائماً واستيقظ ، ولعل وجود الوزير الصالح قد فقد وتودع من وجوده ما بقيت الدنيا وذلك لأمر يطول شرحها : منها أن الولايات قد وليها غير أهلها بحكم الوعد السابق من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو لم يقع ذلك لزم الخلف لما وعد به صلى الله عليه وسلم وهو الصادق . ومنها عدم استحقات الرعية في هذا الزمان للرفق بهم والشفقة عليهم لما هم منطوون عليه من المعاصي والقبائح التي تسكل الألسن عن وصفها ، كما يعرف ذلك الحكام والمخاطبون للناس . ومنها تقصيرهم في عبادة ربهم وتركهم قيام الليل وصيام

النهار ، وأكلهم الحرام والشبهات والتعاون عند الظلمة في ظلم بعضهم بعضا .
وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لم يزل الحق تعالى ينظر إلى هذه
الامة المحمدية بعين الرعاية والحفظ من الآفات ظاهرا وباطنا ، وإنما سلط عليهم الحكام
بالجور والظلم ليجبر تعالى خلال ما فرطوا فيه من العبادات ، وربما كانت البلايا والمحن في
حقهم أنفع لهم من الصدقات والخيرات وأكثر أجرا وأثقل في موازينهم اهـ .

وكان سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يولى الناس الملاح عند الظلمة وأهل المكوس
ويقول : إذا وقف أحدكم في هذه الوظيفة وعمل فيها خيرا وستر على من يراه من التجار
والسوقة ولم يأخذ منها شيئا ، كان أفضل له من أن يجلس يسبح الله تعالى في سبحة ، وكان
يقول لهم : إياكم أن تقفوا لمصلحة نفوسكم وحرروا نيتكم على مصالح المسلمين ، وكل من
قدرتم عليه من الهاربين من المكس فاكتموا أمره عن المكاسين .

وكان سيدى علي الخواص رحمه الله يقول لصاحب الجهة : لا تظن أن تفريطك على
الناس يكثر مالك ، وإنما يكثره تفريغ الناس من المكس ، فتخرج من وظيفتك سالما
من الديون السلطانية لكونك قلت من مظالمك لله تعالى . وكان يقول : أعطوا الخفراء
عادتهم إذا جئتم إلى مصر من الحجاز أو الشام على وجه أن ذلك خفارة لامكس ، فإنكم
ما جئتم إلا في ظل سيف الساطان ، ولولا وجود الساطان ما استطاع أحد منكم أن
يخرج إلى البرارى بماله وحرمة ، وكان يقول : أخفوا عن المكاسين كل ما قدرتم على
إخفائه ، فإن خفتهم ضررا من إخفائكم فأعطوهم عادتهم ، وربما غمز أحد عليكم فصرتم
تسألونهم بأضعاف ما كانوا يأخذونه منكم فلا يرضون ، وربما حبسوكم وضربوكم ، وكان
يقول : لو أن التجار قاموا بما عليهم لله تعالى في أموالهم من الصدقات الواجبة والمستحبة
لم يسلط عليهم مكاسا ولا ظالما ، لكن لما بخلوا ومنعوا حق الله تعالى سلط الله تعالى عليهم
الظلمة ، قال : ونرجو من فضل الله تعالى في الآخرة أن يخفف بذلك حسابهم كما يفعل
بجميع المظالم ، قال تعالى :

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) .

فعل أن وجود الولاة الصالحين والوزراء الناصحين تابع لأعمال الخلائق من الرعية
استقامة ووجعا ، فإن قال الرعية نحن لا نقدر أن نستقيم في أعمالنا قلنا لهم فاعلدروا ولائكم
فإنهم عنكم تفرعوا ، فكما لا قدرة لكم على الكف عن الأعمال السيئة فكذلك لا قدرة

للولاة على رد الجزاء السىء عنكم فاعذروهم بما تعذرون به نفوسكم ، فأسسوا هذا الأساس أولاً ثم أنسبوا لهم الظلم ولنفسكم العوج ، واستغفروا الله كلكم ، لأن التوبة هى الرجوع إلى تقدير الله ، وإنه لا أراد لما قضى ، وفى هذا أدب عظيم مع الحق تعالى باطننا ، لكن لما كان فيه راحة لإقامة الحججة على ربه وجب عليه إخفاؤه وإظهار أنه عصى باختيابه واستحق العقوبة ، ومن لم ينظر بهاتين العينين فهو أعور من فقير وفقير :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو داود وابن حبان فى صحيحه مرفوعاً :

« إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ ، إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يَذْكُرْهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعْنَهُ » .

وفى رواية للنسائى مرفوعاً : « مَنْ وَلى مِنْكُمْ عَمَلًا فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا ، إِنْ نَسِيَ ذَكَرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ » .

وروى البخارى والنسائى مرفوعاً : « مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخَافَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ » .

وفى رواية : « وَهُوَ إِلَى مَنْ يَتَلَبُّ مِنْهُمَا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن تأمر بالمعروف ونهى عن المنكر سواء أنفسنا وغيرنا فإن كلاهما واجب .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوكه على يد شيخ صادق يعرفه طرق السياسة ليدخل منها إلى حضرة انقياد الناس له ، فإن كثيراً من الناس يأمر بالمعروف أو ينهى عن منكر من غير سياسة ، فيزداد المنكر بقيام نفس ذلك العاصى أو الظالم مثلاً ،

وقد رأيت فقيهاً مر فى الحياض على شخص مكشوف الفخذين فوكزه برجله باحتقار وازدراء ، وقال حرام عليك هذا ، فقال الشخص جكارة فيك يافقيه أن أرى المنزى أصلاً فرماه جكارة فى الفقيه ، ولو أنه كان يعرف طرق السياسة لجلس إليه برفق ،

وقال له في أذنه يا سيدي أنت من ذوى المروات ونخاف أن أحدا ينظرك فيعرض عليك ، فكان الآخر يقول له جزاك الله تعالى عنى خيرا ، وكثيرا ما يأمر لإنسان معروف أو ينهى عن منكر بغير سياسة فيحصل له ضرر ويصير يقول أنا ظلم الذى أمرت فلانا أو نهيته ، ولكن تبت إلى الله إني ما عدت أمر بالمعروف أو أنهى عن المنكر فيجعل الواجب محظورا ويستغفر منه ، وكل ذلك من قلة السياسة :

واعلم يا أخى أن الإجماع منقاد على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال
الله تعالى :

(وَكَلَّا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) .

وما قام الدين إلا بذلك ، وقد ذم الله تعالى بنى إسرائيل بقوله تعالى :

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) .

وقد جعل الشارع صلى الله عليه وسلم لتغيير المنكر ثلاثة طرق : اليد واللسان والقلب :
وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : تغيير المنكر باليد للولاة الذين إن ضربوا العاصي لا يقدر بضرهم ، وتغييره باللسان للعلماء العاملين ، فيأمرون الناس وينهونهم فيمتثلون قولهم ، وتغييره بالقلب لكامل العارفين فيتوجه العارف إلى الله في كسر جرة الخمر ، فتنفلق نصفين بنفسها وإلى الظالم فتبيس يده ، التي يضرب بها ذلك المظلوم ، فقلت له : إن الشارع جعل ذلك أضعاف الإيمان فقال : جعله صحيح ، لأن الإنسان ، كما ارتفع عن حجاب الإيمان إلى حضرة الإحسان رقى حجاب إيمانه فكفى عن تلك الرقة بالضعف بالنظر لمرتبة الشهود الواقع لأهل حضرة الإحسان ، فليس المراد بالضعف الإيمان الضعف المذموم ، لأن صاحب هذا الحال قد ارتقى عن الإيمان خلف الحجاب إلى حضرة الشهود ، كالذى كان مؤمنا بشيء من وراء حائط من زجاج نحينة لا يرى أحد ما وراءها ، فصارت ترق وتدق ، حتى صارت كالبور تحسكى ما وراءها ، فهذا معنى قوله « أضعفت الإيمان » وأما على ما يفهمه غالب الناس من أنه ينكر بقلبه فليس ذلك بتغيير للمنكر ، بل هو باق ، والشارع قد صرح بأنه يغيره بقلبه وليس التغيير إلى ما ذكرناه من كسر جرة الخمر مثلا فافهم هذا ، مع أننا نقول الإنكار بالقلب واجب على كل مسلم اه .

وكان سيدي إبراهيم المتبولى يقول لأصحابه : إذا رأيتم منكرا فغيروه بقلوبكم ،

المنكر لربما انتقاد الناس لهم ، ومن هنا قالوا لا ينبغي لإنسان أن يعظ الناس إلا إن كان متعظا قبلهم ، فلا يأمرهم بترك الدنيا ويزأهم هو عليها ولا يأمرهم بالصدقة ويبخل هو ولا يأمرهم بقيام الليل وينام هو ، وقس على ذلك لأن رؤية الناس إلى أفعاله تحجبهم عن سماع مقاله ، ولا ينبغي أن ذلك أكثرى لاكلى ، فلا يلزم من عدم انقياد الناس للراعي أنه غير عامل بعلمه ، فإن الأنبياء عليهم السلام عاملون بعلمهم بالإجماع بعصمتهم ، ومع ذلك فما أطاعهم وانتقاد لهم إلا القليل ، وإنما الانقياد وعدمه راجع للقبضتين ، والداعى جاء يميز بدعوته بين أهل كل قبضة لاغير ، وليس بيده سعادة ولا شقاوة ، قال الله تعالى :

(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) .

وكذلك الحكم فى كل داع إلى الله إلى يوم القيامة ، وقول الناس حصل لفلان خير بركة سيدى الشيخ إنما هو أدب فقط مع ذلك الشخص ولو حققوا النظر لوجدوا ضرره أكثر من نفعه على مصطلح فهمهم فإن اتبعه فى الخير قليل ومخالفت ذلك كثير فقد أضر بهم بإقامة الحججة عليهم عند الله تعالى ، ولم يبق لهم عذر ، ولو أنه لم يأمرهم ولم ينههم لربما قالوا : ياربنا لم يأتنا نذير ، ومن هنا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى لما مدحوا أتباعه وكثرة نفعه : ضررنا أكثر من نفعنا والمالك من أتباعنا أكثر من الناجى لأننا نبين لهم فيخالفون فيه لكون ، ومؤاخذه الإنسان بعد البيان أشد من مؤاخذته من غير بيان ، فعلم أن الكامل من نظر ماله ليشكر الله وما عليه ليستغفر الله ، وإن كانت أدلة الشريعة تشهد بأنه ليس على الداعى إثم من حيث كونه كان سببا لمؤاخذه من خالفه ، وإنما ذلك من حيث أن ثم لنا مقاما رفيعا وأرفع فلا يقال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب فكيف يشرع لفاعله الاستغفار؟ لأننا نقول قد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) يعنى فتح مكة . (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) .

فأمره بالاستغفار من حيث أن ذلك الجهاد والاشتغال بهداية الأمة اشتغال بالخلق فى الجملة ، فلما رقاها إلى الاشتغال بالحق دون الخلق استغفر من ذلك المقام ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم :

« لِي وَقْتُ لَا يَسْعُنِي فِيهِ غَيْرُ رَبِّي » .

أى غير الإشتغال به كما فى حال الصلاة ، إذ لا يؤمر أحد فيها بأمر ولا نهى للغير :
وقد بلغنا أن داود عليه السلام لما شرع فى بناء بيت المقدس كان كلما بنى شيئا أصبح
منهدما ، فقال : يارب إني كلما بنيت بيتك يهدم ، فأوحى الله تعالى إليه : إن بيتي لا يقوم
بناؤه على يد من سفك الدماء ، قال داود : أليس ذلك فى سبيلك ، فقال تعالى : بلى ،
ولكن أليسوا خلقوا ؟ اه ويؤيد ذلك قوله تعالى لنبهه محمد صلى الله عليه وسلم :

(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) .

أى لأن فى السلم والصلاح عدم سفك الدماء ، فرجع الحق تعالى تأخير قتلهم وتقريرهم
على كفرهم لأجل القبضتين ، وهنا أسرار يذوقها أهل الله لا تسطر فى كتاب ، والله
تعالى أعلم :

وروى مسلم والترمذى وابن ماجه والنسائى مرفوعا :

« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ
لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » .

وفى رواية للنسائى : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَقَدْ بَرِيَ ، وَمَنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ أَنْ يُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَلْيُغَيِّرْهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ بَرِيَ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُغَيِّرْهُ بِلِسَانِهِ
فَلْيُغَيِّرْهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ بَرِيَ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » .

وروى البخارى عن عبادة بن الصامت قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
السمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أن نقول الحق أينما كنا ،
لا نخاف فى الله لومة لائم » .

وروى أبو داود وغيره مرفوعا : « أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أَوْ
أَمِيرٍ جَائِرٍ » .

وروى البخارى والترمذى مرفوعا : « تَمَثَّلُ الْقَائِمُ لِىِ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْوَاقِعِ
فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، وَكَانَ
الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا إِنْ خَرَقْنَا فِي سَفِينَتِنَا

خَرَقًا وَلَمْ تُؤْذِ مَنْ قَوْقَنَا ، فَإِنْ تَرَسُّوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا .

وروى الترمذى مرفوعا : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ، ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ » .

وروى أبو داود مرفوعا : « إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْتَقِي الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا أَتَقِيَ اللَّهَ وَدَعَا مَا تَصْنَعُ لَا يَحِلُّ لَكَ ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنْ الْغَدِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فَلَا يَنْمَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ - لِعَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى إِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ : كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . تَرَسَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ - ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا » .

أى تعطفونه وتقهرونه وتلزمونه باتباع الحق كرها عليه

وروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه مرفوعا .

« مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُعَيَّرُوا عَلَيْهِمْ وَلَا يُعَيَّرُونَ إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ قَبْلِ أَنْ يَمُوتُوا » .

وروى أبو الشيخ والبيهقى عن أبى هريرة قال :

« قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ قَالَ اتَّقَاهُمْ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَوْصَاهُمْ

لِلرَّحِمِ وَأَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ » .

وروى الأصبهاني مرفوعاً : « أَيُّهَا النَّاسُ مُرُّوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ فَلَا يَسْتَجِيبَ لَكُمْ ، وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُوهُ فَلَا يَغْفِرُ لَكُمْ ، إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَرْفَعُ رِزْقًا وَلَا يُقَرِّبُ أَجَلًا ، وَإِنَّ الْأَحْبَارَ مِنَ الْيَهُودِ وَالرُّهْبَانَ مِنَ النَّصَارَى لَمَّا تَرَكَوْا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَقَتَهُمُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ ، ثُمَّ عُمُوا بِالْبَلَاءِ » .

وفي رواية له أيضاً مرفوعاً : « لَا تَزَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَنْفَعُ مَنْ قَالَهَا وَتَرُدُّ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَالنَّقْمَةَ مَا لَمْ يَسْتَخْفُوا بِحَقِّهَا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْأَسْتِخْفَاءُ ؟ قَالَ يَظْهَرُ الْعَمَلُ بِمَعَاصِي اللَّهِ فَلَا يُنْكَرُوا وَلَا يُغَيَّرُوا » .

وروى أبو الشيخ والبيهقي عن أبي هريرة :

« إِذَا رَأَيْتَ الْعُلَمَاءَ تَابُوا أَنْ تَقُولَ لِلظَّالِمِ يَا ظَالِمُ فَقَدْ تَوَدَّعَ مِنْهُمْ » .

وسياتى عدة أحاديث في عهد المنهيات والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نستمر جميع عورات المسلمين مع تبيينها لهم سترنا على نقائصهم ، وأول ما ترجع فائدة ذلك علينا في الدنيا والآخرة ، فإن من ستر ستر ، ومن هتك الناس هتك جزاء وفاقا .

واعلم أن كل من كمل عقله لا يستبعد وقوعه في شيء من الذنوب ، فإن لم يكن وقع فيها فهو معرض للوقوع فيها ، فليُنظر في جميع ما وقع فيه الناس وسحبوا إلى بيت الوالى يجد نفسه قابلة له ، لأن طينة البشر واحدة إلا من عصمه الله كالأنبياء ، ثم من أقيح ما يكون ذكر من كان عاصياً ثم تاب أحدا من العصاة بسوء ، وقد قالوا في المثل : تابت الزانية البارحة فقات مقصودي الوالى يكبس على بنات الخطأ الكلاب الذين لا يخافون الله ، ونسيت نفسها وما كانت عليه .

ثم اعلم يا أخى أن العاصى ما دام يغتاق عليه بابه ولا يتجاهر فله الستر ، فإذا تجاهر فلنا كشفه ، وكذلك لا يجوز لك أن تذكر للناس ما رأيتهم يفعلونه من خلفت باب أو طاقة أو دور قاعة ، وكن أولى به من نفسه ، ولكن لا بأس بأن تذكر له بعض ما رأيت فعله يتوب وهذا العهد قد صار العمل به أعز من الكبريت الأحمر ، فلا تسكاد تجرد أحدا من إخوانك

الأصدقاء فضلا عن غيرهم يسترعورة إذا اطلع عليها بل ينشرها في الناس ، وكلما وصيته على السكتان تحركت عنده الداعية الإفشاء .

وقد قال الإمام الغزالي : لا تتركن إلى صديق حتى تمتحنه غاية الامتحان ، فربما أحصى عليك الزلات حال رضاه عنك ليهجوك بها حال سخطه عليك ، كما هو مشاهد كثيرا فيمن يصحب الناس لغير الله : بل وقع لسيدى يوسف العجمي أن شخصا مكث عنده نحو ثلاث سنين يطلب الطريق إلى الله تعالى والشيخ لا يلتفت إليه ، فلما أكثر على الشيخ قال له : يا ولدى أنت عندي بمنزلة ولدى ، ومقصودي أن تستر على ، فإني قتلت نفسا هذه الليلة رأيتها بين عيالي وها هو في ذلك الفرد الخوص فاحمله في هذه الليلة واخرج به إلى السكوم وادفنه ولك عندي دينار ذهباً ففعل الشخص ذلك ، ثم إن الشيخ تذكر على ذلك المرید ثانی يوم وأمر بإخراجه من الزاوية ورمى حوائجه في الشارع ، فما شعر الشيخ إلا ومقدم الوالى ونائبه جاءوا إلى الشيخ واتهموه بقتل وقالوا معنا بينة تشهد بموضع دفنه ، فأمر الشيخ بعض الفقراء أن يذهب معهم إلى السكوم فاستخرجوا الفرد وفتحوه فإذا هو خروف ، فتمت ذلك القبر واتهم بالزغل فشقوه بعد جمعة :

وحكى لى الشيخ شمس الدين البوصيرى أنه خدم سيدى الشيخ أبا السعود الجارحى نحو ثلاثين سنة والشيخ أخذ خلدته منه ، فقال له يوما : ياسيدى مرادى تطلعنى على شيء من أسرار أهل الله عز وجل ، فقال : يا محمد والله ما أتمكن على إخراج ريح أخرجه بحضرتك خوفا أن تحكيه للناس .

وبالجملة فيحتاج من يخالط الناس اليوم إلى أن يروض نفسه حتى يكون كعالية ٧ العوال في الدقاف ويصير يخشى الله بالغيب ويخاف أن يمقته إذا ذكر أحدا من عباده بسوء لاسيا العلماء العاملون والفقراء الصادقون فإن ملاحظهم دقيقة ، وربما ظن بعض المجادلين في عقائدهم نقصا أو في أعمالهم خلا فيحكى ذلك للناس من غير أن يراجعهم في ذلك فيمقته الله ، لأن كل من استند إلى الله دون خلقه كان الله له بالنصر وهذا شأنهم على الدوام ، لا يعولون قط على نصره مخلوق ولا يشكونه من بيت حاكم ، ولو فعل معهم ما فعل فلما أكرموا عبده لأجله كذلك أكرمهم وأجلهم .

وسمعت سيدى عابا الخواص رحمه الله يقول : من ادعى أنه من أهل الله ولم يتحمل الأذى من عبده فقد كذب :

وسمعت مرة أخرى يقول : إذا نازعتك نفسك في إظهار عورة مسلم فقل لها انظري ثمرة ذلك ، فإنك إذا أظهرتها للناس لا بد من إظهار جميع زلاتك على رؤوس. الأَشْهاد يوم القيامة حتى تفتضحى بمحضرة من كان يعتقد فيك الصلاح في الدنيا ، فرمما أن النفس تكتم مآرت ، وليتأمل الذى يظهر عورات النام بعينه يجد نفسه أغضب الله ، وتعرض للهتيكة ولا يعطيه الناس لأجل ذلك شيئا ، إنما ذلك رفث ومقت وفسوق لا غير نسأل الله تعالى العافية .

وبالجملة فلا يتجسس على العورات إلا فاسق ، فإن القلب المطهر من سوء لا يظن في الناس إلا خيرا .

ورأى سيدى مدين فقيرا تجسس على فقير دخل الخلوة بشاب أمرد فأخرج الشيخ ذلك المتجسس من الزاوية وقال لولا أنك من أهل سوء ما ظننت سوء ، فقال ياسيدى التوبة فقبل الشيخ توبته وأمره بأن يعامل إخوانه معاملة من يسىء بهم الظن من غير سوء ظن ، وأمر المتومين بتحمل الأذى من جميع الناس وقال لهما : من سلك مسلك التهم فلا يلزم من أساء به الظن اه فعلم أن كل من اشتكى أحدا أذاه من بيت حاكم فليس له في طريق أهل الله نصيب اه .

فاستبر يا أخى إخوانك إن طلبت أن تخرج من الدنيا مستورا :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مسلم وأبو داود واللفظه ، والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه مرفوعا :
« مَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » .

وفي رواية لمسلم مرفوعا : « لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
وروى الطبرانى مرفوعا : « لَا يَرَى مُؤْمِنٌ مِنْ أَخِيهِ عَوْرَةً فَيَسْتُرَهَا عَلَيْهِ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ » .

وروى أبو داود والنسائى وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد أن الهيثم كاتب عقبة بن عامر قال لعقبة بن عامر : إن لنا جيرانا يشربون الخمر ، وأنا داع للشرط ليأخذوهم ، قال لا تفعل وعظهم وهددهم ، فقال : إنى نهيتم فلم ينتهوا وأنا داع

الشرط لياخذوهم ، فقال عقبة : ويحك لا تفعل ؛ فلأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ فَكَأَنَّمَا أَحْيَا مَوْؤَدَةً فِي قَبْرِهَا » .

والشرط بضم الشين المعجمة وفتح الراء : هم أعوان الولاة الظلمة الواحد منهم بضم الشين وسكون الراء .

وروى أبو داود والنسائي أن ما عزا أني النبي صلى الله عليه وسلم فأقر عنده أربع مرات .
يعنى بالزنا فأمر برجمه ، وقال لهزال :

« لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ » .

قال الحافظ : وسبب قول النبي صلى الله عليه وسلم لهزال :
« لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ » .

ما رواه أبو داود وغيره عن محمد بن المنكدر : أن هزالا أمر ما عزا أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ما عز بن مالك يتما هو في حجر هزال ؛ فأصاب جارية من الحى ، فقال له هزال ائت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنعت لعله أن يستغفر لك ، واسم المرأة التي وقع عليها فاطمة ، وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم .

وروى الطبراني مرفوعا ورجاله رجال الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ عَلِمَ مِنْ أَخِيهِ سَيِّئَةً فَسَتَرَهَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى ابن ماجه بإسناد حسن مرفوعا :

« مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ » .

وروى الترمذي وغيره مرفوعا : « يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ ، لَا تُؤَدُّوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحُهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ » .
ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال : ما أعظمك وما أعظم حرمتك ، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك . وسيأتى فى عهود المنيات زيادة على ذلك فراجعها ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نعين من يقيم الحدود على إقامتها ومن يؤدب ولده أو تلميذه على تأديبه ولا نعارضه في ذلك ولا ندهره فيه مساعدة على إقامة شعار الدين ، وتطهيرا للمحدودين والمهلودين للتأديب ، ومن سعى في عدم جلدتهم أو حدهم فقد غشهم وآذاهم في دينهم بإبقاء دنسهم ونجاستهم ، فهو يزعم أنه يحبهم وفعله فعل من يكرههم .

فإياك يا أخى أن تشفع فيمن وقع فيما يوجب الحد من شرب الخمر وقذف عرض أو يوجب التأديب من سله صغير على كبير ، أو طفل على أمه أو أبيه ، أو تلميذ على شيخه فإن ذلك غش له ، بل ساعده على تطهيره ما أمكن ، وإن تكدر منك في الدنيا أو في الصخر فسوف يشكرك على ذلك في الآخرة أو عند بلوغ درجة الرجال في الطريق ، ويقول جزاك الله عنى خيرا ؛ وينبغى للمؤدب أن يفتش نفسه عند ضرب التأديب فربما يكون عنده من الطفل نفس من جهة شكوى زوجته مثلا ، لقلة قضائه حاجتها ونحو ذلك فتحرش عليه والفقير في الغالب كثير السماع لزوجته فيجعل طوخا في مابج وبتتكر له ذنبا ويمسك عليه الغلظة ثم يضربه موهما للناس أن ذلك الضرب للتأديب وإنما هو لتحريش امرأة الفقيه .

وقد قال لى الشيخ نور الدين الجارحى وكان من أهل العلم السكبار : يا ولدى قد أحسست بعقلى نقص ، فقلت له : من أى شىء ؟ فقال : أنا بالنهار مجالس للأطفال ، وبالليل مخالط للنساء فسرق طبعى منهم اه ، فليحذر الفقيه من ذلك . وأما شيخ الطريق إذا أدب مريدا فلا ينبغى أن يقال له فتش نفسك في ذلك لأن الأشياخ قد خرجوا عن حضرات التاليس والتشقى للنفوس ، وإنما يؤدبون التلميذ محض شفقة ورحمة كضرب الأم ولدها ونحسها له بالإبرة حتى يخرج الدم فلا يجمها أحد إلا على محض التأديب ، وكذلك الشيخ وكل مريد نسب شيخه في تأديب تلميذه إلى أمر نفسانى فقد نقض عهده ووجب تجديد العهد ، فإن لم يرض الشيخ عليه فليظهر له التشويش الكامل ولا يأكل ولا يشرب حتى يرضى عنه الشيخ ، ولا ينبغى له أن يسوق أحدا على الشيخ حتى أنه يأخذ عليه العهد ، فإن ذلك لا يدخل في أفعال أهل الطريق ، إنما السياق في الأمور الدنيوية ، والشيخ إنما يغضب لمصلحة المريد لا لمصلحة نفسه ، فلو أنه رأى كسر نفس المريد بلغت الغاية لدعاه إليه وأظهر له الرضا من غير سياق ، فاعلم ذلك والله يتولى هداك .

وروى النسائي وغيره مرفوعا : « حَدَّثَنَا يَقَامُ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا ثَلَاثِينَ صَبَاحًا » .

وفي رواية له موقوفا على أبي هريرة :

« إِقَامَةُ حَدِيٍّ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِهَا مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » .

وفي رواية لابن ماجه مرفوعا : « حَدَّثَنَا يَعْمَلُ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمَطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا بإسناد حسن :

« حَدَّثَنَا يَقَامُ فِي الْأَرْضِ بِحَقِّهِ أَزْكَى فِيهَا مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ عَامًا » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « أَقِيمُوا حُدُودَ اللَّهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَنْتُمْ » .

وسياتي في عهود المناهي عدة أحاديث تتعلق بذلك ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب جميع أهل المعاصي في التوبة ونخبرهم بسعة رحمة الله لهم إذا تابوا ، وأنه لا يتعاطم عليه تعالى ذنب أن يغفره ما عدا الشرك ، ونلين لهم الكلام ونحسن إليهم كل الإحسان حتى يحكوا ذلك لرفقتهم في المعاصي ، فلعل قلوبهم تلين للتوبة ، وكذلك لا تؤيس أيضا أن نخاطب التائبين بالألفاظ الحسنة المميلة لخاطرهم ، كلفظ السيادة ، ونراهم أظهر منا قلبا لأنهم قريبو عهد بتوبة ، وهي تجب ما قبلها من الذنوب بنص الحديث بخلافنا ، فربما كان أحدنا بعيد عهد بالوقوع في معصية أو كثير الطاعات المتوالية فيقول في نفسه بعيد أن الله تعالى يعذب مثلي ، وغاب عنه أنه في تلك الحالة من أبعد الأبعدين عن حضرة الله عز وجل لعدم انكسار قلبه ، والله تعالى يقول :

« أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي » .

أى من أجل مخالفتهم لأمرى ، ودخول النقص في طاعتهم فهم لا يرون لهم وجها عندي :

وسمعت سيدي عليا الخواص يقول : إنما بدأ الإمام القشيري في رسالته لما ذكر

رجال الطريق بابن أدهم والفضيل بن عياض تقوية لقباب المريدين لكون ابن أدهم والفضيل سبق لهما زمن قطيعة فكان الشيخ بذلك يقول : إن من سبقت له العناية لانصره الجناية ، حتى لا يستبعد المرید للذي سبق له زمن قطيعة كثرة الفتح عليه من الله ومحو تلك الذنوب كلها ، اه :

وصمته مرة أخرى يقول : كل من لم يذق من الفقراء مرارة اللقطيعة لا يعرف مقدار حلاوة الوصال ، فكان من كمال حال الفقير الذي أراد الله أن يؤهله لتربية المريدين وإرشادهم وقوعه في بداية أمره ولو في نية المخالفات ، وذلك ليصير عنده حلم على العصاة وصبر على تقويم عوجهم ، وأيضا فإنه بوقوعه في المعصية يزول عنه الإعجاب بعمله ويعرف سعة حلم الله عليه ، ويقوم بين يديه بالذل والإطراق والأدب الذي هو مهر دخول الحضرة الإلهية ، ولو أنه لم يسبق له معصية لم يعرف ذلك وكان يسبق له مثل ما وقع في الإدلال على الله بعمله كما هو مشاهد فيمن تربى على التورع وعدم ابتلائه بشيء من القاذورات ، فتراه يرى الخلق كلهم هالكين إلا هو ، وهذا عين الكبر الذي أدخل الله به المتكبرين النار ، ويؤيد ذلك حديث :

« الْعَابِدُ الَّذِي عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ سَمِيانَةَ سَنَةً ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَدْخِلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ : بَلْ بَعَمَلِي ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ : قَائِسُوا بَيْنَ عِبَادَتِهِ الْخَمْسِينَ سَنَةً ، وَبَيْنَ نِعْمَةِ الْبَصْرِ ، فَفَعَلُوا ، فَرَجَحَتْ نِعْمَةُ الْبَصْرِ ، فَأَمَرَ بِهِ إِلَى النَّارِ ، فَقَالَ يَا رَبِّ : أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ ، فَأَدْخَلَهُ » .

وسمعت أخى أفضل الدين يقول : حكم العاصي حكم الزبل الذي يوضع في أرض شجر الفواكه فيحلبها ويطيب طعمها ، أو حكم الأنفحة للبن ، فإنه مع حلاوته وطيب طعمه يحتاج إلى الأنفحة المنتنة الحبيثة الطعم لتثبته وتصونه عن الفساد ، فعلى العاقل أن يتفكر في حكم مصنوعات الله عز وجل ويعطى كل فعل حقه على الميزان الشرعى .

وقد مكث شخص من أهل الجدال في سوق أمير الحيوش في حانوت فصار. ينكر على أهل السوق من تجار ودالين ويحكم ببطلان بيعهم وشراهم بأشياء لم ترد صريحة في الشريعة مما يحتج على كثير من الناس فشكوا ذلك لى بحضرة أخى أفضل الدين ، فقلت لهم

إن شاء الله أكلمه لكم فقال أخى أفضل الدين الكلام لا يؤثر في مثل هذا إنما يؤثر فيه صدمة إلهية ، ففي تلك الليلة وجدوه مع جارية جاره فقبضوا عليه بالوالى وأرادوا يجرسونه بها وهى راكبة على ظهره ، فاجتمع عليه التجار والدلالون وشفعوا وخلصوه بعد علة شديدة وغرامة فلوس ، فمن ذلك اليوم سكت عن الإنكار وصار هو يطلب منهم السكوت عنه ؛ فقال سيدى أفضل الدين وعزة ربى هذه الزلة أنفع له من عبادته التى كان يتكبر بها على الناس :

فياك يا أخى وتنفير من تاب من العصاة منك بكلامك الجافى وعدم إحسانك إليهم ، فإن إبليس ربما قال لهم أى فائدة لكم فى صحبة هؤلاء الفقهاء وتركتم أصحابكم الذين كانوا يجنونكم ويسترون عليكم زلاتكم ، وجئتم إلى من يحتقركم ويزدريكم ، ويكشف عوراتكم ويجيء لكم بحيلة الوالى فإذا صغوا إلى كلام إبليس طلبوا الرجوع إلى حالتهم الأولى ضرورة :

فرغب يا أخى من تاب من إخوانك فى القوبة كل الترغيب وأحسن إليه كل الإحسان واذكر له ماورد فى قبول التوبة من الآيات والأخبار تكن حكيم الزمان ، والله يتولى هداك .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُنْحَقَ الْمَزَامِيرَ وَالْكِبَارَاتِ » .

يعنى البرابط والمعازف والأوثان التى كانت تعبد فى الجاهلية .

« وَأَقْسَمَ رَبِّي بِعِزَّتِهِ : لَا يَشْرَبُ عَبْدٌ مِنْ عَيْبِدِي جِرْعَةً مِنْ خَمْرٍ إِلَّا سَقَيْتُهُ مَسْكَانَهَا مِنْ حَمِيمِ جَهَنَّمَ مُعَذَّبًا أَوْ مَغْفُورًا لَهُ ، وَلَا يَسْقِيهَا صَبِيًّا صَغِيرًا إِلَّا سَقَيْتُهُ مَسْكَانَهَا مِنْ حَمِيمِ جَهَنَّمَ ، وَلَا يَدْعُهَا عَبْدٌ مِنْ عَيْبِدِي مِنْ مَخَافَتِي إِلَّا سَقَيْتُهَا إِيَّاهُ مِنْ حَضِيرَةِ الْقُدْسِ » .

وفى رواية للبخاري مرفوعا بإسناد حسن ، قال الله تعالى :

« مَنْ تَرَكَ الْخَمْرَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَأَسْقِيَنَّهُ فِي حَضِيرَةِ الْقُدْسِ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْقِيَهُ اللَّهُ مِنْ خَمْرَةِ الْآخِرَةِ ، فَلْيَتْرِكْهَا فِي الدُّنْيَا » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « مَنْ شَرِبَ حَسَوَةً مِنْ خَمْرٍ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ صَرَفًا وَلَا عَدْلًا ، وَمَنْ شَرِبَ كَأْسًا لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاةَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » .
وفي رواية الحاكم والترمذي وحسنه :

« فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » .

قال الحافظ عبد العظيم : وأما حديث : « فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ فَاقْتُلُوهُ » .

وفي رواية : « لَمْ يَنْبَغِ اللَّهُ عَلَيْهِ وَغَضِبَ عَلَيْهِ » فهو منسوخ ، والله أعلم .
والأحاديث في ذلك كثيرة وسيأتي بعضها في عهود المنهيات ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد للعام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحفظ فروجنا عما لا يجل لنا مباشرته من فوج ومفاخلة للذكر أو أنثى أو تقبيل لذلك بشهوة محرمة ، فإن من حرم حول الجملى يوشك أن يقع فيما حرم عليه ، ومن هنا حرم غالب العلماء الاستمتاع بما بين السرة والركبة للحائض ، وحرموا قطرة الخمر وإن لم تسكر ، وحرموا على الصائم تناول مقدار أقل من سمسة وإن لم تؤثر فيه ثوران شهوة ، وحرموا عليه القبلة وأوشى ، ويسمى ذلك تحريم الحریم والاحتياط ، ونعم ما فعلوا .
وقد حكى لي من أتق به قال : كنت أقرأ على فقيه في جامع الأزهر وأنا شاب فكان يرسلني إلى عياله بالحاجة فكانت تكلمني بالكلام الحلو فأنفر منها ، فما زالت كذلك حتى صرت أستحلي كلامها فعرضت لي يوما بأني أدخل معها البيت فنفرت منها فما زالت بي حتى دخلت وصارت تظهر لي دينها وورعها حتى ملت إليها ، فوعدت عليها فصرت معها في الحرام نحو سنة وهي تقلب على زوجها الكلام وتقول له مارأيت مثل جفاء هذا الولد الذي ترسله يرمى الحاجة من الهاب ويروح والبارحة رمى كوز الزيت حار فانكب على الأرض وتشكو من دينه وعفته ، فصار الفقيه يقول لي : يا ولدي هذه مثل أمك قال : ووقع للفقيه أنه دخل علينا يوما وأنا معها نائم في الناموسية ، فبادرت وخرجت إليه وقالت ابنة خالتي جاءت وهي غضبانة من زوجها وهي تسلم عليك ، فقال سلمى عليها وقولي لها الحمد لله الذي جئتني عندنا ولم تروحي للأجانب فخرج الفقيه وعمل لنا لحما على الصاج وأتى به إلينا ، فأكلت أنا وإياها وأعطيتناه الفضلة فأكلها .

قال : ووقع لى مرة أخرى أننى نمت فى الخزانة فأحسست بدخوله ، فغلقت الباب وخبأت المفتاح فقال الفقيه مقصودى أنام فى الخزانة شوية لأنى عازم على السهر فى قراءة فقالت له : المفتاح ضاع ، فقال هانى الحجر نفش الضبة فت من الطرية ، فما زالت به حتى نام خارج الخزانة فجاء فى السعال فكتمته فجاءت عطة فرددتها ، فأخرقت بالغاظت والبول فتعوطت وبلت ، وجاء فى بطنى ريح فسكنت أصوت بالضرط فألمنى الله التوبة الخالصة من ذلك للوقت فكروه الله إلى الزنا والخلوة بالأجنبية أو القرب منها قال ، وأوصل ذلك كله قربي من امرأة الفقيه ، ولو أنى لم أقرب منها ولا قضيتها حاجة لم أقع فى ذلك اه .

وقد عدوا استحلاء كلام الأجنبية من زنا الكلام المحرم ، فعلم أنه لا ينبغي القرب من نساء أصحابنا اللاتي يخشى منهن الفتنة ولو بطيبة أنفس أزواجهن ، لأن ما حرمه الله لا يباح بالإباحة ، فهم فى الحكم كالذى يقر أهله على مقدمات الزنا ، وهذا الأمر يقع فيه كثير من الفسقة الذين يتصاحبون على الفساد فيطلب كل منهما التقرب لصاحبه بتمكينه من محادثة زوجته والنظر إليها ويقول لهم إبليس أنتم الآن صادقون فى الأخوة والمحبة ، وقد وقع مثل ذلك لبعض إخواننا ، ورأى صاحبه يفعل الفاحشة فى زوجته .

فإياك يا أحنى أن تتهاون بمثل ذلك أو تتمكن جاريتك أن يأخذ أحد من فقراء الأحمديّة أو البرهامية عليها المعهد إلا مع المحافظة على آداب الشريعة ، فإن كثيرا من الفقراء يعتقد أنه صار والدها يجوز له النظر ، وتبرى هى كذلك أنها صارت ابنته ولها أن تظهر وجهها له ، وكل ذلك خروج عن الشريعة المطهرة ، وربما جعل إبليس ذلك مقدمات للزنا ، وقد قال الله تعالى لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق أزواج رسول الله المطهرات الطاهرات المبرآت من فوق سبع سموات :

(وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) .

فإذا كان هذا فى هؤلاء مع علو مقامهم فكيف بمن نفسه عاكفة على الشهوات المحرمة كعكوف الذباب على العسل .

فاترك يا أحنى جميع الأبواب التى تتوصل منها إلى الزنا ولا تدخل منها وتطلب السلامة فإن ذلك لا يكون والله يحفظ من يشاء كيف شاء :

وروى الحاكم والبيهقي مرفوعا : « يَا شَبَابَ قُرَيْشٍ ، احْفَظُوا فُرُوجَكُمْ لَا تَزْنُوا ،
أَلَا مَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ » .

وفي رواية للبيهقي مرفوعا : « يَا فِتْيَانَ قُرَيْشٍ لَا تَزْنُوا ، فَإِنَّهُ مَنْ سَلِمَ لَهُ شَبَابُهُ
دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا : « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَمًا ، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا ،
وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا ، دَخَلَتْ مِنْ أُمَّيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ » .

وروى البخاري واللفظ له والترمذي مرفوعا :

« مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ تَصْمِنْتُ لَهُ الْجَنَّةَ » .

والمراد بما بين لحييه اللسان ، وبما بين رجليه الفرج قاله الحافظ المنذرى ، وفي رواية
للترمذي وحسنه مرفوعا :

« مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وفي رواية للطبراني بإسناد جيد مرفوعا :

« مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ فَخْمَيْهِ وَفَخَذَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

والفخقان : هما اللحيان ، واللحيان : هما عظم الحنك :

وروى الإمام أحمد وابن أبي الدنيا وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح

الإسناد مرفوعا :

« أُضْمِنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمِنَ لَكُمْ الْجَنَّةَ : أُضِدُّوْا إِذَا حَدَّثْتُمْ ،
وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ ، وَأَذُوا إِذَا اتَّمَسْتُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ ،
وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ » والله تعالى أعلم .

(أخذنا عابنا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب لإخواننا في
العفو عن قاتل أبيهم أو أخينهم أو ولدتهم ، أو عن جنى عليهم أو ظلمهم بأخذ مال أو ضرب
أو وقوع في عرض ونحو ذلك ، فإن من عفا عفا الله عنه :

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إنما جعل الله تعالى الدية على العاقلة
إذا شح الورثة ولم يعفوا ، وإلا فالعفو أولى عند الله تعالى . والحكمة في جعل الدية على

العاقلة إنهم هم الذين كانوا سببا لتجرؤه على القتل لإغرامهم ، فلولا أنه جعل الدية عليهم لم يكفوه عن القتل ، فلما جعلها عليهم كانوا أول من يكفه عن ذلك خوفا من غرامة الدية اه ويتعين العمل بهذا العهد على العلماء والصالحين لكونهم قدوة للناس فربما شاححوا في حقهم فاقتدى بهم العوام والظلمة وقالوا إن فلانا مع صلاحه وعلمه غلبت عليه النفس ولم يصفح ، فنحن أضعف منهم ، وما فاز الصالحون وتميزوا عن غيرهم إلا باحتمال الأذى والصفح عن زلل الإخوان في حقهم ، وإن شاححوا أحدا فإتما ذلك تأديب له وتوبيخ لئلا يتجاسر على غيرهم كما وقع ذلك لشيخنا الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى .

فحكى لي الأخ الصالح الشيخ شعيب خطيب جامع الأزهر رحمه الله قال : دخلت على الشيخ جلال الدين السيوطي وهو محتضر فقبلت رجله وسألته الصفح عنم كان آذاه من الفقهاء ، فقال : يا أخي قد ساختهم من حين وقعوا في حقي ، وإنما أظهرت لهم التشويش والعداوة بسبب ذلك وصنفت كراريس في الرد عليهم لئلا يتجرعوا على أعراض غيري من الناس ، فقال الشيخ شعيب ، وهذا هو كان الظن بكم اه .

قلت : ومع صفحه رضي الله عنه مقتوا كلهم ولم ينتفع أحد بعلمهم وكان أصل ذلك كله أنه أمرهم بمعروف لما تولى الشياخة على الخانقاه البيهرسية فرآهم لا يحضرون لا بأنفسهم ولا بنائبهم وهم عميد وبغال وسراري وأموال فقال : شرط الواقف أن الخبز والجوامك إنما هي للفقراء المحتاجين الذين اجتمعت فيهم شروط الصوفية المذكورة في رسالة القشيري وغيرها فجمعوا على الشيخ وضربوه ورموه في الميضأة بشيابه ، فعزل نفسه وحلف أن لا يسكن مصر ماعاش فأقام في روضة مقياس النيل حتى مات ، ورأيت شخصا ممن قال ضربته بقبهاني على كتفه في أسوأ الأحوال استولت عليه نفسه في أكل الشهوات مع إفلاسه فكان ينصب على كل من رأى معه دجاجا أو أوزا أو سكر أو عسلا ، ويقول : يعني ذلك ثم يذهب به إلى البيت ويأكل ذلك ويختفي حتى يزهد صاحب ذلك المتاع من طول التردد ويصير ذلك في ذمته إلى يوم القيامة ، ولما مات لم يتبع جنازته أحد نسأل الله العافية وما أخبرني به أيضا قال لما عجزنا عن أذاه بوجه من الوجوه اجتمعنا نحو عشرة أنفس ودخلنا عليه وقلنا له يا سيدي ، قدر أننا كفار وأسلمنا وقد استخرنا الله تعالى أن نقرأ عليكم فلعن أن يحصل لناخير ، قال : وصرنا نقرأ عليه نحو سنة وهو متمحز منا فلما كان بعد سنة أذاه بعض الناس فقمنا عليه وأظهرنا للشيخ شدة المحبة له فركن إلينا فقلنا

له يا سيدى أنتم بحمد الله من أهل المكشف ومقصودنا نخبرونا بشيء من وقائع الولاية لنظهر على المنكرين عليكم بذلك إذا صح فلعلمهم يتوبون كما تبنا فيحصل لهم الخير فسكت الشيخ ساعة ثم قال السلطان جان بلاط يضرب عنقه في يوم الأحد سابع عشر جمادى الأولى ، ويتولي بعده فلان ، فأخذوا خط الشيخ بذلك ومضوا به إلى السلطان جان بلاط وأشاعوا الخبر بذلك في مصر فحصل للمملكة رج ، فقال السلطان على به أقتله قبل أن أقتل ، فطلبوا الشيخ فاختنق نحو سبعة وأربعين يوما حتى ضربت عنق السلطان كما قال ، ه :

فانظر يا أخى شدة هذا الأذى ومع ذلك صفح عنهم رجاء الصفح من الله كما درج عليه أهل الطريق رضى الله عنهم .

وسمعت سيدى عليا المرصنى رحمه الله يقول : كل مرید آخذنا إخوانه بما يبدوا في حقهم منهم فلا ترجو له خيرا ولا رقيا في مقامات الرجال :

فاعف يا أخى عن إخوانك واصفح لتفوز بمحبة الله عزوجل لك كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم :

(فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حتى يلطف كثائفه ويصير يرى ما أهد الله تعالى لمن عفا وأصلح وصفح عن أخيه في اللجنة إن لم يصل إلى درجة الصالحين الذين امتثلوا أمر ربهم من غير نظر إلى ثواب أو خوف من عقاب ، ومن لم يسلك كما ذكرنا فبصره مقصور على أمور الدنيا يبيع أباه بفلس كما يترك اللجنة وما فيها لغرض من الدنيا ، ويصفح عن خصمه لأجله ثم من أقبخ لما يقع فيه المرید أن يقول له شيخه اصفح فيقول لا ، وفي ذلك نكت للعهد وخروج من طريق الفقراء إلى طريق العوام فيجب عليه أن يتوب ويجدد العهد :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو يعلى بإسناد صحيح عن عدى بن حاتم قال : هشم رجل فم رجل على عهد معاوية فأعطى ديتيه فأبى أن يقبل حتى أعطى ثلاثا ، فقال رجل : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنْ تَصَدَّقَ بِدَمٍ أَوْ دُونَهُ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ مِنْ يَوْمٍ وُلِدَ إِلَى يَوْمٍ تَصَدَّقَ » .

وروى الإمام أحمد ورجال الصحيح مرفوعا :

« مَا مِنْ رَجُلٍ يُجْرَحُ فِي جَسَدِهِ جِرَاحَةً فَيَتَصَدَّقُ بِهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصَدَّقَ بِهِ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « ثَلَاثٌ مَنْ جَاءَ بَيْنَ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ مِنْ أَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ وَرُوحٌ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ مَنْ شَاءَ : مَنْ أَدَّى دَيْنًا خَفِيًّا وَعَفَا عَنْ قَاتِلِهِ ، وَقَرَأَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ - قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَوْ إِحْدَاهُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَوْ إِحْدَاهُنَّ » .

وروى الترمذى وابن ماجه بإسناد حسن ، لولا الإنقطاع أن رجلا من قريش دق سن رجل من الأنصار فاستعدى عليه معاوية فقال له معاوية إنا سنرضيك وألح الآخر على معاوية فأبرمه فقال معاوية شأنك بصاحبك وأبولدرءاء جالس عنده : فقال أبو الدرءاء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَا مِنْ رَجُلٍ يُصَابُ بِشَيْءٍ فِي جَسَدِهِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ ، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهِ خَطِيئَةً » .

فقال الرجل فإني أذرها له ، فقال معاوية لاجرم لأرضيك فأمر له بمال .

وفي رواية للإمام أحمد موقوفا : « مَنْ أُصِيبَ بِشَيْءٍ فِي جَسَدِهِ فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ » .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى والبخاري مرفوعا قال :

« ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كُنْتُ حَالِفًا لَصَدَّقْتُ ، لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا وَلَا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهِ عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » الحديث .
وفي حديث الطبراني : « وَلَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا فَأَعْفُوا يُعِزُّكُمْ اللَّهُ » .

وروى مسلم والترمذى مرفوعا : « مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ بِعَفْوِ إِلَّا عِزًّا » .

وروى الحاكم وصححه إسناده مرفوعا : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُشْرَفَ لَهُ الْبُنْيَانُ وَتُرْفَعَ لَهُ الدَّرَجَاتُ فَلْيَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِ مِنْ حَرَمَتِهِ وَيَصِلْ مِنْ قَطْعِهِ » .

وروى البزار والطبراني مرفوعا : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ الدَّرَجَاتِ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ تَحْمَلُ عَلَى مَنْ جَهَلَ عَلَيْكَ ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ » .

وفي رواية للطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَكْرَمِ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ » .

وفي رواية للإمام أحمد بإسناد جيد مرفوعا :
« مَنْ لَا يُغْفِرُ لَا يُغْفَرُ لَهُ » .

وروى أبو داود : « أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سُرِقَ لَهَا شَيْءٌ فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى مَنْ سَرَقَهُ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَسْبِخِي عَنْهُ » .
ومعناه : لا تخفي عنه العقوبة وتنقصي أجره في الآخرة بدعائك عليه ، والتسبيخ :
التخفيف :

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعا : « إِذَا وَقَفَ النَّاسُ لِلْحِسَابِ نَادَى مُنَادٍ لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ ثَانِيًا وَثَالِثًا ، فَقَالَ وَمَنْ ذَا الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ؟ فَكَانَ الْعَاقِفُونَ عَنِ النَّاسِ ، فَقَامَ كَذَا وَكَذَا أَلْفٌ يَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » .
وروى الحاكم والبيهقي بإسناد صحيح عن أنس قال :

« بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ إِذْ رَأَيْنَاهُ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ ثَنَائِيَاهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؟ فَقَالَ : رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي جَنِيًّا بَيْنَ يَدَيَّ رَبِّ الْعِزَّةِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : يَا رَبُّ خُذْ مَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي فَقَالَ اللَّهُ : كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ ؟ قَالَ يَا رَبُّ فَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِي وَقَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبُكَاءِ ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَيَوْمٌ

عَظِيمٌ يَحْتَاجُ النَّاسُ أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ فَقَالَ اللَّهُ لِلطَّالِبِ : ازْفَعْ بِصَرَكَ فَاَنْظُرْ فَرَفَعَ بَصَرَهُ فَقَالَ يَا رَبِّ أَرَى مَدَائِنَ مِنْ ذَهَبٍ وَفُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُسَكَّلَةً بِاللُّوْلُؤِ فَيَقُولُ لِأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا ، لِأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا لِأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا ؟ قَالَ اللَّهُ هُوَ لِمَنْ أُعْطِيَ الثَّمَنَ ، فَقَالَ يَا رَبِّ وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ قَالَ أَنْتَ تَمْلِكُ ذَلِكَ ، قَالَ بِمَاذَا ؟ قَالَ بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ ، قَالَ يَا رَبِّ فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَخُذْ بِيَدِ أَخِيكَ وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ » وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب لإخواننا في بر والديهم وصلاتهم ، والإحسان إليهم ، وبرأصدقائهم من بعدهما ، ونبين لهم تأكيد طاعتهم ويقاس على ذلك بر والد القلب من المشايخ وصلاتهم والإحسان إليه ، وبرأصدقائه من بعده ، وبيان تأكيد حقه .

ويحتاج العامل بهذا العهد إلى توفيق زائد في هذا الزمان مع مصاحبة أستاذ يطلعه على مقام الوالدين المذكورين ، وذلك لا يكون في أب الروح إلا بعد اطلاع المرید على نفاسة الطريق ونفاسة ما يدعو إليه الشيخ كسفا وقيمتنا ، وإلا فن لازم كثرة الإخلال ببعظيمه وعصيانته ، وسمعت أخی أفضل الدين رحمه الله يقول : لا يتحرك عند مرید داعية التعظيم والإجلال لشيخه كما ينبغى إلا بعد الفتح عليه ، وأكثر المریدين قد عدموا الفتح في هذا الزمان ، فلذلك كان من لازمهم غالبا حقوق الأستاذين وعدم احترامهم :

وقد تقدم في هذه العهود أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه منذ وعى على نفسه لم يأكل مع والدته خوفا أن تسبق عينها إلى لقمة أو قطعة لحم أو رطبة أو عنبية فيأكلها وهو لا يشعر .

وقد كان الطلبة والمریدون في الزمن الماضي يجلون أشياخهم في الطريق ، وآباءهم من الطريق ، ولو صار أحدهم شيخ الإسلام ، وذلك لنظرهم إلى الدار والآخرة وقد صار غالب النامس اليوم بصره مقصورا على أحوال الدنيا وزينتها ، حتى إنى أعرف شخصا من المدرسين بالجامع الأزهر والمفتين به جاءت والدته من الريف فأنكرها خوفا أن تزدريه امرأته المصرية ، وقال لها ياعجوز إن قلت أنا أم الشيخ أخرجتك ، ولم أعد أمكنتك من

الدخول إلى داري أبدا ، فكان يقول للخادم غدبتم العجوز الفلاحة ، عشيتم العجوز الفلاحة ، مع أن عنده المالك والثياب ويترجمه الناس بأكثر من عشرة آلاف دينار ، ولو أنه كان فيه رائحة الأدب مع الله وقبل وصيته في قوله :

(وَيَا لَوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) .

لكساها بدلة قماش وصارت أم الشيخ على رؤوس الأشهاد ، فبالله أين ثمرة علم مثل هذا فيالك يا أخي ثم إبالك .

وقد بلغنا عن الشيخ بهاء الدين أنه قال : بينما أنا راكب مع والدي شيخ الإسلام تقي الدين السبكي في طريق الشام ، إذ سمع شخصا من فلاحى الشام يقول : سألت الفقيه يحيى النووى عن مسألة كذا وكذا فنزل والدى عن فرسه ، وقال : والله لا أركب وعين رأيت الشيخ يحيى النووى تمشى ، ثم عزم عليه بزكوب الفرس ، وأقسم عليه بالله وصار الشيخ ماشيا حتى دخل الشام فهكذا يا أخى كان العلماء يفعلون بأشياخهم ، مع أنه لم يدركه وإنما جاء بعد موته بسنين ، وكان يدخل دار الحديث بالشام ويدور في أبوابها وعطفها ويصلى فيها ويقول لعلى أمس موضعا مسته قدم النووى ثم ينشد :

وَفِي دَارِ الْحَدِيثِ لَطِيفٌ مَعْنَى أُصَلِّيَ فِي جَوَائِزِهَا وَآوَى
هَسَائِي أَنْ أَمَسَّ بِحُرِّ وَجْهِي مَسْكَتًا مَسَّهُ قَدَمُ النَّوَاوِي

وما رأيت عيني في مشايخ الزمان أحدا يبر أصدقاء شيخه وخدامه مثل شيخنا سيدي محمد الشناوى رحمه الله ، وكان إذا رأى أحدا ممن وقع بصره على أستاذه الشيخ محمد السزوى يصير يرفرف عليه كالطير الحمام على ولده ، لكونه كان يعرف نفاسة مادعاه الشيخ له ، وقد اجتمع على الشيخ محمد السزوى نحو عشرة آلاف وثلقتوا عليه ، كما حكى لى ذلك رقال : قد أخذوا عني ولكن لم يعرفني أحد منهم سوى ابن الشناوى ، لأن شرط المعرفة بمقام إنسان الإشراف على مقامه هذا لفظ الشيخ محمد لى بالزاوية الحمراء خارج مصر رضى الله عنه ، ويليه فى طائفة الفقهاء فى التعظيم لأصحاب شيخه الشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى بمصر المحروسة ، كان إذأرى أحدا من أصحاب الشيخ يرهان الدين ابن أبى شريف أو أحدا من أصحاب الشيخ زكريا يجله ويعظمه ويقول : كأتى أنظر لى الشيخ إذا رأيت أحدا من أصحابه ولذلك أجله الله تعالى وجعل الفقهاء

عاكفين على قوله شرقا وغربا ، مصرًا وشاما ، وحجازا ، وروما ، ولا يتعدونه رضى الله عنه وقد توفى في مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، وصلى عليه بالجامع الأزهر يوم الجمعة وكان يوما مشهودا من كثرة انطلق حتى لم يجد غالب الناس مكانا يسجد فيه ورجع غالب الناس فصلوا الجمعة في غير جامع الأزهر ، ودفن بزاوية سيدى على باب الله قريبا من جامع الميدان رضى الله تعالى عنه .

فمظم يا أحمى والديك ، وقم بواجب حقهما طلبا لمرضاتهما ، وإن طلبا منك غذاءك فأعطه لهما . وأطو ذلك اليوم ، وإن ضعفا فأخدمهما ، وإن مشى باطنهما فاغسل الذخاسة عنهما بيديك ، ولا تقل لهما أف قط ، كما أنهما كان يمسحان عنك البول والغائط وتخرو عليهما ، وتبول على ثيابهم ويتحملان ذلك منك ، كما أشار إلى ما ذكرناه قوله تعالى :
(فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ) .

بل من الأدب إذا طلبا من الولد جميع ما يملكه أن يعطيه لهما .

وقد روى ابن ماجه والبخاري والطبراني والبيهقي عن جابر :

« أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَالًا وَوَلَدًا وَإِنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاكِ مَالِي ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ » يعنى من باب البر والإحسان .

وفي رواية للطبراني : « أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي يَأْخُذُ مَالِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَذْهَبَ فَأْتِيَنِي بِأَبِيكَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ ، إِذَا جَاءَكَ الشَّيْخُ فَاسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ قَالَهُ فِي نَفْسِهِ مَا سَمِعْتَهُ أَذْنَاهُ ، فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَالَ أُمَّكَ يَشْكُوكَ تُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ ؟ قَالَ اسْأَلْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ أَنْفَقْتَهُ إِلَّا عَلَى إِحْدَى عَمَّاتِهِ أَوْ خَالَاتِهِ أَوْ عَلَى نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيهِ دَعْنَا مِنْ هَذَا أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ مَا سَمِعْتَهُ أَذْنَاكَ ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَزَالُ اللَّهُ يُرِيدُنَا بِكَ يَقِيمُنَا لَقَدْ قُلْتُ

فِي نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمِعْتُهُ أَذُنَايَ ، فَقَالَ : قُلْ وَأَنَا أَسْمَعُ فَقَالَ : قُلْتَ :

غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَمُنْتِكَ يَافِعًا نُعَلِّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتُنْهَلُّ
 إِذَا لَيْلَةٌ عَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبْتِ لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَمْ تَمَلُّ
 كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِاللَّيِّ طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيَّنِي تَهْمَلُ
 تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتٌ مُوجَلُ
 فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْعَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتَ مِنْكَ أَوْ مَلُّ
 جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفِظَاطَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُتَعَمِّمُ الْمُتَفَضِّلُ
 فَلَيْتِكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
 فَوَافَيْتَنِي حَقَّ الْجَوَارِ وَلَمْ تَسْكُنْ عَلَيَّ بِمَالِي دُونَ مَالِكَ تَبْخُلُ
 تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ كَرَاهَةً بَرَدًا عَلَيَّ أَهْلِي الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

وأطال الحافظ السخاوي في طرق ذلك في حرف الهمزة مع النون، في كتابة الأحاديث

الدائرة على الألسنة فراجعه إن أردت زيادة على ما ذكرناه :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الشيخان مرفوعا : « أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ

أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى؟ قَالَ : الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَوَقْتِهَا ، قَالَ مُنَّمٌ أَيُّ؟ قَالَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ، قَالَ مُنَّمٌ
 أَيُّ؟ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . »

وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه مرفوعا :

« لَا يَجْزِي وُلْدٌ وَالِدَهُ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ سَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيَعْتِقَهُ . »

وروى الشيخان وغيرها : « أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ ، فَقَالَ أَحْسَى وَالِدَاكَ؟ فَقَالَ نَعَمْ قَالَ فَفِيهِمَا فِجَاهِدُ . »

وروى أبو داود : « أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَحْبَبْتُ

أَنْ أَبَايَعَكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَتَرَكَتُ أَبَوَيَّ يَبْسُكِيَانِ ، قَالَ ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأُضَحِّكُمَا
كَمَا أَبْسُكِيَهُمَا .

وروى أبو يعلى والطبراني : « أَنْ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَشْتَهِي الْجِهَادَ
وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ أُخِي ، قَالَ : فَاتَّبِعِ اللَّهَ فِي
بِرِّهَا فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ حَاجٌّ وَمُعْتَمِرٌ وَمُجَاهِدٌ » .

وفي رواية للطبراني عن طلحة بن معاوية السلمى قال :

« قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ أَتَمَّكَ حَيَّةٌ ؟ قُلْتُ نَعَمْ
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْزَمَ رِجْلَيْهَا فَمَمَّ الْجَنَّةُ » .

وروى أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه وابن حبان
في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال :

« كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ أَحِبُّهَا وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا فَقَالَ لِي طَلَّقْهَا فَأَبَيْتُ ، فَأَنَّى
عُمَرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَّقْهَا » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي حُمْرِهِ وَيُرَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ
فَلْيَبْرُؤْ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحْمَهُ » .

وروى ابن ماحه وابن حبان في صحيحه واللفظ له مرفوعا :

« إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالدَّنْبِ الَّذِي يُصِيبُهُ وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا اللُّعَاءُ .
وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبُرُّ » .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا : « عَفُوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ تَعَفٍّ نِسَاؤُكُمْ
وَبِرُّوَا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ » الحديث .

وروى الحاكم وغيره مرفوعا : « قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ
أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَبْرُهُمَا دَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ فَمَلَأْتُ أَمِينَ » .

ومن برهما أيضا أن لا يطعم أحدا من عياله قبلهما كما في حديث الثلاثة الذين انهذرت عليهم الصخرة فسدت فم الغار .

كما رواه البخارى وابن حبان في صحيحه من قول أحد الثلاثة عن والديه :
« وَكُنْتُ لَا أُغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا وُلَدًا » .

أى لا أسقى اللبن الذى حلبته لأحد قبلهما .

وروى الشيخان وغيرهما ، عن أسماء بنت أبى بكر قالت : وقدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلتها فقال :

« صِلِي أُمَّكِ » .

وفى رواية : « قدمت أمى وهى راغبة » أى طامعة وفيما عندى تسألنى الإحسان إليها وفى أخرى « راغبة » بالميم : أى كارهة للإسلام .

وروى الترمذى وابن حبان فى صحيحه والطبرانى والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم مرفوعا :

« رِضًا لِلَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدِ ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ » .

وفى رواية للبخارى : « رِضًا لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ » .

وروى الترمذى وابن حبان فى صحيحه :

« أَنْ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمَّ؟ قَالَ: لَا ، قَالَ: فَهَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: فَبَرَّهَا » .

وروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه :

« أَنْ رَجُلًا مِنْ بَنِي سَامَةَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِي شَيْءٌ؟ أَبْرَهُمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فَقَالَ نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالْإِسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَادُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقَيْهِمَا » .

وروى مسلم عن ابن عمر : أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، قال ابن دينار فقلت له أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير ، فقال عبد الله بن عمر ، إن أبا هذا كان ود لعمر بن الخطاب ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صَلَاةُ الْوَالِدِ وَدُّ أَبِيهِ** » .

وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي بردة قال : قدمت المدينة فأثاني عبد الله بن عمر فقال أتدرى لم أتيتك ؟ قال قلت لا ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ** » .

إنه كان بين أبي عمرو وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذلك ، والله تعالى أعلم .
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) . أن نصل رحمتنا من نسب أو رضاع وإن قطعت كأبي الأم وأولاد البنات وبنات الإخوة للأم وبنات الأعمام والعلمات والخاللات والأخوال ، وتحصل الصلة بإطعام الرحم أو كسوته ، أو وزن الدين عنه وإخراجها من السجن أو إرسال هدية له إن كان بعيدا ، وذهابه له إن كان مكانه قريبا منه ، فإن لم يكن هدية فأرساله السلام له ومدار الأمر على أن يكون معتنبا برحمه وبالإحسان إليه عملا بوصية الله تعالى ورسوله حسب الاستطاعة ، ومن فرط في شيء مما ذكرناه مع القدرة فقد قطع رحمه وقاطع الرحم لا يصعدله عمل ولا يغفر الله له حين يغفر لجميع خلقه في ليلة القدر ، وفي ليلة النصف من شعبان :

وهذا العهد قل من يعمل به الآن من غالب طلبة العلم والمشايخ فضلا عن غيرهم ، فبمجرد ما تتسع عليهم الدنيا ينسون قرابتهم الفقراء ويستنكفون أن يعترفوا بأنهم من قرابتهم ، مع أنهم يعطون الثياب والمال ويطيخون الأطعمة في الفرح وغيرها لمن ليس بينه وبينهم قرابة ولا نفع لا في علم يستفيده ولا يفيد ، وذلك دليل ظاهر على أن جميع إطعامهم وإحسانهم للناس إنما هو ليقال فلان وهب ، وذلك أن الأجنبي يشكر أحدهم في المجالس والقريب يأكل وينكر أو يسكت عن الشكر ، ولو أن الله تعالى فتح عيون قلوب هؤلاء لقدموا ما أمرهم الله بصلته قبل من لم يأمر الله بصلته ، كما أنه لو فتح عيونهم لأكثروا العطاء لمن لا يشكرهم وفرحوا به أكثر ممن يشكرهم ، لأن من شكر المعطي فقد

كافأه فيذهب المعطى إلى الآخرة صفر اليدين من الأجر ومن لم يشكره يجد ثوابه كاملا في الآخرة لم ينقص منه شيء .

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حضرات القرب حتى يشرف على أحوال الآخرة بعين قلبه ويحرق بصره إلى الدار الآخرة وينظر ما أعد الله تعالى للعاملين بما أمرهم الله تعالى به فإنه مامن مأمور شرعى إلا وله درجة في الجنة لا ينالها العبد إلا إن فعل ذلك المأمور ، ومن قال في الدنيا إن صلة الرحم يجوز تركها يقال له في الآخرة ، وهذه أيضا درجة يجوز منعك إياها :

(جَزَاءُهَا وَفَأْتًا) وفي الحديث « وَلَا يَسْبَعُ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ » .

وتأمل إذا كنت محبا للدنيا كل المحبة وتسافر إلى البلاد البعيدة في طلبها ، إذا جلست في مجلس ذكر أو قرآن تنعس وبجيتك النوم من كل مكان ، وتحجب عن شهود ما أعد الله تعالى لك في ذلك الذكر من الثواب ، كل ذلك لضعف داعيتك إلى طلب الجنة . وتأمل نفسك إذا جلس بجنتك إنسان بيدرة من ذهب وقال خذ لك على كل كلمة تقولها دينارا كيف يذهب عنك النوم وتمكث سهران إلى الصباح ، ولو قال لك إنسان يكفيك هذا للذهب الذى أخذته وقم نم لك درجتين أو ثلاثة لا تسمع له لقوة داعيتك إلى الدنيا ، فعلم أن كل من جاءه النوم في حال الذكر وتلاوة القرآن وغيرها من الأذكار وذهب نومه في حال إعطائه الذهب فهو ضعيف الإيمان والتصديق بما وعد الله به من الثواب وهو دنيوى دق المطرقة ، ليس له في طريق أهل الله نصيب ، ولو كان من أكثر الناس عبادة .

وقد قالوا : من شرط المؤمن الكمال أن يكون الغائب الذى وعده الله به أو توعدده عليه كالحاضر على حد سواء ، ففى رجح الحاضر على الغائب أدنى ترجيح فإيمانه لم يكمل وغالب الناس نأبوم يقولون بلسان الحال ذرة منقودة خير من ذرة موعودة :

فاعمل يا أخى على ورقة حججك بالسلوك على يد شيخ ناصح لتقوم بأوامر الله عز وجل الذى كلفك بها أو ندبتك إليها إن لم تكن من رجال امثال الأمر لوجه الله ، فإن من نزل عن درجة رجاء طلب الثواب الأخرى فقد خسر مع الخاسرين ، فلا هو عمل امثالاً لأمر الله ولا هو عمل لأجل ثواب الله ، هذا شأن أهل جنة الأعمال :

وأما الكمل الذين هم أهل جنة المنن فهم معولون على فضل الله تعالى ، فلا عليهم إن كثرت أعمالهم أو قلت لعدم اعتمادهم على الأعمال وشهودهم أن خلقها ليس لأبهم وإنما

هم يستغفرون من التقصير قياما بواجب حق الربوبية في عالم الشهادة لمطمخ بصرهم من طريق كشفهم على ما قسم لهم من الأعمال وعلى ما لم يقسم ، فلهم في قلوبهم حكم مع الله لا يجوز إفشاؤه ، لاسيما إن كان لهم أتباع يقتدون بهم ، فإنهم في ذلك كالأئمة فلا يجوز لهم أن يسامحوا نفوسهم في شيء من الأوامر ، ومن هنا قالوا إن النبي معصوم لكونه متبوعا في جميع أفعاله وأقواله ، فلو صدق عليه وقوعه في معصية أو إخلاله بواجب لصدق عليه تشريع المعاصي ولا قائل بذلك كما هو مقرر في أصول الفقه والدين :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان مرفوعا : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ » الحديث .

وفي رواية لها مرفوعا : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنَسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ » .

ومعنى ينسأ في أثره بالهمز: أي يؤخر ويزاد له في أجله .

وروى الترمذي مرفوعا : « تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ حَبِيبَةٌ فِي الْأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ مُنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ » .

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده والبخاري بإسناد جيد والحاكم مرفوعا :

« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحْمَهُ » .

وفي رواية للبخاري والحاكم وصححه مرفوعا :

« مَكْتُوبَةٌ فِي التَّوْرَةِ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَزَادَ فِي عُمُرِهِ وَيَزَادَ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ » .

وفي رواية لأبي يعلى مرفوعا : « إِنَّ الصَّدَقَةَ وَصِلَةَ الرَّحِمِ يَرِيدُ اللَّهُ بِهِمَا فِي الْعُمُرِ وَيُدْفَعُ بِهِمَا مِيتَةَ السُّوءِ وَيُدْفَعُ بِهِمَا الْكَرْهُ وَالْمَحْذُورَ » .

وروى الطبراني بإسناد حسن والحاكم مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ لَيَعْمُرُ بِالْقَوْمِ الدِّيَارَ وَيُثِيرُ لَهُمُ الْأَمْوَالَ ، وَمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ مِنْذُ خَلَقَهُمْ .
بِفَضْلِهِمْ ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ بِصَلَاتِهِمْ أَرْحَامَهُمْ » .
وفي رواية للإمام أحمد مرفوعا : « صَلَاةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ أَوْ حُسْنُ الْخُلُقِ ،
يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ » .

وروى الطبراني وابن حبان في صحيحه عن أبي ذر قال :
« أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ أَدْبَرَ » والله
تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكفل اليتيم ونرحمه
ونشفق عليه ونسعى على الأرامل والمساكين ، ونمسح رأس اليتيم ، ونرغب جميع أصحابنا
في ذلك طلبا لرضا الله عز وجل ، ومرافقة لنبيه صلى الله عليه وسلم في الجنة ، ويتعين
العمل بهذا للعهد على كل من ربي يتيما لأنه ذاق ذل اليتيم ، وعرف مقدار كسر خاطر
اليتيم ، وقد امتن الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله :

(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) .

إلى آخر اللسق ، فناه عن قهر اليتيم ونهر السائل لذوقة ذلك ، وأمره بالتحدث بالنعمة ،
وقد حكي الشيخ شمس الدين الظنبي ثم الغمري قال : تربيت يتيما عند سيدى الشيخ
عثمان الخطاب رحمه الله ، فكان إذا رأى يتيما يرفرف عليه كالطير على فرخه ، قال :
فرآنى يوما وأنا أرمقه فقال لى مالك يا ولدى ؟ أنا ربيت يتيما ، وذقت طعم ذل اليتيم وكسر
الخطاظر اه . وكذلك بقول مؤلفه إني ربيت يتيما فأت والذى وأنا ابن ثمان سنين وتركنى
مع إخوتى يتيما ، فكنت ربما أنظر الفاكهة تدخل بيت جيراننا فأقفت أنظر لإيهم وهم
يأكلون ، فربما أعطونى الخوخة أو العينة أو الخيارة فأجد لها موقعا عظيما ، ولما كفلنى
والد تربيتى الشيخ خضر رحمه الله ، وأتى بنى الريف إلى مصر وكسانى ثياب ولده الذى
مات فى فصل السلطان قايتباى رحمه الله حصل لى لذة أجد طعمها إلى الآن فى نفسى مع
أن لحيتى قد شابت ، فاعلم ذلك واشفق يا أخى على اليتيم والمسكين ، يقيض الله تعالى
لك من يفعل ذلك مع ذريتك ، كما وقع لجدى الشيخ نور الدين رضى الله عنه فإنه كان
يشفق على الأيتام والأرامل والمساكين والمجذومين ، ويحب اللبن ويأكل مع المجذوم

وجذامه يقطر صديدا فيبركته قيض الله تعالى لى الشيخ خضر الذى ربانى وزوجته ، فعشت
معهما فى أرغد عيش وأرفهه فى المأكل والملبس حتى مانا ، وبلغت وتزوجت فكننت
أعد ذلك من جملة ما جوزى به جدى رحمه الله ، فالحمد لله رب العالمين :

وروى الشيخان وأبو داود والترمذى مرفوعا : « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ
هَكَذَا ، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا » .

وفى رواية لمسلم والبخارى وغيرهما مرفوعا :

« كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِقَبْرِهِ ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ » .

وفى رواية للبخارى مرفوعا : « مَنْ كَفَلَ يَتِيمًا لَهُ ذُو قَرَابَةٍ أَوْ لَأَقْرَابَةٍ لَهُ ، فَأَنَا
وَهُوَ كَهَاتَيْنِ وَضَمَّ أَصْبُعَيْهِ ، وَمَنْ سَمَى عَلَى ثَلَاثِ بَنَاتٍ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ » الحديث .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « مَنْ عَالَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْأَيْتَامِ كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ
نَهَارَهُ وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِرًا بِسَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَلْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَخْوَانِ كَمَا
هَاتَانِ أُخْتَانِ ، وَالصَّقَّ أَصْبُعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى » .

وروى الترمذى وقال حسن صحيح مرفوعا :

« مَنْ قَبَضَ يَدَيَّ بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ الْبَتَّةَ إِلَّا أَنْ
يَعْمَلَ ذَنْبًا لَا يُغْفَرُ » .

وفى رواية للإمام أحمد والطبرانى مرفوعا :

« مَنْ ضَمَّ يَدَيَّ بَيْنَ ابْنَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » .

وروى الطبرانى والأصبهانى مرفوعا : « مَا قَعَدَ يَتِيمٌ مَعَ قَوْمٍ عَلَى قَصْعَتِهِمْ فَيَقْرُبُ
قَصْعَتَهُمْ شَيْطَانٌ » .

وفى رواية لهما أيضا مرفوعا : « إِنَّ أَحَبَّ الْبُيُوتِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَيْتٌ فِيهِ
يَتِيمٌ مُسْكِرٌ » .

وفى رواية لابن ماجه مرفوعا : « خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسِنُ
إِلَيْهِ ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ » .

وروى أبو داود مرفوعا : « أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفَعَاهُ الْخَلْدَيْنِ كَمَا تَبْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوْمَأَ الرَّوَايَ بِيَدِهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى أُمْرَأَةٌ آمَتْ زَوْجَهَا ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ حَبَسَتْ نَفْسَهَا حَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى مَاتَتْ أَوْ مَاتُوا » .

قال الخطابي والسفعاء بفتح السين المهملة ممدودا هي التي تغير لونها إلى السكودة والسواد من طول الأثمة يريد بذلك أنها حبست نفسها على أولادها ولم تزوج فمحتاج إلى الزينة والتصنع للزوج ، وآمت المرأة بعد الممزة وتخفيف الميم إذا صارت أيما ، وهي من لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا تزوجت أم لم تزوج بعد : والمراد هنا من مات زوجها وتركها أيما .

وفي رواية لأبي يعلى بإسناد حسن مرفوعا :

« أَنَا أَوْلُ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنِّي أَرَى امْرَأَةً تُبَادِرُنِي فَأَقُولُ لَهَا مَا لَكَ وَمَنْ أَنْتِ ؟ فَتَقُولُ أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ حَلَى أَيْتَامٍ لِي » .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « مَنْ مَسَحَ حَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا اللَّهُ كَانَ لَهُ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٍ ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَبْنِي ، وَفَرَّقَ بَيْنَ أَضْبُعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى » .
وروى الطبراني : « أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو قَسَاوَةَ قَلْبِهِ . فَقَالَ انْحَبْ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ وَتُذْرِكَ حَاجَتَكَ ، ارْحَمْ الْيَتِيمَ وَأَمْسَحْ رَأْسَهُ وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ يَلِينُ قَلْبُكَ وَتُذْرِكَ حَاجَتَكَ » .

وفي رواية للإمام أحمد « فَقَالَ لَهُ : أَمْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمِ الْمَسْكِينِ » .

وروى الطبراني ورواته ثقات إلا واحدا وليس بالمتروك .

« وَالَّذِي بَعَثَنِي بِأَلْحَقِّ لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ رَحِمَ الْيَتِيمَ وَلَانَ لَهُ فِي الْكَلَامِ وَرَحِمَ يَتِيمَهُ وَضَعَفَهُ وَلَمْ يَتَطَاوَلْ حَلَى جَارِهِ بِفَضْلِ مَا آتَاهُ اللَّهُ » .

وروى الأصبهاني مرفوعا : « إِبَاءُكُمْ وَبُكَاءُ الْيَتِيمِ فَإِنَّهُ يَسْرِي فِي اللَّيْلِ

وَالنَّاسُ نِيَامٌ » .

وروى الحاكم والبيهقي والأصبهاني مرفوعا: « أَنْ رَجُلًا قَالَ لِيَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا الَّذِي أَذْهَبَ بَصْرَكَ وَحَتَّى ظَهَرَكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي أَذْهَبَ بَصْرِي فَأَلْبَسَا عَلَى يُونُسَ، وَأَمَّا الَّذِي حَتَّى ظَهَرِي فَأَلْحَزَنُ عَلَى أَخِيهِ بِنِيَامِينَ، فَأَنَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: أَنْتَشْكُو اللَّهَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا أَشْكُو بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا قُلْتَ مِنْكَ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَخَلَ يَعْقُوبَ بَيْتَهُ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أَمَّا تَرَحَّمُ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ أَذْهَبَتْ بَصْرِي وَحَنَيْتَ ظَهْرِي فَأَرُدُّهُ عَلَى رِيحَاتِي فَأَشْمُهُمَا شَمَّةً وَاحِدَةً ثُمَّ اصْنَعْ بِي بَعْدَ مَا شِئْتِ، فَأَنَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا يَعْقُوبُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: أَبَشِّرْهُمَا لَوْ كَانَا مَيِّتَيْنِ لَنَشْرَهُمَا لَكَ لِأَقْرَبِهِمَا عَيْنَكَ وَيَقُولُ لَكَ: يَا يَعْقُوبُ أَتَدْرِي لِمَ أَذْهَبَتْ بَصْرَكَ وَحَنَيْتَ ظَهْرَكَ وَلِمَ فَعَلَ إِخْوَةُ يُونُسَ بِيُونُسَ مَا فَعَلُوا؟ قَالَ: لَا، قَالَ إِنَّكَ أَتَاكَ بَيْتِي مَسْكِينًا وَهُوَ صَائِمٌ جَائِعٌ وَذَبَحْتَ أَنْتَ وَأَهْلُكَ شَاةً فَأَكَلْتُمُوهَا وَلَمْ تُطْعِمُوهُ وَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَحِبُّ شَيْئًا مِنْ خَلْقِي حَتَّى لَلَيْتَانِي وَالْمَسَاكِينَ فَاصْنَعْ طَعَامًا وَأُدْعُ الْمَسَاكِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَكَانَ يَعْقُوبُ كُلَّمَا أَمْسَى نَادَى مُنَادِيَهُ مَنْ كَانَ صَائِمًا فَايْحَضِرْ طَعَامَ يَعْقُوبَ، وَإِذَا أَصْبَحَ نَادَى مُنَادِيَهُ مَنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيُفْطِرْ عَلَى طَعَامِ يَعْقُوبَ » .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا: « السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسَاكِينَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِي يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ » .

وروى الإمام أحمد والطبراني مرفوعا: « مَنْ أَنْفَقَ عَلَى ابْنَتَيْنِ أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ذَوَاتِنِ قَرَابَةٍ يَحْتَسِبُ الثَّقَفَةَ عَلَيْهِمَا حَتَّى يُغْنِيَهُمَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَوْ يَكْفِيَهُمَا كَانَتْ سِرًّا لَهُ مِنَ النَّارِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نزور الإخوان

والصالحين ، ونكرم كل وارد علينا حتى واردات الحق تعالى فنكرمها بتلقيها بالتعظيم والإجلال والرضا بها عن الله عز وجل .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح يسلك به حتى يدخله حضرات الولاية ، ويمر به إلى حضرات الأخلاق الحسنة ، ويكسوه منها ما قسم له فتصير سجيته تعصى النفس والشيطان في كل ما يطلبانه من العبد ، وبطبع الملك بالبديهة وبطبيعته في جميع لمانه ، وهناك يخوض في الرحمة إن زار أحدا ذاهبا وراجعا ، فإن غالب زيارات الناس اليوم لبعضهم بعضا لا إخلاص فيها وإنما هي أهوية نفوس ، فترى الفقير أو العالم يزور أخاه وهو متلفت إلى ذكر ما اطاع عليه من نقائص أخيه ، وتستحلى نفسه ذلك حتى يذكره للناس ، وربما كان المذكور لهم ذلك أعداء لذلك الفقير المزور ، فلا هو نصحه في ذلك النقص الذي رآه فيه بينه وبينه ، ولا هو ستره بين الناس . وكثيرا ما يخرج أحدهم من عند ذلك للفقير أو العالم يقول زرت فلانا البارحة مثلا فوجدت عنده دعوى عظيمة للصالح والعلم ، ولو علمت أنه في تلك الحالة مازرته ، ويظهر الندم على زيارته احتقارا له بين الناس ، فمثل هذا الزائر خاوض في نار جهنم ذاهبا وراجعا ، مع أن هذا القائل ربما زار الظلمة والمكاسين وأكله الحرام ، وأكل طعامهم في رمضان ، وخرج بنشر فضائلهم ، ولاتسكاد تسمع منه لفظة واحدة في حقهم تنقصهم ، وربما أجاب عنهم زجر من ينقصهم ورد عليه فكان العلماء والصالحون أحق بذلك .

واعلم أن للفقراء والصالحين مكرا خفيا بالزائرين لهم لغير الله فربما طردوهم بتعاطيهم كلمة مباحة حتى لا يكادون يرجعون إليهم ، كما وقع لسيدى أبي السعود الجارحى مع شخص من العلماء الكبار دخل عليه بميزان الامتحان فقال الشيخ أبو السعود :

يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي أَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

بنصب الناس وأشهر ، فقال العالم هذا لا يعرف الفاعل من المفعول ، فكيف يكون صالحا وفارقه ذاماله فلقية الشيخ بعد شهر فكاشفه ، وقال : يظن الناس بضم السين فنزل العالم واستغفر الله تعالى ، فقال له الشيخ نصبة راحت بك ، ورفعة جاءت بك ، ماهكذا يزور الناس الفقراء ، وما يضرنا اللحن إلى اللحن في القرآن أو الحديث اه .

فحذر يا أخى النية للصالحة لكل من طلبت زيارته ثم زر ، ولو لم تجد نية صالحة إلى سنة أو أكثر فلا حرج عليك في ترك الزيارة ، وقد كان السلف الصالح يحبون لإرسال

السلام لبعضهم بعضا ، ويرون ذلك أحسن من اللقاء خوفا ، إن كل واحد برأى الآخر بذكره أحسن ما عنده من الكلام والأخلاق ، ويزكى نفسه فيستحقان الطرد والمقت كما وقع لإبليس لعنه الله .

وبالجملة فلا يتشوش من قلة زيارة إخوانه له إلا كل قليل العقل ، وقد دخل على شخص من مشايخ العصر كان عندي من أعز الإخوان ، فذكرت له عن سيدى على الخواص رحمه الله أنه كان يقول : من شرط من يدعى الكمال في طريق أهل الله تعالى ، أن يكون فقيها محدثا صوفيا فقلت وقدمت الله تعالى على الثلاثة والله الحمد وقصدت بقولى فقيها أننى من أهل الفهم في الكتاب والسنة إذ الفقه لغة الفهم ، وبقولى محدثا أننى أعرف أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وبقولى أنا صوفى لبس الجبة للصوف ، فخرج من عندى ما ترك زاوية حتى دخل يذمنى فيها ، فقلت له كيف ندعى طريق الفقراء وأنت لا تحمل أخاك على مجمل واحد حسن .

وقد قال الإمام النورى في آداب العالم والمتعلم في مقدمة شرح المهذب : يجب على الطالب أن يحمل إخوانه على الحامل الحسنة في كل كلام يفهم منه نقص إلى سبعين محملا ، ثم قال : ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق اه :

ثم إذا دخلت يا أخى لزيارة أخيك فإياك وذكر حال أركان الدولة ، وما هم فيه أو تذكر أحدا من المسلمين بسوء ونحو ذلك فيصير اجتماعكما معصية ، وهذا الأمر يقع فيه أكثر الزوار اليوم فيجمع كل واحد منهما جملة كلام وقع في تلك الجمعة فيمكنه لصاحبه ليس فيه كلمة واحدة نصحا ولا خيرا ، ومثل هؤلاء لا ينبغي فتح الباب لهم . وقد كان سيدى يوسف العجمى شيخ سلسلة التصوف بمصر المحروسة رحمه الله يوصى النقيب أنه لا يفتح الباب لأحد ممن لا يريد الطريق إلى الله تعالى من أبناء الدنيا إلا إن كان معه طعام أو فتوح للفقراء من مال وثياب ، ويقول : من لم يأت بشيء معه للفقراء فزيارته مدخولة ، فقليل له إنكم بحمد الله ليس عندكم ميل إلى الدنيا ، فقال صحيح ولكن أعز ما عند أبناء الدنيا دنياهم ، وأعز ما عند الفقراء وقتهم ، فلا يشغلونه إلا في شيء يحصل لهم به درجات في الآخرة ، فإن بدلوا للفقراء أنفسهم ما عندهم من الدنيا بدلناهم أنفس ما عندنا من الوقت . وما أعرف في أصحابي اليوم أحسن زيارة من أخى الإمام العلامة شمس الدين الخطيب الشربيني فسح الله في أجله وصاحبه الشيخ صالح السلمى رضى الله عنهما ، فلم

أضبط عليهما قط حال زيارتهما كلمة سوء في أحد من خلق الله تعالى ، لامن أهل العلم ولا من الفقراء ولا من الولاة ولا من العامة ، فرضى الله عنهما ، وهذا أمر عزيز الوقوع في طائفة العلماء في هذا الزمان فضلا عن غيرهم ، بل وقع لي أن شخصا من العلماء جلس عندي في الحجر تحت الميزان فأخذ يستغيب واحدا من أقرانه ، فلولا لطف الله لنزل على وعليه صاعقة من السماء ، فقلت له : وفي مثل هذا المكان الشريف يقع منك غيبة ؟ فقال : وأستغيب في جوف الكعبة من يستحق الغيبة ، فقلت له : دستور أدعو الله إن كنت كاذبا ينزل عليك الحب الأفرنجي ؟ فقال نعم ، فدعوت عليه بذلك في الملتزم فما يرجع من الحجاز إلا وبدنه منشغول بالحب ، وهو إلى الآن بضربان المفصل ، نسأل الله العافية :

وقد كانت زيارة الإخوان في الزمن الماضي كلها فائدة وتلقيحا لبعضهم بعضا كتلقيح النخل، وكان أحدهم لا يقول لأحدهم كيف حالك إلا ليعرفه أخوه بما هو محتاج إليه على الأثر قول بفعل فصار اليوم يلقي الشخص أخاه فيقول له كيف حالكم فيقول طيب والجمال أنه في غاية التشويش من ضيق معيشة أو من أذى أحد له لعلمه بأن قلب من قال له كيف حالكم فارغ منه إما شامت وإما يسخر به ، ولذلك يلقي بعض الناس صاحبه فيقول له أى شيء حالكم ؟ فلا هو يخبره بحاله ولا الآخر يقف حتى يعرف حاله ، وكل ذلك نفاق مكتوب اسم صاحبه في جريدة المتافقين ، في دواوين السماء بنص الشريعة المطهرة ، وكانوا يقولون في الزمن الماضي : إذا قل رأس مالك زر إخوانك و صار الحالك اليوم إذا زار صاحب الرسمال من الدين أخاه نقص رأس ماله أو زال .

وسمعت سيد عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي أن يتوقف الزائر لأخيه في الله تعالى على شيء يركبه مع قدرته على المشي إليه ، وكذلك كل عبادة كطلب علم وخطبة امرأة هو محتاج إليهما وجنازة وشفاعة ونحو ذلك كما قال الشعبي رحمه الله ، وكان لي صاحب يأتيني من كوم الجارح إلى مصر حافيا مكشوف الرأس ؛ فربما منعه البواب فيقول قولوا لعبد الوهاب رجل جاءكم حافيا مكشوف الرأس فردوه وما قبلوه ، فكيف بمن يبيشكم متنعلا بعامة ، فسكنت أفهم إشارته فأخرج له أتلقاه بالترحيب وأقبل يده ، وأنشد مجنون بني عامر :

وَلَوْ قَطَعُوا رِجْلِي مَشَيْتُ عَلَى الْعَصَا وَإِنْ قَطَعُوا الْأُخْرَى حَبَوْتُ حَبَوْتُ

وَلَوْ دَقَّنُونِي نَحْتِ أَلْفِي قَامَةِ تَخَلَّخْتُ مِنْ بَيْنِ التَّرَابِ وَحِثُّهُ
وَأُنشِدُوا أَيْضًا :

زُرُّ مَنْ هَوَيْتَ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ
لَا يَمْنَعَنَّكَ بَعْدُ مِنْ زِيَارَتِهِ إِنَّ الْمُحِبَّ لَمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ

وخرجت مرة مع سيدى محمد بن عنان لشخص من الفقراء اسمه الشيخ عبدالودود بنواحي قلعة الجبل بمصر ، فلما أقبل عليه الشيخ حجل بين يديه فرحا بقدمه كما حجل بعض الصحابة بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه زائرا ، وكذلك كان يفعل الشيخ أبو بكر الحديدى إذا قدم عليه فقير .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لفقير أن يزور أحدا من إخوانه إلا بشيء من القوت ولو رغيفا ، فإن لم يجد شيئا فليدع له بظهر الغيب فلها هدية في صيفته يوم القيامة ، وهى أنفع من رغيف يعنى بيقين .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لا تدخلوا لزيارة عالم أو صالح إلا وميزان إنكاركم مكسرة خوفا عليكم من المقت ؛ فإنه أعلم منكم بيقين :

﴿ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ ﴾

لعدم وصولهم إلى مراتبهم ، وكمن دخل على عالم أو صالح بدين فخرج بلا دين فحروا نيتكم قبل الدخول ، فإن لم يصح لكم لإخلاص فارجعوا .

وكان أخى الشيخ الصالح الشيخ محمد الصندفاوى يقول . ربما أمكث السنة أو أكثر وأنا مشتاق إلى زيارة بعض الإخوان فلا أجدر نية صالحة أزوره بها فعاتبني مرة على طول غيبتى فقلت له حتى وجدت لى نية صالحة جئتك بها ، فقال جزاك الله تعالى خيرا .

وسمعت شيخنا الشيخ عبد القادر الشاذلى رحمه الله يقول : إذا خرج أحدكم لزيارة فلا يخرج إلا بعد صلاة ركعتين ثم يقول بتوجه تام : اللهم إن كان فى علمك أن أحدا من الإخوان خرج لزيارتى من بيته فعوقبى عن الخروج ، وإن كان لم يخرج فعوقبه فى البيت حتى أذهب إليه لئلا نتعب نحن وهو من غير ملاقة ، فإن للقاء لذة ليست كغيره :

كما حكى أن أعرابيا ضاع له بعير فكان ينادى ألا من رأى البعير الفلانى فهو له ، فقال له إنسان فما فائدة وجوده ؟ قال لذة اللقاء لا غير :

وكان أخى الشيخ أحمد السطيحة رحمه الله يقول : أقل مقام الفقير الزائر أن يتلقاه المزور ، كما يتلقى الأمير الكبير ، وإن كان عنده بطيخ أو رطب أو عنب أو نحو ذلك تقي له أطايبه كما يتقى لمن دخل عليه من أكابر الدولة ، كالدقردار وقاضى العسكر والسنجق والباشا، ومتى قصر عن ذلك فقد أساء الأدب مع الفقير ، وإن كان يدعى الفقر فلنا له أنت لم تشم من طريق الفقر رائحة ، لأن تعظيم الخلق إنما يكون بحسب مقامهم عند الله تعالى ، ولا شك أن صفة الافتقار أقرب إلى الله من صفة الكبرياء والغنى .

وقد قال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه : يا رب بم يتقرب إليك المتقربون؟ فقال : بما ليس من صفى ، فقال يارب وما هو ؟ قال الذك والافتقار اه وهذا الأمر على خلاف القاعدة العقلية من أنه لا يقرب شىء من شىء إلا بما فيه من المشابهة ؛ فكل ما تخلق به العبد من نظير صفات الحق تعالى فى الأسماء التى لم يأذن فى التخلق بها يبعده عن الحق كما أشار إليه خبير :

« السَّكْرِيَاءُ إِزَارِي وَالْعَظْمَةُ رِدَائِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ » .

فتم صفات لم يأذن الحق فى التخلق بها ، وتم صفات أذن لعباده فى التخلق بها كالكرم والصفح والحلم ونحو ذلك .

وسمعت سيدى الشيخ عبد الحلیم بن مصلح رحمه الله يقول : ما خرج أحد لزيارة عالم أو صالح ليستفيد علما أو أدبا إلا ورجع بما كان فوق أملة من ذلك ، وما خرج أحد لإنكار أو انتقاد إلا ورجع محملا بالأوزار ، لأن العلماء بالله تعالى جارون على الأخلاق الإلهية فى نحو حديث :

« أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » . وفى نحو حديث « المسجدُ بيْتِي ، فَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ لِشَيْءٍ فَهُوَ حَظَّهُ » .

واعلم أن الزيارة مأخوذة من الزور : أى الميل ، يقال زار فلان فلانا إذا مال إليه ، ومن شرط صحة الميل لشخص أن يعمى عن مساويه .

وقد بلغنا عن السلف أنهم كانوا إذا خرجوا إلى زيارة عالم أو صالح تصدقوا بصدقة وطلبوا بذلك أن الله تعالى يعميهم عن مساوى ذلك المزور ، فكانوا لا يخرجون من عنده إلا بفائدة ، ولو لم يكن هو من أهلها أجزاها الله تعالى على لسانه لموضع صدق الزائر :

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : إذا زارت خيالكم بعض إخوانكم فلا تتكلموا في الطبخ عندهم ، وخففوا الأمر جهداً ، فإن طبختم عندهم الطعام كلفتموهم إلى مثل ذلك ، ثم لا تناموا عندهم إلا إن كانت الدار واسعة والمرافق تسعكم وتسعهم من غير مشاركة في دخول بيت الخلاء ، ويكون الزمان زمان صيف ، فإن كانت الدار ضيقة أوفى ليالي الشتاء ، فارجعوا ناموا في بيوتكم : واستأذنه مرة بعض إخواننا فيما يطبخه عند أصهاره من الطعام ؟ فقال : تسمع نصحي فقال : نعم ، فقال خذ أذنان البقر من قاعة الدهن واستلخها وفكك عظمها واصلقها في الماء ، فإذا علا للدهن فوق الماء فاقشط الدهن وكب الماء الزفر وضع في الدست ماء نظيفاً واسكب للدهن عليه ، ثم حط عليه شوية أرز أو شوية دشيش قمح ، فقال ياسيدي ، أستحي أدخل لبيت أصهارى بأذنان البهائم ، فقال : يا ولدى إن الذنب لا ينظر أحد إليه بخلاف الأشياء للفاخرة وهذا لا يقدر عليه إلا من خلص حاله مع الله ولم يراع أحداً من وجوه العظم .

وسمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول : لا ينبغي للمريد أن يزور ولا يزار لغلبة الآفات عليه ، فلا هو مرصد للتربية ليقنتدى به ولا المزور معد لتربيته ، وربما سمع من ذلك الشيخ الذي زاره كلمة موافقة لهواه فتسربها نفسه فهلك ، وأراد سيدي محمد الشناوي زيارة شيخ من مشايخ عصره فشاور شيخه الشيخ محمد بن أبي الحائل رحمه الله فنظر إليه شزراً ، وقال : يا محمد لا ينبغي لمريد أن يأخذ عن شيخ إلا إذا علم أنه يكفيه عن جميع الناس ، فإن كنت لا أكفيك فكيف تقيدت علي في الظاهر وباطنك بخلافه ، فقال ياسيدي التوبة فتأيب ، قال فما زرت بعد ذلك المجلس أحداً من المشايخ حتى مات شيخى .

وسمعت أخى أبا الفضل يقول : قل أن يزور مرید مریدا إلا ويذكر كل منهما للأخر محاسن نفسه ويزكي كل منهما نفسه فيهلكان جميعاً ، لأن إبليس لمثل ذلك بالمرصاد ، وغاية الزيارة أنها سنة ، وإذا جاءنا في طريق تلك السنة معصية لا نقدر على السلامة منها تركنا تلك السنة ، ولا شك أن تركية الإنسان لنفسه حرام إلا لغرض صحيح ، كما زكى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بقوله :

« أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُسْفَعٍ » .

وإنما قال ذلك لأجل أن أمته يزيجون نفوسهم من التعب في الذهاب إلى نبي بعد نبي يوم القيامة كغيرهم مع الأمم وبأتونه أولا ، فإذهب إلى غيره وتعب إلا من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ونسيه :

ومعلوم أن المريد غارق في حكم الطبيعة لا يقدر على تزكية نفسه إلا ليمدح بذلك عند الناس فافهم ، وما أمرنا الشارع بزيارة بعضنا بعضا إلا خالصا مخلصا لوجه الله لا يريد من الخلق جزاء ولا شكورا .

وسمعت سيدي الشيخ أبا السعود الجارحي يقول : إذا زار أحدكم أميرا فليسأله الدعاء فإن الله تعالى يستحي من الأكابر في هذه الدار أن يرد لهم دعوة يسألونه فيها فلا تتوقف يأخى في ذلك ، وإن من فضله سبحانه وتعالى أنه يجب دعاء ملوك الكفار إذا سألهم قومهم حاجة فضلا عن ولاية المسلمين ، كما وقع لفرعون في طلوع النيل حين توقت وقال يارب لا تفضحنى بين قومي . وتأويل ذلك أن سؤال الأمير لربه في الأمور الدنيوية أقرب من دعاء للصالح إذ الأمير همته متوفرة إلى الدنيا بخلاف الصالح ، فإذا سأل أحدنا الأمير المحب للدنيا في حاجة يتوجه بكليته إلى قضاء تلك الحاجة الدنيوية الفانية التي لا تسوى جناح بعوضة فيعطيها الله لذلك المدعو له ، لأن حضرة جوده واسعة وجوده فياض لا يرد سائلا يسأل شيئا نفيسا أو خسيسا بخلاف الصالح ليس له همّة متوجهة إلى تحصيل شيء من أمور هذه الدار إلا مالا بد له منه ، ومعظم همته أن الله تعالى يؤخر تلك الحاجة للدار الآخرة التي هي دار البقاء .

وقد ورد : « إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْدَمُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى كُلِّ حَاجَةٍ قَضَيْتُ لَهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا لِمَا أَعَدَّ اللَّهُ ، وَلَمَّا يَنْظُرُ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ لِأَهْلِ الْبُؤْسِ فِي دَارِ الدُّنْيَا حَتَّى يُقَالَ لِأَحَدِهِمْ إِذَا عَمَسَ فِي النَّعِيمِ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ فَيَقُولُ لَا يَا رَبَّ » .

وسمعت سيدي محمد بن عنان رحمه الله يقول : بلغنا عن الإمام أحمد أن السلف كانوا إذا اجتمع أحدهم بأخيه لا يفترقان إلا على قراءة سورة :

(وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفِي خُسْرٍ) .

إلى آخرها فيلبيغى المواظبة على ذلك :

وكان سيدي محمد بن عنان إذا زاره أحد لا يدعه يذهب حتى يقدم له طعاما ، فإن لم

يجد أسقاه الماء ، وكان يقول أحيوا هذه السنة فإن بها تأتلف القلوب ، ويقوى شعار الدين وتعاقد القلوب ببعضها بعضا ، وكان يقول : إذا دخل أحد من الأكابر عليكم فلا تغيروا ملبوسكم لأجل قدومه لإبنية صالحة ، وكذلك إذا دعيتم لشفاعة أو جنازة ثم يحكى عن الفضيل بن عياض أنه كان يقول لو قيل لى إن فلانا داخل عليك فسويت لحيتى بيدي قدومه وأنا غافل عن نية صالحة فى ذلك لخشيت أن أكتب فى جريدة المنافقين اه .

وسمعت سيدى محمدا المنير رضى الله عنه يقول ليتحفظ الفقير إذا دخل عليه أمير كل التحفظ ، فإن كان يعلم من نفسه أنه يأمره بمعروف وينهاه عن منكر فليقبله ، وإلا فليقل له أحد إن فلانا ماهو هنا ويشير إلى مكان بعينه فى نفسه وأين من يدخل عليه اللبشات أو الدفتر دار مثلا وعليه ثوب حرير فيقول له هذا حرام عليك فأزعه ، وإلا فلا تعد تدخل علينا هذا أمر قليل وقوعه جدا ، فالهروب من مقابلتهم أولى والسلام :

وسمعت سيدى عليا الخواص يقول : من أدب للزيارة للملوك أن يدخل الزائر إليهم أعمى ويخرج من عندهم أخرس .

فتأمل يا أخى جميع ما ذكرته لك فى هذا الدهليز إلى العمل بالعهد ثم زر أو اترك والله يتولى هداك :

وروى مسلم مرفوعا : « أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ فَأَرَّصَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ؟ قَالَ : هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تُرِيهَا ؟ قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » .

والمدرجة : الطريق ، ومعنى تربها : أى تقوم بها وتسعى فى صلاحها وتسكافته عليها .

وروى ابن ماجة والترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ : بَأَنْ طِبْتَ وَطَابَ تَمَشُّكَ وَتَبَوَّاتٍ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا » .

وفى رواية للبخارى وأبى يعلى مرفوعا :

« مَا مِنْ عَبْدٍ أَنَاهُ أَخُوهُ يَزُورُهُ فِي اللَّهِ إِلَّا نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ طِبْتَ

وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ وَقَالَ: قَالَ اللَّهُ فِي مَلَكَوتِ عَرشِهِ: عَبْدِي زَارَنِي وَكَلَى قِرَاهُ فَلَمْ أَرْضَ لَهُ بِثَوَابِ دُونَ الْجَنَّةِ .

وروى الطبراني مرفوعاً: « أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ فِي الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالصَّدِيقُ فِي الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَضِرِّ لَا يَزُورُهُ إِلَّا لِلَّهِ فِي الْجَنَّةِ » الحديث .

وفي رواية الطبراني مرفوعاً: « إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَارَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ شِيعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ كَمَا وَصَلَهُ فِيكَ فَصَلِّهِ » .

وروى مالك باسناد صحيح مرفوعاً: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَجَبَتْ حَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ » .

وروى الطبراني مرفوعاً: « إِنْ فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يُرْمَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُتَحَابِّينَ فِيهِ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيهِ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيهِ » .
وفي رواية له منقطعاً قال عبد الله بن مسعود لأصحابه حين قدموا عليه: هل تجالسون؟ قالوا لا تبرك ذلك، قال هل تزاورون؟ قالوا نعم يا أبا عبد الرحمن، إن الرجل منا ليفقد أخاه فيمشى على رجليه إلى آخر الكوفة حتى يلقاه، قال إنكم لن تزالوا بخير ما فعلتم ذلك :

وروى الطبراني مرفوعاً: « مَنْ زَارَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ حَتَّى يَرْجِعَ، وَمَنْ عَادَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ خَاضَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ » .

وروى البزار باسناد جيد: « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ مَا انْطَلَقُوا بِنَا إِلَى بَنِي وَاقِفٍ نَزُورُ خِلَاءَ لَنَا الْبَصِيرِ وَكَانَ مَكْنُوفَ الْبَصْرِ » .

وروى الطبراني والبزار مرفوعاً: « زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا » .

قال البزار ولا يعلم فيه حديث صحيح .

وقال الحافظ عبد العظيم وكذلك أنا لم أقف له على طريق صحيح لكن له أسانيد حسان عند الطبراني وغيره، قلت: قال الحافظ السخاوي ومجموع طرق الحديث

يصير بها قويا وقول البزار ليس فيه حديث صحيح لا ينافي ذلك قال وقد أنشد ابن دريد
في ذلك :

عَلَيْكَ بِإِغْتَابِ الزِّيَارَةِ . إِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلَكًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْغَيْثَ بِسَامٍ دَائِمًا وَيُسْأَلُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ
وأنشد غيره :

أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيْقِ تَتَكُونُ كَالثَّوْبِ اسْتَجَدَّهُ
وَأَشَدُّ شَيْءَ لِأَمْرِي أَنْ لَا يَزَالَ يِرَاكَ عِنْدَهُ
والله تعالى أعلم :

وروى ابن حبان في صحيحه عن عطاء قال : دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة
رضي الله عنها فقالت لعبيد بن عمير ، قد آن لك أن تزورنا ، فقال أقول يأمة كما
قال الأول :

« زُرْ غِيًّا تَزِدُّ حُبًّا » .

فقالت دهونا من بطالتكم هذه ، الحديث :

وروى الامام أحمد ورواته ثقات : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأُمَّ سَلَمَةَ
أَصْلِحِي لَنَا الْمَجْلِسَ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ مَلَكٌ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ لِيْنَهَا قَطُّ » .

وروى الإمام أحمد عن أم بجيد بضم الموحدة وفتح الجيم ، قالت « كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأتي في بني عمرو بن عوف ، فأخذ له سويقاً في حجة فإذا جاء
سقيها إياه » .

وروى الطبراني موقوفا ورواته ثقات : أن إبراهيم بن قشيط وهو المدفون بطنط أبي تراب
في الغربية قال الحافظ وليس في مصر قبر صحابي محقوق غيره دخل على عبد الله بن الحرث
ابن جزء الزبيدي فرمى إليه بوسادة كانت تحته وقال : من لم يكرم جلسه فليس من أحمد
ولا من إبراهيم عليهما الصلاة والسلام والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نقرى الضيف
ونكرمه ونأمر جميع إخواننا بذلك ونبين لهم ماورد في تأكيد حقه ، وهذه السنة عظيمة

والعمل بها قليل لاسيما قري الأمراء فلا تكاد ترى لهم رغيفا إلا في النادر وكان الأولى لهم إحياء هذه السنة التي اندرست ويقرون كل وارد عليهم حسب الطاقة ، لأن خامل العلم والقرآن من نواب النبي صلى الله عليه وسلم وصغيرته كبيرة فينبغي لسكل عالم أن يدعو طلبته إلى طعامه كلما قرعوا عليه ولو رغيفا يفرقه عليهم .

وقد قلت مرة لطالب علم ورد عليّ فغديته لا تأخذنا بالتقصير فإن طعاما قليل اللدسم ماهو مثل طعام شيخك فقال لي أنا مارأيت له طعاما إلى وقى هذا مع أنه أجازة بالفتوى والتدريس .

واختلف الناس مرة في هلال رمضان فقال الناس انظروا العلماء هل هم صائمون فصوموا؟ فقال شخص عن شيخه إنه تغدى هو وأنا في هذا اليوم، فقال له طالب آخر هذا من علامة كذبك ، فإن شيخنا مارأناه قط يأكل مع أحد ، ثم قال لي يقولون في أفواه الناس ثلاثة لا ترى لهم أجنحة الفرس ورجل الثعبان وخبر الفقيه ، فقلت له ثم من العلماء من قلبه عاكف في حضرة الاسم المانع فلا يقدر على أن يطعم أحدا إلا إن خرج من حضرته إلى حضرة الاسم الكريم والمعطى وأجبت عن شيخه فلم يصغ إلى وقال لأقدر على قلبي يميل إلى من لا يطعمني مثل من يطعمني أبدا فقلت له هل هذا الذي منعك كان رزقك وحال بينك وبينه ، أم ليس هو رزقك؟ فقال هو ليس رزقي وقولك صحيح ولكن الله قد ذم البخيل ، مع أنه لم يقسم على يديه لأحد رزقا ، فقلت له : للحق تعالى أن يذم عبده ، وأما نحن فليس لنا الاشتغال بدم الخلق خوفا من وقوعنا في غيبتهم ، ورجوعنا في أمرهم إلى القسمة الأزلية فيه رائحة عنذر لهم وأسلم لديننا ، فعلم أن للكريم جعل الله تعالى أرزاق الخلائق على يديه ومدحه فضلا منه ، والبخيل لم يجعل لأحد على يديه رزقا وذمه عدلامته فما أطعم كريم قط أحدا من رزقه هو وإنما أطعمه ما قسمه الحق تعالى لذلك الأعد ، ولو أراد أن يمنع لما قدر ولينأمل الإنسان في نفسه يطبخ الدست الطعام الكبير في داره ويتعب في تحصيله ولا يقسم له منه لقمة ويأتي الضيف فيأكل منه ، فالمنة لله تعالى الذي خلق وقسم والعبد كالقناة الجاري منها الماء أو كالمدست أو كالمغرفة فن مدح القناة أو الدست أو المغرفة في المجالس ونسى الله فهو أخرف العقل .

فإياك يا أخى أن تطلق لسانك فيمن وردت عليه فلم يطعمك شيئا لاسيما الأولياء المكملون من أصحاب الكشف فإنهم ما منعوك عن بخل وإنما ذلك لكونك لم يقسم لك شيء على يدهم لكونهم خرجوا عن شهود الملك لشيء من الكون دون الله ويرون

نفوسهم كالوكيل الذى عين له المالك جماعة يعطيهم وجاعة يمنعهم فليس له تعدى مراسم المالك الحقيقى أبدا فهم يودون أنه يقسم على يدهم شىء لذلك الممنوع فلم يجنبهم الحق تعالى لذلك لما سبق فى علمه ، وقد قالوا: أقبح من كل قبيح صوفى شحيح أى يشح على الناس بحكم الطبع والجبلة لا بحكم الكشف وعدم القسمة .

وقد أخبرنى شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصارى رحمه الله تعالى أنه قدم هو وجماعة على سيدى إبراهيم المتبولى ببركة الحاج فأبطأ عليهم بالضيافة ، قال ثم خرج إلينا فقال ما بى شيخ فى هذا الزمان إلا اللقمة ، فإن كان عندنا مدد فهو فى لقمتنا ، ثم شق لنا بطيخة وصاريفرق علينا من غير ترتيب السنة فأراد بعض أصحابى أن يعترض عليه ، فقلت له الأدب ولكن ورخوا هذه الواقعة فورخناها فكانت تفرقت على ترتيب الأعمار فالذى أعطاه أولا مات أولا والذى أعطاه ثانيا مات ثانيا وكنا اثني عشر نفسا ، فلم يتقدم متأخر على متقدم أخذ الشقة قبله ، ثم قال لى ياولدى الاعتقاد ربح والإنكار خسران رضى الله تعالى عنه .

وسمعت أحدى أفضل الدين يقول : إياك أن تضيف إنسانا أو يخطر فى بالك المقابلة إذا وردت أنت الآخر عليه بل أطعمه لوجه الله لا تريد منه جزاء ولا شكورا ، ومتى خطر فى بالك أنه يقابلك إذا وردت عليه فلست مخلصا بل أنت مرء والمرأى أجره حابط من أصله ، قال وهذا هو حال غالب الناس اليوم ، فإن علمت ذلك ياولدى من إنسان فلا تأكل له طعاما لاسيا الفلاحون ، فإن أحدهم لا يتكلف لمن ورد عليه إلا على نية طلب العوض لعجزهم عن بلوغ مقام الإخلاص وإن شككت فجرب اه .

قلت : وقد سافرت مرة إلى سيدى أحمد البدوى أزوره فعزم على شخص وذبح لى شاة وجمع أهل بلده عليها ، فحصل لى منها عضة من ذنبا من غير زيادة فارجعت مصر ومكثت نحو سبعة أيام إلا وهو داخل إلى ومعه سبعة عشر نفسا ، وكنت متجردا من الدنيا لا أقبل من أحد شيئا مطلقا ، وليس لى حرفة ، فأرسلت السوق وجئت لسكل واحد برغيف وشققة ملح ، فلما وضعتها بينهم صاروا يوبخون صاحب العنز ويقولون هذا صاحبك ثم غضبوا وخرجوا من غير أكل لى وقتنا هذا فاعلم ذلك .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول إذا استضفت إنسانا فقال لك بعد يوم أو يومين أو ثلاثة دستور أروح فىنى أخاف أن أكون شققت عليكم فلا تأكل له طعاما

بعد ذلك ، لأنه ما قال ذلك إلا بحسب ما عنده من أنه يستثقل بالضيف اه وهذا منزع دقيق :

وسمعت مرة أخرى يقول : إياك أن تأكل لمن استضافك لأجل اعتقاده فيك الصلاح فإنك إن كنت صالحا في نفس الأمر فقد أكلت بدينك ، وإن لم تكن صالحا فقد أكلت حراما بنص الشريعة ، فقلت له ممن آكل؟ فقال لا تأكل إلا ممن لو رآك تشرب الخمر لا يقطع ضيافته عنك فإنه حينئذ يطعمك لله تعالى ، بخلاف من غلب ظنك فيه أنك لو سلمت من الصلاح لم يطعمك لقمة اه وهذا ورع الفقراء الذين مضوا ، وأما اليوم فلا تكاد ترى أحدا يتورع من ذلك :

وسمعت مرة أخرى يقول : إذا استضفت إنسانا في رمضان فلا تقدم له طعاما كثيرا زيادة على حاجته إلا إن علمت منه العفة والقناعة وعدم شراهة النفس ، فإن علمت منه ضد ذلك فأخرج له شيئا يسيرا لأن رمضان شهر الجوع ومن أعان ضيفا على تعدى آداب الشارع فهو إلى قلة الأجر أقرب فينبغي للفقير أن يكون أشفق على الناس وعلى دينهم من أنفسهم فقلت له ربما خاف الإنسان من نسبته إلى تقصير إذا أخرج للضيف كسرة يابسة مثلا فقال : من يخاف العتب من الناس ما هو من رجال هذا المقام إنما هذا لمن يراعى الله وحده ، وقد جربنا أنه ما أخلص عبد في شيء وزد عليه بسوء أبدا فإن رد عليه بسوء فإتعا ذلك لشيء يخالطه من أهوية النفوس .

وسمعت مرة أخرى يقول : لا يكمل الفقير عندنا في الطريق حتى يسكرم كل وارد عليه من الأنفاس والخراطير من حيث إنهم رسل الله إليه فتروح تلك الأنفاس والخواطير إلى حضرة ربها شاكرة له ما صنعها فيها من الأعمال المرضية والأخلاق النبوية :

وسمعت مرة أخرى يقول : إياك أن تضيف مريدا من مريدي الغير ، إلا إن كنت تعلم منه ثبات قلبه مع أستاذه بحيث لا يبدي لك ميلا يجرح مقام أستاذه فإن علمت منه ذلك فليس لك أن تضيفه ، لئلا يتلف حاله مع شيخه ويصير لا يقبله كما أنك أنت الآخر لا تقبله من حيث إشراكه أستاذه معك أو إشراكك مع أستاذه :

وسمعت سيدي محمد بن عنان رحمه الله يقول : إذا صرت موردة للناس فإياك أن تتكلف لضيف فإنك تهرب ولو على طول .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الشيخان مرفوعاً: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ
وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَجْمَهُ » الحديث .
وفي حديث الشيخين : « وَإِنْ لَزُورِكَ عَلَيْكَ حَقًّا » .

أى وإن لزوارك وأضيافك عليك حقاً، يقال للزور بفتح الزاى سواء فيه الواحد
والجمع قاله الحافظ عبد العظيم .

وروى مسلم وغيره : « أَنْ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي سَجُودٌ
فَأَرْسَلْ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَا تُمْ أَنْزَلَ إِلَيَّ
أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كَلْهُنَّ بِأَسْرِهِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ ، لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَا ، فَقَالَ مَنْ يَضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَجْمَهُ اللَّهُ ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ
الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ هَلْ عِنْدَكَ
شَيْءٌ ؟ قَالَتْ لَا إِلَّا قُوتَ صِبْيَانِنَا قَالَ فَعَلَّيْهِمْ شَيْءٌ ، وَإِذَا أَرَادُوا الْعِشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ ؟
فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفِنَا فَأَطْفِئِي السَّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ » .

وفي رواية : « فَإِذَا أَهْوَى لَيْئًا كُلَّ قَعْوِيٍّ إِلَى السَّرَاجِ حَتَّى تَطْفِئِيهِ . قَالَ فَتَعَدَّوْا
وَأَكُلِ الضَّيْفُ وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا فَتَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ - وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ خَصَّاصَةٌ - » .

وروى مالك والشيخان وغيرهم مرفوعاً : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ
وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَّوَمَّ عِنْدَهُ حَتَّى يُجْرَجَهُ » .

قال الترمذى : ومعنى لا يتوَمَّ عنده لا يقيم حتى يشتد على صاحب المنزل والخرج
الضيق اه .

وقال الخطابي : معناه لا يحل للضيف أن يقيم عنده بعد ثلاثة أيام من غير استدعاء منه
حتى يضيق صدره فيبطل أجره .

قال الحافظ عبد العظيم : وللعلماء في هذا الحديث تأويلان : أحدهما أنه يعطيه ما يجوز به ويكفيه في يوم وليلة إذا اجتاز به ، وثلاثة أيام إذا قصد به ، والثاني يعطيه ما يكفيه يوماً وليلة ويستقبلهما بعد ضيافته :

وروى الإمام أحمد والبخاري وأبو يعلى مرفوعاً :

« لِلضَّيْفِ عَلَى مَنْ نَزَلَ بِهِ مِنْ الْحَقِّ ثَلَاثٌ فَمَا زَادَ فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى الضَّيْفِ أَنْ يَرْتَدَّ لَيْلَ لَيْلٍ لَا يُؤْتَمُّ أَهْلَ النَّزْلِ » .

وروى الإمام أحمد ورواته ثقات والحاكم مرفوعاً :

« أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مُحْرُومًا فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرِ قِرَاهُ ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ » .

وفي رواية لأبي داود وابن ماجه : « لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفَنَائِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ دَيْنٌ إِنْ شَاءَ قَضَى وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ » .

وفي رواية لأبي داود والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً :

« أَيُّمَا رَجُلٍ أَصَابَ قَوْمًا فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مُحْرُومًا ، فَإِنْ نَصَرَهُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَتَّى يَأْخُذَ قَوْمِي لَيْلَتِهِ مِنْ زَرْعِهِ وَمَالِهِ » :

وفي رواية للطبراني مرفوعاً : « الضَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ حَقٌّ لِأَزْمٍ ، فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعاً : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُسْكِرْ ضَيْفَهُ قَالَهَا ثَلَاثًا ، قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا كَرَامَتُهُ ؟ قَالَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ » .

وروى الأصبهاني مرفوعاً : « الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَتْ مَائِدَتُهُ مَوْضُوعَةً » .

وفي رواية لابن ماجه وابن أبي الدنيا مرفوعاً :

- « لَخَيْرٌ أَسْرَعُ إِلَى التَّيْتِ الَّذِي يُؤْكَلُ فِيهِ مِنَ الشُّقْرِ إِلَى سَنَامِ البَيْرِ » .
وروى الطبراني بإسناد جيد مرفوعا : « مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ مِنْ أَعْمَالِ الجَنَّةِ » .
وروى الإمام أحمد مرفوعا : « لَأَخَيْرَ فَيَمَنُ لَا يُضِيفُ » .

ورجاله رجال الصحيح إلا ابن لهيعة والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد للعام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب لإخواننا الفلاحين وأهل الغيط في الزرع وغرس الأشجار التي تثمر أو يتخذ منها الحشيش لمنافع الناس ، فإن ذلك معدود من الصدقة الجارية بعد موت العبد سواء باشر الزرع والغرس بنفسه أو أقام من يفعل ذلك له بأجرة ، لكن أجر من يباشر ذلك أرجح وأكثر منفعة فإن الأرض قد قلت بركتها تبعا لاختلاف النيات ، وفساد المعاملة مع الله تعالى ومع خلقه ، وما بقي فيها فائدة إلا لمن يعمل بيده ، وأما من يعمل بالأجرة فهو إلى الخسارة أقرب لاسيما زرع الكتان فإنه مجرب للخسارة لكثرة تعبته ، اللهم إلا أن يوجد شخص يراقب الله تعالى في غيبة صاحب الزرع حتى يكون غياباه مثل حضوره فربما فضل له شيء يسير بعد الخراج والكلفة وهذا أعز من الكبريت الأحمر بل بعضهم لا ينصح في شغله بحضرة صاحب الزرع وذلك مذهب للبركة بل أخبرني بعض الإخوان أنه زرع كتانا وعصفرا فما جاء الكتان قدر كلفته ولا جاء العصفر قدر أجرة النساء اللاتي جنوه ، فطالبوه ببقية الكلفة .

وقد بلغنا أن شخصا من الملوك في زمن داود عليه السلام رأى في منامه قمحا قدر بيض النعام ، وكان لا يرى في منامه إلا شيئا له حقيقة ، فأرسل رسلا إلى نواحي الأرض يسألون هل رأى أحد منكم أو سمع بقمح قدر بيض النعام ، فقال شيخ قد طعن في السن ، نعم ، رأيت ذلك وهو تحت عتبة تلك الدار الخراب ، فحفروا نحو قامتين فوجدوا خابية كبيرة ملائنة من ذلك القمح ، فأحضروها بين يدي ذلك الملك ، فسأل الملك داود عليه السلام عن ذلك فأوحى الله تعالى إليه أن شخصا استأجر أرضا فحرقها فوجد فيها قدره ذهب ، فحملها إلى صاحب الأرض فردها ، وقال هي رزقك ولم يرض أن يأخذها ، فجمعها أصحابها فأشاروا أن يجهزوا ابنة أحدهما وتزوج لابن الآخر ففعلا ، وفضل من القدرة بعض دنابير فرعا بها زرعاً فجاء على هذا الحال فإن الزرع يصغر ويكبر بحسب طيب

النية وخبثها اه ، وقد عز لإصلاح الناس من غالب أهل هذا الزمان : فالعقل من زرع وحده مع مباشرة التزرع مع الأجير :

(وَلَا يُبَلِّغُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) . (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مسلم وغيره مرفوعا : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ ، وَلَا يَرِزُّهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وفي رواية : « فَلَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا قَيِّأً كُلُّ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَائِرٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ » .
ومعنى برزوه : يصيب منه وينقصه .

وفي رواية : « فَلَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا قَيِّأً كُلُّ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَيْرٌ ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « مَنْ بَنَى بُنْيَانًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ ، أَوْ غَرَسَ غَرْسًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ جَارِيًا مَا انْتَفَعَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى »

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « مَنْ نَصَبَ شَجَرَةً فَصَبَرَ عَلَى حِفْظِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا حَتَّى تُشْمَرَ كَانَ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُصَابُ مِنْ شَمْرِهَا صَدَقَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ قَدْرَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الْغَرْسِ » .

وروى البزار وأبو نعيم والبيهقي مرفوعا :

« سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ : مَنْ عَمَّ عِلْمًا ، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا ، أَوْ حَفَرَ بَيْرًا ، أَوْ غَرَسَ بَخْلًا ، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا ، أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا ، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَفِيرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ » .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
يَا مَعَاشِرَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالُوا لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ كُنْتُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذْ لَا تَعْبُدُونَ
اللَّهَ تَحْمِلُونَ الْكُلَّ وَتَفْعَلُونَ فِي أَمْوَالِكُمُ الْمَرْوْفَ ، وَتَفْعَلُونَ إِلَى ابْنِ السَّبِيلِ حَتَّى
إِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَبِنَبِيِّهِ إِذْ أَنْتُمْ تُحَصِّنُونَ أَمْوَالَكُمْ ، فَيَأْتِيَا كُلُّ
ابْنِ آدَمَ أَجْرٌ ، وَفِي آيَاتِكُمْ السَّبْعُ وَالطَّيْرُ أَجْرٌ ، قَالَ جَابِرٌ فَرَجَعَ الْقَوْمُ فَمَا مِنْهُمْ
أَحَدٌ إِلَّا هَدَمَ مِنْ حَدِيثِهِ ثَلَاثِينَ بَابًا » .

قال الحاكم وفيه النهى الواضح عن تحصين الحيطان والنخيل والكرم وغيرها عن
المحتاجين والجائعين أن يأكلوا منها اه ، والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب لإخواننا في الجود
والسخاء ، ونسكون أول فاعل لذلك لاسيما في شهر رمضان ، وهذا العهد قد قل العمل
به في غالب الناس حتى العلماء ومشايخ الزوايا ، فاكتفوا بالتوسعة على أنفسهم في المطاعم
والملابس والنكاح للمخدرات والسراري الحسان ، حتى إنى رأيت بعض من يدعى
الصلاح والفقير لا يركب الجار بل الخيول المسومة ، ورأيت مرة احتاج للركوب في حاجة
وغابت الفرس وعنده حمارة فلم يركبها ، وقال أستحي أن أمر في مصر على حمارة مع أنه
متعمم بصوف وله عذبة وشعرة ، وهذا أمر يناق طريق الفقراء من كل وجه .

وقد سمعته مرة يقول : نحن بحمد الله الدنيا في يدنا لا في قلبنا ، فأرسلت له ضريرا
معيلا يطلب منه شيئا من ملبوسه أو ثمن جبة أو صاعا من قمح فلم يعطه ، مع أن بيته
أوسع من بيت أمير ، فقال له الضرير ، فأين قولك بحضرة فلان الدنيا في يدنا لا في قلبنا ،
وهل ثم أجوج منى فلانى أعمى معبل ، وتعرف أن أحدا ما بقى يعطى السائل شيئا فضلا عن
كونه يرسل له شيئا بلا سؤال ، فرجع من عنده مكسور خاطر ، وكان الأولى بذلك
الشيخ أن يعطيه نفقة يومه أو قميصا من ثيابه التي تزيد على ثلاثين زيقا ، كما أخبرني
بذلك خادمه .

ودخلت مرة أنا وأخى الشيخ زين العابدين ابن الشيخ عبيد البلقي نفعا الله ببركاته
على شيخ من مشايخ العصر فصار يرغبنا في الفقر وضيق اليد ويقول لنا الفقراء ماتمبوزا

عن الناس إلا بالزهد في الدنيا اختيارا ، فملنا إليه بالحبية لحسن كلامه ، فجاءنا ولده يستشفع بنا عنده أن يزيد نفقته ، فقلنا له كم يعطيك كل يوم ، فقال عشرة أنصاف ، فقلنا له وهذا يكفي أكبر للفقراء ، فقال دخل والدي كل يوم ثلاثمائة نصف ينفق منها نحو خمسة عشر نصفًا ويخزن الباقي ، فقلت له : قديكون يا ولدي يتصدق به من غير علمك فقال : لو كان يتصدق ما كان في صندوقه نحو أربعين ألف دينار ، هذا للمظ ولده ، فإذا كان هذا حال مشايخ العصر الذين يقتدى بهم فكيف بالعوام !

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من أراد أن يظهر بالمشيخة في هذا الزمان فليكن أول عامل بجميع ما يدعو إليه ، وإلا فهو فتنة على العباد اه فلا أتعب قلبا ولا بدنا ولا أضيع معيشة من الفقراء الصادقين أبدا :

وسمعته يقول : ليس السخي من ينفق ماله فيما ناه الله عنه ، وإنما للسخي من ينفق ماله في مرضاة الله :

وسمعته يقول : إياك أن ترى مع فقير دنيا عريضة ولا تراه يؤدي زكاتها فتسبى الظن به فإن من الفقراء من يكون من أصحاب الخطوة فيخطو خطوة إلى بلاد الهند مثلا من مصر فيدفع زكاته إلى فقراء تلك البلاد ، كما كان يقع للشيخ محمد الشريفي رحمه الله : ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق لا مثل هذا الشيخ الذي ذكرناه ، فإن من دعا إلى خير ولم يفعل كانت أفعاله مكذبة له وحاجة للناس عن سماع مقاله ، فإذا سلك على يد شيخ بصدق وإخلاص فإنه يقربه إلى خضرة الله عز وجل وهناك يقوى يقينه بالله وينفق كل ما دخل في يده بخلاف البعيد عن حضرته ، فإنه بالضد من ذلك فلا يكاد يعطي أحد شيئا لضعف يقينه :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى الترمذي وغيره مرفوعا ومرسلا : « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ ، وَالْجَاهِلُ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَابِدِ بَخِيلٍ » .

وروى الأصفهاني مرفوعا : « أَلَا إِنَّ كُلَّ جَوَادٍ فِي الْجَنَّةِ حَمٌّ عَلَى اللَّهِ وَأَنَا بِهِ كَفِيلٌ ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ بَخِيلٍ فِي النَّارِ حَمٌّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَا بِهِ كَفِيلٌ ؟ قَالُوا

يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْبَخِيلِ ، وَمَنِ الْجَوَادُ ؟ قَالَ : الْجَوَادُ مَنْ جَادَ بِحُقُوقِ اللَّهِ فِي مَالِهِ ، وَالْبَخِيلُ مَنْ مَنَعَ حُقُوقَ اللَّهِ وَبَخَلَ عَلَى رَبِّهِ ، وَلَيْسَ الْجَوَادُ مَنْ أَخَذَ حَرَامًا وَأَنْفَقَ إِسْرَافًا .

قلت : وقد سئل الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله عن حقيقة الإسراف ، فقال : الإسراف كرم واسع خارج عن الحد والمقدار ، ولكن لما كان صاحب هذا الحال لا يقدر على المداومة عليه بل يندم على ما يخرج منه إذا وجد حاله قد ضاق جعله الله تعالى مذموما ، وجعل الحمود حالة بين إسراف وتقتير ، والله أعلم :

وروى الترمذي مرفوعا : « إِذَا كَانَ أَمْرًاؤُكُمْ خَيْرًاكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنِكُمْ فَظَهَرَ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِيهَا ، وَإِذَا كَانَ أَمْرًاؤُكُمْ شِرَارًاكُمْ ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلَاءَكُمْ ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا . »

وروى أبو داود في مراسيله : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ خَيْرًا وَلَّى أَمْرَهُمُ الْحُكَمَاءَ ، وَجَعَلَ الْمَالَ عِنْدَ السُّمَحَاءِ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ شَرًّا وَلَّى أَمْرَهُمُ السُّفَهَاءَ ، وَجَعَلَ الْمَالَ عِنْدَ الْبُخَلَاءِ . »

وروى أبو الشيخ مرفوعا : « السُّخَاءُ هُوَ خُلُقُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ . »

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « مَا جُبِلَ وَلِيُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا عَلَى السُّخَاءِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ . »

وروى الطبراني مرفوعا : « إِنْ اللَّهُ اسْتَخْلَصَ هَذَا الدِّينَ لِنَفْسِهِ وَلَا يَصْلُحُ لِدِينِكُمْ إِلَّا السُّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ ، أَلَا فَرَيْنُوا دِينَكُمْ بِهِمَا . »

وروى الطبراني : « أَنْ شَخْصًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ السَّيِّدِ؟ قَالَ : يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ ابْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، قَالُوا فَمَا فِي أُمَّتِكَ سَيِّدٌ؟ فَقَالَ : بَلَى رَجُلٌ أُعْطِيَ مَالًا وَرُزِقَ سَمَاحَةً وَأَذَى الْفَقِيرِ وَقَلَّتْ شَكَاتُهُ فِي النَّاسِ . »

وروى الطبراني والأصبهاني مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ جِبْرِيلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ إِنِّي لَمْ أَتُخِذْكَ خَلِيلًا كَلَى أَنْتَ أَعْبُدُ عِبَادِي لِي وَلَكِنْ أَطَلَمْتُ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ قَلَمٌ أَجِدُ قَلْبًا أَسْخَى مِنْ قَلْبِكَ » .
وروى ابن أبي الدنيا والأصبهاني وأبو الشيخ مرفوعا :

« تَجَافَوْا عَن ذَنْبِ السَّخِيِّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى آخِذٌ بِيَدِهِ كُلَّمَا عَتَرَ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نقضى حوائج المسلمين وندخل عليهم السرور ، ولا نقبل على ذلك هدية منهم على قاعدة أن فعل الطاعات بالأصالة إنما هو للثواب الأخرى ، وما فاز بذلك إلا العارفون الذين يفعلون الأوامر للشرعية ، امتثالا لأمر الله دون الأجر الأخرى، وأما غيرهم فهو بارك في رحلة الثواب لا يتفك ، وقد جربنا أن كل من قبل عوضا على شفاعته شفعتها عند حاكم فهو خارج عن الطريق ، ثم تنقطع للوصلة بينه وبين الحق فيرد الحاكم شفاعته ولا يصير له عندهم حرمة ، كما لا حرمة لأحد من أهل الدنيا عندهم بخلاف من هو قائم لله تعالى :

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : إذا جاء المشفوع له بهدية للشافع فليردها عليه ، فإن لم يقبها وقال خرجت عنها للفقراء فليأخذها الشافع ويفرقها على الفقراء والمساكين لاسيما إن كان ظالما أو من أعوان الظلمة ، وهذا الورع قد صار اليوم قليلا في الفقراء فصار حكمهم حكم البزددار عند الظلمة يعمل لهم المصالح التي هي مفسدة .
فاقض يا أخى حوائج المسلمين لله تعالى وإن طلبت على ذلك أجرا فاطلبه من الله على سبيل إظهار الفاقة وإنه لا غنى لك عن فضله ، وإياك وقبول الهدية على ذلك لاسيما من النساء والفقراء من الدنيا .

وقد رأيت مرة شخصا من مشايخ العصر يشفع عند الحكام بجعالة مثل الرسل عند الظلمة فدخلت امرأة عجوز حبس الوالى ولدها ، فقالت ياسيدى الشيخ اشفع لى فى ولدى ، فقال لها مامعك للفقراء ؟ فقالت سبعة أنصاف وعثمانى بعت بها غزلى اليوم ، فقال هذه ماتكففى فلا زال يشدد عليها حتى جاءته بربعة غزلى أخرى فأخذها فأعطاهها للنقيب وأخذ الفلوس لنفسه ، هذا أمر شهدته منه مع أنه بنى له مقصورة وجعل له سترًا وتابوتا فكل ذلك لعدم القظام على يد شيخ ناصح .

وقد سمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول عن هذا الرجل: لو أمكنني منع هذا الرجل من الجلوس بين الناس لفعلت لكونه جلوس بنفسه من غير إذن من شيخ وعمل على عقول بعض الأمراء وتجاهى علينا ، وقد عمل على عقل أكابر الدولة حتى صاحبنا الأمير محبي الدين مع كونه من دهي العالم ولكنه لما جمعته على سيدي علي الخواص قال له إن اجتمعت على ذلك الرجل فلا تعد تأتي أبدا فلم يجتمع به حتى مات .

فاسلك يا أخى الطريق على يد شيخ ثم اجلس لقضاء حوائج الناس بعد الفطام والله يتولى هناك :

وقد كان الشيخ جلال الدين المحلى شارح المنهاج رحمه الله يخدم جميع عجائز الحارة وشيوخها العاجزين ويشترى لهم الحوائج من السوق ، وربما سأله إنسان في حاجة فيترك التدريس ويقوم لحاجة ذلك السائل . وسألته عجوز مرة يشترى لها زيتا من السوق فقام من الدرس ، فقالوا له تترك الدرس لأجل عجوز؟ فقال نعم حاجتها مقدمة عليكم ، وكان أكثر ما يخرج لحوائج عجائز حارته حافيا ويقول الأصل في الأرض الطهارة ، وكان يخرج في الليلة المطيرة مشدودالوسط ويقول من له حاجة بنار أجمىء بها من القرن فيطوف على عجائز الحارة واحدا واحدا رضى الله عنه ، وقال للشيخ فخر الدين المقدسى والوجرى يوما حين قالوا له كيف تقدم شراء زيت حار أو مجيئك بالنار على تدريسنا العلم ؟ فقال لهما المدار على لإدخال السرور والححتاج يحصل له بقضاء حاجته من السرور أكثر مما يحصل لكما بتعليمكما العلم هكذا حكى لى الحاج جلال الدين بزدار الجوالى ؛ وكان قد صحب الشيخ جلال الدين سنين كثيرة قال : ورأيت مرة ينجز لعجوز فقلت له فى ذلك فقال قطعنا عمرنا فى الاشتغال بالعلم والآفات فيه كثيرة قل من ينجو منها وماروى أحد من العلماء بعد موته ، فقال غفر لى بعلمى أبدا إلا قليلا لما فيه من الآفات بخلاف مثل هذه الحوائج فر بما يغفر لنا بها والله تعالى أعلم .

وسمعت سيدي محمد بن عنان يقول: عندي أن النقيب الواقف فى حوائج فقراء الزاوية أكثر أجرا من المقيمين العاكفين على القراءة والذكر والعبادة لأنه لو لاسعجه عليهم لم يقدر أحد منهم على الجلوس لتلك العبادة بل كان يخرج يسعى على الرغيف قهرا عليه اه .

وكان سيدي خضر الذى كفانى يثما يخرجنى فى المطر ويعطينى جفنة ، ويقول املاها

نارا من القرن ودر على أهل الحارة واعرض عليهم من له بها حاجة ثم يقول يا ولدى إنما أقصد بذلك أن الله تعالى يقيض لك من يخدمك عند العجز مجازاة على فعلك هذا ، ثم يقول لى : أما رأيت يا ولدى بعض الشيوخ العاجزين عليه الخليلقات النظيفة وهو ضرير يقاد إلى المسجد لا يفوته صلاة في جماعة وهو مستغن عن سؤال الناس ؟ فأقول نعم ، فيقول : أما رأيت شيخا عليه فحفت خافي مكشوف الرأس وما عليه من الصلاة أبدا إذا فانت وهو دائر يسأل الناس جديدا نقرة فلا يعطونه ؟ فأقول نعم : فيقول هذا ضيع حقوق الله وحقوق عباده في صغره فضيعه الله في كبره وذاك وفي بحق الله وحق عباده في صغره فقيض الله تعالى له من يخدمه في كبره فلا تكاد ترى مخلوما قط في كبره إلا وقد خدم الناس في صغره اه .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وزاد الحافظ العبدري : « وَمَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى يُثْبِتَ لَهُ حَقَّهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ » .

قال الحافظ المنذرى : ولم أر هذه الزيادة في شيء من أصوله إنما رواها ابن أبي الدنيا والأصبهاني : وفي رواية لمسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم مرفوعا : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » .

وروى الطبراني وأبو الشيخ مرفوعا : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْرَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أَوْلَئِكَ الْأَمِينُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى أَقْوَامٍ نِعْمًا يُقْرَأُهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ النَّاسِ مَا لَمْ يَمْلُوكُوهُمْ فَإِذَا مَلَوْهُمْ نَقَلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ » .
وفي رواية لابن أبي الدنيا والطبراني :

« إِنْ لِيهِ تَعَالَى أَقْوَامًا اخْتَصَمَهُمُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ يُقرُّهُمْ فِيهَا مَا بَدَّلُوها ،
فَإِذَا مَنَعُوها نَزَعها مِنْهُم فَحَوَّلَها إِلَى غَيْرِهِمْ » .

وفي رواية للطبراني وابن أبي الدنيا وغيرهما مرفوعا :

« مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى عَبْدٍ إِلَّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ مُؤَانَةُ النَّاسِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ
تِلْكَ الْمُؤَانَةَ لِلنَّاسِ فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ » .

وفي رواية للطبراني بإسناد جيد مرفوعا :

« مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ
إِلَيْهِ فَتَتَبَّرَمَ ، فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ »

وروى الطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« مَنْ مَشَى فِي حَاجَةٍ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ ، وَمَنْ اعْتِكَفَ
يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجَّهَ اللَّهُ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقٍ كُلُّ خِنْدِاقٍ أَبْعَدَ
مَا بَيْنَ الْخَلَّاقَيْنِ » .

وروى أبو الشيخ بن حبان وغيره مرفوعا :

« مَنْ مَشَى فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ حَتَّى يُثَبِّتَهَا لَهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِخَمْسَةِ وَسَبْعِينَ
أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَدْعُونَ لَهُ ، إِنْ كَانَ صَبَاحًا حَتَّى يُمِيتَهُ ، وَإِنْ كَانَ
مَسَاءً حَتَّى يُصْبِحَ ، وَلَا يَرْفَعُ قَدَمًا إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً ، وَرَفَعَ لَهُ
بِهَا دَرَجَةً » .

وروى أبو داود في مراسيله : « أَنْ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَدِمُوا يُنْتَوْنَ عَلَى صَاحِبِهِمْ لَهُمْ خَيْرًا ، قَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ فُلَانٍ قَطُّ ، مَا كَانَ فِي
مَسِيرِ إِلَّا كَانَ فِي قِرَاءَةٍ ، وَلَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا إِلَّا كَانَ فِي صَلَاةٍ ، قَالَ : فَمَنْ كَانَ يَكْفِيهِ
ضَيْعَتُهُ ؟ حَتَّى ذَكَرَ : وَمَنْ كَانَ يَعْلَمُ جَمَلَهُ أَوْ دَابَّتَهُ ؟ قَالُوا : نَحْنُ ، قَالَ فَكُلُّكُمْ
خَيْرٌ مِنْهُ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ كَانَ وَصَلَةً لِأَخِيهِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَبْلَغٍ بَرٍّ أَوْ إِدْخَالٍ سُرُورٍ رَفَعَهُ اللَّهُ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ » .

وروى الطبراني بإسناد حسن وأبو الشيخ مرفوعا :

« مَنْ آتَى أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِمَا يُحِبُّ لَيْسَ لَهُ بِذَلِكَ مَرَّةٌ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروي أيضا مرفوعا : « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، كَسَوْتِ عَوْرَتَهُ أَوْ أَشْبَعْتِ جَوْعَتَهُ أَوْ قَضَيْتَ لَهُ حَاجَةً » .

والأحاديث في قضاء حوائج المسلمين كثيرة مشهورة :

وروى أبو داود مرفوعا : « مَنْ شَفَعَ شَفَاعَةً لِأَخِي فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا فَقَبِلَهَا فَقَدْ آتَى أَبَا عَظِيمٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّكْبَاتِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نستحي من الله حق الحياء سرا وجهرا حتى لا يكون لنا سريرة سيئة نخشى من ظهورها وفضيحتها لا في الدنيا ولا في الآخرة ونأمر جميع إخواننا بذلك :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح يسلك به حضرات القرب ويدخله حضرات الإحسان ، حتى لا يكاد يخرج منها إلا في النادر ، وهناك يكون شهوده للحق تعالى مستداما ، فتارة يرى أن الله يراه ، وتارة يؤمن بأنه جليس الله ، وإن كان يراه كالأعمى يعرف أنه جليس زيد وإن كان لا يراه ، ومن لم يسلك على يد شيخ فمن لازمه غالبا قلة الحياء مع الله تعالى حتى في صلواته :

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لا يبلغ أحد مقام الحياء مع الله تعالى حتى يتعطل كاتب الشمال فلا يجد شيئا يكتبه في حقه أبدا ، وحتى يصير لا يتجرأ على مد رجليه إلا إن استأذن الحق ، ولا يأكل شهوة إلا إن استأذن الحق ، ولا ينظر نظرة إلا إن استأذن الحق ، ولا يتكلم كلمة إلا إن استأذنه وهكذا ، هذا في الأمور العادية ، أما الأمور المشروعة فيكتفى فيها بالإذن العام :

وبالجملة فكل من وقع في شهوة كعصية أو مكروه ، فما استحي من الله حق الحياء المشروع .

وبلغنا أن سيدى إبراهيم بن أدهم مدرج له ليلة في الظلام ، فسمع قائلاً يقول :
يا إبراهيم ما هكذا تجالس الملوك فضم رجله ولم يمدّها إلى أن مات رحمه الله ؛
وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من استحي من الله استحيا الله منه
يوم القيامة أن يؤاخذ به ، ومن غضب إذا انتهكت حرّمت الله غضب الله إذا انتهكت له حرّمته
كذلك ، ومن لم يستح من الله لم يستح الله من عباده ، ومن لم يغضب لله تعالى لا يغضب
الله لأجله وهكذا ، فجازاته تعالى كالفرع في هذه الأمور وإن كان الأصل منه كما قال :
(فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) وكما قال : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ) .

وسألت شيخ الإسلام زكريا رحمه الله عن الفرق بين الحياء الشرعى والحياء الطبيعى
فقال : الفرق بينهما هو أن الحياء الشرعى يكون فيما أمر به الشارع أو نهى عنه فيستحى
من الله أن يترك مأمورا أو يقع فى منهى ، والحياء الطبيعى يكون فيما سكت عنه الشارع
من الأمور العادية ، كان يستحى أن يخرج بعامة لاثليق به أو يخرج إلى السوق بغير رداء
على كتفه ونحو ذلك : ومن الفرق أيضا أن يكون تقبيحه للأمر تبعا للشارع لا بحكم الطبع
كما يقع فيه غالب الناس فيقع فى الغيبة والنميمة ، ولا يستقبح ذلك ، ويستقبح أكل الشيء
المخدر أو شرب القهوة أو الجلوس على دكان حشاش ، مع أن ذلك أخف من إثم الغيبة
والنميمة بيقين ، ولو أنه مشى على الحياء للشرعى لاستقبح ما قبحه الشارع أكثر مما قبحه
الطبع اه فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه مرفوعا :

« الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ » .

وفى رواية للشيخين مرفوعا : « الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ » .

وفى رواية لمسلم : « الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ

فِي الْجَنَّةِ » .

وفى رواية للترمذى : « الْحَيَاءُ وَالْعِي شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ » والى قلة الكلام .

وروى الطبرانى وأبو الشيخ : « أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْحَيَاءُ مِنَ الدِّينِ ؟ فَقَالَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ » .

وروى الطبراني وغيره ورواه صحيح بهم في الصحيح مرفوعا :

« لَوْ كَانَ الْحَيَاءَ رَجُلًا لَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا » .

وروى مالك وابن ماجه مرفوعا : « إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ » .

وروى ابن ماجه والترمذى مرفوعا :

« وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ » .

وروى الحاكم وغيره وقال صحيح على شرط الشيخين مرفوعا :

« الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قَرَنَاءٌ جَمِيعًا ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ » .

وروى أبو الشيخ : « الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا حَيَاءَ فِيهِ » .

وروى الترمذى والطبراني موقوفا ومرفوعا :

« أُسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْأُسْتَحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَتَذْكَرَ الْمَوْتَ وَالْيَلْبِي ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحسن خلقنا مع الناس

ما استطعنا ، ونرغب جميع إخواننا في ذلك :

ويحتاج العامل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح حتى تلتطف كذاثفه ويخرجه من درجات الجفاء إلى درجات حسن الخلق ، ومن لم يسلك على يد شيخ فن لازمه غالبا سوء الخلق إلا أن تحفه العناية من الأزل ، فمثل هذا لا يحتاج إلى شيخ في ذلك إن شاء الله . وقد بلغنا أن الإمام الشافعي رضى الله عنه كان مشهورا بحسن الخلق ، فعمل الحسنة على إغضابه ، فلم يقدرُوا فبرطوا الخياط مرة أن يعمل له الكم المين ضيقا جدا لا يخرج يده منه إلا بعسر ويعمل اليسار كالمخرج ، فلما رآه الإمام قال له جزاك الله خيرا ، الذى ضيقت كفى المين لأجل الكتابة ولم تحوجنى إلى تشميره ، ووسعت اليسار لأهل فيه الكتب ، مع أنه كان يقول رضى الله عنه : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان ، فيحمل قوله هذا على غضبه لله تعالى ، ويحمل عدم غضبه على غضبه لحظ نفسه ، فالسكمل على الأخلاق الإلهية والله تعالى يغضب لغيره ولا يغضب لنفسه ، فلو انتقم تعالى لنفسه لأهلك الخلق كلهم في لحظة فافهم :

وبلغنا أنهم صبوا مرة على الجنيد غسالة سمك وهو خارج لصلاة الجمعة فعمته من
جنته إلى ذيله ، فضحك وقال : من استحق النار فصولح بالماء لا ينبغي له الغضب ، ثم
عاد إلى البيت واستعار ثوب زوجته فصلى فيه :

وكان السلف الصالح رضى الله عنهم كلهم يقولون : الدرجات هى الخلق الحسن ،
فن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الدرجات ، وكانوا إذا آذاهم إنسان يعتذرون إليه
ويقولون : نحن الظالمون عليك ، ولو أنا أطعناك فيما طلبته منا ما آذيتنا فاللوم علينا لا عليك
وكانوا إذا بلغهم عن امرأة أو عبد سوء خلق تزوجوها أو اشتروا العبد وصبروا على سوء
خلقهما ، وكذلك كانوا يشترون الحماره أو البغلة الحرون فيركبونها ولا يضربونها يروضون
نفوسهم فى الصبر عليها ، وكان على هذا القدم سيدى أفضل الدين رحمه الله ، فكان
لا يجرى رجله على الحماره أبدا إذا ركبها ، ويحتاج مثل ذلك إلى طول روح عظيمة لاسيا
الحديد المرارة :

وقد رأيت مرة شخصا نحيرا ضرب حمارته فلم تمش ، فنزل وصار بعضها فى أذنها
وذنها بغمه ، ويقول هيه يامشومة هيه يامشومة ، كأنه يخاطب من يعقل .

وقد رأيت مرة شخصا انقطع الجحش من وراء حمارته ، فقال له طرش طرش فلم
يجى ، فقال له ياسيدى قطب الدين ياسيدى قطب الدين فلم يجىء فنزل وضربه فمات
فى الحال ، وقال لاتيىء بقولى طرش ولا بقولى ياسيدى قطب الدين ، فأقول
جزاؤك الموت .

ورأيت مرة شخصا علق بقرته يطحن عليها لما ضعفت ثوره فلم تدر فى الطاحون
فضربها فلم تدر ، فقال قفى لى أنا أعرف أن نفسك كبيرة لأجل الشوية السمن التى حوشتها
من لبنك ، ثم ذهب وأتى بالقدرة السمن فكسرها فى مدار الطاحون ، وقال بقيتى
تتكبرى نفسك بايش ، ثم ضربها بمرزبة فماتت . والحكايات فى سوء الخلق كثيرة ،
وإنما ذكرت بعض ذلك لتعلم أن الواجب على كل مؤمن أن يروض نفسه ليصبر على تحمل
أذى الناس والدواب ولا يخرج لى طبع المجانين ، فإن حكم هؤلاء الذين ذكرناهم حكم
المجانين بلا شك ، فلم أن من أعظم حسن الخلق صبرك على من تقدر على تنفيذ غضبك
فيه ثم تركه كزوجتك وفتاك .

وقد كان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : لى مع ابنة عمى سبع وخمسون سنة
ماأظن أننا بقنا ليلة واحدة صلحاء إلى يومنا هذا .

وحكى عن الشيخ جلال الدين شارح المنهاج أنه كان له فقى قوى الرس كثير اللعب
فكان الشيخ يذهب إلى القرن بخبز ويمر عليه وهو يلعب فيقف عليه وهو حامل طبق
الخبز ويقول وبلك قم تعال كل من هذا الخبز السخن فلا يقوم له فيذهب الشيخ إلى
البيت ويرجع له ثانى مرة يطلبه للغداء رضى الله تعالى عنه ، وكذلك من أعظم حسن
الخلق أن تغفر وتسامح لمن آذاك من الناس عملا بقوله تعالى :
(وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) .

وكذلك من أعظم حسن الخلق أن يكون الإنسان نفاعا للناس ومع ذلك يذمونه
ويتقصونه فلا يمنعه ذلك من النفع لهم ، وذلك كالتقيب الفقراء وناظر وفقههم فإن من
لازمهم غالبا ذم الفقراء لها وحملهما على محامل سيئة ، وإن جميع ما يصل إليهم إنما هو
فضلة التقيب والناظر .

وقد كان الشيخ بدر الدين بن دنيا شيخ نقباء سيدي الشيخ أبى السعود بن أبى العشار
يعمل الطعام الفاخر من عنده للفقراء والزوار ، ويقول شخص خرج لكم عن هذا الطعام
ويوهمهم أن ذلك من غيره ثم يسمعهم يقعون فى عرضه ويقولون هذا لا يأتينا إلا بما فضل
عنه ومع ذلك فلا يصده ذلك عن الإحسان إليهم ، بل يفرح ويقول العبد لا يعامل إلا الله
وأما الخلق فغاليس ليس معهم شىء يأخذه منهم يوم القيامة ، وقد حكيت ذلك لسيدي
على الخواص فقال هذا من أعظم أخلاق الرجال فاعلم ذلك واعمل عليه والله
يتولى هداك :

وروى مسلم والترمذى : « أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِيمَانِ
فَقَالَ الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِيمَانُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ : أَيْ تَرَدَّدَ وَكَرِهَتْ أَنْ يَطَّلَعَ
عَلَيْهِ النَّاسُ » .

وروى الشيخان والترمذى : « عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ لَمَّا يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَكَانَ يَقُولُ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنُكُمْ
خُلُقًا » .

وروى الترمذى وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :
« مَا شَىْءٌ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ يَبْفِضُ
الْفَاحِشَ الْبَدِيءِ » .

أى المتكلم بالفحش وبدى الكلام : وفى رواية للبخارى :
« وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ » .
وروى الترمذى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى :
« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ؟
فَقَالَ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ » .

وروى الأمدى والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :
« إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانَنَا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا وَأَلَطُهُمْ بِأَهْلِهِ » .
وروى أبو داود وابن حبان فى صحيحه والحاكم مرفوعا :
« إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » .
ولفظ الطبرانى : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ بِاللَّيْلِ
الظَّامِي بِأَهْوَايِهِ » .

وفى رواية له أيضا : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ
وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ » .

وروى الإمام أحمد والطبرانى مرفوعا : « إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدَّدَ لَيُدْرِكُ دَرَجَةَ الصَّوَامِ
الْقَوَامِ بِآيَاتِ اللَّهِ بِحُسْنِ خُلُقِهِ وَكَرَمِ ضَرْبَتِهِ » والضريبة الطبيعية وزنا ومعنى .
وروى ابن أبى الدنيا مرسلا : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَيْسَرِ الْعِبَادَةِ وَأَهْوَنِهَا عَلَى الْبَدَنِ ؟
الصَّمْتُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » .

وروى ابن حبان فى صحيحه مرفوعا :
« كَرَّمَ الْمُؤْمِنِ دِينَهُ وَمَرُوءَتَهُ عَقْلَهُ وَحَسْبَهُ خُلُقُهُ » .
وروى ابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« لَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ » .

وروى محمد بن نصر المروزي مرسلًا :

« أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ حُسْنُ الْخُلُقِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ ثَمَانِيًا وَثَلَاثًا وَهُوَ يَقُولُ لَهُ حُسْنُ الْخُلُقِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ لَهُ مَا لَكَ لَا تَفْقَهُ : حُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ أَنْ لَا تَغْضَبَ إِنْ اسْتَطَعْتَ » .

وروى الترمذي وقال حديث حسن : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا » .

وروى الطبراني مرفوعًا : « عَنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ : إِنَّ هَذَا دِينٌ أَرْتَضِيهِ لِنَفْسِي ؛ وَلَنْ يُصْلِحَ لَهُ إِلَّا السَّخَاهُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ فَأَكْرَمُوهُ بِهِمَا مَا صَحِبْتُمُوهُ » .

وروى الطبراني مرفوعًا : « أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا خَلِيلِي حَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ تَدْخُلِ الْجَنَّةَ مَعَ الْأَبْرَارِ ، وَإِنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِنَّ حَسَنَ خُلُقِهِ أَنْ أُظْلَهُ تَحْتَ عَرْشِي ، وَأَنْ أَسْقِيَهُ مِنْ حَضِيرَةِ قُدْسِي ، وَأَنْ أُذَرِيَهُ مِنْ جِوَارِي » .

وروى البزارى وابن حبان فى صحيحه مرفوعًا :

« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » .

وروى الترمذى وقال حسن صحيح مرفوعًا :

« إِنَّقِ اللَّهُ حَيْثَمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَّجْهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ » .

وروى الإمام أحمد ورواته ثقات : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ

اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خُلُقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي » .

وروى الطبراني والبزار : « أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ : الْمَرْأَةُ يَكُونُ لَهَا

رَوَّجَانِ ثُمَّ تَمُوتُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ هِيَ وَرَوَّجَاهَا لِأَيِّمَا تَسْكُونُ لِلأَوَّلِ أَوْ الآخِرِ؟ قَالَ تَخَيَّرُ أَحْسَنَهُمَا خُلُقًا كَانَ مَعَهَا فِي الدُّنْيَا يَسْكُونُ مَعَهَا فِي الْجَنَّةِ ، يَا أُمَّ حَبِيبَةَ ذَهَبَ حُسْنُ الخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالأَجْرَةِ .

وروى أبو يعلى والبخاري من طرق أحدها حسن مرفوعا :

« إِنَّكُمْ أَنْ تَسْعَوْا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الوَجْهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ » ، وفي رواية : « إِنَّكُمْ أَنْ تَسْعَوْا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نروض نفوسنا على مراقبة الله عز وجل حتى نرفق بخلق الله ونتأني في تحصيل ما نطلبه ونحلم على من خالفنا وعصانا وأذانا ، وهذا العهد من أكمل أخلاق الرجال وقليل فاعله ، ومن تخلق به ذوقا لم يصر عنده غلظة ولا فظاظة لاعلى من أمره الله بالإغلاظ عليهم كالإكفار ، وكذلك من تخلق به لم يتكدر ممن أبطأ في قضاء الحاجة أبدا لأن الرسول لم يبطأ بها وإنما أبطأ بها وقتها المضروب لها في علم الله ، وكذلك من تخلق به لا يقابل أحدا آذاه بنظير فعله أبدا ، ولو أن جاريتته رمت ولده في نار فمات لم يقابلها ولا بكلمة تغيفها ، بل ربما أعتقها تماما للحلم . وكان سيدي إبراهيم المتبولي يعامل الجهاد معاملة الحى ، فيضع الاناء برفق ويأخذ به برفق ، ويندبج الطائر برفق وينشر الخشب برفق ، ويصعد على ظهر الدابة برفق ، ويهزم إذا نزل عنها برفق لأجل الأرض ويقول : إن الأرض أمنا .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يصبر معه على المجاهدة والرياضة حتى يدخله حضرات الأسماء الإلهية ، فينصبغ في حضرة الرحيم والحليم والصبور ، ويصبر لا يتسكف لرفق ولا حلم ولا صبر كما لا يتكلف لدخول النفس ونحروجه من خياشيمه ، ومن لم يسلك فن لازمه الإخلال بهذا العهد ويدرك في نفسه مشقة وتعبا : فاسلك يا أخى على يد شيخ إن أردت العمل بهذا العهد ، والله يتولى هداك .

وروى الشيخان مرفوعا : « إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الأَمْرِ سَكَنٌ » .

وفي رواية لمسلم مرفوعا : « إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَسْكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ » .

وروى مسلم وأبو داود مرفوعا : « مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ » .
وروى الطبراني مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيَرْضَاهُ وَيُعِينُ عَلَيْهِ
مَلَأَ يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ » .

وروى البزار وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ » .

وروى أبو الشيخ مرفوعا : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْرِكُ بِالْجَلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » .

وروى الأصبهاني مرفوعا : « وَجَبَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ أَغْضِبَ فَحَلَمَ » .

وروى أبو الشيخ عن ابن مسعود قَالَ : « كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .
والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نعوذ نفوسنا طيب

الكلام وطلاقة الوجه لكل مسلم من عدو وصديق .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يدخل به الحضرات الإلهية ، فيشاهده محاسن الوجود ويحجبه عن مساويه إذ المحاسن هي الأصل والمساوي عارضة عرضت من حيث الأحكام الشرعية لا غير ، فإذا شهد تلك المشاهد صار يخاطب من الخلق السر القائم بهياكلهم لاهم ، ومن كان يخاطب سر الله تعالى فسكانه يخاطب الله ، ومن كان هذا مشهده رزق من طيب الكلام وطلاقة الوجه ما لا يقدر قدره وجنبه الله كل كلام جاف :

وقد كان سيدي أحمد بن الرفاعي إذا أتى خنزيرا أو كلبا قال أنعم صباحا ، فقيل له

في ذلك ؟ فقال أعود نفسي الكلام الطيب ، وكان يخبر أن ذلك كان من خلق السيد عيسى عليه السلام .

قال : ومر الحواريون يوما على كلب ميت فقالوا ما أشد نين ريحه ياروح الله ! فقال

هلا قلم ما أشد بياض أسنانه اه .

فعلم أن من لم يسلك على يد شيخ كما ذكرنا فمن لازمه غالبا الكلام الجاف للناس لاسيما

أصحاب الموازين على ظاهر الشرع ، فإنهم يزدرون ويمتقرون كل من خالفت ما فهموه
ويعلظون عليه الكلام ، إلا إن كان له مال أو جاه كما هو مشاهد منهم حال خطابهم
الأمراء والمباشرين مع علمهم بمظالمهم وشربهم الخمر وتضييع الصلوات وغير ذلك ،
فيتلطفون بهم في حال خطابهم أشد الملاطفة بخلاف من لا مال له ولا جاه من الخشاشين
وأصحاب السكتب ، ولو فتح الله عيون بصائر هؤلاء لتلطفوا في كلامهم لسائر المسلمين ،
فإن ذلك أقرب إلى انقيادهم لهم وسماع وعظهم :

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من شرط الداعي إلى الله تعالى أن
لا يكون عنده غلظة ولا فظاظة على الفسقة المارقين ، بل يجب عليه تليين الكلام والتقرب
إلى خواطريهم بالإحسان إليهم ، حتى يميلوا إليه ، فإذا أوالوا فليتنصحهم إذ ذاك :

وقد بلغنا أن داود عليه السلام كان يغلظ القول على عصاة بني إسرائيل ، حتى أنه
ربما يقول : اللهم لا ترحم من عصاك ، فلما وقع في الخطيئة التي ذكرها الله تعالى صار يقول :
اللهم اغفر للخطائين حتى تغفر لداود معهم ، ثم أوحى الله تعالى إليه يا داود المستقيم لا يحتاج
إليك والأعرج أغلظت عليه بالقول حتى نفر منك ونفرت منه فلماذا أرسلت ، فتنبه
داود لذلك وصار يطوف على بني إسرائيل في بيوتهم ويكلمهم بالكلام اللين ويعظهم
بالموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن .

قلت : وقد أنهلت مرة من سفر الريف على خان بنات الخطأ فرأيت صاحبة حملة
مهر الهيايا فسلمت عليها وكلمتها بكلام لين وعرضت لها بالتوبة فتأبى ، وجاءت بزوجها
فتاب الآخر من تلك المعصية حتى ماتا .

وكلمت مرة يهوديا بكلام حلو فأسلم وحسن إسلامه ، ثم سافر إلى بيت المقدس فعمل
خادما فيه حتى مات .

وسأني في عهود المنهيات أن جماعة من الفسقة مروا في زورق في الدجلة على معروف
الكرخي وبين أيديهم الخمر وآلات اللهو ، فقالوا له ياسيدي ادع الله تعالى عليهم ،
فقال أبسطوا أيديكم معي ، فبسطوها فقال معروف اللهم كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في
الآخرة ، فقالوا له كيف ذلك ؟ فقال : يا أولادي إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في
الدنيا فطوبينا لهم التوبة في الدعاء .

قال شيخنا شيخ الإسلام زكريا في شرح رسالة القشيري ، وهذا من معروف غاية السياسة وغاية اللطافة اه :

وكثيرا ما كتبت لليهود والنصارى أصحاب المكوس والمظالم في تخفيف المظالم عن المسلمين وأقول في كتابي لهم أسأل الله للمعلم فلان أن يرضى عنه ويدخله الجنة مع الصديقين والشهداء والصالحين ، وأضمر له سؤال التوبة من الكفر ليصح دخوله الجنة ، وربما أنكر ذلك من لا علم له بطرق السياسة ، فإني أعلم أني لو قلت له أسأل الله للمعلم أن يتوفاه على الإسلام لنفر خاطره مني ولم يقبل شفاعتي ، كما ينفر المسلم من قول أحد له أسأل الله أن يميت البعيد على غير الإسلام ، قال تعالى :

(وَكَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ) .

فاعرف يا أخى طرق السياسة وعود نفسك طيب الكلام ، فإنه أحسن سواء كان المخاطب صالحا أو طالحا :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى مسلم مرفوعا : « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تَلَقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ » .

وروى ابن أبي الدنيا مرسلا : « إِنْ مِنَ الصَّدَقَةِ أَنْ تُسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ وَأَنْتَ طَلِيقُ الْوَجْهِ » .

وفي رواية للإمام أحمد والترمذي مرفوعا :

« كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ، وَإِنْ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلَقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِيَّاهُ أَخِيكَ » .

وروى الترمذي مرفوعا وحسنه وابن جبان في صحيحه :

« تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَكَ صَدَقَةٌ » الحديث .

وفي رواية لأبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم مرفوعا :

« لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ ،

وَلَمَّا امْرُؤٌ شَتَمَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تَشْتُمُهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ فَإِنَّ أَجْرَهُ لَكَ وَوَبَّالَهُ
كَلَى مَنْ قَالَهُ .

وفي رواية للنسائي مرفوعا : « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تَهَبَ وَصَلَّةَ
الْحَبْلِ ، وَلَوْ أَنَّ تُؤْنِسَ الْوَحْشَانَ بِنَفْسِكَ » .

وروي الشيخان مرفوعا : « الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ » .

وروي الطبراني والحاكم مرفوعا : « مُوجِبُ الْجَنَّةِ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَإِنْشَاءُ السَّلَامِ
وَحُسْنُ الْكَلَامِ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نفشى السلام بيننا على
العدو والصادق من المسلمين بل العدو أولى بالسلام ، وكان من يسلم يقول لعدوه أنت في
أمان مني أن أؤذيك أو أسعى في ضررك ، ومعنى السلام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، أنت يا رسول الله في أمان مني أن أخالفت شرعك ، فكان المسلم عليه يقر
عينه صلى الله عليه وسلم بذلك ، وإلا فالأكابر من الناس كالسلطان آمنون من شر
الأصاغر فليفهم :

اعلم أن الأكابر لا يهجرون أحدا إلا لمصلحة فهم يترون السلام عليه تقيحا لصنيعه
وهم في الباطن يحبونه محبة أهل الاسلام لبعضهم بعضا ، فحكهم كالطفل مع والدته
تخوفه بالبعوة والقطربة ليرجع عن الفعل الرديء خوفا أن يتربى عليه وهي راحمة له في
الباطن محبة له ، وربما نخسته بالإبرة في يده حتى يخرج دمه ، فإياك أن تظن بهم أنهم
تركوا السلام أو البشاشة لانسان لحظ نفوسهم .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا مرت على عدوك فسلم عليه
واجهر له بالسلام ، بحيث تصدع قلبه إن كنت تعلم من دينه أنه يغلب نفسه ويرد عليك
السلام ، وإلا فترك السلام عليه أولى لثلاث توقعه في معصية بترك الرد الذي هو واجب ،
وهو منزع دقيق فليتأمل :

وسمعت مرة أخرى يقول : البداة بالسلام سنة ، وهي أكثر ثوابا من الرد ، وإن
كان واجبا ، لاسيما بين المتشاحنين ، فإن المهادرة لزوال الشحناء واجبة ، والسلام طريق

إليها ، وهو مستثنى من قاعدة أن ثواب الواجب أفضل من ثواب السنة ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في عهود المشايخ فراجعها إن شئت والله أعلم :

وروى الشيخان وغيرهما : « أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ الْإِسْلَامَ خَيْرٌ؟ قَالَ تَطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتُقْرِئُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ »
وروى مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه : « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمْوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » .

وروى البزار بإسناد جيد مرفوعا : « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاهُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ : الْبَغْضَاءُ وَالْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَيْسَتْ حَالِقَةُ الشَّعْرِ وَلَكِنْ حَالِقَةُ الدِّينِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ لَكُمْ ذَلِكَ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ يُصَفِّينَ لَكَ وَدَّ أُخِيكَ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيْتَهُ وَتَوَسَّعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ » .

وروى الترمذي وقال حسن صحيح مرفوعا : « أَفَشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » .

وروى الطبراني بإسناد جيد : عَنْ أَبِي سَبْرَةَ قَالَ : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُنِّي عَلَى سَعَلٍ يَدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، قَالَ : إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَدَلُ السَّلَامِ ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ فَذَكَرَ مِنْهَا رَدُّ السَّلَامِ » .

وروى الطبراني عن الأغر أغر مزينة قال : كنا إذا طلع الرجل من بعيد بادرناه بالسلام قبل أن يسلم علينا :

وروى أبو داود والترمذى وغيرها مرفوعا : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ
بِالسَّلَامِ » .

وفي رواية : « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ ، قَالَ :
أَوْلَاهُمَا بِاللَّهِ تَعَالَى » .

وروى البزار وابن حبان في صحيحه مرفوعا : « يُسَلِّمُ الرَّكِيبُ عَلَى الْمَاشِيِ وَالْمَاشِيِ
عَلَى الْقَاعِدِ وَالْمَاشِيَانِ أَيُّهُمَا بَدَأَ فَهُوَ أَفْضَلُ » .

وروى الطبرانى بإسناد حسن عن أنس قال : كنا إذا كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففرق بيننا شجرة فإذا التقينا نسلم على بعضنا بعضا :

وروى أبو داود والترمذى والنسائى مرفوعا : « إِذَا أُنْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ
فَلَيْسَلِّمْ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلَيْسَلِّمْ فَلَيْسَتْ الْوَلَى أَحَقُّ مِنَ الْآخِرَةِ » .

وزاد رزين العبدري : « وَمَنْ سَلَّمَ عَلَى قَوْمٍ حِينَ يَقُومُ عَنْهُمْ كَانَ شَرِيكُهُمْ فِيهَا
حَاضِرًا مِنَ الْخَيْرِ بَعْدَهُ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « حَقُّ عَلَى كُلِّ مَنْ قَامَ عَلَى جَمَاعَةٍ
أَنْ يُسَلِّمْ » .

وروى أبو داود والترمذى والنسائى والبيهقى : « أَنْ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَشْرُونَ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَجَلَسَ فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشْرُونَ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ
وَبَرَكَاتُهُ فَرَدَّ فَجَلَسَ فَقَالَ ثَلَاثُونَ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَةُ
اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ ، فَقَالَ أَرْبَعُونَ ، قَالَ هَكَذَا تَسْكُونُ الْفَضَائِلُ »
والله تعالى أعلم .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصافح إخواننا عند

اللقاء ، ولا نترك ذلك إلا للضرورة ، كأن لم يرض من مصافحه - أن يصافحنا لفخامته
كالباشات والدفتردار ونحوها أو لجهل وغلبة كجند السلطان وجبيلة الوالى ونحوهم ،
وكان ذلك من خلق أخى أبى العباس الحرثى رحمه الله ومن خلق والده كان لا يسلم عليهما
أحد إلا صافحاه فهداهما اقتده .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الحكمة فى المصافحة استجلاب الود
والتعاضد كان كلا منهما يقول لصاحبه أنا معك فى جميع ما تريد من الخير فإن صورة
المصافحة صورة العهد :

« وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُصَافِحُ أَحَدًا إِلَّا وَيَشُدُّ عَلَى يَدِهِ فَيُشَا بِكُهُ »

إشارة لقوة التلازم اه فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى أبو داود والترمذى مرفوعا : « تَامِنُ مُسْلِمِينَ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافِحَانِ إِلَّا غُفِرَ
لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا » .

وفى رواية للطبرانى مرفوعا : « إِنْ الْمُسْلِمَيْنِ إِذَا التَّقِيَا وَتَصَافِحَا وَضَحِكَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ لَا يُنْعَلَانِ ذَلِكَ إِلَّا لِلَّهِ ، لَمْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى
يُغْفَرَ لَهُمَا » . . .

وفى رواية للإمام أحمد والبخارى وأبى يعلى مرفوعا :

« تَامِنُ مُسْلِمَيْنِ التَّقِيَا فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
أَنْ يَحْضُرَ دُعَاؤُهُمَا ، وَلَا يُفَرِّقَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى يَغْفَرَ لَهُمَا » .

ومعنى يحضر دعاءهما ، يجيبه ، وإلا فالحق تعالى حاضر على الدوام .

وروى الطبرانى عن أنس قال : كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إذا تلاقوا

تصافحوا ، وإذا قدموا من سفر تعانقوا :

وفى رواية له مرفوعا « إِنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا لَقِيَ الْمُؤْمِنُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ بِيَدِهِ يُصَافِحُهُ
تَنَافَرَتْ خَطَايَاهُمَا كَمَا يَتَنَافَرُ وَرَقُّ الشَّجَرِ » .

وروى الترمذى مرفوعا : « إِنْ مِنْ تَمَامِ التَّحِيَّةِ الْأَخْذُ بِالْيَدِ » .

وروى أبو داود « أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ أَبَا ذَرٍّ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَافِحُكُمْ إِذَا لَقَيْتُمُوهُ ؟ قَالَ مَا لَقَيْتُهُ قَطُّ إِلَّا صَافِحَنِي ، وَأُرْسِلَ إِلَيَّ ذَاتَ يَوْمٍ وَلَمْ أَكُنْ فِي أَهْلِي فَجِئْتُ فَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ فَأَلْتَزَمَنِي فَكَانَتْ تِلْكَ أَجْوَدَ وَأَجْوَدَ » .

وقد روى مالك معضلا وأسند من طرق ولكن فيها مقال مرفوعا :

« تَصَافِحُوا يَذْهَبُ الْغِلُّ وَتَهَادُوا تَحَابُّوا وَتَذْهَبُ الشَّحَنَاءُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب لإخواننا في العزلة عن الناس لإذالم يأمنوا على أنفسهم عند الاختلاط ، فإن أمنوا عليها فالمستحب الاختلاط على أصل قاعدة المسلمين في دينهم .

وقد أجمع الأشياخ على أنه ليس للكامل الهروب من الناس لعدم الخوف عليهم من الإشتغال بالخلق عن الله تعالى ، وأما من خاف مع دعوى الكمال فدعواه الكمال زور وبهتان فهو إما شخص جلس بنفسه من غير فطام على يد شيخ ، وإما أن شيخه مقتر كذاب لا يصلح لأن يكون أستاذا كما هو الغالب في أهل هذا الزمان ، حين فقدت الأشياخ الذين آخرهم في مصر سيدى على المرصنى رضى الله عنه ، فصار كل من سولت له نفسه أن يكون شيخا جمع له بعض ناس من العوام وجلسوا يذكرون الله تعالى صباحا ومساء بغير آداب الذكر المشهورة عند القوم وظن في نفسه أنه صار شيخا مثل المشايخ الماضين ، مع أنه لا يصلح أن يكون مريدا كما بسطنا الكلام على ذلك في رسالة قواعد الصوفية ، وهو كتاب من طالع فيه علم بأنه ما صنف في الطريق مثله وحكم على نفسه أنه لم يشم طريق الارادة وقد رأيت كثيرا ممن أذن لهم أشياخهم بالتربية عادوا أشياخهم وهجروهم وادعوا أنهم أعلم بالطريق منهم ففتوا ولم ينتج على يدهم أحد ، وكل ذلك لوقوع الإذن لهم من أشياخهم قول نحو د نار بشرتهم فكان اللوم على الأشياخ لا عليهم :

وقد كان سيدى على المرصنى عزيز الإذن في المشيخة إلا أن يأتيه إذن بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فلما مات انحل نظام الطريق في مصر وقرأها ، وما ظهر بعده أحد حلوا سوى الأخ الصالح سيدى أبى العباس الحرثى رحمه الله .

وكان يحكى عن سيدى يوسف العجمى أنه لما أراد الله تعالى أن ينقله من بلاد المعجم سمع قائلا يقول يا يوسف اذهب إلى مصر انفع الناس ، فقال شيطان ثم ناداه ثانيا فقال

شيطان ، ثم ناداه ثالثا فقال شيطان ، فلما ناداه الرابعة قال اللهم إن كان هذا وارد حق من جهتك فأقلب لي هذا النهر لبنا حتى أغرف منه بقصعتي هذه ، فانقلب النهر لبنا وشرب منه فعلم أنه وارد حق فلما دخل مصر وجد أخاه الشيخ حسنا التستري سبقه إلى مصر ولكنه لم يتصدر للمشيخة ، فقال له يوسف يا حسن الطريق لواحد لأنها على الأخلاق الإلهية فلما أن أبرز وتكون وزيرى وخادمى وإما أن تبرز وأكون وزيرك وخادمك ، فرد الشيخ حسن الأمر لسيدى يوسف فبرز وصار سيدى حسن يخدمه إلى أن مات ، فبرز سيدى حسن بعده بإذنه له في حياته فأظهر في الطريق العجائب والغرائب ونزلت له الملوك والأمراء فلم تزل الحسدة يلقون فيه إلى السلطان الكلام القبيح لينفروه عنه حتى امتنع من زيارته وأمر بسد باب زاويته عليه ، وكان الشيخ والفقراء غائبين في وليمة فلما رجعوا آخر النهار وجدوا باب الزاوية مسدودا ، فقال الشيخ من فعل هذا فقالوا الوزير ، فقال : ونحن نسد طيقاته بدهن فعمى وطرش وخرس وانكتم من المخرجين فمات لوقته فبلغ السلطان ذلك وقالوا إن هذا الأمر ما كان إلا لمولانا السلطان والوزير حمله عنه فنزل السلطان ثانيا لزيارته واستغفر مما صدر منه واعتذر منه ، وكان اسمه السلطان شعبان ابن السلطان حسن ، هذه حكاية سيدى على المرصفي رحمه الله : وأخبرني مرة بأن شيخه سيدى محمدا ابن أخت سيدى مدين كان عزيز الإذن فقال لي يا على أبرز فقد جاءك الأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلت يده ، ولم أبرز خوفا أن يكون ذلك من مكر الأشياخ بالمريد كما وقع لغيري ومراد الشيخ أذن لك رسول الله أن تبرز للصحراء ونحوها بالإذن العام قال : فكشيت حتى جاءني الأمر من الله تعالى فبرزت حينئذ وجلست في بلدى مرصفة فلقنت نحو العشرة آلاف فقير ، فجاءني الشيخ عبد القادر الدشوطي وقال يا على قم اخرج سح في الأرض وخل هذا التقييد ، فقلت له اللائق بي ما أنا فيه واللائق بك ما أنت فيه فانصرف .

وقال لي مرة : يا ولدى لا يصبح الإذن لفقير من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع مائتي ألف مقام وسبعة وأربعين ألف مقام رضى الله تعالى عنه :
فاسلك يا أخى على يد شيخ لتعرف الطريق ومخارصها ومهالكها وتصير إن اعتزلت تكون عزلتك بحق وإن خالطت تكون مخالطتك بحق .
وإلا فن لازمك الهوى وحظ النفس قربا أو بعدا لأنك إن قربت منهم كان لعله

دنيوية ، وإن بعدت منهم كان لسوء ظنك بهم وحب التميز عليهم كما هو مشاهد ، وأقل مراتب الشيخ إذا ظهر أن يكون أعبد من سائر مريديه وأعلم منهم وأزهد منهم وأورع منهم وأخوف من الله ، فلا تجد أتعب قلبا ولا بدنا من الشيخ إذا نصح في الطريق . وأما إذا غش نفسه وأتباعه فهو من حزب إبليس ، فإنه متى رأى المرید أنه أعلم أو أعبد من للشيخ عدم النفع به .

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى مسلم عن عامر بن سعد قال : كان سعد بن أبي وقاص في إبله ، فجاء ابنه عمر فلما رآه سعد قال أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فنزل فقال له أنزلت في إبلك وتركت الناس يتنازعون الملك ، فضر به سعد في صدره فقال اسكت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ النَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَلْفِيَّ » .

قال الحافظ : والمراد بالغنى غنى النفس وهو القانع بما قسم له :

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا « أَنَّ رَجُلًا قَالَ : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ » .

وفي رواية : « يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » .

وفي رواية للمالك والبخاري وأبي داود وغيرهم مرفوعا :

« يُؤَشِّكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمًا يَتَّبَعُ بِهَا سَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ » وسعف الجبال : أعلاها ورءوسها .

وروى الإمام أحمد والطبراني وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه واللفظ له عن معاذ

ابن جبل قال :

« مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ عَادَ مَرِيضًا كَانَ ضَامِنًا

عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَى إِمَامٍ يُعْزِرُهُ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ

لَمْ يَغْتَسِبْ إِنْسَانًا كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ » .

وفي رواية : « وَمَنْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَسَلِمَ النَّاسُ مِنْهُ ، وَسَلِمَ مِنَ النَّاسِ قَلَهُ الْجَنَّةَ » .

وفي رواية لابن أبي الدنيا مرفوعا : « أُعْجِبُ النَّاسَ إِلَى رَجُلٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيُتَمَّرُ مَالَهُ وَيَحْفَظُ دِينَهُ وَيَمْتَرِلُ النَّاسَ » .
وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ وَحَسَنَ إِسْنَادَهُ مَرْفُوعًا : « طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ » ،

وروى الترمذى عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ وَأَبِكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ » ،
وروى أبو داود مرفوعا : « إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَائِي ، وَالْمَائِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : كُونُوا أَحْلَاسَ بِيُوتِكُمْ » .

قال في الصحاح : والحلاس هو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، يعنى الزموا بيوتكم في الفتن كلزوم الحلاس لظهر الدابة .
وروى أبو داود والنسائي بإسناد حسن مرفوعا :

« إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَكَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَمَلِي اللَّهِ فِدَاكَ ؟ قَالَ أَلْزِمْ بَيْتَكَ وَأَبِكْ عَلَى نَفْسِكَ ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكَرُ ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةٍ نَفْسِكَ ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ ، وَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ » .
وقوله مرجت : أى فسدت ، وقوله وخفت أماناتهم : أى قلت ، مأخوذ من قولهم خفت القوم أى قلوا .

وروى البيهقي مرفوعا : « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسْلَمُ لِلدِّينِ دِينُهُ إِلَّا مَنْ هَرَبَ بِدِينِهِ مِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ ، وَمِنْ جُجْرٍ إِلَى جُجْرٍ » الحديث .

وروى الطبراني وغيره مرفوعاً: « مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْتَنَةً وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَذَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ندفع غضبنا ونكظم غيظنا ، ونأمر بذلك جميع إخواننا ، وإذا غضب أحدنا وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع ، فإن لم يزل فليتوضأ .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق يدخله إلى حضرة الرضا بكل واقع في الوجود وبطريقه الشرعي ، فلا يبقى عنده شيء يغضبه لأنه فعل حكيم عليم ، وما ترك الناس يغضبون إلا حجابهم عن شهود أن الله هو الفاعل لكل ما برز في الوجود ، وشهودهم الفعل من جنسهم ، فلذلك غضبوا على غضبهم ، ولو أنهم سلكوا الطريق لوجدوا الفعل لله تعالى ببادي الرأي ، فلم يجدوا من يرسلون عليه غضبهم . ووجدوا كل شيء وقع في الوجود هو عين الحكمة ، فذهب اعتراضهم وعصمتهم للنفس جملة .

فاسلك يا أخى على يد شيخ ناصح ليقل " غضبك ، وإلا فن لازمك الغضب شئت أم أبيت ، فعلم أن السكامل لا يغضب لنفسه قط ، وإنما يغضب إذا انتهكت حرمة الله تعالى ، وكان الحق تعالى يقول للسكامل : إذا رأيت عملاً برز على يد أحد من عبدي مخالفاً لشريعة نبي صلى الله عليه وسلم فاغضب ، ولو شهدت أني أنا الفاعل لسكني لم أمرك أن تغضب على فعلي ، وإنما أمرك أن تغضب على وجه نسبة الفعل إلى عبدي ، فعلم أنه لاسبيل لأحد إلى تبرئة العبد عن الفعل جملة أبداً .

(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَسَكِنَّ اللَّهَ رَمِي) فافهم .

وقد قدمنا أن كل من غضب لله تعالى غضب الله تعالى لغضبه إذا آذاه أحد :

(جَزَاءٌ وَفَاقًا) .

ومن رأى محرمات الحق وسكت على فاعلها مع قدرته على منعه لم يغضب الله لغضبه ولا ينتصر له ، بل يتركه حتى يكاد يذوب فلا يلوم من العبد إلا نفسه ، إما كشفاً ويقينا وإما إيماناً وتسليماً .

وقد اجتمعت مرة بابليس لعنه الله بساحل نيل مصر في واقعة ، فجادلته وجادلني وكان من جملة ما قال لي : لم يسلطني الله تعالى قط على إنسان إلا بعد وقوع ميل منه إلى ذلك الأمر الذي وسوست له به ، فالإنسان ككفتي الميزان وقلبه كلسان الميزان وأنا واقف تجاهه أنتظر ميل قلبه لمعصية فأنتقد قضاء الله فيه بحكم الاضافة فقط ، فلا آتية إلا إن رأيت لسان الميزان يخرج من فيها وقبلي ، فهناك آتية فأتحية إلى فعل تلك المعصية ، وما دام لسان الميزان لم يخرج وهو واقف في خط استواء القلب فلا سلطان لي عليه ، لأنه إمام معصوم كالأنبياء ، وإمام محفوظ كالأولياء اه .

وقلت : من تحقق بهذا كسفا وشهودا فهو الذي يقيم حجة الله تعالى على نفسه وإلا فمن لازمه أن يقول أى شيء أعمل؟ قدّر الله تعالى على فلا يكاد يندم إلا قليلا ، وقد طلب الله تعالى منا في هذه الدار للندم والاستغفار عند كل معصية ولم يكتف منا بذلك في الباطن من غير إظهار ، وذلك ليقته لدى بنا المریدون ويعظموا حدود الله إذا وقعوا في معصية ، ومن هنا سموا السكامل أبا العيون ، فعين ينظر بها التقدير الإلهي ليعطى التوحيد حقه :

(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) .

وعين ينظر بها نسبة الفعل إلى نفسه ليتوب ويستغفر من كل ذنب في آن واحد ، ولا يعرف ما قلنا إلا من سلك الطريق ، فإن الإنسان أول ما يفتح عينيه على نسبة الفعل إليه ، فلا يزال كذلك حتى يدخل الطريق وتنجلي له حضرة التوحيد ، فهناك يشهد الفعل لله تعالى وحده بقطع النظر عن الخلق جملة ، ويصير جبريا محضاً ثم يرقبه شيعه إلى حضرة يشهد فيها نقص ذلك المقام من حيث أن عدم نسبة الفعل للعبد كالتكذيب للقرآن ، فإن الله تعالى أضاف العمل إلى العبد وأقام به عليه الحجة ، فكيف يقول لا عمل لي ولا حجة لله علي ، وأكثر ما يقع في هذا النقص من يسلك بغير شيخ ، وربما ذاق حضرة التوحيد فوحد فيها إلى أن مات . عطلا من العمل بالشريعة فلا تكاد تجده يحرم حراما ولا يستغفر من ذنب مطلقا ، وإن قال له شخص إن الله تعالى قال :

(لَا تَأْتُوا مَوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ يَٰٓأَبَٰطِلٍ) .

أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » . قال ذلك في حق قوم يشهدون أن لهم مع الله ملكا ونحن لا نشهد ذلك ، ومن هنا

يضل ضلالا مبينا ويستهن بمحارم الله ، فإن زنى يقول إن الله هو المقدر ، وإن سكر يقول إن الله هو المقدر ، وإن أخذ مال الناس يقول إن الله هو المقدر ، فيقال له : وإذا أدخلك جهنم على هذه الأعمال فهو المقدر كما أوضحنا ذلك في رسالة الأنوار ، فوالله لو خدم المرید شيخه عمر الدنيا كلها ما أدى شكر أدب واحد علمه له شيخه من هذه الآداب :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

وروى الترمذی وقال حديث حسن مرفوعا عن أبي سعيد الخدری قال :

« صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا صَلَاةَ الْعَصْرِ ، ثُمَّ قَامَ خَطِيْبًا ، فَلَمَّ يَدْعُ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا أَخْبَرْنَا بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ، وَكَانَ فِيهَا قَالَ : إِنَّ الدُّنْيَا خَضِيرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ » وكان فيما قال : « أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ » .

قال فبکی أبو سعيد وقال والله رأينا أشياء فهبنا ، وكان فيما قال :

« أَلَا إِنَّهُ يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاةٌ بِقَدْرِ غُدْرَتِهِ ، وَلَا غُدْرَةَ أَعْظَمَ مِنْ غُدْرَةِ إِمَامٍ حَامِئٍ يَرَكُزُ لَوَاةَهُ عِنْدَ اللَّهِ » وكان فيما حفظناه يومئذ « أَلَا إِنَّ بَنِي آدَمَ خَلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ ، أَلَا وَإِنْ مِنْهُمْ بَطِيءُ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْغَضَبِ ، وَمِنْهُمْ سَرِيعَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْغَضَبِ ، أَلَا وَإِنْ مِنْهُمْ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءُ الْغَضَبِ ، أَلَا وَخَيْرُهُمْ بَطِيءُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الْغَضَبِ ، وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ بَطِيءُ الْغَضَبِ ، أَلَا وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ ؟ فَمَنْ أَحْسَسَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلِصَقْ بِالْأَرْضِ » .

وذكر البخارى تعليقا عن ابن عباس في قوله تعالى :

(أَذْنَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) .

قال الصبر عند الغضب ، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله
وخضع لهم عدوهم :

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ آوَاهُ اللَّهُ فِي كَنَفِهِ
وَنَشَرَ عَلَيْهِ رَحْمَتَهُ وَأَدْخَلَهُ فِي مَحَبَّتِهِ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا قَدَّرَ غَفَرَ ،
وَإِذَا غَضِبَ قَتَرَ » .

ومعنى شكر : أى أنفق مما أعطاه الله تعالى :

وروى الطبرانى مرفوعا : « مَنْ دَفَعَ غَضَبَهُ دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ » .

وروى أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه مرفوعا :

« مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ
الْأَعْلَاقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَذَّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ » .

وروى أبو داود وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ
وَالْأَفْئِدَةُ طَبِحَتْ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ فَإِنَّ الْغَيْظَ يَذْهَبُ عَنْهُ » الحديث بمعناه .

وروى أبو داود مرفوعا : « إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ
النَّارِ ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصلح بين المسلمين
ونبذل فى الصلح بينهم المال ، ولا نتوقف فى إعطاء عمامتنا وثيابنا للمظلوم حتى يصفح
أو للظالم حتى يرجع عن ظلمه ، ثم لا نطلب على ذلك عوضا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

وكان على هذا القدم شيخنا الشيخ محمد الشناوى رحمه الله والشيخ عبد الحلیم بن
مصباح ، والشيخ عبد الحميد الطرينى رضى الله عنهم .

فكان شيخنا يبذل الخليل والبهائم والقمح وغير ذلك ، ويرى لله تعالى المنة عليه

بذلك الذى أهله له ويقول من أين للواحد منا أن يسكون ميزان عدالة بين الناس يرجعون إليه ويقفون عند قوله ؟

وكان الشيخ عبد الحليم لا يرى له اختصاصا فى شىء مما يدخل يده دون المسلمين بل يرى جميع ما دخل يده مشتركا بينه وبين المسامين :

قلت : وقد من الله تعالى على ذلك ولله الحمد فلا أرى لى بحمد الله ترجيحا على إخوانى فى شىء مما يدخل يدي بل كل من رأته محتاجا لذلك من نفسى أو غيرها قدمته :

وكان أخى الشيخ عبد القادر كذلك ، فشكل من رأه محتاجا قدمه ثم لا يطلب على ذلك عوضا لاسرا ولا جهرا .

وأعطيته مرة ثمن بقرة يأكل أولاده لبنها فوجد فى الطريق شخصا مربوطا فوزن من عنه ولم يسكن له به معرفة قبل ذلك .

وكان الشيخ عبد المجيد الطربنى لا يتوقف قط فى إعطاء شىء يسئل فيه .

وحضرته مرة وهو يصالح بين اثنين ادعى أحدهما على الآخر بسبعائة دينار فذهب الشيخ ورجع بالسبعائة فى خرقه فوزنها عن ذلك المديون فقال لى المديون هل عرضت للشيخ بشىء فقلت لا والله ، فذكرت ذلك للشيخ فقال : لم يطلب أحد منى ذلك وإنما عادة الأجواد إذا حضروا فى قضية أن يسدوها رضى الله تعالى عنه ؟

وأخبرنى الشيخ شهاب الدين الطربنى ثم الغمرى أن الشيخ عبد المجيد لما سجن بسبب الديون التى تراكت عليه بمصر من كثرة إعطائه الأموال للناس بغير عوض ووجد فى السجن شخصا محبوبا على مائة دينار فضمنه وأخرجه من السجن وتخلف عنه هو فى السجن قليلا رضى الله تعالى عنه ثم أفرج عنه بعد ذلك .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يخرج عنه عن محبة الدنيا ويطلعه على عظيم مقام المسلمين وإن بذل الدنيا كلها فى الصلح بينهم من بعض حقوقهم عليه ؛ ومن لم يسلك كما ذكرنا فن لازم الإخلال بهذا العهد فلا يكون عليه بذلك نصف فضة فى الصلح بين المتخاصمين ، ولو أدى إلى رواحهم إلى بيت الوالى وإن سمح بالنصف سمح وعند حازاة أو بلا حازاة أسكنه يطلب على ذلك عوضا من رد مثله

أو شكر الناس له أو يطلب به الثواب وليس ذلك من أخلاق الكاملين :
فاسلك يا أخى الطريق على يد شيخ إن أردت العمل بهذا العهد، والله يتولى هداك :
وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « كُلُّ سَلَامِي مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلُّ يَوْمٍ
تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَيُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا
أَوْ يَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ » الحديث .

ومعنى سلامي : أى عضو ، ومعنى يمدان بين الاثنيين : أى يصلح بينهما بالعدل :
وروى أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى حسن
صحيح مرفوعا :

« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ، قَالُوا بَلَى : قَالَ
إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ » .

قال الترمذى ويروى مرفوعا : « لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَسَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ » .

وروى أبو داود مرفوعا : « لَا يَكْذِبُ مَنْ يَمْشِي بَيْنَ اِثْنَيْنِ لِيُصْلِحَ » .

وفى رواية : « لَيْسَ بِالْكَاذِبِ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَى خَيْرًا » .

قال المنذرى رحمه الله : يقال نमित الحديث بتخفيف الميم إذا بلغته على وجه الإصلاح
ويتشديدها إذا كان على وجه إفساد ذات البين .

وروى الأصبهاني مرفوعا : « مَا مَحِلَّ شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ
وَخُلُقِ جَائِرٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وروى البزار والطبرانى : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ :

أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى تِجَارَةٍ ؟ قَالَ بَلَى : قَالَ صَلِّ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَقَرَّبْ بَيْنَهُمْ
إِذَا تَبَاعَدُوا » .

وروى الأصبهاني وهو غريب جدا مرفوعا :

« مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ وَأَعْطَاهُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا

عِنْتُ رَقَبَةٍ وَيَرْجِعُ مُغْفُورًا لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وتقدم في عهد العفو عن الناس حديث :

« أَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي الْآخِرَةِ » والله تعالى أعلم .
(أخذ علينا العهد للعام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرد عن عرض أخينا المسلم إذا استغابه أحد عندنا أو بلغنا ذلك عنه حسب الطاقة ، وهذا العهد قد صار غالب الناس يخل بالعمل به حتى بعض مشايخ العصر من العلماء والصلحاء قراهم يسكتون على غيبة أخيهم وربما اشتفوا بذلك في نفوسهم ، وهذا من أقوى الأداة على عدم فطامهم عن محبة الدنيا على يد شيخ ناصح ، فإن يحب الدنيا يحب الانفراد فيها بالمقام ومحبة الصبيت والشهرة بالسكالم ويسكره من يعلوه في ذلك فهو يتوهم بغيبة الناس لمن يعلوه أن الناس إذا نقصوه يزول اعتمادهم فيه ويعكفون على اعتقادهم له هو ، وغاب عنه أن من نوى شيئاً أو فعله رجع عليه نظيره ، ولو أنه تشوش ممن استغاب أخاه المسلم لزاده الله تعالى رفعة على أقرانه كلهم ، لأن الحماية إنما هي من الله تعالى لا من الخلق :

(وقد أخذت علينا العهود من المشايخ) أن نقوى نور إخواننا جهدنا ونظفء نور أنفسنا جهدنا ليرجع نظير ذلك علينا ، فإن من سعى في إطفاء نور أخيه أطفأ الله تعالى نوره ، وما رأيت على هذا القدم من أهل عصرنا هذا أشد عملاً بهذا العهد من سيدى محمد الشناوى ، والشيخ عبد الحلیم وأخى أبى العباس الحرينى ، فما يذكر عندهم أحد من أهل الخرقه إلا ويذكرون محاسنه ويربونه عند الناس ، وهذا العهد بحمد الله تعالى من خلقي مع الأمراء الواردين على فلا أكاد أفتقر عن ذكر محاسن غيرى من مشايخ العصر عندهم لأصرفهم عنى إلى غيرى ، وذلك لأنى لا أقبل لهم هدية ولا أحب بحمد الله تردهم لى ، وأرى جميع ما معى من الأعمال لا يجيىء حق طريق ذلك الأمير إذا جاءنى مرة واحدة ، ولو ترددت إليه ألف مرة لا أرى أننى كافأته على تلك المرة :
وكان على ذلك سيدى على الخواص رحمه الله تعالى كان إذا بلغه أن أحدا من الأمراء عازم على زيارته يذهب هو إليه قبل أن يأتى الأمير إليه .

وكان إذا ورد عليه أحد يطلب شفاعة عند أحد يقول له أنت من أى الحارات ؟ فيرسله لى من يسكون ساكنا فى تلك الحارة من الفقراء ، ويقول ما نقدر نتعدى الأدب على الناس فى حاراتهم ، وإن رأى عند ذلك الرجل قلة اعتماد فيمن يسكون من حارته من الفقراء حسن اعتقاده فيه ويقول مقصودى أن أكون مقبياً عند فلان من جملة

جماعته لتحصّل لي بركنته ، فيرجع ذلك الرجل وهو معتقد في شيخ حارته ويملاً عينه منه .

فاسلك يا أخى على يد شيخ حتى يخرجك من حب الرياسة وتصير تحب الخلفاء لنفسك والظهور لغيرك ؛ وهناك لا نصير تقدر تسمع غيبة في أحد من إخوانك ، وما دمت تحب الدنيا والظهور فن لا زمك محبة تتميص إخوانك نصريحا وتعريضا ، فتكون ممقوتا بين العباد وتنصرم منك المشيخة وكلما ترقع ثوبها تحرقت من موضع آخر :

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول لفقيه رآه إذا ركب يجعل جماعته يمشون معه كالصغير الذى في زفة طهوره ، كيف تحب الظهور في هذه الدار وإبليس نفسه اختار الخفاء فيها وقال لا أظهر في دار لعنى الله فيها فشيء زهد فيه إبليس وكرهه كيف تحبه أنت ، فقلت له : لنا مخالفة إبليس في كل شيء أحبه فإنه لا يجب إلا الشر ، فقال صحيح ، ولكن ذكرت ذلك توبيخا مثل ما نوبخ المسلم بالخلق الحسن الذى نراه في الكافر وإن لم يتدين هو به كما إذا رأينا الرهبان يزهدون في الدنيا وشهواتها ، فنقول نحن أحق بذلك منهم كما قال عمر رضى الله تعالى عنه لمن رآه يأكل الطيبات منهم منهمك عليها .

(أَذْهَبَهُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) الآية .

مع أنها وردت في أهل الكتاب فافهم .

وكان سيدى على بن وفا يقول : يا مريد الله لا تحتفل بظهور شأنك احتمالا يؤدي إلى تفعلك واستجلاء ذكر الناس لك بذكر الكمالات ، فإنك إن رزقت ما طلبت لن تتمتع به إلا قليلا ، ثم الله أشد بأسا وأشد تنكيلا ، واسع في الخفاء جهلك حتى يقع الظهور لك قهرا عليك صدقة من الله عليك :

(وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا) .

فاعلم ذلك واعمل عليه يذهب عنك الغل والحسد وسائر الأمراض الباطنة المتعلقة بالناس الحاملة لك على غيبتهم والحاملة على غيبتك ، والله يتولى هداك :

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن مرفوعا :

« مَنْ دَبَّ عَنْ عَرَضٍ أَحْيَرَ فِي النَّبِيَّةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ » .

وفي رواية للترمذى مرفوعا : « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

زاد في رواية : « ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) .

وفي رواية لأبي داود وغيره مرفوعا :

« مَنْ سَمِيَ مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ آذَاهُ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ مَلَكَ يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » .

وروى ابن أبي الدنيا مرفوعا : « مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِالْغَيْبَةِ نَصَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

وروى أبو داود مرفوعا : « مَا مِنْ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْقِصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُبْذَنُّهُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نواظب على الجوع حتى يكثر صمتنا عن الكلام فيما لم يأمرنا الله تعالى به ، فإن من لازم من شيع كثيرة الكلام والأشر والبطر بخلاف الجوعان ، ومن شك في قولي هذا فليجرب بأن يجوع شخصا كثير الغناء وإنشاد القصائد يومين لا يطعمه شيئا ، ويقول له غن لي شوية أو انبسط أنا وإياك في الحكايات المضحكة فإنه لا يجيبه إلى ذلك أبدا ، فن طلب الصمت مع الشيع فقد طلب ما هو كالحال ، وهذا أمر مشاهد وقد غلط فيه كثير من المتورعين بغير شيخ من الفقراء فترى أحدهم يشيع ويأكل كل ما يجده من الشهوات ، وربما كان من طعام الظلمة والمكاسين ويطلب الصمت وقلة الكلام وذلك لا يكون .

وقد رأيت مرة من جعل على نفسه كل ما يتكلم بغيبة نصفًا للفقراء عقوبة لنفسه ومع ذلك فما قدر على رد نفسه وصار يخرج في كل غيبة نصلها حتى زُمق وترك الغرامة وصار يستغيب ، ولو أنه ظفر بأحد من أهل الطريق لدله على الدهليز الذي يدخل منه قلة الكلام والغيبة وذلك هو الجوع الذي لا يخل له حيلة ولا قوة للكلام الشرعي فضلا عن العرفي

فضلا عن الحرام وقد عدّ الأسيّخ الصمت من أركان الطريق وأنشدوا :

بَيْتُ الْوَلَايَةِ قُسِّمَتْ أَرْكَانُهُ سَادَاتُنَا فِيهِ مِنَ الْأَبْدَالِ
مَا بَيْنَ صَمْتٍ وَاعْتِرَالٍ دَائِمًا . وَالْجُوعِ وَالسَّهْرِ النَّزِيهِ الْعَالِي
فمن أخذ بواحدة من هذه الأربعة لا يتم له حال في الطريق .

فعلم أن من يرد العمل بهذا العهد يحتاج ضرورة إلى شيخ يسلك به حتى يقطعه عن شدة الميل إلى الشهوات ، وبصير هو يقهر شهوته ويحكم عليها وهناك يقل كلامه ضرورة ويتكدر ممن يكثر عنده الكلام بغير فائدة .

فاسلك يا أخى على يد شيخ لتعمل بهذا العهد وإلا فمن لازمك الإخلال به ، والله يتولى هداك :

وقد صحبت من رجال الصمت جماعة منهم شيخنا شيخ الإسلام زكريا والشيخ على الخواص والشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد المنير رحمهم الله ، فكان وقتهم عندهم أعز من الكبريت الأحمر ، وكل من تسلسل معهم في الكلام زجروه ولم يستحيوا منه ويقولون له قم ضيعت علينا الزمان .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام المذكور يقول لقاض جاءه يسلم عليه ويهنئه بالشهر وزاد في الكلام : قم أنت رسول الشيطان إلينا ثم ضرب له بالجريدة على الأرض ، وقال : إن عدت تجيء على هذا الوجه أدبتك :

وقرأت عليه شرحه على رسالة القشيري كاملا فما أظن أنني سمعت منه كلمة لغو خالية عن علم أو أدب ، وقد صحبته عشرين سنة وأنشدني يوما :

أَحْفَظُ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلْذَعَنَّكَ إِنَّهُ تُعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ

وسمته يحكى عن الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول : لا تتكلم بكلامه حتى تنظر لها محلا مشروعا ، فإن الكلمة كالسهم إذا خرج من القوس ، وإذا خرجت الكلمة منك ملكتك ولم تملكها :

وسمته رضي الله عنه يقول : حين قرأت عليه باب الصمت اعلم يا ولدي أن السلف الصالح ما ملسكوا لسانهم إلا بكثرة الجوع ، وقد أخطأ هذا الطريق جماعة من الناس الذين

لم يسلكوا الطريق على يد الفقراء ، وذلك أن الفقراء يدخلون إلى كل عمل من الطريقة الموصلة إليه وغيرهم لا يعرفون تلك الطريق ، فهم كمن يحفظ الدواء ولا يعرف ينزله على الداء ، فخذ يا ولدى الطريق عن أهلها فإني والله يا ولدى لما طلبت الطريق في مصر سافرت إلى سيدي محمد الغمري في المحلة الكبرى فتلقنت عليه الذكر وأقمت عنده أربعين يوما، وحصل به خير عظيم ، فقلت له: يا سيدي أما كان في مصر أحد يرشد الناس ؟ فقال نعم ، كان الشيخ مدين موجودا ولكن كانت طريقته مسطورة لا تكاد تميزه عن أبناء الدنيا في المآكل والملابس وقلة الأعمال الظاهرة ، وأنا كنت صغيرا جاهلا بالطريق وما كان عندي شيخ إلا كبير الجوع والعبادة والتقشف ، وكان سيدي محمد على هذا القدم ، هذا لفظه لي رحمه الله فاعلم ذلك وا: دخل لباب الصمت من دهليزه ، والله يتولى هداك .

وروى الإمام أحمد والترمذي والطبراني وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« عَلَيْكَ بِطَوْلِ الصَّمْتِ فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« كَانَ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَكَلَى الْمَافِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ حَافِظًا لِللسَانِ ، وَمَنْ حَسَبَ كَلَامَهُ مِنْ تَعْمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ » .

وروى الطبراني وغيره مرفوعا عن أبي سعيد الخدري قال :

« جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَوْصِنِي ؟ فَقَالَ : اخْزُنْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ » .

وروى الشيخان وغيرهما : عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أفضَلُ ؟ قَالَ : مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » .

وفي رواية أخرى للشيخين مرفوعا : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ » .
وروى الطبراني بإسناد صحيح : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : « قُلْتُ يَا رَسُولَ

الله أئى الأعمال أفضل؟ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا : قُلْتُ ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَنْ يَسَلَّمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِكَ .

وروى الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه :

« أَنْ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعْ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا عَنْ خَيْرٍ . »

وروى الترمذى والبيهقى : « أَنْ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَتَسْمَعَكَ بَيْتَكَ ، وَأَبْكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ . »

وروى الطبرانى مرفوعا وحسن إسناده : « طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ وَوَسَعَهُ بَيْتَهُ وَبَسَكَ عَلَى خَطِيئَتِهِ . »

وروى الطبرانى والبيهقى مرفوعا وحسن إسناده :

« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا لِيَفْتَمَّ أَوْ يَسْكُتْ عَنْ شَرٍّ فَيَسَلِّمْ . »

وروى الطبرانى مرفوعا : « مَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ . »

قلت : وذلك لأن ستر العورات غالبا لا يكون إلا بالصمت وكشفها لا يكون إلا بالكلام فلذلك جوزى صاحبه بشاكلة قوله ، والله أعلم :

وفى رواية للطبرانى مرفوعا : « لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَخْزَنَ مِنْ لِسَانِهِ . »

وروى الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه :

« أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » زاد فى رواية للإمام أحمد : « إِنَّكَ لَنْ تَزَالَ سَالِمًا مَا سَكَتَ ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ كُتِبَ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . »

وروى الترمذى وابن أبى الدنيا مرفوعا :

« إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تَشْكُو تَشْكُو تَكْفُرُ اللِّسَانُ ، تَقُولُ

أَتَى اللَّهُ فِينَا تَخَانِمًا نَحْنُ بِكَ ، فَإِنْ أَسْتَقَمَّتْ أَسْتَقَمْنَا ، وَإِنْ أَعْوَجَّتْ أَعْوَجْنَا » -

وروى الطبراني ورواه رواية الصحيح مرفوعا :

« أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ » .

وروى مالك والبيهقي وغيرهما أن أبا بكر رضى الله عنه كان يجهد لسانه ويقول :
هذا الذى أوردنى الموارد، والأحاديث فى ذلك كثيرة، والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نسعى فى تحصيل مقام
سلامة صدورنا من الغل والحسد وغير ذلك، فإن من كان غير سليم الصدر محروم الخيرات
كلها .

وقد أخبرنى سيدى على النبتى البصير وكان كثير الاجتماع بالخضر عليه السلام أنه
شروط الاجتماع بالخضر ورؤيته ثلاثة :

أولها سلامة الصدر من كل سوء لأحد من هذه الأمة :

والثانى أن يكون على سنة ليس مرتكبا شيئا من البدع :

الثالث أن لا يحتاج دراهم ولا رزقا للغد، ومن لم تجتمع فيه هذه الثلاثة الشروط لا يجتمع
بالخضر ولو كان على عبادة الثقلين اه ولو لم يكن فى عدم سلامة الصدر إلا خسف الأرض
ووقوع العذاب لكان فيه كفاية ، قال الله تعالى :

(أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) الآية .

فن مكر بأحد من المسلمين أو نوى به سوءا فى ساعة من ليل أو نهار فقد تعرض
لخسف الأرض به .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد لى السلوك على يد شيخ ناصح يزيل جميع رعوناته
حتى تصفى نفسه ويلحق بعالم الخير من الملائكة فلا يصير يرى فى أحد عيبا قياسا على
نفسه هو ، فهو كالعين الذى لم يعرف لذة الجماع قط ، فلو قيل له إن فلانا اختلى بفلانة
الأجنبية لا يظن فيه أن يفعل بها فاحشة أبدا، بخلاف الشاب الأعزب ، أو الذى يجب
الجوع فإنه يقبسه على نفسه هو ويقول بعيد أنه سلم من الفاحشة قياسا على نفسه هو لو كان
اختلى بها .

وقد حكى لى الشيخ عبد السلام الرماضى أن شخصا من البربرة المجاورين فى جامع الأزهر سرقت حوائجه فى الجامع فصار يتمعجب ويقول اليهود والنصارى ما يدخلون الجامع والمسلمون ما يسرقون فمن أخذ حوائجى؟ فقال له شخص الفار أخذهم فقال نعم هذا صحيح وذلك أن البربرة عندهم الأمانة فقاوسوا جميع المسلمين على أنفسهم اه .

فعلم أن من لم يسلك على يد شيخ كما ذكرنا فمن لازمه التضمخ بأخلاق الشياطين التى هى كلها فساد .

وسمعت سيدى عابا الخواص رحمه الله تعالى يقول : جميع الصفات البشرية مجموعة فى كل ذات ، فى الأكابر ما فى الأصاغر وعكسه ، لكن المحاسن ظهرت فى الأكابر وخفيت فى الأصاغر ولذلك دعوا إلى الترقى ، والمساوى ظهرت فى الأصاغر وخفيت فى الأكابر ، ولذلك يجوز فى حق الولى أن يقع فى الكبائر ويجوز فى حق الكافر أن يسلم . وما خرج عن هذه القاعدة إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإنهم محاسن صرف ليس فيهم شيء من المساوى اه :

وسمعت أخى أفضل الدين يقول : لا يصح من عبد سلامة الصدر إلا بعد تصفيته من استعمال شيء من المساوى ، وهناك يقول إن جلسه لا يقع فى معصية ومتى جوز ولو غفلة وقوع أحد فى معصية فمن لازمه عدم التطهر من تلك الصفة التى يجوز وقوع الغير فيها :

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ) - (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .

وروى الترمذى وقال حديث حسن عن أنس قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ عَلَىٰ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ أَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَخِي خَافِعٌ » الحديث .

وروى الإمام أحمد بإسناد على شرط الشيخين والنسائى وأبو يهلى والبزار عن أنس قال :

« كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَطَّلِعُ الْآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ فِي ثَانِي يَوْمٍ وَثَالِثِ يَوْمٍ وَرَابِعِ يَوْمٍ ، وَذَلِكَ الرَّجُلُ يَطَّلِعُ فَتَمِيمَةُ عَبْدُ اللَّهِ

ابنُ عمرَ وأخبرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ مَا هُوَ إِلَّا أَنِّي إِذَا انْقَلَبْتُ عَلَى فِرَاشِي فِي اللَّيْلِ ذَكَرْتُ اللهُ وَكَبَّرْتُهُ حَتَّى لِيَصَلَاةِ الْفَجْرِ غَيْرَ أَنِّي لَا أُجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِيْشًا وَلَا أَحْسَدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِهَا .

وفي رواية أنه قال : « إِذَا أُتَيْتُ مَضْجَعِي اضْطَجَعْتُ وَلَيْسَ فِي قَلْبِي غَمْرٌ لِأَحَدٍ »
والعمر هو الحقد ، والحديثان بالمعنى مختصر .

وروى ابن ماجه بإسناد صحيح والبيهقي وغيرهما :

« قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ كُلُّ تَحْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ ، قَالُوا صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ ، فَمَا تَحْمُومُ الْقَلْبِ ؟ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّتِيُّ لَا يُنْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيٌ ، وَلَا غِلٌّ ، وَلَا حَسَدٌ . »

وروى ابن أبي الدنيا مسرلا : « إِنَّ بُدْلَاءَ أُمَّتِي لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنْ دَخَلُوهَا بِرَحْمَةِ اللهِ ، وَسَخَاوَةِ النُّفُوسِ ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ » .

وروى الإمام أحمد والبيهقي مرفوعا : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا » الحديث ، والله سبحانه تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتواضع لآخواننا المسلمين بمعنى أننا نرى نفسنا دونهم في المقام ، لا أننا نرى لنا مقاما فوقهم ونتنازل لهم منه كما هو ظاهر لفظ التواضع .

وهذا العهد يحتاج من يريد العمل به إلى شيخ قطما ، وقد تحققنا به بحمد الله تعالى على يد سيدى على الخواص فليست أرى لي مقاما على أحد من الساميين ولو بلغ في الفسق ما بلغ ، فالحمد لله رب العالمين .

وهذا العهد قد صدرت به كتاب عهود المشايخ المسمى بالبحر المورود في المواثيق والعهود ، وذكرت فيه علامات من تحقق بهذا العهد حتى يسلم له دعوى التواضع ، فإن

الانسان ربما يقول بلسانه نحن من أقل الناس نحن تراب ، وإذا احتقره إنسان أو نقصه تضييق عليه الدنيا بما رحبت ، فأين قوله نحن من أقل الناس ؟ ولو أنه كان صادقا لرأى أن جميع ما نقصه المنقوصون دون ما يعرفه هو من صفات نفسه الخبيثة .

وقد عثرت من رجال التواضع الخلقى بجماعة في مصر المحروسة وصحبتهم ، وانتفعت بصحبتهم : منهم شيخ الاسلام الشيخ نور الدين والطرابلسي الحنفي والشيخ شهاب الدين بن الشلبى الملقب الحنفي ، والشيخ ناصر الدين الطيبلاوى والشافعي ، والشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي ، وشيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين بن النجار الحنبلي ، والشيخ نور الدين الطندتائي الشافعي ، والشيخ شهاب الدين الرملي فهؤلاء هم الذين أطلعني الله تعالى على تواضعهم الخلقى الذي لا تفعل فيه : والفرق بين التواضعين أن التواضع الخلقى يرى صاحبه نفسه دون الناس حتى إنك لو أردت أن ترفعه عليك لا يرتفع عند نفسه أبدا . وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ نور الدين الطندتائي بالتواضع في واقعة رأيته ، وذلك أني رأيته قريبا في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم مقبدا على مشايخه ، فقال شخص يارسول الله ما سبب قرب هذا منك ولم يكن أكثرهم علما ولا صلاة عليك ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربه مني تواضعه .

وأما المتصوفة بمصر فما رأيت منهم أكثر تواضعا من الشيخ إبراهيم الذاكر المقيم بالجاولية بالقرب من جامع ابن طولون رضى الله عنه :

وقد كان الإمام أبو القاسم الجنيد يقول : لا يبلغ أحد درجة المتواضعين من أكابر للعارفين حتى يرى أن نفسه ليست بأهل أن تناولها رحمة الله ، وإنما رحمة الله له محض امتنان :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَتَّبِعِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ » .

وروى مسلم والترمذي مرفوعا : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » .

وروى الطبراني : « طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ » .

وروى الترمذى والنسائى وغيرهما مرفوعا : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيٌّ مِنَ الْكِبَرِ وَالْعُلُوِّ وَالذَّيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

قال الحفاظ وقد ضبط بعض الحفاظ الكبر بالنون والراء وليس بمشهور :

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ تَوَاضَعَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ رَفَعَهُ اللهُ ، وَمَنْ أَرْتَفَعَ عَلَيْهِ وَضَعَهُ اللهُ » .

وفي رواية : « مَنْ تَوَاضَعَ تَعْظِيمًا يَخْفِضُهُ اللهُ ، وَمَنْ تَوَاضَعَ خَشْيَةً يَرْفَعُهُ اللهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصدق مع الله تعالى ومع إخواننا المسلمين في أقوالنا وأفعالنا ودعاويننا وإن كان صدقنا كالكذب بالنسبة لمقام غيرنا من الأولياء والصالحين .

وقد أجمع الأشياخ على أن الصدق كالسيف ما وضع على شيء إلا أثر فيه ، فعلم أنه يسوغ لنا أن نقول نحن نحب الله ورسوله والمسلمين أجمعين على قدر ما أعطانا الله تعالى ، خلافا لما نقله الغزالي عن بعضهم من قوله : إذا قيل لك تحب الله أو تخاف الله فاسكت لأنك إن قلت نعم كذبت ، فإن أفعالك ليست أفعال المحبين ولا الخائفين ، وإن قلت لا أحب الله ولا أخافه كفرت اه والأولى ما ذكرناه .

فكل إنسان من المسلمين له نصيب في كل مقام من الخوف والرجاء والتقوى والزهد والورع وغير ذلك على قدر ما أعطاه الله تعالى ، ولكن إذا نظر الإنسان إلى مقام من فوقه قضى بأنه ما ذاق ذلك المقام أصلا بالنسبة إلى من فوقه . فإذا قيل لك أنتخاف الله ؟ فقل نعم على قدر ما وضعه الله عندي من الخوف ؛ وإذا قيل لك أنتحب الله ؟ فقل نعم ، على قدر ما وضعه عندي من المحبة له ؛ وإذا قيل لك هل أنت ورع أو زاهد في الدنيا ؟ فقل نعم على قدر ما وضعه الله عندي من ذلك وهكذا فاعلم ذلك فإنه نفيس .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إنما عدوه من الكذب الملحق بالصدق

كذب الإنسان على زوجته بأنه يحبها أكثر من ضرمتها وللكذب في الصلح بين الناس كقواه
إن فلانا يحبك مع علمه بأنه يبغضه، وهذا داخل في معنى الحديث من قوله :
« وَتُقَارِبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا » .

وفي الحديث : « لَيْسَ بِالْكَاذِبِ مَنْ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ قَيْتُولُ خَيْرًا
أَوْ يُنْمِي خَيْرًا » .

فإن قيل : فما معنى قوله تعالى :

(لَيْسَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) .

فإن الله تعالى سما صدقا فكيف يستل عنه ؟

فالجواب أن المراد بهذه الآية الغيبة والنميمة ونحوها إذا نقل العبد الكلام كما سمعه
من غير زيادة منه وذكر أخاه المسلم بما فيه من السوء ، فهذا ، وإن كان صدقا فيسأل عنه
ويؤاخذ به فما كل صدق حق إذ الصدق ما وقع والحق ما وجب فعله .
ومعلوم أن الغيبة والنميمة وإن كانتا صدقا لا يجوز فعلهما ، إذ ما كل صدق يجوز فعله
وذكره بخلاف الحق فافهم .

واختلفوا فيمن سئل عن شيء يلزم منه أذى لمسلم ، كما إذا قال لنا ظالم أين فلان يعني
حتى يظلمه بأخذ مال أو ضرب ونحوها هل يصدق أو يقول لا أعلم طريقة ويورئى عن
ذلك ؟ فقال : بكل منهما قوم ، والمختار جواز الكذب بل وجوبه :

وقد وقع للشيخ شهاب بن الأقطيع البرلسي رضى الله عنه أنه كان ينسج ، فدخل
عليه شخص من قطاع الطريق وجماعة الوالى وراهه يطلبونه ، فقال للشيخ خبيثي فقال
ادخل تحت رجلى ، فنزل فجاء جماعة الوالى فقالوا للشيخ هل رأيت فلانا ؟ :
فقال نعم ، فقالوا أين هو ؟ فقال تحت رجلى فضحكوا وتركوه ، وقال لقطاع الطريق
ينجى اه .

قلت : ولعل هذا خاص بمن له تصريف ، وأما من ليس له تصريف فليس له ذلك
لئلا يضر الظلمة بأحد لأجل كلامه فيصير إثم ذلك عليه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله عنه يقول : من كشف الله تعالى عن بصيرته
رأى جماعة الولاة الذين يعاقبون الناس كالزبانية الذين يسحبون الناس فى الآخرة إلى النار ،

وكما لا ينسب أحد الظلم إلى الزبانية ويحط عليهم فكذلك زبانية الولاية في الدنيا وإن ذموا شرعا ، هذا نظر أهل الله تعالى ، فلولا أن الله عز وجل ذم زبانية الدنيا لم يسع أحد من أهل الله أن يذمهم ، فاعلم ذلك والله تعالى أعلم .

وفي الباب حديث توبة الله تعالى على كعب بن مالك وصاحبيه الذي رواه الشيخان وغيرهما وقوله فيه لما اعتذر إليه غيره وقبل النبي صلى الله عليه وسلم عذره : والله يا رسول الله ما كان لي من عذر ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك... الحديث .

وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي مرفوعا :
« أَضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنَ لَكُمْ الْجَنَّةَ أُصَدِّقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ » الحديث .

وفي رواية لأبي يعلى والحاكم مرفوعا : « تَقَبَّلُوا لِي سِتًّا أَتَقَبَّلَ لَكُمْ الْجَنَّةَ : إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبُ » الحديث .
وروى الترمذي وقال حسن صحيح مرفوعا :

« دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ فَإِنَّ الصَّدْقَ طَعْمُ نَيْبَةٍ ، وَالْكَذِبَ رِيْبَةٌ »

وروى ابن أبي الدنيا وغيره مرفوعا : « تَحَرَّوْا الصَّدْقَ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ الْهَلَاكَهَ فِيهِ فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ » .

وفي حديث الشيخين وغيرهما مرفوعا : « عَلَيْنَكُمْ بِالصَّدْقِ ، فَإِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَبِتَحَرُّمِ الصَّدْقِ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا » الحديث .

وفي رواية للإمام أحمد مرفوعا : « إِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرًّا ، وَإِذَا بَرَّ أَمِينًا ، وَإِذَا أَمِنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نميط الأذى عن طريق المسلمين المحسوسة والمعنوية . فالأولى معروفة ، والثانية هي إزالة الشبه التي تعرض .

في عقائدهم فمنيط الأذى عنها بما أطلعنا الله تعالى عليه من طريق كشفنا للحقائق ،
فيكتب لنا إن شاء الله نظير الثواب الذي ورد لمن أطاق الأذى المحسوس كالحجر
والشوك :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ لأحد عنده أعلى منه معرفة
بالله عز وجل ليزيل الشبهة العارضة في عقائد أهل الأفكار من أكابر العلماء ، فضلا
عن غيرهم :

وقد وضعت في ذلك ميزانا نحو كراسة ، أزلت بها غالب الاشكالات التي في مذاهب
الفرق الاسلامية ، كالجبرية والمعتزلة :

ووضعت ميزانا أخرى تزيل الشبهة التي تعرض للتعبد في طريق المعرفة بالله تعالى حاصلها
أن الله تعالى لم يكلّف عبدا بأن يعرف الله تعالى كما يعرف الله نفسه أبدا ، وإن الله تعالى
بنفسه علما اختص به لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، لأنهم لو علموه لساووه في
العلم ، ولا قائل بذلك من جميع الملل فضلا عن دين الاسلام ، وذلك أنه تعالى لا يتحد مع
عباده في حد ولا حقيقة ولا فضل ولا جلس :

فرد يا أخى جميع ماورد في الآيات والأخبار من التنزيه إلى مرتبة علمه تعالى بنفسه
ورد جميع ماورد في الآيات والأخبار من الصفات التي ظاهرها التشبيه إلى مرتبة علم
خلقه تعالى به ، فما أحوج الناس إلى التأويل إلا ظنهم بأن الله تعالى كلفهم بتعقل مرتبة
التنزيه التي لا يتعلمونها ، وإلا فلو علموا أنها خاصة به تعالى ما أولوا شيئا وكان يكفيم
الايان بأنه :

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) .

فعلم أن من رحمة الله تعالى بخلقه أنه تنزل لعقول خلقه بإضافة الصفات التي فيها راحة
التشبيه إليه ليأخذوا منها المعاني ، ثم تذهب تلك الصفات التي كادوا أن يكييفوها بعقولهم
كأنها حق ويبقى معهم العلم بالتنزيه الذي هو الأصل ، وإنما قلنا التي فيها راحة التشبيه لأن
التشبيه لا يلحق الحق تعالى أبدا كما لا يلحقه التكيف ، وذلك لأن التكيف لا يصح إلا
لو وقف التجلي الإلهي للعقول والقلوب أكثر من التنزيه وذلك محال ، فجميع التجليات
الإلهية كلمحة بارق ولا تقف للرأى حتى يكييفها ثم بتقدير وجود التكيف لأهل العقول

فلا بد من جهالهم بالله تعالى ، لأن تجليه دائما أبدأ الأبدن ودهر الدهارين ، فإن قدر أن الإنسان عرف ماضى فلا يعرف ما يأتى .

وأجمع للعارفون أن الحق تعالى لا يتكرر له تجل في صفة أبدا .

وأجمعوا على أنه تعالى خالق لجميع الوجود الكونى علوا وسفلا ، وأنه تعالى خالق غير مخلوق ، ومن كان خالقا غير مخلوق لا يعرف ، ومن شك في قولى هذا فليتعقل لنا شيء بعقله لم يخلقه الله تعالى لا محسوسا ولا معنويا بما تصوره القوة المصورة ، فإنه لا يقدر أبدا فكيف يصور الله تعالى ، فللحق تعالى أن يرد على أهل العقول جميع المعارف التى اكتسبوها بعقولهم ، ويقول لهم ما أحد منكم عرفنى حق معرفتى .

وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول : من طلب معرفة الله تعالى من طريق الفكر دون الكشف فن لازمه الشبه ولا يخرج عن ذلك إلا بالكشف .

وسمعت أخى أفضل الدين رضى الله تعالى عنه يقول : إنما أدخل إبليس على المتكلمين التأويل ليحرمهم ثواب كمال الإيمان بالغيب ، وذلك لأن الله تعالى ما كلفهم إلا أن يؤمنوا بعين ما نزل لا بما أولوه بعقولهم قال تعالى :

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) وقال تعالى (آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا) اه .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب فصوص اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكاير وهو مجلد ضخيم فراجعته ترى شيئا لم تجده في كتب أحد من المتكلمين والله الحمد وليس هذا من باب الدعوى وإنما هو حق ، وإيضاحه أن كل كلام خلقه الله ليس له مثل حقيقة من كل وجه إذ حقيقة المثلثة أن لا يزيد أحد الكلامين على الآخر حرفا ولا معنى ، فلا بد من زيادة أحدهما أو نقصه عن الآخر فالمثلثة موجودة في الذهن غير موجودة في نفس الأمر ، لمن عرف ما الأمر عليه فكل كلام ذكره الإنسان يضح أن يقول فيه هذا كلام لم يسبقنا إليه أحد فافهم والله تعالى أعلم .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « الإيمانُ يَضَعُ مَسْتَوْنِ أَوْ سَبْعُونَ شُعْبَةً أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

قال الحافظ : يقال إماط الشيء عن الطريق إذا نحاها عنها وأزاله منها .

قال والمراد بالأذى كل ما يؤذي المار كالحجر والشوك والعظم والنجاسة ونحو ذلك .

وروى مسلم وابن ماجه عن أبي بردة قال : قلت يا رسول الله علمني شيئا أنتفع به قال :

« أُعْزِلِ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ » .

وروى الشيخان في حديث طويل : « وَتَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » .

وفي رواية لابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« أَمْزُكُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَإِنْجَاؤُكَ الْقَدْرَ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » الحديث .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه والبيهقي :

« وَإِمَامَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوكَ وَالْعَظْمَ عَنِ طَرِيقِ النَّاسِ صَدَقَةٌ » .

وروى الطبراني والبخاري في كتاب الأدب المفرد عن معاوية قال كنت مع معقل ابن يسار في بعض الطرقات ، فررنا بأذى فأماطه أو نجاه عن الطريق ، فرأيت مثله فأخذته فنحيتَه فأخذ بيدي ، وقال يا أخى ما حملك على ما صنعت ؟ قلت يا عم رأيتك صنعت شيئا فصنعت مثله ؛ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنْ أَمَاطَ أَذَى مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَدَنْ تُقْبِلَتْ مِنْهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وفي رواية للطبراني : « وَمَنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

قلت : وفي هذا الحديث بشارة عظيمة فإن ساحة كرم الله تعالى تتعظم أن لا تقبل من مسلم حسنة واحدة ، فالحمد لله رب العالمين :

وروى الشيخان مرفوعا : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ عُمُنَ شَوْكٍ فَأَنْزَعَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذَلِكَ فَفَقَرَ اللَّهُ لَهُ » .

وفي رواية لمسلم : « لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَابُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا عَنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ » .

وفي رواية لأبي داود مرفوعا : « مرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ فَقَالَ
وَاللَّهِ لَا تُحَيِّنَنَّ هَذَا عَن طَّرِيقِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ » .
وفي رواية لأبي داود مرفوعا : « نَزَعَ رَجُلٌ ، لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، غُصْنَ شَوْكٍ
عَنِ الطَّرِيقِ » .

إما قال الراوى : « كَانَ فِي شَجَرَةٍ فَفَطَعَهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ مَوْضِعًا فَأَمَاطَهُ عَنِ
الطَّرِيقِ فَشَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ لَهُ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ » .
وروى الإمام أحمد وأبو يعلى بإسناد لا بأس به في المتابعات ، عن أنس بن
مالك قال :

« كَانَتْ شَجَرَةٌ تُؤْذِي النَّاسَ فَأَتَاهَا رَجُلٌ فَفَعَزَ لَهَا عَن طَّرِيقِ النَّاسِ ، فَقَالَ
نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَتَقَلَّبُ فِي ظِلِّهَا فِي الْجَنَّةِ » والله تعالى أعلم
قلت : وينبغي للحجاج أن يتقدموا ويلبوا ما في طريق الحاج من شوك أم غيلان
في نحو وادى الخروبة والعقيق وبساتين القاضى ، فإن غالب الأحمال تعلق بتلك الأشجار
فإن العرب يقطعون الفرع ويتركون شيئا منه كالأضلاع خارجا ، فربما كان المحمل لعجوز
ضعيفة فيعلقها في الليل ويرميها يكسرها وقد تعلقت محفة للشيخ عبد الله الغمرى ليلا في
فرع من الخروبة لما حج سنة سبع وأربعين فاشترى له فأسا من مكة وعزم على قطعها إذا
رجع فأدرسته المنية في منزل بدر فمات رضى الله عنه ، والله تعالى يثيب العبد بالنية والله
تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نقتل الوزغ والحية
والعقرب وكل شيء يؤذى المسلمين بطريقه الشرعى ، حتى إبرة العجوز التي تشق الجلد
وتدخل فيه ، وأما الحيات ففيها تفصيل سيأتى في الأحاديث بشرطه .

وقد بلغنا عن وهب بن منبه أنه سئل عن الوزغ ماشأنه حتى يقتل ؟ فقال لما فيه من
السم ، يدل له أنك إذا قطعت ذنبها تصير ساعة تضطرب وأيضا فلإنها كانت تنفخ نار الغروذ
على إبراهيم الخليل عليه السلام فقبل لها ، و إذا تغنى نفختك مع ضعفها فقالت أعرف
أن نفختى ضعيفة ، وإنما فعلت ذلك لإظهارا للشهامة بإبراهيم حيث كسر آلهتنا ، هكذا

رأيته منقولاً في بعض الكتب ، وسبأني في رواية ابن حبان في صحيحه والنسائي ما يشهد لتلك المسئلة بغير هذا اللفظ والله تعالى أعلم .

وأدلك يا أخى على فائدة عظيمة ، إذا قرصتكَ عقرب فادهن دائر مخرج الغائط بالزيت الطيب ، فإن الحرقان يبرد في الحال ، وقد جربنا ذلك مرارا ، وإذا لسعتك حية أو ثعبان ولم تجد دواء طاهرا فخذ من غائطك أو غائط غيرك مقدار مثقالين وادفعه بالماء سواء كان جافا أو رطبا ، فإن السم يجتمع من سائر البدن ويخرج قرصا واحدا بالقيء ، وقد جربنا ذلك أيضا وهو من تسرع ما وجدناه للبرء والله تعالى أعلم .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه مرفوعا :

« مَنْ قَتَلَ وَرَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً ، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً دُونَ الْحَسَنَةِ الْأُولَى ، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّلَاثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً دُونَ الثَّانِيَةِ » .

وفي رواية لمسلم : « وَمَنْ قَتَلَ وَرَغًا فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِائَةَ حَسَنَةٍ ، وَفِي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ دُونَ ذَلِكَ » .

وفي رواية لمسلم وأبي داود قال : « فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ سَبْعِينَ حَسَنَةً » .

وروى ابن حبان في صحيحه والنسائي : « أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ عِنْدَهَا رُمُحٌ مَوْضُوعٌ فِي الْبَيْتِ تَقْتُلُ بِهِ الْوَرَعَ وَتَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُلْتِيَ فِي النَّارِ لَمْ تَكُنْ دَابَّةً فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَطْفَأَتِ النَّارَ عَنْهُ غَيْرَ الْوَرَعِ فَإِنَّهُ كَانَ يَنْفُخُ عَلَيْهِمْ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِ » .

قال الحافظ والوزغ هو الكبار من سام أبرص .

وروى البخارى عن أم شريك قالت :

« أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْأَوْزَاعِ قَالَ : وَكَانَ يَنْفُخُ النَّارَ

عَلَى إِبْرَاهِيمَ » .

وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه .

« مَنْ قَتَلَ حَيَّةً فَلَهُ سَبْعُ حَسَنَاتٍ ، وَمَنْ قَتَلَ وَرِغًا فَلَهُ حَسَنَةٌ » .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى والطبرانى مرفوعا :

« مَنْ قَتَلَ حَيَّةً فَكَأَنَّمَا قَتَلَ مُشْرِكًا قَدْ حَلَّ دَمُهُ » .

وفي رواية للبخاري : « مَنْ قَتَلَ حَيَّةً أَوْ عَقْرَبًا » الحديث .

وروى أبو داود وابن جبان في صحيحه مرفوعا :

« مَا سَأَلْنَا هُنَّ مِنْذُ حَارِبْنَاهُنَّ » يعنى الحيات « وَمَنْ تَرَكَ قَتْلَ شَيْءٍ مِنْهُنَّ

خِيْفَةً فَلَيْسَ مِنَّا » .

قال الحافظ ويروى عن ابن عباس :

« الْحَيَّاتُ مَسْخُ الْجِنِّ كَمَا مَسَخَتِ الْقِرَدَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

وروى أبو داود والترمذى والنسائى : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ

حَيَّاتِ الْبُيُوتِ فَقَالَ : إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُنَّ شَيْئًا فِي مَسَاكِينِكُمْ فَقُولُوا : أُنشِدْكُمْ

العَهْدَ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْكُمْ نُوحٌ ، أُنشِدْكُمْ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْكُمْ سُلَيْمَانُ ، أَنَّ

لَا تُؤْذُونَا فَإِنْ عُدْنَا فَأَقْتُلُوهُنَّ » .

وكان ابن عمر يقتل الحيات كلهن حتى حدثه أبو لبابة أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم نهى عن قتل حيات البيوت فأمسك رواه مسلم وغيره :

وروى مالك ومسلم وأبو داود أن شخصا قتل حية وجدها على فراشه ، فمات لوقته

فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله ادع الله أن يحييه

لنا فقال :

« اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسَمُوا ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ

مِنْهَا شَيْئًا فَادْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ بِعَمَلٍ ذَلِكَ فَأَقْتُلُوهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ كَافِرٌ

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَذْهَبُوا فَأَذْفَنُوا صَاحِبِكُمْ » .

وفي رواية لهم : « إِنَّ لِهَذِهِ الْبُيُوتِ عَوَامِرَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَحَرِّجُوا

عَلَيْهَا ثَلَاثًا فَإِنْ ذَهَبَ وَإِلَّا فَأَقْتُلُوهُ فَإِنَّهُ كَافِرٌ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَذْهَبُوا فَأَذْفَنُوا

صَاحِبِكُمْ » .

وفي الحيات نوع أندر إذا نظرت إليه الحامل ألقت ما في بطنها ، قاله النضر بن شميل وأطال الحافظ المنذرى في ذكر مذاهب العلماء في قتل الحيات المتعلقة في البيوت وفي تركها فراجعها .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « أَنْ تَمَلَّةٌ قَرَصَتْ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ تَمَلَّةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنْ الْأُمَمِ تَسْبِحُ اللَّهَ تَعَالَى » .

زاد في رواية : « فَهَلَا تَمَلَّةٌ وَاحِدَةٌ » .

قال الحافظ وقد جاء في حديث آخر أن هذا النبي هو عزيز عليه الصلاة والسلام ، قال وقوله فهلا تملة واحدة دليل على أن التحريق كان جائزا في شريعتهم ، وفي الحديث تنبيه على أن المنكر إذا وقع في بلد من أفراد الناس فلا يأمن أن ينزل عليه العقاب العام والله تعالى أعلم :

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ننجز الوعد في الأمانة ونأمر بذلك جميع إخواننا ، وهذا العهد قد صار غالب الخلق يخجل به بحكم الوعد السابق من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكاد يسلم من خيانتته إلا قليل من الناس . وقد حكى لي من أثق به أنه أودع عند شخص من المعتقدين في العصر ألف نصف في رمضان يبيع بها هو وعياله جمعها من معزه وغنمه وغزل امرأته خوفا أنها تخرج منه قبل سفر الحاج ، وقال سيدي الشيخ يحفظها لي حتى أسافر ، فلما جاء الميعاد طلبها منه ، فقالت : مارأيتك قط وقام على جاعته فكادوا أن يكفروني ، وقالوا نخون سيدي الشيخ فقلت له هل دعواك صحيحة على الشيخ فإن كانت صحيحة فاحلف لي فأقن بامرأته واعترفت له بالزوجة وحلف لنا بالطلاق الثلاث منها أنه أعطاه ألف نصف وديعة ، فقلت له لم لم تشهد عليه اثنين من المحكمة؟ فقال : قد قلت له الموت والحياة بيد الله عز وجل ومقصودي أعطيهم لك قدام شهود ، فقال لي أنت قلبك خراب أما تكفي بشهادة الله تعالى ، فقلت له كفى بالله شهيدا فركنت إليه فراحوإلى يوم تاريخه ؟

فإياك يا أخى أن تعطى شخصا في هذا الزمان وديعة بلا شهود :

وكذلك وقع لصاحبنا الشيخ محمد السنورى الضرير أنه جمع له خمسة وعشرين دينارا على نية التزويج فبلغ ذلك شخصا من المشايخ اسمه الشيخ حسن النطاح ، وكان من شأن

هذا أن له مثل ركلة العنزة موضع السجود وله شعرة مضمفورة وهى مكشوفة ويذكر الله
مننا كل مجلس حتى يصير له رغاء كرغاء البعير من الهيام ، فأتى هذا الشيخ إلى الشيخ
محمد السنورى ، وقال يا أخى أعجبني خبرك ودينك ولى بنت عظيمة الجمال ما أحببت
أن أحدا يأخذها غيرك ، وأعطوني فيها ثلاثين دينارا وأنا أرضى منك بعشرين دينارا ،
فأتى بهم الضرير له فى صرة وقال تحضر عبد الوهاب معنا ، فقال أما ترى أن يكون الله
شاهدا لك ، فقال الضرير نعم ، فأخذهم وراحوا إلى يوم تاريخه .

وكذلك حكى لى من أثنى به قال : حضرت شخصا يقبض شخصا سبعمائة دينار ،
وكان القابض يظهر الدين والورع فقلت له أنا لا أنحمل شهادة ولكن أما ترضيا بالله
والملائكة الكرام الكاتبين التى معكما ومعى شهودا فإن الله تعالى يقبل شهادتهم علينا
فى الأعمال فقال المقبض رضيت فكنتبت له ورقة صغيرة صورتها أقبض فلان فلانا
سبعمائة دينار ، ورضى المقبض بشهادة الله تعالى والملائكة وأخذ الورقة فى رأسه فبعد
مدة يسيرة رأيت فى المنام أنه جحد ، فقلت له طالبيه فطالبه ، فقال له ليس لك معى شيء ،
فقال أما تذكر شهادة الملائكة فضى القابض إلى القاضى وقال شخص يدعى على سبعمائة
دينار وشهوده الملائكة فقال ائتنى به أعزره ، فلولا لطف الله تعالى بأن شخصا سمع
الواقعة وهو فوق سطح لا يراه حتى شهد لراحت للفلوس كلها ، قال : والله ما كان
عندى أن أحدا يشهد الله والملائكة ويخون أبدا .

فإياك يا أخى أن تثق بأحد فى هذا الزمان وتدع عنده ودیعة بلا شهود إلا بعد تجربة
طويلة .

وأخبرتني السيدة أم الحسن زوجتي ابنة سيدى أبى السعود ابن الشيخ مدين ، وكانت
من الصالحات الخيرات الدينات الصادقات ، أن شخصا جاء يصلى فى زاوية جدها فرأى
تاجرا من جماعة الشيخ داخلا فى الخلوة بألف دينار ، فعمل أعمى وصار ذلك التاجر يطعمه
ويسقيه ويكسوه مدة سنة وهو يعتقد أنه أعمى ، ويترقب غياب التاجر ليخونه فى الألف دينار
إلى أن غاب التاجر ليلة فى مولد فكسر الأعمى المتفعل قفل الصندوق وأخذ الألف دينار وهرب
بها إلى الصعيد وصار بها تاجرا له عبيد وأصحاب . فانظر صبر هذا الأعمى سنة وما أحد
من أهل الزاوية يشعر به أنه بصير حقيقة فى ليل أو نهار ، وكان كل من فى الحارة والزاوية
يتبرك به لما هو عليه من الصوم وقيام الليل وقلة الكلام والورع هذا فى الأموال .

وأما في الفروج والكلام فلا تحصى الخيانة فيهما :

فحكى أن امرأة من بنى إسرائيل كانت بدبعة الجبال فتداعت هى وخصمها عند قاض من بنى إسرائيل ، فلما نظر القاضى إليها وقع فى قلبه محبتها فقال لها فى أذنها لا أقضى لك إلا إن مكنتينى من نفسك ، فلم تجبه إلى ذلك فراجعت القاضى وخوفته من الله تعالى ، فلم يخف فرفعت أمرها لحاكم سبامى ليخلصها فلما نظر إليها افتتن بها كذلك وقال لا أخلصك إلا إن مكنتينى من نفسك ، فخوفته من الله تعالى فلم يخف فرفعت أمرها للسلطان فطلب منها أن تمكنه كذلك فبكت ورفعت أمرها إلى داود عليه الصلاة والسلام فعلم بذلك القاضى والحاكم والساطان فدبروا حيلة يؤدى قبولها إلى قتلها ، وقالوا نربح الناس من فتنها ، فأثروا داود عليه السلام ببينة تشهد عليها أنها ربت عندها كلبا وصارت تمكنه من نفسها كلما أرادت ، فأمر داود عليه السلام بقتلها ، ثم إن الله تعالى ألهم سليمان وصغار الحارة أن يعمل أحدهم حاكما تداعى عنده امرأة جميلة تأخذ بالقلوب وأقاموا البينة زورا وشهدوا على تلك المرأة بتمكينها الكلب منها ، فقال سليمان هذه البينة زور ورد شهادتهم كل ذلك وداود ينظر من حيث لا تشعر الأطفال ، فعلم داود أنه حكم بغير الحق فرجع عن أمره بقتلها .

وقد أخبرنى للشيخ عمر الإمام عندنا بالزاوية أن شخصا لعب على عقل أخت رجل من أصحابه وتزوجها ثم سافر بها لبلد أخرى ، فادعى أنها أخته وزوجها لإنسان وهرب فصار يطلب المرأة وهى تمتنع منه ، ثم إن أخاها صادفه بعد ذلك فبرطل القاضى بدينارين ذهباً فانقاب معه على أخيها فحكيت ذلك لأخى أفضل الدين فقال هذا يستحق التأديب بالعمى فعمى الحاكم بعد ثلاثة أيام فهو أعمى إلى وقتنا هذا ، وما حكيت لك هذه الحكايات إلا لتعرف زمانك وتحترز حتى من ولدك ، وأما خيانة الكلام فكثيرة جدا فلا تكاد تجد أحدا يحفظ لك سرا أبدا ولم تنزل الناس يحتاجون إلى من يكتم أسرارهم فى كل عصر وحامل للسرق فقد من الدنيا فاكتم سرك حتى عن ولدك ، فربما صار عدوا لك كما وقع لأولاد الأمير الزرد كاش فاطلعوا من والدهم على ما يوجب القتل عند الملوك فأثروا ذلك إلى الباشا على بمصر فسلب نعمته وأذله حتى عزم على شنقه وحصل له اللطف بواسطة واحد زاره من الفقراء والله يحفظ من يشاء كيف يشاء :

وروى أبو يعلى والحاكم والبيهقى مرفوعا :

« تَقَبَّلُوا لِي سِتًّا أَتَقَبَّلُ لَكُمْ الْجَنَّةَ : إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ ، وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ ، وَإِذَا اثْبَتَ فَلَا يَحْنُ » .

وفي رواية للإمام أحمد وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« أَضْمِنُوا لِي سِتًّا أَضْمِنُ لَكُمْ الْجَنَّةَ : أَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ ، وَأَدُّوا إِذَا اثْبَتْتُمْ »

الحديث .

وروى الطبراني مرفوعا : « أَكْفَلُوا لِي سِتًّا أَكْفُلُ لَكُمْ الْجَنَّةَ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ ، وَالزَّكَاةُ ، وَالْأَمَانَةُ ، وَالْفَرَجُ ، وَالْبَطْنُ ، وَاللِّسَانُ » .

وروى مسلم وغيره مرفوعا : « إِنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، ثُمَّ حَدَّثْنَا عَنِ الْأَمَانَةِ وَرَفَعَهَا فَقَالَ : يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيُظَلُّ أَمْرُهَا مِثْلُ الْجَمْرِ دَخَرَجْتُهُ عَلَى رِجْلِكَ فَتَنْفَطِرَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَخَذَ عَصَاهُ فَدَخَرَجَهَا فَيُصْبِحُ النَّاسُ فَيَتَّبِعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُوَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنَ الْإِيمَانِ » .

وفي رواية للإمام أحمد والبيهقي عن ابن مسعود أنه قال :

« الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا إِلَّا الْأَمَانَةَ ، قَالَ : ثُمَّ إِنَّ الصَّلَاةَ أَمَانَةً ، وَالْوُضُوءَ وَالْوَزْنَ أَمَانَةً ، وَالْكَيْلَ أَمَانَةً ، وَأَشْيَاءَ عَدَدَهَا ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) .

وروى الطبراني مرفوعا : « لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ » .

وروى الترمذي : « إِذَا فَعَلْتَ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خِصْلَةً فَقَدْ حَلَّ بِهَا الْبَلَاءُ ،

فَذَكَرَ مِنْهُنَّ : وَإِذَا اتَّخَذْتَ الْأَمَانَةَ مَغْمًا وَالزَّكَاةَ مَغْرَمًا » الحديث .

وروى أبو داود وابن أبي الدنيا عن عبد الله بن أبي المهاز رضي الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث ، فبقيت له بقية فوعده أن آتية بها في مكانه فقيت ، فذكرت ذلك بعد ثلاثة فمجت ، فإذا هو بمكانه فقال :
« يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « عَلَامَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُتْبِعَ خَانَ » .
والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحب لله ونبغض لله حتى زوجتنا وأولادنا وأموالنا وأعمالنا ، فلا يكون لنا في شيء من ذلك علة نفسانية أبدا وهذا العهد من أعز ما يوجد ، فإن غالب الناس يدعى المحبة لله وهو كاذب .
وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام :

« كَذَبَ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتِي فَإِذَا أَجَنَّهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي » اهـ .

وسمعت مرة شخصا يقول لأخيه ، يا فلان محبتك لله تشبه محبتي في العبادة ، تنام حتى يعشش العنكبوت على عينيك وتطلب محبة الله ، هذا زور وبهتان اهـ :
فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به الطريق حتى يوقفه في حضرة يشهد فيها وجه نسبة الأمور للحق دون نسبتها للخلق ، فإذا شهد ذلك المشهد يجد وجه الحق أجمل من كل جميل وأطيب رائحة من المسك ، فحجبه عن شهود وجه نسبة الأمور للخلق ، وأشهده وجه قبح وجه الخلق بالنسبة لوجه الحق ، كوجه الطاعة إذا تصورت صورة جميلة ووجه المعصية إذا تصورت صورة قبيحة ، فهل يصير أحد يقدم القبيح للصورة والرائحة مثلا ويؤخر الصورة الحسنة الطيبة الرائحة ؟ فهذا هو المراد بوجه الحق تعالى في كلام القوم .

وليضاح ذلك أن كل فعل مخلوق له وجهان : وجه إلى الحق يعني موافقا للشريعة ، ووجه إلى الخلق يعني مخالفا لها ، فكل موافق للشريعة فهو وجهه الحق وهو باق إلى الأبد ، وكل ماخالف للشريعة فهو وجه الخلق وهو هالك من وقت ظهوره إلى الأبد إلا من حيث المؤاخدة عليه في الآخرة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى :

(سئل: شيء هالك إلا وجهه).

أى وجه الشيء الموافق لما يحببه الله ويرضاه ، ويعبرون عن عجب الذنب أيضا بوجه الحق ، لأن منه يركب الخلق يوم البعث ، فلا نطن يا أخى أن المراد بوجه الحق ما يزداد بوجه الإنسان والحيوان فإن ذلك محال ، فإن حقيقته تعالى مخالفة لسائر حقائق عبادته التى هى الأرواح فضلا عن الصور الظاهرة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .
فعلم أن من أحب ولده أو زوجته حب الطبع فليس هو من أهل الطريق ، وإنما هو مفتر كذاب ، وكذلك من شح على سائل بشيء طلبه .

وبالجملة فتى رجح ولده وزوجته عنده فى المحبة على ولد الغير وزوجته فهى محبة طبيعية إلا أن يكون من الكمل الذين يحبون الخلق لله تعالى ، ويعلمون أن فيهم جزءا يجب ترجيح محبة ولده على ولد الغير فيعطون ذلك الجزء حقه فلين مدعى الكمال نفسه بهذا الميزان ، فعلم أنه لولا وجود صفة صالحة فى أولاد الكمل ما أحبرهم ، فالصفة الصالحة هى وجه الحق فما أحبوا حقيقة إلا وجه الحق .

وقد عز الأخ الذى يجب أخاه لله فى هذا الزمان وصار كالكبريت الأحمر ، فاسكل واحد لسان قدام أخيه ولسان وراءه حتى بعض مشايخ الزوايا ، وإن شككت فى قولى هذا فامدح له بعض أقرانه وبالغ فيه حتى أنك تكاد تطفى نوره ، فإنه لا بد أن يذكر لك كلاما فيه رائحة تنقيص تعريضا أو تصريحا ، فأين دعواه المحبة ؟ وما صحبت فى عصرى هذا أخا صالحا أنحقق أنه من ورأى مثل ما هو من قدامى غير الشيخ الصالح زين العابدين ابن للشيخ العارف بالله تعالى الشيخ عبيد الباقيسى ، فسح الله فى أجله لا يعرف عدو يأخذ منه كلمة فى حق أصحابه كلهم ، لأنه يقلب كل كلام فيه رائحة نقص ويجعله يعطى الكمال وهذا عزيز جدا :

وقد ادعى شخص من مشايخ العصر أنه يحبنى أعز من ولده وحلفت لى بالله العظيم وله نحو عشرين نصفا من الجوالى ، فأرسلت أمتحن دعواه وأطلب منه أن يرتب لى نصفا واحدا منها فعبس فى وجه للسائل ومن ذلك اليوم مادعى محبى قط .

وقد أجمع أهل الطريق على أن أقل مراتب الأخوة فى الله تعالى أن أخاه لو طلب منه خصفت ما بيده من مال وثياب وطعام وغير ذلك لأعطاه له بانسراح صدر .

وقالوا : كل من ادعى أنه أخوك فزنه بهذا الميزان فأوفى به فتردد إليه وإلا خفت رجلك عنه فإن من لا ينفعلك في الدنيا لا ينفعلك في الآخرة .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لا يخلو من يطلب منك شيئا من الإخوان وتمنعه أن تكون اطلعت من طريق كشفك أنه ليس هو له أو هو له فإن كان ليس هو له فأعطه له ثمخرج عن وصفك بالبخل وسوف يرجع إليك لأنه لم يقسم له ، وإن كان هو له فأعطه له اختيارا قبل أن يصل إليه اضطرارا ولو بالغضب والسرقة اه .

وقدمن الله على بسهولة كل ما يطلب منى من الثياب والمال والأختصاصات وغيرها فلا أمتع أحدا شيئا طلبه منى إلا بوجه شرعى ، إما أن يكون هناك من هو أخوج إلى ذلك الشيء منه وإما لكونه يستعين به على معاصى الله أو على أكل الشهوات المسكروهة ، وأما شخص عدم الموانع الشرعية كلها فعاذ الله أن نمنعه لأن تصرفنا فى مال الحق تعالى كتصرف الوكيل ، وتعرف أننا متى منعنا من أمرنا الحق باعطائه عز لنا من الوكالة فتتحول عنا التعم ونغر الخلائق الذين حولنا .

وقد أنشدنى سيدى على الخواص رحمه الله يوما على لسان مرید من الفقراء :

يَا عَمَّ حَيْضَانَ الْوُرُودِ مَلَانَةٌ وَحَوْضٌ فَارِغٌ مَّا عَلَيْهِ وَرُودٌ

فعلم أن الفاسق ينبغى بغضه فى الله لفقد الصفات الصالحة التى ندبنا الحق إلى محبته لأجلها ، ومتى أحببنا فاسقا من حيث فسقه فقد خرجنا عن الشريعة ، فليتفقده من يريد يحب لله ويبغض لله نفسه قبل أن يحب بالطبع ويكره بالطبع كما هو واقع فى أكثر الناس ، فما دام الشخص موافقا للناس على أغراضهم النفسانية فهم يحبونه ويشكرونه ولو كان فاسقا ، ومتى تكذبوا منه قامت عليه القيامة ولو كان على عبادة الثقلين .

وسمعت شخصا يدعى محبة أخى أفضل الدين وهو يقول له : رح واستكف البلاء فقال : والله إنى أحبك وأسأل الله تعالى أن يحشرنى معك فى الآخرة ، فقال له أخى وأى شيء تفعل إذا حشرونى إلى النار؟ قال أفارقك وأروح ، فقال ليست هذه بأخوة إنما الأخوة أن لا تدخل الجنة حتى أتخلص من النار وتدخلى معك فقال لأطيق اه .

وقد ادعى لإنسان محبى فى طريق الحجاز وصار ملازما لى لا يكاد يفارقنى فجمعنى أنا وإياه مضيق شق العجوز فزاحت جمالى جماله فدفع جملى فوقه بحمله فن ذلك اليوم سقط من عينى وعلمت أنه فى الآخرة أقل مساعدة لى .

ودخلت مرة على سيدى الشيخ ناصر الدين اللقانى المالكي رضى الله عنه زائرا ومعنى بعض كعك فقال : والله ما نصحب مثلكم إلا ليأخذ بيدنا في عرصات القيامة لا غير ، فكانت تعجبني هذه الكلمة منه وإن كان فيها علة خفية من حيث أن المحبة لله لا يريد صاحبها ممن أحبه جزاء ولا شكورا .

وقد ظفرت في زمانى كله بواحد له هذا المقام وهو سيدى عبد القادر المغازلى الذى وقف على وعلى ذريتي ثم بعد ذريتي على الشيخ أبى الحائل نصف السريحة ونصف الطاحون بنحط بين السورين ، فإنه لما رأى الوارد على كثيرا من غير علمى أتى بسبعمائة دينار ليشتري بهما النصفين المذكورين ، فلما رأى البائع عزمه سامح الآخر بالبعض ، فقالت للفقراء الذين عندي اجعلوا له سبعا وادعوا له فقرءوا تلك الليلة فنزل وهو ضعيف يتوكأ على عصا من بيته ، وقال مامع أحد منكم إذن منى أن يقرأ لى ولا يقول اللهم ارحم عبد القادر أبدا ، وخلوا بينى وبين ربى رحمه الله تعالى ، وإلى الآن ما وجدت أحدا على قدمه بل كل من فعل خيرا للفقراء يكاد يستعبدنا ويأخذ جميع أعمالنا الصالحة إن كان لها وجود ولا نرضيه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إن الله تعالى يغار من محبة عبده أحدا غيره إلا بإذنه على للكشف والشهود وهى أحب أحدا غافلا عن هذا المشهد فينبغى له الاستغفار ألف مرة فقد أذن الشبلى مرة فوقف عند قوله أشهد أن محمداً رسول الله ثم قال وعزتك وجلالك لولا أمرتنى بذكر غيرك ما ذكرت سواك اه .

ولا يخفى أن هذا كان من الشبلى حال سكره وغيبته ، وإلا فلو كان صاحبيا لعلم أن الله تعالى أمرنا بذلك ، فإن المحمود إنما هو الغيرة لله لاعلى الله .

وهناك أسرار يذوقها أهل الله تعالى إذا صاروا لا يشهدون إلا الله تعالى فاعلم ذلك وتدبر فيه ، والله يتولى هداك :

وروى الشيخان والترمذى والنسائى مرفوعا : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَنْ يَكْفُرْ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ سَكَا يَكْفُرُهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ » .

وروى مسلم مرفوعاً : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُحْسِنُونَ
إِجْلَالِي ؟ الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي » .
وروى الحاكم مرفوعاً : « مَنْ مَرَّه أَنْ يَجِدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبِّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ
إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى » .

وفي حديث الشيخين : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، فَذَكَرَ
مِنْهُمْ : وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ » .
أى اجتماعاً على ما يرضيه وتفريقاً على ما يسخطه ، فكان اجتماعهما بإذن
وافتراقهما بإذن .

وسبأني في عهد تشيع الميت رواية الإمام أحمد مرفوعاً بإسناد حسن :
« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا تَوَلَّى اثْنَانِ فَيَفْرَقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا يَدْنِبُ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا » .
وروى الطبراني ورواه قلت مرفوعاً : « إِنْ مِنْ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ
لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ مَالٍ أَعْطَاهُ فَذَلِكَ الْإِيمَانُ » .

وروى الطبراني وأبو يعلى مرفوعاً : « مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا كَانَ أَحَبَّهُمَا
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ » .
وفي رواية للحاكم : « إِلَّا كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ » .

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعاً : « مَنْ أَحَبَّ فَمَوْ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً فِي الْجَنَّةِ
مِنْ الْمُحِبُّوبِ » الحديث بمعناه .

وروى الشيخان : « أَنْ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا
وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ - يَعْنِي فِي الْأَعْمَالِ - ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمَرْءُ مَعَ
مَنْ أَحَبَّ » .

وروى ابن حبان في صحيحه : « لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا ، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ
إِلَّا تَقِيٌّ » والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نختار للمجالسة الجليس الصالح وهو الذي لا يلحقنا إثم بمجالسته ، وذلك إما بالتوبة من الإثم فإذا وقع أحدنا بسببه في ذنب تاب على الفور من غير إصرار ، وإما بعدم وقوعنا في الإثم بسببه أصلا ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سياسة وفراسة ليعرف من يستحق المجالسة ممن لا يستحق ، ومن لاسياسة عنده يقبل على مجالسة كل من رآه ، ثم بعد ذلك يقطع مجالسته فيصير عدوا له .

وقد قالوا : العاقل من يقدم التجريب قبل التقريب ، ووالله إن الإثم الذي يقع فيه من يعتزل الناس اليوم يكفيه ويغنيه عن زيادة الأوزار التي يكتسبها من مجالسة الناس ، فلا يكاد الإنسان يجد مجلسا واحدا يخلو عن إثم أبدا ، إما غيبة ، وإما نجيمة ، وإما غفلة عن الله تعالى ، وإما تحريض على طلب دنيا وإما غير ذلك ، فالوحدة خير من مجالسة الناس اليوم ، إلا أن تتعين المجالسة عليه بطريقه الشرعى .

ففتش يأخى على الصالحين وجالسهم ، فإن لم تجدهم فاجلس وحدك فقد قالوا : الوحدة ولا الجليس سوء ، وقالوا : الجلوس مع الكلب أولى من الجلوس مع من يحملك على الآثام .

واعلم يا أخى أن كل من حصل لك بواسطة مجالسته إثم فهو جليس سوء ، فهل سلم لك على هذا جليس واحد ؟ لا والله لا تكاد تجده فالوحدة أولى ، والسلام .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « إِمَّا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ الشُّوْءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ ، إِمَّا أَنْ يَخْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً » . ومعنى يحذيك : يعطيك .

ولفظ رواية أبي داود والنسائي مرفوعا :

« مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمَسْكِ إِنْ لَمْ يُصْنِكْ مِنْهُ شَيْءٌ ، أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ ، وَمَثَلُ جَلِيسِ الشُّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ نَافِخِ الْكَبِيرِ إِنْ لَمْ يُصْنِكْ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نجعل جلوسنا دائما للقبلة عملا بعموم قوله تعالى :

(وَحَيْثَمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) .

أى نحو الكعبة ، اللهم إلا أن يكون أحدنا جالسا في حلقة فقبلة أحدنا حينئذ وجوه أصحابنا من حيث أن المؤمن مرآة المؤمن ؛ ولا يخفى أن توجه العبد لأخيه في غير صلاة أفضل من توجهه للقبلة ، فإن لم نجد من نستقبله من المسلمين استقبلنا القبلة لأنها تليها في المرتبة :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الطبراني بإسناد حسن : « إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَيِّدًا ، وَإِنَّ سَيِّدَ الْمَجَالِسِ

قِبَالُ الْقِبْلَةِ » .

وفي رواية له أيضا : « إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرْقًا ، وَإِنَّ شَرْفَ الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ

بِهِ الْقِبْلَةُ » .

قال الحافظ : وفي الباب أحاديث غير هذه لا تسلم من مقال ، والله أعلم .

(أخذ علينا العهد للعام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب لإخواننا التجار الذين يسافرون إلى الشام أن يجعلوا معظم نيتهم امثال أمر الشارع في سكنى الشام دون التجارة ، فإن التجارة حاصلة تبعا ولو لم ينووها ؛ وذلك ليكونوا في سكناهم الشام تحت امثال أمن الشارع فيثابوا على ذلك ، بخلاف ما إذا جعلوا نيتهم التجارة فقط فلا يحصل لهم أجر عند بعضهم ، للحديث :

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .

ولا ينافي ما ذكرناه قول سلمان الفارسي لأبي الدراء : إن الأرض المقدسة لا تقدر أحدا ، وإنما يقدر كل إنسان عمله . لأننا نقول إذا أمرنا الشارع بشيء فلا نخرج عن العهدة إلا بفعله ، فنسكن في الشام امثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معولين على فضل الله لا على أرض الشام ، وكذلك القول في حق من أقام بمكة والمدينة لأجل فضل الصلوات هناك يقم لأجل مضاعفة الأجر في الصلوات هناك ، ولا يعتمد في نجاته في الآخرة إلا على الله تعالى دون الأعمال الصالحة ، فافهم .

وكان لفظ أبي الدراء الذى أرسله إلى سلمان الفارسي :

أما بعد فهلم يا أخى إلى الأرض المقدسة فلعلك تموت فيها فكتب إليه سلمان :
أما بعد ، يا أخى فقد بلغنى كتابك وفهمت ما فيه وإن الأرض المقدسة لا تقدر أحدا ،
وإنما يقدر كل إنسان عمله والسلام .

فإياك يا أخى أن تسافر للقدس أو دمشق بلا نية صالحة ، فإن الدنيا وما فيها كالهباء
إلا ما ابتغى به وجه الله . وقد علمت هذا العهد لبعض إخواننا من التجار فصار يحرق نيته
من مصر إلى زيارة أبنائنا الخليل عليه الصلاة والسلام ، وإلى زيارة موسى ولوط وشعيب
ونوح وإن لم يثبت من طريق المحدثين أن تلك القبور هي قبور هؤلاء الأنبياء يقينا فيزورهم
العبد بالنية ، وأيضا فإن أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها الإطلاق والسراح
في البرزخ فلا يطلبهم إنسان في مكان إلا ويحضرون عنده ، وإذا كان بعض الأولياء يحضر
عند مريده في أى وقت طلبه فالأنبياء أولى بذلك :

(وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

وروى الترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا ، قَالُوا : وَفِي تَجْدِنَا ، قَالَ : اللَّهُمَّ
بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا ، قَالُوا : وَفِي تَجْدِنَا ، قَالَ هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ ،
أَوْ قَالَ : وَمِنْهَا يَخْرُجُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ . »

وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُوَالَةَ : عَلَيْكَ بِالشَّامِ
فَإِنَّهَا خَيْرَةُ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ يَجْتَبِي إِلَيْهَا خَيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ . »

وروى ابن خزيمة والترمذى بإسناد جيد مرفوعا :

« إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : يَا شَامُ أَنْتِ صَفْوَتِي مِنْ بِلَادِي أُدْخِلُ فِيكَ
خَيْرَتِي مِنْ خَلْقِي ، إِنَّ اللَّهَ تَكَمَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ . »

وروى الطبرانى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين مرفوعا :

« أَلَا وَإِنَّ الْأَمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنُ فَأَلَامَنْ بِالشَّامِ . »

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « أَهْلُ الشَّامِ وَأَزْوَاجُهُمْ وَذُرِّيَّاتُهُمْ وَعَبِيدُهُمْ وَإِمَاؤُهُمْ

إِلَى مُنْتَهَى الْجَزِيرَةِ مُرَابِطُونَ ، فَفَنَزَلَ مَدِينَةً مِنَ الْمَدَائِنِ فَهُوَ فِي رَبَاطٍ أَوْ تَغْرِ
مِنَ الشُّغُورِ فَهُوَ فِي جِهَادٍ .

وروى الترمذى وصححه وابن حبان في صحيحه مرفوعاً :

« طُوبَى لِلشَّامِ ، إِنْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بَاسِطَةٌ أُجْنِحَتَهَا عَلَيْهِ . »

وروى الإمام أحمد والترمذى وصححه وابن حبان في صحيحه مرفوعاً :

« سَتَخْرُجُ عَلَيْكُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ تَحْشُرُ النَّاسَ ، فَقَالُوا
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَّمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ . »

وروى الإمام أحمد والطبراني مرفوعاً وموقوفاً ورواهما ثقات :

« أَهْلُ الشَّامِ سَوْطُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ يَنْتَقِمُ بِهِمْ يَمْنُ بِشَأْنِهِ مِنْ عِبَادِهِ ، وَحَرَامٌ عَلَى
مَنَاقِبِهِمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى مُؤْمِنِيهِمْ وَلَا يَمُوتُوا إِلَّا هَمًّا وَلَا غَمًّا ۝ ۷ . »

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً يقول :

« فِي الْمَدِينَةِ الْكُبْرَى فَسَطَاطُ الْمُسْلِمِينَ : أَيُّ يَجْتَمِعُ الْمُسْلِمُونَ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا
الْعُوطَةُ ، فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ خَيْرِ مَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب إخواننا المسلمين
المسافرين أن يذكروا الله تعالى على دوابهم إذا ركبوها لاسيما الإبل ، وذلك لأن في السفر
العجلة في الغلب .

وكان شيخنا الشيخ محمد الشناوى إذا سافرنا معه وركب بعد الصبح ذكر المجلس
على الحارة هو وأصحابه ، وكذلك كان يذكّر المجلس بعد العشاء وهو راكب : ولا يفوت
العبادات التي يفعلها في الحضر رضى الله عنه .

واعلم يا أخى أن كل من غفل عن امتثال أمر ربه أو اجتناب نهيه ، فقد غفل عن
ربه ، وكل من غفل عن ربه فقد تلف وعدم العزم الشرعى وعرض جسمه لسائر الآفات ،
وذلك لأن الشفاء في الإقبال والمرض في الإدبار ، فإن روائح الحضرة الإلهية تجلو الصدا
عن القلب لطيب رائحتها ، وكل من توجه لغيرها جاءت الآفات من كل جانب وازداد قلبه
صداً وقد أنشد سمنون المحب رضى الله عنه :

وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَعَ رِجَالٍ قُلُوبُهُمْ تَمُحُّ إِلَى التَّقْوَى وَتَرْتَاحُ لِلذِّكْرِ
 أُدِيرْتِ كُؤُوسَ اللَّمَنِيَا عَلَيْهِمْ فَأَغْفُوا عَنِ الدُّنْيَا كِإِغْفَاءِ ذِي الشُّكْرِ
 هُمُومُهُمْ جَوَالَهُ بِمُعْسَكَرٍ بِأَهْلِ وَدَّ اللَّهُ كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
 فَأَجْسَادُهُمْ فِي الْأَرْضِ قَتْلَى بِجَبْدٍ وَأَرْوَاحُهُمْ فِي الْحُجُبِ تَحْوِ الْمَلَا تَسْرِي
 فَمَا عَرَسُوا إِلَّا بِقُرْبِ حَبِيبِهِمْ وَمَا عَرَّجُوا عَنْ مَسِّ بُؤْسٍ وَلَا ضَرْ
 وكان الجنيد رضى الله عنه يقول : تأملت في ذنوب أهل الإسلام فلم أر منها ذنبا
 أعظم من الغفلة عن الله تعالى :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الطبراني باسناد حسن مرفوعا : « مَا مِنْ رَاكِبٍ يَخْلُو فِي سَبِيلِهِ بِاللَّهِ
 تَعَالَى وَذَكَرَهُ إِلَّا رَدِفَهُ مَلَكٌ ، وَلَا يَخْلُو بِشَعْرٍ وَنَحْوِهِ إِلَّا رَدِفَهُ شَيْطَانٌ » .
 وروى الإمام أحمد عن ابن عباس :

« أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَدَفَهُ عَلَى دَابَّتِهِ فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا كَبَّرَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا وَحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى ثَلَاثًا وَسَبَّحَ اللَّهُ ثَلَاثًا وَهَلَّلَ اللَّهُ تَعَالَى
 وَاحِدَةً ثُمَّ ضَحِكَ ، وَقَالَ : مَا مِنْ أَمْرٍ يَرُكَبُ دَابَّتَهُ فَيَصْنَعُ كَمَا صَنَعْتُ إِلَّا أَقْبَلَ
 اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فَضَحِكَ إِلَيْهِ » .

وروى الإمام أحمد والطبراني وابن خزيمة :

« مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا فِي ذُورَتِهِ شَيْطَانٌ ، فَأَذْكَرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا رَكِبْتُمُوهَا
 كَمَا أَمَرَكُمْ ثُمَّ أَمْتَنُوهَا لِأَنْفُسِكُمْ فَإِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب إخواننا في
 الدلجة وهو السير بالليل ، وفي الصلاة في كل منزل عرسوا فيه : أى نزلوا فيه آخر الليل ،
 وذلك ليشهد لهم يوم القيامة ، فإنه مامن شىء فارقتاه إلا ويسأله الله تعالى عنا هل وفينا
 بحقه أم لا ، سواء أكان صاحبا أو ثوبا أو طعاما أو زمانا أو مكانا وكذلك يسألنا هل ذكرنا
 الله تعالى مدة صحبتنا لذلك الشىء أم نسيناه . ومن الوفاء بحق الثوب أو الزمان أو المكان

أن لانعصى الله تعالى فيه ، وما من نعمة ولا نقمة إلا وهى مذكورة بالله تعالى عند أرباب
البصائر ، فمن لم يذكره بالنعمة ذكره بالحن .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو داود مرفوعا : « عَلَيْكُمْ بِالذُّلَّةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ » .

وروى أبو داود والترمذى والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ : وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ
إِلَى أَحَدِهِمْ مِمَّا يُدَلُّ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ ، فَقَامَ أَحَدُهُمْ يَتَمَلَّقُ لِي وَيَتَلَوُّ
آيَاتِي » الحديث .

وهذا الحديث يؤيد قول بعض العلماء : إن الله يحب من عباده الملق له والمتماق ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نذكر الله تعالى إذا
عثرت دابتنا فإنها ما عثرت بنا إلا بغفلتنا عن الله تعالى ، كما أنه ما غلط إمام فى قراءته
فى الصلاة إلا لعدم طهارة المقتدين ، فعلم أن عشرة دابتنا عقوبة لنا ، فإن ذكرنا الله تعالى ردت
العقوبة إلى خير إن شاء الله تعالى .

وروى النسائى والطبرانى والحاكم وقال صحيح الإسناد عن أبي المليح عن أبيه قال :

« كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَثَرْتُ بِمِيرْنًا فَقُلْتُ تَعَسَ الشَّيْطَانُ (١)
فَأَنَّهُ يَعْظُمُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الثَّبْتِ وَيَقُولُ بِقُوَّتِي صَرَغْتُهُ ، وَلَسَكِنْ قُلْ بِسْمِ اللَّهِ فَإِنَّهُ
يَصْغُرُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ » .

وفى رواية الإمام أحمد بإسناد جيد والبيهقى :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى حِمَارٍ وَرَدِيفُهُ شَخْصٌ فَعَثَرَ الْحِمَارُ فَقَالَ
الرَّجُلُ تَعَسَ الشَّيْطَانُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُلْ تَعَسَ الشَّيْطَانُ فَإِنَّكَ
إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ صَرَغْتُهُ بِقُوَّتِي ، وَإِذَا قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ تَصَاغَرَتْ
إِلَيْهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَكُونَ أَصْفَرَ مِنْ ذُبَابٍ ، وَإِذَا قِيلَ بِسْمِ اللَّهِ خَسَّ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ
الذُّبَابِ » والله تعالى أعلم .

(١) لعل هنا سقطا ، مثل « لا تقل ذلك » .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نقول كلما نزلنا منزلا في السفر :

« أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ » .

فإن من قال ذلك لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ، وذلك لما رواه مالك ومسلم والترمذى وابن خزيمة في صحيحه :

وقد رتب الله تعالى الأسباب على مسبباتها والكل منه وإليه ، فكما خلق الرى عند الشرب والشبع عند الطعام ، فكذلك يحرسك عند قولك ما أمرك الله تعالى بقوله فاعلم ذلك .

وروى الطبراني بإسناد لا بأس به عن عبد الله بن بسر قال : خرجت من حصص فأوانى الليل إلى البيعة فحضرني أهل الأرض فقرأت هذه الآية من الأعراف :

(إِنْ رَبِّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) .

إلى آخر الآية ، فقال بعضهم لبعض احرسوه الآن حتى يصبح ، فلما أصبحت ركبت دابتي ، والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ندعو لإخواننا المسلمين بظهر الغيب لاسيما المسافرين ، وأول ما ترجع منفعة ذلك علينا بقول الملك « ولك مثله » : واعلم أن من جملة الدعاء للإخوان قولنا اللهم لا تستجب لنا دعاء على أحد من إخواننا وأولادنا وغيرهم حال غضب منا عليهم ، فإن الله تعالى ربما لم يستجب دعاءنا فيهم ، وهذا معدود من الشفقة والرحمة بالإخوان والأولاد والأهل وغيرهم ، فربما دعا الإنسان على من يحبه في حال غضب فيستجيب الله تعالى دعاءه فيه فيندم على ذلك ويطلب رد السهم فلا يرتد :

وبالجملة فكل ما فعله الإنسان مع الخلق يرجع عليه نظيره ، فإن لم يدركه ذلك أدرك ذريته من بعده ، وقد تقدم في هذه العهود قول أبي النجاء القوي رحمه الله تعالى لأصحابه لما سألوه الوصية لهم وهو مختصر :

اعلموا أن الوجود كله يقابلكم بحسب ما برز منكم من الأعمال ، فانظروا كيف تكونون ؟ من رجع عليه سوء فلا يلزمه إلا نفسه :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مسلم وأبو داود واللفظ له مرفوعا :

« إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَظْهَرُ الْقَيْبِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ » .
وروى الطبراني مرفوعا: « دَعْوَتَانِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ،
وَدَعْوَةُ الْمَرْءِ لِأَخِيهِ يَظْهَرُ الْقَيْبِ » .

وروى أبو داود مرفوعا : « إِنَّ أَسْرَعَ الدُّعَاءِ إِجَابَةٌ دَعْوَةُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ » .

وفي رواية لأبي داود والبزار والترمذي مرفوعا :

« ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْوَالِدِ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ
الْمُسَافِرِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا مرضنا في بلاد الغربية
أن نجب الموت هناك ، تقديمًا لمراد الله تعالى على مرادنا ، ورغبة في الثواب الوارد فيمن
مات غريبًا . والسر في ذلك أن من مات غريبًا يكون معمولًا على فضل الله تعالى دون
الخلق ، بخلاف من مات بين أهله وعشيرته فإنه يموت وهو راكن إلى نفعهم له ، وفي
الحديث :

« أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي » .

ولا شك أن كل من مات غريبًا مات منكسر الخاطر ، وقد أخبر الله تعالى أنه عنده
يعنى باللطف والحنان ، ومن كان الله عنده كذلك فقد فاز فوزًا عظيمًا :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى النسائي واللفظ له وابن ماجه وابن حبان في صحيحه :

« إِنَّ رَجُلًا مَاتَ بِالْمَدِينَةِ يَمَنٌ وَوَلِدٌ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثُمَّ قَالَ : يَا لَيْتَهُ مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ قَالُوا : وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ
إِذَا مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطِعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « مَوْتُ غُرْبَةٍ شَهَادَةٌ » .

وفي حديث الطبراني الذي عدّ فيه الشهداء :

« وَالْقَرِيقُ شَهِيدٌ ، وَالْقَرِيبُ شَهِيدٌ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نبادر بالتوبة عقب كل ذنب ، ولا نصرّ على ما فعلناه لحظة واحدة هروبا من سخط الله تعالى ، مع أن الإصرار أيضا معصية ثانية ، فإذا وقع بادرنا أيضا بالتوبة من الإصرار ، وهكذا القول في الإصرار على عدم التوبة من الإصرار أبدا ، فما من ذنب إلا وله دواء ، حتى لو أصر على ذنب سبعين سنة أو أكثر فندم واستغفر الله عن جميع الإصرار السابق كله انسحب الاستغفار عليه ، فإن التوبة تجب ما قبلها .

قال العلماء : والتوبة عن الشرك مقطوع بها بنص القرآن فهي مقبولة بلاشك ، بخلاف معاصي أهل الإسلام فإنها كلها مظنونة القبول ، وذلك لأن المشرك كان في حجاب القطيعة الكلية فلا ظله الحق تعالى كما لاطف الشيخ الفاني وحمل عنه حكم الذنوب السالفة كلها إذا قاب وأحسن .

وأما العاصي من أهل الإسلام فكان حكمه حكم الشاب القوى العاني لضعف حجاب قطيعته فإنه مسلم موحد بشم رائحة الإسلام ، فكان من شأنه أن لا يقع في معصية الله تعالى : هذا ما ظهر لي الآن من الحكمة ومن فتح الله تعالى عليه بشيء أوضح مما قلناه فليلحظه بهذا الموضوع .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : ما دامت شهوة الذنوب في القلب فلا فائدة في الطاعات ، لأن ظلمة شهوة المعصية تمنع دخول نور الطاعات إلى القلب ، والمدار على حصول النور في القلب حتى يصلح لمجالسة الرب اه :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مسلم والنسائي مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » .

وفي رواية لمسلم مرفوعا : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ » .

وروى الترمذی وقال/ حديث حسن صحيح والبيهقي واللفظ له مرفوعا :

« إِنَّ مِنْ قَبْلِ الْمَغْرِبِ لِبَابًا مُسِيرَةً عَرَضِيَّةً أَرْبَعُونَ عَامًا أَوْ سَبْعُونَ سَنَةً ،

فَتَحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلتَّوْبَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَلَا يَفْلُقُهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ .

وروى ابن ماجه بإسناد جيد مرفوعا :

« لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ السَّمَاءَ ثُمَّ تُنْذِمُوا لَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ » .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عُمرُهُ وَيَرْزُقَهُ اللهُ الْإِنَابَةَ » .

وروى أبو يعلى مرفوعا : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْبِقَ الدَّائِبَ الْمُجْتَهِدَ ، فَلْيَكْفُ عَنِ الذُّنُوبِ » .

والدائِب : هو المتعب نفسه في العبادة المجتهد فيها .

وروى الطبراني مرفوعا « الْمُؤْمِنُ وَاهٍ رَاقِعٌ ، فَسَعِيدٌ مَنْ هَلَكَ عَلَى رَقْعِهِ » .

ومعنى واه : مذنب ، وراقع : بمعنى تائب مستغفر .

وروى الترمذى وابن ماجه وغيرهما مرفوعا :

« كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ

بِهِ ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ : قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ » الحديث .

قال الحافظ : ومعنى قوله : « فليعمل ما شاء » .

أنه ما دام يذنب ويستغفر ويتوب فانا أعفِر له ونكون توبته واستغفاره كفارة لذنوبه ، لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعود إلى مثله ، فإن هذه توبة الكذابين ، والله أعلم .

وروى الطبراني عن معاذ قال : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي ؟ قَالَ : عَلَيْكَ بِتَقْوَى

اللهِ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَادْكُرِ اللهُ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ فَأَحْدِثْ لَهُ تَوْبَةً ، السِّرُّ بِالسِّرِّ وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ » .

وروى الأصمهاني مرفوعا : « إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسى اللهُ حَفَظَتَهُ ذُنُوبَهُ »

وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى يَلْتَقَى اللَّهَ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِذَنْبٍ .

قلت: وقال بعضهم في هذا الحديث: إن العبد مادام يستحضر ذنوبه ويذكرها فهي لم تمح ولم تبدل لأن صورتها موجودة في صحف الملائكة ، فلا يصح للعاصي أن يظن أن معاصيه بدلت بالحسنات إلا إن نسيها ولم يذكرها أصلا، وذلك لأنها إذا بدلت لم يبق للذنوب صورة حتى يذكرها العبد اه وهو قاصم للظهور ، ونسأك الله اللطف :

وروى الطبراني وغيره ورواه رواة الصحيح مرفوعا :

« النَّادِمُ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةَ ، وَالْمُعْجَبُ يَنْتَظِرُ الْمَقْتَّ . »

وروى الطبراني وغيره ورواه رواة الصحيح مرفوعا :

« النَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ . »

وكان ابن عباس يقول: المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستنزي بالله عز وجل، وروى أيضا مرفوعا والوقف أشبهه : وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم مرفوعا :

« النَّدَمُ تَوْبَةٌ . »

زاد في رواية للحاكم : « وَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ مِنْ عَبْدٍ نَدَامَةً غَفَرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ مِنْهُ . »

وروى مسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَجَلَاءَ بِقَوْمٍ يُذُنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَغْفِرُ لَهُمْ . »

وروى الطبراني باسناد حسن مرفوعا : « مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى ، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أَخَذَهُ اللَّهُ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ . »

وروى البيهقي وغيره مرفوعا : « إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَعْمَلْ بِجَنِّهَا حَسَنَةً . »

وروى الطبراني والترمذي وقال حسن صحيح مرفوعا :

« أَتَقِي اللَّهَ حَيْثَمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ . »

زاد أحمد في رواية : « أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمِنَ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ » .

والأحاديث والآثار في أمر التوبة كثيرة مشهورة ، والله تعالى أعلم .
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نفرغ أنفسنا للعبادة والإقبال على الله تعالى ، لا سيما إذا بلغنا الأربعين سنة .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ ناصح يسلك به حتى يقطع علائقه الدنيوية كلها أو يقلبها بالنية الصالحة إلى مرضاة الله تعالى مع بقاءه على علائقه إذ مامن شيء في الوجود إلا وله وجهان : وجه مقرب إلى الله تعالى ووجه مبعده عنه ، فيأخذ العبد الوجه المبعده فيقلبه فيصير مقربا :

فامتحن يا أخى بهذا الميزان جميع الأعمال ماعدا المعاصي ، ومن قال : إن المعاصي قد تقرب العبد لما يقع فيها من الذل والانكسار فراده أثرها لاعينها .

وتأمل قول الشيخ تاج الدين بن عطاء الله : معصية أورثت ذلا وإنكسارا خيرا من طاعة أورثت عزا وامتكبار ، فجعل الخيرية في أثر المعصية لاني عين المعصية ، فلا يصح إجماعا أن يفهم أحد عن القوم أنهم يقولون إن المعصية تقرب إلى الله تعالى أبدا ، فإن الحسن يكذب هذا القائل ، فلو أراد العاصي أن يحصل له بالله وصلة بوقوعه في المعصية لا يصح ذلك له أبدا ، بل يجد حبل الوصلة بشهوده تعالى أو شهود حضرته انقطع :

وقد جاء شخص إلى الجنيد رضى الله عنه فقال : يا سيدى أنا صرت آتى المعاصي وأنا مشاهد لله عز وجل من كونه خائفا لتلك المعصية ، فقال الجنيد : هذا تلبيس من الشيطان ولو حققت النظر لوجدت نفسك حال المعصية لا يصح لها مشاهدة الحق تعالى مطلقا ، ثم لو قدر أنك شاهدته تعالى لشهادته ساخطا عليك غير راض عنك اه وهو كلام نفيس : فاسلك يا أخى على يد شيخ يقطع علائقك أو يقلبها إلى خير كما قررنا إن أردت العمل بهذا العهد وإلا فن لازمك كثرة العوائق عن ربك حتى تموت ، وقد عجز الأكارب فضلا عن مثلك أن يعرفوا طريق قطع علائقهم بأنفسهم من غير شيخ فلم يقدرُوا ، فلا يزال الشيخ بأمرك بإزالة العوائق واحدا بعد واحد حتى لا يبقى إلا واحد فيقول لك أزلها وها أنت وحضرة ربك .

وتحتاج يا أخى إلى طول زمان وضبر على مأمورات شيخك ، وغالب الناس يرجع من الطريق فلا يحصل من قطع العلائق على طائل :

وإيضاح ذلك أن طريق السير في الطريق طريق غيب والمريد كالأعمى الذي يريد يسلك طريقا طول عمره ما سلكها ، والشيخ كالمسافر الذى سلكها في نور الشمس زمانا طويلا فعرف مهالكها كلها ، فهو يتقدير أنه يعنى أو يسير في ظلمة الليل يعرف المهالك الطرق المسدودة كدليل الحاج سواء ، فمن سلم للشيخ وانقاد له قطع تلك الطريق ونجا من اللعطب ، ومن لم يسلم للشيخ لا يعرف يمشى وربما وقع في مهلكة ، فلم يعرف يخرج منها حتى يموت ، ولو لا أنها طريق غيب لا يقدر أحد على سلوكها وحده ما كان للدعاة إلى الله فائدة من أنبياء وأولياء وعلماء ، فلا بد من مزيد خصوصية ، فتأمل :

فإن قال لنا قائل: الأعمال مقسومة لكل شخص فمن قسم له شيء فلا بد أن يفعله فلا نحتاج إلى أمر بذلك .

قلنا : والأمر أيضا مقسوم فلا بد أن يقع ، فليس للشيخ مدخل في القسمة ، وإنما له مدخل في إصلاح العبادة وتعليم المريد كيفية فعلها على الوجه الشرعى بحيث يخلص من الآفات :

وقد أجمع الأشياخ على أنه لو صح لعبد أن يأتي بالمأمورات على الوجه الذى أمره الله تعالى به من غير خلل لما احتاج أحد إلى شيخ ، لكن لم يصح لهم ذلك فاحتاجوا ضرورة إلى من يبين لهم مراد الحق فلذلك احتاج أتباع المجتهدين إلى المجتهدين لبيّنوا لهم مراد الشارع ، مقلدوا لأتباع إلى من يبين لهم مراد المجتهدين ، وهكذا فكل أهل دور يعرفون مراد الدور الذى قبلهم لقرّبهم منهم ، ولو أراد الذين بعدهم أن يعرفوا الوسطة التى قبلهم ويستقلوا بفهم كلام من قبلهم على وجهه لا يقدرّون .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من شرط عبد الله انخاص أن يكون له مانع يمنعه عن دخول حضرته تعالى ، ومتى كان عنده مانع فهو عبد ذلك لا عبد المخصوص اه :

وسمعت سيدى عليا المرصفي رحمه الله يقول : كل مريد أمره شيخه برى ما بيده من الدنيا فأبى فقد مكر به واستحق الطرد عن حضرة الله تعالى فلا يرجى له فلاح بعد ذلك أبدا فهنيئا لمن جعل خده أرضا لأستاذه يمشى عليه بنعله :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« يَقُولُ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا قَلْبِكَ نُورًا وَغِنَى ،
وَأَمَلًا يَدَيْكَ رِزْقًا . يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعِدْ مِنِّي أَمَلًا قَلْبِكَ فَقْرًا وَأَمَلًا يَدَيْكَ شُغْلًا » .

وروى ابن ماجه والترمذى واللفظ له وقال حسن صحيح وابن حبان فى صحيحه عن

أبى هريرة قال :

« تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ) الْآيَةَ ،

ثُمَّ قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ : يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غِنَى وَأَسَدٌ فَقْرَكَ ، وَإِلَّا
تَفَعَّلَ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أُسَدِّ فَقْرَكَ » .

وروى الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنَّتَيْهَا مَلَكَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا

الثَّقَلَيْنِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى » .

والأحاديث فى ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب لإخواننا فى العمل

الصالح عند فساد الزمان من غير اعتماد عليه دون فضل الله تعالى ، ونأمرهم برؤية المنة
لله عليهم الذى أهلهم لتلك العبادة ولم يطردهم عن حضرته كما طرد غيرهم ، ونأمرهم
بالرضا عن الله تعالى بالعمل القليل مثل ما يرضون عنه إذا قسم لهم رزقا قليلا بالنسبة
للأغنياء والأمراء ، وأن يقولوا الحمد لله الذى غلط الزمان فى حقنا حتى أوقفنا له فيه
عبادة فى غير أوانها ، وذلك لسكثرة تشعب الخواطر والهموم بوزن المغارم والمظالم مع قلة
المكاسب وكثرة العيال وقلة البركة فى الرزق كما يعرف ذلك من ألزم بما لم يلزمه ،
وليس عند الفقراء المنقطعين فى الزوايا علم ولا خبر من ذلك ، ولذلك أقام الله تعالى عليهم
الميزان ولم يكتف منهم بالأعمال اليسيرة لعدم الشواغل وعدم الحرقة ، فلا ينبغي لأحد منهم
أن يستكثر عملا أصلا .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حتى يدخله حضرات القرب

ويرى هناك من اعتمد على غير الله وغير يتبرا منه ويتخلى عنه وهناك يعتمد على الله ضرورة دون العمل وعملك غير بلا شك .

فاسلك يا أخى على يد شيخ إن أردت العمل بهذا العهد والخلص من كل سوء، والله يتولى هداك .

وروى ابن ماجه والترمذى وأبو داود مرفوعا :

« ائْتِمِرُوا بَيْنَكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤْتَرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعِ عَنكَ الْعَوَامَّ ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجُمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ تَحْسِينِ رَجُلًا يَمْعَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ . »

زاد في رواية أبي داود : « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ تَحْسِينِ رَجُلًا مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ بَلْ أَجْرُ تَحْسِينِ مِنْكُمْ . »

وروى مسلم والترمذى وابن ماجه مرفوعا :

« الْعِبَادَةُ فِي الْمَرْحِ كَهَجْرَةِ إِلَى . »

قال الحافظ : والمرح هو الاختلاف والفتن ، وقد فسر في بعض الأحاديث بالقتل لأن الفتن والاختلاف من أسبابه فأقيم المسبب مقام السبب ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نداوم على العمل ولو قل ، فإننا كل يوم في قرب من الأجل فاللائق بنا استغنام العمل لا تركه ، وهذا العهد يخل به كثير ممن يتعبد بنفسه من غير شيخ ، فيتعاطى أعمالا شاقة فتمل نفسه فيترك العمل آخر عمره جملة واحدة ، ولذلك تقول الناس حبل العباداة طويل .

وقد كان شخص من الناس اجتمع على فجملته يفتتح المجلس بالجماعة لما كان عليه من المواظبة على الأوزاد والخيرات ، ثم بعد مدة سلبه الله تعالى ذلك الخير كله وصار كالفخارة الفارغة وزال ذلك البريق الذى كان على وجهه ، فإن كل من لا شيخ له إذا أكثر من العبادات فلا بد أن يمل منها ويذهب ميله إليها حتى لا يبقى له إليها داعية أو يعجب بها وهذا مكر من الله تعالى به بلا شك ، وقد مدح الله تعالى رجالا بقوله :

(رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) .

فكن يا أخى مع هؤلاء ، ولا تكن مع من مكر به من الناكثين لعهود أشياخهم ،
فلعلك يدور فيك ماء الحياة ويخضر عودك فلا تمل من العمل :

— وقد كان السلف للصالح رضى الله تعالى عنهم إذا دخل أحدهم في سن الأربعين سنة
أقبل على عبادة ربه حتى أوقيل له غدا تموت لا يجد له زيادة على ذلك العمل الذى هو عليه
رضى الله عنهم أجمعين :

ويتعين العمل بهذا العهد على للدعاة إلى الله تعالى لأنه متى لم يكن الشيخ أكثر عملا من
المريد لا يتم اقتداؤه به ، وإذا ترك الشيخ عبادة كان يفعلها اقتدى به المريد ضرورة ،
ولذلك قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وكان أواخر عمره أكثر صلواته بالليل
جالسا ولم يترك العمل ، ولذلك كان أتعب صلى الله عليه وسلم من بعده فما تورمت
أقدام أحد بعده إلا نادرا ، فلا تجد يا أخى أتعب قلبا ممن يكون قدوة أبدا :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم حصير وكان يحجره بالليل فيصلى عليه ويبسطه بالهنا فيجلس عليه ، فجعل
الناس يثوبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يصلون بصلواته حتى كثروا فأقبل عليهم فقال :
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ خذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَمَلُّ حَتَّى سَمَلُوا ،
فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ » .

وفى رواية عنها : وكان آل محمد إذا عملوا عملا أثبتوه قالت :

« وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ :
أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ » .

وفى رواية عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَعَامُوا أَنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ أَحَبَّ
الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » .

كل هذه الروايات في الصحيحين ، وفي رواية لمالك والبخارى أيضا :

« إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ » .

وكانت عائشة إذا عملت عملا أثبتته يعني داومت عليه . وروى الترمذى مرفوعا :

« أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا دِيمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ » .

وقيل لعائشة رضى الله عنها : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص شيئا من الأيام ؟ قالت لا ، كان عمله ديمة ، وأبكم يستطيع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع ؟

ومعنى بحجره في الرواية الأولى : يتخذة حجرا ، وناحية فينفرد عليه فيها ، ومعنى يشوبون : يرجعون إليه ويحتمعون عنده :

وروى ابن حبان في صحيحه عن أم سلمة قالت « مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثر صلواته وهو جالس ، يعنى فى الزوافل ، وكان أحب الأعمال إليه ما داوم عليه العبد ، وإن كان يسيرا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحب الفقر وقلة ذات اليد ، وكذلك نحب من كان بهذه الصفة أيضا من الفقراء والمساكين والمستضعفين ، ونحب مجالستهم عملا بقوله تعالى :

(وَلَا تَدْعُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) الآية .

وذلك لأن رحمة الله تعالى لا تفارقهم فنحبهم ونحب مجالستهم لمحبة الله تعالى لهم ، وكذلك نحب الفقر لما فيه من كثرة سؤالنا للحق وتوجهنا إليه لا لعلة أخرى .

وإيضاح ذلك أن حاجة العبد تذكره بالله تعالى وعدم حاجته نفسه الحق قال تعالى :

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ) وقال (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ

ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا) .

ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم :

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتًا وَكَفَافًا » .

أى لا يفضل عنهم من غذائهم ولا عشائهم شىء ، وذلك ليصبروا متوجهين إلى الله

تعالى كل حين لا ينسونه :

فانظر ما أشد شفقتة صلى الله عليه وسلم على أهل بيته ، ويقاس بأهل بيته غيرهم ،
فوالله لو علم الإنسان قدر مقام الفقر لمتناه ليلا ونهارا .
وقد قال الإمام الشافعي رضى الله عنه : ما فرغت نفسى من الفقر قط ، أى بل تنشرح
له إذا أقبل وتقبض إذا أدبر ، هذا مذهب الإمام الشافعي رضى الله عنه فما بالك يا مقلدون
له لا تفرحون بما كان يفرح به ، ولا تنقبضون بما كان ينقبض له . فإن قلم لا نقدر على
اتباعه فى ذلك . قلنا لكم اطلبوا لكم شيئا يوصلكم إلى اتباعه ، فإن هذه الدرجة التى
ذكرها الإمام هى أول درجات أهل الطريق ، فمن شدة محبة المرید للطريق أول دخوله
لها أنه يصير يكره الدنيا بالطبع وينقبض لدخولها فى يده لعلمه بأنه ليس له قدرة على نية
صالحة فى إسائها ولا إنفاقها ، ثم إذا من الله تعالى عليه بالكمال فى الطريق وصارت
الدنيا فى يده لا فى قلبه يتمنى دخولها فى يده وينقبض إذا أدبرت عنه ، لأن من كمال
الداعى إلى الله تعالى من الأمة أن تكون الدنيا فائضة عليه ليطعم منها أتباعه وينفق عليهم
منها ، ومن لم يكن كذلك فدعاؤه إلى الله ناقص ويطرقه الذل فى طلب اللقمة والخضوع
لمن أتاه بها من أصحابه وغيرهم ، كما أن من لازمه الغيبة لكل من لم يحسن إليه كما سيأتى
فى حديث :

« مَنْ كَثُرَتْ عِيَالُهُ وَلَمْ يَغْتَبِ الْمُسْلِمِينَ » الحديث .

فأشار إلى أن الغالب على الفقير المحتاج غيبة من لم يعطه ما احتاج إليه ، فانظر آفة
المحتاج :

وكذلك القول فى الداعى إلى الله تعالى إذا كان فقيرا فإن الغالب على مرديه معه
غلفتهم إلى غيره ليطعمهم ويكفيم مؤنتهم ، هذا أمر قهرى على كل إنسان محتاج ، فما
أمر الأشياخ مرديهم بترك الدنيا إلا لما يحصل لهم من الشغل بها ، وأيضا فليس لهم اتباع
حتى يسكونها لهم .

فانظر ما أكمل نظر أهل الطريق ، وما ذكرت لك شيئا حتى ذقتة فى نفسى ، فإننى
كنت أكره الدنيا بالطبع فلما خرجت محبتها من قايى والله الحمد صرت أود أن لو كان
عندى كل يوم ألف أردب ذهباً أنفقها على خلق الله تعالى ، فالحمد لله رب العالمين ،
ونرجو من فضل الله تعالى أن يعطينا فى الآخرة ثواب من تصدق كل يوم أو ساعة بألف
أردب ذهباً :

(وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِمَزِيدٍ) .

فهذا حالى الآن وما أدرى ماذا يقع لى عند الموت فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم :
ثم لا يخفى أن من شرط الفقير أن لا يكون له اختيار مع الله تعالى ، فقولى لى صرت
أود أن لو كان عندى كل يوم ألف أردب ذهباً إنما هو من حيث التكسب وإظهار الفاقة
والحاجة بمعنى أننا نرى من كثرة ذنوبنا أننا لو تصدقنا منها كل يوم أو ساعة بالألف
الأردب الذهب لا يكفرها ، فنحن ننقبض لزوال الدنيا من كفنا كما ننقبض لوقوع المعاصى
على يدينا سواء .

وأما من حيث الرضا عن الله تعالى فيما قسمه فلا نختار غير ما اختاره لنا ، فإن وسع
علينا الدنيا فرحنا وإن ضيقها علينا فرحنا بذلك ، وعلى ما قررناه من محبة الكمال للدنيا
يحمل حال العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر له النبي صلى الله عليه وسلم بعبء
وصار يحثونى برده فلما أراد أن يحملها عجز فما بقى بهون عليه أن ينقص منها ولا هو يقدر
يحملها ، فكان قصد العباس رضى الله عنه بأخذه الكثير من الذهب إظهار الفاقة ولتكثر
الصدقة والنفقة على يديه ، لأنه يأخذها ويمنع نفسه منها من للخير كما هو شأن أبناء الدنيا
فافهم ، فوالله لى لأحب لجميع أصحابى أن لو كان مع كل واحد مثل أحد ذهباً وأكره لهم
ضيق اليد بشرطه الشرعى ، وما منع الله أهل القناعة باليسير من الدنيا إلا فتحاً لباب الراحة
للعبد وإراحتة من تعب المزاحمة على الرزق ، ومعاداة إخوانه المسلمين لأجلها .

وأما من يسأل الله تعالى كل ساعة توسعة الدنيا لينفقها على خلق الله فلا حرج عليه ،
ولا مضايقة له فى حق أحد فحكم من يطالب من الله كثرة الدنيا لينفقها حكم من يطلب من
الله كثرة الأعمال الصالحة ليدين الله تعالى بها سواء لأن كلاهما عبادة :

وكان فيما نسخت تلاوته «لَوْ أَنَّ لِبْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ لَأَبْتَعَى نَالِيًا، وَلَوْ
أَنَّ لَهُ نَالِيًا لَأَبْتَعَى رَابِعًا، وَلَا يَمَلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى
مَنْ تَابَ» .

ويجب استثناء جميع الأنبياء والأولياء من محبة ذلك وإن كانوا من بنى آدم لعصمتهم أو
حفظهم من محبة الدنيا لغير الله تعالى .

وقد كان أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى :

(مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا) أى للآخرة (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ) .

أى لله . فلم أن الكمل لا يضرهم كثرة الدنيا وما رد صلى الله عليه وسلم جبال الذهب حين عرضها الله عليه إلا تشريعا لأتمه خوفا عليهم أن لا يبلغوا مقام العارفين فيها فيهلكوا فكان رده لذلك من باب الاحتياط لأتمه خوفا أن يقتدوا به ظاهرا في الأخذ ولا يقتدوا يتبعونه في الإنفاق ، ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« مَا يَسْرُنِي أَنْ لِي مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا يَمْضِي عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَعِنْدِي مِنْهُ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ إِلَّا دِرْهَمٌ أَحْبَسُهُ لِدَيْنٍ » .

فقوله : ما يسرني أى أن يكون عندي مثل أحد ذهبا وأحبسه عن الناس ، فما تبرأ لإلمن حبسه لامن إنفاقه كما هو سياق الحديث .

فاعمل بالأخى على خروج حب الدنيا من قلبك بالكلية حتى تصير تنقبض لدخولها عليك ، ثم اعمل على محبتها للإنفاق في سبيل الله حتى لا نصير تقنع بجهيع مافي الدنيا أن لو دخل في يدك ثم أنفقته لأن غايتك أنك أنفقت دون جناح الناموسة ، وأنا أعطيك ميزانا في حق الأمة لاني حق الأنبياء تميز به بين الحمود والمذموم ، وهو أن الله تعالى إذا منح عبدا من عبده فلنما ذلك لفقور همة العبد عن امتثال أمر سيده مجانا ، ولو أنه علم من قلبه عدم الالة من حيث الثواب وغيره لما مدحه بل كان يأمره فقط أن يفعل ذلك الشيء على قاعدة العبيد مع ساداتهم .

فابحث على ماقلته من طلب ثواب أو غيره تعثر عليه وتأمل لولأنه تعالى مدح المؤثرين على أنفسهم لما آثروا على أنفسهم أحدا ، لأن كل إنسان يقدم أغراض نفسه على خرض غيره من أصل الجلبية ، فإذا خرجوا عن شح الطبيعة أطلهم على ظلمهم لأنفسهم الذي نهاهم عنه وأمرهم بالبداة بها على قاعدة حديث : « الْأَقْرَبُونَ أَوْلَى بِالْمَعْرُوفِ » ولا أقرب إلى الإنسان من نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم :

« أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ » .

ليخرجه عن الظلم لنفسه فافهم ، فلا تجرد قط آيتين أو حديثين صحيحين غير منسوخ أحدهما وهما متناقضان أبدا ، وإنما هما محمولان على حالين ، ولا يعرف ذلك لإلمن سلك الطريق ، وأما من لم يسلك فن لازمه القول بالتناقض ويصير يتمحل الأجوبة من غير ذوق فتارة يخطئ وتارة يصيب فتأمل جميع ماقررناه تعترف أن الدنيا ماذمت إلا في حق من لم يكتسب بها خيرا .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

وروى البزار بإسناد حسن مرفوعا .

« إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عَقَبَةٌ كَثُودًا لَا يَنْجِيُ مِنْهَا إِلَّا كُلُّ مُخِفٍ » .

وروى الطبراني بإسناد صحيح عن أم الدرداء قالت قلت لولدي مالك لانطلب كما

يطلب فلان وفلان ، فقال لى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إِنَّ وَرَاءَكُمْ عَقَبَةٌ كَثُودًا أَيْ صَعْبَةً لَا يَجُوزُهَا الْمُتَقَلِّونَ فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَمُخِّفَ

لِلتَّلِكَ الْعَقَبَةَ » .

وروى الطبراني عن أنس قال : « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ

أَخَذُ بِيَدِ أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ أَعْلِمْتَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ عَقَبَةٌ كَثُودًا لَا يَصْعَدُهَا

إِلَّا الْمُخِفُونَ ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنَ الْمُخَفِينَ أَنَا أَمْ مِنَ الْمُتَقَلِّينَ ؟ قَالَ : عِنْدَكَ

طَعَامٌ يَوْمَ ؟ قَالَ نَعَمْ ، وَطَعَامٌ غَدٍ ؟ قَالَ نَعَمْ ، وَطَعَامٌ بَعْدَ غَدٍ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ لَوْ كَانَ

عِنْدَكَ طَعَامٌ ثَلَاثٍ كُنْتَ مِنَ الْمُتَقَلِّينَ » .

وروى الإمام أحمد ورواه رواة الصحيح : « أَنَّ أَبَا ذَرٍّ قَالَ إِنَّ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ إِلَىَّ أَنَّ دُونَ جِسْرِ جَهَنَّمَ طَرِيقًا ذَا دَحْضٍ وَمَرَلَةٍ وَإِنَّا إِن تَأْتِ عَلَيْنَا

وَفِي أَهْمَانِنَا ۖ اقْتِدَاةً وَاضْطِمَاءً أُخْرَى أَنْ نَنْجُو مِنْ أَنْ تَأْتِيَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مَوَاقِينُ » ،

والدحض : هو الزلوق .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ لَيَجْعَلِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ

الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ » .

وفى رواية للطبراني بإسناد حسن وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا حَمَاهُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَجْعَلِي

سَقِيمَهُ الْمَاءَ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « اطَّلَمْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا

الْمُقَرَّاءَ » .

زاد في رواية للإمام أحمد بإسناد جيد : « وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْأَغْنِيَاءَ وَالنِّسَاءَ » .

وروى الإمام أحمد ورواته ثقات وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« هَلْ تَدْرُونَ أَوْلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الشُّعُورُ وَتُنْتَقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَّتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً » .

وروى الطبراني مرفوعا ورواته رواة الصحيح والترمذي وابن ماجه :

« إِنَّ حَوْضِي مَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عُحْمَانَ أَكْوَابُهُ عَدَدُ النُّجُومِ مَاوُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَرُودًا عَلَيْهِمْ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ شَعْتُ الرُّءُوسِ دُنْسُ الثِّيَابِ الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُنْعِمَاتِ وَلَا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدُودُ الَّذِينَ يُعْطُونَ مَا عَلَيْهِمْ وَلَا يُعْطُونَ مَا لَهُمْ » والسدد هنا هي الأبواب .

وروى مسلم والطبراني وغيرها مرفوعا : « إِنَّ فَقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » يعنى لدخول الجنة كما في رواية « بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا » .
وفي رواية : « بِأَرْبَعِينَ عَامًا » .

وروى الطبراني وأبو الشيخ مرفوعا : « إِنَّ فَقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ يُرْفَوْنَ كَمَا يُرْفُ الْخَمَامُ ، فَيَقَالُ لَهُمْ قِفُوا لِلْحِسَابِ ، فَيَقُولُونَ وَاللَّهِ مَا تَرَكَنَا شَيْئًا نَحْسَبُ بِهِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقَ عِبَادِي ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِينَ عَامًا » .

وروى الإمام أحمد والطبراني ورواة الطبراني رواة الصحيح مرفوعا :

« يَا أَيُّ قَوْمٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورُهُمْ كَنُورِ الشَّمْسِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ نَحْنُ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ لَا وَلَكُمُ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّهُمْ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ

يُحْشَرُونَ مِنْ أَفْطَارِ الْأَرْضِ» فذكر الحديث إلى أن قال «طُوبَى لِلْفَرَبَاءِ، قِيلَ مَنْ
الْفَرَبَاءُ؟ قَالَ: نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسٍ سَوْءٍ كَثِيرٍ مَنْ يَعْتَصِمُ بِهِمْ أَكْثَرُ
رَيْبٍ يُطِيعُهُمْ» .

وفي رواية للامام أحمد مرفوعا: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِهِمْ
بَارَبَعِمِائَةِ عَامٍ حَتَّى يَقُولَ الْمُؤْمِنُ الْغَنِيُّ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ عَيْلًا فَذَكَرَ مِنْ صِفَاتِهِمْ
أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ عَنِ الْأَبْوَابِ» .

وفي رواية للترمذي وابن حبان في صحيحه: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ
الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ» .

وروى الترمذي وغيره مرفوعا: «اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مِسْكِينًا، وَأَمْنِي مِسْكِينًا،
وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:
إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِهِمْ بَارَبَعِينَ خَرِيفًا، يَا عَائِشَةُ لَا تَرُدِّي مِسْكِينًا
وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ حَبِّي الْمَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُقَرِّبُكَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

وروى الحاكم والبيهقي وغيرهما مرفوعا: «اللَّهُمَّ تَوَفَّنِي فَقِيرًا وَلَا تَوَفَّنِي غَنِيًّا،
وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ، فَإِنَّ أَشَقَى الْأَشْقِيَاءِ مَنْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا
وَعَذَابُ الْآخِرَةِ» .

وروى الطبراني وابن حبان في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال:
«أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخِصَالٍ أَرْبَعٍ: أَنْ لَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ
فَوْقِي وَأَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالذُّنُوبِ مِنْهُمْ وَأَوْصَانِي
أَنْ أَصِلَ رَجُلِي وَإِنْ أَدْبَرْتُ» الحديث .

وروى ابن ماجه مرفوعا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ مُلُوكِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ
قَالَ: رَجُلٌ ضَعِيفٌ مُسْتَضْعَفٌ، ذُو طِمْرَيْنِ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ
لَا بَرَّهُ» .

وروى النسائي وابن حبان في صحيحه : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ : أَلَا تَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى ، قَالَ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ » .

وروى ابن أبي الدنيا وابن حبان في صحيحه : « اللَّهُمَّ مَنْ آمَنَ بِكَ وَشَهِدَ أَنَّي رَسُولُكَ فَحَبَّبَ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِكَ وَلَا شَهِدَ أَنَّي رَسُولُكَ فَلَا يُحِبَّبُ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ وَلَا تُسَهَّلَ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ وَأَكْثَرَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا » .

وفي رواية لابن ماجه مرفوعا : « اللَّهُمَّ مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي وَعَلِمَ أَنَّ مَا حِثُّتُ بِهِ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَقْبَلَ مَا لَهُ وَوَلَدَهُ وَحَبَّبَ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ وَعَجَّلَ لَهُ الْقَضَاءَ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِي وَلَا يُصَدِّقَنِي وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ مَا حِثُّتُ بِهِ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَكْثَرَ مَا لَهُ وَوَلَدَهُ وَأَطَّلَ عُمْرَهُ » .

وروى الإمام أحمد باسنادين أحدهما صحيح مرفوعا :

« أَتَذَنَّتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ ، وَيَكْرَهُهُ قَوْلَةُ الْمَالِ وَقَوْلَةُ الْمَالِ أَوْلَى لِلنَّحْسَابِ » .

وروى أبو يعلى والأصبهاني مرفوعا : « مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَكَثُرَتْ عِيَالُهُ وَحَسَدَتْ صَلَاتُهُ وَلَا يَغْتَسِبُ الْمُسْلِمِينَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مَعِيَ كَهَاتَيْنِ » .

وروى الطبري ورواه محتج بهم في الصحيح :

« إِنْ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَوْ جَاءَ إِلَى أَحَدِكُمْ يَسْأَلُهُ دِينَارًا لَمْ يُعْطِهِ ، وَلَوْ سَأَلَهُ دِرْهَمًا لَمْ يُعْطِهِ ، وَلَوْ سَأَلَهُ خَلْسًا لَمْ يُعْطِهِ ، وَلَوْ سَأَلَ اللَّهُ الْجَنَّةَ لِأَعْطَاهَا إِيَّاهُ ذُو طَيْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَسْمَى عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ » .

وروى الترمذي مرفوعا : « إِنْ أَغْبَطَ أَوْلِيَايَ عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنْ صَلَاةٍ أَحْسَنَ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ » .

بِالْأَصَابِعِ وَكَانَ رِزْقُهُ كَغَفَافًا فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ نَفَرَ بِيَدِهِ ، فَقَالَ : عَجَلْتُ مَنِيَّتَهُ ،
قُلْتُ بَوَاكِيرِ قَلِّ تَرَائِمُهُ .

وفي رواية الحاكم : « أَغْبَطُ النَّاسِ عِنْدِي » والباقي بنحوه .

وروى الترمذى وحسنه مرفوعاً : « عَرَضَ عَلَى رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا
قُلْتُ لَا يَا رَبِّ وَلَسَكُنِّي أَجُوعٌ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا أَوْ قَالَ ثَلَاثًا أَوْ نَحْوَهَا ، فَإِذَا جُعْتُ
تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَدَّثْتُكَ » .
والحاذ : هو الخفيف الحلال قليل المال .

وروى ابن ماجه والحاكم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ
إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْقَدُوا وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الدُّجَى يَخْرُجُونَ مِنْ
كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلِمَةٍ » .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة والله تعالى أعلم .

(أخذنا عاينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نزهسد في الدنيا بقلوبنا
ونرضى منها بالقليل اقتداءً بجمهور الأنبياء والأولياء ، ونرغب جميع إخواننا في ذلك ،
وسياتى في عهد الصبر على البلاء حديث الترمذى مرفوعاً .

« لَيْسَتْ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ
فِي الدُّنْيَا هُوَ أَنْ لَا تَسْكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْ تَقِي بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْ تَسْكُونَ فِي
ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذْ أَنْتَ أَصِبتَ بِهَا أَرْغَبَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أَبْقِيَتْ لَكَ » .

وخرج بقولنا بالقلب الزهد فيها باليأس مع تعلق القلب بها ، فليس ذلك هو الزهد

المشروع .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ عظيم مافوقه شيخ في عصره يسلك به
حتى يخرج من ظلمة حب الدنيا إلى نور حب الآخرة ويرى لها كأنها رأى عين ، وهناك زهد
في الدنيا وجميع شهواتها المكروهة حين يرى حجابها له عن ربه مع فنائها وانقطاعها وعدم
نظر ربه لها ، كما ورد :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُنذُ خَلَقَ الدُّنْيَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا هَوَانًا بِهَا » .

وقد ذكرنا في المهود السابقة أن حقيقة الزهد في الدنيا إنما هوزوال محبة المال والطعام والتمام والكلام ؛ فلا يزال السالك يتبع أستاذه وهو يخلصه من شبائك الأوهام شيئا فشيئا إلى أن يخلصه من الدنيا بأمرها ثم يرجع به رجوعا ثانيا ، ويقول له أمسك بجميع ما كنت أنهارك عنه في الذهاب وانو له نية صالحة واستعمل كل شيء فيما خلاق له على الوجه المشروع ، على أن الزاهدين المتورعين كلهم لا يصبح لهم الزهد ولا التورع عما قسمه الحق لهم أبدا ، إنما حقيقة الزهد والتورع زوال تعلق القلب بما لم يقسم لاغير .

فعلم أن المرید متى رأى شقوق نفسه على من لم يزهد ولم يتورع فهو في عالم الطبيعة ، وورعه وزهده لاحقيقة له ، وهذا ورع أكثر الناس اليوم كأنه يظن بنفسه أنه كان قادرا أن يأكل ما قدر عليه من الحرام ، ومنع نفسه منه ، وغاب عنه أن كل شيء تركه تبين أنه لم يقسم له فكيف يرى بذلك نفسه ؟ فالورع الحقيقي إنما هو حماية الله تعالى للعبد فلا يقسم له الأكل من شيء للشرع عليه اعتراض ، فيستخرج له الحلال كما يستخرج له اللبن من بين فرث ودم .

وقد درج العلماء العاملون كلهم على عدم أخذهم من الدنيا فوق زاد الراكب ؛ وقد بلغنا أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام لما غضب من سلطان مصر حمل أمتعة بيته على حمارته وأركب زوجته فوقها وخرج من مصر ، فانظريا أخى شيخ الإسلام واعتبر به رضى الله عنه ، والله يتولى هداك :

ثم يتعين على كل من ادعى المشيخة في الطريق أن يتظاهر برى الدنيا وترك مطاعها اللذيذة وملابسها النفيسة وفرشها الرفيعة ومراكبها المسومة ، وذلك لئلا يتبعه المقتدون فيها كون فإنهم لا يتعقلون مشهده بتقدير صدقة وربما كذبوه في دعواه حين يرون أفعاله تخالف أقواله ، فيحجبهم شاهد الفعل عن شاهد القول .

وكذلك يتعين على الشيخ أن يكون أكثر من المریدين سهرا لليل وأكثر رجوعا ، وأقل لغوا وأكثرهم صدقة ، وذلك ليكون إماما يقتدون به في الأفعال ، وأما إذا كان أكثرهم نوما وأكثرهم أكلا حتى صار بطنه كبطن الدب أو أكثرهم لغوا أو أقلهم صدقة وخيرا ، فإنهم يرون نفوسهم عليه ضرورة فلا يثبت له قدم في الإمامة وتطرده المرتبة عنها ودعوا المشيخة زور وهتان لا برهان عليه .

وقد دخلت امرأة على سيدى الشيخ عبد القادر الجليل فرأته في ملابس ومآكل وفرش

ودخلت على ولدها عنده فوجدته على برش وعنده كسرة بابسة وملاح ، فرجعت إلى الشيخ وقالت ياسيدي لا يطيب خاطرى باقامة ولدى عندك إلا إن أطعمته مما تأكل وكان بين يديه دجاجة فقال إذا صار ولدك يحيى الموتى باذن الله أطعمته من طعامى ، ثم أمر الدجاجة فانتفضت من الإناء وصارت حية ، ثم ذهبت إلى حال سبيلها اه ، فلولا أن الشيخ أقام البرهان على طعامه اللذيذ لفارقته تلك المرأة وهى منكورة عليه .

وكذلك يتعين على الشيخ أن يوطن نفسه على تحمل أذى من يأمره من إخوانه بأنه يترك الدنيا وهو لم يشرف على الدار الآخرة بقلبه ، فانه كالكلب العاكف على الجيفة . كل من منعه من الأكل منها يكشر أسنانه ويهيب عليه ، وربما عضه حتى يرجع عنه ، فليكن أمر الشيخ إخوانه بترك الدنيا بسياسة ورفق ورحمة وتقديم مقدمات وذكر ما كان السلف الصالح عليه ثم يقول يرحم الله من اقتدى بهم . وليحذر من التكدر منهم بالباطن إذا عصوا أمره وليس عليه إلا أن يظهر لهم عدم الرضا بكثرة رغبتهم في الدنيا لاغير كما يظهر الوالد غضبه لولده إذا خالفه ، ويعبس في وجهه وقلبه راحم له مشفق عليه ، وربما ضربه بالعصا وربما نحتت الأم ولدها بالإبرة في يده حتى أخرجت دمه ومع ذلك فيقضى العقل بأن ذلك كله ليس ببغض لولدها وإنما هو لوفور شفقة والدته عليه ، فليوطن الداعى إلى طريق الله عز وجل نفسه على سماع كل مكروه ممن يدعوهم لأنهم عمى عما يدعوهم إليه ثم إذا انجلى حججهم فسوف يشكرون الداعى لهم إلى الخير ، وإن لم ينجل حججهم فقد وفى الداعى بما عليه من النصح والجهاد فيهم .

ثم لا يخفى أنه لا بد أن يتقدم جماعة كل داع إلى الله تعالى كما انقسم من دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى دين الإسلام إذ هو الشيخ الحقيقى لجميع الأمة كما مر بيانه أول خطبة الكتاب ، وجميع الدعوة نوابه صلى الله عليه وسلم ، فلا بد أن يقع لهم مع أصحابهم كما وقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه ، فمنهم من يقول :

(سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ومنهم من يقول : (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)

ومنهم من يقول : (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) نفاقا .

ومنهم من يقول إنما يريد هذا الشيخ بدعائنا إلى الله الفضل والرياسة علينا عند الناس ، ومنهم من يقول إنما يريد بذلك نصحننا ونجائنا من النار ، ومنهم من لا يتحول عن محبة شيخه في شدة ولا رخاء ، ومنهم من هو معه على الرخاء فإذا جاءت الشدة تحول

عن شيخه ، ومنهم من لا يبرح من حول شيخه ولو أغلظ عليه القول ، ومنهم من إذا أغلظ عليه الشيخ القول هرب منه كما أشار إليه قوله تعالى :

(وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) .

ومنهم من يريد الدنيا وزينتها وهو غافل عن الآخرة ، ومنهم من يريد الدنيا للآخرة كعبد الرحمن بن عوف ، ومنهم من لا يريد الدنيا كأهل الصفة ، ومنهم من يقول لشيخه قد أكثرت جدالنا وتنقيصنا بين الناس ، كما قال قوم نوح :

(يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) الآية .

فلا يؤمنون لنصحه حتى يروا العذاب الأليم ، ومنهم من يقول لشيخه بلسان المقال أو الحال لن نؤمن لك إلا إن أرينا كرامة كما قالت قريش :

(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) .

إلى آخر البسق ، وكما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام :

(لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) .

ثم طائفة لا يؤمنون بقول شيخهم لهم إن فعاتم كذا وقع لكم من العقوبة كذا إلا إن وقع ، ومنهم من يفدى شيخه بنفسه في المهالك كما فعل سعد بن أبي وقاص ، ومنهم من لا يقدر على ذلك ، ومنهم من إذا ذكرت عيال شيخه بسوء يكاد يتميز غيظا كما وقع لأكابر الصحابة في قصة عائشة ، ومنهم من لا يتميز بل خاض مع الخائفين ، ومنهم من يمثل أمر شيخه في السفر في مصالح العباد مثل ما كان أكابر الصحابة يفعلون ، ومنهم من يكره ذلك ويؤثر الدعة والراحة كما وقع لمن تخلف عن غزوة تبوك ، ومنهم من يحب شيخه أكثر من أهله وماله وولده ، ومنهم من يؤثر ماله وولده وأهله في المحبة على شيخه فلو قال له اخرج لفلان عن دينار وإلا هجرتك ومنعتك من مجالستي لاختار عدم دفع الدينار على القرب من شيخه ، ومنهم من يخاف على تغير خاطر شيخه ويعتقد أن الحق تعالى يغضب لغضبه ، ومنهم من يؤذى شيخه وولده وأصحابه وعياله ولا عاياه من تقيير خاطره ، ومنهم من يمثل أمر شيخه فيما إذا قال له أعط أخاك نصف مالك وقاسمه كما وقع للمهاجرين مع الأنصار ، ومنهم من لا يمثل ولا يسمع لأخيه بدرهم ، ومنهم من يمثل أمر شيخه إذا أمره بأن يؤثر أخاه على نفسه في وظيفة أو بيت أو خلوة أو مال ، ومنهم من لا يمثل

ذلك ، ومنهم من يجل مقام شيخه عن أن يتزوج له مطلقة في حياته أو بعد حياته ، ومنهم من يتزوج مطلقة شيخه في حياته ولولا قول الله تعالى :
(وَلَا تَنْسِلْهُمُ الْاَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) .

لربما كان وقع في ذلك بعض الناس ، ومنهم من إذا وجد كيمان الذهب لا يأخذ منه إلا قوت يومه فقط ، ومنهم من لا يقنعه إلا أن ينقله كله ، ومنهم من قصده بجمع الدنيا الطمع وشره النفس ، ومنهم من قصده بذلك لإظهار الفاقة كما وقع لأيوب عليه الصلاة والسلام لما أمطرت عليه السماء الذهب وصار يحثو في ثوبه ويقول لا غنى لي عن بركة ربي ، ومنهم من يرى الدنيا بعين الاحتقار فكيمان الذهب عنده كالبعر ، ومنهم من يراها بعين التعظيم تبعاً لمراد الحق تعالى في تمييزها في قلوب عباده على التراب ، ومنهم من إذا قيل له واظب على صلاة الجماعة في المسجد يتعلل بالنوم ولو أنه علم أن هناك تفرقة ذهب لأتى المسجد ولم يتعلل بذلك كما وقع لبعض الأنصار حين جاء أبو عبيدة بمال من البحرين وحضر من لم يكن عادته الحضور في صلاة الصبح ولما تخللت جماعة عن صلاة العشاء قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ عَلِمَ أَنَّ فِي الْمَسْجِدِ عِرْقًا سَمِينًا حَضَرَ » .

ومنهم من يحضر لصلاة الجمعة قبل الناس كأصحاب الصفة ، ومنهم من لا يأتي إلا والخطيب فوق المنبر أو في الركعة الأولى أو الثانية أولاً يأتي حتى تفوته الجمعة ، ومنهم من يحضر المسجد قبل الناس فيلغو ويلعب ، ومنهم من يحضر في خشوع وعبادة حتى ينصرف ، ومنهم من يستأذن شيخه في كل فعل من سقر أو تزويج أو بناء دار أو زرع ونحو ذلك ، ومنهم من لا يستأذنه في ذلك إما حياء منه أو استهانة به وقد رأى صلى الله عليه وسلم أثر صفرة على عبد الرحمن بن عوف فقال « مهم » فقال تزوجت الحديث وكان ذلك من عبد الرحمن حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا استهانة بلا شك ، ومنهم من كان يتكرم على جميع أصحابه بكل ما دخل في يده ولا يبقى لنفسه شيئاً كما عاذ بن جبيل وأنى الدرداء وغيرهما كان يقول بتحريم الادخار ، ومنهم من كان يتكرم بالبعض ويمسك البعض ، ومنهم من لا يطعم أحداً شيئاً بل يشح على نفسه أن يطعمها ، ومنهم من كان يسمح لصاحبه بجمع ماله كأبي بكر رضى الله عنه ، ومنهم من كان يسمح لصاحبه بنصف ماله كعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، ومنهم من كان النبي صلى الله عليه وسلم

يداريه كمخرمة ، ومنهم من كان الناس منه في أمان كعثمان بن عفان رضى الله عنه وأبي سعيد الخدرى ، ومنهم من كان يفتى ولا يخشى من الله إقلاقا كبلال ، ومنهم من كان يخرج ماله تكافؤا ككعب بن مالك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :
« أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » .

ومنهم من كان يرضى بقضاء النبي صلى الله عليه وسلم ولا يختار خلاف ما اختاره له كالعشرة المشهود لهم بالجنة ، ومنهم من لا يرضى بقضائه ويختار خلاف ما اختار النبي صلى الله عليه وسلم كما في قصة أسامة بن زيد حين نقم على ولايته بعض الناس ، وكما في قول بعضهم هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، وقول بعضهم أن كان ابن عمك في حديث :
« أَسْقِ يَا زُبَيْرُ » .

ومنهم من كان يغضب إذا فرق النبي صلى الله عليه وسلم مالا ونسيه كمخرمة ، ومنهم من لا يغضب والنبي منه في أمان ، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدارى من نسيه في العطاء بقوله :

« إِنَّ اللَّهَ نِيَّا حُلُوَّةٌ خَضِرَةٌ وَإِنِّي لِأُعْطِيَ الرَّجُلَ أَتَأَلَّفُهُ ، وَالَّذِي أُمْنَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِيَ » .

ومنهم من كان يهاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا رآه ويصير يردد من هيئته ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« هَوِّنْ عَلَيْنِكَ يَا أَخِي فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَأَنْتَ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ » .

ومنهم من لا يهابه ولا يردد ، ومنهم من كان مطهرا من جميع المعاصي كالعشرة المشهود لهم بالجنة ، ومنهم من كان يقع في الكبائر كماعز ونعيان ، فكان نعيان كل قليل يأتون به النبي صلى الله عليه وسلم وهو سكران فيحده ، وكان نعيان مضحاكا كان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه :

ومن جملة ما وقع لنعيان أنه رأى رجلا أعمى يقول من يقودنى إلى البراز ، فأخذه نعيان وأجلسه في محراب المسجد فشمر ثيابه للجلوس فصاح الناس به إنك في المسجد فقال الأعمى لئن وجدت نعيان لأضربته بعصاى ، فسمع نعيان فجاء إليه وقال هل لك فيمن يدلك على نعيان ، فقاده إلى عثمان بن عفان وهو ساجد فقال هذا هو فصار

الأعمى يضرب عثمان رضى الله عنه ، فصاح الناس بالأعمى إنك تضرب أمير المؤمنين ،
وله وقائع كثيرة رضى الله عنه :

ومنهم من كان يؤذى أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكرمهم
لأجله صلى الله عليه وسلم ، كما وقع لأبي بكر حتى خطب النبي صلى الله عليه وسلم وقال

« هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِى صَاحِبِي » .

وحتى أحوجوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيان مرتبته بقوله :

« سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ » .

ومنهم من كل يتحمل الأذى من جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكرمهم
لأجله إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو فعلوا معه من الأذى ما فعلوا ، ومنهم
من كان يؤذى جاره كما يدل عليه قصة من شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
جاره كان يؤذيه ، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

« أَطْرَحَ مَتَاعَكَ عَلَى الطَّرِيقِ وَكُلُّ مَنْ مَرَّ عَلَيْكَ وَقَالَ مَا هَذَا ؟ فَقُلْ لَهُ

جَارِي يُؤْذِينِي » .

ومنهم من كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم بشرط أن يملأ له صلى الله عليه وسلم
بطنه كأبي هريرة وذلك لئلا يصير له تلفت إلى غيره صلى الله عليه وسلم وينقطع خاطر
مفارقتة لأجل الجوع ، ومنهم من كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم لأجل العلم والأدب
ولا يشرك معه علة من العلال ، ومنهم من كان يشح بإخراج الزكاة كنعلبة ، ومنهم من كان
يسمح بأطايب أمواله للفقراء ، ومنهم من كان كثير المال كعبد الرحمن بن عوف ، ومنهم
من كان لا يملك عشاء ليلة كما في قصة من وقع على زوجته في رمضان ، ومنهم من كان يعجب
بملبسه كالذى خسف به في زقاق أبي لُهب بمكة ، ومنهم من كان لا يعجب بشيء من
ملبسه ولا غيره كأبي بكر رضى الله عنه وغيره ، ومنهم من كان يظهر الغنى وليس في
بيته شيء يأكله ، ومنهم من يكون عنده الدنيا وهو يظهر الفقر ويأخذ من الزكوات
والصدقات كالذى وجدوا في حجة إزاره بعد موته ثلاثة دنائير أو دينارين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم :

« كَيْتَاتٌ أَوْ كَيْتَانٍ مِنْ نَارٍ » .

ومن النساء من كانت تحب النبي صلى الله عليه وسلم وترى الفضل له إذا خطبها لتكون معدودة من أزواجه في الجنة ، ومنهن من كانت تكره ذلك وتستعيذ بالله منه كابنة الجون ، ومنهن من كانت تستحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جالسته وتصير ترتعد من هيئته ، ومنهن من كانت لاتهابه ولا تستحي منه كهند فان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع النساء وقال :

« وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُمْ » .

فقال له هند نحن ربناهم صغارا فقتلتهم أنت كبارا ، فسكت صلى الله عليه وسلم ولم يتم المبايعه ، ومنهن من تقلقت لما رأته معيشة النبي صلى الله عليه وسلم ضاقت وطلبت الفراق ، ومنهن من اختارت المقام معه صلى الله عليه وسلم والصبر على ذلك كعائشة رضى الله عنها . ومنهن من كانت كثيرة الغيرة كعائشة حتى أنها رأته سودة وهى ذاهبة بإناء فيه طعام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقامت لها وكسرت الإناء وساح الطعام على الأرض فقام النبي صلى الله عليه وسلم وضم الطعام من الأرض فى الإناء وقال :

« غَارَتْ أُمَّكُمْ » .

ومن خدامه من كانت لا تجيبه إذا ناداها فيقول :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَا خَوْفُ الْقِصَاصِ لَأَوْجَعْتُكَ بِهَذَا السَّوَالِكِ » .

ومنهن من كانت تعتنى بكل شيء سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم كعائشة رضى الله تعالى عنها وبريرة ، ومنهن من لم ترو عنه ولا حديثا :

هذا ما حضرني الآن من الشواهد التي تشهد لانقسام أصحاب كل داع إلى الله تعالى كما انقسم من دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن طلب زيادة على ذلك فليمتنع أحوال الأمم السابقة مع أنبيائها ، فإن تلك الأقسام لم تزل فى أصحاب جميع الدعاة إلى الله تعالى :

وعلم من جميع ما قررناه أن من طلب من المشايخ أن يكون جميع أصحابه مستقيمين متجردين عن الدنيا ومتأديين معه ، لا اعتراض لهم عليه ولا اختيار لهم معه ، أو يشاورونه على جميع أمورهم كما شرط القوم ذلك فى حق المرادين الصادقين فهو أغشى البصيرة ، وإنما وظيفة جميع الدعاة إلى تعالى أن يبلغوا الآداب الشرعية إلى قومهم لا غير ، فهم مأجورون على كل حال سواء امتثل انخلق أمرهم أو لم يمتثلوا ، وقد أرسل النبي صلى الله

عليه وسلم إلى الناس كافة فأقر كل من كانت له حرفة على حرفته ، ولم يأمر أحدا منهم بالخروج عما أقامه الله فيه من الحرف ، بل سلكهم وأرشدهم وهم في حرفهم .
فوطن يا أخى نفسك أن يقع من أصحابك جميع ما تقدم فى حق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدب معه ، ومن ضده فى حقه وحق أصحابه وذلك إما ليستن بهم من بعدهم وهو اللائق بمقامهم وإما أن يكون ما وقع من سوء الأدب فى بعض الأوقات بيانا لعدم العصمة ثم يتوبون على الفور ، فكيف يطلب مشايخ النصف الثانى من القرن العاشر من تلامذتهم أن يكونوا معهم على الأدب فى جميع أحوالهم ، هذا شئء كالحال ، فإن شيئا لم يصبح لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه كيف يصبح لأحد بعدهم ؟ مع أنهم خير القرون ومع شهودهم علو مقامه صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه من الزهد والعبادة وكثرة المعجزات ومع كونه أرحم بالؤمنين من أنفسهم ، فلا تطلب ياسيدى الشيخ من تلامذة القرن العاشر أن يكونوا فى الأدب فوق أدب الصحابة ، هذا مملا يكون :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .

ثم لا يخفى عليك يا أخى أن الزهد فى الدنيا لا يكون إلا فيما هو حلال خالص : وأما ترك ما فيه شبهة فلا يسمى زهدا وإنما هو تورع ، فعلى هذا لا تجرد الآن زاهدا إلا أن يكون فى علم الله لانهلمه نحن ، لأن غالب ما بأيدى الخلائق الآن من الأموال للتسرع عليه اعتراض وما بقى إلا أن يأكل الإنسان أكل المضطر ويلبس لبس المضطر ، وكل من رخص لنفسه هذا فرما شدد الله عليه الحساب يوم القيامة وبالعكس ، وقد صار فى أفواه غالب الناس هات حرام وبس ، وهذا لا ينبغى لمؤمن أن يتلفظ به لأنه كالاستهزاء بمناقشة الحق تعالى له يوم القيامة :

وكذلك لا يخفى عليك يا أخى أن من الشبهات ما يأخذه شيخ الزاوية باسم الفقراء ، ويختلس منه شيئا لنفسه ، فهو ولو كان حلالا من أصله فقد صار شبهة من حيث النصب : وقد أخبرنى من أتق به أن شيئا له سبحة وسجادة أعطاه الباشات ألف نصفت على اسم الفقراء المقيمين بزوايته فلم يعط فقيرا منها نصفا وقال هذه شبهات وقد انشرح صدرى أن أحمل عنكم حسابها ، فاشتزى له بها صوفيا وتزوج بالباقي فنفرت منه فقراء الزاوية ولم يبق لهم فيه عقيدة :

فاياك يا أخى أن تفعل مثل ذلك إذا عملت شيئا ، وفى قصة سلمان الفارسي أنه لما قرب ظهور رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم صار سلمان يسيح فى البلاد لعله يعثر عليه ، فدل على راهب فذهب إليه فوجده صائم الدهر لا يأكل شيئا من الشهوات فخدمه حتى مات فرأوا وراءه ثلاثة تماقم فيها نحو نصف أردب فضة فرجمه الرهبان ولم يصلوا عليه ، فسأل عن يده على الله تعالى فدل على راهب آخر على قدم عظيم فى الزهد والعبادة فخدمه ، فلما مات وجدوا وراءه مالا جزيلا فرجمه الرهبان ولم يصلوا عليه ، فدل على ثالث فذهب إليه فوقع له مثل الأولين فرجموه ولم يصلوا عليه فدل على النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن كان ما كان .

وقد بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يزهد جميع أصحابه فى الدنيا ، ثم يقول : من بنى منكم دارا فكأنما بنى على موج البحر . قال الشيخ عبد القادر الجبلى : وما أحسن تمثيله الدنيا بموج البحر ثم ينشد :

أَتَبْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا مَقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَدِيلُ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كُلُّ يَوْمٍ يَقْتَضِيهِ رَحِيلُ
أَلَا إِنَّ قُطَاعَ الْقِيَافِ إِلَى الْحَيِّ كَثِيرٌ وَأَمَّا الْوَاصِلُونَ قَدِيلُ

يعنى فكما أن البناء لا يثبت على الموج فهكذا لا يثبت فى الدنيا لأنها زائلة متحركة كتحرك الموج على الماء اه .

وفى باب الطهارة من الفتوحات المسكية ما نصه : أجمع أهل كل ملة ونحلة على أن الزهد فى الدنيا مطالب ، وكذلك إخراج مامع الإنسان منها مطلوب ، وقالوا إن فراغ اليد من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التى حذرنا الله منها بقوله :

(إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) اه .

ومن قواعد الرهبان أن لا يدخروا قوتا لغد ولا يمسكوا فضة ولا ذهباً .

ورأيت شخصا قال لراهب انظر لى هذا الدينار هو من ضرب أى الملوك؟ فلم يرض وقال النظر لى الدنيا منهى عنه عندنا .

ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان ، فسألت عن ذلك فقالوا رأوا على عمامة نصفها مربوطا فقلت لهم ربط الدنيا عندكم مذموم ؟ فقالوا وعند نبيكم اه .

فإذا كان هذا حال الرهبان، فنفقراء المسلمين المقيمون في الزوايا أولى بتركهم الدنيا .

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى ابن ماجه مرفوعا باسناد حسنه بعضهم قال الترمذى وفيه بعد :

« أَنْ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ تَعَالَى وَأَحَبَّنِي النَّاسُ ؟ فَقَالَ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ وَأَزْهَدُ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ » .

قال الحافظ . وليس في رواية من ترك ، لكن على هذا الحديث لامعة من أنوار النبوة ولا يمنع كون راويه ضعيفا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قاله اه .

قلت : وهذا الحديث من الأربعة أحاديث التي عليها مدار الإسلام وقد نظمها

بعضهم بقوله :

عُدَّةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتُ أَرْبَعٌ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَأَزْهَدْ وَدَعْ مَا لَيْسَ بِعَيْنِكَ وَأَعْمَلَنَّ بِنَيْتِهِ

اه والله أعلم .

وروى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن أدهم معضلا :

« جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَمَا الْعَمَلُ الَّذِي يُحِبُّكَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَالْزُّهُدُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَمَا الْعَمَلُ الَّذِي يُحِبُّكَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ مَا فِي يَدِكَ مِنَ الْخَطَايَا » .

وروى الطبراني بإسناد مقارب مرفوعا : « الزُّهُدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْجَسَدَ » .

وروى ابن أبي الدنيا مرسلًا « قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ ؟ قَالَ :

مَنْ لَمْ يَنْسَ الْقَبْرَ وَالْبَلِيَّ ، وَتَرَكَ فَضْلَ زِينَةِ الدُّنْيَا وَآثَرَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَنْفَى وَلَمْ يَعْذُ غَدًا مِنْ أَيَّامِهِ وَعَدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْمَوْتَى » .

وروى الطبراني والأصفهاني مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : يَا مُوسَى إِنَّهُ لَنْ يَتَصَنَّحَ الْمُتَصَنَّعُونَ إِلَى مِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَتَقَرَّبِ الْمُتَقَرَّبُونَ إِلَى مِثْلِ الْوَرَعِ عَمَّا حَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ وَمَاذَا أُعِدَّتْ لَهُمْ ، وَمَاذَا جَزَيْتَهُمْ ؟ فَقَالَ تَعَالَى : أَمَّا الزُّهَادُ فِي الدُّنْيَا فَإِنِّي أُبْحَثُ لَهُمْ جَنَّتِي يَتَبَوَّءُونَ مِنْهَا حَيْثُ شَاءُوا . وَأَمَّا الْوَرِعُونَ عَمَّا حَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا نَاقَشْتُهُ وَفَتَشْتُهُ إِلَّا الْوَرِعِينَ فَإِنِّي أُسْتَحْيِيهِمْ وَأُجِلِّهِمْ وَأُكْرِمُهُمْ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ . »

وروى أبو يعلى مرفوعا : « مَا تَزَيَّنَ الْأَبْرَارُ فِي الدُّنْيَا بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا . »
وفي رواية له مرفوعا : « إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُبْقِي الْحِكْمَةَ . »

وروى الطبراني وإسناده يحتمل التحسين مرفوعا :

« صَلَاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ ، وَهَلَاكُ آخِرِهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ . »
وروى البزار مرفوعا : « يُنَادِي مُنَادٍ دَعَا الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا ، دَعَا الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا ، دَعَا الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا ، مَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا أَكْثَرَ مِمَّا يَكْفِيهِ أَخَذَ حَنْفَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ »
والحتمف : الموت .

وروى أبو عوانة في صحيحه وابن حبان والبيهقي مرفوعا :

« خَيْرُ الرِّزْقِ أَوْ قَالَ الْعَيْشِ مَا يَكْفِي » الشك من الراوي .

وروى مسلم والنسائي مرفوعا : « إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ . »

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعا : « الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ فَمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا ، وَرَبٌّ مُتَخَوِّضٌ فِي مَالِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَهُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . »
وفي رواية للطبراني : « وَرَبٌّ مُتَخَوِّضٌ فِيهَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ . »

وفي رواية له مرفوعا : « مَنْ قَضَى نَهْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَهْوَتِهِ فِي الآخِرَةِ ، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَيْهِ إِلَى زِينَةِ الْمُتَرَفِينَ فِي الدُّنْيَا كَانَ مَهِينًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْقُوْتِ الشَّدِيدِ صَبْرًا جَمِيلًا أَسْكَنَهُ اللَّهُ مِنَ الْفِرْدَوْسِ حَيْثُ شَاءَ » .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناد حسن موقوفا على ابن عمر، وروى عن عائشة مرفوعا والوقف أصح :

« لَا يُصِيبُ عَبْدٌ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا إِلَّا نَقَصَ مِنْ دَرَجَاتِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ كَرِيمًا » .

وروى الطبراني مرفوعا : عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَكْفِينِي مِنَ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : مَا سَدَّ جَوْعَتَكَ وَوَارَى عَوْرَتَكَ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ بَيْتٌ يُظْلِكُ فَذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ دَابَّةٌ فَبَيْعُهَا » .

وروى الإمام أحمد ورواته ثقات في حديث :

« أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْبُسْرَ وَالرُّطْبَ ، وَشَرِبَ الْمَاءَ الْبَارِدَ وَقَالَ : لَنْسَأَلَنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّا لَسَمْعُولُونَ عَنْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ نَعَمْ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : خِرْقَةٍ كَفَّ بِهَا عَوْرَتَهُ وَكِسْرَةٍ سَدَّ بِهَا جَوْعَتَهُ أَوْ جُجْرٍ فَيَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ » .

وفي رواية للترمذي والحاكم وصحاحه والبيهقي مرفوعا :

« لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الْخِصَالِ بَيْتٌ يُكْنِيهِ وَتَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ وَجِلْفٌ الْخَبْزِ وَالْمَاءُ » .

قال: وجلف الخبز هو غليظه وخشنه ، وقيل هو الخبز ليس معه إدام ، قاله للنضر ابن شمیل .

وروى البزار ورواته ثقات إلا واحدا مرفوعا :

« مَا فَوْقَ الْإِزَارِ وَظِلُّ الْحَائِطِ وَحُبُّ الْمَاءِ ، فَضْلٌ يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
أَوْ يُسْأَلُ عَنْهُ » .

وروى الترمذى والحاكم والبيهقى : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : « قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَرَدْتَ الْحُقُوقَ بِي فَلَيْكَ كِفَاكٌ مِنَ الدُّنْيَا كِرَادِ الرَّا كِبِ ، وَإِيَّاكَ وَجَالِسَةَ الْأَغْنِيَاءِ ، وَلَا تَسْتَخْلِقِ ثَوْبًا حَتَّى تُرْقِعِيهِ » .
زاد العبدى : فما كانت عائشة تستجد ثوبا حتى ترقع ثوبها وتنكسه .
وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد عن سلمان قال عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَيْسَ كُنْ بُلْفَةً أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كِرَادِ الرَّا كِبِ » .

وزوى ابن ماجه باسناد حسن : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَمْنَحَ رَجُلًا نَاقَةً فَرَدَّهُ ثُمَّ اسْتَمْنَحَ آخَرَ فَأَعْطَاهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ أَكْثَرَ مَالٍ فَلَانَ لِلْمَانِحِ الْأَوَّلِ وَاجْعَلْ رِزْقَ فَلَانَ يَوْمًا يَوْمًا لِلَّذِي بَعَثَ بِالنَّاقَةِ » .
وروى ابن ماجه والترمذى وقال حديث صحيح مرفوعا :

« لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَمْدُلُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَارِفًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ » .

وروى الإمام أحمد ورواته ثقات عن الضحاك بن سفيان :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : يَا ضَحَّاكُ مَا طَعَامُكَ ؟ قَالَ اللَّحْمُ وَاللَبَنُ ، قَالَ : وَإِلَى مَاذَا يَصِيرُ ؟ قَالَ : إِلَى مَا قَدَّ عَلِمْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا » .
زاد فى رواية : « إِنَّ قَرَحَهُ وَمَلَحَهُ » .

أى نثر عليه الغنفل ، يقال قرحت القدر إذا وضعت فيه الأوزار ، وملحه معروف .
وروى الإمام أحمد والبزار وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى مرفوعا :

« مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضْرَبَ بِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضْرَبَ بِدُنْيَاهُ فَأَبْرَأُوا

مَا بَقِيَ عَلَى مَا بَقِيَ » .

وروى الحاكم مرفوعا وقال صحيح الإسناد :

« حُلْوَةُ الدُّنْيَا مَرَّةٌ الْآخِرَةِ ، وَمَرَّةٌ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ الْآخِرَةِ » .

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعا : « مَنْ أَشْرَبَ حُبِّ الدُّنْيَا أَلْتَأَطَّ مِنْهَا بِثَلَاثٍ : شَقَاءٌ لَا يَنْفَدُ عَنْهُ ، وَجِرْصٌ لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ ، وَأَمَلٌ لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ » .

وروى البيهقي مرفوعا : « هَلْ مِنْ أَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ إِلَّا ابْتَلَّتْ قَدَمَاهُ ؟ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : كَذَلِكَ صَاحِبُ الدُّنْيَا لَا يَسْلَمُ مِنَ الذُّنُوبِ » .

وروى الإمام أحمد والبيهقي مرفوعا وإسنادهما جيد :

« الدُّنْيَا دَارٌ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَهَلَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ » .

وزاد البيهقي : « وَمَالٌ مَنْ لَا مَالَ لَهُ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نجوع ولا نشبع كل الشيع من الطعام في دار الدنيا ، وذلك لأن الله تعالى مدح البكائين من خشية الله ، ولا يبكي خالصا إلا من كان جائعا ، وأما الشبعان فمن لازمه التفتل في البكاء والتفتل لا يقبله الله تعالى ، ومالا يتوصل إلى المقصود إلا به فهو مقصود . فجعج يا أخى لتبكي وتدخل حضرة ربك في صلاتك وغيرها مع الخائفين من سطواته ، ولا تشبع تطرد إلى حضرة البهائم والشياطين .

وهذا العهد قلّ من يعمل به الآن من غالب الناس بل ربما أكل أحدهم الشهوات وشبع من الحرام ، بل رأيت جماعة انهمكوا في أكل الشهوات حتى قست قلوبهم ، فلا تسكاد تجد أحدا منهم يبكي عند سماع موعظة وباعوا دخول حضرة ربهم بشهوة البطن ، واعلم يا أخى أن البكائين من خشية الله عز وجل قد قلوا من الدنيا ، وآخر من رأيت من البكائين عند سماع القرآن والموعظة سيدى الشيخ على البحيرى تلميذ سيدى على التبتى ، وتلميذ الشيخ شهاب الدين بن الأقطيع رحمهما الله ، كان إذا سمع آية عذاب في حق الكفار بكى حتى يبيل لحيته وتصير عيناه تهملان من الدموع ، وكذلك كان شيخه سيدى على وشيخنا الشيخ زكريا فكانا يبكيان حتى كأن النار لم تخلق إلا لها وبعدهم قلّ

البكاء والخضوع حتى لا تكاد نجد إلا من هو قاسى القلب ، وربما لامه بعض الناس على ترك البكاء فيقول : البكاء إنما هو للمريدين ونحن بحمد الله قد قوبنا على ترك البكاء وأفعال أحدهم تكذبه ، فإن الناس لو أخرجوه من زاويته أو أخذوا رزقته أو مسموحه لصار يبكي كالعجوز على ولدها مع أن هذا ربما تفوته المواكب الإلهية فى الأسحار كل ليلة فلا يبكي ولا يتأثر على فواتها فأين دعواه ؟ وشرط العاقل أن لا يدعى دعوة قط حتى يكون له شاهد من فعله عليها .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : كل من لم يبك عند سماع المواعظ فهو كالحجار ، فإن الله تعالى هو الواعظ للعبد بكل آية على ألسنة الواعظين اه .
ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يسلك به حضرات الخائفين ويصير يبكي بقلبه ولو ضحك بقمه : وقد بسكى السلف الصالح الدم حين نفذت الدموع من خووف الخاتمة وخوف القطيعة ، ومن خووف المسكر بهم والاستدراج ، وأنت يا أخى كأنك أخذت من الله تعالى مرسوماً أنه لا يمكن بك وكل ذلك من تلبس إبليس ، وقد قال تعالى فى حق المصلين .

(الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) وفى حق المزكين (الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) وفى حق المؤمنين (الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) وفى حق الخائفين (الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) .
فتأمل يا أخى إذا كان أهل هذه الصفات لم يؤمنهم الله تعالى من عذابه فكيف من كان بالضد من ذلك كأمثالنا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم :
فاسلك يا أخى على يد شيخ ناصح حتى يصير الجوع من شأنك لتبكي عند المواعظ خوفاً من ربك ، والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعاً : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ »
فذكر منهم : « وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً :

« مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يُصِيبَ الْأَرْضَ مِنْ دُمُوعِهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى الإمام أحمد والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ بَسَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » .

وروى للترمذى وقال حسن صحيح الإسناد مرفوعا :

« لَا يَدْخُلُ النَّارَ رَجُلٌ يَبْسُكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ » .

وزاد في رواية البيهقي : « وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُصِرٌّ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ » .

وروى الأصبهاني مرفوعا : « كُلُّ عَيْنٍ بَأْكِيَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنٌ خَرَجَ مِنْهَا مِثْلَ رَأْسِ الذَّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وروى الأصبهاني وابن ماجه والبيهقي مرفوعا :

« مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ ، وَإِنْ كَانَ مِثْلَ رَأْسِ الذَّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، ثُمَّ يُصِيبُ شَيْئًا مِنْ حُرِّ وَجْهِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » .

وروى البيهقي مرسلًا : « مَا أَغْرَوْرَقَتْ عَيْنٌ بِمَا هِيَ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ سَائِرَ ذَلِكَ الْجَسَدِ عَلَى النَّارِ ، وَلَا سَالَتْ قَطْرَةٌ عَلَى خَدِّهَا فَبَرَهَقَ ذَلِكَ الْوَجْهَ قَتْرٌ وَلَا ذَلَّةٌ وَلَوْ أَنَّ بَأْكِيًّا بَسَكَ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ لَرُحِمُوا ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَهُ مِقْدَارٌ وَمِيزَانٌ إِلَّا الدَّمْعَةَ فَإِنَّهُ يُطْفَأُ بِهَا بِحَارٌ مِنَ النَّارِ » .

وروى الحاكم مرفوعا وقال صحيح الإسناد عن ابن أبي مليكة قال : جلسنا إلى عبد الله ابن عمر في الحجر فقال ابكوا فإن لم تجدوا بكاء فنبأكم ، لو تعلمون العلم لصلى أحدكم حتى ينكسر ظهره ، ولبيكى حتى ينقطع صوته :

وروى أبو داود واللفظ له والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن مطرف عن أبيه عبد الله قال :

« رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَلِصَدْرِهِ أَزِيرٌ كَأَزِيرِ الرَّحَى مِنْ الْبُكَاءِ » .

أى صوت كصوت الرحى ، يقال أزت الرحى إذا صوتت :

وروى ابن خزيمة فى صحيحه عن على رضى الله عنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلى ويبكى حتى أصبح .

وفى حديث الطبرانى وغيره : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لِمَ يَتَعَبِدُنِي الْمُتَعَبِدُونَ بِمِثْلِ الْبِكَاءِ مِنْ خَشْيَتِي » .

وروى الترمذى وابن أبى الدنيا والبيهقى عن عقبة بن عامر قال : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسْمَعْكَ بَيْتُكَ ، وَأَبْلِكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ » .

وروى البيهقى : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ فَبَكَى رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَوَشَّهَدَكُمُ الْيَوْمَ كُلُّ مُؤْمِنٍ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي لَغَفِرَ لَهُمْ بِبِكَاءِ هَذَا الرَّجُلِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَبْكِي وَتَدْعُو لَهُ وَتَقُولُ اللَّهُمَّ شَفِّعِ الْبَكَّائِينَ فِيمَنْ لَمْ يَبْكِ » .

وروى البيهقى والأصبهانى مرفوعا : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَارْتِفَاعِي فَوْقَ عَرْشِي ، لَا تَبْكِي عَيْنُ عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَخَافَتِي إِلَّا أَكْثَرَتْ ضَحِكَهَا فِي الْجَنَّةِ » .

وروى أبو الشيخ والبيهقى مرفوعا : « إِذَا أَقْشَعَرَ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَحَاتَّتْ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَقُهَا » .

وفى رواية لها مرفوعا : « إِذَا أَقْشَعَرَ جِلْدُ الْمُؤْمِنِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَعَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَبَقِيَتْ لَهُ حَسَنَاتُهُ » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتعاطى الأسباب التى تذكرنا بالموت وتقصر أملنا ، كمشاهدة العباد وللزهاد فى الدنيا امثالنا لقوله صلى الله عليه وسلم :

« أَذْكَرُّوْا هَآذِمَ اللَّذَاتِ » الحديث .

ومالا يتوصل إلى فعل المأمور إلا به فهو من جملة المأمور واجبا لواجب
ومندوبا لمندوب .

فعلم أن من عاشر الراغبين في الدنيا كالصغار والذين يسعون على الوظائف والأنظار
ليلا ونهارا وطلب أن يكون الموت على باله فقد رام المحال .

ورأى سيدى على الخواص تاجرا يبني له دارا ويغرس له فيها جنيذة وقد طعن في
السن فقال لفقير كان بجواره ارحل يا أخى وإلا فتلك جارك بعمارته وأنسك الموت والآخرة
فرحل الفقير .

وسمعه مرة أخرى يقول : من الأضداد أن من يذكر الموت يحيا قلبه ومن ينسأه يموت ،
وذلك لأن من لازم ذكر الموت قصر الأمل والمبادرة إلى العمل ، فمثل هذا ولو طال عمره
فعمله حسن إن شاء الله تعالى وذلك أعظم ما يكون العبد عليه اه .

فعلم أن من أعظم نعم الله تعالى على العبد أن يقصر أمله ويطول عمره ويحسن عمله ،
وهناك يشهد لسان حاله للمحجوبين عنه :

لَا تَنْظُرُوا الْمَوْتَ مَوْتًا إِنَّهُ حَيَاةٌ هِيَ غَايَاتُ الْمُنَى
لَا تَرُغِبُوا فِي جَاءَةِ الْمَوْتِ فَمَا هِيَ إِلَّا نُقْلَةٌ مِنْ هَهْنَأُ

وإيضاح ذلك أن كل من جاهد نفسه حتى قتلها بسيوف المجاهدات وترك لذات المنام
وأكل الشهوات فإنما هو يتقل من دار إلى دار ، فلا يتأثر على فوات دار الدنيا إلا ليعمل
فيها خيرا لا غير . وأما تعاطيه لذاتها وشهواتها فيندم عليها غاية الندم ويفرح لمفارقتها ، وأما
من لم يجاهد نفسه فيما ذكرناه فهي متعشقة للدنيا مشتبكة بعلائقها كاشتباك الصوف
المبلوك بالشوك فيقاسى في طلوع روحه الشدائد ، وإنما شدد على الأكاير طلوع روحهم
مع كونهم لا التفات لهم إلى الدنيا ولا تعشق لهم بها إلا من حيث وفور شفقتهم على
أصحابهم لعدم وصولهم إلى ما كانوا يطلبونه لهم من المقامات ، فكان مقصود الأكاير تأخير
أجلهم ليكملوا أصحابهم وليس مقصودهم البقاء في الدنيا لحظ نفوسهم فافهم ، ولذلك
قال بعض الأنبياء لجبريل عليه السلام : ألا تراجع ربك في التأخير؟ قال : جفت القلم
نما هو كائن .

ويؤيد ما قررناه قول الجنيد في معنى قوله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّهُ لَيَمَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ رَبِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً ». .
 أن المراد به أنه اطلع على ما تقع فيه أمته من المعاصي بعده ، فكان يستغفر الله تعالى
 لهم لاله ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا ذنب عليه ، فقال له قائل فما المراد بقوله تعالى :
 (وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ ؟) .

فقال : المراد به ذنب أمته ، وإنما أضيف إليه لأنه هو المشرع لتحريمه ، فكأنه قيل
 له استغفر لأهل الذنب الذى حرّمته شريعتك اهـ .
 هكذا رأيت عن الجنيد منقولاً فى بعض الكتب ، وهو اللائق بمقام رسول الله
 صلى الله عليه وسلم .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول يهون الموت على كل إنسان من الأمة
 ويصعب بقدر جهاده لنفسه فمن بقى عليه بقية مجاهدة صعب عليه طلوع الروح بقدرها
 والناس بين مقلّ ومكثّر . وأما الخواص الذين لم يبق عليهم من مجاهدة نفوسهم بقية
 كأبى بكر الصديق وأضرابه فلا يتأثر بطلوع روحه أبداً ، وإنما يتأثر الجسم من حيث
 فراق من كان سبباً لحياته المدبرة له ، فإن الله تعالى أوحى إلى الروح أن ادخلى كرها
 واخرجى كرها : أى ادخلى كرها عليك واخرجى كرها على الجسد ، وذلك لأنها من
 عالم الانفساح والسراح والجسم يقيد بها فيه عن سراحها ، وقد أنشد سيدى على بن وفا
 رضى الله عنه فى الروح خمسا :

قَدْ سَمِعْتُ الرُّوحَ تَحْكِي أَنْ نَفْسَ الْمُتَزَكِّيِّ
 أَنْشَدَتْ كَأَلْتَشْكِي أَنَا فِي الغُرْبَةِ أَبْكِي
 مَا بَكَتْ عَيْنُ غَرِيبٍ

بَعْدَ رَوْحِي وَمَرْوَجِي وَأَرْتَفَاعِي وَعَرْوَجِي
 صرْتُ فِي الضِّيْقِ الحُرِّيْبِي لَمْ أَكُنْ عِنْدَ خُرُوجِي
 مِنْ مَكَائِي يُمَصِّبِي

كُنْتُ حَقًّا رُوحَ مُلْكِي فَتَغَرَّبْتُ بِدَرْكِي
 مَعَ وَهْمِ خُلْدِ إِنْكِي فَأَعْجَبُوا لِي وَارْتَكِي
 وَطَنًا فِيهِ حَبِيبِي

وأشدد ابن سينا في الروح :

هَبَطْتَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَفَاهُ ذَاتُ تَحَجُّبٍ وَتَمَنُّعٍ ..
 مَحْجُوبَةٌ عَنْ كُلِّ مُقَلَّةٍ عَارِفٍ وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَّبِعْ رَفْعَ
 وَصَلْتَ عَلَى كُرْهِهِ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا كَرِهْتَ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفَجُّعٍ
 أُنِفْتَ وَمَا سَكَنْتَ فَلَمَّا وَاصَلْتَ أَلِفْتَ مُجَاوِرَةَ انْفِرَابِ الْبَلْعِ
 وَأَطَّهَا نَسَيْتَ عُهُودًا بِالْحَمَى وَمَدَامِعًا هَطَلْتَ وَلَمْ تَتَّقِمْ
 إِذْ عَاقَبَهَا الشَّرْكُ الْكَثِيفُ وَصَدَّهَا قَفْصٌ عَنِ الْأَوْجِ الْفَسِيحِ الْمُرْفَعِ
 حَتَّى إِذَا قُرِبَ الْمَسِيرُ إِلَى الْحَمَى وَدَنَا الرَّحِيلُ إِلَى الْفَضَاءِ الْأَوْسَعِ
 هَجَعَتْ وَقَدْ كَشِفَ الْغِطَاءُ فَأَبْصَرَتْ مَا لَيْسَ يُدْرِكُ بِالْعَيُونِ الْهُجَعِ
 فَكَأَنَّمَا بَرَقَ تَلَمَّعَ بِالْحَمَى ثُمَّ انْطَوَى فَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْمَعِ

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يخلصه من العوائق والحجب التي تحجبه عن شهود الدار الآخرة وأهوالها ، ويعرفه أنه مادام في هذه الدار فرسل الله تعالى مرسمة عليه تكتب عليه جميع ما شاء الله تعالى من الأقوال والأفعال فكأنه في سجن ، فإذا خرجت روحه فكأنه أطلق من السجن ، ومن لم يسلك كما ذكرنا فمن لازمه نسيان الموت والدار الآخرة كما هو حال أكثر الناس اليوم فكلنا في غمرة ساهون ، نسأل الله اللطف :

وفي الحديث : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَيِّتٍ يَمْشِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

ولأنما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتا لأنه مات عن التدبير والاختيار مع الله تعالى ، وسلم نفسه لجباري الأقدار ولم يبق عنده نزاع لها .
 فاسلك يا أخى على يد شيخ ليصير الموت نصب عينيك طبعاً من غير تكلف ، فلا ترى إلا عاملاً بخير أو مستغفراً من ذنب قد سبق على أيام السلوك لك ، والله يتولى هداك .
 وروى ابن ماجه والترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه مرفوعاً :

« أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ » يعنى الموت .

وفى رواية للطبرانى بإسناد حسن مرفوعا :

« أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ » يعنى الموت « فَإِنَّهُ مَا كَانَ فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلِيلُهُ ،
وَلَا قَلِيلٍ إِلَّا جَزَاءُهُ » .

أى كثره ، وهازم بالذال المدجمة أى قاطع .

وروى البزار وغيره بإسناد حسن : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَرَّ بِمَجْلِسٍ وَهُمْ
يَضْحَكُونَ ، فَقَالَ : أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ ، أَحْسِبُهُ قَالَ : فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ
أَحَدٌ فِي ضَيْقٍ مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا وَسَّعَهُ ، وَلَا فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَتْ عَلَيْهِ » .

وروى ابن حبان فى صحيحه مرفوعا قال :

« كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِبْرًا كُلِّهَا : عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ
هُوَ يَفْرَحُ ؟ وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ ثُمَّ هُوَ يَضْحَكُ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ آمَنَ بِالْقَدْرِ ثُمَّ
هُوَ يَنْصَبُ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا ثُمَّ اطْمَأَنَّ إِلَيْهَا ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ
أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ غَدًا ، ثُمَّ لَا يَعْمَلُ » .

وروى الترمذى والبيهقى : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مُصَلَاةً فَرَأَى
قَوْمًا كَأَنَّهُمْ يَكْتَشِرُونَ : أَيْ يَضْحَكُونَ فَقَالَ : أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ
هَازِمِ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ لَشَفَّكُمْ عَمَّا أَرَى فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ »
الحديث بطوله .

وروى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ فَبَجَسَ إِلَى قَبْرِهَا فَقَالَ :
مَا يَأْتِي عَلَى هَذَا الْقَبْرِ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَهُوَ يُنَادِي بِصَوْتٍ زَلِقٍ طَلِقٍ يَا أَبْنَ آدَمَ نَسِيْتِنِي
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ بَيْتَ الْوَحْدَةِ وَبَيْتَ الْعُرْبَةِ وَبَيْتَ الْوَحْشَةِ وَبَيْتَ الدَّوْدِ وَبَيْتَ
الضُّيْقِ إِلَّا مَنْ وَسَّعَنِ اللَّهُ عَلَيْهِ » الحديث .

وروى ابن الدنيا والطبراني باسناد جيد :

« أَنْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْبَسُ النَّاسَ وَأَحْزَمُ النَّاسِ؟ قَالَ أَكْتَرَهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ وَأَكْتَرَهُمْ اسْتِعْدَادًا لِلْمَوْتِ أُولَئِكَ الْأَكْبَسُ ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَكَرَامَةِ الْآخِرَةِ » .

وروى الطبراني باسناد حسن والبخاري : « أَنْ رَجُلًا مَاتَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَثْنُونَ عَلَيْهِ وَيَذْكُرُونَ مِنْ عِبَادَتِهِ وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاكِتٌ، فَلَمَّا سَكَتُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ كَانَ يُكْتَرُ ذِكْرُ الْمَوْتِ؟ قَالُوا : لَا، قَالَ : فَهَلْ كَانَ يَدْعُ كَثِيرًا مِمَّا يَشْتَهِي؟ قَالُوا : لَا، قَالَ : مَا بَلَغَ صَاحِبِكُمْ كَثِيرًا مِمَّا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « كَتَبِي بِالْمَوْتِ وَاعِظَا وَكَفِّي بِالْيَقِينِ غَنَى » .

وروى البخاري مرفوعا : « أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ : جُحُودُ الْعَيْنِ وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ وَطُولُ الْأَمَلِ وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا » .

وروى ابن الدنيا مرفوعا : « يَهْلِكُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ » .

وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي وأبو نعيم والأصبهاني أن أسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة دينار لأجل فباغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« أَلَا تَمَجَّبُونَ مِنْ أُسَامَةَ الْمُشْتَرَى إِلَى شَهْرٍ ، إِنَّ أُسَامَةَ لَطَوِيلُ الْأَمَلِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا طَرَفْتُ عَيْنَايَ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنْ شَفَرِي لَا يَلْتَمِيَانِ حَتَّى يَقْبِضَ اللَّهُ رُوحِي ، وَلَا رَفَعْتُ قَدَمِي وَطَنْتُ أُنَى أَضَعُهُ حَتَّى أَقْبِضَ ، وَلَا لَقِمْتُ لُقْمَةً إِلَّا ظَنَنْتُ أُنَى لَا أُسِيمُهَا حَتَّى أَغْصَّ بِهَا مِنَ الْمَوْتِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا تَوَعَدُونَ بِهِ لَأْتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ » .

وروى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على أصحابه ذات عشية فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا تَسْتَحْيُونَ؟ قَالُوا : مِمَّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : تَجْمَعُونَ

مَالًا تَأْكُلُونَ وَتَبْنُونَ مَالًا تَعْمُرُونَ وَتُؤْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ ، أَلَا تَسْتَحْيُونَ
مِنْ ذَلِكَ ؟ » .

وروى البخارى والترمذى عن عبد الله بن عمر قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمنكبي فقال :

« كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » .

وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنظر
المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .

ورواه الترمذى والبيهقى بلفظ :

« كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَصْحَابِ الْقُبُورِ »
وقال لى : « يَا ابْنَ عُمَرَ إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالمَسَاءِ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ
نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَمِّكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ، فَإِنَّكَ
لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا أَسْمُكَ غَدًا » .

وروى أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان
في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال :

« مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَطِيفُ حَائِطًا لِي أَنَا وَوَيْي فَقَالَ :
مَا هَذَا يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ خُصُّ وَهِيَ فَتَحْنُ نُصْلِحُهُ ، فَقَالَ مَا أَرَى الأَمْرَ
إِلَّا أَمْرَعُ مِنْ ذَلِكَ » .

وفي رواية لهم أيضا عن ابن عمر قال :

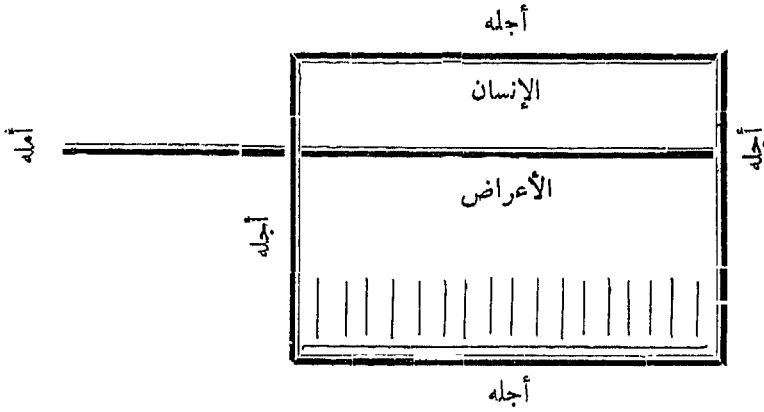
« مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَعَالِجُ خُصًّا لَنَا وَهِيَ فَقَالَ :
مَا هَذَا يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ قُلْتُ خُصُّ لَنَا وَهِيَ فَتَحْنُ نُصْلِحُهُ فَقَالَ : مَا أَرَى الأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ
مِنْ ذَلِكَ » .

وروى البخارى والترمذى وابن ماجه والنسائى عن ابن مسعود قال :

« خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مَرَبَعًا وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ »

وَحَطَّ خُطُوطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ فَقَالَ : هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ مِنْ أَمَلِهِ ، وَهَذِهِ الْأُحْطُوطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ، وَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا .

وهذه صورة خط النبي صلى الله عليه وسلم كما نقله الحفاظ :



وفي رواية للبخاري والنسائي واللفظ للبخاري عن أنس قال :

« حَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا وَقَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ وَحَطَّ إِلَى جَنْبِهِ خَطًّا وَقَالَ هَذَا أَجَلُهُ ، وَحَطَّ خَطًّا آخَرَ بَعِيدًا مِنْهُ فَقَالَ : هَذَا الْأَمَلُ قَبِيحًا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْأَقْرَبُ » .

وروى الطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد في قوله تعالى :

(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا تَزْدَادُ مِنْهُمْ إِلَّا بُعْدًا » .

وفي رواية : « وَلَا يَزْدَادُ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا إِلَّا حِرْصًا ، وَلَا يَزْدَادُونَ مِنْ

اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا » .

وروى الحاكم والبيهقي : « إِنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي فَقَالَ : عَلَيْكَ

بِالْإِيَّاسِ يَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعِ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْخَاصِرُ، وَصَلِّ صَلَاتَكَ وَأَنْتَ مُوَدَّعٌ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَدَرُ مِنْهُ « يعنى فى الدنيا والآخرة .
وروى مسلم مرفوعا : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِتْنَتًا ، كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ » الحديث .

وفى رواية للترمذى مرفوعا : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا فَهَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا » الحديث .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا » الحديث .

وروى ابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ » .

وروى أبو داود والحاكم والبيهقى عن مصعب بن سعيد عن أبيه قال الأعمش ولا أعلمه إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ » .

قال الحفاظ : لم يذكر الأعمش من حديثه ولم يجزم برفعه . والتوودة : هى التانى والثبات والتثبت وعدم العجلة .

وروى الترمذى والبيهقى مرفوعا : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ ؟ قَالُوا: وَمَا نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونُ أَزْدَادًا، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونُ نَزَعٌ » .

وروى الحاكم وقال صحيح على شرطهما مرفوعا :

« إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ، قِيلَ وَكَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ ؟ قَالَ : يُوقِّعُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ » .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي مرفوعا :
« إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا عَسَلَهُ ، قَالُوا وَمَا عَسَلَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : يُرَفِّقُ
لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ جِيرَانُهُ أَوْ قَالَ مِنْ حَوْلِهِ » .
وروى البخاري مرفوعا : « أُعَذَّرَ اللَّهُ إِلَيَّ امْرِيٌّ آخَرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ
سِتِّينَ سَنَةً » .

وروى الحاكم وقال صحيح على شرطهما مرفوعا :
« مَنْ عَمَّرَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ سَنَةً فَقَدْ أُعَذَّرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ » .
وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي مرفوعا :
« أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِخَيْرِكُمْ ؟ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ
أَعْمَارًا وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا » .

وروى الترمذي وقال حديث حسن صحيح والطبراني وغيرهما :
« أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ مَنْ طَالَ عُمرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ قَالَ
فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟ قَالَ : مَنْ طَالَ عُمرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ » .
والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نخاف من سطوات
ربنا وغضبه علينا ليلا ونهارا ولأننا من مكر الله علينا في ساعة من ليل أو نهار .
واعلم يا أخي أن أحدا لا يستغنى عن الخوف ولا يسقط عنه ولو باغ الغاية مادام في
هذه الدار إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهمصمتهم ، وأما ما عداهم فنحن حقنا الخوف
حتى يضع قدمه في الجنة لأنه من المقامات المستصحبة بعد الموت ، بخلاف نحو مقام التوبة
والتقوى فإنه خاص بالحياة مدى التكليف .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا خافت الأمم كلها كان الأنبياء
كلهم آمنين ، وإن وقع منهم خوف فلإنما ذلك على أممهم اه .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به الطريق حتى يزبل حجبه الكثيفة
الممانعة له من الخوف ، فإن الإنسان كلما قرب من حضرة الله عز وجل استعظمه وخاف

منه ، وكلما بعد وحجب فبالعكس نظير ذلك في الدنيا أصحاب حضرة السلطان ، فترى عندهم من الخوف منه ومن سطوته ما ليس عند البعداء عن حضرته وربما شتمه هؤلأه ونقصوه بخلاف من كان من أهل حضرته .

وقد كان السلف الصالح كلهم على قدم الخوف حتى ماتوا لعلو مقامهم وقربهم من ربهم ، وحلفهم أقوام ليس عندهم من الخوف إلا الاسم ، فإن أعمالهم تكذب أقوالهم .

وقد كان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول : والله لقد أدركنا أقواما لو رأوكم لقالوا هؤلأه لا يؤمنون بيوم الحساب . ورأى شخص في المنام مالك بن دينار في الجنة فأناه يبشره بذلك فقال له مالك أما وجد إبليس أحدا يسخر به غيرى وغيرك ، وكانت السحابة إذا مرت عليه وهو يملئ الحديث يسكت ويرتعد ويقول اصبروا حتى تمر فإنى أخاف أن تكون فيها حجارة ترجمنا بها .

وسألوه مرة أن يخرج معهم للاستسقاء ، فقال بالله عليكم اتركونى فإنى أخاف أن لا تسقوا بسببى اه .

وطلب جماعة من سيدى عبد العزيز الدرينى كرامة وقالوا مرادنا شىء يقوى يقيننا واعتقادنا فيك حتى نأخذ عنك الطريق ، فقال : يا أولادى وهل ثم كرامة من الله لعبد العزيز أعظم من أن يمسك به الأرض ولم يخسفها به وقد استحق الخسف به من سنين ؟ فقال له شخص إن الخسف لا يكون إلا للكفار وأنتم من المؤمنين ، فقال قد خسف الله تعالى بشخص لبس حلة وتبختر فيها فى مكة ، كما فى البخارى عن ابن عباس ، وكم لعبد العزيز من أعظم من التبختر؟ اه

وكان معروف الكرخى إذا استيقظ من منامه يمسح على وجهه بيده ويقول : الحمد لله الذى لم يغير صورتى فى صورة كلب أو خنزير لسوء أدبى : وكان تلميذه السرى السقطى ينظر إلى أنفه فى اليوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد اسود وجهه ، وإنما خص الأنف بالنظر لكون الإنسان لا ينظر من وجهه غيره .

وكانت رابعة العدوية لا تنام الليل وتقول أخاف أن أؤخذ على بيات ، وكانت تنام وهى تمشى فى الدار ، فإذا قيل لها فى ذلك تنشده :

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَنَازِلِ تَنَزَلُ

وأحوال السلف الصالح في الخوف كثيرة مشهورة ، فطالع يا أخى في مناقبهم ، وإياك والافتداء بأهل هذا للزمان المتمشيخين بأنفسهم فإنك ربما هلكت :

وكان آخر الخائفين من الإخوان الذين أدركتهم الأخ الصالح الشيخ أبا الفضل الأحمدى رحمه الله تعالى : رأيت مرة قائلاً يقول لى بإفلاان ما صحبت فى عمرك مثل أبى الفضل ولا تصحب ، فحكيت ذلك له فارتمى لى الأرض وصار يفحص بيديه ورجليه كالطير المدبوح ، فلما أفاق قال لى قتلتنى فى هذا النهار ، ومن أنا حتى تتكلم بى الموانف؟ والله ما أظن إلا أن الله تعالى ينظر لى نظر الغضب ليلا ونهارا ولكن أسأله بنبية محمد صلى الله عليه وسلم أن يمن على بحسن الخاتمة والموت على الترحيد آمين .

وقد كان الإمام أبو بكر الصديق صاحب سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم يقول : والله لو ددت أن أكون شجرة تعضد فكيف بأمثالنا ؟ .

فاسلك يا أخى على يد شيخ حتى يخرجك من مواطن تلبس النفس والشيطان وتصير تخاف من الله تعالى لتأمن من عذابه يوم القيامة ، فإن من خافه هنا أمن منه هناك وبالعكس ، وتأمل قوله تعالى :

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) .

تعر على جميع ما قلناه ، وذلك أن المتقى ما حشر إلى الرحمن الذى يعطى الرحمة إلا لكونه كان فى دار الدنيا جليس أسماء الخوف والانتقام ، ولذلك اتقى ربه ، ولو أنه كان جليس أسماء الحنان واللطفت والمغفرة لما خاف وكان يقع فى كل محذور قافهم ، والله تعالى أعلم .

وروى الشيخان مرفوعا : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، فَدَكَرَ مِنْهُمْ . وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِيَّيْ أَخَافُ اللَّهَ » .

وفى حديث الترمذى والحسك فى قصة الكفل الذى كان فى بنى إسرائيل وكان لا يتورع عن ذنب ، أنه دعا امرأة وراودها عن نفسها وأعطاهما ستين دينارا على أن يطأها ، فلما جلس مجلس الرجل من امرأته ارتعدت وبكت ، فقال ما يبكيك ؟ قالت لأن هذا عمل ما عملته قط ، وما حملنى عليه إلا الحاجة ، فقال أو تفعلين هذا من مخافة

الله؟ فأنا أحرى بذلك اذهبي ولك ما أعطيتك ، ووالله لا أعصيه بعدها أبدا ، فمات من ليكنه فأصبح مكتوبا على بابه ، إن الله قد غفر للكفيل فمعجب الناس من ذلك .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي وَاسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ ، فَوَاللَّهِ لَأَنَّ قَدَرَ اللَّهِ عَلَى كَيْعْدِي عَذَابًا مَا عَذَبَهُ أَحَدًا ، فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَّ بِهِ بَنُوهُ ذَلِكَ . فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ أَنْ أَجْمِي مَا فِيكَ فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ : مَا حَمَلَك عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ : خَشَيْتُكَ يَا رَبُّ أَوْ قَالَ تَخَافُكَ ، فَغَفَرَ لَهُ » .

وفي رواية للشيخين مرفوعا : « قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَفْعَلْ حَسَنَةً قَطَّ لِأَهْلِيهِ : إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُوهُ ثُمَّ ذَرُّوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللَّهِ لَأَنَّ قَدَرَ اللَّهِ عَلَيْهِ كَيْعْدِي عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا بِهِ مَا أَمَرَهُمْ ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبُّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ فَغَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ » .

وروى الترمذي والبيهقي مرفوعا : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ » .

وروى ابن حبان في صحيحه فيما يروى صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل أنه قال : « وَعِزِّي وَجَلَالِي لَا يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَانِ وَأُمْنَانٍ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى البخاري والترمذي وغيرها مرفوعا : « وَاللَّهِ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَسَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ ، وَتَلَخَّرْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ شَجَرَةَ تُعَصَّدُ وَالصُّعَدَاتِ الطَّرَفَاتِ .

وروى أبو الشيخ مرفوعا : « مَنْ خَافَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَوَّفَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَوَّفَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن يكون رجاؤنا وظننا في الله تعالى حسنا بطريقه الشرعي بأن نأتي بجميع المأمورات الشرعية ، ثم نرجو فضل ربنا ونعول على فضله لا على تلك الأعمال ، فإنه لو أخذنا بما في طاعتنا من سوء الأدب معه لغدبنا أبد الآبدين ، وهذا الرجاء والظن بالله تعالى متعين على الإنسان في كل نفس ، ومن قال إن ترجيح حسن الظن لا يكون إلا عند الموت قلنا له والموت حاضر عندنا في كل نفس من الأنفاس ، ليس لنا عهد من الله تعالى برجوع نفس واحد إذا خرج ، فيحتاج المؤمن إلى عينين عين ينظر بها إلى حضرة الانتقام فيخاف من الله تعالى ، وعين ينظر بها حضرة الرحمة والمغفرة فيرجو فضل الله ورحمته ، فالعينان في آن واحد لأهما يتعاقبان فافهم .

ويحتاج من يريد الوصول إلى ذلك إلى شيخ يسلك به حتى يجعل له عينين بعد أن كان أعور ، وقد حثنا الله تعالى على حسن الظن به بقوله :
« أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظُنِّ بِي خَيْرًا » .

فن لم يظن بالله خيرا فقد عصى أمر الله تعالى ، وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة مع أشياخهم ، فإن ظنوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنوا أنه لا يقدر على حمايتهم فلا يصح لهم حماية ، ولذلك أمروا يريدون أن لا يغفل عن شهود كونه معه لأنه مادام يشهد شيخه ملاحظا له فهو محفوظ من كل آفة ، ومتى غفل عن ذلك جاءت الآفات من كل جانب .

وما جربناه نحن أن من كان اعتقاده فينا متوفرا مهما طلب من الجوائح قضى له ، ومن لم يكن اعتقاده فينا متوفرا لم تقض له حاجة ولو كنا أقطابا فالمدار على حسن ظن المتوجه للشيخ لاعلى الشيخ وربما نقضى حاجة المعتقد ولم يكن يعلمها الشيخ إلا إن أعلمه بها المتوجه إليه فاعلم ذلك وسل الله تعالى أن يرزقك حسن الظن عند الموت ، فربما كان الإنسان حسن الظن بالله تعالى حال الصحة فإذا حضرته الوفاة أساء الظن بربه فيجنى ثمرة ذلك ، فعلم أن حسن الظن ليس في العبد وإنما هو مثل قوله تعالى :

(وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) .

أي استصحبوا صفات الإسلام دائما ، ولا تتركوها نفسا واحدا فكل وقت جاءكم الموت وجدكم مسلمين فافهم ذلك فإنه نفيس ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في أواخر عهد المشايخ :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ كُلَّ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا تَبْتُلُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » .

وقراب الأرض بكسر القاف وضمها أشهر: هو ما يقارب ملاءها .

وروى الترمذى وابن ماجه وابن أبي الدنيا :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ بِمَا يَخَافُ » .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ يَا رَبَّنَا ، فَيَقُولُ لِمَ ؟ فَيَقُولُونَ : رَجَوْنَا عَمَلَكُومُ وَمَغْفِرَتَكَ فَيَقُولُ قَدْ أَوْجَبْتُمْ لَكُمْ مَغْفِرَتِي » .

وروى الشيخان مرفوعا : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » .

وروى أبو داود وابن حبان وغيرهما مرفوعا :

« حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ » .

وفي رواية للترمذى والحاكم : « إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللَّهِ » .

وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه عن جابر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول :

« لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي مرفوعا :

« قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، فَإِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ » .

وروى البيهقي عن رجل من ولد عبادة بن الصامت لم يسمه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَجُلٍ إِلَى النَّارِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى شَفْعِهَا ، التَفَتَ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ يَا رَبُّ إِنِّي كَأَنَّ ظَنِّي بِكَ لَحَسَنًا ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » .

يعنى فأدخله الله الجنة كما في رواية، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نميل إلى الضعف ونبادر عند نزول البلاء علينا إلى سؤال العفر والعافية ، ولا نتجلد إلا بما نعلم من أنفسنا بالقرائن من القدرة على الصبر عليه ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس ممن يدعى للصلاح من غير سلوك على يد شيخ ، فيظهر القوة لتحمل ما فوق طاقته ، فربما تخلفت عنه العناية فيصير يقع منه ألفاظ ربما يكفر بها .

وقد كان سفيان الثوري رضى الله عنه يقول : نحن لا نخاف البلاء وإنما نخاف مما يبدو منا حال البلاء من السخط والضجر ثم يقول : والله ما أدرى ماذا يقع منى لو ابتليت؟ هل على أكفر ولا أشعر اه .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : ليبعث العبد عن حكمة نزول المرض به هل هو رفع درجات أو عقوبات أو مكفرات ؟ فإنه لا يكاد يخرج عن هذه الثلاث ، ولكل منها علامة ، فعلامة كونه رفع درجات أن يقع مع انشراح وانفساح الصدر والرضا وعلامة العموبة أن يقع مع الألم والسخط والاشمئزاز ، وعلامة المكفرات أن يقع مع الصبر وعدم السخط ، وأصل ذلك أن الله تعالى يجلس العبد في المقام المفضول حتى يتحقق به ثم بعد ذلك ينقله إلى المقام الأفضل ، فلذلك كان العبد يجبس في مقام الصبر مع عدم الانشراح للصدر ليحصل له الأجر الذى وعد الله به الصابرين ، ثم ينقله إلى مقام الرضا ليحصل له الأجر الذى وعد الله به الراضين ، فلا بد لكل كامل من حصول الأمرين ،

ولو علت مرتبته ، فعلم مما قررناه توجبه قول بعضهم إن المرض له ثلاث حالات : فإن كان المرض رفع درجات فلا ينبغي له سؤال العافية منه ، وكذلك إن كان عقوبة أو مكفراً ، ومن هنا سلم الأكاابر لله تعالى ولم يسألوا الإقالة حقيقة ، وإنما سؤلهم تعلق لله تعالى وإظهار للضعف لا غير .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يخلو كامل من جزء فيه يمل من المرض لعدم طاقته للزيادة ، فاسأله الاقالة من المرض إلا ذلك الجزء ، وأما بقية أجزائهم فكلها راضية بالمرض وربما تلذذت به اه .

وهذا تحقيق عظيم ، فرحمه الله تعالى ، ما كان أدق نظره .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يخرج من رعونات النفوس ومن دعوى القوة وغيرها من الدعاوى للكاذبة ، حتى لا يفتضح بشيء يدعيه في الدنيا والآخرة ، ومن لم يسلك كما ذكرنا فمن لازمه الدعاوى لما ليس من شأنه القدرة عليه .

وقد كنت أنا وأخى الشيخ أبو العباس الحرثي في جنازة فجاء لنا شخص من مشايخ الزمان وقال عندي من القوة الآن مالو قبضت على الحديد لتعجن في يدي ، فأخرج له أبو العباس مفتاح كالون حديد فقال خذ هذا أرنا ما ادعيت فافتضح الشيخ المدعى ، ومن ذلك اليوم ما ادعى عندنا دعوى أبدا .

فاسلك يا أخى على يد شيخ يشهدك ضعفك حتى تجد نفسك أضعف من ناموسة ، كما هو شأن العارفين رضى الله عنهم ، حتى إن بعضهم كلف بحمل ليونة فلم يقدر ، وبعضهم لم يقدر بحمل على بدنه قميصا من الضعف وآثر العرى إلا مع المئزر ، وبعض المجاذيب تعرى :

وَ (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) .

وما أنكر مثل ذلك إلا من لا ذرق له في مقامات الرجال ، وأنشدنى شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله :

وَلَوْ يَذُوقُ عَازِلِي صَبَابَتِي صَبَابًا مَعِيَ لَكِنَّهُ مَا ذَاقَهَا

فهل يا أخى إلى الضعف الذى هو أساسك وسداك ولحمتك ، وإن جاءك قوة من الله تعالى فى تحمل البلاء فهى عارضة ، والله يتولى هداك .

وقد كان بالإمام الشافعى رضى الله عنه بواسير تنضح الدم ليلا ونهارا حتى صار

لا يجلس إلا والطست تحته يتلقى ما يقطر من الدم ، فزاد به الألم يوما فقال اللهم إن كان في هذا رضاك فزدني ، فقال له شيخه مسلم بن خالد الزنجي : مه يا محمد لست أنا ولا أنت من رجال البلاء ، سل الله العفو والعافية هذا ، والإمام الشافعي رضي الله عنه أحد الأوتاد الأربعة بشهادة الخضر عليه السلام ، كما نقله الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه عن الخضر عليه السلام ، فإذا كان هذا حال الأوتاد فما بال من هو غارق في شهوة فرجه وبطنه كأمثالنا نسأل الله العافية :

وروى الترمذي وقال حديث حسن وابن أبي الدنيا :

« أَنْ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : سَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، ثُمَّ أَنَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي قَسَأَهُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَنَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ : فَإِذَا أُعْطِيَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَأُعْطِيَتْهَا فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحَتْ . »

وروى الترمذي وحسنه والنسائي عن أبي بكر أنه قام على المنبر ثم بكى ، فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أول على المنبر ثم بكى فقال :

« سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَمْ يُعْطَ بِهِدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ . »

وروى ابن ماجه بإسناد جيد مرفوعا :

« مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . »

وروى الترمذي وقال حديث حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ ، قَالُوا فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :

سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . »

وروى الترمذي وقال حديث حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرطهما أن

عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت ليلة القدر فماذا أقول فيها؟

قال قولي :

« اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَمُّوَةٌ تُحِبُّ الْعَمَّوَةَ فَأَعْفُ عَنِّي » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكثر من مخالطة أهل
البلاء بقصد كثرة حمدنا لله وشكرنا له الذي عافانا منه أى من ذلك البلاء كل ما نرى صاحبه
وأما حديث :

« يَفِرُّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ » .

فإنما ذلك وارد في ضعفاء اليقين رحمة بهم ، كما رحم ضعفاء اليقين أيضا بنهيم نهي
شفقة عن الدخول في بلد فيه وباء أو طاعون ، ولما فلو كان كل من خالط أهل البلاء
ابتلى أو دخل بلدا فيها وباء مات ما سلم أحد من المخالطين ولا من الداخلين ، وكل من
فر من الطاعون حتى انقضى زمنه ورجع تبين أنه لو لم يفر من الطاعون وجلس في بلده
لمكان لم يموت مثل غيره :

وأخبرني والدي رحمه الله أن والده الشيخ على الشعراوي رضى الله عنه كان إذا رأى
مجذوما أو أبرص دعاه وأكل معه اللبن والمائعات ، ويقول : بعم الله ثقة بالله وتوكلا
عليه نويت جبر خاطر أخى هذا .

قال : ودخل مرة بلدنا أجدم تقطر أطرافه صديدا ، فتقذر منه أهل البلد فأدخله
داره وحلب له البقرة وسقاه من اللبن ثم شرب فضلته اه :

وكان أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى إذا رأى مبتلى يغشى عليه فإذا أفاق وقيل
له في ذلك يقول : إنما خفت من سطوات الغضب الإلهى أن تلحقنى لسكونى أكثر منه
عصيانا لله تعالى ، فحكى حكم من كان متبوما هو وآخر بقتل شخص ثم مسكوا صاحبه
وعاقبوه بحضرتة وهو ينظر فإنه يخاف ضرورة ، ولو كان من أشجع الناس ، فإن الشجاع
ماله قوة إلا في أول إقدامه على البلاء ؛ وأما إذا مسك وتوعد بالقتل والضرب وأنواع
العقوبات فإن قلبه يتجزع ، فوالله لقد خلقنا لأمر عظيم ولكن رحمة الله وسعت
كل شيء :

فعل مما قررناه أن الحمد لله يعظم ويكثر عند مشاهدتنا أهل البلاء على الحمد الواقع
في حال غيبتهم عن عيوننا :

وقد كان سيدى إبراهيم المتبولى إذا دخل مصر المحروسة من بركة الحاج يبدأ بدخول

المارستان فيدور على أهل البلبا ويسلم عليهم ويصبرهم ولا يسلم على أحد من أهل مصر إلا بعد أهل المارستان ، فما كان يخرج إلا وهو حامد شاكر لله تعالى بكل شعرة فيه ؛ وقد حيب لي أن أذكر لك يا أخي جملة من الأمراض التي عافاك الله منها منشورة على أعضاء البدن من الرأس إلى الرجلين لتحدث عند ذكر كل مرض شكرا لله عز وجل الذي عافاك من ذلك البلاء مع استحقاقك لأضعافه لاسيا إن كنت من الصالحين أو من العلماء العاملين ، فإن ميزان الحق تعالى منصوبة على هؤلاء بالتأديب والبلاء والمحن حتى لا يغفوا لحظة واحدة عن ربهم ، فإن الغفلة عن الرب عند أهل الله عز وجل من أعظم الذنوب التي يقع الإنسان فيها ، والله لو أن عبدا عبدا لله عز وجل مدة للدنيا كلها بعبادة الثقلين ما أدى شكر معافاته من مرض واحد من الأمراض .

إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق :

ينبغي للعبد أن يتذكر ما أنعم الله به عليه من العافية صباحا ومساء ، ويشكر الله تعالى على ذلك ، فكم من هو بالصداع الحار أو البارد لا يقتر عنه ساعة ؟ وكم من هو بالشفقة لا تدعه يستلذ بنوم ؟ وكم من هو بالضارب ليلا ونهارا حتى كاد أن يعمي بصره ؟ وكم من هو مبتلى بالماليخوليا والصرع والفالج ورعشة الرأس ليلا ونهارا ؟ وكم من هو مبتلى بالشلنج والسكراز والاختلاج والاسترخاء والزلات والوساوس السوداوية والقطرب والكايبوس وبرد الرأس وقروح وسدد الدماغ وغير ذلك ؟ وكم من انصبت المواد الرديئة في عينيه حتى أشرف على العمى أو عمى . وكم من طاع في عينيه السبل والظفرة والدمعة والشعرة والجرب والغشاوة والبياض . وكم من نزل الماء في عينيه وترى في أجفانه الدود فهو يغلى في جنونه ليلا ونهارا وكل يوم يقلبون جفنه ويحسون الدود ليخف عنه الغليان . وكم من تسالقت أجفانه وانتفت شعر عيقيه أو ابيض حتى تشوهت صورته . وكم ممن طلعت في عينيه قروح ودمامل ونملة وسرطان واشتد عايه الضارب وصار الدم والقيح ينضح من عينيه ليلا ونهارا . وكم ممن تورمت أذناه واستدت وطرشت وصمت وتقرحت ودودت من صرصورها ولحقها الضارب حتى يحس الإنسان بأن وتدا من حديد يدق فيها ليلا ونهارا . وكم ممن دخل في أذنه حيوان مؤذ فلم يقدر أحد على إخراجة ففنه الأكل والنوم . وكم ممن طلعت في أنفه توتة أو طاعون فأكل أنفه حتى صار طاقة مفتوحة والقيح والصديد ينضح منه حتى تقدرته زوجته وطلبت قراقه . وكم ممن طلعت في داخل أنفه قروح فمعجز عن اندهالها : وكم ممن أصابه العاف الدائم حتى أشرف على الموت من سيلان

الم . وكم من طلعت داخل أنفه بواسير فصار أنفه يضرب عليه ليلا ونهارا . وكم ممن تشققت شفتاه وتقرحت وطلعت الأكلة في فمه فأكلت دائره حتى صارت أسنانه بادية ونفرت منه زوجته أن يقبلها فطابت فراقه وهو يحبها . وكم ممن ضربت عليه أسنانه وأضراسه فنعته النوم والأكل وشرب الماء : وكم ممن هو أبخر الفم منته لا يستطيع أحد أن يقرب منه من شدة نتن فمه : وكم ممن لعابه سائل على صدره ليلا ونهارا مع بطلان شقيه بالفالج وغيره : وكم ممن تورمت حلقة حتى صارت رقبته كخلفية للنحل من الورم وطلعت فيها الخنازير والعقد البلغمية وهي تنضج قيحا وصديدا ليلا ونهارا ، والفنائل مدسوسة فيها لاتختم من موضع إلا وتفتح في موضع آخر ، حتى منعه الأكل والشرب . وكم ممن وقفت في حلقة شوكة أو علقه فما قدر أحد على أن يخرجها . وكم ممن نقل لسانه وتورم وتشقق . وكم ممن طلع تحت إبطه طاعون أو خراج فأكل لإبطه حتى صار طائفة . وكم ممن ابتلى بضيق النفس والربو والسعال والنفس المتن حتى منعه ذلك أن يضع جنبه في الأرض وكم ممن طلع في بدنه خراج فتورم وتشقق حتى لا يستطيع أن ثوبه يامسه . وكم ممن تورمت معدته واشتد لها ورياحها وحرقتها حتى صار لا يستلذ بطعام . وكم ممن اشتد عليه الفواق والغثيان وكثرة القيء وانتفخت معدته واشتد لها . وكم ممن تورمت كبده وتقرحت . وكم ممن حصل له الاستسقاء فعمزت الأطباء عن علاجه وصار بطنه منفوخا لا يقدر يضع جنبه على الأرض . وكم ممن تورم طحالها وتورم جنبه وتمكن فيه المغص والقولنج حتى تمنى طلوع روحه فلم تطلع . وكم ممن حصل له الإسهال المتواتر والزحير الدائم حتى صارت ثيابه وفرشه سائحة من البول والغائط وتمنى خادمه موته . وكم ممن حصل له مرض جرد السكلى حتى تورمت كلاه وصارت تنزل قطعا قطعا . وكم ممن دخل الحصى والرمل في كلاه : وكم ممن تربت الحصاة في مثانته وقضييه حتى صار يصيح كالمطلقة كلنا يبول وكل قليل يشقون ذكره ويستخرجونها منه كالزيتونة وهو يتلوى على فراشه كالثعبان . وكم ممن ابتلى بخرقة البول وتعهده أو إدراره أو نعسه حتى بال الدم وجمد في مثانته . وكم ممن تورمت مقعده أو فقئت أو طلع فيها خراجات أو بواسير أو نواصير أو شقاق حتى صار يحس ليلا ونهارا كأن دبره يشرح بسكين . وكم ممن ابتلى بالتوتة والأبنة . وكم ممن حصل له نشر العظم . وكم ممن طلع في ذكره القروح وللدمامل حتى تورم وصار كمنخذ الرجل : وكم ممن تورمت أنثياه حتى صارت كالبطيخة أو كالزير العظيم حتى صارت مدلاة بين رجله إلى قدمه

ولا يقدر يجلس على خلاء لوضوء ولا غيره وعدم لذة الجماع جملة واحدة . وكم ممن تعارضت عنده الأمراض ، فكل دواء ينفع هذا يضر هذا كالكولنج والفتق حتى صار يتمنى الموت فلا يجاب . وكم ممن ابتلى برمي الدم والقيح على الدوام حتى أنه يحس بقواه نفدت كلها فهو ميت في صورة حي : وكم ممن ابتلى بالحلب الفرنج وضربان المفاصل الحارة والباردة حتى صار لا يستلذ بأكل ولا بئمام . وكم ممن ابتلى بالقرس حتى صار اللود يتناثر منه كراس السكلب إذا دودت : وكم ممن ابتلى بعرق النسا وبأوجاع الوركين والركبتين وترهلت أوراكه وأعضاؤه ووجهه وأطرافه . وكم ممن ابتلى بوجع الظهر وبداء الفيل وبالسكساح وبالفالج . وكم ممن ابتلى بالأكلية في بدنه وبالحصباء والجرب والحكة والتمأة والجمرة والبرص والبهق والجذام الذى قطع أطرافه . وكم ممن ابتلى بعمل الزغل أو بقتل قتيل أو الزنا بامرأة أو بسرقة فأمر الولاة بضربه ممتارح وكسارات وحى الطاسة الحديد ووضعاها على رأسه أو عصر رأسه بجلد فيه نوى تمر حتى تخرج عيناه من أماكنها . وكم ممن أمروا بكسر عظام يديه ورجليه بقدم على حجر . وكم ممن أسقوه جيرا وملحا حتى تسلخت أمعاؤه وتزلعت . وكم ممن أمروا بخزوقته أو شنكلته أو توسيطه أو ساخه أو شرخه بين نخلتين أو وضعه في نفرة نحاس وأحوا تحته النار حتى نزل صديده ودمه من أزازها . وكم ممن دقوا في أصابعه للبوص وأطلقوا فيها النار . وكم ممن حوا له كلبتين من حديد في النار ثم يخلعوا بهما من لحمه وأطعموه له . وكم ممن حوا له مرودا من حديد حتى صار كالجمرة ثم دسوه في قضيبه أو عينيه فأسالهما أو فجرهما فعمى . وكم ممن وقع في النار أو الماء المغلى فذاب جلده وتزلج . وكم ممن طعن بحربة أو سكين أو ضرب بنشابة فجاءت في عينيه أو أذنه فغارت وانزح نصلها ولم يقدر أحد على إخراجها . وكم ممن شرب لبنا مسموما أو أكل طعاما مسموما فذاب لحمه . وكم ممن لسعته أفعى فعمى في الحال وتقطع لحمه . وكم ممن أكل بطيخا ونام فجاء ثعبان فدخل نصفه في جلفه فاستيقظ فوجد نفسه كذلك . وقس على ما ذكرناه ما لم نذكره من سائر الآفات :

وفائدة ذكر هذه الأمور شكر الله تعالى على عدم ابتلائنا بها وأنه تعالى لا يبتلينا بها في المستقبل إن شاء الله تعالى لالتجائنا إليه فاعلم ذلك ، وإياك أن تستبعد وقوعك فيما يقتضى هذه العقوبات والأمراض فان غاية أصحابها أنهم وقعوا في حرام أو مكروه ، كم أوخت ياوقى في ذلك . وإياك أن تستبعد وقوعك وإن لم تقع فانت معرض للعقوبات

والأمراض وأسبابها مادمت في هذه الدار ، وجأز في ححك أن تقتل النفس وتشرب الخمر وتزني بحليلة جارك ولو كنت شيعخا في الطريق فالعاقل من خاف والسلام ، فتدبر يا أخى في هذا العهد واعمل به تجتن ثمرته ، والله يتولى هداك :

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يستحضر جميع هذه الأمراض كلها كلما يقوم من النوم وكلما يريد النوم ويخبر أن ذلك كان من شأن سيدي إبراهيم المتبولى رضى الله عنه وكان يقول : ينبغى أن لا يكتفى أمثالنا بالشكر باللسان في هذا الزمان لكثرة معاصينا وعدم إخلاصنا ، وإنما ينبغى أن يكون شكرنا بالفعل كقيام الليل وحفر الآبار وصوم الهواجر وكف النفس عن جميع الشهوات ونحو ذلك .

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى الترمذى وقال حديث حسن وابن ماجه والبزار والطبرانى مرفوعا :

« مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَاقَبَنِي بِمَا آبَتَنِي هَذَا بِهِ وَقَضَى عَلَيَّ كَثِيرًا مِنْ خَلْقٍ تَفْضِيلًا لَمْ يُضِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ » .

وفي رواية للطبرانى « فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ شَكَرَ تِلْكَ النُّعْمَةَ » وإسناده حسن .

قلت : فينبغى لمن دخل مارستان المرضى أن يقول ذلك سرا عند كل مريض ليعافيه الله من جميع تلك الأمراض ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نصبر على مصائب الزمان ، وإن لم نصبر صبرنا على عدم الصبر فإنه ابتلاء أيضا لما فيه من إظهار المروق من تحت الأقدار .

ويحتاج صاحب هذا المقام إلى عيين : عين ينظر بها إلى تقدير الضعجر عايه فيصبر تحت الأقدار . وعين ينظر بها إلى الأمر بالصبر فيصبر ، هذه صورة الصبر على عدم الصبر فافهم .

وكذلك تأمر بالصبر والتصبر جميع لإخواننا إذا ابتلوا بشيء في أنفسهم أو أموالهم نخبرهم بما جاء من الأحاديث في فضل البلاء والمرض والحمل .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ ضرورة ليعلمه أدب المرض ويخبره بأنه ما مرض عضو من أعضاء البدن الظاهرة والباطنة إلا باستعماله في غير ما أمر به إلا أن

يكون معصوماً، فمن عزف ما قلناه ووجعه عضو فليفتش نفسه، فإنه لا بد أن يكون فعل به غير ما أمر فليعزم على التوبة النصوح فهي أقرب إلى إشفاء ذلك العضو، وقد أغفل هذا خلق كثير فلم ينتبهوا لما قلناه فدامت أمراضهم أو طال زمنها، فكل عضو عليه زكاة، فإن أخرجها صاحبه منه فقد أخرج ما فيه من الخبث والمرض، وإن لم يخرجها فلا بد له قبل دخوله الجنة من التطهير إما بالعمود من باب رحمة الامتنان، وإما بالتوبة والاستغفار، وإما بالعذاب في النار.

وقد قال لي شخص من العميان مقصودى أحمد يفلى لي جبتي من القمل، فلم أصغ إليه لا بنفسى ولا بغيرى فأخذنى الله تعالى بذلك، وأطلع في جفن عيني دملين نصارا ينضجان قيحا وصديدا مدة سبعة أشهر حتى أنهما أجمعت الحكماء على أنهما تلقا وذهب ضرعهما وما بقي ينفع فيما دواء، فألمسنى الله تعالى بتذكر ذلك الأعمى فتبت واستغفرت فعخفت الألم من ذلك اليوم حتى استعجب الحكماء، وقالوا هذا أمر ربانى ما للعاق فيه عمل :

وكذلك وقع لي في سنة خمس وخمسين أن امرأة قالت لي اكتب لي للكاشف كتابا يخلص لي ولدى من الحبس، فقلت لما ليس لي معرفة بالكاشف، وتركت الكتابة لها فرمدت أكثر من شهر وضعف بصرى عن قراءة الخط الدقيق بعد أن كنت أقرأ الكتابة التي في داخل القمر وأقرأ حروفها وأنا إلى وقتى هذا على ذلك الحال من ضعف البصر وكذلك القول في الأذن إذا قال لك شخص اسمع لي حاجتى أو سورتى، وكذلك القول في الرجلين إذا قال لك إنسان امش معى خطوة أقض حاجتى، وكذلك القول في الفرج إذا حصل به فاحشة، ونحو ذلك فلا تطمع في معافاتك من البلاء وأنت تستعمل أعضاءك في غير ما خلقت له أبدا بحسب مقامك فإن العارفين ربما أخذ الله أحدهم بنظره إلى غيره بغير إذنه فإن ذلك لا يكون. ثم لا يخفى أن العارفين ربما كانت لهم مؤاخذات على ذنوب لم يؤاخذ بها غيرهم بحسب علو مقامهم :

وقد نظر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ليلة إلى السماء فحصل في قلبه مساواة، فحكى ذلك لأمه فقالت: يارلدى لعلك نظرت إلى السماء على غير وجه الاعتبار، والله تعالى ما أذن لك إلا في نظر الاعتبار اه .

ونظر بعض المريدين إلى أمرد فاسود وجهه : وصار كقعر القلندر حتى استغفر له

الجنيد فزال سواده ، وكم نظر غيره إلى مثل ذلك ولا يسود له وجه فاعلم ذلك ، وقد نبتك على أمر ما أظنه طرق سمعك من غيرى قط فاشكرنى عند ربك واحفظ جوارحك إن أردت سلامتها من العاهات ، والله يتولى هداك .

وروى الإمام مسلم فى حديث مرفوعا : « الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ » .

قلت : ومعنى كونه ضياء أن صاحبه يحصل له نورانية فى قلبه بالمرض فيدرك الحق والباطل . وأما من لم يصبر فهو فى ظلمة يقع فى كل محذور ، وأما كون الصدقة برهانا فهى لسكونها دليلا على أن صاحبها يوقى من الشح الذى فى نفسه ، والله تعالى أعلم .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا فى حديث طويل :

« وَمَنْ يَتَّصِرْ بِصَبْرِهِ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » .

وروى الطبرانى والحاكم مرفوعا فى حديث طويل :

« الصَّبْرُ أَوَّلُ الْمَبَادَةِ » .

وروى الترمذى مرفوعا : « الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا إِسْوَاعِ الْمَالِ ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَسْكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْ تَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَسْكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذَا أَنْتَ أُصِيبْتَ بِهَا أَرْغَبَ فِيهَا لَوَأْهَهَا أَبْقَيْتَ لَكَ » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ ، وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ » .

وروى مسلم مرفوعا : « عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أُمَّرَةً سَمِعَتْ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَصَابَتْهُ سَرَّاهُ شَكَرَ وَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاهُ صَبَرَ وَكَانَ خَيْرًا لَهُ » .

وروى ابن أبى الدنيا مرفوعا : « مَا ابْتَلَى اللَّهُ عَبْدًا بِبَلَاءٍ وَهُوَ عَلَى طَرِيقَةٍ يَكْرَهُهَا إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْبَلَاءَ كَفَّارَةً وَطَهُورًا مَا لَمْ يُنْزَلْ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ بِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ فِي كَشْفِهِ » .

قلت: ويفهم من هذا الحديث أن من كان على طريقة يحبها الله تعالى وابتلى ببلاء فهو رفع درجات، والله تعالى أعلم .

وروى ابن ماجه وابن أبي الدنيا والترمذى وقال حسن صحيح عن سعد قال :
« قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مِثْلُ ،
يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ
رِقَّةً ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَلَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْمُبْدِي حَتَّى يَمِشِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَمَا
عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه : « فَمَنْ نُحِنَ دِينَهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَمَنْ ضَعَفَ
دِينَهُ ضَعُفَ بَلَاؤُهُ » .

وروى ابن ماجه وابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم مرفوعا :
« إِنَّا كَذَلِكَ يُشَدِّدُ عَلَيْنَا الْبَلَاءَ وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ يَا رَسُولَ
اللَّهِ مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً؟ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ : قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ الْعُلَمَاءُ . قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ :
الصَّالِحُونَ كَانَ أَحَدُهُمْ يُبْتَلَى بِالْقَمَلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ ، وَيُبْتَلَى أَحَدُهُمْ بِالْفَقْرِ حَتَّى
مَا يَجِدُ إِلَّا الْمَبَاةَ يَلْبَسُهَا ، وَلَا أَحَدُهُمْ كَانَ أَشَدَّ فَرَحًا بِالْبَلَاءِ مِنْ فَرَحِكُمْ بِالْعَطَاءِ .
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ وَهُوَ يَتَوَعَّكُ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ
فَوَضَعَ يَدَهُ فَوْقَ الْقَطِيفَةِ فَقَالَ : مَا أَشَدَّ حُمَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ . إِنَّا كَذَلِكَ
يُشَدِّدُ عَلَيْنَا الْبَلَاءَ » الخ .

قلت: والمراد بالعلماء في الحديث العلماء بالله تعالى ، وبأحكامه من حيث كونهم ورثة
الأنبياء ، والمراد بالصالحين من شارك العلماء في العمل وتخلف عنهم في درجة العلم كالعباد
ونحوهم من المقلدين ، والله تعالى أعلم .

وروى الترمذى وابن أبي الدنيا والطبرانى مرفوعا :

« يَوْمَ أَهْلُ الْعَالَمِيَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ
كَانَتْ تُقْرَضُ بِالْمَقَارِيضِ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « يُؤْتَى بِالشَّهِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ لِلْحِسَابِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالمُتَّصِدِّقِ فَيُنْصَبُ لِلْحِسَابِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلَاءِ ، فَلَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ وَلَا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيْوَانٌ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبًّا » . الحديث .

وروى ابن أبي الدنيا مرفوعا : « إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا أَوْ أَرَادَ أَنْ يُصَافِيَهُ صَبَّ عَلَيْهِ الْبَلَاءَ صَبًّا وَسَخَّهُ عَلَيْهِ سَخًّا ، فَإِذَا دَعَا الْعَبْدُ وَقَالَ : يَا رَبِّاهُ قَالَ : لَبَّيْكَ عَبْدِي فَلَا تَسْأَلْنِي شَيْئًا إِلَّا أَعْطَيْتُكَ إِيَّاهُ ، إِمَّا أَنْ أُعَجِّلَهُ لَكَ ، وَإِمَّا أَنْ أَدَّخِرَهُ لَكَ » .

وروى مالك والبخاري مرفوعا : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ » أى يوجه إليه مصيبة ويصيبه بلاء .

وروى الإمام أحمد ورواه ثقات مرفوعا :

« إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ » .

وفي رواية لابن ماجه وغيره : « وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ » .

وروى أبو يعلى وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« إِنْ الرَّجُلَ لَيْسَ كُونُ لَهُ عِنْدَ اللهِ الْمَنْزِلَةُ فَمَا يُبَلِّغُهَا بِعَمَلٍ فَلَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَسْكُرُهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا » .

وفي رواية للإمام أحمد وأبو يعلى وغيرهما مرفوعا :

« إِنْ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ فَلَمْ يُبَلِّغْهَا بِعَمَلٍ ابْتِلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ ، ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبَلِّغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « إِنْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَنْظِقُوا إِلَى عَبْدِي فَصُوبُوا عَلَيْهِ الْبَلَاءَ صَبًّا فَيَحْمَدُ اللهُ فَيَرْجُمُونَ فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا صَدَّقْنَا عَلَيْهِ الْبَلَاءَ كَمَا أَمَرْتَنَا؟ فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ » .

وفي رواية للطبراني أيضا مرفوعا : « الْمُصِيبَةُ تُبَيِّضُ وَجْهَ صَاحِبِهَا يَوْمَ تَسْوَدُّ
الْوُجُوهُ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ
وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
خَطَايَاهُ » والنصب : التعب . والوصب : المرض .

وفي رواية لمسلم مرفوعا : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ بِشَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَ لَهُ بِهَا
دَرَجَةٌ وَحُجِّتَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ » .

وروى الترمذى وقال حسن صحيح ، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم مرفوعا :
« مَا يَرَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَالِدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى
وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فِي مَالِهِ أَوْ فِي نَفْسِهِ فَكَتَمَهَا
وَلَمْ يَشْكُرْهَا لِلنَّاسِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ » .

وروى ابن أبي الدنيا مرفوعا : « سَاعَاتُ الْأَمْرَاضِ يُذْهِبَنَّ سَاعَاتِ انْتِظَابِهَا . وَعَادَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَكَبَّ عَلَيْهِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ
اللَّهِ مَا عَمَّضْتُ مِنْذُ سَمِعَ وَلَا أَحَدٌ يَحْضُرُنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ
أَخِي أُصِيبُ تَخْرُجُ مِنْ ذُنُوبِكَ كَمَا دَخَلْتَ فِيهَا » .

وروى الإمام أحمد ورواه ثقات إلا واحدا مرفوعا :

« إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ الْعَبْدِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَكْفُرُهَا أُبْتَلَاهُ اللَّهُ بِالْحَزَنِ
لِيُكْفِرَ بِهَا عَنْهُ » .

وروى ابن أبي الدنيا والطبراني وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِذَا اشْتَكَى الْمُؤْمِنُ أَخْلَصَهُ اللَّهُ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا يُخَلِّصُ السَّيْرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ » .

وروى ابن أبي الدنيا : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَتُحِبُّونَ

أَنْ لَا تَمْرَضُوا : قَالُوا ؟ وَاللَّهِ إِنَّا لَنُحِبُّ الْعَاقِبَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
وَمَا خَيْرُ أَحَدِكُمْ أَنْ لَا يَذْكُرَهُ اللَّهُ ؟ .

وفي رواية : « فَقَالَ الْمُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا كَالْحُمْرِ ؟ » .

وروى الإمام أحمد ورواته ثقات مرفوعا :

« إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
لِلْمَلَكِ أَكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ ، وَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ ، وَإِنْ
قَبِضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ » .

وروى ابن أبي الدنيا والطبراني والبخاري ومرفوعا :

« عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ وَجَزَعِهِ مِنَ السَّقَمِ ، وَلَوْ كَانَ يَعْلَمُ مَا لَهُ فِي السَّقَمِ لِأَحَبِّ أَنْ
يَكُونَ سَقِيماً الدَّهْرَ » .

وروى أبو يعلى ورواته ثقات مرفوعا والبخاري :

« لَا تَزَالُ الْمَلِيَّةُ وَالصَّدَاقُ بِالْعَبْدِ وَالْأُمَّةُ ، وَإِنْ عَلِيَهُمَا مِنَ الْخَطَايَا مِثْلَ أُحُدٍ ،
فَمَا تَدْعُهُمَا وَعَلَيْهِمَا مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ » .
والمليئة: هي الحمى تكون في العظم .

وروى رزين العبدي مرفوعا : « يَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي
لَا أُخْرِجُ عَبْدًا مِنَ الدُّنْيَا أَرِيدُ أَغْفِرُ لَهُ ، حَتَّى أَسْتَوْفِيَ كُلَّ خَطِيئَتِهِ فِي عُنُقِهِ بِسَقَمٍ
فِي بَدَنِهِ وَإِقْتَارٍ فِي رِزْقِهِ » .

وروى ابن أبي الدنيا ورواته ثقات مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ لَيَسْكُرُّ عَنِ الْمُؤْمِنِ خَطَايَاهُ كُلَّهَا بِمِحْمَى لَيْلَةٍ » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « مَنْ وَعِكَ لَيْلَةً فَصَبَرَ وَرَضِيَ بِهَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

وروى ابن أبي الدنيا والطبراني مرفوعا :

« الْحَمَى مِنْ فَيْحِ رَجَبٍ ، وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ » .

وفي رواية للبخاري بإسناد حسن مرفوعا :

« الْحُمَى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ » .

وروى البخاري والترمذي مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي

بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ الْجَنَّةَ » يريد عينيه .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِذَا سَلَبْتُ مِنْ عَبْدِي كَرِيْمَتَيْهِ وَهُوَ بَيْنَهُمَا ضَنِينٌ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ

إِذَا هُوَ حَمِدَنِي عَلَيْهَا » .

وروى الإمام أحمد والطبراني مرفوعا : « عَزِيزٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَ كَرِيْمَتِي مُؤْمِنٍ

مُمْ يُدْخِلُهُ النَّارَ » قال يونس يعني عينيه .

وروى البخاري مرفوعا : « لَنْ يُبْتَلَى عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ ، وَلَنْ

يُبْتَلَى عَبْدٌ بَعْدَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَابِ بَصَرِهِ ، وَلَنْ يُبْتَلَى عَبْدٌ بِذَهَابِ

بَصَرِهِ فَيَصْبِرُ إِلَّا غَفِرَ لَهُ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « مَنْ أَذْهَبَ اللَّهُ بَصَرَهُ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ كَانَ حَقًّا

عَلَى اللَّهِ وَاجِبًا ، أَنْ لَا تَرَى عَيْنَاهُ النَّارَ » .

قلت : ومعنى حقا على الله واجبا أى من حيث الوقوع بحكم عوائد فضل الله تعالى ،

وليس المراد الوجوب الذى هو التحجير فإن الحق تعالى لا يدخل تحت حد الواجب على

عباده كما هو مقرر فى العقائد ، والله تعالى أعلم :

وروى الطبراني مرفوعا : « عَنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : يَا جِبْرِيلُ مَا ثَوَابُ عَبْدِي إِذَا أَخَذْتُ كَرِيْمَتَيْهِ ؟ إِلَّا النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ

وَالْجَوَارَ فِي دَارِي » .

قال أنس : فلقد رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكون حوله يريدون

أن تذهب أبصارهم ، والله تعالى أعلم :

(أخذت علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نتداوى بذكر

اسم الله عز وجل على موضع المرض والوجع ، ولا ندعو طبيبا إلا إذا لم يزل المرض يذكر اسم الله تعالى ، والعلّة في عدم زوال المرض بذكر اسم الله ضعف عقيدة المسمى لله عز وجل ، فلو قوى يقينه لاهتز الجبل العظيم عند ذكره اسم الله تعالى ، كما وقع للفضيل بن عياض وسفيان الثوري حين طلعا جبل ثور : وقال الفضيل : إن من طاعة الله لعبده إذا أطاعه أن لو قال لهذا الجبل تحرك لتحرك فتحرك الجبل ، فقال له الفضيل اسكن لم أرد تحريكك إنما ضربتك مثلا .

وكان شيخى الشيخ أمين الدين إمام جامع العمري بمصر المحروسة إذا أقسم على شيء أن يتحرك تحرك .

ورأيته مرة قال للوح كان بعيدا عنه نحو ثلاثة أذرع أقسمت عليك بالله أن لا تجث فزحفت اللوح وأنا أنظره حتى جاء إلى الشيخ .

فيحتاج من يريد للعمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حضرات التعظيم لله عز وجل لتنفعل الأشياء له بذكر اسم الله تعالى فإن الله عز وجل يعامل للعبد بقدر ما عنده من تعظيمه :

وقد قال رجل لذي النون المصرى ياسيدى علمنى اسم الله الأعظم ، فقال له موبخا أرنى اسمه الأصغر حتى أعلمك الأكبر ثم قال للسائل : اعلم يا أخى أن أسماء الله كلها عظيمة فاصدق واطلب بها ما شئت يحصل :

وقد كان شخص من أولياء الله تعالى يبصق على اليد المقطوعة فيلصقها فلصقت يد إنسان فقال بالله عليك تعلمنى ذلك فقال أقول بسم الله فقال ليس هذا هو فوقعت يده :
وقد كان معروف السكرخى يقول لأصحابه . إذا كان لكم إلى الله حاجة فأقسموا عليه به ولا تقسموا عليه به تعالى ، فقيل له فى ذلك فقال هؤلاء لا يعرفون الله تعالى فلا يجيبهم حول أنهم عرفوه لأجابهم اه .

وكذلك وقع لسيدى محمد الحنفى الشاذلى رحمه الله أنه كان يعلدى من مصر إلى الروضة ماشيا على الماء هو وجماعته ، فكان يقول لهم قولوا يا حنفى وامشوا خلفى وإياكم أن تقولوا يا الله تغرقوا ، فخالفت شخص منهم وقال يا الله فزلت رجله فنزل إلى لحيته فى الماء ، فالتفت إليه الشيخ وقال : يا ولدى إنك لا تعرف الله حتى تمشى باسمه تعالى على الماء فاصبر معى حتى أعرفك بعظمة الله تعالى ثم أسقط الوسائط :

واعلم يا أخى أن هذا الأمر لا يكون بالتفعل وإنما هو أمر يلقيه الله تعالى في قلب عبده المؤمن فيملؤه تعظيماً ،

فاسلك يا أخى على يد شيخ حتى تعرف عظمة الله ثم بعد ذلك ارق نفسك وغيرك باسمه تعالى وإلا فلا يزول المرض برقيائك بأسماء الله تعالى من حيث نسبة الأمر إليك ، وإلا فقد يكون الإنسان مجاب الدعوة ويكون في مدة المرض بقية فلا يجاب فما أثرت الرق وعجلت الشفاء إلا في حق من انتهت مدة مرضه فافهم ، كما أن العقاقير كذلك ما أثرت في عبد حصول الشفاء إلا إذا انتهت مدة المرض ، ولذلك يستعمل تلك العقاقير أو الرق شخص فلا يحصل له بها شفاء وذلك لكون مدة المرض بما انتهت ، ثم يجيء إنسان انتهت مدة مرضه فيستعملها فيبرأ فيقول ما رأيت أسرع في شفاء المرض الفلاني من استعمال الشيء الفلاني ، وإنما السر فيه ما ذكرنا من انتهاء مدة المرض فكانت الرق والعقاقير مخففة للمرض لا غير إما بالخاصية وإما بغير ذلك .

وكان سيدى الشيخ عبد القادر الدشطوطى رحمه الله يقول : لانظلبوا التداوى بالحكيم إلا بعد أن لا يحصل لكم الشفاء بالرقية وتعدمون الصبر ، وهناك محتاجون للطبيب ضرورة لكن بشرط أن يكون من المسلمين ، لأن للحكيم مدخلا في الشفاء بتوجهه إلى الله تعالى في شفاء من يداويه ، ولا هكذا اليهود والنصارى فإنه عدو الله تعالى ولا يصلح أن يكون شافعاً لنا عنده تعالى :

وهذا الأمر قد كثر في الناس حتى العلماء والصالحين فصاروا يستعملون اليهود في التداوى مع أنهم يقولون لا يجوز لمسلم التيمم بقول حكيم كافر له لا تستعمل الماء يزد مرضك ، ولو أنه تيمم بقوله فصلاته باطلة ، ولم يزالوا يقررون في دروسهم للعلم أنه لا يجوز لمسلم العمل بقول كافر فكيف يليق بهما أن يجمل واسطته في الشفاء بينه وبين الله تعالى شخصاً قد غضب الله عليه إما عاجلاً وإما آجلاً بالنظر للخاتمة ؟

فاياك يا أخى والتداوى باليهود فإنه نقض للعهود .

(فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : في التداوى بالمشركين دسيئة في الدين ولا يتنبه لها المريض وهى أنه إذا حصل له الشفاء بما وصفه له موافقة قدر يصير يميل

إليه بالحقبة أمرا قهريا ويشكر فضله كلما رآه ويريد أن لا يعاديه كما أمره الله فلا يقدر قال :
وتأمل قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمَوَدَّةِ) الآية .

تجده تعالى ما أخبر أنه عدونا إلا لعلمه تعالى وحده لنتقص ديننا وإيماننا ، فقال
وغدوكم حتى لا يبقى لنا عذر في محبتهم اه وهو كلام تقيس .

وروى مالك والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي عن عثمان بن أبي العاص :

« أَنَّهُ شَكَأَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمًّا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ
أَسْلَمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ:
بِسْمِ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَوْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ »
وفي رواية للملك : « أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ » .

قال عثمان : ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل أمر بها أهلي وغيرهم .

وفي رواية لأبي داود والترمذي عن عثمان قال :

« أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَبِي وَجَعٌ قَدَّ كَادَ يُهْلِكُنِي ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : امْسَحْ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ
وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ » .

وروى أبو داود مرفوعا : « مَنْ شَكَأَ مِنْكُمْ شَيْئًا أَوْ اشْتَكَاهُ أَخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ :
رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحِمْتَكِ فِي السَّمَاءِ
فَأَجْعَلِ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ ، اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا ، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ ، أَنْزِلْ
رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأَ » .

وروى الترمذي مرفوعا : « إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي ، ثُمَّ قُلْ
بِسْمِ اللَّهِ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا؟ ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ ، ثُمَّ
أَعِدْ ذَلِكَ وَتَرَا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحتجم كلما حدث لنا مرض يثور به الدم ، فإن لم نحتجم فصدنا في ذراعنا ونحو ذلك من العروق ، والحكمة في ذلك أن الأوجاع سارية في الدم مثل الدررات في منى الحيوانات ، فإذا فصد الدم وخرج من الجسد خرج معه الألم ، ومتى لم يخرج الدم خفيث ضرورة في البدن واحتاج المريض إلى الأدوية المسهلة : فافصد يأخى إذا ثار وجع برأسك أو رمد بعينيك ، افصد في أرنبة أنفك ، فإني جررت لزوالم الرمد فيخرج الدم الذي في العين وتصفى لوقتها :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى الشيخان مرفوعا : « إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ خَيْرٌ فَنِي شَرْطَةِ مَحْجَمٍ أَوْ شَرْبَةِ مِنْ عَسَلٍ أَوْ لَدَعَةٍ بِنَارٍ وَمَا أَحَبُّ أَنْ أُكْتَوَى » .

وفي رواية لأبي داود وابن ماجه مرفوعا :

« إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِمَّا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ خَيْرٌ فَالْحِجَامَةُ » .

وروى الحاكم وقال صحيح الاسناد على شرطهما مرفوعا :

« أَنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّ الْحِجْمَ أَنْفَعُ مَا تَدَاوَى بِهِ النَّاسُ » .

وروى مالك بلاغا : « إِنْ كَانَ دَوَاءٌ يَبْلُغُ الدَّاءَ ، فَإِنَّ الْحِجَامَةَ تَبْلُغُهُ » .

وروى أبو داود وابن ماجه والترمذي عن سلمى خادمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت :

« مَا كَانَ أَحَدٌ يَسْتَسْكِنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمًّا بِرَأْسِهِ إِلَّا قَالَ

اِحْتَجِمِ وَلَا وَجَعًا بِرِجْلَيْهِ إِلَّا قَالَ اخْضِبْهُمَا » .

روى الترمذي وقال حديث مرفوعا :

« مَا مَرَزْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا لِي مَرُّ أُمَّتِكَ

بِالْحِجَامَةِ » .

وفي رواية للحاكم : « مَا مَرَزْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا كَلَّمْتُمْ

يَقُولُوا يَا مُحَمَّدٌ عَلَيْكَ بِالْحِجَامَةِ »

وروى الترمذى عن عكرمة قال كان لابن عباس أغيلمة ثلاثة حجامون ، فكان
اثنان منهم يغدوان عليه وعلى أهله وواحد يحجمه ويحجم أهله . وقال قال ابن عباس
قال نبى الله صلى الله عليه وسلم :

« نِعَمَ الْعَبْدُ الْحَجَامُ يُذْهِبُ الدَّمَ وَيُخِفُّ الصُّلْبَ وَيَجْلُو عَنِ الْبَصَرِ » .

وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنَّ خَيْرَ مَا تَحْتَجِمُونَ فِيهِ يَوْمَ سَبْعِ عَشْرَةَ ، وَيَوْمَ تِسْعِ عَشْرَةَ ، وَيَوْمَ
إِحْدَى وَعِشْرِينَ » . وقال : « إِنَّ خَيْرَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ السَّعُوطُ وَاللَّدُودُ وَالْحِجَامَةُ
وَالْمَشِيُّ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَدَهُ الْعَبَّاسُ وَأَصْحَابُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَدَّنِي؟ فَكَلَّمَهُمْ أَمْسَكُوا فَقَالَ : لَا يَنْبَغِي أَحَدٌ يَمْنُ فِي الْبَيْتِ
إِلَّا لَدَّ غَيْرَ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ » . قال النضر : اللدود الوجور .

وروى الترمذى وأبو داود عن أنس قال :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَجَبَّمُ فِي الْأُخْدَعَيْنِ وَالسَّكَاهِلِ ، وَكَانَ
يَحْتَجَبَّمُ لِسَبْعِ عَشْرَةَ وَتِسْعِ عَشْرَةَ » .

والأخدع : عرق في سالفة العنق . والسكاهل : ما بين الكتفين .

وروى الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وأبو داود مرفوعا :

« مَنْ احْتَجَبَّمَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ مِنَ الشَّهْرِ كَانَ لَهُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ » .

زاد في رواية لأبي داود : « مَنْ احْتَجَبَّمَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ وَتِسْعِ عَشْرَةَ وَإِحْدَى
وَعِشْرِينَ كَانَ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ » .

وروى رزين العبدى قال الحافظ المنذرى ولم أرها في الأصول :

« إِذَا وَافَقَ يَوْمَ سَبْعِ عَشْرَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ كَانَ دَوَاءَ السَّنَةِ لِمَنْ احْتَجَبَّمَ فِيهِ » .

وفي رواية لأبي داود عن أبي بكر أنه كان ينهى أهله عن الحجامة يوم الثلاثاء

ويزعم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ يَوْمُ الدِّمِ وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَرْتَقَا » .

وروى ابن ماجه عن ابن عمر أنه قال : يا نافع تبيخ بى الدم فالتمس لى حجاما واجعله

رفيقا إن استطعت ولا تجعله شيخا ولا صبيا صغيرا ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« الْحِجَامَةُ عَلَى الرَّبِيعِ أَمْتَلُ ، وَفِيهَا شِفَاءٌ وَبَرَكَةٌ ، وَتَزِيدُ فِي الْعَمَلِ وَفِي الْخِفْظِ ، فَاحْتَجِمُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْاِخْتِيسِ ، وَاجْتَنِبُوا الْحِجَامَةَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَالْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ وَالْأَحَدِ تَحَرُّبًا ، وَاحْتَجِمُوا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَاءِ فَإِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي عَاقَى اللَّهُ أَيُّوبَ وَصَرَّبَهُ بِالْبَلَاءِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَبْدُو جُدَامٌ وَلَا بَرَصٌ إِلَّا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَكَأَلَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ » .

قلت : وروى الطبراني وغيره مرفوعا : « يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ يَوْمٌ نَحْسٌ مُسْتَمِيرٌ » .

وفي رواية له أخرى : « آخِرُ أَرْبَعَاءِ فِي الشَّهْرِ يَوْمٌ نَحْسٌ مُسْتَمِيرٌ » .

وقوله « تبغ في الدم » أى غلبني حتى قهرني ، وقيل هو الدم المتردد في البدن مرة من هنا ، ومرة من هنا ، إذ لم يجد مخرجا وهو بمشاة فوقية مفتوحة ثم موحدة ثم مشاة تحتية مشددة ثم غين معجمة .

وروى أبو داود مراسلا : « مَنْ احْتَجَمَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ أَوْ يَوْمَ السَّبْتِ فَأَصَابَهُ وَضَحٌ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » والوضح : المراد به هنا البرص .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« إِذَا اشْتَدَّ الْخَرُّ فَاسْتَعِينُوا بِالْحِجَامَةِ لَا يَنْبَغُ الدَّمُ بِأَحَدِكُمْ قِيَمَتُهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) . أن نعود المرضى ونسألهم الدعاء امثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم :

« عَوِّدُوا الْمَرَضَى » .

ولا نعودهم لعله أخرى من طلب ثواب أو مكافأة فإنه ليس للعبد شيء حتى يطالب به الحق ولا يرى أنه كافأ أحدا عاده ولو تردد هو إليه ألف مرة اللهم إلا أن يطلب الثواب من باب الفضل والمنة لعلمه بأنه تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا

أو يرى أنه كافأه صورة لا حقيقة فله ذلك ، لكن في طلب الثواب دقيقة وهو أنه تعالى شرط في كونه لا يضيع أجر عبده أن يحسن عمله . وأى عبد يدعى أنه أحسن عمله حتى يطلب الثواب فهضم العبد نفسه بين يدي الله عز وجل واجب . وجواب هذه المسألة من علوم الأسرار لا يسطر في كتاب .

وقد رأيت جماعة من الفقهاء لا يعودون مريضا إلا إن عرفوا من أنفسهم أن الله تعالى يجيبهم في تخفيف ذلك المرض عن المريض أو في نقله عنه إليهم ، أو إلى تلاميذ البحر والوحوش المؤذبة وإلا دعوا له في أماكنهم من غير ذهاب إليه ؛ ويقولون دليلنا في ذلك حديث :

« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ بِكُلِّ جَسَدٍ بِالْحَمَى وَالسَّهَرِ » .

ونحن لا قدرة لنا على المشاركة في البلاء ولا في نقل المرض أو تخفيفه عنه فان أقدروا الله تعالى عليه حضرنا عنده. ومثل هؤلاء يسلم لهم حالهم والعمل بالسنة المحمدية على الوجه المتعارف بين الناس أولى لأن منازع هؤلاء خفية وربما كسروا خاطر من لم يعودوه أو أدخلوا عليه ما أو حزننا بعدم عيادتهم له ؛ ويقول لو علموا إنني أعيش أتوني . وعادوني وفي الحضور عند المريض من شرط العمل بحديث : « إذا دخلتم على مريض فففسوا له في الأجل فإنه أطيب لنفسه » اهـ . فطلب الشارع صلى الله عليه وسلم الحضور عند المريض من غير شرط وأمرنا بالتنفيس عنه كقولنا له : أنت طيب بخير وعافية لا تخف ، ولكن لا تغفل عن التوبة والاستغفار فان الله تعالى يقبل توبتك الآن لضعف الداعية إلى فعل ذلك الشيء الذي تتوب عنه . والقاعدة عند أهل الشريعة أن الميسور لا يسقط بالمعسور فعلى ماشرطه هؤلاء الأشياخ بتقدير تحمل المرض وتخفيفه إذ تعسر التحمل لا يسقط الحضور ، كما قالوا إذا لم يحفظ شيئا من القرآن يقف بمقدار ما كان يقرأ ؛

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لمن يعود مريضا أن يكون متلطمحا بذنب من الذنوب الظاهرة والباطنة ، فإن دعاء العصاة مجبوب عن حضرة الإجابة ، بل الذى ينبغي أن يكون على طهارة ظاهرة وباطنة اهـ :

فعد يا أخى إخوانك امتثالا لأمر الشارع ولا تطلب منهم أن يكافؤوك إذا مرضت

بل افرح ، إذا لم يعدك أحد فإن تلك الضعفة ربما تكون هي القاضية ولا أحد يكافئهم عنك :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وإذا صرت عالماً أو شيخ زاوية فأياك أن تتكبر عن عيادة أحد من المسلمين ، بل عد المسلمين كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم محترفهم وأميرهم ، لكن بنية صالحة بحيث لا ترى لنفسك بذلك فضلاً على أحد ممن عدتهم من فقراء المسلمين فتتنظر إلى ضخامتك في عيون الناس وحقارة ذلك الفقير ، فإن رأيت لنفسك فضلاً على وجه الكبير أتمت وضللت عن السنة ضلالاً مبيهاً ، وسيأتي في الأحاديث تقييد حصول الثواب بكونه مهتسباً ، والله أعلم .

وقد رأيت بعض الخائفين يخص العوام بالزيارة والعبادة ويقول إنهم يحصل لهم جبر بخاطرهم بزيارتنا وعبادتنا لهم لضخامتنا فنهته على نقص هذا المشهد فتاب إلى الله تعالى ، وأمرته بالأخذ عن شيخ يخرججه عن علل الأعمال فامثل وحصل له خير كبير ، وصار يستغفر الله تعالى من جميع إخلاصه الذي كان يشهده قبل الاجتماع بأهل الطريق :

وَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعاً : « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ تَحَنُّنٌ ، فَذَكَرَ مِنْهَا وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ » .

وفي حديث الترمذى والنسائي مرفوعاً : « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ، فَذَكَرَ مِنْهَا وَإِذَا مَرِضَ فَعُدُّهُ » .

وفي حديث مسلم مرفوعاً : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي ، قَالَ يَا رَبِّ : كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ » الحديث .

وروى الإمام أحمد والبخاري وابن حبان في صحيحه مرفوعاً :

« عُوذُوا الْمَرِيضَ ، وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ تَذَكُّرُكُمْ الْآخِرَةَ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« تَحْسَبُ مَنْ عَمِلَهُنَّ فِي يَوْمٍ كَتَبَهُ اللهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ : مَنْ عَادَ مَرِيضًا زَمِيحًا
جَنَازَةً وَصَامَ يَوْمًا ، وَرَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ وَأَعْتَقَ رَقَبَةً » .

قلت : فإن تعذر على العبد عتق رقبة فليقل « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير » عشر مرات ، فإنها تعدل عتق رقبة كما
ورد ، والله تعالى أعلم .

وزوى الترمذى وحسنه وابن ماجه واللفظ له وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَنْ عَادَ مَرِيضًا نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ طِبَّتْ وَطَابَ مِمَّاكَ وَتَبَوَّأَتْ مِنَ الْجَنَّةِ
مَنْزِلًا » ولفظ ابن حبان : « قَالَ اللهُ طِبَّتْ » الخ

وروى أبو داود مرفوعا : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ وَعَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مُحْتَسِبًا
بُوعِدَ مِنْ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفًا » .

والخريف العام : كذا فسرهُ أنس بن مالك .

وروى الترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا عُذْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى
يُمْسِي ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ
فِي الْجَنَّةِ » .

وفي رواية لابن ماجه : « إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ مَشَى فِي خُرُوفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ
فَإِذَا جَلَسَ غَمَّرَتْهُ الرَّحْمَةُ » قاله ابن الأنبارى .

وخرافة الجنة : هو اجتناء ثمرها ، يقال خرفت النخلة أخرفها فشبها ما يحوزه عائذ
المريض من الثواب بما يحوزه الخترف من الثمر

قلت : زاد في رواية عن الإمام أحمد والطبرانى . قال أنس : « يارسول الله هذا الأجر
للصحيح الذى يعود المريض فما للمريض ؟ » قال :

« نُحِطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ » اه .

وروى الطبراني مرفوعا : « إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ خَرَجَ عَنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ
وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

وروى ابن ماجه ورواته ثقات مشهورون إلا أن فيه انقطاعا مرفوعا :

« إِذَا دَخَلْتَ عَلَى مَرِيضٍ فَمُرَّهُ يَدْعُو لَكَ فَإِنَّ دُعَاةَهُ كَدُعَاةِ الْمَلَائِكَةِ » .

قلت : ودعاء الملائكة لا يرد لعصمتهم وكذلك كل من ترك المعاصي جملة من البشر
استجيب دعاؤه ، فلا يلومن من رد دعاؤه إلا نفسه فان الله تعالى مع العبد على حسب
ما العبد معه عليه ، فإذا أمر الله تعالى العبد فلم يمتثل كذلك يدعوه فلم يستجب له .

(جَزَاءُهَا وَفَاقًا) والله أعلم .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « عُوذُوا بِالرَّضَى وَمُرُوهُمْ فَلْيَدْعُوا لَكُمْ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ
الْمَرِيضِ مُسْتَجَابَةٌ وَذَنْبُهُ مَغْفُورٌ » يعنى بالمرض .

وفي رواية لابن أبي الدنيا مرفوعا :

« لَا تُرَدُّ دَعْوَةُ الْمَرِيضِ حَتَّى يَبْرَأَ » .

يعنى ويعصى ربه فان لم يعص فلا مانع من قبول دعوته والله سبحانه وتعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ندعو للمريض بما
ورد في السنة ، وكذلك نأمر المريض أن يدعو كذلك بما ورد ولا نخترع دعاء من عند
أنفسنا فنعطل ماورد في السنة وذلك سوء أدب مع الشارع .

ورأيت في كلام بعض العارفين أن من دعا بغير ماورد لا يستجيب الله دعاءه إلا إن
كان مضطرا ، فإن دعا في غير اضطرار فلا يستجاب له ، فقليل له إن الأحاديث جاءت
مطلقة عن هذا القيد فقال يحمل المطلق على المقيد ولأى شيء يترك الإنسان ماورد من
كلام أعرف الخلق بالله على الإطلاق وأكثرهم أدبا معه ويخترع هو دعاء قليل الأدب
والنفع قليل المعاني اه .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إنما كان الحق تعالى يستجيب دعاء
من دعا بما ورد لأن ماورد من جملة الوحي ، والوحي صفة من صفات الله تعالى ،
فكان الصفة تخاطب ووصفها بخلاف غير الوحي اه .

فكلف خاطرك يا أختي واحفظ ماورد من الأحاديث في الدعاء للمريض ومر المريض لتصير من أهل السنة في ذلك والله تعالى أعلم .

وروى أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى مرفوعا :

« مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَمِعَ مَرَّاتٍ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ » .
وروى الترمذى وقال حديث حسن والنسائى وابن ماجه وابن خببان فى صحيحه والحاكم مرفوعا :

« مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ صَدَقَهُ رَبُّهُ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَا أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ صَدَقَهُ كَذَلِكَ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ صَدَقَهُ كَذَلِكَ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي مَرَضِهِ مُتِمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمَهُ النَّارُ » .

وروى ابن أبى الدنيا معضلا مرفوعا : « مَا مِنْ مَرِيضٍ يَقُولُ : سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الرَّحْمَنِ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مُسَكِّنُ الْعُرْوِقِ الضَّارِبَةِ ، وَمُنْتِمِ الْعُيُونِ السَّاهِرَةِ إِلَّا شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى مَرِيضٍ فَأَمْرُوهُ فَلْيَدْعُ لَكُمْ فَإِنَّهُ مُجَابِبُ الدَّعْوَةِ » والله أعلم .

(أخذنا علينا المهدي العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا كتبنا وصية فى المرض أن نعدل فيها ولا نضار بأحد من الورثة .

سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لأحد أن يوصى بدفنه في مكان معين ، إلا إن أعطاه الله تعالى علم ذلك من طريق كشفه الصحيح الذي لا يدخله محو أن ذلك المكان الذي عينه هو الذي ذر على سرته منه يوم ولد ، وعرف الملك الذي ذره عليه : وسمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول : أعرف موضع طينتي التي عجنت مع طينة أبي آدم عليه السلام ، ولم تزل روحى نشاهد ذلك المكان إلى وقتي هذا فقلت له سألتك بالله تعلمنى بمحلها فقال على يمين منزك الحاج بيدر قريبا من مسجد الغمام ، فلما حضرته الوفاة سافر إلى هناك فدفن بها ، فكان الأمر كما قال ، وأخبرتني والدته بعد موته أنه قال لها ليلة النصف من شعبان تلك السنة التي مات فيها إن ورقى الليلة نزلت بموتى ودفنى في بدر ، قالت فقلت إن ولدى ميت تلك السنة لأنى ما عهدت عليه قط كذبا فسافر تلك السنة إلى مسكة وهو مريض ، فصار الناس يقولون له حجج مثلك لا يجب ولا يستحب بالاجماع ، فيقول ما أنا مسافر للحج وإنما أسافر لقبرى ، فرض في الذهاب ومات قبل بدر بمرحلة فحمل إلى بدر رضى الله عنه فقل هذا هو الذى يوصى بالدفن بمكان معين .

وقد قال شخص لسيدي علي الخواص مرة دستور نعمل لكم مدفنا ندفنكم فيه ؟ فقال نحن ليس لنا مع الله اختيار في حال حياتنا فكيف يكون لنا معه اختيار بعد موتنا ولما مات وخرجنا مع جنازته للصلاة عليه في جامع الحاكم بمصر ، وكانت السماء تمطر كأفواه القرب حال الصلاة عليه ، قلت لأخى أفضل الدين أى مكان تقولون يدفن؟ فقال في زاوية الشيخ بركات خارج باب الفتوح فعارض في دفنه هناك شرف الدين الصغير أكبر جماعة الديوان ، وقال لا بد من دفنه في تربتى بالقرب من الإمام الشافعى ، وساعده جماعات كثيرة وأخى أفضل الدين يقول لى : لا تتكلم لو كان معهم جن سايمان ما قدر أحد ينقله إلى القرافة فكان الأمر كما قال فخطف الثابوت جماعة من الزعر والشطار وخرجوا به نحو باب الفتوح رضى الله عنه .

وكان سيدي علي وأخى أفضل الدين يكرهان بناء القببة على القبر ووضع الثابوت الخشب والستر عليه ونحو ذلك لأحد الناس ، ويقولون هذا لا ياتق إلا بالأنبياء ومن داناهم من الأولياء الأكابر ، وأما نحن فقمامنا الدفن تحت نعال الناس في الشوارع . ورأى أخى أفضل الدين مجذوبا طلع لثائب مصر وقال له ابن لى زاوية وقبة ، فقال (٣٨ — لوائح الأنوار)

قد طاب الموت لكل عاقل إذا كان المجاذيب صاروا في هذا الزمان الخبيث يحبون للشهرة ويطلبون من الظلمة أن يعمرها لهم زاوية مع كونهم معدودين من الأولياء ، فكيف بأمثالنا الذين الفتنة إليهم أقرب من شرارك نعلمهم ٥١ :

وكان سيدي محمد بن عنان وسيدي أبو العباس الغمري وسيدي محمد المنير وغيرهم رضى الله عنهم يعتبون على الفقير إذا بنى له ضريحا ، أو عمل له مقصورة في حياته ويقولون هذا كله من بقايا شهوات النفوس ٥١ :

وأما الوصية بدعاء الناس إلى صلاة الجنازة فلا بأس للعبد أن يوصي إخوانه أن يدعوا إخوانهم في جنازته بقصد الكثير الشافعين لكثرة ذنوبه لالعة أخرى نفسانية وإن كان مصلى الجناز يضييق في العادة عن جنازة مثله فليوص بالصلاة عليه في محل واسع بقصد تخفيف التعب والرحمة على الناس لالعة أخرى ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « مَا حَقَّ أَمْرِي مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصَى فِيهِ يَبِيَّتْ لَيْلَتَيْنِ » .

وفي رواية : « ثَلَاثَ لَيَالٍ إِلَّا وَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ » .

وكان ابن عمر يقول : ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا وعندى وصيتي مكتوبة .

قلت : ومعنى قوله ما حق امرئ مسلم الخ . أى ليس له أن يبيت ليلتين أو ثلاثا إلا ووصيته مكتوبة بما له وبما عليه ، وهذا الأمر قليل فاعله ، فيستحي أصحاب المريض أن يقوؤا له أوص خوفا عليه من الفزع وليس على بالك المريض موت كما جرب ذلك وقالوا إن المريض يخاف الموت في كل ضعفة إلا ضعفة الموت فيطول أمله فيها ، والنصح من الإيمان ، وشيء أمر به الشارع الذى هو أرحم بالإنسان من أمه لا عذر في تركه لأحد مراعاة لخاطره ، وكما اشغلت ذم أموات بتركهم الوصية وحبسوا عن لقاءهم الكريم حتى توفي عنهم ديونهم ، وربما شحت الورثة بذلك المال الذى على متهم فلم يوفوا عنه فيصير محبوسا في البرزخ إلى يوم القيامة ، فالله ورسوله أحق بالطاعة من ذلك المريض الذى يخاف عليه الموت والله تعالى أعلم .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « مَنْ مَاتَ عَلَى وَصِيَّةٍ مَاتَ عَلَى سَبِيلِ اللَّهِ وَسُنَّةِهِ ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى تَبَعٍ وَشَهَادَةٍ مَاتَ مَغْفُورًا لَهُ ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ وَصِيَّةٍ فَنَفْسُهُ مَحْبُوسَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُوفَى عَنْهُ لِتَقْصِيرِهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ » .

وروى أبو يعلى باسناد حسن عن أنس قال :

« كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ . يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ فُلَانٌ قَالَ : أَلَيْسَ كَانَ مَعَنَا آيَةً ، قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ كَأَنَّهَا أَخَذَتْهُ غَضَبٌ ، الْمَحْرُومُ مِنْ حُرْمِ وَصِيَّةٍ » .

وروى الطبراني عن ابن عباس قال : ترك الوصية عار في الدنيا ونار وشنار في الآخرة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا دخلنا على من حضره الموت أن نحبيه في لقاء الله تعالى ونقول له ، يا فرحك قرب قدومك على أرحم الراحمين ، وعلى من هو أرحم بك من والدتك ، ونقول له هذا مصير الأولين والآخرين ما ترى من الله إلا ما يسرك فإذا صغى لقولنا ومات على ذلك أحب تعجيل اللقاء ضرورة فأحب الله لقاءه ونقول له ألك على أحد حق أو لأحد عليك حق لنبنى عليه مقتضاه ؟ ونعرض له بالعفو عن جميع الناس الذين آذوه في دار الدنيا ليعفو الله تعالى عنه ، وإذا رأينا أسارير وجهه اصفرت ونارت وتحول في وجهته دارة فذلك علامة السعادة ، فإذا رأينا قد علا عليه قتر وسواد وزرقة فذلك علامة الشقاء ، فإن غلب على ظننا قبول شفاعتنا فيه شفاعتنا فيه ومكثنا عنده حتى يحول الله الأمر ، وإن لم يلق الله تعالى في قلبنا أنه يقبل شفاعتنا فيه فارقتاه مع السكوت ، ورد الأمر فيه إلى الله تعالى ، ثم لا ينبغي لأحد منا بعد ذلك أن يضحك ولا ينبسط في مأكلا ولا غيره حتى يموت بعد أن شاهدنا من كان يصلى ويصوم ويحج معنا قد ختم له بسوء ، فوالله إن أحوالنا تشبه أحوال البهائم السارحة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

واعلم يا أخى أنه قد يقع لبعض الأولياء أنه ينطق بموسى أو عيسى عند طلوع روحه فيظن به أنه ختم له باليهودية أو النصرانية وليس كذلك ، وإنما ينطق بذلك لسكونه وارتنا له في المقام فكأنه يشير إلى الحاضرين ، أن كل من كان متعلقا بنبي أو رسول أو ولي فلا

بد أن يحضره ويأخذ بيده في الشدائد ، فليس ثم أعلى مقاماً ممن يذكر محمداً رسول الله عند الموت ، فإن من كان وارثاً له حاز لِرث جميع الأنبياء فيستغنى بذكر محمد صلى الله عليه وسلم عن الجميع :

(الْحَدُّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا كَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ فَكَلْنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ ، قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » .

وتقدم في حديث ابن أبي الدنيا مرفوعاً :

« اللَّهُمَّ مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي وَعَلِمَ أَنَّ مَا جِئْتُ بِهِ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَقْبَلِ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَحَبَّبْ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ وَعَجَّلْ لَهُ الْقَضَاءَ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِي وَلَمْ يُصَدِّقَنِي وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ مَا جِئْتُ بِهِ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَلَا تُحِبِّبْ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ ، وَلَا تُسَهِّلْ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ وَأَكْثِرْ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا » .

وفي رواية لابن ماجه : « فَأَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَطِّلْ عُمرَهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا مات لنا ميت أن نسكّر من حمد الله ومن قول :

(إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) .

امتثالاً لأمر الشارع في ذلك ، فعلم أنه لا ينبغي لعالم أو صالح أن يقول واولداه واذراعاه ونحو ذلك من الألقاظ التي لو جلس يقوها إلى أن تقوم الساعة لا يكتب له بها حسنة ولا يخفف عنه ما في قلبه من النار التي يحس بها والد الميت أو أمه فيه ، كأن جسده قد حشى جراً .

فانبع يا أخى السنة المحمدية في كل قول وفعل والله يتولى هداك .

وقد بسطنا الكلام على هذا العهد في عهد موت الأولاد من عهود المشايخ والله تعالى أعلم .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إِذَا حَضَرَ تَمُّ الْمَرِيضِ أَوْ الْمَيِّتِ فَقُولُوا خَيْرًا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَوْمَئِذٍ عَلَى مَا تَقُولُونَ ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ ، قَالَ فَقَوْلِي : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ وَأَعْفِبْنِي مِنْهُ عُنْفَى حَسَنَةً فَقُلْتُ ذَلِكَ ، فَأَعْفَبَنِي اللَّهُ مِنْهُ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

وقوله المريض أو الميت هو خاص برواية مسلم وليس فى رواية غيره شك ،
وفى رواية لمسلم وأبى داود وغيرهما عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَجْرَهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَهُ خَيْرًا مِنْهَا » .

قالت فلما مات أبو سلمة قلت أى للناس خير من أبى سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إنى قلتها فأخلف الله لى خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولفظ رواية الترمذى مرفوعا : « إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأَجْرُنِي بِهَا وَأَبْدَلْنِي خَيْرًا مِنْهَا » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَهُ وَأَحْسَنَ عُنْفَاهُ وَجَعَلَ لَهُ خَلْفًا يَرْضَاهُ » .

وفى رواية له أيضا مرفوعا : « أُعْطِيتُ أُمَّتِي شَيْئًا لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَّمِ قَوْمُهُمْ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَأَحَدَتْهُ اسْتِرْجَاعًا وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا كَتَبَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُهُ يَوْمَ أُصِيبَ » .

وروى الترمذى وحسنه وابن ماجه فى صحيحه مرفوعا :

« إِذَا مَاتَ وَوَلَدُ الْعَبْدِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَاسْتَرْجَعَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَاسْمُوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ » والله أعلم .

قلت : وفى هذا الحديث استثناس لمن قال إن مساكن الجنة لا تخلق إلا بعد وجود المكلف وعمله بما أمره الله به وأن قوله تعالى :
(أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) .

المراد به أعدت لهم قبل دخولها وكذلك يؤيده حديث :

« غِرَاسُ الْجَنَّةِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ » .

ومن فعل كذا بنى الله له بيتا فى الجنة ، وإن كان مذهب أهل السنة والجماعة غير ذلك ، وهو أنها بنيت وفرغ من بنائها كما هو مقرر فى كتب العقائد والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب لإخواننا فى تغسيل الموتى وتكفينهم وفى حفرهم القبور ، وإذا قالوا مانع من نغسل أو نكفن أو نحفر علمناهم كيفية ذلك على حسب ما ورد فى السنة ، ونكتم على الميت مانراه عليه من سوء : وهذا العهد ينبغى لكل مسلم أن يتعلمه مبادرة لاغتنام الأجر وتوفرة الغرامة للفلاوس لا سيما الفقراء المحاورون فى المساجد والزوايا ، فإنه إذا لم يكن أحد منهم يعرف يغسل ولا يكفن يصير الميت معوقا ، حتى يأتوا بشخص من موضع بعيد بأجرة أو بغير أجرة وربما تغيرت رائحة الميت بالتأخير ، ولو أن أحدا منهم تعلم كيفية ذلك لما حملوا منة رجل غريب : ثم الذى ينبغى لأغنياء المسلمين إذا مات فى حارتهم فقير أن يكفئوه احتسابا لوجه الله تعالى ، ويقبح عليهم أن يردوا فقيرا وأن يروا فقرا يتحملون الدين لأجل كفن ذلك الفقير ، وكذلك ينبغى لشيوخ الزاوية أو للعالم الذى فى الحارة أن يكفن ذلك الفقير من ماله الزائد على قوت يوم وليلة ولو أنه يبيع ثوبه أو عمامته المستغنى عنه ويقبح على شيخ الزاوية الذى يصطاد الدنيا بفقرائها أن يرى فقيرا عنده محتاجا إلى الكفن وهو يتلاهى عنه وعنده وعليه الثياب الفاخرة والمال ، وأف على لحيته ثم أف .

وقد كان أخى العبد الصالح الشيخ عبد القادر شقيقى رحمه الله يغسل الموتى ببلاد الريف ويكفّنهم من عنده على ذمة الله تعالى ، ويوفى ثمن ذلك للزائرين شيئا فشيئا إلى أن يوفى لهم الثمن ، وماقال لأهل ميت فى بلدة قط هل عندكم كفن أم لا ؟ ويقول :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) .

لا لغيرها ، وكان إذا أحسن إليه أحد بشيء يقول فلان من المحسنين لأنفسهم ، وما قال قط فلان من المحسنين لى ، ويقول قد يكون صاحب تلك الحسنة يجب عدم إظهارها وكان يقول من شرط المؤمن أن يكون كل شيء دخل فى يده من الدنيا على اسم المحابيح من نفسه أو من غيره والمالك فى ذلك كله لله والمنة له على العباد لا لنا .

وقال له مرة ولده اشتر لنا بقرة نأكل لبنها أو ثورا نحرث عليه أو حمارة نركبها ، فقال له يا ولدى انظر بهائم بلدنا إذا رجعت كلها من المرعى آخر النهار فإنها لو كانت كلها فى دارى ما رأيت نفسى أحق من المسلمين بشعرة منها ، فلا فرق يا ولدى بين أن تكون هذه البهائم كلها فى دارى أو عند الناس كلها سواء إنما هى أوهام تقوم فى تخيلات الخلق لشهودهم الملك لهم فيها مع غفلتهم عن الله تعالى .

وقد كان أخى هذا فقيها من فقهاء الريف رضى الله تعالى عنه ، وقد حلف لى بعض الإخوان بالله العظيم ثم بالطلاق الثلاث أنه لو وضع جميع مشايخ الزوايا بمصر فى كفة والشيخ عبد القادر هذا فى كفة لرجح بالجميع ، فبهى هذا الأخ يا أخى اقتده وكفن يا أخى الموتى وغسلهم واحفر لهم ولو بأجرة أو هدية والله يتولى هداك .

وروى الطبرانى ورواته محتج بهم فى الصحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم مرفوعا :

« مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا فَكَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ غَفْرًا كَبِيرًا ، وَمَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ قَبْرًا حَتَّى يَسْتُرَهُ أَوْ يُوَارِيَهُ فَكَأَنَّمَا أَشْكَنَهُ مَسْكَنًا حَتَّى يُبْعَثَ » .

وفى رواية لمسلم : « مَنْ غَسَلَ مُسْلِمًا فَكَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ غَفْرًا كَبِيرًا ، وَمَنْ كَفَّنَ مَيِّتًا كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ الْجَنَّةِ » الحديث .

وفى رواية للطبرانى مرفوعا : « مَنْ حَفَرَ قَبْرًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ

غَسَلَ مَيِّتًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَمَنْ كَفَنَ مَيِّتًا كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ « الحديث .

وفي رواية له أيضا : « مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا فَكَمَّ عَلَيْهِ طَهَّرَهُ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِ » .

وفي رواية لابن ماجه مرفوعا : « مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا وَكَفَنَهُ وَحَنَطَهُ وَحَمَلَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَلَمْ يَفْشِ عَلَيْهِ مَا رَأَى خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .
وروى الحاكم وقال رواه ثقات مرفوعا :

« زُرِ الْقُبُورَ تَذَكَّرَ بِهَا الْآخِرَةَ وَاغْتَسَلَ الْمَوْتَى فَإِنَّ مَعَالَجَةَ جَسَدِ خَاوٍ مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ وَصَلَّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يُحْزَنَ نَكَ فَإِنَّ الْحَزِينَ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَتَعَرَّضُ فِي كُلِّ خَيْرٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نشيع موتى المسلمين ونحضر دفنهم ولا نرجع من غير حضور الدفن إلا لأمر أهم منه شرعا ، امثالاً لأمر الشارع وقياماً بواجب حق أخيها المسلم في الصلاة عليه وحضور دفننه ، وقياماً بواجب حق أهله ومراعاة لخاطرهم فإنه مطلوب .

وقد سئل الحسن البصرى عن يحضر الجنائزة مراعاة لخاطر أهلها هل يقدح ذلك في الإخلاص ؟ فقال لا ، كلا الأمرين مطلوب اه .

ويتعين ذلك على كبير الحارة لكونه إذا حضر حضرت الناس ، فيكون له إن شاء الله تعالى مثل ثواب من حضر بحضوره قياساً على ماورد في المؤذن :

« إِنَّهُ يُعْطَى مِثْلَ ثَوَابِ مَنْ حَضَرَ إِلَى الصَّلَاةِ بِأَذَانِهِ » .

ويبلغني لعالم الحارة أو شيخ الفقهاء في الحارة أن يعلم من يريد المشى مع الجنائزة آداب المشى معها ، من عدم اللغو فيها ، وذكر من تولى وعزل من الولاية أو سافر ورجع من التجار ونحو ذلك ، فإن ذكر الدنيا في ذلك المخل ماله محل . ومما جرب أن كثرة الكلام اللغو تميم القلب وإذا مات القلب في طريق الجنائزة شفعوا في الميت بقلوب ميتة فلا يستجاب لهم فأخطأ من لغا في طريق الجنائزة في حق نفسه وفي حق الميت :

وقد كان السلف الصالح لا يتكلمون في الجنائز إلا بما ورد وكان الغريب لا يعرف من هو قريب الميت حتى يعزیه لغلبة الحزن على الحاضرين كلهم .

وكان سيدي على الخواص رضى الله عنه يقول إذا علم من الماشين مع الجنائز أنهم لا يتركون اللغو في الجنائز ويشغلون بأحوال الدنيا فينبغي أن نأمرهم بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإن ذلك أفضل من تركه ، ولا ينبغي لفقهاء أن ينكر ذلك إلا بنص أو إجماع فإن مع المسلمين الإذن للعام من الشارع بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل وقت شاءوا ، وبالله للعجب من عمى قلب من ينكر مثل هذا وربما غرم عند الحكام القلوس حتى يبطل قول المؤمنين لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق الجنائز ، وهو يرى الحشيش يباع فلا يكلف مخاطره أن يقول للحشاشين حرام عليك ، بل رأيت منهم فقيها يأخذ معلوم إمامته من فلوس بائع الحشيش والبرش :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم مرفوعا :

« حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ قَدْ كَرَّ مِنْهَا وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ » .

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن مرفوعا :

« الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَيَفْرَقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا » . وكان يقول : « لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ فَذَكَرَ مِنْهَا وَيَتَّبِعُهُ إِذَا مَاتَ » زاد في رواية : « فَمَنْ تَرَكَ خِصْلَةً مِنْهَا فَقَدْ تَرَكَ حَقًّا وَاجِبًا » .

وروى الإمام أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« عُوذُوا بِالرَّضَى وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ تَذَكُّرًا لِلْآخِرَةِ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « مَنْ شَهِدَ الْجَنَائِزَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ ، قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ ؟ قَالَ : مِثْلُ الْجُبَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ » .

وفي رواية للبخارى : « وَمَنْ تَبِعَ جَنَائِزَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى

يُصَلِّي عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ .
وروى مسلم مرفوعا : « مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا وَصَلَّى عَلَيْهَا وَاتَّبَعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ مِنَ الْأَجْرِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ قِيرَاطٌ مِثْلُ أَحَدٍ » .

وروى البزار ورواته ثقات رواة الصحيح موقوفا :

« مَنْ أَتَى جَنَازَةً فِي أَهْلِهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، فَإِنْ تَبِعَهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، فَإِنْ صَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، فَإِنْ انْتَبَرَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطٌ » .

وروى البزار مرفوعا : « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُجَازَى بِهِ الْعَبْدُ بَعْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُفَرَّ لِيَجِيعَ مَنْ تَبِعَ جَنَازَتَهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب لإخواننا في أن يدعوا معارفهم إلى حضور جنازة من مات لهم ، وفي تعزية أهل الميت طلبا لحصول كثرة الأجر للميت وللمصلين وللمعزين لأهله .

واعلم يا أخي أن الله تعالى ما ندبنا للصلاة على الميت إلا وهو يريد منا قبول شفاعتنا فيه ، فله الفضل والثناء الحسن .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لفقهاء أن يبادر للإمامة على جنازة إلا إن كان يعلم من نفسه أنه ليس عليه ذنب ، فإن شرط الشافع في غيره أن يكون مغفورا له فإن قدموه وعزموا عليه تقدم وهو مستح من الله خجلان وصلوا بالناس : وكان الحسن البصرى يقول : أدركنا الناس وهم يرون الأحق بالصلاة على جنازتهم من رضوه لفرائضهم :

ف (أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وروى مسلم والترمذى والنسائى مرفوعا : « مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلَّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَبْتَغُونَ مِائَةَ كُلِّهِمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِعُوا فِيهِ » .

وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه مرفوعا :

« مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ » .

وكان ابن عباس رضى الله عنهما يؤخر الجنازة حتى يبلغ المصلون أربعين رجلا لهذا الحديث .

وفي رواية للنسائي مرفوعا : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ » فسنل أبو المليلح عن الأمة فقال أربعون .

وفي رواية لأبي داود واللفظ له وابن ماجه والترمذى مرفوعا :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ صُفُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أُوجِبَ »
يعنى وجبت له الجنة .

وكان الإمام مالك إذا استقل أهل الجنازة جزأهم ثلاثة صفوف لهذا الحديث :

وروى الترمذى مرفوعا : « مَنْ عَزَى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أُجْرِ صَاحِبِهِ » .

وفي رواية له : « وَمَنْ عَزَى تَكَلَّى كَسَى بَرْدًا فِي الْجَنَّةِ » .

وفي رواية لابن ماجه مرفوعا : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نقتنى كلبا إلا لصيد أو ماشية أو حراسة دارنا من اللصوص ونحو ذلك من الأغراض الصحيحة ، وذلك لأسرار يعرفها من كان حاضرا عند صدور العالم من الغيب إلى الشهادة ، وأطلع الله تعالى على ما انطوى عليه الكلب من الصفات ، ويعرف ما استند إليه من قال بنجاسته ، ومن قال بطهارته من الأمة المجتهدين والله تعالى أعلم :

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « مَنْ أُقْتِنَى كَلْبًا إِلَّا كَلَّبَ صَيْدًا أَوْ مَا شَبَّهَ

فَأَنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ » .

وفي رواية : « يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ » .

وفي رواية لمسلم : « أَيَّمَا أَهْلِ دَارِ اتَّخَذُوا كَلْبًا إِلَّا كَلَبَ مَا شِئْتَهُ أَوْ كَلَبَ صَيْدَهُ نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ » .

وفي رواية للشيخين مرفوعا : « مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطًا إِلَّا كَلَبَ حَرْثًا أَوْ مَا شِئْتَهُ » .

وروى الترمذى وابن ماجه واللفظ للترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّةِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا ، فَاقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَيْهِيمٍ » .

وروى مسلم وغيره : « أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَادَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَهُ فِي سَاعَةٍ فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ ، ثُمَّ التَّفَّتَ فَرَأَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرَوْا كَلْبًا تَحْتَ سَرِيرِهِ فَقَالَ أَخْرِجُوهُ فَأَخْرَجَ فَدَخَلَ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ وَلَمْ تَأْتِنِي ؟ فَقَالَ مَنْعَنِ الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتَنَا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ » .

وروى أبو داود أن ذلك الجرو كان للحسين أو الحسن رضى الله عنهما ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانسافر سفرا قصيرا فضلا عن الطويل إلا مع رجلين فأكثر .

ومن فوائد ذلك ما إذا عرض لنا عارض من مرض أو وقوع من على دابة فواحد يجلس عندنا وواحد يبلغ الناس خبرنا أو يأتينا بما احتجنا إليه لذلك العارض من سكر أو مبلول أو جبيرة ونحو ذلك .

ومن فوائد ذلك أيضا الأنس بالرفيق لأهل حضرة المراقبة لله عز وجل ، فإن شهود العبد أن الله يراه له هبة عظيمة فافهم ، وما نهانا الشارع صلى الله عليه وسلم عن فعل شيء قط إلا لحكمة بالغة ، وفي كلام القوم : خذ الرفيق قبل الطريق :

(وَاللَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) .

وقد روى البخارى والترمذى وابن خزيمة فى صحيحه مرفوعا :
« لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَمْلُؤُونَ مِنَ الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِبَيْلٍ وَحْدَهُ » .
وروى الامام أحمد بسند صحيح : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ
رَاكِبَ الْفَلَاةِ وَحْدَهُ » .

قلت : ويؤيد ذلك حديث : « يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ » .
أى تأييده . ومن حرم التأييد من الله فقد لعن أى أبعد عن أهل حضرته بإسداد
الحجاب بينه وبين حضرة الله عز وجل ، وإلا فن لا يتحرك إلا إن حركه الله عز وجل
أين طرده فافهم ، والله تعالى أعلم .

وروى مالك وأبو داود والترمذى والنسائى وابن خزيمة والحاكم وصححه مرفوعا :
« الرَّا كِبُ شَيْطَانٌ وَالرَّا كِبَانُ شَيْطَانَانِ وَالثَّلَاثَةُ رَا كِبٌ » .

والدليل على أن مادون الثلاثة من المسافرين عصاة هذا الحديث ، ومعنى الشيطان
هذا العاصى كقوله تعالى :

(شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) .

معناه عصاة الإنس والجن ، وبوب عليه ابن خزيمة باب النهى عن سفر الإثنين
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتمكن امرأة من
حلاتنا تسافر وحدها بغير محرم أو نسوة ثقات ، وكذلك لا نتمكنها تخرج لزيارة فى حارة
قليلة الناس أو فيها من يخشى منه من الجنود والعياق إلا مع محرم ، وهذا العهد يخل
بالعمل به كثير من المغفلين ، فربما أمسكوا زوجته فزنا بها وهتكوها فبصير زوجها فى
حيرة بين فراقها وبين الإقامة معها ، ومثل حلاتنا فى ذلك أولادنا المرء فلا نتمكنهم
قط من الخروج لمواضع التسهات وغيرها إلا مع من يوثق به لاسيما إن كان أحدهم
جميل الصورة .

وقد كان سيدى محمد بن عراق لا يمكن ولده سيدى عليا أن يخرج إلى السوق حين
كان أمرد إلا برفع خوفا عليه من سوء وخوفا على الناس من الفتنة رضى الله عنهما ،

وما رأيت في عصرنا هذا أكثر غيرة على عياله من سيدى الشيخ أبى الفضل بن أبى الوفا رضى الله عنه وعن جميع ساداته ، كان إذا طلب العيال الحمام ينزلهم بالليل فى زورق من الروضة إلى مصر العتيقة ، ويقذف بهم وحده ثم يطلع بهم إلى الحمام فيدخله قبلهم ويفتش جميع عطفه من المستوقد والسطوح ثم يخرج من يكرن هناك ويغلق باب الحمام ويجلس على بابه حتى يقضين حاجتهن ثم يردهن كذلك إلى المركب ويطلع بهن إلى البيت ليلا رضى الله عنه .

ويليه فى ذلك سيدى الشيخ أبو السعود ابن سيدى مدين رضى الله عنه ، كان لا يمكن أحدا مطلقا من دخول بيته لافى مرض ولا غيره .

ويليه فى ذلك الأمير الصالح محبى الدين بن أبى أصبغ ، رأيتة يفعل فى دخول الحمام كما كان يفعل سيدى الشيخ أبو الفضل السابق ، ورأيتة إذا احتاج عياله إلى الفصد لا يستعمل إلا الجرائمى الذى طعن فى السن فهؤلاء الثلاثة الذين اطلعت على ضبطهم لعيالهم هذا الضبط فجزاهم الله عن ذلك خيرا آمين .

وليس ذلك من باب سوء الظن بالعيال أو بالأجانب وإنما هو تنزه عن مواضع الريبة فيعاملهم معاملة من يسىء الظن من غير سوء ظن فافهم ، فإن السكمل لا يراعون جانبنا دون جانب فكان فى ذلك الفعل مراعاة الجانبين . وممن اطلعت عليها من النساء تخاف على رؤية شخصها وهى فى الإزار وتستحى أن يراها أحد وهى خارجة من الحلاء زوجتى فاطمة أم عبد الرحمن رضى الله عنها سافرت بها إلى الحجاز ثلاث مرات ، فما أظن أن العكام رأى لها خجما قط من حين خرجت من بيتها إلى أن دخلت مكة المشرفة ثم رجعت إلى بيتها ، وكانت تركب فى مثل العقبات فوق ظهر القتب داخل الحمل المغطى ونزل نساء الأكاير كلهم فى نزول العقبة وطلوعها وهى لم تنزل وما شعرت قط بقضاء حاجتها إلا فى المحطات ولا فى حال السير رضى الله عنها ، ولم تركب قط حمارا وقالت لا أستطيع أن يرانى أحد حتى السكحال عجزت فيها أنه يرى عينها فلم أقدر عليها ورضيت بالوجع وصبرت حتى زال الرمذ وضاق ميق عينها اليسرى عن العين اليمنى إلى الآن ، فهذا أمر رأيتة منها ولم يبلغنى وقوع ذلك لأحد من عيال إخواننا ، فالحمد لله رب العالمين على ذلك .

وقد روى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَا يَحِلُّ لِأَمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ سَفَرًا يَكُونُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصَاعِدًا إِلَّا وَمَعَهَا أَبُوهَا أَوْ أَخُوهَا أَوْ زَوْجُهَا أَوْ ذُو مُحْرَمٍ مِنْهَا » .

وفي رواية للشيخين : « لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ يَوْمَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا وَمَعَهَا حَرَمٌ مِنْهَا أَوْ زَوْجُهَا » .

وفي رواية للشيخين ومالك وغيرهم مرفوعا : « لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي حَرَمٍ عَلَيْهَا » .

وفي رواية أخرى لهم : « مَسِيرَةَ يَوْمٍ » .

وفي أخرى لهم : « مَسِيرَةَ لَيْلَةٍ » .

وفي رواية لهم ولأبي داود وابن خزيمة : « أَنْ تُسَافِرَ بَرِيدًا » .

قلت : ولعل اختلاف هذه الروايات إنما هو من حيث أمن الطريق وعدمه ، والله

تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نستصحب كلبا

أو جرسا في سفر أو غيره .

وهذا العهد يخل بالعمل به كثير من طلبة العلم الذين يسافرون الحجاز والشام ونحوهما
فيقرون الجمال على وضع الجرس في أعناق الجمال وأرجلها مع قدرتهم على إزالة ذلك ،
ولو أنهم قالوا للجمال إن لم تقطع هذا الجرس ماسافرنا معك لقطعه اغتناما للأجرة ، وقد
رأيت كلبا سافر مع صاحبه إلى مكة فلذكرت له الحديث في ذلك فقال لي فقير دعه فإنه
قد يكون من الجن فسكت عنه :

(وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وروى مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم مرفوعا :

« لَا تَصْحَبُ الْمَلَأَةَ رُقَّةً فِيهَا كَلْبٌ أَوْ جَرَسٌ » .

زاد في رواية لأبي داود « وَلَا جِلْدَ تَمِيرٍ » .

وروى مسلم وأبو داود وغيرهما مرفوعا : « الْجَرَسُ مِنْ أَمِيرِ الشَّيْطَانِ » .

وروى النسائي مرفوعا : « لَا تَدْخُلُ الْمَلَأَةَ بَيْتًا فِيهِ جَرَسٌ » .

ولفظ ابن حبان في صحيحه مرفوعا : « إِنَّ الْعَيْرَ الَّتِي فِيهَا الْجَرَسُ لَا تَصْحَبُهَا

الْمَلَأَةَ » .

وروى ابن حبان في صحيحه : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالْأَجْرَائِسِ أَنْ تُقَطَّعَ مِنْ أَعْنَاقِ الْإِبِلِ يَوْمَ بَدْرٍ » .

وفي رواية لأبي داود مرفوعا : « مَعَ كُلِّ جَرَّيسٍ شَيْطَانٌ » .

وروى النسائي مرفوعا : « لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا جُنُودٌ » .

وكان ابن عمر يحدث بهذا ويقول كم نرى في الركب من جلجل ؟ والله تعالى أعلم :
(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا يسافر أول الليل ولا نعرس في الطريق ، ولا نفترق عن أصحابنا في المنازل إلا للضرورة أخرى أشد مما ذكرناه وإذا كان أمير الركب جاهلا فينبغي تعليمه ذلك ثم إن خالف فلا لوم على الناس وإنما اللوم عليه وحده .

وفي نهى الشارع لنا عن ذلك عدة مصالح يعرفها أهل الله عز وجل لا تسطر في كتاب يدركها من عرف تجليات الحق تعالى في الليل ، ولو كشف لمن يسافر أول الليل الحجاب للذباب كما يدوب الرصاص ونظيره من يطوف بالكعبة ليلا كما قاله بعضهم :
(وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وروى مسلم وأبو داود والحاكم مرفوعا : « لَا تُرْسِلُوا مَوَاشِيَكُمْ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذَهَبَ فَحَمَةُ الشَّاءِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَعْبَثُ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذَهَبَ فَحَمَةُ الْعِشَاءِ » .

ولفظ رواية الحاكم : « احْبِسُوا صِبْيَانَكُمْ حَتَّى تَذَهَبَ قِرَاعَةُ الْعِشَاءِ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تَنْتَشِرُ فِيهَا الشَّيَاطِينُ » .

وفي رواية لأبي داود وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« أَقْلُوا الْخُرُوجَ إِذَا هَدَّاتِ الرَّجُلُ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْثُ فِي لَيْلِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَا شَاءَ » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم مرفوعا :

« إِذَا عَرَسْتُمْ فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ فَإِنَّهَا طَرِيقُ الدَّوَابِّ وَمَأْوَى الْهَوَامِّ بِاللَّيْلِ » .

وفي رواية لابن ماجه : « إِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِيسَ عَلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهَا

فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ وَالسَّبَاعِ وَاجْتَنِبُوا قِضَاءَ الْحَاجَةِ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا لِلْمَلَاعِنِ » .

قال الحافظ المنرى ، والتعريس هو نزول المسافر آخر الليل ليستريح .
وروى أبو دود والنسائي مرفوعا : « إِنَّ النَّاسَ كَانُوا إِذَا نَزَلُوا تَفَرَّقُوا فِي الشُّعَابِ
وَالْأُودِيَةِ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ » .
قال أبو ثعلبة الخشني رضى الله عنه فلم ينزلوا بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى
بعض والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانهم بتحصيل
للدنيا كل الاهتمام ولا نقبل عليها كل الإقبال وإنما يكون ذلك بقدر الضرورة لا غير .
وهذا العهد لا يقدر على العمل به إلا من سلك على يد شيخ ناصح وسافر به حتى
أشرف على شهود دار البقاء بعين بصيرته ، ونظر ما فيها من النعيم المقيم والمعيشة الواسعة
الهيثة حتى كأنها رأى العين ، وهناك يزهد في دار الفناء .

وإيضاح ذلك أن الإنسان إذا كان عنده شيء نفيس لا يصح له أن يتركه اختيارا إلا
لوجود ما هو أنفس منه كما إذا كان حاملا في بركة خرج فلوس جدد ، فرأى كوم
فضة فإنه يصب ذلك الخرج ويملاؤه فضة فإذا سافر بالخرج الفضة ورأى كوم ذهب فإنه
يصب الفضة ويملاؤه خروجه ذهبا ، وما دام لم يجد ما هو الأنفس فهو بخيل بما معه لا يتركه
إلا إن وقاه الله شح نفسه .

وقد ذكرنا في عهود المشايخ في كتاب البحر المورود ، أن العهود أخذت علينا إذا
مررنا على أتلال الذهب أو الفضة من غير مزاحم عليها في الدنيا ولا تبعه علينا بها في
الآخرة أن لاتأخذ منها إلا قدر قوتنا ذلك اليوم ، أو قضاء ديننا ، وأنه إذا دخلت لنا
بغلة محملة ذهبا إلى دارنا من مطلب مثلا لاتأخذ منها دينارا بل نخرجها بحملها ونغلق
باب دارنا احتياطا لأنفسنا أن ينقص نعيمها في الآخرة ، وقد ذكرنا فيه أن الفقراء
ماتمروا عن غيرهم إلا بتركهم الدنيا اختيارا لا اضطرارا ، فإن التارك للدنيا اضطرارا هو
والعوام سواء .

فعلم أن من دسائس النفس على العبد أن توسوس له بالاهتمام بالدنيا والسعي لها وتقول
له هذا سعى على العيال لئلا تنفسك والسعى على الغير من العيال مطلوب ، وإنما الهم لوسميت
لنفسك فيصير يسعى ويهم في حجة العيال وهو يدخر ذلك حتى صار عنده الألف

دينار وعياله على ما هم عليه من الضيق ، لم يوسع عليهم شيئا ، وهذا العهد قد كثرت خيائته من غالب فقراء هذا الزمان ، حتى صاروا يسافرون من مصر إلى الروم في طلب الدنيا ولو أن بعض المريدين فعل ذلك لعيب عليه فكيف بالشيخ .

وقد عرضوا على سيدى على الخواص رحمه الله أن يجعلوا له مسموحا فأبى ، وقال . هذا مال لا ينبغي أن يكون إلا لعسكر السلطان الذين يسافرون في التجاريد ، وأما الفقير الجالس منا في بيته أو في زاوية فلا ينبغي له أن يأخذ من ذلك درهما واحدا ، وكذلك عرضوا على محمد الله نحو أربعة آلاف دينار أوصى بها لى قاضى اسكندرية فردتها احتياطا لنفسى من أكل مال القضاة والشبهات التى لم تقسم لى ، وخروفا عليها من ميلها إلى جميع الدنيا فالحمد لله على ذلك .

وقد سافر شخص من فقراء مصر المحروسة إلى بلاد الروم فاجتمع باياش باشاه للوزير فقال له ماجاء بك إلى بلادنا فقال أطلب شيئا من مال السلطان يقوم بعيالى فقال له وما حرفتك ، فقال أدل الناس على الله تعالى فقال له أف عليك أيها الشيخ كيف تسافر في سن الشيخوخة من مصر إلى هنا تطلب الدنيا أما كان في مصر وقراها ما يكفيك مع أنك ترى ربك وهو رزقك أنت وعبالك من حين ولدت إلى أن صارت لحيتك بيضاء لم يقطع بك يوما واحدا ، فإذا كنت وأنت في هذا السن لم تنق بضمأن الله لرزقك ، ولم تظمن نفسك إلى قوله تعالى :

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) .

فبالله عليك أين معرفتك بالله حتى تدل الناس عليه ، فما درى الشيخ ما يقول ورجع إلى مصر نادما هذه حكاية صاحب الواقعة لى بنفسه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول يجب على من تصدر للمشيخة والشفاعات عند الحكام أن لا يقبل منهم هدية ولا برا ولا حسنة ، ولو كان ذلك حلالا من أصله ، فإن من قبل من الولاة شيئا هان في أعينهم وردوا شفاعته لكونه صار معدودا من عيالهم فهو ولو كان معه سر لا يصلح له أن يؤثر فيمن يعوله ويطعمه ويكسوه ، ولا يستجيب الله له فيه دعاء لو دعا عليه وهذا الأمر قد عم غالب الفقراء فبطات شفاعتهم عند الحكام وعلموا تفريج كرب المكروبين :

فاترك أيها الشيخ الدنيا والاهتمام بشأنها ولا تسكن متهما لربك وما قسمه الله تعالى لك لا بد أن يأتيك ولو تركته لا يخرج عنك والله يتولى هداك :

وروى الطبراني والبيهقي مرفوعا : « تَفَرَّغُوا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ أَفْشَى اللَّهُ ضَيْعَتَهُ وَجَعَلَ قَفْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ » .

وفي رواية لابن ماجه باسناد صحيح مرفوعا :

« مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ فَفَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ أَىْ أَمْرَهُ وَجَعَلَ قَفْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ » .

وفي رواية لابن حبان فى صحيحه مرفوعا : « إِنَّهُ مَنْ تَسَكَّنَ الدُّنْيَا هَمَّتْهُ يُجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى قَفْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَشَتَّتَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ » .

أى فرق عليه حاله وصناعته ومعاشه وما هو مهتم به وشغبه عليه ليكثر كده ويعظم تبعه .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هِمَّتَهُ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ جِوَارِيَهَا فَإِنَّهُ يُعْثَرُ بِجَرَابِ الدُّنْيَا وَلَمْ يُبْعَثْ بِعِمَارَتِهَا » .

وروى البيهقي وغيره مرفوعا : « مَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا » .

وفي رواية للحاكم والبيهقي مرفوعا : « مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِى أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا أَهْلَكَهُ » .

وفي رواية لابن ماجه مرفوعا : « مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْهُ الْهُمُومُ أَحْوَالُ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِى أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ » .

وروى فى بعض السكتب الإلهية أن الله تعالى قال :

« يَا دُنْيَا مَنْ خَدَمَنِ فَأَخْدُمِيهِ ، وَمَنْ خَدَمَكَ فَاسْتَخْدِمِيهِ » . رواه

أبو نعيم وغيره .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ الدُّنْيَا فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَيْءٍ »

الحديث .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « مَنْ أَصْبَحَ حَزِينًا عَلَى الدُّنْيَا أَصْبَحَ سَاطِعًا عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد للعام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتمكن محبة الدنيا من قلوبنا بحيث نغفل بها عن عبادة ربنا المشروعة ، ولا نكأثر بها أهلها ولا ننافس أحدا عليها سواء أكانت مالا أو وظيفة أو طعاما أو رياسة أو غير ذلك من سائر شهواتها سدا لباب ميل نفوسنا إلى أهويتها :

ثم إذا فتح الله علينا فتوح العارفين إن شاء الله تعالى وقد فعل بنا ذلك والله الحمد فمن الأدب أن نتمسك الدنيا بأسرها ولا نترك منها شيئا إلا عند العجز عنه ونقلب الشهوة المذمومة إلى الشهوة المحمودة من غير حجاب عن الله عز وجل ولا غفلة عن عبادته قال تعالى مادحا للكامل :

(رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ بُحَارَةً وَلَا يَبْتَغُونَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) .

فأخبر أنهم مع قيامهم في الأسباب التي يحجب بها غيرهم لا يفتلون عن ذكر الله تعالى ، لأن الدنيا قد خرجت من قلوبهم وصارت في يدهم لا غير ، وماذم الله تعالى حب الدنيا إلا إذا كان حبا بحكم الطبع ويخل العبد بها عن المحتاجين ، وأما إذا وسع بها على المساكين وسر بها نفسه وكفها بها عن سؤال الناس فتعمت الدنيا حينئذ وبئس رميها ولذلك ماذم الله تعالى ذات الدنيا وإنما ذم الميل إليها فقط ، إذ لو كانت مذمومة لذاتها لم تؤمر بمسكها في حال من الأحوال فافهم :

ولا يخفى أن مراد كل من ذم الدنيا من الشارع صلى الله عليه وسلم أو غيره من صالحى المؤمنين الدنيا الزائدة على الحاجة ، أما ما يحتاج إليه فليس من الدنيا في شيء بل هو مطلوب إذ التكنة في ذم الدنيا إنما هو الاشتغال بها عن عبادة الله عز وجل لا غير ، فمن عصمه الله أو حفظه عن الوقوع فيما يلهى عنه تعالى فلا حرج عليه ولذلك طلب أبواب وسليمان الدنيا ، ومعلوم أنهما معصومان من طلب ما يشغلهما عن الله فافهم :

وسمعت سيدى عليا المكزوانى بمكة المشرفة يقول : فسق العارف بعد كماله يكون في تبسطه في الدنيا في مأكل وملبس ومنكح ومركب اه .

وكان التضميل بن عياض رضى الله عنه يقول : إذا أحب الله تعالى عبدا زوى عنه الدنيا وإذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه وشغله بها عنه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله عنه يقول : كل شيء شغلك عن الله لحظة واحدة فهو مشغوم عليك في الدنيا والآخرة .

وكان سيدى محمد بن عنان رحمه الله تعالى إذا أتاه أحد بشيء من الدنيا انقبض وظهر أثر ذلك عليه . وأتاه مرة شخص بأربعين ديناراً في صرة بعد صلاة الصبح فرماها في وجه صاحبها وقال له أما تستحي من الله تعالى تصيحننا بالدنيا وبخسه وقال له لا تعد إلى مثل ذلك أبداً :

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : ينبغي للشيخ المقتدى به أن يجعل عنده شيئاً من النقد نحو المائة دينار زائدة عن حاجته ليدفع خاطر الاهتمام في الرزق فإنه يندق معه في المقامات ولا يزول ، فلكل شيخ له مشهد يدين الله تعالى به ، فرضى الله عن الصادقين :

وبالجملة فلا يصح لك يا أخى عدم محبة الدنيا والمزاحمة عليها إلا بعد السلوك على يد شيخ ناصح تفنى مرادك في مراده واختيارك في اختياره وإلا فلا تشم من الزهد فيها رائحة كما عليه غالب مریدی أشياخ هذا الزمان ، فيعوث شيخهم وهو متحسر على رؤية أحد منهم ، أطاعه حتى صار زاهداً في الدنيا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم :

وروى الطبرانى مرفوعاً : « هَلَاكٌ آخِرٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْبُحْلِ وَطُولِ الْأَمَلِ » .

وروى البزار مرفوعاً : « يُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ يَوْمٍ دَعُوا الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا دَعُوا الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا دَعُوا الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا ، مَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا أَكْثَرَ يَمَّا يَكْفِيهِ أَخَذَ حَقْفَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ » .

وروى الطبرانى وغيره مرفوعاً : « وَمَنْ مَدَّ عَيْنَهُ إِلَى زِينَةِ الْمَتْرَفِينَ كَانَ مَهِينًا فِي مَلَكَوتِ السَّمَوَاتِ » .

وفي رواية : « كَانَ مَمْقُوتًا فِي مَلَكَوتِ السَّمَوَاتِ » .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناد جيد عن عمر قال :

« لَا يُصِيبُ عَبْدٌ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا إِلَّا نَقَصَ مِنْ دَرَجَاتِهِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ كَرِيمًا » .

قال الحافظ المنذرى وروى مرفوعا والوقف أصح ، وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« حُلُوةُ الدُّنْيَا مَرَّةٌ الْآخِرَةَ ، وَمَرَّةٌ الدُّنْيَا حُلُوةُ الْآخِرَةِ » .

وروى الطبرانى بإسناد حسن مرفوعا: « مَنْ أَشْرِبَ حُبَّ الدُّنْيَا التَّنَاطَ مِنْهَا بِثَلَاثٍ : شِقَاءٌ لَا يَنْفَدُ عَنْهُ ، وَحِرْصٌ لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ ، وَأَمَلٌ لَا يَبْلُغُ مِنْهَا ، فَالدُّنْيَا طَالِبَةٌ وَمَطْلُوبَةٌ ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَتْهُ الْآخِرَةُ حَتَّى يَدْرِكَهُ الْمَوْتُ فَيَأْخُذُهُ ، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ » .

وَرَوَى البَيْهَقِيُّ مَرْفُوعًا : « هَلْ مِنْ أَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ إِلَّا ابْتَلَّتْ قَدَمَاهُ ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ كَذَلِكَ صَاحِبُ الدُّنْيَا أَيْ يُجِبُّهَا لَا يَسْلَمُ مِنَ الدُّنُوبِ »
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتمنى الموت إلا إن خفنا على أنفسنا من فتنة في ديننا في هذا الزمان الذى يرى الإنسان دينه في كل يوم ينقص عن اليوم الذى قبله ، وهذا الأمر قد وقع من حين انتهى كمال الدين وهو سنة سبع وثلاثين وخمسمائة كما رأيت ذلك فى لوح نزل من السماء فى واقعة فى المنام ، وقد أخذت الأمور كلها يا أخى فى النقص وصار دين المؤمن ينقص كل يوم عن الحال الذى قبله ، وصار يتصعب على الإنسان القبض على دينه كما يتصعب عليه القبض على جرة فى كفه ليلا ونهارا ، فكما ضعف عن دوام القبض على الجرة كذلك ضعف عن دوام القبض على الدين على حد سواء ، فلا يموت الإنسان يوم يموت إلا على أنقص الأحوال ، وأول أخذ الدين فى النقص من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، حين بلغ أهل العلم حدهم وأهل الطريق حدهم ، هذا ما رأيت مكتوبا فى لوح تجاه مدرسة الشيخ إبراهيم المواهبى الشاذلى بباب الخرق من مصر الحروسية ، وكان فى سلسلة فضة وقد أشار إلى ذلك الشيخ عبد العزيز الدرينى فى منظومته وكان فى سنة سبعين وخمسمائة يقول :

وَقَدْ بَدَأَ النَّقْصُ فِي الْأَحْوَالِ أَجْمَعًا وَبُدِّلَتْ صَفْوَةُ الْأَوْقَاتِ بِالْكَدَرِ

وقد مررت فى سنة سبع وأربعين وتسعمائة على شيخ قد طعن فى السن وهو ناظم

تحت قنطرة الخليج الحاكمي بمصر المحروسة أيام الصيف فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال لي ما اسمك؟ قلت له عبد الوهاب فقال: لي سنين عديدة ومقصودي لو رأيتك اجلس فجلست عنده فصافحني وقبض على يدي فكلمت أن أصبح من عصرها، فقال لي ما تقول في هذه القوة؟ فقلت قوة شديدة، فقال هذه من لقيات الحلال التي أكلناها في حال الصبا، فلولا تلك الخميرة لسكان جسمنا لليوم كالتخالة من حيث المكاسب وعدم تورع الناس، ثم قال لي يا ولدي عمري الآن مائة وثلاث وأربعون سنة، والله قد تغيرت الناس ونقصت أديانهم وأماناتهم في هذه الثلاث سنين الأخيرة أكثر مما نقصت أديانهم في المائة وأربعين سنة، قد صار الآن أخوك وصاحبك كأنه ما هو أخوك وصاحبك كأنه ما هو صاحبك بل ابنك كأنه ما هو ولدك ولا أنت أبوه وانحلت القلوب عن بعضها بعضا، وتراكت البلايا ونزات على الخلائق مع قلة الصبر حتى كثر سخطهم على مقدورات ربهم، ونقصت بذلك أديانهم وصار الموت اليوم تحفة لكل مؤمن كما ورد فلا يطالب المعيشة في هذا الزمان إلا من حجب عن نفسه، ثم قال يا ولدي وأنا أوضح لك ذلك في حق صالحى هذا الزمان فضلا عن طالحيه، فقلت له نعم، فقال أصلح الصالحين هو أن يقوم من الليل فيتوضأ ويصلى ما كتب له إلى الفجر ثم يصلى الصبح ويشغل بورده كذلك إلى الظهر ومن الظهر إلى العصر ومن العصر إلى المغرب، ومن المغرب إلى العشاء ومن العشاء إلى أن ينام. فلو فرضنا سلامته من جميع المعاصي الظاهرة فهل يقدر على سلامته من سوء الظن بأحد من أقرانه أو حساده أو رؤية نفسه عليه في ساعة من الساعات طول عمره؟ فقلت له هذا بعيد، فقال لو وضعت عبادة الشخص طول عمره في كفة وسوء الظن بمسلم في كفة لرجح سوء الظن، فإذا كانت عبادة الصالحين لا تفي بجزء ذنب واحد فكيف بمن عليه ما لا يحصى من حقوق الخلق اه، فقبلت يده وانصرفت رضى الله تعالى عنه.

فسلم يأخى أمرك إلى الله واسأل الله تعالى الصبر على مرارة هذا الزمان فإن البلاء كالسحاب الواقفت وأنت كالماشى تحته أو كالسحاب السائر وأنت واقف فلا بد من فراق أحد كما لصاحبه.

وقد كان سفيان الثوري رضى الله عنه يقول: إنما خاف الأكابر من البلاء لما فيه من السخط لآلذاته ثم يقول: والله ما أدري ماذا يقع منى لو ابتليت؟ لعلى أكفر ولا أشعر.

فاعلم ذلك ونزل يا أخى كراهية تمى الموت على كل من كان فى خير وعدم الكراهة على كل من كان فى شر ولا تطاق الأمر والله يتولى هداك :

وروى الامام أحمد والحاكم : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى عَمِّهِ الْعَبَّاسِ وَهُوَ يَشْتَكِي فَمَتْنِي الْمَوْتَ ، فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ لَا تَتَمَنَّي الْمَوْتَ إِنْ كُنْتَ مُحْسِنًا تَزِدُّ إِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانِكَ وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئًا فَإِنَّ تَوْخُرَ لَتَسْتَعِدَّ مِنْ إِسَاءَتِكَ خَيْرٌ لَكَ ، لَا تَتَمَنَّي الْمَوْتَ » .

وفى رواية للإمام أحمد والبيهقى باسناد حسن مرفوعا :

« لَا تَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ فَإِنَّ هَوْلَ الْمَطْمَعِ شَدِيدٌ وَإِنْ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطُولَ عُمرُ الْعَبْدِ وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ » .

وفى رواية لمسلم : « لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ وَلَا يَدْعُو بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمرُهُ إِلَّا خَيْرًا » .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلِ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فاعِلًا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوُفَاةُ خَيْرًا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتعاطى فعل شيء يرد البلاء إلا إن ورد به الحديث ، فلا نطلب رفع البلاء لشيء سكت عنه الشارع فضلا عما نهانا عن فعله ، وهذا العهد يتساهل فى خيانتة كثير من الناس حتى العلماء فيرون على رؤوس أولادهم التائم والعظام والحرز ونحو ذلك ، فلا ينكرون على من فعله ولا يقطعونه ، وكان الأدب تقطيع ذلك ومنع الولد وأمه من ذلك هروبا من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المحجاب الذى لا يرد على من علق ذلك أو حملة ، ولولا أن الشارع يعلم أن الله تعالى يكره ذلك مانهى أمته عنه ، فنجتنب كل مانهانا عنه سواء عقلنا له معنى أو لم نعقل له معنى .

وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله عنه يقول : من أراد عدم نزول البلاء عليه فلا يجعل له قط سريرة مسيئة يستحى من اطلاع الناس عليها ، فمن كان له سريرة سيئة

استحق نزول البلاء وتحويل النعم ، ومن هنا كثرت تحويل النعم في هذا الزمان حتى عن أولاد الفقراء ، فالعاقل من فتن نفسه إن أراد تخليد النعم عليه :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وقد روى أبو يعلى باسناد جيد والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَسْمَ لِلَّهِ لَهُ ، وَمَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ » .

وروى الإمام أحمد والحاكم ورواه ثقات :

« أَنْ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُبَايِعَهُ مَعَ جَمَاعَةٍ فَبَايَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَمَاعَةَ وَلَمْ يُبَايِعْ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَقَالُوا مَا شَأْنُهُ ؟ فَقَالَ : إِنَّ فِي عَضُدِهِ تَمِيمَةً فَتَطَّعَ الرَّجُلُ التَّمِيمَةَ فَبَايَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ » .

والتميمية يقال إنها خرز . كانوا يعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات ، واعتقاد هذا الرأي جهل وضلالة ، إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى ، فإن كان الذي علقها يعتقد أنها تدفع فقد أشرك ، وإن كان يعتقد أنها لا تدفع فلا فائدة لتعليقها فافهم :

وروى أبو داود أن عيسى بن حمزة قال : دخلت على عبد الله بن عكيم وبه حمرة فقلت ألا تعلق تميمية فقال أعوذ بالله من ذلك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ عَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ » .

وفي رواية للترمذي فقال : « الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ » .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلَقَةً أَرَاهُ ؟ قَالَ : مَنْ صَفَّرَ ؟ فَقَالَ : وَيَحْتَكُ مَا هَذِهِ فَقَالَ : مِنَ الْوَاهِنَةِ فَقَالَ : أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا » .

زاد في رواية : « فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا » .

وفي رواية أخرى : « فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ وَكَلَّتَ إِلَيْهَا » .

وروى ابن ماجه وغيره مرفوعا : « إِنَّ الرُّثَى وَالْبَائِسَ وَالنَّوَلَةَ شِرْكٌ » .

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله : المنهى عنه من الرقى ما كان بغير لسان العرب فلم يدر ما هو ولعله قد يدخله سحر أو كفر ، فأما إذا كان مفهوم المعنى وكان نيته نفسه ذكر الله تعالى فإنه مستحب متبرك به اهـ .

وقال الحافظ عبد العظيم : التولة شيء يصنعه النساء يتحبين إلى أزواجهن قال وهو شبيه بالسحر أو من أنواعه .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : ليست التميمية ما يعلق به بعد البلاء وإنما التميمية ما يعلق به قبل البلاء والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون بترك الوصية سواء أكننا في المرض أو في الصحة ، وكذلك لانضار فيها ولا تؤخر العتق والصدقة حتى تحضرنا الوفاة ، وهذا العهد يقع في خيانتته كثير من أرباب الدنيا لطول أملهم وشدة بخلهم وحسد لهم لو أرتهم :

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ صادق يلطف كئائفه حتى يرق حجابيه وتصير الدنيا عنده كالتراب والموت عنده نصب عينيه ، وإلا فن لازمه الخيانة لهذا العهد غالباً :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان مرفوعاً : « مَا حَقَّ امْرِئٌ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيْتُ لِقَيْلَتَيْنِ » .

وفي رواية : « ثَلَاثَةٌ لِيَالٍ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ » والله سبحانه وتعالى أعلم .

وروى ابن ماجه مرفوعاً : « مَنْ مَاتَ عَلَى وَصِيَّةٍ مَاتَ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ » .

وروى ابن ماجه مرفوعاً : « الْمَحْرُومُ مِنْ حُرْمٍ وَوَصِيَّتُهُ » .

وروى أبو داود وغيره مرفوعاً : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ أَوْ الْمَرْأَةَ بَطَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سِتِّينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا الْوَفَاةُ فَيُضَارَّانِ فَيَجِبُ لَهُمَا النَّارُ » .

وروى النسائي مرفوعاً : « الْإِضْرَارُ فِي الْوَصِيَّةِ مِنَ الْكِبَائِرِ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « مَنْ فَرَّ بِمِيرَاثٍ وَارِثِهِ قَطَعَ اللَّهُ مِيرَاثَهُ مِنَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« لَأَنْ يَتَّصِدَّقَ الرَّجُلُ فِي حَيَاتِهِ وَصِحَّتِهِ بِدِرْهَمٍ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَّصِدَّقَ عِنْدَ حَوْنِهِ بِمِائَةِ » .

وروى أبو داود والترمذى : « مَثَلُ الَّذِي يَعْتِقُ عِنْدَ مَوْتِهِ مَثَلُ الَّذِي يَهْدِي بَعْدَ مَا شَبَحَ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نسرع بالجنائز تجميعا للدفن وإكراما للميت ومسارة لنعيم البرزخ ، بناء على مانعقد من فضل الله تعالى ومغفرته ورحمته للميت .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « أُسْرِهِوا بِالْجَنَازَةِ ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تَقَدُّمُوهَا إِلَيْهِ ، وَإِنْ تَكُ سَوِيًّا ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ » .

وروى أبو داود والنسائي أن أبا بكره لحق بجنائز عثمان بن أبي العاصي وهم يمشون مشيا خفيفا ، فقال بأعلى صوته : لقد رأيتنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ترمل رملا :

وروى أبو داود والترمذى عن ابن مسعود قال : سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المشي مع الجنائز فقال :

« مَا دُونَ الْخَبَبِ إِنْ يَكُنْ خَيْرٌ تَعَجَّلْ إِلَيْهِ ، وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَبَعْدًا لِأَهْلِ النَّارِ » .

والخبب : ضرب من العدو ، وقيل هو كالرمل والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن ندعو للميت ونحسن الثناء عليه خوفا من الوقوع في غيبته ، تصريحاً أو تعريضا ، فالتصريح ذكره بما يكره والتعريض مثل قول القائل إذا سمع أحدا يذكر الميت بسوء أريحانا من غيبة الناس كل شاة معلقة بعرقوبها ونحو ذلك ، فأن هذا اللفظ من قول القائل رحم الله فلانا ما كان أحسن

معاملته وما كان أحسن خلقه ونحو ذلك ، وفي التوربة مندوحة عن الكذب فإنه لا بد في أفعال التفضيل من وجود من يفضل عليه .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : ما ثم شيء في الوجود يماثل شيئنا آخر من جميع الوجوه أبدا فلا بد من زيادة أو نقص ولو بزيادة شعرة واحدة في لحيته أو رأسه .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو داود : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقفت عليه وقال :

« اسْتَفِرُّوْا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوْا لَهُ التَّنْبِيْثَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ » .

وروى أبو داود واللفظ له وابن ماجه عن أبي هريرة قال :

« مَرَّوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَنَازَةٍ فَأَتَمُّوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ وَجِبَتْ لَكُمْ مَرَّةٌ بِأُخْرَى فَأَتَمُّوْا عَلَيْهَا شَرًّا ، فَقَالَ : وَجِبَتْ لَكُمْ قَالَ : إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ شَهِيدٌ » .

وفي رواية للشيخين وغيرهما أن عمر قال يا رسول الله ما وجبت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أُنْتَبِئَ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ أُنْتَبِئَ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » .

وروى البخاري مرفوعا : « أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ نَفَرٍ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، قُلْنَا وَثَلَاثَةٌ ؟ قَالَ : وَثَلَاثَةٌ ، قُلْنَا وَاثْنَانِ قَالَ : وَاثْنَانِ ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ » .

وروى أبو يعلى وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَهْلُ أَيْبَاتٍ مِنْ جِبْرَانِ الْأَدْنِيِّينَ أَهْمٌ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْرًا إِلَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ قَبِلْتُ عَلَيْكُمْ وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » .
هذه رواية أبو يعلى .

وفي رواية للبخاري مرفوعا : « إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مِنْهُ شَرًّا ، وَتَقُولُ النَّاسُ فِيهِ خَيْرًا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَائِكَةِ قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِي عَلَى عَبْدِي وَغَفَرْتُ لَهُ عَلَيَّ فِيهِ » .

قلت : وروى الإمام سنيد في تفسيره :

« إِنَّ شَخْصًا مَاتَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَهِدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِيهِ بِالشَّرِّ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ شَهَادَتَهُمْ فِيهِ بِالشَّرِّ صَحِيحَةٌ وَلَكِنْ أَجَزْتُ شَهَادَةَ أَبِي بَكْرٍ تَسْكَرِمَةً لَهُ » وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وروى الإمام أحمد ورواه رواية الصحيح :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دُعِيَ إِلَى جَنَازَةٍ سَأَلَ عَنْهَا ، فَإِنْ أَثْنَى عَلَيْهَا خَيْرًا قَامَ فَصَلَّى عَلَيْهَا ، وَإِنْ أَثْنَى عَلَيْهَا غَيْرُ ذَلِكَ قَالَ لِأَهْلِهَا شَأْنَكُمْ بِهَا وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهَا » .

وروى أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« أَذْكَرُوا أَحْسَنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عَنْ مَسَآوِيهِمْ » .

ونقدم حديث أم سلمة في الصحيح مرفوعا :

« إِذَا حَضَرَ تُمْ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤْمِنُ بِمَا تَقُولُونَ » .

وروى البخاري في صحيحه مرفوعا : « لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ أُفْضُوا إِلَى مَا قَدَّمُوا » .

وروى البخاري أيضا وزاد ابن حبان عن مجاهد قال : قالت عائشة ما فعل يزيد بن قيس لعنه الله ؟ قالوا قدمات قالت فأستغفر الله فقالوا لها مالك لعنتيه ثم قلت أستغفر الله ؟ فقالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ » الحديث .

وفي رواية لأبي داود مرفوعا : « إِذَا مَاتَ صَاحِبِكُمْ فَدَعُوهُ وَلَا تَقْعُوا فِيهِ » وَاللَّهُ

تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نرغب إخواننا من الرجال في زيارة قبور أمواتهم كل قليل ، وذلك لنجazy على ذلك فلا ينسانا أهلنا من الزيارة إذا متنا ولا نترك ذلك إلا من عذر شرعى .

وقد روى الإمام سنيد بن عبد الله الأزدي في تفسيره :

« زُورُوا الْقُبُورَ وَلَا تُكْثِرُوا مِنْ زِيَارَتِهَا » .

أى خوفا من زوال الاعتبار بها كما هو شأن من يغسل الموتى ويحملهم ويحفر لهم . فإنك لا تكاد تجد عنده اعتبارا بذلك أبدا لكثرة مخالطته لهم وكذلك إذا سكن الإنسان في المقابر يذهب اعتباره ، بخلاف ما إذا كان بعيد العهد برؤية القبور وأشرف عليها فإنه يجد في نفسه الاعتبار والاتعاظ يتذكر أحوال الموتى وما ندموا عليه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إياكم أن تتخذوا لكم في القبور مساكن ومراحض فإن ذلك يؤدى إلى مكث الناس هناك فيذهب اعتبارهم بالأموات فقلت له ربما يقرعون ختموما فيها ، فقال الأفضل للفقهاء أن يتوضئوا خارج المقابر ، فإن المراحض ربما سرت إلى الأموات فأضرت بحالهم :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

« زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ قَبِيكَى وَأَبِيكَى مِنْ حَوْلِهِ ، فَقَالَ اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَعْفِرَ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تَذَكِّرُكُمْ الْمَوْتَ » .

وروى الإمام أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح :

« إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً » .

وفي رواية لابن ماجه باسناد صحيح : « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُرْهِدُ فِي الدُّنْيَا وَتَذَكِّرُ الْآخِرَةَ » .

وتقدم حديث الإمام سنيد : « زُورُوا الْقُبُورَ وَلَا تُكْثِرُوا » .

وروى الحاكم مرفوعا : « زُورُوا الْقُبُورَ تَذَكَّرُوا بِهَا الْآخِرَةَ » .

وفي رواية للترمذى : « كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَقَدْ أَدِنَ مُحَمَّدٌ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمَّهِ فزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُدَكِّرُ الْآخِرَةَ » .

قال الحافظ المنذرى رحمه الله : قد كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور نهيا عاما للنساء والرجال ثم أذن للرجال في زيارتها ، واستمر النهى في حق النساء ، وقيل كانت رخصة عامة وفي ذلك كلام طويل للعلماء والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نكثر من الاستعداد لأهوال يوم القيامة بالأعمال الصالحة ، وذلك بأن نفعل جميع ما أمرنا به على التمام ونجتنب جميع ما نهينا عنه على التمام من غير اعتماد عليه دون الله تعالى ، وكذلك نستعد لها بالتوبة من كل خلال وقعنا فيه : فإن كل من أدخل بشيء من النكاليف فمن لازمه مقاساة الأهوال والشدايد ومن بذل وسعه في مرضاة الله فهو من الذين :

(لَا يَخْزِبُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) وتقول لهم (هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) .

ولا يحصل لك يا أخى كمال الاستعداد إلا بالسلوك على يد شيخ مع شدة صبرك على مناقشته ، إلى أن لا يخلى عليك تبعة ظاهرة وينشر لك صحيفتك كلها ، فيطلعك على جميع زلاتك فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا ويحصيها عليك ، ويعلمك بطريق الخلاص منها بالتوبة منها ورد المظالم إلى أهلها ، وما لم يمكن رده يشفع لك فيه عند الله تعالى ، ويدعو لك حتى تموت إن شاء الله تعالى على حالة الاستقامة ، فإن شدة الأهوال يوم القيامة إنما تسكون على من أدخل بالأوامر الشرعية .

ولنبين لك يا أخى بعض أمور لتقيس عليها الباقي ، وذلك أن كل من بذل وسعه في طاعة الله تعالى حتى خرج منه العرق من شدة التعب خفف عرقه يوم القيامة ، فإن كل إنسان لا يخوض يوم القيامة إلا في للعرق الذى يجل باخراجه في طاعة الله كجالس الذكر وحفر الآبار وحمل الأثقال ونحو ذلك ومن آثر الدعة والراحة فلم يتعب في مرضاة الله تعالى خرج عليه العرق الذى حبس ولم يخرج في طاعة الله تعالى فيصل إلى خحال رجله فما فوقها إلى أن يغطى صاحبه ، وهكذا القول فيمن أطعم الفقراء والمساكين وأسقامهم لله تعالى فإنه لا يحس بجوع ولا عطش إلا بقدر ما فرط ، وكذلك القول في المشى على الصراط المنصوب

على ظهر جهنم يكون المشى عليه على حكم استقامة الإنسان على الشريعة المطهرة ، فنزل عنها هنا في أعماله ولم يقبل الله تعالى توبته زلت على الصراط ، وإما يتعلق بالكلايب حتى تدركه الشفاعة ، وإما يصل إلى النار فيمكث فيها ماشاء الله حتى تدركه الشفاعة لاسيما من زنى أو شرب الخمر أو ترك الصلاة أو لم يطعم المسكين ، أو خاض مع الخائضين فيما حرم الله تعالى من أعراض المؤمنين. وكذلك النهوض على الصراط سرعة وبطئا يكون على قدر ما كان عليه من النهوض للطاعة وسرعته فيها أو بطئه ، وكذلك القول في الشرب من الخوض يكون على قدر التضلع من العلوم الشرعية ، بشرط الإخلاص الكامل فيها :

فقس ياأخى على ذلك فما مع هول من أهوال يوم القيامة إلا وقد جعل الشارع صلى الله عليه وسلم له عملا مبرورا إذا عمله العبد نجا من ذلك الهول ، وقد حجب لي أن أذكر لك حديث مواقف القيامة من رواية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه ، فإنه ينبه على أمهات الأهوال رأيت في كتاب الفتوحات المكية في الباب الرابع والستين منها ولم أجده في شيء من الأصول التي اطلعت عليها من كتب المحدثين ، واسكن عليه لامعة كلام النبوة فأقول وبالله التوفيق :

قال الشيخ الإمام الكامل المحقق الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله : حدثني شيخنا القصار بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة وهو يونس ابن يحيى الهاشمي العباسي من لفظه وأنا أسمع ، قال أنبأنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي ، قال أنبأنا أبو بكر محمد بن علي المعروف بابن الخياط قال قرى علي أبي سهل محمود بن عمر بن إسحق العسكبرى وأنا أسمع قيل له حدثكم أبو بكر محمد بن حسين النقاش ، فقال نعم حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الطبري المروزي ، قال أنبأنا محمد بن حميد الرازي أبو عبد الله ، قال أنبأنا مسلمة بن صالح قال أنبأنا القاسم بن الحكم ابن سلام الطويل عن غياث بن المسيب عن عبد الرحمن بن غنيم وزيد بن وهب عن عبد الله ابن مسعود ، قال : كنت جالسا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده عبد الله بن عباس وعدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ فِي الْقِيَامَةِ تَلْمِيسِينَ مَوْقِفًا : فَأَوَّلُ مَوْقِفٍ إِذَا خَرَجَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ ، يَقُومُونَ عَلَى أَبْوَابِ قُبُورِهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ حُمَاءَ عُرَاةٍ جِيَاعًا عَطَاشًا ، فَمَنْ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ مُؤْمِنًا بِرَبِّهِ ، مُؤْمِنًا بِنَبِيِّهِ ، مُؤْمِنًا بِحِجَّتِهِ وَنَارِهِ ، مُؤْمِنًا بِالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ ، مُؤْمِنًا بِالْقَضَاءِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، مُصَدِّقًا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ نَجَا وَفَازَ وَسَعِدَ وَغَنِمَ ، وَمَنْ شَكَّ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا بَقِيَ فِي جُوعِهِ وَعَطَشِهِ وَغَمِّهِ وَكَرْبِهِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ .

ثُمَّ يُسْأَلُونَ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ إِلَى الْمَحْشَرِ فَيَقِفُونَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ أَلْفَ عَامٍ فِي سُرَادِقَاتِ النَّيِّرَانِ وَفِي حَرِّ الشَّمْسِ ، وَالنَّارُ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ ، وَالنَّارُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، وَالشَّمْسُ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ ، وَلَا ظِلٌّ إِلَّا ظِلُّ الْعَرْشِ ، فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى شَاهِدًا لَهُ بِالْإِخْلَاصِ مُقِرًّا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيئًا مِنَ الشِّرْكِ وَمِنَ السُّحْرِ وَمِنَ إِهْرَاقِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مُحِبًّا لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مُبْغِضًا لِمَنْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ اسْتَبْطَلَتْ تَحْتِ ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ ، وَنَجَا مِنْ غَمِّهِ وَمَنْ جَادَ عَنْ ذَلِكَ وَوَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الذُّنُوبِ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ تَعَيَّرَ قَلْبُهُ وَشَكَّ فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ بَقِيَ فِي الْحَشْرِ وَالْعَذَابِ وَالْهَمِّ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِمَا يَشَاءُ .

ثُمَّ تُسَاقُ الْخَلَاقُ إِلَى النُّورِ وَالظُّلْمَةِ فَيُقِيمُونَ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ أَلْفَ عَامٍ ، فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَمْ يَدْخُلْ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ النِّفَاقِ وَلَمْ يَشْكُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَأَعْطَى الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ ، وَقَالَ الْحَقُّ وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ وَأَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَرَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَنَعَ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ خَرَجَ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى النُّورِ فِي مِقْدَارِ طَرْفَةِ عَيْنٍ مُبْيَضًا وَجْهَهُ ، وَقَدْ نَجَا مِنَ الْهُمُومِ كُلِّهَا ، وَمَنْ خَالَفَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا بَقِيَ فِي الْهَمِّ وَالْغَمِّ أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا مُسْوَدًّا وَجْهَهُ وَهُوَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ يَفْعَلُ فِيهِ مَا يَشَاءُ .

ثُمَّ يُسَأَلُ الْخَلْقُ إِلَى سُرَادِقَاتِ الْحِسَابِ وَهِيَ عَشْرُ سُرَادِقَاتٍ فَيَتَفَنُونَ فِي كُلِّ سُرَادِقٍ مِنْهَا أَلْفَ سَنَةٍ فَيُسْأَلُ الْعَبْدُ فِي أَوَّلِ سُرَادِقٍ مِنْهَا عَنِ الْمُحَارِمِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا جَازَ إِلَى السُّرَادِقِ الثَّانِي فَيُسْأَلُ عَنِ الْأَهْوَاءِ فَإِنْ كَانَ لَمْ يَقَعْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا جَازَ إِلَى السُّرَادِقِ الثَّلَاثِ فَيُسْأَلُ عَنِ عُقُوبِ الْوَالِدِينَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَاقًا جَازَ إِلَى السُّرَادِقِ الرَّابِعِ فَيُسْأَلُ عَنِ حُقُوقِ مَنْ فَوَّضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ حُقُوقَهُمْ وَأُمُورَهُمْ وَعَنْ تَعْلِيمِهِمْ الْقُرْآنَ وَأُمُورِ دِينِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ فَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ جَازَ إِلَى السُّرَادِقِ الْخَامِسِ فَيُسْأَلُ عَمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا لَهُمْ جَازَ إِلَى السُّرَادِقِ السَّادِسِ فَيُسْأَلُ عَنِ حُقُوقِ قَرَابَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَدَّى حُقُوقَهُمْ جَازَ إِلَى السُّرَادِقِ السَّابِعِ فَيُسْأَلُ عَنِ صِلَةِ الرَّحِمِ ، فَإِنْ كَانَ وَضُوعًا لِرَحِمِهِ جَازَ إِلَى السُّرَادِقِ الثَّامِنِ فَيُسْأَلُ عَنِ الْحَسَدِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَاسِدًا جَازَ إِلَى السُّرَادِقِ التَّاسِعِ فَيُسْأَلُ عَنِ الْمَسْكَرِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَسْكَرًا بِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَازَ إِلَى السُّرَادِقِ الْعَاشِرِ فَيُسْأَلُ عَنِ الْخُدَيْعَةِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ خَدَعَ أَحَدًا نَجْمًا وَنَزَلَ فِي ظِلِّ عَرْشِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَارَةً عَيْنُهُ فَرَحًا قَلْبُهُ ضَاحِكًا فَوْهُ ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ وَلَمْ يَتُبَّ بَقِيَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ مِنْهَا أَلْفَ عَامٍ جَانِعًا عَطْشَانًا حَزِينًا مَغْمُومًا مَهْمُومًا لَا تَنْفَعُهُ شَفَاعَةُ شَافِعٍ .

ثُمَّ يُحْشَرُونَ إِلَى أَخَذِ كُتُبِهِمْ بِأَيْمَانِهِمْ وَشِمَائِلِهِمْ فَيُحْبَسُونَ عِنْدَ ذَلِكَ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ مَوْقِفًا كُلُّ مَوْقِفٍ مِنْهَا أَلْفَ سَنَةٍ فَيُسْأَلُونَ فِي أَوَّلِ مَوْقِفٍ مِنْهَا عَنِ الصِّدَقَاتِ وَمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ ، فَمَنْ كَانَ أَذَاهَا كَامِلَةً جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الثَّانِي فَيُسْأَلُ عَنِ قَوْلِ الْحَقِّ وَالْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ ، فَمَنْ عَفَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَجَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الثَّلَاثِ فَيُسْأَلُ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الرَّابِعِ فَيُسْأَلُ عَنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنْ كَانَ نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الْخَامِسِ فَيُسْأَلُ عَنِ حُسْنِ الْخُلُقِ ، فَإِنْ كَانَ حَسَنَ الْخُلُقِ جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ السَّادِسِ فَيُسْأَلُ عَنِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضِ فِي اللَّهِ ، فَإِنْ كَانَ مُحِبًّا لِلَّهِ مُبْغِضًا فِي اللَّهِ

جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ السَّابِعِ فَيُسْأَلُ عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنْهُ جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الثَّامِنِ فَيُسْأَلُ عَنْ شُرْبِ شَيْءٍ مِنَ الْخَمْرِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ شَيْئًا جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ التَّاسِعِ فَيُسْأَلُ عَنِ الْفُرُوجِ الْحَرَامِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَاهَا جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الْعَاشِرِ فَيُسْأَلُ عَنْ قَوْلِ الزُّورِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَهُ جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الْحَادِي عَشَرَ فَيُسْأَلُ عَنِ الْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَلَقَهَا جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الثَّانِي عَشَرَ فَيُسْأَلُ عَنْ أَكْلِ الرَّبَا ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكَلَهُ جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الثَّلَاثِ عَشَرَ فَيُسْأَلُ عَنْ قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَذَفَ الْمُحْصَنَاتِ وَلَا أَفْتَرَى عَلَى أَحَدٍ جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الرَّابِعِ عَشَرَ فَيُسْأَلُ عَنْ شَهَادَةِ الزُّورِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَهِدَهَا جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الْخَامِسِ عَشَرَ فَيُسْأَلُ عَنِ الْبُهْتَانِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَهَتَ مُسْلِمًا مَرَّةً فَنَزَلَ تَحْتَ لَوَاءِ الْأَمْدِ وَأُعْطِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَنَجَا مِنَ النَّعْمِ وَهُوَ لِهَ وَحُوسِبَ حِسَابًا بَسِيرًا ، وَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الذُّنُوبِ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ تَائِبٍ مَكَثَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ مِنْ هَذِهِ الْخَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ فِي النَّعْمِ وَالْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ بِمَا شَاءَ .

ثُمَّ يُقَامُ النَّاسُ فِي قِرَاءَةِ كُتُبِهِمْ أَلْفَ عَامٍ ، فَإِنْ كَانَ سَخِيًّا قَدْ قَدَّمَ مَالَهُ لِيَوْمِ فَقْرِهِ وَفَاقْتِهِ قَرَأَ كِتَابَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ قِرَاءَتُهُ وَكُتِبَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ ، وَتُوجَّجَ مِنْ تَيْجَانِ الْجَنَّةِ ، وَأُقْعِدَ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ آمِنًا مُطْمَئِنًّا ، وَإِنْ كَانَ بَخِيلًا لَمْ يُقَدِّمَ مَالَهُ لِيَوْمِ مَعَادِهِ وَفَقْرِهِ وَفَاقْتِهِ ، أُعْطِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ وَيُقَطَّعُ لَهُ مِنْ مُقَطَّعَاتِ النَّيِّرَانِ ، وَيُقَامُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ أَلْفَ عَامٍ فِي الْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالْعُرْيِ وَالْهَمِّ وَالنَّعْمِ وَالْحَزَنِ وَالْفُضِيحَةِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ .

ثُمَّ يُحْشَرُ النَّاسُ إِلَى الْمِيزَانِ ، فَيَقُومُونَ عِنْدَ الْمِيزَانِ أَلْفَ عَامٍ ، فَمَنْ رَجَحَ مِيزَانُهُ بِحَسَنَاتِهِ فَازَ وَنَجَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، وَمَنْ خَفَّ مِيزَانُهُ بِحَسَنَاتِهِ وَثَقَلَتْ سَيِّئَاتُهُ

حُبِسَ عِنْدَ الْمِيزَانِ أَلْفَ عَامٍ فِي أَلْمِ وَالْغَمِّ وَالْحُزْنِ وَالْمَذَابِ وَالْمَطَشِ وَالْجُوعِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ .

ثُمَّ تُدْعَى الْخَلَائِقُ إِلَى الْمَوْقِفِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي اثْنَيْ عَشَرَ مَوْقِفًا ، كُلُّ مَوْقِفٍ مِنْهَا مِقْدَارُ أَلْفِ عَامٍ ، فَيَسْأَلُ فِي أَوَّلِ مَوْقِفٍ عَنِ عِتْقِ الرَّقَابِ الَّتِي وَجِبَتْ عَلَيْهِ ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أُعْتِقَ رَقَبَةً أُعْتِقَ اللَّهُ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ وَجَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الثَّانِي فَيَسْأَلُ عَنِ الْقُرْآنِ وَحَقِّهِ وَقِرَاءَتِهِ ، فَإِنْ جَاءَ بِذَلِكَ تَامًا جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الثَّلَاثِ ، فَيَسْأَلُ عَنِ الْجِهَادِ ، فَإِنْ كَانَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُخْتَسِبًا جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الرَّابِعِ ، فَيَسْأَلُ عَنِ الْغِيْبَةِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ اغْتَابَ أَحَدًا جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الْخَامِسِ ، فَيَسْأَلُ عَنِ النَّسِيمَةِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَامًا جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ السَّادِسِ ، فَيَسْأَلُ عَنِ الْكُذْبِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَّابًا جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ السَّابِعِ فَيَسْأَلُ عَنِ الْإِخْلَاصِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنْ كَانَ طَلَبَ الْعِلْمَ خَالِصًا وَأَخْلَصَ فِيهِ وَعَمِلَ بِهِ جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الثَّامِنِ ، فَيَسْأَلُ عَنِ الْعُجْبِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعْجِبًا بِنَفْسِهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ ، جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الثَّمَانِيَةِ ، فَيَسْأَلُ عَنِ التَّكْبَرِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَكْبَرُ عَلَى أَحَدٍ جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الْعَاشِرِ ، فَيَسْأَلُ عَنِ الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الْحَادِي عَشَرَ ، فَيَسْأَلُ عَنِ الْأَمْنِ مِنَ مَسْكَرِ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِنَ مَسْكَرَ اللَّهِ جَازَ إِلَى الْمَوْقِفِ الثَّانِي عَشَرَ ، فَيَسْأَلُ عَنِ حَقِّ جَارِهِ ، فَإِنْ كَانَ أَدَّى حَقَّ جَارِهِ أَقِيمَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى قَرِيرَةً عَيْنُهُ فَوْحًا قَلْبُهُ مُبَيِّضًا وَجْهُهُ كَاسِيًا ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا فَيُرْحَبُ بِهِ رَبُّهُ وَيُبَشِّرُهُ بِرِضَاهُ عَنْهُ ، فَيَفْرَحُ عِنْدَ ذَلِكَ فَرَحًا لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَأْتِ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ تَامَةً وَمَاتَ غَيْرَ تَائِبٍ ، حُبِسَ عِنْدَ كُلِّ مَوْقِفٍ أَلْفَ عَامٍ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ .

ثُمَّ يُؤْمَرُ بِالْخَلَائِقِ إِلَى الصِّرَاطِ ، فَيَنْتَهَوْنَ إِلَى الصِّرَاطِ وَقَدْ ضُرِبَتْ عَلَيْهِ الْجُسُورُ عَلَى جَهَنَّمَ أَدَى مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ ، وَقَدْ غَابَتِ الْجُسُورُ فِي جَهَنَّمَ

مِقْدَارَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ عَامٍ وَلَمَبُّ جَهَنَّمَ بِجَانِبَيْهَا يَنْتَهَبُ ، وَعَدَلَيْهَا حَسَكٌ وَكَلَالِيْبٌ
 وَخَطَّاطِيْفٌ ، وَهِيَ تِسْعَةُ جُسُورٍ ، يُحْشَرُ الْعِبَادُ كُلُّهُمْ عَلَيْهَا ، وَكُلُّ جِسْرٍ مِنْهَا
 عَقَبَةٌ مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةَ أَلْفِ سَنَةٍ ، أَلْفَ سَنَةٍ صُعُودًا ، وَأَلْفَ عَامٍ أَسْتِوَاءً ، وَأَلْفَ عَامٍ
 هُبُوطًا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : (إِنْ رَأَيْتَ لِبَايْرُصَادٍ) يَعْنِي عَلَى أَهْلِ تِلْكَ الْجُسُورِ
 وَمَلَائِكَةٌ يَرْصُدُونَ الْخَلْقَ فِيهَا ، فَيُسْأَلُ الْعَبْدُ عَنِ الْإِيْمَانِ الْخَالِصِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنْ
 جَاءَ بِهِ مُخْلِصًا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا زَيْغَ جَازَ إِلَى الْجِسْرِ الثَّانِي فَيُسْأَلُ عَنِ الصَّلَاةِ ،
 فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَّةً جَازَ إِلَى الْجِسْرِ الثَّلَاثِ فَيُسْأَلُ عَنِ الزَّكَاةِ ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَّةً جَازَ
 إِلَى الْجِسْرِ الرَّابِعِ فَيُسْأَلُ عَنِ الصِّيَامِ ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ تَامًا جَازَ إِلَى الْجِسْرِ الْخَامِسِ ،
 فَيُسْأَلُ عَنِ حِجَّةِ الْإِسْلَامِ فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَّةً جَازَ إِلَى الْجِسْرِ السَّادِسِ فَيُسْأَلُ عَنِ الطَّهْرِ
 مِنَ الْحَدَثِ ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ تَامًا جَازَ إِلَى الْجِسْرِ السَّابِعِ فَيُسْأَلُ عَنِ الْمَظَالِمِ فَإِنْ كَانَ لَمْ
 يَظْلِمِ أَحَدًا جَازَ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ قَصَرَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ حُسِبَ عَلَى كُلِّ جِسْرٍ مِنْهَا
 أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ » اهـ الحديث .

ففتش يا أخى نفسك فإن كنت وقعت فى شىء من هذه الذنوب التى ذكرت فى المواقيت
 المذكورة فقد سمعت ما تجازى به وإن لم تكن وقعت فى شىء منها أو وقعت وقبل الله
 تعالى توبتك لم تقاس شيئاً من تلك الأهوال حتى تدخل الجنة برحمة الله تعالى ، ولكن
 من أين لك أن تعرف أن الله تعالى قبل توبتك فوالله لقد خلقنا لأمر عظيم تذهل فيه
 عقول العقلاء ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : كل الخلق تحت المشيئة ويخاف
 عليهم دخول النار ماعدا الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام ، وقد درج الأكابر
 كلهم على قدم الخوف مع عملهم بالمشريعة على الكمال ، فكيف يليق بغيرهم عدم الخوف ؟
 ولكن إبليس للخلق بالمرصاد ، فرمما طمع العصاة فى جانب العفو والمغفرة حتى تراكت
 عليهم الذنوب مع عدم التوبة حتى أتلف عليهم دينهم ، وكان ذلك من جملة مكر إبليس
 بهم . فالعاقل من عمل وخاف من الله عز وجل أن يدخله النار بذنوبه التى شملتها طاعاته
 فضلا عن معاصيه اهـ .

وكان أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : رأيت أن القيامة قد قامت وختمت ميزاني فلا تسأل ما حصل لي من النعم اه .
قلت . ورأيت أنا مرة أن الصراط قد نصب ، والخلق يصعدون ويزلقون ويقعون من مقدار قامة وأنا واقفت فجاءني ملك من الملائكة ، فقال لي مالك لا تصعد ، فقلت لأطبق فقال لي يكون معك شيء من الدنيا ، فقلت مامعى شيء ففتح كفى اليسار فأخرج من بين أصابعي نحو السفاية ، فقال ارمها وأنت تصعد فرميتها فصعدت :
(فَاتَّخَذُ اللَّهُ رَبًّا لِّلْعَالَمِينَ) .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .
ولنشرع بعون الله تعالى في قسم المناهى وهى أقل من المأمورات ، لأن الأصل في الوجود الطاعة اللهم إلا أن يجعل الأمر بالشىء نهى عن ضده فتكون بذلك أكثر من المأمورات : إذا علمت ذلك فنقول وبالله التوفيق :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتدين بفعل شىء من البدع المذمومة التى لا يشهد لها ظاهر كتاب ولا سنة ، وأن نجتنب العمل بكل رأى لم يظهر لنا وجه موافقته للكتاب والسنة إلا إن أجمع عليه .
ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى التبحر في معرفة الأحاديث والآثار والإحاطة بجميع أدلة المذاهب المندرسة والمستعملة ، حتى لا يكاد يعزب عن علمه من أدلتهم إلا النادر ، ولعله يخرج عن التقليد في أكثر الأحكام ، وأما من لم يبلغ هذا المقام فيجب عليه التقليد لمذهب معين وإلا وقع في الضلال .

وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يعرف من طريق كشفه كل مسألة لها دليل من كلام الشارع ويقول : لا يبلغ الرجل عندنا مقام الكمال حتى يعرف يقينا ما كان من كلام الشارع ، وما كان من كلام الصحابة وما كان من القياس وما كان رأيا خارجا عن موافقة ما ذكرناه قال : ومثل هذا رأى هو الذى يرمى به وليس لأحد أن يعمل به قال فكل من لم يبلغ مرتبة التبحر في علوم الشريعة ومعرفة أدلة المذاهب فن لازمه الوقوع في التدين بالآراء التى لا يكاد يشهد لها كتاب ولا سنة :

فتبحر يا أخى في علوم الشريعة وأعط الجلد من نفسك في المطالعة والحفظ لأحاديث الشريعة وكتب شراحها وحفظ مقالاتهم ، حتى تكون عارفا بجميع المذاهب ، لأنها بعينها

هي مجموع الشريعة المطهرة ، وربما تدين مقلد في مذهب بقول إمامه من طريق الرأي فصحت الأحاديث في مذهب آخر بضم ذلك الرأي ، فوقف مع مذهبه ففاته العمل بالأحاديث الصحيحة فأخطأ طريق السنة ، قال وقول بعض المقلدين لولا أن رأي إمامي دليلا ما قال به ججود وقصور مع أن نفس إمامه قد تبرأ من العمل بالرأي ونهى غيره عن اتباعه عليه اه .

وكان أخى أفضل الدين يقول : محل العمل برأي الإمام الذي لا يعرف لقوله مستند ما إذا لم نطلع على دليل يخالفه فهناك ينبغي لنا إحسان الظن بقوله ونقول لولا أنه رأي لقوله دليلا ما قاله أما إذا اطلعنا على دليل فلنا تقديم العمل به على كلام المجتهد إذا كان مثلنا من أهل للنظر الصحيح ، ويحمل كلام ذلك الإمام على أنه لم يظفر بذلك الدليل ولو ظفر به لعمل به اه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : يحتاج من يريد التقيد على العمل بالكتاب والسنة ويمتنب العمل بالرأي إلى التبصر في علم العربية وعلم المعاني والبيان والنحو في لغة العرب حتى يعرف مواطن طرق الاستنباط ، ويعرف أقوال العرب ومجازاتها واستعاراتها ويعرف ما يقبل التأويل من الأدلة ومالا يقبلها اه .

قلت : وقد من الله تعالى على بالاطلاع على أدلة مذاهب الأئمة الأربعة وغيرها وعرفت مستند أقوالهم في جميع أبواب الفقه فما من قول من أقوالهم إلا ورأيت مستندا إلى دليل إما إلى آية وإما إلى حديث وإما إلى أثر وإما إلى قياس صحيح على أصل صحيح وصارت مذاهب الأئمة الأربعة بحمد الله الآن عندي كأنها منسوجة من الشريعة المطهرة سداها ولحمها ، كما يعرف ذلك من طالع كتابي مختصر السنن الكبرى للإمام البيهقي رحمه الله ، وكل من لم يطلع على أدلة المذاهب كما ذكرنا فلا يعرف يميز مسائل الرأي من النص ، وربما وقع في العقائد الزائفة وعمل بالمذاهب الباطلة إلا أن يحكم التقيد بمذهب محدد .

وقد كان الإمام أبو القاسم الجتيد رحمه الله يقول : لا يكمل الرجل عندنا في طريق الله عز وجل حتى يكون إماما في الفقه والحديث والتصوف ، ويحقق هذه العلوم على أهلها اه .

فعلم أنه لا ينبغي لمن يدعى العلم بالشريعة أن يكتفى بما فهمه هو منها بغير شيخ كما وقع

لبعض أهل عصرنا فإنه بمجرد ما صار يفهم اشتغل بالتأليف وترك القراءة على العلماء فصار في جانب والعلماء في جانب ، وبعد عن معرفة الراجح عند علماء زمانه فخالفوه ولم ينتفع أحد بعلمه ولو أنه صبر في القراءة على الأشياخ حتى أجازوه بالفتوى والتدريس لذكوه وأقبلت الناس عليه بعد مشايخه فاعلم ذلك .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله يقول : قل أن يجتمع في شخص في عصر من الأعصار علم الفقه والحديث والتصوف ، قال ولم يبلغنا أنها اجتمعت في أحد بعد الطيبي صاحب حاشية الكشاف إلى وقتنا هذا ، ومن اجتمعت فيه هذه العلوم الثلاثة فهو الذي ينبغي أن يلقب بشيخ أهل السنة والجماعة في عصره ، ومن لم يلقبه بذلك فقد ظلمه .

فطالع يأخى كتب أهل السنة المحمدية وكتب علمائها وكتب الأصوليين ووسائل الصوفية ولو سلكت الطريق على يد شيخ خوفا من أن يزل لسانك بشيء من علوم الدائرة الباطنة فينكره عليك العلماء فيقل نفعك للناس بخلاف ما إذا عرفت سياج العلماء فتصير تخرج لهم من العلوم ما يقبلونه وتكتم عنهم ما لا يقبلونه فإن رد العلماء على الصوفية إنما هو لدقة مدارك الصوفية عنهم لا غير ، فلا يلزم من الرد عليهم فساد قلوبهم في نفس الأمر كما قال الغزالي رضي الله عنه : كسنا ننكر على القوم أمورا حتى وجدنا الحق معهم قال تعالى :

(بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) وقال تعالى : (وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ) اه .

ومما يؤيد كلام الغزالي رحمه الله قول الإمام أبي القاسم الجنيد رحمه الله : كان عندي وقفة في قلوبهم يبلغ الذاكر في الذكر إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يحس ، إلى أن وجدنا الأمر كما قالوا ، فعلم أن النفوس لم تزل تحتج وتميل في العمل إلى ماعليه الأكثر بحكم التقليد ، وتقدم العمل به لكثرة العاملين به بخلاف ماعليه البعض ، فإنه كالطريق التي سالكها قليل فلا يجد السالك فيها من يستأنس به في العمل فتصير عنده وحشة فتأمل .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : يحكى عن سيدي إبراهيم المتبولي

رضى الله عنه أنه كان يقول : لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حكمة كل حرف تكرد في القرآن ، ويخرج منه سائر الأحكام الشرعية إذا شاء .

وسمعه رضى الله عنه يقول : لا يبلغ العبد مقام السكالم حتى يكون إماما في التفسير والفقه والحديث ، ويسلك الطريق على يد شيخ عارف بالله تعالى حتى بصير يعرف الطريق بالذوق لأبوالوصف والسماع ، وهناك يدخل الحضرات المحمدية ويعرف أحكام الشريعة المطهرة ، ويميزها من سائر البدع لأن السكالم من شرطه أن لا يكون له حركة ولا سكون في ليل أو نهار لإعلى الميزان الشرعى .

وسمعه يقول أيضا : من شرط السكالم الاطلاع من طريق كشفه على جميع أقوال المجتهدين ، ويميز الرأى من أقوالهم ويعرف ماوافق الصواب في نفس الأمر من أقوالهم وما خالفه .

وسمعه أيضا يقول : كان الأشياخ المتقدمون يقولون : لا يجوز لعبد أن يتصدر للطريق إلا إن علم من نفسه التقييد على الكتاب والسنة ، ويكون ظاهره محفوظا من سائر البدع ، وذلك لئلا يقع في شيء من البدع فيتبعه المريدون عليه فيضل في نفسه ويضل غيره ، ويكتب من أئمة الضلال وقد بسطنا الكلام على ذم الرأى في أوائل كتابنا مختصر السنن الكبرى للبيهقى رحمه الله فراجعه .

وسمعت سيدى عليا التبتى رضى الله عنه يقول لفقيه : إياك يا ولدى أن تعمل برأى رأيتة مخالفا لما صح في الأحاديث ، وتقول هذا مذهب إمامى ، فإن الأئمة كلهم قد تبرعوا من أقوالهم إذا خالفت صريح السنة ، وأنت مقلد لأجدهم بلا شك ، فالك لا تقلدهم في هذا القول وتعمل بالدليل كما تقول بقول إمامك الاحتمال ، أن يكون له دليل لم تطلع أنت عليه ، وذلك حتى لاتعطل العمل بواحد منهما .

ثم إن المراد بالرأى المذموم حيث أطلق في كلام أهل السنة أن لا يوافق قواعد الشريعة المطهرة ، وليس المراد به كل ما زاد على صريح السنة مطلقا ، حتى يشمل ما شهدت له قواعد الشريعة وأدلتها ، فإن ذلك لا يقول به عاقل ويازم منه رد جميع أقوال المجتهدين التي لم تصرح بها الشريعة ولا قائل بذلك .

وروى الإمام البيهقى في باب القضاء من السنن الكبرى أن الرأى المذموم حيث أطلق فهو كل ما لا يكون مشبها بأصل قال وعلى ذلك يحمل كل ماورد في ذم الرأى اه

ومما رويناه عن الأئمة المجتهدين في تبرئهم من القول بالرأى في دين الله أن ابن عباس وعطاء وتبعهما على ذلك الإمام مالك كانوا يقولون : كل أحد مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه يقول : حرام على من لا يعرف دليلى أن يفتى بكلامى ، وكان إذا أفتى أحدا بفتوى يقول : هذا رأى أبى جنيقة وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب .

وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي . وكان يقول : إذا رأيتم كلامى يخالف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعملوا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم واضربوا بكلامى الحائط :

وقال للمزنى حين قلده في مسألة : لا تقلدنى يا إبراهيم في كل ما أقول وانظر لنفسك فإنه دين ، وكان يقول في المسألة إذا رأى دليها ضعيفا لو صح الحديث لقلنا به ، وكان أحب إلينا من القياس .

وفي رواية : إذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بأبى هو وأمى شىء لم يحل لنا تركه ولا حجة لأحد معه :

وفي رواية : لا حجة لأحد مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كثروا لا في قياس ولا في شىء فإن الله تعالى لم يجعل لأحد معه كلاما ، وجعل قوله يقطع كل قول .

وقد جمعنا كلام الإمام كله في ذلك في مقدمة كتابنا المسمى بالمنهج المبين .
وأما الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فحالته معلوم في اتباع السنة حتى إنه اختفى أيام المحنة ثلاثة أيام ، ثم خرج فقيل له إنهم الآن يطلبونك ، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمكث في الغار حين اختفى من الكفار أكثر من ثلاث :

وبلغنا أنه لم يدون له في الفقه كلاما قط خوفا أن يخالف رأيه كلام الشارع صلى الله عليه وسلم .

وكان يقول أو لأحد كلام مع الله ورسوله؟ وجميع مذهبه ملفق من صدور أصحابه : وكان يقول : لا يكاد أحد ينظر في كتب الرأى إلا وفي قلبه دغل . وكان يقول : إذا رأيتم في بلد صاحب حديث لا يدري صحيفه من سقيمته وهناك صاحب رأى ، فاسألوا من صاحب الحديث ولا تسألوا من صاحب الرأى .

وكان يقول : لا تقلدوا في دينكم فإنه قبيح على من أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها

ويعشى في الظلام، ولعله يشبر به إلى العقل الذي جعله الله آية يميز بها بين الأمور ويستبصر بها في دينه .

وكان يقول : لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا الأوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم
وخذوا الأحكام من حيث أخذوا اه :

قلت : وهو محمول على من كان فيه قوة النظر ، وإلا فقد صرح العلماء بأن التقليد أولى لضعيف النظر فاعلم ذلك والله أعلم .

وروى الإمام مالك بلاغا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوَا مَا تَمَسَّكْتُمُ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ » .

وروى الترمذي مرفوعا : « إني تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوَا كِتَابَ

اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي » .

زاد في رواية : « فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا » .

والمراد بأهل بيته العلماء منهم كعلى وابن عباس والحسن والحسين والله أعلم :

وفي حديث أبي داود وغيره مرفوعا :

« فَمَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُوا

عَلَيْهَا بِاللِّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » .

وروى البخاري عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنْ أَحْسَنَ الْخَلْدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا » .

وروى أيضا : « تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ الظَّالِمِينَ » .

أى الذين يتكلمون في دين الله بالظن ، ذكره في أول كتاب الفرائض موقوفا على

ابن مسعود :

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « مَنْ أَخْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ

فَهُوَ رَدٌّ » .

وروى أبو داود مرفوعاً : « مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ حَقِّهِ » .

وسبأني جملة من الأحاديث الواردة في الرياء في العلم في العهد الذي عقبه إن شاء الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون بتأخير الأوامر الشرعية ، بل نبادر لفعلها ولا نستأذن في ذلك أحداً لعلمنا بأن الأوامر الشرعية لا تصخذ حباله للاستدرج بخلاف الأمور المستنبطة فرمما ههنا الاستدرج فلا نفضل شيئاً منها إلا بعد قولنا بتوجه تام دستور يارسول الله نفعل كذا وكذا مما أذنت للأئمة أن يسنوه في عموم قولك :

« مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا » .

ثم لانشرع في العمل بذلك إلا بعد سماع الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذانتنا لفظاً ، فإن لم نسمع إذنه لنا لفظاً تمهلنا حتى يلقى الله تعالى في قلبنا إذنه صلى الله عليه وسلم لنا ورضاه بذلك الفعل منة ، وأن عملنا به أحب إليه صلى الله عليه وسلم من ترك العمل ، وذلك لأن البدعة ولو استحسنت قد لا يرضها الله ورسوله بقريته ما رواه ابن ماجه والترمذي مرفوعاً :

« مَنْ أبتدع بدعة ضلالةٍ لا يرضها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها » اه .

فمن هنا قلنا إن من الأدب أن نستأذنه صلى الله عليه وسلم في كل ما لم تصرح به الشريعة بخلاف ما صرحت به الشريعة ، فلا يحتاج إلى استئذان بل قال بعضهم من احتاج إلى إذن فيها فإيمانه مدخول فليحدد إيمانه ، ويقول لا إله إلا الله ويلحق بما صرحت به الشريعة في عدم استحباب الاستئذان فيه ما أجمع عليه .

وإيضاح ذلك أن الوقوف على حد ماورد أكمل في الاقتداء به صلى الله عليه وسلم من اتباع البدعة ولو استحسنت ، لأننا في حال الوقوف على حد الشريعة متبعون ، وفي حال تعدينا لحدودها الصريحة مبتدعون ، ولو بالاسم ، وأيضاً فإن نظر الشارع أتم وأكمل من

نظرننا ، ولو بلغنا للغاية في الفهم على أنه قد استقرىء أنه ماتعدى أحد الشريعة وعمل ابتدع إلا وأخل بجانب كبير من صريح السنة المحمدية .

وإيضاح ذلك أن الله تعالى أنزك الشريعة على أعلى غاياتها ، فما ترك إلا ما علم تعالى أن خواص عباده لا يقدرين على المداومة عليه ، وجعل لكل أمور شرعى وقتا ، فإذا زاد العبد على ذلك أخذ ذلك المزداد وقت غيره من باقى المأمورات ، ولم يبق له وقت يفعله فيه فنزل هذا زاد بدعة وترك سنة أو سننا بحسب ماذهب فى الابتداء ، وأيضا فإن الله تعالى ماضمن المساعدة والمعونة إلا للعامل بما شرعه تعالى أو شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم عن إذنه لاغيره وأما شرعه غيره فلم يضمن للعامل به المعونة ، كما أن من سافر إلى مكة بالزاد يحصل له المعونة من الله ذاهبا وراجعا لأنه سافر تحت الأمر ، بخلاف من يسافر بلا زاد لأنه لم يسافر تحت الأمر الإلهى ، فلذلك كان بقاى من الشدائد ما لا يحصى .

وسمعت سبلى عاىا الخواص رحمه الله يقول : لو صفت القلوب كما أمر الله تعالى لوجد أصحابها جميع مااستنبطه المجتهدون من القرآن بالمنطوق به على حد سواء ، فإن الله تعالى يقول :

(مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) .

ولكن لما أظلمت القلوب وتكدرت من أكل الحرام والشبهات وارتكاب المعاصى والآثام خفى عليهما منازع الأئمة وسموا كلامهم رأيا والحال أن كلامهم من صلب السنة اه . وكان الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله يقول : من أعطى الفهم فى كتاب الله لا يحتاج قط إلى قياس ، فإذا جاء لمسألة ضرب الوالدين مثلا فلا يحتاج فى القول بتحريمه إلى قياس الضرب على التأفيف ، وإنما يأخذ ذلك من مضمون قوله تعالى :

(وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا) .

ومعلوم أن الضرب ليس بإحسان ، فما احتجنا هنا إلى قياس وقس على ذلك اه . فقف ياأخى عن العمل بكل شىء لم تصرح الشريعة بحكمه ولم تجمع العلماء عليه ولا تعد فإن الله لا يؤاخذك إلا بما صرحت به الشريعة ، كما أنه لا يؤاخذ الصحابة إلا بما صرح به القرآن والسنة ، وقدر ياأخى نفسك أنك فى زمن الصحابة ، وقيل وجود جميع المذاهب هل كان الحق تعالى يؤاخذك إلا بمخالفة ماصرحت به الشريعة ، فكذلك القول الآن .

وقد ورد على شخص من الفقهاء فقال لى مررت البارحة على شخص من علماء المالكية زائرا فقلت له عند الانصراف ، اقرءوا لنا الفاتحة فأبى وقال ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بقراءتها عند الانصراف ، فقلت لهذا الزائر الأمر سهل ليس علينا وزر إذا قرأنا الفاتحة عند الانصراف ، ولا إذا لم نقرأها فنمت تلك الليلة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعاتبني على قولي الأمر سهل ، ثم أمرني بمطالعة مذهب الإمام مالك ، فطالعت الموطأ والمدونة الكبرى ثم اختصرتها ولفظه صلى الله عليه وسلم : يا عبد الوهاب عليك بالاطلاع على أقوال إمام دار هجرتي والوقوف عندها فإنه شهد آثارى اه فعلمت بالقرائن من كلامه صلى الله عليه وسلم أن الوقوف على حد ماورد أحب إليه صلى الله عليه وسلم مما ابتدع وإن استحسن إلا إن أجمع عليه .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى مجاهدة ورياضة شديدة على يد شيخ ناصح ليستنير قلبه ويصير أهلا لحالته صلى الله عليه وسلم في حال عمله لسنته على الكشفت والشهود أو على الإيمان والتسليم كالأعمى يعرف أنه جليس زيد ، وإن كان لا يراه ؛ فعلم أن من عمل بشيء من الأوامر الشرعية غافلا عن شهود المشرع فما أدى الأدب معه حقه لأنه ماشرعه لك إلا لتحضر معه فيه .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : ينبغي للعالم أن يشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل فعل خالف صريح ماورد في السنة ، وشهدت له ظواهر الشريعة وعموماتها كما في مسألتنا هذه فقد شهد لها عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَدْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا تَفَرَّقُوا عَلَى أَنْتَنَ مِنْ جِيْفَةِ حِمَارٍ » .

رواه الطبراني وغيره . فيلحق مثل هذا بصريح السنة ولا حرج على فاعله بل له الأجر في ذلك ، وعلى هذا فتكون قراءة الفاتحة عند الانصراف وقبل التفرق أولى من تركها كزيادة العمامة على سبعة أذرع ، وكأخذ المعلوم على شيء من القربات الشرعية من إمامة وخطابة وتدريس علم وقراءة قرآن ونحو ذلك وإن لم يسمع لفظه صلى الله عليه وسلم له بالإذن لأن ذلك أدب على كل حال والله أعلم .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » .

وفي رواية لأبي داود : « مَنْ صَنَعَ أَمْرًا كَلَى غَيْرِ أَمْرِنَا فَهُوَ رَدٌّ » .

وروى الإمام أحمد وغيره أن عصب بن الحرث رضى الله عنه قال : بعث إلى عبد الملك ابن مروان وقال إنا قد جمعنا الناس على أمرين رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة والقصص بعد الصبح والعصر فقال أما إنهما أمثل بدعكم عندي ولست بمحببكم إلى شيء منهما ، قال ولم ، قال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بَدْعَةً إِلَّا رُفِعَ مِثْلُهَا مِنَ السُّنَّةِ » .
فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة .

وروى الطبراني وغيره مرفوعا : « مَا تَزَلَّ ظِلُّ السَّمَاءِ مِنْ إِلَهٍ يُعْبَدُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ هَوَى مُتَّبِعٍ » .

وروى الطبراني مرفوعا بإسناد حسن : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَبَّبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ بَدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بَدْعَتَهُ » .

وروى الطبراني بإسناد صحيح عن عمر بن زرارة قال : وقف على عبد الله بن مسعود وأنا أقص فقال يا عمر لقد ابتدعت بدعة ضلالة ، أو أنت أهدي من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟ قال : فلقد رأيتم تفرقوا عنى حتى ما بقى عندي أحد والله أعلم :
(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نجيب سائلا سألنا عن مسألة في العلم إلا إن علمنا من أنفسنا ، ومن السائل الإخلاص فإن لم نعلم ذلك تربصنا بالجواب ولو مكثنا سنة وأكثر حتى نجد إخلاصا لأن الخوض في العلم بلا إخلاص معصية وبتقدير إخلاصنا في العلم دون السائل فلا نساعد عليه . وطريقنا إذا علمنا من أنفسنا الرياء في العلم أن نجاهد أنفسنا على التخلص من الرياء فيه والإعجاب به ونأمر بذلك إخواننا ثم نعلمهم بعد ذلك .

وكان سفيان الثوري رضى الله عنه إذا لاموه على عدم جاوسه لتعليم الناس العلم يقول :
والله لو علمنا منهم أنهم يطلبون بالعلم وجه الله العظيم لأنيناهم في بيوتهم وعلمناهم ،
ولكنهم يطلبون العلم ليجادلوا به الناس ويحترفوا به أمر معاشهم .
وكان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول : لو صححت النية في العلم لم يكن عمل يقدم عليه إلا العمل وما يحتاج منه ولكن تعلموه لغير العمل :

وحكى أن سفيان الثوري دخل على الفضيل يوما فقال يا أبا علي عظما بموعظة ، فقال للفضيل وماذا أعظكم كنتم معاشر العلماء سرجا يستضاء بكم في البلاد فصرتم ظلمة ، وكنتم نجوا ما بهتدى بكم في ظلمات الجهل فصرتم حيرة ، يأتي أحدكم إلى هؤلاء الأمراء فيجلس على فراشهم ويأكل من طعامهم ثم بعد ذلك يدخل المسجد فيجلس يدرس العلم والحديث ويعظ الناس ويقول حدثني فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والله ما هكذا كان من يحمل العلم فبكي سفيان ثم انصرف .

وكان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول : إذا رأيتم العالم أو للعابد ينشرح لذكوره بالعلم والصلاح في مجالس الأمراء والأكابر فاعلموا أنه مرء .

وكان سفيان بن عيينة رضى الله عنه يقول : من علامة الرياء في طلب العلم أن يخطر في باله أنه خير من العوام لأجل العلم ، ومن فعل ذلك مات قلبه فإن العلم لا يحيى قلب صاحبه إلا إن أخلص فيه ، وذلك أنه إذا تكبر به صار وجهه للدينا وظهره لحضرة الله عز وجل .

واعلم أن راحة الحضرة هي التي بها حياة القلوب فالإقبال عليها يحيى والإدبار عنها يميت ، كما مات قلب الكفار حين أعرضوا عن الله عز وجل . وكان يقول أيضا : إذا رأيتم طالب العلم كلما ازداد علما ازداد جدالا ورغبة في الدنيا فلا تعلموه .

وكان كعب الأحبار رضى الله عنه يقول : سياتى على الناس زمان يتعلم جهالهم العلم ويتغابرون به على القرب من الأمراء كما يتغابرون على النساء ، أو كما يتغابرون على الرجال فذلك حظهم من علمهم .

وكان صالح المري رضى الله عنه يقول : من علامة إخلاص طالب العلم أن ينشرح صدره كلما وصفه الناس بالجهل والرياء والسمعة ، كما أن من علامة ريائه انقباض قلبه . من ذلك : وكان يقول : احذروا عالم الدنيا أن تجالسوه خوفا أن يفتنكم بزخرفة لسانه ومدحه للعلم وأمله من غير عمل به . وكان يقول : ربما كان علم العالم زاده إلى النار فلا ينبغي لأحد أن يفرح بعلمه إلا بعد مجاوزة الصراط ، وهناك يعلم حقيقة علمه هل هو حجة له أو عليه .

وكان إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه يقول : يهتفت العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل : وكان يقول . مررت بحجر مكتوب عليه قلبي معتبر : فقلبتة فإذا عليه مكتوب : أنت بما تعلم

لا تعمل فكيف تطلب علم مالا تعلم ؟ وكان يقول اطلبوا العلم للعمل فإن أكثر الناس قد غلطوا في ذلك فصار علمهم كالجبال وعملهم كالحبباء .

وكان ذو النون المصرى رضى الله عنه يقول : أدركنا الناس وأحدهم كلما ازداد علما ازداد في الدنيا زهدا وتقللا من أمتعتها ، وزاهم اليوم كلما ازداد أحدهم علما ازداد في الدنيا رغبة وتكثيرا لأمتعتها . وكان يقول : كيف يكون طالب العلم عاملا به وهو ينام وقت الغنائم ووقت فتح الخزائن ووقت نشر العاوم والمواهب في الأسحار لا يتبهجد من الليل ساعة .

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول : كيف تعلمون هؤلاء العلم وهم يأكلون من الحرام والشبهات والله إنهم كالأموات الذين يرتعون في النار ولو أنهم كانوا أحياء لوجدوا ألم النار في بطونهم من هذه الدار .

وكان منصور بن المعتمر رضى الله عنه يقول لعلماء زمانه : لستم علماء ، وإنما أنتم مقلدون بالعلم يسمع أحدكم المسئلة ويحكىها فقط ، ولو أنكم كنتم تعملون بعلمكم لتجرعتم الغصص فإن العلم كله محثكم على التورع في المأكل والملبس حتى لا يجد أحدكم رغبنا يأكله ولاخرقة يوارى بها عورته ، والله لقد لبست الحصير كذا كذا شهرا حتى وجدت ثوبا من حلال .

وكان الربيع بن خثيم يقول : كيف يرائى العالم بما يعلم مع علمه بأن كل مالا يتغنى به وجه الله يضمحل ، وكان إذا دخل عليه أمير على غفلة وهو يدرس العلم يغتم لذلك ، وكان إذا بلغه أن أحدا من الأمراء عازم على زيارته لا يدرس علما ذلك اليوم خوفا أن يراه ذلك الأمير وهو في محفل درسه العظيم . وكان يقول : من علامة المخلص في علمه أن ينقبض في نفسه إذا مدحه الأكابر ويتأثر كما يتأثر بمن اطلع عليه وهو يزنى :

وكان الحسن البصرى يقول : يقبح على طالب العلم أن يشيع من الحلال في هذا الزمان فكيف بمن يشيع من الحرام ، والله إنى أود أن الأكلة تصير في بطنى كالآجرة فمكفنى حتى أموت فإنه بلغنا أنها تمكث في الماء ثلثمائة عام وأكثره ؛ وكان يقول ورع العلماء إنما يكون في الشبهات وإنما ورعهم اليوم عن المعاصى الظاهرة ؛ وكان يقول بلغنا أنه يأتي آخر الزمان رجال يتعلمون العلم لغير الله كي لا يضيع ، ثم يكون عابهم تبعته يوم القيامة ، فليفتش الإنسان نفسه .

وكان بكر بن عبد الله المزني رضى الله عنه يقول : علامة المرائى بعلمه أن يرغب الناس في العلم ليقروا عليه ، ثم إنه إذا شاوره أحد في القراءة على غيره لا يرغبه كل ذلك العرييب :

وكان عبد الله بن المبارك رضى الله عنه يقول : قد غلب على القراء في هذا الزمان أكل الحرام والشبهات حتى أنهم غرقوا في شهوة بطونهم وفرجهم واتخذوا علمهم شبكة يصطادون بها الدنيا فإياكم ومجالستهم . وكان يقول لولا نقص دخل على أهل الحديث والفقهاء لسكانوا أفضل الناس ولكنهم صاروا يتفرون بعلمهم ويصطادون به الدنيا فهانوا في ملكوت السموات والأرض . وكان يقول من عقل الرجل أن لا يطلب الزيادة من العلم إلا إذا عمل بما علم فيتعلم العلم كي يعمل به إذ العلم إنما يطلب للعمل .
وكان الشعبي رضى الله عنه يقول : اطلبوا العلم وأنتم تبيكون ، فإن أحدكم إنما يريد به زيادة إقامة الحجة على نفسه يوم القيامة .

ولما ترك بشر الحافي الجلوس لإملاء الحديث قالوا له ماذا تقول لربك إذا قال لك يوم القيامة لم لاتعلم عبادى العلم ؟ فقال أقول له يارب قد أمرتني فيه بالإخلاص ولم أجد في نفسي إخلاصا :

وكان سفيان الثوري يقول : إذا رأيت طالب العلم يخلط في مطعمه ويأكل كل ما وجد فلا تعلموه للعلم فإن من لا يعمل بعلمه شبيهه بشجر الخنظل كلما ازداد دريا بالماء ازداد مرارة . وكان يقول لو أن عبدا تعلم العلم كله ثم عبد الله تعالى حتى يصير كالسارية أو الشن البالى ثم لم يفتش على ما يدخل جوفه أحلال هو أم حرام ما تقبل الله منه . وكان يقول والله لقد أدركنا أقواما يروضون الطالب سنين كثيرة ولا يعلمونه شيئا من العلم حتى يظهر لهم صلاح نيته في العلم .

وكان عبد الرحمن بن القاسم يقول : خدمت الإمام مالك رحمه الله تعالى عشرين سنة فكان منها سنتان في العلم وثمانية عشر سنة في تعليم الأدب ، فياليتني جعلت المدة كلها أدبا .
وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول : قال لى مالك رحمه الله يا محمد اجعل علمك ملحا وأدبك دقيقا .

وقال أبو عصمة : بت ليلة عند الإمام أحمد أطلب الحديث فوضع لى إناء فيه ماء للتهجد فجاء لى صلاة الصبح فوجد الإناء بحاله ، فقال لى لماذا جئت ؟ فقلت جئت أطلب الحديث فقال كيف أعلمك الحديث وليس لك تهجد فى الليل ؟ اذهب لحمال سبيلك :

وكان عبد الله بن المبارك رضى الله عنه يقول : من حمل القرآن ثم مال بقلبه إلى الدنيا فقد اتخذ آيات الله هزوا ولعبا ؛ وكان يقول إذا عصى حامل القرآن ربه ناداه القرآن من جوفه والله ما لهذا أحمل ، أين مواعظي وزواجري وكل حرف مني يقول لك لانهص ربك . وكان النووي رحمه الله يقول : عليكم بالإخلاص في العلم لينفع الله تعالى به العباد ، قال ولم يبلغنا عن أحد من العلماء غير العاملين أنه روى بعد موته فقال غفر الله لي بعلمي أبدا قال ومن الدلائل الصريحة على رياء العالم أن يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره : وكان الشافعي رضى الله عنه يقول : ينبغي للعالم أن يكون له خبيثة من العمل الصالح فيما بينه وبين الله عز وجل ولا يعتمد على العلم فقط فإنه قليل الجدوى في الآخرة اهـ . وأقوال العلماء في الإخلاص في العلم كثيرة مشهورة :

وكان شيخنا الشيخ شمس الدين السمانودي رحمه الله تعالى إذا تفرس فبمن يطلب العلم أنه يريد بصطاد به الدنيا بطريق ولاية القضاء وقبول الرشا لا يعلمه مسألة واحدة ويقول له ، طهر قلبك من محبة الدنيا حتى تصلح للعلم ثم تعال أعلمك العلم ؛ ثم قال : وكان شيخنا العارف بالله تعالى سيدي علي النبتي ، لا يعلم أحدا حتى يقول له يا ولدي ما نويت بهذا العلم الذي نطلب مني أن أعلمك ، فإن رأى نيته صالحة علمه وإلا علمه النية ثم علمه رضى الله عنه والله أعلم ؛

وروى النسائي والترمذي وغيرهما مرفوعا : « أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا فَقَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ فَقَالَ كَذَبْتَ وَلَسْكَتُكَ قَاتَلْتُ لِأَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَرِيٌّ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا فَقَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَسْكَتُكَ تَعَلَّمْتَ لِيقَالَ فُلَانٌ عَالِمٌ . وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ سُجِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ مَا تَرَكَتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ

وَلَكِنَّكَ قَمَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ ، وَقَدْ قِيلَ لِمَ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِ حَتَّى أَلْقَى فِي النَّارِ .

وقوله جرى بالمد : أى شجاع .

وروى الترمذى وغيره مرفوعا : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يُمَارِيَ بِهِ الشُّفَهَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « سَيَتَفَقَّهُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي فِي الدِّينِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَقُولُونَ نَأْتِي الْأَمْرَاءَ نُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقِتَاءِ إِلَّا الشُّوكُ ، وَكَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الْخَطَايَا وَالْآثَامُ » .

وروى عبدالرزاق وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « كيف بكم إذا لاسم فتننا يربو فيها للصغير ويهرم منها الكبير ، وتتخذ سيئة ، فإذا تركت يقال تركت السنة ، فقل له ومتى ذلك ؟ فقال : إذا قلت أماناؤكم وكثرت أمراؤكم ، وقلت فقهاؤكم وكثرت خطاياكم ، ونفقه الناس لغير الدين والتمست الدنيا بعمل الآخرة ، وفي رواية : وتعلم العلم لغير العمل » .

وروى الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه والبيهقى والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالنَّهْيِ وَالرُّفْعَةِ وَالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » .

وروى الطبرانى والبيهقى مرفوعا : « مَنْ سَمِعَ النَّاسَ يَبْلُغُوهُ وَعَمَلِهِ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ » .

وقوله سمع بتشديد الميم : ومعناه أن كل من أظهر علمه للناس رياء أظهر الله تعالى نيته الفاسدة فى عمله يوم القيامة ، وفضحه على رموس الإشهاد الذين راءاهم فى دار الدنيا .
وروى البيهقى مرفوعا : « إِنَّ الْأَبْقَاءَ عَلَى الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ وَإِنَّ الرَّجُلَ

لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُكْتَبُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ مَعْمُولٌ بِهِ فِي السَّرِّ فَيُضَعَفُ أَجْرُهُ سَبْعِينَ ضِعْفًا فَلَا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ وَيُعْلِنُهُ فَيُكْتَبُ عَلَانِيَةً وَيُمْحَى تَضَعِيفُ أَجْرِهِ كُلِّهِ ثُمَّ لَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يُحِبَّ أَنْ يَذْكُرَ بِهِ وَيُكْتَبَ رِيَاءً .

وروى الطبراني مرفوعا: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِمَنْ عَبَدَهُ رِيَاءً وَسُئِمَةً بِعِزِّي وَجَلَالِي مَا أَرَدْتَ بِعِبَادَتِي؟ قَالَ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ رِيَاءَ النَّاسِ، قَالَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ أَنْطَلِقُوا بِهِ إِلَى النَّارِ . »

وروى الطبراني والبيهقي مرفوعا: « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُحُفٍ مُحْتَمَمَةٍ وَتُفْتَحُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ قِيَمُولُ اللَّهِ تَعَالَى أَلْفُوا هَذِهِ وَأَقْبَلُوا هَذِهِ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ مَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا فَيَقُولُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ إِنَّ هَذَا كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِِي وَإِنِّي لَا أَقْبَلُ إِلَّا مَا ابْتَغَيْتَ بِهِ وَجْهِِي . »

قلت: والمراد والله أعلم بوجه الله تعالى هو وجه التشريع بأن يفعل ذلك امتثالاً لأمره فهذا هو وجهه تعالى .

وإيضاح ذلك أن كل عمل له وجهان وجه إلى الكون ووجه إلى الحق، فوافق الشرع كان وجهها للحق وما خالفه كان لغير الحق تعالى فافهم والله أعلم .

وروى البيهقي عن ابن عباس أنه قال « من رأى بشيء في الدنيا بعمله وكله الله يوم القيامة إلى عمله ، وقال له انظر هل يغني عنك شيئا . قوله بعمله : أى من عمله :

وروى الطبراني مرفوعا: « إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَاِدْيَا يُقَالُ لَهُ هَبَبٌ أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُرَاءِ الْمُرَائِينَ بِعَمَلِهِمْ . »

وفي رواية: « إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَاِدْيَا تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعِينَ مَرَّةً أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُرَاءِ الْمُرَائِينَ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا . »

وروى أبو يعلى وغيره مرفوعا: « مَنْ أَحْسَنَ صَلَاتَهُ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ وَأَسَاءَهَا حَيْثُ يَخْلُو فَنَلَّكَ اسْتِهَانَةٌ اسْتِهَانَانَ بِهَا رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . »

وروى البيهقي مرفوعا : « مَنْ صَامَ يَرَأَى النَّاسَ فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يَرَأَى
فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ صَلَّى يَرَأَى فَقَدْ أَشْرَكَ » .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشَّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى
مِنَ دَيْبِ النَّمْلِ ، فَقِيلَ : فَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِن دَيْبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ
اللَّهِ ؟ فَقَالَ : قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ
لِمَا لَا نَعْلَمُهُ » .

وروى الإمام أحمد والطبراني بإسناد جيد مرفوعا :

« إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ ، قَالُوا ؟ وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الرِّيَاءُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا جُوزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ أَذْهَبُوا
إِلَى الَّذِينَ كُتِبَتْ تُرَاهُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا ؟ هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً » .

وروى الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى مرفوعا :

« إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوْلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ ، نَادَى مُنَادٍ
مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ اللَّهُ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشَّرْكَاءَ
عَنِ الشَّرْكِ » .

زاد فى رواية : « فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي ، فَهُوَ لِذِي أَشْرَكَ وَأَنَا
مِنْهُ بِرِي » .

وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت قال « سيقرأ ناس القرآن على لسان محمد
فيحلون حلاله ويحرمون حرامه وينزلون عند منازلهم لايحوزون منه شيئا الا كما يحوز رأس
الحمار الميت » :

وروى ابن حبان فى غير صحيحه والحاكم وغيرهما عن معاذ بن جبل مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلاَكٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، ثُمَّ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ فَجَعَلَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّبْعَةِ مَلَكَ بَوَّابًا عَلَيْهَا فَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ
الْعَبْدِ مِنْ حِينَ يُصْبِحُ إِلَى حِينَ يُمَسِي لَهُ نُورٌ كَنُورِ الشَّمْسِ حَتَّى إِذَا صَعَدَتْ بِهِ إِلَى

السَّمَاءِ الدُّنْيَا ذَكَرْتَهُ فَكَثَّرْتَهُ ، فَيَقُولُ ذَلِكَ الْمَلِكُ لِلْحَفَظَةِ : اضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ
وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا صَاحِبُ الْعَيْبَةِ أَمْرِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلٍ مِّنْ أُغْتَابَ النَّاسَ أَنْ
يُجَاوِزَنِي إِلَى غَيْرِي قَالَ : ثُمَّ تَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ حَتَّى تَبْلُغَ
بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ
صَاحِبِهِ إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ هَذَا عَرَضَ الدُّنْيَا وَكَانَ يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالَسِهِمْ ،
قَالَ : ثُمَّ تَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَقِيَامٍ نِيْلٍ وَهَجْدٍ إِلَى السَّمَاءِ
الثَّالِثَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا
مَلِكُ الْكِبَرِ أَمْرِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلٍ مِّنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ بِعِلْمِهِ وَعَمَلِهِ
يُجَاوِزَنِي إِلَى غَيْرِي قَالَ : ثُمَّ تَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ
وغير ذلك إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ
وَجْهَ صَاحِبِهِ إِنَّهُ كَانَ يَسْتَمُتُ بِالنَّاسِ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ : وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ
الْعَبْدِ مِنْ زَكَاةٍ وَصَلَاةٍ وَجِهَادٍ وَغير ذلك مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَيَقُولُ
لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ أَنَا مَلِكُ الْخُسْدِ أَمْرِي
رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلٍ مِّنْ يَحْسُدُ النَّاسَ يُجَاوِزَنِي إِلَى غَيْرِي قَالَ : ثُمَّ تَصْعَدُ الْحَفَظَةُ
بِعَمَلِ الْعَبْدِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ كَأَنَّهُ الْقُرُوسُ الْمَرْفُوقَةُ إِلَى بَعْلِهَا ، فَيَقُولُ لَهُمُ
الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا مَلِكُ الْمُعْجَبِ أَمْرِي رَبِّي أَنْ
لَا أَدَعَ عَمَلٍ مِّنْ يَعْجَبُ وَيَعْجَبُ بِعَمَلِهِ يُجَاوِزَنِي إِلَى غَيْرِي قَالَ : ثُمَّ تَصْعَدُ الْحَفَظَةُ
بِعَمَلِ الْعَبْدِ لَهُ دَوِيُّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، وَضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ،
فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَمْرِي رَبِّي
أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلٍ مِّنْ أَرَادَ غَيْرَ وَجْهِهِ أَنْ يُجَاوِزَنِي إِلَى غَيْرِي فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ
يُسْمِعُونَهُ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ آلَافٍ مَلِكُ يَا رَبِّ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ أَنْتُمْ الْحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى قَلْبِهِ ، إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ هَذَا

رَفَعَةً عِنْدَ الْأَمْرَاءِ وَذِكْرًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ ، وَصِدْقًا فِي الْمَدَائِنِ قَالَ : ثُمَّ تَصَعَّدُ الْحَفِظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ إِلَى مَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ وَتُشَبِّهُهُ مَلَائِكَةُ الْحُجُبِ حَتَّى يَقِفُونَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ هَذَا غَيْرَ وَجْهِي فَعَلَيْهِ كَعَنِّي فَتَلَعْنَهُ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُنَّ » الحديث بالمعنى في بعضه .

قال الحافظ المنذرى: وآثار الوضع ظاهرة على هذا الحديث في جميع طرقه وجميع ألفاظه اهـ .

قلت: ويحتمل أن يكون هذا الحديث له أصل صحيح أو حسن أو ضعيف ولكن نسي الراوى لفظ النبوة فترجم عنه بلسانه هو والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نعبث بشيء من جوارحنا في الصلاة كسح الحصى عن الجبهة ومسك اللحية إلا للضرورة أدبا مع الله تعالى. وهذا العهد لا يصح لأحد العمل به إلا بعد السلوك على يد شيخ صادق يقطع به الحجب حتى يدخله حضرة الله تعالى ويعاشر أهلها وينظر ما هم عليه من الخشية والرعدة والخرس والبهت ، حتى لا تسكاد تتحرك لهم جارحة من الهيبة ولا يحك جسده إذا أكله ، وأما من لم يسلك الطريق ولم يقطع الحجب ولم يخالط أهل تلك الحضرة الإلهية فإنما هو في حضرة الجن والشياطين ، ومن شأنهم كثرة الحركة كما هو شأن لهب النار الذى خلقوا منه ، فالعبد وإن كان فى أصله قليل الحركة بصير ذاك حركة بحكم سرقة الطبع من الشياطين . فاسلك يا أخى على يد شيخ إن طلبت العمل بهذا العهد والحق بأهل الأدب مع الله تعالى والله يتولى هداك .

وروى الترمذى وغيره مرفوعا : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلَا يَمْسَحُ الْحَصَى فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تَوَاجِبُهُ » .

وفى رواية للشيخين : « فَلَا تَمْسَحِ الْحَصَى وَأَنْتَ تُصَلِّيُ فَإِنَّ كُنْتَ وَلَا بُدَّ فَاعِلًا فَوَاحِدَةً تُسْوِيَةُ الْحَصَى » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « مَا مِنْ حَالَةٍ يَكُونُ الْعَبْدُ فِيهَا أَحَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنْ أَنْ يَرَاهُ وَهُوَ سَاجِدٌ يُعْفَرُ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ » .

وفي حديث ابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« يَا غُلَامُ تَرَبُّبٌ وَجَهَّتْ » .

وروى الشيخان : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُخْتَصِرًا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا يمر قط بين يدي مصلى خوفا أن نكتب بذلك في ديوان الشياطين لتجرئنا على حضرة الله تعالى التي تخيلها المصلى في ذهنه ، كما أشار إليه خير :

« إِنَّ اللَّهَ قَبِيلَةٌ أَحَدِكُمْ » .

ولو أن أحدا من أهل الله تعالى ضرب بالسيف ليمر لاختار ضرب بالسيف على المرور ولا يمر لأمر يشهدا لا تذكر إلا مشافهة ، وقد بسطنا الكلام على حضرة التنزيه في كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر وهو مجلد ضخيم يحل مشكلات علم الكلام :

(وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

وروى الشيخان مرفوعا : « لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّيِّ مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ » .

قال أبو النضر لا أدري أقال أربعين يوما أو شهرا أو سنة :

وروى الترمذي عن أنس قال : لأن يقف أحدكم مائة عام خير له من أن يمر بين يدي أخيه وهو يصلي .

وروى ابن ماجه في سننه بإسناد صحيح وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما مرفوعا :

« لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُكُمْ مَا لَهُ فِي أَنْ يَمْشِيَ بَيْنَ يَدَيْ أَخِيهِ مُعْتَرِضًا وَهُوَ يُنَاجِي رَبَّهُ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ مِائَةَ عَامٍ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْخَطْوَةِ الَّتِي خَطَاهَا » .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ لَيْسَتْهُ مِنَ النَّاسِ

فَأَرَادَ أَحَدًا أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيُدْفَعْ فِي نَحْوِهِ ، فَإِنَّ أَبِي فَلْيَقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ » .

وفي رواية للشيخين : « وَلْيَدْرَأْ مَا اسْتَطَاعَ » والله تعالى أعلم .

(أخذ عاينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ألا تنهون بترك الصلاة أو بإخراجها عن وقتها إذا اشتد مرضنا فضلا عن أوقات الصحة ، بل نصلى بحسب استطاعتنا في الطهارة وفعل الأركان ، ولا ننتقل لمرتبة سفلى إلا بعد عجزنا عن العليا ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من أكابر الناس فضلا عن غيرهم ، فيترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ، فيقولون له صل جالسا فإنك ضعيف فيطأوعهم في ذلك وهو يعلم من نفسه القدرة على الوقوف حتى لايسفه كلامهم ، والحق أحق أن يتبع ، فليبراع العبد ربه وببذل استطاعته حتى لا يترك منها بقية وليحذر من تلبيس النفس عليه بجملها إلى الكسل والرخص فإنهم قالوا إن بئذ الإنسان استطاعته في التقوى أشد من تقواه حتى تقاته ، وذلك أن تقوى الله حتى تقاته أن يعلم العبد أن تقواه من الله تعالى ، ولو لا أنه قواه على ذلك ما قدر يتقى ، وأما تقوى الله بحسب الاستطاعة فهو أن يبذل قوته في للتقوى بحيث لا يبقى من قدرته بقية قط وهذا عزيز فإنه لا بد أن النفس تخلى من قوتها بقية تقوى بها ، ولا يخرج عن ذلك إلا الأكابر من الأواباء وغالب الناس يظن أن تقوى الله حتى تقاته أشد وأشق وليس الأمر كذلك ، ولا تصل يا أخى إلى معرفة تمييز حظ النفس مما هو لله تعالى إلا بعد السلوك على يد شيخ مرشد يخرجك من حضرات التلبيس :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الإمام أحمد ومسلم مرفوعا :

« بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكَافِرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » .

قلت والمراد بالرجل هنا المؤمن ، ومعنى الحديث بين الرجل منكم أيها المؤمنون وبين الكافر ترك الصلاة والله أعلم :

وفي رواية لأحمد وأبي داود والنسائي والترمذي وكل حسن صحيح مرفوعا :

« الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ تَرْكُ الصَّلَاةِ فَمَنْ تَرَكَهَا كَفَرَ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الْإِمَّةِ » .

وفي رواية للطبراني : « مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ جِهَارًا » .

وفي رواية لابن ماجه والبيهقي : « فَقَدْ بَرَّتْ مِنْهُ الدِّمَةُ » .

وروى الترمذى عن عبد الله بن شقيق رضى الله عنه قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة ، وكان أيوب يقول ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه وقال إسحاق صبح عن النبي صلى الله عليه وسلم :
« إِنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ سَمَدًا كَافِرٌ » .

وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة / عمدا من غير عذر حتى يخرج وقتها كافر والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ألا نتاجى قط الحق تعالى فى صلاة أو قراءة حال النعاس ، وذلك أن من الأدب فى خطاب الأكابر أن يكون بكل عضو وذلك لا يكون إلا مع حضور القلب ، وحضور القلب لا يكون إلا مع اليقظة فنحن مخاطب الحق تعالى حال النعاس واشتغال القلب بغير الله فقد أساء الأدب :

وفى كلام سيدى عمر بن الفارض رحمه الله تعالى :

إِذَا مَا بَدَتْ لَيْلِي فَكَلِّىْ أَعْيُنِيْ وَإِنْ هِيَ نَاجَتْنِيْ فَكَلِّىْ مَسَامِعِيْ

وبالجملة فلا تعرف يا أخى أدب مخاطبة الحق تعالى إلا إن سلسكت على يد شيخ صادق ،

وتحتاج إلى صبر شديد وزمن طويل .

وقد قال أئمة الطريق عليكم بالإخلاص فى الأعمال فإنه يوصلكم إلى الجنة ، وعليكم بالأدب مع الله تعالى فى عباداتكم فإن ذلك يوصلكم إلى دخول حضرة الله تعالى وتكونون لإخوان النبیین والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

فإن هؤلاء هم أصحاب المراتب فى الأدب مع الله تعالى فتشاهدون أقوالهم وأفعالهم وتتعلمون من آدابهم ، وما دمتم لم تدخلوا حضرة الله تعالى فأنتم فى حضرة الشيطان اهـ .
فعلم أن من الأدب مع الله تعالى إذا حضر أو ان النعاس أن يسكت العبد يأخذ فى المراقبة من غير تلفظ بشيء :

(وَأَلْفُ عَلِيمٍ حَكِيمٍ) .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى

يَذْهَبُ عَنْهُ النَّوْمُ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ
فَيَسُبُّ نَفْسَهُ .

وَفِي رَوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ مَرْفُوعًا : « إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَتَصَرَّفْ فَلَعَلَّهُ
يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي » .

وَرَوَى مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا مَرْفُوعًا : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعَجَمَ
الْقُرْآنَ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَلْيَضْطَجِعْ » وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا تنهون بقوات
حضورنا في المواكب الإلهية من حين ينصب موكب الحق تعالى إلى أن تنقضي حوائجنا
فينبغي الاستعداد لحضورها بتقليل الأكل والنوم على طهارة ونحو ذلك مما يطرد الشيطان
عنا فإن الشيطان لا يفارق من ينام على شبع أو حدث ، فكلما أراد العبد أن يقوم
يوسوس له فينومه .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السالك على يد شيخ صادق حتى يخلصه من
جميع العوائق ويخرجه من حضرات الشياطين إلى حضرات الملائكة المقربين ، وقد قالوا
من شرط العبد الخالص أن لا يكون له عوائق تعوقه عن حضرة خدمة مولاه في ليل أو نهار .
وبالجملة فأهل المواكب الإلهية كأهل المواكب الدنيوية ، فكما أن كل من كان أكثر
الغيبة عن حضور موكب السلطان يقطعون جامكيتته ويمحون اسمه من ديوان ممالك السلطان
فكذلك من أكثر النوم والغيبة عن حضور موكب الرحمن تتكدر منه أكابر الحضرة
ويقطعون عنه الامداد ولا يقضون بعد ذلك له حاجة ويصيرون يبغضونه لزهده في خدمة
ربهم فاعلم ذلك والله يتولى هداك .

واعلم يا أخي أن الموكب الإلهي بالليل ينصب غالبا من أول الثالث الآخر وكثيرا ما
ينصب أوائل النصف الثاني إلا ليلة القدر وليلة الجمعة ، فإنه ينصب من غروب الشمس
إلى طلوع الفجر .

وفي رواية للإمام سنيد بن عبد الله الأزدي إلى انصراف الناس من صلاة الصبح
فينبغي لطالب الخيرات أن لا يغفل عن ربه في هذه الأوقات إما بصلاة وإما بذكر وإما
غير ذلك من المراقبة لله تعالى :

وروى الشيخان وغيرهما : « أَنَّهُ ذُكِرَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ فَقَالَ ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانَ فِي أُذُنَيْهِ . »

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ مِنَ اللَّيْلِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَقَالَ قُمْ صَلِّ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ فَقَدْ أَصْبَحْتَ فَيَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ وَسَوْفَ تَقُومُ فَإِنْ قَامَ وَصَلَّى أَصْبَحَ نَشِيطًا خَفِيفَ الْجِسْمِ قَرِيرَ الْعَيْنِ وَإِنْ هُوَ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ حَتَّى أَصْبَحَ بَالَ الشَّيْطَانَ فِي أُذُنَيْهِ . »

قلت وقع من بعضهم شك في أن ذلك بول حقيقي فرأى الشيطان في منامه وهو يبول في أذنه ، فاستيقظ والبول يخر على ثيابه والله أعلم :

وروى الشيخان مرفوعا : « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ . »

زاد في رواية لابن ماجه : « وَكَمْ يُصِيبُ خَيْرًا . »

وروى ابن ماجه وغيره مرفوعا : « قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمَانَ بِنْتُ دَاوُدَ لِسُلَيْمَانَ يَا بُنَيَّ لَا تُسَكِّرِ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ تَنْزِلُكَ الرَّجُلَ فَقِيرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . »

وروى ابن حبان وغيره مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ يَبْغُضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَاطِئِ صَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ جِيفَةً بِاللَّيْلِ حَارًّا بِالنَّهَارِ عَالِمًا بِأَمْرِ الدُّنْيَا جَاهِلًا بِأَمْرِ الْآخِرَةِ . »

قلت الجعظري : المختال في مشيته والجواظ الغليظ الجاني والصخباب الذي يرفع صوته في الأسواق بسبب أمور الدنيا والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نمارى بالعلم قط

ولانكتمه عن أحد علمنا منه الاخلاص فيه ولو كفر هو بتعليمنا له ، كما أن من شرط المعلم كذلك الاخلاص :

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من علامة إخلاص المعلم للمعلم أن لا يلتفت إلى اعتراف الناس بتعليمه أو كفرانهم به ، وكل من تكلم من تركه من طلبته وقرأ على غيره فما شئ للاخلاص رائحة وهو مرء بعلمه اه :

وعبارة الإمام النوى في كتاب التبيان وفي مقدمة شرح المهذب .

اعلم أن من أهم ما يؤمر به المعلم أن لا يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره قال : وهذه مصيبة يبلى بها جهلة المعلمين لغباوتهم وفساد نيتهم وهو من الدلائل الصريحة على عدم إرادتهم بالتعليم وجه الله الكريم اه .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله يقول : إياك أن تكتم العلم عن عدوك فإن الشرع حقيقة إنما هو لله ولرسوله ، ومن شرط كل محب لله ولرسوله أن يحب نشر ما شرعه الله ورسوله في جميع انطلق سواء كانوا أصدقاء أو أعداء .

وقد جاء التحذير العظيم في حق من كتم العلم عن أهله كما سيأتى في الأحاديث وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه ينشد :

أَنْ تُنْشِرُ عِلْمًا بَيْنَ رَاعِيَةِ النَّعَمِ وَأَنْ تُنْشِرُ مَنْظُومًا لِسَارِحَةِ النَّعَمِ

إلى أن قال :

فَإِنْ يَسَّرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ وَأَذْرَكَ أَهْلًا لِلْمُؤْمِرِ وَاللَّحِيمِ
بَثَّتْ مُفِيدًا وَاسْتَفَدَتْ وِدَادَهُمْ وَإِلَّا فَمَخْزُونٌ لَدَى وَمُسَكَّتَمِ
وَمَنْ مَنَعَ الْجُهَالِ عِلْمًا أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : إنما توعد الشارع صلى الله عليه وسلم السلف الصالح إذا كتموا العلم تشجيعا لهم حتى يتكلموا به خوفاهم من الشهرة ، وأما الناس اليوم فلو كان التحذير في الكلام لتكلموا ولم يسكتوا ، فكان السلف الصالح لسكرة إخلاصهم يود كل واحد منهم أن لو كانت الشهرة بالعلم لأخيه فكانوا يقولون نور إخوانهم ويضعفون نورهم عند الناس ، وربما عرضت المسئلة الواحدة على ثلاثين نفسا وكل منهم يرددها حتى تجىء إلى الأول خوفا من القول في دين الله بالرأى اه .

واعلم يا أخى أن حكمة النهى عن الممارسة في العلم هو للاستئانة به ، فيجلس الفقهاء يتكلمان بالعلم ولا يقصدان العمل وقلوبهم غافلة عن العمل بالكيفية وبشكك كل واحد منهما الآخر فيما يفهمه ويدخل عليه الشبهة ولا يعلمه بالجواب ، وإلا فلر شككه ثم أجابه وعلمه الجواب لما نهى عنه بل هو مطلوب لأن فيه امتحانا للطالب ليختبر به علمه وجهله وكثيرا ما يكون طالب العلم جازما بحكم فهمه من الآية أو الحديث فيجلس مع بعض المحادلين فيدخل عليه التشكيك ثم يلهى عنه بأمر فيصير ذلك الطالب مترددا فيما كان جازما به وليس ذلك من شأن أهل الإيمان الصادق ، وهذا المعنى الذى فهمته من حكمة النهى عن الممارسة اقتبسته من حديث مسلم وغيره في شأن رؤية البارى جل وعلا في القيامة :

« هَلْ تُمَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْسَ دُوهُمَا سَحَابٌ » الحديث .

ففسر الشارحون هناك قوله تمارون أى تشكون فكذلك يكون المعنى هنا ومن ظفر بنقل في ذلك فليلاحظه بهذا الموضوع من هذا الكتاب والله أعلم .

وروى الترمذى وغيره مرفوعا : « مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُجَادِلَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيَأْرِىَ بِهِ السُّفَهَاءَ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

وروى أبو داود والترمذى وغيرهما مرفوعا :

« مَنْ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعًا وَشَرَى بِهِ نَمَنًا ۖ وَكَذًّا وَكَذًّا حَتَّى يَفْرُغَ الْحِسَابُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهور في رواية الحديث بل نتثبت في كل حديث نرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نرويه عنه إلا إن كان لنا به رواية صحيحة .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغي لفقهاء أن يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا إلا إن كان له به علامة يعرف بها ، أن ذلك من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إما من طريق النقل وإما من طريق سؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الحديث . وقوله هو من كلامى يتقظة ومشاهدة ، هذا كله فيما كان ضعيفا من طريق النقل ، أما ما صحح من طريق المحادلين واستحسن فلا يحتاج إلى سؤاله صلى الله عليه وسلم فيه .

فاعلم ياأخى أن أكثر من يقع فى خيانة هذا العهد المتصوفة الذين لا قدم لهم فى الطريق
فربما رروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس من كلامه لعدم ذوقهم وعدم فرقانهم
بين كلام النبوة وكلام غيرها ، ولو أنهم كانوا من العارفين لعرفوا كلام النبوة وميزوه عن
غيره ، فإن لامعة نور النبوة لا تخفى على من فى قلبه نور ،

وقد سمعت بعضهم يحكى قول أبى محمد السكتانى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ،
فقلت له يا رسول الله ادع الله لى أن لا يميت قلبى ، فقال : قل كل يوم أربعين مرة :
يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت ، وهى رؤية منام فصار هذا يرويه عنه على إيهام أنه صلى
الله عليه وسلم قاله لأصحابه ، ورواه عنه الأئمة الحفاظ وهو وهم فاحش ، فلو لا أننى
أعلمته بذلك ما علمه

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله يقول : إنما قال بعض المحدثين أكذب
الناس الصالحون لعلمة سلامة بواطنهم فيظنون بالناس الخير وأنهم لا يكذبون على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فرادهم بالصالحين المتعبدون الذين لا غوص لهم فى علم البلاغة
فلا يفرقون بين كلام النبوة وغيره بخلاف العارفين فإنهم لا يخفى عليهم ذلك حتى أن
بعضهم كان يعرف صوت الشريف من غيره من وراء حجاب لكونه من رائحة رسول
الله صلى الله عليه وسلم هـ .

وقد من الله تعالى على بتميز كلام النبوة من غيره من حيث حلاوة التركيب العلمى
بأنه لا أحد يقدر على فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وربما سمع الصحابى شيئاً
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عنه حفظ بعض اللفظ والمعنى وهو فور فى قلبه
فيكمل لنا الحديث بلفظه هو فأعرفه بركاكة تركيبه ، وربما ظن بعض المحدثين أن ذلك
الحديث موضوع ، والحال أن الوضع إنما هو فى مثل لفظه ونحوها وأصل الحديث صحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتعلم ياأخى علم الحديث لتخرج من الوقوع فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولوبغير قصد ، والله تعالى أعلم .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً : « مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلَيْتَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ

مِنَ النَّارِ » قال الجلال السيوطى إنه متواتر .

وروى الطبرانى مرفوعاً : « مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ فَلَيْتَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » باسقاط

قوله « مُتَعَمِّدًا » (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نعتز بحفظ العلم الذى يطلب منا العمل به من غير عمل كما عليه غالب الناس اليوم ، وما هكذا كان السلف الصالح رضى الله عنهم فقد بلغنا أنهم كانوا يستغفرون من كل مسألة لم يعملوا بها ويعدون ذلك ذنبا ، ومن كان هذا مشهده ذهب عنه الاغترار بالعلم .

ثم اعلم يا أختى أن من الناس من قسم الله تعالى له العمل بما علم ، ومنهم من قسم الله العلم من غير عمل ، ومنهم من قسم الله له العمل بغير علم ، ومنهم من لم يقسم له علم ولا عمل فالواجب على كل من لم يعمل بعلمه كثرة الاستغفار والتوبة والإكثار من تعليم العلم للناس لعلمهم يعملون به فيكون ذلك فى صحائف من علمهم حيث فاته للعمل بما علم ثم يستغفر من ذلك فرما لا يكون عمل الناس بعلم العالم يجرح نخل تركه هو العمل بما علم .

وكان الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله يقول : من حقق النظر لم يجد عاقلا إلا وهو عامل بعلمه لا يمكنه أن يترك العمل به أبدا ما دام عاقلا ، وذلك أنه إن عمل بعلمه على وفق الشريعة المطهرة بأن باشر العمل على وجه الإخلاص فيه فهو عامل بعلمه ، وإن وقع فى معصية فاستغفر منها وتاب فقد عمل أيضا بعلمه ، فإنه لولا علمه ما اهتدى لتكون ذلك معصية فما جعله يتوب منها إلا العلم فمثل هذا قد ينفعه علمه على كل حال اه .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ليرقيه إلى درجات المراقبة لله تعالى والخوف من عذابه حتى يعرف كل مسألة ترك العمل بها ويستغفر ، فلا يلتبس عليه مسألة واحدة من كل باب لم يعمل بها كما كان عليه العلماء العاملون :
وسمعت شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول : كل فقيه لا يجتمع بالقوم فهو كالحبز الحاف بلا آدم .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يكمل طالب العلم إلا بالاجتماع على أحد من أشياخ الطريق ليخرجه من رعونات النفوس ومن حضرات تلبس النفس ، ومن لم يجتمع على أهل الطريق فمن لازمه التلبس غالبا دعوى العمل بما علم وكل من نسبه إلى قلة العمل أقام عليه الأدلة التى تمشى عند الله ، ومن شك فى قولى هذا فليجرب .

فاسلك يا أختى على يد شيخ وازم خدمته واصبر على جفائه لك وتغرباته عليك فإن الذى يريد أن يطلعك عليه أمر نفيس لا يقابل بالأعراض الدنياوية فإن للعلم رياسة عظيمة وللنفس فيه دسائس ربما خفيت على مشايخ العلم فضلا عن الطلبة :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « يُجَاهِدُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقِي فِي النَّارِ فَيَنْدَلِقُ أَفْتَابُهُ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَى ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ مَا شَأْنُكَ ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْخَيْرِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الشَّرِّ وَآتِيهِ » .

وروى البزار وغيره مرفوعا : « مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَدْنِي نَفْسَهُ ، كَمَثَلِ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ عَلَى النَّاسِ وَتُحْرِقُ هِيَ نَفْسَهَا » .

وروى الطبراني مرفوعا : « كُلُّ عِلْمٍ وَبِأَلُهُ عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِهِ » .

وفي رواية له مرفوعا : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ » .

وروى الإمام أحمد والبيهقي عن منصور بن زاذان قال : بلغنا أن العالم إذا لم ينتفع بعلمه تصيح أهل النار من تن ريقه ، ويقولون له ماذا كنت تفعل يا خبيث فقد آذيتنا بتن ريقك ؟ أما يكفيك مانحن فيه من الأذى والشر فيقول لهم كنت عالما فلم أنتفع بعلمي والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا ندعى العلم إلا لغرض شرعي ، ولا نقول أبدا نحن من أعلم الناس لا بلساننا ولا بقلبنا ومن أين لنا ذلك ونحن نعلم أن في بلدنا من هو أعلم منا فضلا عن الاقليم الذي نحن فيه ثم إذا جرى القدر علينا بدعوى العلم . ولو في وقت غيظ فالواجب علينا أن نهادر إلى التوبة والاستغفار على الفور خوفا من نزول المقت علينا من الله عز وجل ، وهذه مصيبة لا يبتلى بها أحد وهو عاقل أبدا ، فإنه ما من علم طالع العبد فيه وأحاط ببعضه علما إلا وسبقه إليه إلى وضعه علماء ربما لا يصلح أن يكون هو من طلبتهم :

وقد ادعى شخص مرة العلم وقال : والله لا أعلم أن أحدا من أبي بكر الصديق إلى عصرنا هذا أعلم مني في علم من العاوم ، فقام إليه شاب صغير لالحية له فقال هل أنت أعلم

من الإمام الشافعي ؟ هل أنت أعلم من سيبويه ؟ هل أنت أعلم من أئمة الأصول ؟ هل أنت أعلم من علماء المعاني والبيان ؟ هل أنت أعلم من أئمة التفسير ؟ هل أنت هل أنت ، وهكذا فما درى المدعي ما يقول فافضح في المجلس .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله يقول : بلغنا أن محمد بن جرير الطبري ألف تفسيراً ألف مجلدة ضخمة وكان محفوظه من متون العلوم نحو خم مائة بعير : وكان ابن شاهين يقول : كتبت من المؤلفات ما لا أحصى عده وحسبت الخبر فيبلغ ألفين من القناطير .

وكان بعضهم يقول : لو كتبت ما في صدري ما حمله مركب ، ولم يزل في كل عصر علماء حاملون العلم لا يجيء العلماء المشهورون من طلبهم .

وسمعت شخصاً ضعيف الحال مثلي يقول : والله العظيم لا أعلم الآن في مصر كلها أعلم مني ولو أنني علمت لمشيئت إليه واستفدت منه اه ، ومثل هذا مجنون وأقل جزائه أنه حرم بركة علماء زمانه ومات بجهله .

وقد رأيت شخصاً يدعى القطبية يقول : أطلعني الله تعالى على دائرة الأولياء كلهم فلم أر فلاناً منهم وأشار إلى شخص صالح عصره ، فقال له شخص في المجلس إن كنت صادقاً فقل لي كم في حليتك من شعرة ؟ فما درى ما يقول ونحجل بين الناس وإذا كان الله تعالى نهي العلماء عن دعوى العلم مع علمهم فكيف بمن يجهل ويدعي العلم مع الجهل .

وحكى لي شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله قال : اجتمع يوماً في مجلس الحسن البصري رضي الله عنه خمسمائة مجبرة تكتب عنه العلم ، فحصل له بعض عجب في نفسه فقال لا تسألوني في هذا المجلس عن علم من العلوم إلا أخبرتكم به ، فقام إليه صبي أمرد ضعيف يتوكأ على عصا فقال ياسيدي قد سمعنا قولك فهل للناموسة كرش أو مصران ، فتغير لون الحسن واصفر ثم حمل من ذلك المجلس مغشياً عليه فمات بعد ثلاثة أيام اه .

وذكر الشيخ الكامل محيي الدين بن العربي رضي الله عنه عن نفسه أنه كان راكباً مرة في سنية في البحر المحيط فهاجت الريح ، فقال اسكن يا بحر فإن عليك بحراً من العلم ، فطلعت له هائشة من البحر وقالت له : قد سمعنا قولك فمات قول فيما إذا مسخ زوج المرأة هل تعتد عدة الأحياء أم الأموات ؟ فما درى الشيخ ما يقول : فقالت له الهائشة تجملني شيخة لك وأنا أعلمك الجواب ؟ فقال : نعم ، فقالت : إن مسخ حيواناً اعتدت عدة الأحياء ، وإن مسخ جاداً اعتدت عدة الأموات اه : ذكر هذه الحكاية في ترجمة مشايخه من الجن والإنس والملائكة والحيوانات ، وبلغنا أنه من ذلك الوقت ما سمع أحداً منه رائحة دعوى العلم .

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يأخذ بيده ويدخله حضرات العلوم والخزائن الإلهية حتى يرى أن جميع ما علمه هؤلاء لا يجيء نقطة من البحر المحيط : وقد استخرج أخى الشيخ أفضل الدين من سورة الفاتحة مائتي ألف علم ونيفا وأربعين ألف علم وذكرنا منها في كتابنا المسمى بتنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء ثلاثة آلاف علم لا يتعقلها الإنسان إلا إن رأى أسماؤها إذ لم تخطر له قط على بال .
فانظر يا أخى فيما علمته من الفقه والنحو والأصول وغيرها تجده لا يجيء قطرة من البحر المحيط بالنسبة لعلوم أهل الله عز وجل :

وقد نقل ابن السبكي في الطبقات الوسطى عن أبي القاسم الجنيد رضى الله عنه أنه كان يقول : ما أنزل الله من السماء علما وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وجعل لى فيه حظا ونصيبا اه .

ثم من فوائد السلوك على يد شيخ أن السالك يصل إلى حضرة يرى جميع صفاته الظاهرة والباطنة عارية عنده وأمانة أودعها الحق عنده فلا يسوغ له أن يدعيها أو شيئا منها لنفسه أبدا حياء من الله تعالى ، فالتناس يرونه عالما في عيونهم وهو يرى نفسه جاهلا ، وهناك يأمن من أن يدعى لنفسه حالا أو مقالا سرا أو جهرا ومن لم يسلك كما ذكرنا فنن لازمه الحجاب غالبا والدعاوى المضلة عن سواء السبيل حتى أن بعضهم قال أنا الله فكفر ، نسأل الله اللطف :

فاسلك يا أخى طريق الأدب مع الله على يد شيخ ولو كنت من أعلم الناس عند نفسك فإنه لا بد أن يظهر لك جهلك إذا سلكت الطريق ، والله يتولى هداك .

وفي قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام كفاية لكل عاقل ، وذلك أن الخضر قال لموسى عليه السلام أنا أعلم أهل الأرض ، يا موسى ما علمى وعلمك في علم الله إلا كما نقر هذا العصفور من هذا البحر ، والمراد بعلم الله معلومه لقوله تعالى :
(وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) .

فلو كان المراد به العلم القائم بالذات لم يصح وصفه بالقللة فافهم ، ومعلوم الله هو العلم الذى يبثه في قلوب عباده وهو غير علمه الأزلى الخاص به ، لأن علم الخلق وإن كان من جملة علم الله ففيه رائحة الحدوث من حيث إضافته إلى الخلق فافهم . وإياك وللغلط وإنما أولنا لك يا أخى الحديث لأن الخضر عليه السلام عالم بالله ، ومعلوم عنده أن علم الله

تعالى لا يوصف بنقص ما ولا بد لمنقار العصفور من بلبل يكون عليه فانهم ، فلو جعلت المراد بعلم الله القائم بالذات لما صح وصفه بالنقص على قدر ما أخذ العصفور ولا قائل بذلك ويصح أن يريد الخضر بذلك الإشارة للقلة على وجه ضرب المثل ، ولو أنه عبر بما تأخذه الناموسة على فمها من البحر لساغ له ذلك أيضا لأنه أقل مما يأخذه منقار العصفور فاعلم ذلك .

وقد روى الطبراني مرفوعا : « سَيَظْهَرُ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَقُولُونَ مَنْ أَقْرَأَ مِنَّا ؟ مَنْ أَعْلَمَ مِنَّا ؟ مَنْ أَفْقَهُ مِنَّا ؟ أُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « مَنْ قَالَ إِنِّي عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا يجادل في علم من العلوم الشرعية إلا بقصد نصرة الدين بشرط الإخلاص والحضور مع الله تعالى في ذلك على الكشف والشهود لا على الظن والرياء والغفلة والتخمين ومغالبة الخصوم من أهل مذهبتنا أو غيرهم :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ متضلع من علوم الشريعة قد اطلع على جميع أدلة المذاهب المستعملة والمندرسه وسلك طريق القوم في درجات الإخلاص .

وأما من أراد العمل بهذا العهد بنفسه من غير شيخ فهو يروم الخال غالبا ، وقد اطلعت بحمد الله تعالى على العين التي يتفرع منها جميع المذاهب في حال سلوكي ، وتأملت جميع مذاهب المجتهدين ومقلديهم وهي متفرعة عنها كشفاً وبقينا ، فلم يخف على بحمد الله تعالى من منازع أقوالهم إلا النادر ، ولو أنني كنت سلكت وحدي بغير شيخ لكنت محبوسا خلف حجاب التقليد للأقوال ، لا أعرف من أين جاءت .

ف (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

واعلم يا أخي أنه لا ينبغي لمقلد الإمام أن يسمى جماعة الإمام الآخر خصوما كقوله إن قال الخصم كذا قلت كذا فإن حسن الأدب في اللفظ من أخلاق العلماء العاملين :

وقد أطلعني إنسان مرة على كتاب في الرد على الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه فرأيت تلك الليلة في واقعة الإمام أبا حنيفة ، وقد تطور نحو سبعين ذراعا في السماء وله نور كنور الشمس ، وأجد ذلك العالم الذي رد عليه تجاهه يشبه الناموسة السوداء انتهى : وإذا كان

إمامنا الشافعي رضى الله عنه يقول : الناس كلهم فى الفقه عيال على أبى حنيفة ، فكيف يسوغ لأمثالنا أن يتصدر للرد عليه ؟ هذا فوق الجنون بطبقات وقد قال تعالى :

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) .

فأمر الله تعالى بإقامة الدين لإباضجاعة بالتكبير على أئمتة ، وهذا الأمر قد فشا فى مقلدى المذاهب ، فترى كل إنسان يدحض حجة مذهب غيره ، حتى لا يكاد يبقى له تمسكا بكتاب ولا سنة ، وذلك من أقبح الخصال ، وإنما كان اللاتق بهم الجواب عن الأئمة إما بعدم اطلاعهم على ذلك الدليل الذى ظفر به الراد عليهم وإلا بأن لذلك المجتهد منزعا فى الاستنباط من وجوه قواعد العربية يخفى على أمثالنا .

وقد بلغنا أن الإمام الشافعي لما دخل بغداد وزار قبر الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، حضرته صلاة الصبح فترك القنوت مع أنه يقول به فقيل له فى ذلك ، فقال استعجيت من الإمام أن أقنت بحضرته وهو لا يقول به فرضى الله تعالى عن أهل الأدب ، هذا فى باب الآداب والسنن . أما الواجب والحرام فإذا قام عند المجتهد دليل فيه فليس له أن يتركه أدبا مع من يخالفه فافهم .

وقد حكى الشيخ محيى الدين فى الفتوحات المسكية أن من وراء النهر جماعة من الشافعية والحنفية لم يزل الجدل بينهم قائما طوك السنة حتى أن بعضهم يفطر فى رمضان ليهتقوى على الجدل مع خصمه :

وقد روى الطبرانى مرفوعا : « إِنَّ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ طَرِيقَةً » . انتهى فلا ينبغى لأحد أن يرد على من يجادله إلا إن نظر فى هذه الطرق كلها ، ولم يجد كلام خصمه يوافق طريقة واحدة منها ، وما ذكر الشارع ذلك إلا سدا لباب الجدل بغير علم تقوية للدين فإن النزاع يوهنه ويضعفه .

وسمعت سيدى عليا الخواصر رحمه الله يقول : لا يقوم الدين إلا بالاتفاق عليه لا بالاختلاف فيه ثم لا يصح للعلماء اتفاق إلا إن خرجوا عن رق الشهوات النفسانية وما لم يخرجوا فلا يصح لهم ارتباط قلوبهم مع بعضهم بعضا أبدا . فعلم أن أنصار الدين حقيقة هم الذين سلكوا الطريق وخرجوا من حضرة النفوس إلى حضرة الأرواح ، فإن الأرواح

لا شهوة لها إلى شيء من الأغراض النفسانية أبداً، وهناك يكون نصرتها للدين خالصة من الشوائب، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك .

وقد روى البيهقي والترمذى وغيرهما مرفوعاً وحسنه الترمذى :

« مَا صَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدَى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ ، ثُمَّ قَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ) » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً : « إِنْ أَبْغَضَ الرَّجَالُ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدَ الْخَصِمُ » .

والألد : هو شديده الخصامة . والخصم هو الذى يحج من يخاصمه ويدحض حجته : اللهم إلا أن يقوم لنا صاحب بدعة لا يشهد لها كتاب ولا سنة فلنا إدحاض حجته نصره لله ولرسوله وللمسلمين :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نفعل شيئاً قط يؤذى المسلمين إلا بطريقة الشرعى كإقامة الحدود والتعزيرات والتأديبات ، وذلك كأن يتغوط أحدنا على ملاقى الأخوية التى يدخلها الناس أو يبوك فى مكان جلوس الناس فى الظل أو الشمس ، أو مكان جلوسهم فى الحمام وغير ذلك من سائر الرذائل خوفاً أن يتبع على ذلك فينبغى لقاضى الحاجة أن يجرر نزول الغائط فى طاقة الخلاء ويبول فى خلاء الحمام أو فى بالوعته وكما ينبغى له أن يخفى عن الناس رؤيته حال قضاء الحاجة ، فكذلك ينبغى له أن يخفى ماخرج من بوله وغائطه ولا يطلع أحداً عليه .

قال سيدى على الخواص : وينبغى قياس الأذى المعنوى على هذا الأذى المحسوس ، وذلك كأن يدخل على أحد من العوام وغيرهم الشبه بأن يذكر لهم العقائد الزائغة والأقوال التى يردها ظاهر الشريعة كسئلة زل فيها عالم تتعلق بالنكاح أو بأكل شبهة ونحو ذلك ، وربما تسارعت نفس العامى إلى التدين بها فيملك مع الهالكين ، وصار لهم ذلك فى عنق ذلك العالم .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يرقيه فى درجات الشفقة على المسلمين وأديانهم وأبدانهم وثيابهم ، حتى يكون أشفق على المسلمين من أنفسهم ورائة محمدية . ومن طلب الوصول إلى العمل بهذا العهد بغير شيخ فقد أتى

البيوت من غير أبوابها وقد من الله تعالى على بهذه الشفقة فأنا محمد الله أشفق على دين الإنسان وبدنه من نفسه . وإيضاح ذلك أنني أحزن على فوات الخير للمسلمين أكثر من حزنهم إذا فاتهم ، وأشفق على أهدانهم من دخول النار إذا أكلوا الحرام أكثر مما يشفقون هم عليها وأطلب لهم احتمال الأذى من جميع الأنام ، وعدم مقابلة الناس بالأذى وهم لا يرضون بذلك بل ينتصرون لأنفسهم ويحرمون نفوسهم ثواب الله تعالى ، وهكذا فقس عليه والله يتولى هداك .

وروى مسلم وغيره مرفوعا : « اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ ، قَالُوا وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ وَفِي ظِلِّهِمْ » .

قال الحافظ المنذرى رحمه الله : وإنما نهى عن التخلي في طريق الناس وظلمهم لأنه يؤدي المار والجالس ، قال وليس كل ظل ينهى عن قضاء الحاجة فيه لأنه صلى الله عليه وسلم قضى حاجته تحت خائش نخل وهو لا يخلو عن ظل اه :

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : اعلم أن اللعن الوارد في السنة يختلف باختلاف الأثر المترتب عليه خفة وثقلا وقبحا ، فلكل فعل قبيح لعن يناسبه وإلا فأين لعن من فعل قوم لوط ممن بال في طريق الناس ، وكذلك القول في مقت الله عز وجل يتفاوت بتفاوت ذلك الفعل فللكفار لعن ولمرتكب الكبيرة لعن ولمرتكب الصغيره لعن ولمرتكب المكروه لعن اه فليتأمل ويحذر .

وروى الطبرانى مرفوعا باسناد حسن : « مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طَرِيقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ » .

وروى مسلم وغيره : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الْجَارِي » .

وروى الطبرانى وغيره مرفوعا : « لَا يُبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُغْتَسَلِهِ » .

وفي رواية للإمام أحمد وغيره : « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبُولَ الرَّجُلُ فِي مُسْتَحَمِّهِ وَقَالَ : إِنَّ عَامَّةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ » .

وروى الإمام أحمد وغيره : « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَالَ فِي الْحِجْرِ » .

قالوا لفتادة وما يكره من ذلك ؟ فقال : كان يقال إنها مسكن الجن والله تعالى أعلم :
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بترك شئ
من آداب السنة المحمدية كما عليه بعض المهوورين ، فيترك أجدهم السنة ويقول الأمر سهل
وربما أشعر ذلك اللفظ بالاستهانة بتركها رغبة عنها وذلك كفر فليحذر الفقيه المتدين من
مثل ذلك .

وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا نجد شيئا يخل بالمروءة إلا وهو
مخالف للشرعية وما من مأمور شرعى إلا وله درجة في الجنة لا تنال تلك الدرجة إلا به
وكذلك القول في أهوال يوم القيامة لا يلحق العبد هول منها إلا بفعله منها عنه في دار الدنيا
فلسلك منهى كرب يلحق صاحبه هناك ، ومن أحكم فعل المأمورات وترك المنهيات
لا يلحقه هناك غم ولا هم ولا حزن ومن أدخل بشئ من ذلك لحقه الكرب والهم بقدر
ما أدخله .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : ما أدخل أحد بآداب الشريعة إلا وترقى
لفعل المكروهات ولا فعل المكروهات إلا وترقى لفعل الجرام وكان يقول من رأيت به تعاطى
الأسباب التى تزل بالمروءة فلا ترجو له خيرا ، قال وذلك كان يدخل مع والد زوجته
أو ولدها أو أخيها الحام أو يكلم أحدا وهو يقضى الحاجة فى الخلاء ، أو يخرج صوتا
بحضرة للناس أو فى المسجد ، أو يقضى الحاجة قريبا من الناس بحيث يسمعون صوت
الخارج من ريح أو بول أو لا يستر شخصه عند البراز يتكلم بكلام الفساق والأراذل مما
يستحى أرباب المروءة أن ينطقوا به ونحو ذلك هـ .

وما رأت عيني إلى وقى هذا أكثر مروءة من ولد عمى الشيخ أحمد وشخص من
جبلية الوالى كان ينام عندنا فى المسجد ، أما ولد عمى فكان لا يقدر قط يقضى الحاجة
وأحد ينظر إليه وقد سافرت معه من مصر إلى المحلة الكبرى فى المركب فاقدر على إخراج
بول ولا غائط ، وكان يطلع البر مع الناس فيجلس فيتخيل أن أحدا ينظر إليه فلا يخرج
له شئ ويرجع بلا قضاء حاجة ، مع أنه كان يتباعد أكثر من جميع الناس ، وأما الشخص
الجبلى فسمع مرة صوت ريح من نائم عندنا فامتنع من النوم فى المسجد وأكرى له حاصللا
وصار ينام فيه خارج المسجد وقال ، خفت أن يخرج منى ريح وأنا نائم فى المسجد .

وأما أم ولدى عبد الرحمن رضى الله عنها ، فلها الآن معى تسع عشرة سنة فما
رأيتها قط وهى تقضى حاجتها فى خلاء البيت إلى وقى هذا رضى الله عنها .

فعلم أن علو الهمة والمروءة من الإيمان .

وقد أجمع أهل الطريق على أن كل مرید تعاطى قضاء حاجته بالقرب منه وهو يزحف من غير أن يقوم لها فلا يجيء منه شيء في الطريق ، وكذلك إذا أرسله شيخه في حاجة إلى السوق ، فقال أنظروا هل بقي حاجة أخرى حتى آتى بهما جميعا فلا يجيء منه شيء في الطريق إلا أن يكره خروج الطريق لغرض شرعى .

وقد بلغنا أن شخصا من الفقراء خطب ابنة سلطان فقال له السلطان إن مهر ابنتى غال عليك ، فقال كم هو ؟ قال مائة جوهرة كل جوهرة بألف دينار ، فقال وأين معدن تلك الجواهر ؟ فقال له السلطان في بحر الظلمات ، فأخذ الفقير قصعته وذهب إلى البحر فما قدر على الغوص فيه ، فصار يغيرف من البحر ويرش على الساحل فر عليه شخص فقال له فإذا تصنع من هذا البحر بقصعتك هذه ، فقال لأرجع حتى أصل إلى الجواهر أو أموت وأنا طالبه ، فبلغ ذلك السلطان فأعجبه مروءته ، فقال مثلك يصاح أن يكون وزيراً ، فأعطاه الوزارة وزوجه ابنته اه .

فهكذا ينبىء المؤمن الخاطب للمعالى (والله غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وقد روى أبو داود وغيره مرفوعاً :

« لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ عَلَى غَائِطِهِمَا يَنْظُرُ كُلُّهُمَا إِلَى عَوْرَةِ صَاحِبِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَمُقْتُ كَلِي ذَلِكَ » .

وفي رواية له : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعُدُ عَنِ النَّاسِ إِذَا قَضَى حَاجَتَهُ حَتَّى لَا يَرَى أَحَدًا شَخْصَهُ » .

وروى الترمذى وغيره مرفوعاً : « لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا » .

وروى الترمذى وحسنه مرفوعاً : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ الْحَمَامَ إِلَّا بِمِزْرٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا المعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون بترك المبادرة إلى غسل الجنابة التى تصيبنا فى بدننا أو ثيابنا ، بحيث يدخل وقت الصلاة ونحن لم نتطهر

وكذلك القول في الحدث الأصغر والأكبر ، لاسيما إن كان عصى به كأن قبل أجنبية أو باشر حائضا فينبغي المبادرة إلى الطهارة من ذلك كما نبادر بالتوبة بل بعضهم أوجب المبادرة فورا إلى الغسل من الجنابة التي عصى بها كما هو مقرر في كتب الفقه ، وربما أخر الإنسان الغسل أو غسل النجاسة عن بدنه حتى يدخل وقت الصلاة فلا يفرغ من ذلك حتى تفوته صلاة الجماعة ، وهذا العهد مفقود لإزالة النجاسة الحسية ويقاس على ذلك النجاسة المعنوية المتعلقة بالباطن كسوء الظن بأحد من المسلمين أو حدوث رياء أو حسد أو غل أو حقد ، أو عجب أو كبر أو نحو ذلك من المعاصي الباطنة ، ولذلك ورد :

« إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ التَّبَوُّلِ » .

مع أنه معدود من النجاسة الظاهرة ، فالباطنة أولى لأن القلب محل نظر الرب كما يليق بجلاله قال صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ » رواه مسلم .

وأیضا فكما لا تصح صلاة أحدنا وفي ظاهر جسده لمعة لم يصبها الماء أو نجاسة لا يعنى عنها فكذلك القول في نجاسة الأخلاق الرديئة :

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : أجمع الأمة على وجوب الخلوص من النجاسات الباطنة وعدوها من الكبائر كما يدل لذلك ماورد من الأحاديث كعمق الوالدين والكبر والشك في الله والحقد والغل وغير ذلك ، وقد ورد :

« لَا يَرْفَعُ الْعَاقُّ عَمَلَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَلَا لِلْمُشَاحِنِ » .

فعدم رفع العمل يدك على عدم صحته ، كما لو تعاطى مبطلا ظاهرا بترك شرط من شروط الصلاة ، قال وما جعل الشرع الطهارة على الأعضاء للظاهرة إلا ليتنبه المكلف على الأخذ في طهارة محل نظر الله من باب أولى كلما تطهر فإن الحضرة محرم دخولها على من كان عليه نجاسة ظاهرة أو باطنة ولو أراد أن يدخل لما قدر وقد أغفل هذا غالب الناس اليوم فعمى أحدهم يأكل حراما ويستغيب الناس ويقع في أعراضهم ، ويقع في الغيبة وغير ذلك ثم يصير يده بالماء ويتوسرس في الوضوء حتى ربما غسل العضو أكثر من ثلاث مرات لغلبة نظره إلى ظاهره دون باطنه .

ومعلوم أن من كمال الإيمان المطابقة بين الظاهر والباطن في الطهارة .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يدخل به حضرات الإيمان حتى يشرف

به على أحوال يوم القيامة ويخرق ببصره إلى الدار الآخرة ويصبر ينظر في باطنه أكثر من ظاهره ، ومن لم يسلك على يد شيخ فن لازمه الوقوف مع طهارة ظاهره حتى يموت ، فاسلك يا أخى على يد شيخ ليوصلك إلى ما ذكرناه والله يتولى هداك .

رووى البخارى وابن حبان فى صحيحه : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانٍ يُعَذِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا ، فَقَالَ إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ بَلَى كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَبِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ » .
وبوب عليه البخارى : باب من الكبائر أن لا يستبرى من بوله .

وروى الطبرانى مرفوعا : « إِنْ أَهْلَ النَّارِ يَتَأَذُونَ مِنْ رَائِحَةِ مَنْ لَمْ يَتَتَرَّزْ مِنْ بَوْلِهِ زِيَادَةً عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْأَذَى ، فَيَقُولُونَ لَهُ : مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى ، فَيَقُولُ : إِنْ الْأَبْعَدَ كَانَ لَا يُبَالِي أَيْنَ أَصَابَ الْبَوْلُ مِنْهُ وَلَا يَنْسِلُهُ » .

وفى رواية له أيضا مرفوعا : « اتَّقُوا الْبَوْلَ فَإِنَّهُ أَوْلُ مَا يُجَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ فِي الْقَبْرِ »
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا تتهاون بخروج نسايتنا للحمامات والأعراس إلا لمرض أو نفاس أو حيض ، والمرأة المتدينة تعرف حالها فى الغسل فى البيت فإن كانت تعلم أن بدننها يتفتح من المرض أو النفاس مثلا ، وتخاف من العرى فى بيتها أن يلحقها هواء مضر فالحمام لها مطلوب ، وإن كان بدننها يتحمل العرى فى البيت فاعتسألها فيه أولى . وأما غير المتدينة من النساء المتبرجات فإن كان زوجها يحكم عليها فله منعها ، وإن كانت تحم عليه فهو تحت حكمها كما هو شأن من استرقتهم شهوات النساء من التجار والمباشرين وغيرهم ، فلا يقدر أحدهم على مخالفة زوجته أبدا ، ويلحق بمنع النساء من الخروج للحمام خروجهن للأسواق والزيارات للأصحاب والأعراس التى لا انضباط فيها على القوانين الشرعية والعزومات والمتفرجات التى يقع فيها اختلاط الرجال بالنساء ، وقد كثرت خيانة هذا العهد من غالب الناس فكل موضع طلبته امرأة أحدهم أذن لها مع عدم التفتيش على الحاجة التى خرجت لها هل هى من الأمور التى ندب الشارع لها أو كرهها ، ولا يخفى ما فى ذلك من المفاسد وهو مناف لغيره أهل الإيمان ، وربما كان أحدنا شيخا مقلع الأسنان قد طعن فى السن أو قبيح المنظر وهى شابة حسناء فترجع من

ذلك السوق ، أولئك الزبارة وهي لا تشتهي أن تنظر إلى زوجها ، ولأن يقبلها أو يجماعها وهذا أقل ما يحصل من مفاسد الخروج :

وقد أخبرني امرأة دينية مصلية وقالت لي إنني أكره الخروج للسوق ؟ فقلت لها لماذا فقالت لأنني أنظر إلى الأشكال الحسننة فتميل إليها نفسي فأرجع لأقدر أنظر في وجه زوجي ، قالت : وقد دخلت مرة سوق الوراقين فرأيت شابا فأخذ بمجامع قلبي فرجعت فوالله ما رأيت زوجي في عيني إلا كالقطرب أو كالغول أو كالغفريت أو كالملقرة ، وكأن الرجل إذا رأى المرأة الحسناء مالت إليها نفسه فكذلك المرأة إذا رأت الشاب الأمرد الجميل تروح نفسها إليه ضرورة . قالت ورأيت مرة إنسانا من الطاق وزوجي عندي وصرت أنظر إلى حسن شكل ذلك الإنسان ، وحسش لحيته ووجهه وعيونه وأنظر إلى زوجي وإلى تشميث شعر لحيته وكبر أسنانه وأنفه وعمش عينيه وخشونة جلده وملبسه وفضاظته وتغير رائحة فمه وإبطه وقيح كلامه ، فما كنت إلا فتنت بذلك الإنسان قالت ثم إنني تبت إلى الله تعالى عن الخروج مطلقا للحمام ولا لزيارة ولا لغيرها فصار زوجي في عيني كالعروس ، فعلمت بذلك صدق توبتي اه .

فاعلم أن من أذن لزوجته في الخروج من غير ضرورة وحصل له ضرر فاللوم عليه ، وسيأتي في عهود النكاح ما ورد في المرأة إذا خرجت متمطرة لابسة ثياب زينتها فراجعها وامنع يا أخى زوجتك من الخروج ما استطعت لتكون راضية بك لا التفتات لها إلى غيرك والله يتولى هداك .

وروى الترمذي مرفوعا وحسنه : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ حَلِيلَتَهُ الْحَمَامَ » .

وفي رواية لابن ماجه وغيرها مرفوعا :

« أَمْتَعُوا نِسَاءَكُمْ الْحَمَامَ إِلَّا مَرِيضَةً أَوْ نَفْسَاءً » .

وروى الحاكم مرفوعا وقال إنه صحيح الإسناد :

« الْحَمَامُ حَرَامٌ عَلَى نِسَاءِ أُمَّتِي » .

قلت : ويقاس على الحمام غيره من المواضع التي يخشى منها الفساد والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا تؤخر غسل الجنابة في ليل أو نهار إلا بعدر شرعى ، وكذلك تأمر حليلتنا بالمبادرة إلى الغسل وهذا العهد يخل

به كثير من الناس اليوم حتى بعض العلماء فيجامع أحدهم قبل النوم وبعد العشاء ، وينام جنبا حتى يطلع النهار ويخرج إلى الحمام ، وربما لم يخرج من الحمام إلى ضحوة النهار كما شاهدت ذلك من بعض الناس .

وقد وقع لي أنني نمت مرة على جنابة فسمعت قائلا يقول لي : من نام على جنابة تعسرت عليه أسباب رزقه ، فلا يحصل له الرغبة حتى تسكاد تزهرق روحه ، فمن ذلك اليوم وأنا أخاف من النوم على جنابة ، وربما كان الوقت باردا ولم أجد ماء أسخن به الماء فأغتسل بالماء البارد ، بعد أن أقول بتوجه تام يارب احمل عني ضرر هذا الماء ، فإنك تعلم أنني ماتحملت مشقة هذا الماء إلا لإجلال لك ياربي وتعظيما أن أجالسك على جنابة ، فلا يضرني استعمال ذلك الماء البارد فإن رأيت عندي ضعفا في للتوجه وخفت على رأسي استعمال الماء البارد فيما عدا الرأس وتيممت عنه إلى أن أجد الماء المسخن ، فينبغي تعليم المرأة ذلك فإن كان توجهها ضعيفا أو قليلة الدين ، فقلل يأخى الجماع أو أعطاها ثمن ماء الحمام ؛ وعياره المنهاج وعايه ثمن ماء غسل جماع أو نفاس لاحتلام .

وكان سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : استعمالوا ماء البئر في الشتاء فإنه أنفع من ماء الحمام ، لأن ماء البئر يعقبه حرارة وماء الحمام يعقبه برودة ، وإذا ألفت البدن استعمال الماء البارد ذهب ضرورته إن شاء الله تعالى ، فعلم أنه لا يقدر على العمل بهذا العهد إلا من صدق في محبة الله عز وجل ومحبة أهل حضرته من الأنبياء والأولياء فإن الجنابة حضرة بعد وجفاء وحجاب عن الله عز وجل وأهل حضرته والمحبة لا يصبر على عدم شهود محبوبه طرفة عين .

وقد كان الشبلي رحمه الله يقول : اللهم مهما عذبتني بشيء فسلا تعذبني بذل الحجاب ؛

وكان أخى الشيخ أبو العباس الحرثي رحمه الله يضع إناء الماء قريبا من محل الجماع ، فإذا قضى وطره اغتسل على الفور وهو في غاية الخجل من الله تعالى من خوفه أن تكون النية في ذلك الجماع دخلها شيء من الخطوظ النفسانية ، مع أن ذلك الخط يذق مع العارف ولا ينقطع ، وبعض العارفين يقاب لذة الجماع إلى وجه مرضى عند الله تعالى ، وذلك لأن العارف يعلم أن فيه مجموع الأضداد ، ففيه من يطلب المذة النفسانية المباحة ولو وصل أعلى المقامات ؛ وهو مسئول عن توفية حقوق رعيته كلها ، وبعضهم يحضر مع الله تعالى في حال جماعه كما يخضر في صلاته سواء بجامع أن كلا منهما مأمور به ، وهذا أمر لا يقع

لألمن قهر شهوته وصارت تحت رجليه وإلا فن لازمه للغيبة عن الله بلذته الطبيعية حتى يحس بأن اللذة عمت جميع بدنه ، ولذلك أمر كل مجامع بتعميم بدنه بالماء ليحیی جميع سطح البدن الذى سرت فيه اللذة فتأمل :

وقد كان سيدى الشيخ أحمد بن عاشر المغربى شيخ تربة السلطان قايتباى بمصر المحروسة إذا حملت زوجته لا يقرب منها حتى تلد وتفطم الولد ، ويحییء أو ان الحمل ويقول لأحب أن أتعاطى ما يمنعنى من دخول حضرة ربى ولو لحظة واحدة رضى الله عنه وغالب جماع الناس فى هذا الزمان شهوة نفس منهم اللهم إلا أن تكون زوجة أحدهم شابة ويخاف عليها الالتفات إلى غيره فعليه أن يعفها حتى لا تلتفت إلى غيره .

فاسلك يا أخى على بدشيوخ صادق حتى يقطع بك حجب الشهوات النفسانية ، ثم لا يبق لك مانع من دخول حضرة ربك أى وقت شئت إلا ما استنيتى شرعا ، وهناك تحب ربك وأهل حضرته وترى حجابك عن حضرته أشد من العذاب ، ومادام لك حجاب أو عائق فن لازمك التهاون بارتكاب كل ما يحجبك عنه وليس لك فى كمال محبته قدم كما هو شأن أهل الحجاب والطرود والعوام من الظلمة فيقيم أحدهم فى مواطن الغفلات والبعد عن الحضرة الإلهية اليوم والجمعة والشهر لا يشتاق لربه ، ولا لأهل حضرته .

فعليك يا أخى بالسلوك على يد شيخ صادق يقطع بك الحجب ويخلصك من كل عائق ، وتصير عند الله مقبلا على ذلك الشخص الغليظ اللعين الذى يرى نفسه فوق الخلق أجمعين .

وتأمل يا أخى عيد الرق الأمين الخالص فى العبودية كيف يصير داخلا خارجا على السيد لا يحتاج إلى إذن لأنه لا عائق له عن خدمته بخلاف الأمير الكبير يصير واقفا على الباب لا يقدر على الدخول حتى يأخذ له ذلك العبد الإذن فاعلم ذلك .

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : من كان من أهل الحضرة عرف مقدار الحجر والوصل . قال وقد نمت مرة على جنازة فما استيقظت إلا وجميع أهل الحضرة قد اصطفوا بين يدى الله عز وجل فى سائر أقطار الأرض فلا تسألوا ما حصل عندى من الخجل من الله تعالى حتى كدت أذوب اه .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو داود وغيره مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا تَقْرَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ : حَيْمَةُ الْكَافِرِ ، وَالتَّمَطَّحُ بِالْخَلْقِ ، وَالْجُنُبُ إِلَّا أَنْ يَتَوَضَّأَ » .

قال الحافظ المنذرى رحمه الله : والمراد بهؤلاء الملائكة هم الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الحفظة ، لأن الحفظة لا يفارقون الإنسان على أى حال من الأحوال ثم قيل إن هذا فى حق كل من أجز الغسل من غير عذر ولا عذر إذا أمكنه الوضوء فلم يتوضأ وقيل هو فى حق من يؤخره تهاونا وكسلا ويتخذ ذلك عادة هـ :

قلت : قد رأيت فى مسند الإمام سنيد رحمه الله مرفوعا :

« اسْتَحْيُوا مِنْ مَلَائِكَةِ رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ مَعَكُمْ مِنْ لَأَيْفَاقِكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْجُمَاعِ وَالْبَرَازِ » .

فصرح بأن الملائكة تفارقه فى حال الجوع والبراز اللهم إلا أن يريد ملائكة الرحمة والبركة فيصح قول المنذرى والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بترك التسمية على طهرنا وذلك لأن كل شىء لا يذكر اسم الله تعالى عليه فهو كالميتة وما شرعت الطهارة بالماء إلا لنحى سطح البدن ، وبعد أن مات أو ضعف بالمعاصى وأكل الشهوات وتراكم الغفلات ، فإذا سمي الله تعالى مع الماء حصل له تمام الحياة فيذكر اسم الله تعالى يطهر للباطن والماء يطهر الظاهر فيقوم يناجى ربه بكل شعرة فيه وكل ذرة ، بخلاف من ترك للتسمية فإنه ميت القلب أو مريضه ، وهذا العهد يتعين العمل به على كل متدين ، وغالب الناس يقولون هذه سنة يصح الوضوء بدونها ولا يقدر فى صحته تركها ولا يعرفون ما ذكرناه من سرها .

فواظب يا أخى على التسمية وأعد وضوءك استحبابا إن تركتها والله يتولى هداك : قال الحافظ عبدالعظيم : ومما جاء من الترهيب فى ترك التسمية عامدا قول الإمام أبى بكر بن أبى شيبة ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُسَمِّ اللَّهَ » كذا قال .

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والطبرانى والحاكم مرفوعا :

« لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ » .

لكن ضعفه بعض الحفاظ . وقد ذهب الحسن والنخعى واسحق بن راهويه وأهل الظاهر إلى وجوب التسمية فى الوضوء حتى إنه إذا تعمد تركها أعاد الوضوء ، وهو رواية

عن الإمام أحمد. قال الحافظ المنذرى: ولا شك أن الأحاديث التي وردت في التسمية وإن كانت لا تنسب من مقال فإنها تتعارض بكثرة طرقها وتكتسب بذلك قوة والله أعلم :
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا تقرب من الحائض حتى تظهر، ومنع بعض العلماء من الاستمتاع بما بين السرة والركبة لأنه حريم الفرج :
« وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ » .

ويسمى هذا تحريم الوسائل خوف الوقوع في المقاصد كتحریم قليل التبييض وإن لم يسكر .
وكتحریم قبلة الشاب الصائم خوفاً أن تدعوه إلى اللواط ونحو ذلك ، وأهل هذا القول لا يلبثون مع علة التحريم لأنهم لو داروا معها لقالوا بالإباحة عند فقدتها فافهم .
واعلم يا أخى أن القول قول المرأة في انقطاع حيضها ونفاسها إن وثق بصدقها . وقد وقع لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان تحت امرأة تكره الرجال فكانت تتعمل بالحیض فقالت له مرة إني حائض فسكذبها ، ثم أتاها فوجدتها صادقة ، فقال أف ثم تركها ، ثم لا يخفى أن تحريم وطء الحائض تحريم شفقة خوفاً على الجامع أن يحصل لذكره ضرر .

وقد أخبرني شخص أنه جامع في شدة الحيض فكاد ذكره أن يقع وكذلك وقع لي وأنا شاب أتيها بعد إدمار الدم وانقطاعه وقبل غسلها فحصل في قبلي أكلة كالجرب نحو شهر وقاسيت منه ضررا شديداً وكانت المرأة لم تغسل فرجها ، فإياك يا أخى ثم إياك .

وروى أبو داود وابن ماجه وغيرهما مرفوعا :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْأَسْتِمْتَاعَ بِالْحَائِضِ أَلْتَقَى عَلَيْهَا خِرْقَةً تُحْمَى بِأَسْرَهَا » .

يعنى من غير جماع والله تعالى أعلم . -

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا تخرج من المسجد بعد الأذان إلا إن كنا نخرج لرجوع قبل أن تقام الصلاة أو ندرك الصلاة في مسجد آخر تساوى جماعته جماعة مسجد الأذان ، وكذلك لا يمكن أحدا من إخواننا المنقادين لنا أن يخرج من المسجد كذلك إلا بعد شرعى ، ويقاس بصلاة الجماعة المذكورة الخروج بعد (٤٣ — لواقع الأنوار)

نصب مجلس الذكر أو العلم أو مجلس مناقشة الشيخ للفقراء ، وتخليص حقوقهم من بعضهم ونحو ذلك من الخيرات العظيمة ، بل ربما يكون بعض هذه المذكورات في حق بعض الناس أكثر أجرا من صلاة الجماعة التي نهينا عن الخروج من المسجد لأجلها .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح يعرف مقادير العبادات وتفارثها وما هو الأولى بالتقديم منها على غيرها كشفنا وبقينا لاتقليدا وتحمينا ومن لم يسلك كما ذكرنا فن لازمه الإخلاق بتقديم ما هو لإلحق بالتقديم بل من الناس من يقدم شهوات بطنه وفرجه على عبادة ربه ، ويخرج من المسجد ويفارق صلاة الجماعة وغيرها ولا يبالي بما فاته من ذلك .

فاسلك يا أخى على يد شيخ ناصح واخدم نعاله واصبر على تنكراته عليك وعدم قيامه بواجبك العادى والله يتولى هداك .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « إِذَا كُنْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ فَتَوَدَّيْ بِالصَّلَاةِ فَلَا يَخْرُجُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُصَلِّيَ » .

وروى الإمام أحمد أن أبا هريرة رأى رجلا يخرج من المسجد بعد ما أذن المؤذن ، فقال : أما هذا فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم :

وروى الطبرانى مرفوعا : « لَا يَسْمَعُ أَحَدٌ النَّدَاءَ فِي مَسْجِدِي هَذَا ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ ثُمَّ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلَّا مُنَافِقٌ إِلَّا لِحَاجَةٍ » .

وفي رواية لابن ماجه : « مَنْ أَدْرَكَهُ الْأَذَانُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ خَرَجَ لَمْ يَخْرُجْ لِحَاجَةٍ وَهُوَ لَا يَرِيدُ الرَّجْعَةَ فَهُوَ مُنَافِقٌ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لارتأى في عباداتنا أحدا من الخلق خوفا من مقت الله عز وجل سواء كان الرياء مصاحبا للعمل أو متأخرا عنه ، كأن يجب أحدا والعياذ بالله تعالى ظهور أثر الطاعة عليه من نور الوجه وحسن السميت في المستقبل ، أو ظهور أثر السجود في جبهته مثل ركبة العنز . أو كثرة المصلين في جنازته غير غرض صحيح ، أو يميل إلى قول الناس له إذا مر عليهم وعلى وجهه نور شيء لله المدد ياسيدى الشيخ ، ونحو ذلك ، فإن ذلك كله يرجع إلى الرياء ولو لم يصاحب العبادة .

وقد كنت مرة جالسا عند سيدي على الخواص رحمه الله وهو يصف الخواص ، فر بنا شخص من المتعبدين قوامين الليل الصائمين النهار والنور يخفق على وجهه ، فقلت له ياسيدي انظر إلى هذا النور العظيم الذي على وجه هذا الرجل ، فرغ الشيخ رأسه فقال اللهم اكفنا سوء بما شئت وكيف شئت إنك على ما تشاء قدير ، فقلت له لماذا؟ فقال : يا ولدي إذا أراد الله بعبد خيرا جعل نوره في قلبه ليعرف ما يأتي وما يذر من الحسن والقبيح ، وجعل وجهه كآحاد الناس ، وإذا أراد الله بعبد سوءا نقل النور الذي في قلبه على وجهه وأخلى باطنه من النور وجعله مظلما ليقع في كل فاحشة وفي كل رذيلة، ويقول له الناس مع ذلك شيء لله المدد ياسيدي الشيخ لما يروته من النور الذي على وجهه مع أن قلبه خراب مظلم ، فقلت له ياسيدي أما يجمع الله تعالى لأحد بين النورين ؟ فقال يمكن ولكن قد أمرنا الله تعالى بالستر لأعمالنا في هذه الدار فلا يظهر لنا كمال إلا في محل يقتدى بنا فيه ، فقلت له حصول النور على وجه العبد لا يجيء بالنفعل ، فقال صحيح ولكن لا يظهر عليه شيء قط إلا مع ميل سبق منه ولولا ميله ما ظهر ، فقلت له فيحتاج الإنسان إلى ميزان دقيق ، فقال نعم وهو كذلك فر بما ظهر كمال العبد بميل خفي لا يشعر به فليفتش العبد نفسه انتهى .

وسمعت أختي أفضل الدين رحمه الله يقول : الكامل المسكمل من كان على عبادة الملائكة ، ومع ذلك لم يظهر على ظاهره شيء فهذا هو الذي يخرج من الدنيا وأجره موفر لا ينقص منه ذرة ، ومن هنا ترك بعض الأكابر العذبة والسبحة وتربية الشعر ولبس الصوف والجلوس على السجادة ودخلوا في غمار العامة فلا يكادون يتميزون عن العامة بهيئة ، فإن هذه الأمور قد صارت علما على أن صاحبها من أهل الطريق ، وأما من لبس الطيلسان وأرخى العذبة ولبس الصوف وجلس على سجادة بلانية صالحة فكأن كل شعرة منه تقول للناس أنا من الصالحين ، ومحك ذلك أنه إذا ترك تلك اللبسة ولبس ثياب العوام على الدوام يجد في نفسه استيحاشا ، لأن هيئة المشيخة فارقتة وما هو شيخ إلا بها ، فصار كالحداد بلا فحم .

قال : وقد طلبت مرة أن أعمل لي شملة حمراء كالأحمدية فشاورت سيدي عليا الخواص ، فقال إن قدرت تقوم بواجبها فالبسها ، فقلت له وما واجبها ؟ قال أن تمشي على قدم سيدي أحمد البدوي ، قال : فقلت له لأطبق فقال ، فاترك ذلك ثم قال وعزة ربي إنى جعلت في زيقي جبتي شرموطا أحمر محبة في سيدي أحمد وأنا مستحي من الله تعالى

في لبسه ، وكذلك القول في لباس كل خرقة من الخرق ، إن لم يمش الإنسان على قدم أصحابها وإلا فليتركها ، وأين قدم الشيخ عبد القادر الجيلبي وسيدى أحمد الرفاعى ، وسيدى إبراهيم الدسوقي مثلا من أقدام من يلبس خرقتهم اليوم .

وقد رأيت خليفة سيدى أحمد البدوى وهو لابس عمامة سيدى أحمد ، وبشت سيدى عبدالعال وجهه مصفر ، كالذى له شهر ضعيف ، فقلت له ما سبب هذا الأصفرار ؟ فقال من هيبة صاحب العمامة والبشت ، ثم قال والله إنى لما ألبسهما أحس بأن عظمى ولحمى ذائب انتهى .

وقد رأى سيدى أحمد الرفاعى يوما مريدا لابس جبة بيضاء ، فقال يا ولى لقد لبست لبسة الأنبياء وتحليت بحلمية الأصفياء ، فإن لم تسلك طريقهم وإلا فانزع لبستهم ، فاعلم ذلك .

وكان على هذا القدم من الأشياخ الذين أدركناهم سيدى الشيخ أبو العباس الغمرى وسيدى إبراهيم الشاذلى ، وسيدى على المرصفى ، وسيدى محمد الشناوى ، فسكانوا لا يتميزون عن العامة في لبس رضى الله عنهم أجمعين .

وسمعت الشيخ أمين الدين رحمه الله يقول : سمعت سيدى أبا العباس الغمرى يقول لسيدى محمد بن عنان : الظهور يقطع الظهور ، وربما استوفى من أظهر صلاحه في هذه الدار جزاء أعماله كلها من كثرة الاعتقاد فيه ، وقضاء حوائجه وإرسال الهدايا له ، ونحو ذلك فيذهب إلى الآخرة صفر اليدين من الأعمال الصالحة .

فعلم أن الله تعالى ما طلب منا إلا أن نعبده خالصا لوجهه لا نشرك بعبادته أحدا من خلقه حتى أنفسنا إلا بقدر نسبة العمل إلينا لأجل التكليف ، فياخساره من يرأى بعمله في هذه الدار ، وياندامت يوم القيامة فإنه ليس مع الخلق الذين راعاهم شىء يعطونه له يوم القيامة في نظير مراعاتهم ، ولا هو عبد الله تعالى خالصا حتى يثيبه على عبادته قال تعالى :

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) .

وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من شرط العمل الصالح أن لا يرى به نفسه على أحد من خلق الله تعالى ، ففى رأى له به فضلا على أحد خرج عن كونه صالحا إلا إن قصد بذلك الشكر انتهى .

ثم لا ينبغي على كل عاقل أن العبد لا يستحق قط على خدمة سيده شيئا لأن خدمة السيد واجبة على عبده شرعا لكونها وظيفة الرق ، وكل عبد لا يرى المنة لسيدته عليه في إذنه له في الوقوف بين يديه فضلا عن إعطائه الثواب الجزيل فهو أعمى القلب في العبيد ، فإنه لو طرده مثل غيره ومنعه الوقوف بين يديه لهلك مع الهالكين .

واعلم يا أخي أن أكثر ما يدخل الرياء في الفضائل الزائدة على الفرائض ، أما الفرائض فلا يدخلها رياء إلا من حيث تحسينها باظهار الخشوع فيها ونحو ذلك . والفرق بينهما أن العبد في فعل الفرائض عبد اضطرار وفي النوافل عبد اختيار فكأنه يقول في نفسه قد فعلت ما كلفني الله تعالى به وزدت عليه ، ولو شئت لم أفعله ، فلذلك يغلب عليه شهود فضله على أخيه بفعل ذلك بخلافه في الفرائض ، ولذلك أمر العبد أن يقول في سجود التلاوة «سجد وجهي للذي خلقه وصوره ، وشرق سمعه وبصره بحوله وقوته» بخلاف الفرائض لا يقول فيها بحوله وقوته لأنه لا يرى نفسه بها على غيره غالبا .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ صادق يفنى اختياره في اختياره ويصبر على نهره ومناقشته له حتى يسير به في طريق الغيب ويوصله إلى حضرة ربه عز وجل ، ومن لم يسلك كما ذكرنا فن لازمته شهود العمل لنفسه وحب المحمدة به عند الناس وحب الشهرة بالصالح شاء أم أبى .

وإيضاح ذلك أن من لم يسلك الطريق لا يصبح له غالبا دخول حضرة الإحسان التي يعبد الله فيها كأنه يراه أبدا ، فهو واقفت في عبادته مع نفسه ومع الخلق في الأعمال ، ولو أنه دخل حضرة الإحسان لشهد الله تعالى هو الفاعل لجميع أعماله خلقا وإيجادا على الكشف والشهود ، وما بقي للعبد إلا وجه إسناد الفعل إليه مجازا لأجل قيامه بالحدود والتكاليف لا غير ، ومن كان كذلك لم يجد لنفسه عملا أصلا فاستراح من ورطة الرياء بالأعمال والإعجاب به وطلب الثواب من الله تعالى لأجله ونحو ذلك ، فصار يشهد جوارحه كالآلة التي يحركها المحرك على الفارغ فيرى الله هو الفاعل في جوارحه بالامداد والقوى لا هو ، فإن العبد إذا أمره الحق تعالى ، بقوله افعل يتيه إعجابا في نسبة الفعل إليه ، ثم يسبقه إمداد الحق تعالى لقوته الفاعلة عند الفعل من حيث لا يشعر ، فيظن أنه الفاعل وينسى الفاعل الحقيقي ، ولو أنه نظر إلى قواه الباطنة وما أمده الحق تعالى لها من القوى لذهب عنه الرياء جملة واحدة ، فكان حكمه حينئذ حكم من نام إلى الصباح وبجانبه شخص

نأثم يصلي طول الليل والناس ينظرون فهو لا يصيح له أن يرأى بما فعل ذلك الشخص أبدا ولو أنه ادعى ذلك لكذبه الناس ، ومثل ذلك أيضا مالو استعار ثوبا ليحضر به عرسا . وجميع من حضر العرس يعرفون أن ذلك الثوب لفلان أعارها له ، فلا يصح له أن يدعيها لنفسه ، ولو ادعى كذبه الناس ولم يحصل له به تجمل ، بل كان العرى له أولى من لبسه ، فكذلك القول في المرأى بعمله بكذبه الله وملائكته وجميع العارفين وتمتته القلوب ، قال تعالى :

(كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) .

أى لو انكشفت حجابكم لرأيتم الله تعالى فاعلا ومقيم نفوسكم عنده يعنى فى حضرة شهوده لادعائها ما ليس لها لأن الله تعالى يمقت العبد على وجه نسبة الفعل إلى نفسه ، فإنه تعالى قد أضاف الأفعال إلى عبادته وما أضافه إليهم لا يصح مقتمهم لأجله فافهم .
وبالجملة فن راعى الناس بأعماله فهو مجنون والسلام .

وروى مسلم والترمذى وغيرها مرفوعا : « أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَىٰ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَيُؤْتَىٰ بِهِ فَيَعْرِفُهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ نِعْمَةً عَلَيْهِ فَيَعْرِفُهَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ لَهُ مَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ فَيَقُولُ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ فِيكَ ، فَيَقُولُ لَهُ الْحَقُّ تَعَالَىٰ كَذَبْتَ وَلَسَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَتَقْدُّ قِيلَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَيُسْحَبُ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقَىٰ فِي النَّارِ » .

وروى ابن خزيمة فى صحيحه مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ لِلْقَارِئِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَمْ أَعَلِّمَكَ الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَىٰ رَسُولِي ؟ فَيَقُولُ بَلَىٰ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ لَهُ : فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيهَا عَلِمْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَقُومُ لَكَ بِهَ آثَاءَ اللَّيْلِ وَآثَاءَ النَّهَارِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ ، وَيَقُولُ لَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ قَارِئٌ ؛ وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَوَّلِ مَنْ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ » .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « مَنْ عَمِلَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » .

وروى الطبراني وغيره مرفوعا : « مَنْ تَزَيَّنَ بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَهُوَ لَا يُرِيدُهَا وَلَا يَطْلُبُهَا لِنِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .

وروى الترمذى وغيره مرفوعا : « يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتَلُونَ الدُّنْيَا بِاللَّيْلِ يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّانِ مِنَ اللَّيْلِ ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذَّنَابِ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَيْ يَمْتَرُونَ هُوَ عَلَى عَظْمَتِي يَحْتَرُونَ فِي حَلْفَتِي لَا بَعَثَنَّا عَلَيْهِمْ فِتْنَةً تَدْعُ الْحَلِيمَ حَيْرَانًا » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ طَمَسَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَخَوَّنَ ذِكْرَهُ وَأَثَبَتْ اسْمُهُ فِي دِيْوَانِ أَهْلِ النَّارِ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا عن ابن عباس قال الحافظ المنذرى وابعه موقوف :

« إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا تَسْتَعِيدُ جَهَنَّمُ مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعًا مَرَّةً ، أُعِدَّ ذَلِكَ الْوَادِي لِلرَّائِبِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ كَحَامِلِ كِتَابِ اللَّهِ وَالْمُتَّصِدِي فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ وَالْحَاجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَالخَارِجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وروى الإمام أحمد باسناد جيد وابن أبي الدنيا والبيهقى مرفوعا :

« إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَضْعَفُ قَالُوا ؟ وَمَا الشُّرْكَ الْأَضْعَفُ قَالَ : الرَّيَاءُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ : أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَادُونَ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً ؟ » .

وروى الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى مرفوعا :

« إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ اللَّهُ أَحَدًا فَلْيَطَّابُ ثَوَابُهُ مِنْ عِنْدِهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرْكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ » .

وروى الطبراني والبيهقى مرفوعا : « يُؤْمَرُ بِالنَّاسِ إِلَى الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهَا وَاسْتَدْبَقُوا رِيحَهَا وَنَظَرُوا إِلَى قُصُورِهَا وَمَا أُعِدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا نُودُوا أَنْ اصْرِفُوهُمْ » .

عَنْهَا لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا ، فَيَرْجِعُونَ بِحَسْرَةٍ مَّا رَجَعَ الْأَوْلُونَ بِمِثْلِهَا فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا لَوْ أَدْخَلْتَنَا النَّارَ قَبْلَ أَنْ تَرِيَنَا مَا أَرَيْنَا مِنْ ثَوَابِكَ وَمَا أَعَدَدْتَ فِيهَا لِأَوْلِيَاءِكَ كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا ، قَالَ : ذَلِكَ أَرَدْتُ بِكُمْ ، كُنْتُمْ إِذَا خَلَوْتُمْ بَارِزُتُمُونِي بِالْعِظَائِمِ ، وَإِذَا لَقَيْتُمُ النَّاسَ لَقَيْتُمُوهُمْ مُخْبِتِينَ تَرَاهُونَ النَّاسَ بِخِلَافِ مَا تَعْطُونِي مِنْ قُلُوبِكُمْ ، هَبْنِمُ النَّاسَ وَلَمْ تَهَابُونِي ، وَأَجَلَسْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تُجِلُونِي ، وَتَرَكَتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تَتْرُكُوا لِي الْيَوْمَ أَذِيْقُكُمْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ مَعَ مَا حُرِمْتُمْ مِنَ الثَّوَابِ .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الشَّرْكَ وَشَهْوَةَ خَفِيَّةٍ ، قِيلَ وَتُشْرِكُ أُمَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ شَيْئًا وَلَا وَثَنًا وَلَا حَجْرًا وَلَكِنْ يَرَاهُونَ النَّاسَ بِأَعْيَانِهِمْ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّيَاءُ شِرْكٌ هُوَ؟ قَالَ نَعَمْ : قِيلَ فَمَا الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ؟ قَالَ : يُصْبِحُ أَحَدُهُمْ صَائِمًا فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا فَيُفْطِرُ » .

وروى ابن خزيمة مرسلًا « لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا فِيهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ رِيَاءٍ » .

وروى ابن خزيمة مرفوعا : « إِنِّي كُفْتُ وَشِرْكُ السَّرَائِرِ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ : يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّيُ فَيَزِينُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ » .

وروى الإمام أحمد والطبراني مرفوعا : « أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشَّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ قَبِيلٍ فَكَيْفَ نَتَّقِيهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ؟ فَقَالَ قُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَعْفِرُكَ بِمَا لَا نَعْلَمُهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتعاطى فعل شيء من القاذورات في المسجد ، سواء القاذورات الحسية كالنجاسة العينية والمعنوية كالغيبة

والنسيمة ، والنظر إلى ما لا يحل ونحو ذلك كل ذلك إجلالا وتعظيما لما نحن فيه في حضرته الخاصة به ، لأن المسجد بيت الله فهو كنهى الصائم عن الغيبة في رمضان مع أنها حرام في رمضان وغيره .

وقد ورد النهي عن تقدير المساجد بالأمور المحسوسة كالبول والبصاق ، فقسنا عليها تقديره بالأمور المعنوية ، وفي الحديث :

« إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ » يعني في المسجد .

فعلم أنه لا ينبغي للجالس في المسجد أن يتهاون بتطاير شيء من بصاقه فيه ، ولا أن يخرج فيه ريحا ولا أن يلغو فيه ولا أن يتهاون ويتساهل في الخواطر السيئات ، ولا أن يأكل على حصره أو أرضه عسلا يعف عليه اللدباب ، ولا أن يأكل فيه ثوما أو بصلا أو شيئا مما له رائحة كريهة مطلقا كالسملك المقدد ونحو ذلك ، ومن وقع في شيء مما ذكرناه فليبادر إلى التوبة وإزالة القدر منه على الفور إن كان حسيا وهذا العهد لا يقدر على العمل به من سكان المساجد وخدامها إلا القليل :

فيحتاج من يريد العمل به إلى شيخ يسلك به في درجات تعظيم الله عز وجل التعظيم الممكن للخلق حتى يوقفه في حضرة الله الخاصة ، ويشاهد أهلها بعين قابه وهم صفوف واقفون وراكعون وساجدون على اختلاف طبقاتهم في التقريب ، ويرى هناك من الملائكة كل ملك لو أراد أن يبلغ السموات والأرض في جوفه لمان عليه ذلك ومع ذلك فهو يرعد من هيبة الله ، فإذا كانت هذه عظمة عبد من عبيد الله فكيف بسيد الذي لا يحيط بوصفه الواصفون ؟ .

وإيضاح ذلك أن رؤية الملك سبحانه في حضرته الخاصة وجنود واقفون بين يديه ، أكمل من شهوده بغير جنود ولذلك أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحضرات العلى ، ليطلع على ما لم يكن عنده في الأرض من حيث العظمة الإلهية ، فإن في الإنسان جزءا يزيداد علما بالشهود فكان في الإسراء زيادات الآيات والعلامات وإعطاء العين حظها من النظر .

وتأمل يا أخى لو أن أحدا من ملوك الأرض لبس لبسة العوام ونخرج مستخفيا في الناس إذا رأيت لا يقوم بقلبك تعظيمه كما تعظمه إذا رأيت في دست مملكته وعسكره ، فكذلك القول في الحضرات الإلهية :

(وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) .

الذى لا يحاط به فإنها على صورة المواقب الأرضية في الهيبة نظير الوقوف في صلاة الجماعة .

فعلم أن من طلب تعظيم بيوت الله تعالى من غير سلوك على يد شيخ ناصح فقد أخطأ الطريق ، لأن تعظيم البيت فرع عن تعظيم رب البيت .

وما رأت عيني في عمري كله أكثر تعظيماً للمساجد من سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ، كان لا يقدر على رؤية أحد يلغو في المسجد أو يعمل فيه حرفة أو يدخله لحم فيء أو قديد سمك أو غافلا عن الله عز وجل . وقد رأى مرة الأخ الصالح أبا العباس الحرثي يمشى بتاسومة في المسجد فناه عن ذلك وقال هذا عيب عظيم من مثلكم وقلة تعظيم لربكم فتزعها من رجله ، واستغفر فما لبسها في المسجد حتى مات ، وهذا الأمر قد كثرت في المتورعين تنطعا لا خوفا من الله عز وجل فيأكلون الحرام ويفعلون الحرام ثم يمشى أحدهم بتاسومة على حصر المسجد .

وقد قالوا في المثل السائر رأوا مرة شخصا سكرانا يقرأ القرآن ، فقال الناس له غن ليشاكل بعضك بعضا وهكذا من يفعل ما ذكرناه ، وما هكذا كان يفعل أهل العلم والدين الذين أدركناهم رضى الله تعالى عنهم فالله تعالى يرد العاقبة إلى خير آمين .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَ وَجْهِ أَحَدِكُمْ إِذَا صَلَّى فَلَا يَبْصُقُ إِذَا صَلَّى بَيْنَ يَدَيْهِ » .

وروى ابن خزيمة : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى مُخَامَةً فِي الْمَسْجِدِ يُغَضِبُ وَيَقُولُ : إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى يُقَابِلُ رَبَّهُ أَيُّحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَحَدٌ وَجْهَهُ فَيَبْصُقَ فِي وَجْهِهِ » .

وفي رواية أخرى له مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِي صَلَاتِكُمْ ، فَلَا تُوجِّهُوا شَيْئًا مِنَ الْأَذَى بَيْنَ أَيْدِيكُمْ » .

وبوب عليه ابن خزيمة باب الزجر عن توجيه جميع ما يقع عليه اسم أذى تلقاء القبلة في الصلاة ، ثم روى مرفوعا :

« مَنْ تَقَلَ تَجَاهَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَقَلُّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ » ومعنى تفل بصدق .
قلت ومعنى قوله : « إِنْ اللَّهَ فِي قِبْلَةِ أَحَدِكُمْ أَوْ تَجَاهَهُ وَجْهَهُ » .
أن حضرة خطاب الحق تعالى تكون بين يدي المصلي فلا يبصق قبلها أدبا معها
وإلا فالحق سبحانه لا تأخذه الجهات والله أعلم .

وروى الشيخان مرفوعا : « الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا ذَنْبُهَا » .
وروى أبو داود وغيره : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ إِنْشَادِ
الضَّالَّةِ فِي الْمَسْجِدِ وَعَنِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَعَنْ تَشْدِيدِ الْأَصَابِعِ فِيهِ » .
وروى ابن ماجه وغيره مرفوعا : « خِصَالٌ لَا تَنْبَغِي فِي الْمَسْجِدِ لَا يُتَّخَذُ طَرِيقًا
وَلَا يُشْمَرُ فِيهِ سِلَاحٌ ، وَلَا يُمَرُّ فِيهِ بِلَحْمٍ نِيءٌ ، وَلَا يُضْرَبُ فِيهِ حَدٌّ ، وَلَا يُقْتَصُّ
فِيهِ مِنْ أَحَدٍ ، وَلَا يُتَّخَذُ فِيهِ سُوقٌ » .
والتي : هو الذي لم يطبخ وقيل هو الذي لم ينضج .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا :
« سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمُ الدُّنْيَا لَيْسَ اللَّهُ
فِيهِمْ حَاجَةً » .
قال نافع : وكان ابن عمر رضی الله عنه يخرج من رآه يلغو في المسجد إلى الرحبة ويقول
من أراد أن يلغو فليخرج إلى الرحبة :
وروى الشيخان مرفوعا : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ » يعنى الشوم (فَلَا يَقْرَبَنَّ
مَسْجِدَنَا » .

وفي رواية لأبي داود : « فَلَا يَقْرَبَنَّ الْمَسَاجِدَ » .
وفي رواية للطبراني : « مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنْ كَانَ
وَلَا بُدَّ فَأَعْلًا فَلْيُنْهِكُهُمَا بِالنَّارِ يَعْنِي فَلْيَطْبُخْهُمَا » .
وروى مسلم مرفوعا : « مَنْ أَكَلَ كُرْثًا فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ
تَتَأَذَى بِمَا يَتَأَذَى بِهِ النَّاسُ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ أَكَلَ فِجْلاً فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا » .
وروى مسلم : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَمَّ رَائِحَةَ بَصَلٍ فِي رَجُلٍ فِي
الْمَسْجِدِ فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَيْعِ » .

قلت : ويقاس بالروائح الكريهة المحسوسة الروائح الكريهة المعنوية ، فمن عصى الله
تعالى ولم يتب توبة نصوحا فليس له أن يدخل المسجد حتى تزول رائحة تلك المعصية الخبيثة ،
هذا في شأن من يعصى خارج المسجد فكيف حال من يعصى الله تعالى فيه متكررا دائما ،
والله إن أكثر الناس اليوم كالهائم السارحة .

وقد رأيت بمعنى شخصا مسك امرأة ليزنى بها في جامع عمر بمصر العتيق ونحو
محرمون في صلاة الجمعة فغارت القدرة عليه فضر به حتى كاد أن يموت ، فالله تعالى يلطف
بنا أجمعين اللهم آمين .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون بصلاة الجماعة
ونصلي فرادى إلا لعذر شرعي امتثالا لأمر الله عز وجل بالأصالة لا طلبا للثواب الوارد
في ذلك ، فإن الثواب من لازم من يخدم الله عز وجل لأنه تعالى لا يضيع أجر من أحسن
عملا ، وما كان يحصل ضمنا من سائر حظوظ النفس فلا ينبغي لعبده أن يخدم سيده لأجله
وهذا الأصل يسرى معك في سائر العبادات فيقصد بفعالها امتثال أمر الله عز وجل بذلك
لا غير .

فعلم أن من قصر نظره في عباداته على الثواب فهو دنيء الهمة خارج عن أدب العبودية .
وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لجار المسجد أن يترك صلاة
الجماعة في المسجد ويصلي في بيته ولو جماعة إلا لعذر من مرض أو حال غالب عليه منعه
من الخروج للناس .

قال : ويحتاج صاحب هذا الحال إلى ميزان دقيق ينظر به ما هو الأرجح هل هو
خروجه أم عدم خروجه فليفعله فقد يكون الإنسان في جمعية بقلبه مع الحق لا يستطيع
مفارقة تلك الحضرة خوفا من تفرقة قلبه وإسدال الحجاب بينه وبين تلك الحضرة إذا
خرج .

وكان سيدي أبو السعود الجارحي رضي الله عنه إذا كان في غلبة حال يصلي مع
زوجته في البيت ولا يخرج للمسجد ،

وكان سيدي محمد بن عنان إذا مرض يخرج للجماعة زحفا ولا يترك صلاة الجماعة ، وحضرت أنا وفاته فأحرم بالصلاة خلف الإمام وهو جالس في النزح وقدمات نصفه الأسفل فصلى بالإيماء مع الإمام ، فلما سلم أضجعناه فصار يهيمهم بشفتيه والسبحة في يده ، فكان آخر حركة يده في السبحة طلوع روحه رضى الله عنه .

وكان أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لا أستطيع أن أقف بين يدي الله في الصلاة وحدي أبدا ، وقد وقفت بين يديه وحدي مرة فكادت أن أموت من الهيبة كما تحصل الهيبة لمن أدخلوه على السلطان وحده في مجلس حكمه والجنود مصطفة بين يديه ، وقد عمهم كلهم الهيبة وخوف السطوة بخلاف من وقف بين يديه من جملة الناس الواقفين فإنه يستأنس بالناس فلو أن الحق تعالى شرع لنا الوقوف بين يديه على الانفراد لذاب عظم المصلين مع الحضور ولحمهم فكان مشروع الجماعة إنما هو رحمة بنا .

قال : وتأمل يا أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى به وزجه جبريل في النور وحده بين يدي الله عز وجل كما يليق بجلاله كيف استوحش حتى أسمع الله تعالى صوتنا يشبه صوت أبي بكر يقول :

« يَا مُحَمَّدُ قِفْ فَإِنَّ رَبَّكَ يُصَلِّي » الحديث .

فزالت تلك الوحشة الطبيعية من حيث البشرية وبقي روحا مجردا ، فزالت تلك الوحشة إذ الأرواح لا توصف بالوحشة ولا بالاستيحاش فافهم اه .

وسمعت أيضا يقول : إنما أكره الصلاة فرادى لأنى لا أعلم آداب حضرة الله عز وجل فإذا وقفت مع الناس ربما رأيت أحدا من أهل الأدب مع الله فتشبهت به ، ولو أنى صليت وحدي ما وجدت أحدا يعلمنى شيئا ، قال ولكل صلاة أدب جديد ، فليس هنا أدب جديد ، فليس هنا أدب يتكرر إلا في الصبورة لافي الذوق ، ثم قال : والله ما أرى نفسى بين يدي الله في الصلاة إلا كماالمجرد للذى استحق العقوبة ولم يقبل الملك فيه شفاعا اه : واعلم يا أخى أن بعض الناس قد يواظب على الجماعة رياء وسمعة ، لا امتثالاً لأمر الله عز وجل ، فينبغى التفطن لذلك .

وقد حكى أن شخصا من السلف الصالح واظب على صلاة الجماعة في الصنف الأول سبعا وعشرين سنة فتخلف يوما عن الصنف الأول فوجد في نفسه استيحاشا من ذلك فأعاد للصلاة مدة السبع وعشرين سنة اه .

وقد كثرت خيانة هذا العهد من جماعة من طلبة العلم ويحتجون بالمطالعة ، حتى إنى رأيت شخصا في جامع الأزهر يطالع في علم المنطق وصلاة الجماعة في العصر قائمة ، فقلت له في ذلك فقال الوقت متسع ، فقلت له أما تعلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل أى الأعمال أفضل ؟ فقال :

« الصَّلَاةُ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا » .

ثم قلت له : وبتهدير أن الوقت متسع فهل تقدر تجمع لك جماعة يصابون معك قدر هذه الجماعة ؟ فانقطعت حجته وبقي على مطالعته فبئس هؤلاء لا يفطنون ، فإن أوامر الله الخاصة بأوقات يذبحي تقديها على الأوامر العامة ، بل ربما يجب ولذلك كان الإنسان يقطع صلاة النافلة ويدخل في صلاة الجماعة إذا أقيمت مع أنه في النافذة بين يدي الله تعالى كل ذلك اهتما بما بشأن الجماعة ، وفي الحديث :

« يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ » .

أى تأييده ورحمته وشفقته ونعمته ، ففي ترك الجماعة حصول ضد ذلك للعبد :

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يتهاون أحد قط بعبادة ندب الشرع إليها إلا وعنده بقايا من النفاق ، فمن أراد زوال تلك البقايا فعاياه بالسلوك على يد شيخ ناصح يسلك به في حضرات الإيمان واليقين والنور ويخرجه من حضرات الشك والنفاق والظلمة وهناك يصير لا يشبع من خير ولا يمل من عبادة ولا يستثقل الخروج لصلاة الجماعة ولو في طرف البلد .

فإن كان عندك يا أخى ملل من العبادات فاسلك على يد شيخ يخرجك عن ذلك الملل والله يتولى هداك .

وروى ابن ماجه والحاكم مرفوعا بإسناد صحيح :

« مَنْ سَمِعَ النَّدَاءَ فَارِعَاً صَحِيحاً فَلَمْ يُجِبْ فَلَا صَلَاةَ لَهُ » .

وفي رواية لأبي داود وابن حبان في صحيحه مرفوعا .

« مَنْ سَمِعَ النَّدَاءَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُدْرُ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّىهَا » .

قَالُوا وَمَا الْعُدْرُ؟ قَالَ : خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ » .

وروى أبو داود وغيره مرفوعا : « عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّنْبُ مِنَ
الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه مرفوعا .
« لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ فِتْنَتِي فَيَجْمَعُوا لِي حُزْمًا مِنْ حَطَبٍ ثُمَّ آتِي قَوْمًا يُصَلُّونَ
فِي بُيُوتِهِمْ لَيْسَتْ بِيَهُمْ عِلَّةٌ فَأَحْرَقَهَا عَلَيْهِمْ » .

ققيب ليزيد بن الأصم الجمعة عنى أوغيرها؟ قال : صمت أذناى إن لم أكن سمعت بأهريرة
يقول يأنره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر جمعة ولا غيرها .

قلت : وهذا الحديث يرد جواب من أجاب بأن همه صلى الله عليه وسلم بالتحريق
إنما كان ، فى حق جماعة منافقين لا يصلون فى بيوتهم ، أما المصلون فى بيوتهم فلم بهم صلى
الله عليه وسلم بتحريقهم ، وهذا الجواب مذكور فى شرح المهذب وغيره والله أعلم :

وروى الترمذى عن ابن عباس موقوفا :

« لَوْ صَامَ رَجُلٌ النَّهَارَ وَقَامَ اللَّيْلَ وَلَكِنْ لَمْ يَشْهَدْ الْجُمُعَةَ وَلَا الْجَمَاعَةَ فَهُوَ
فِي النَّارِ » .

وتقدم حديث مسلم عن أبى هريرة فى رجل خرج من المسجد بعد الأذان :

« أَمَا هَذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

قال ابن المنذر : ومن قال إن حضور الجماعة فرض عين عطاء وأحمد بن حنبل وأبو ثور

والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون بترك الاستعداد
للعصر خوف الفوات ولو كان من عادتنا المواظبة على الاستعداد لجميع الصلوات ، فنجعل
للعصر مزيد اختصاص لأجل ما ورد من تحذير الشارع صلى الله عليه وسلم من تركها ،
زيادة على غيرها وهى الصلاة الوسطى بإجماع أهل الكشفت ، حتى كان سيدى الشيخ مدين
رضى الله عنه ، وسيدى محمد ابن أخته ، وتلامذته الأجلاء الصالحون ، وكسيدى على
المرصنى وسيدى محمد السروى وغيرهما لا يخرجون من بيوتهم إلا للصلاة العصر ،
فكانوا يصلون جماعة فى البيت فيما عدا العصر أما هو فيخرجون له إلا أن يكون أحدهم
فى جمعية غالبية عليه ، وهى مشتقة من العصر الذى هو الضم فتجتمع أرواح الخواص

فى حضرة الله عز وجل ، حتى تكاد من شدة قربها تخرج عن الحدود البشرية ، فمن لم يعطه الله تعالى كشفا يعرف به مزيد اختصاصها على غيرها فليقلد الشارع صلى الله عليه وسلم فى المبالغة فى التحذير من فواتها ، فلم يأت لنا فى فوات غيرها مثل ما أتانا فى فواتها .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : ما أهاب شيئا من الصلوات الخمس مثل ما أهاب صلاة العصر ، فقليل له لماذا ؟ فقال السر لا يفشى :

وكان أخى العارف بالله تعالى أبو العباس الحرثي رحمه الله تعالى يستعد لصلاة العصر والباقي من وقت الظهر عشر درج ، فكان يستعد فى الأخذ فى المراقبة وغض البصر والاستغفار من الخطرات ليدخل عليه وقت العصر ولاعائق له عن دخول الحضرة :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى البخارى وغيره مرفوعا : « مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ » .

وفى رواية لابن ماجه مرفوعا : « بَاكِرُوا بِالصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْغَيْمِ فَإِنَّ مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ » .

قلت : ومعنى باكروا بادروا وإلا فالعصر لا يبكر لها أول النهار ونظير ذلك من بكر إلى المسجد يوم الجمعة والحديث ، فإن المراد به عند بعضهم المبادرة إلى محل إقامتها بعد سماع قول المؤذن حتى على الصلاة قال وذلك أكثر أدبا ممن يحضر من غير أن يدعى للحضور على لسان المؤذن اكتفاء بالأذان العام له بالحضور قبل الوقت والله أعلم .

وروى الإمام أحمد . « مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ » .

وروى مالك والشيخان وغيرهم مرفوعا :

« الَّذِي تَفَوَّتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ » .

قال مالك : ومعنى ذلك ذهاب الوقت فكأنما ذهب أهله وماله من حيث الأسف

والحزن عليهم .

قلت : وقد نمت مرة بعد العصر قبل أن أصلبها فرأيت فى المنام أخوى وقد أشرفا على الموت فاستيقظت مرعوبا وتذكرت هذا الحديث فأدركتها قبل المغرب بنحو عشر درج والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نؤم قوما وهم لنا كارهون ، ولا سيما إن كرهونا بحق .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي أن يتقدم للإمامة بالناس إلا من لم يكن عليه ذنب ، فإن كان عليه ذنب بحيث لو اطلع عليه المأمومون لم يصلوا خلفه أو يكرهون الصلاة خلفه فلا يؤم فليعرض منه يريد الإمامة بالناس جميع زلانه على المأمومين لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا ويعرضها عليهم ، فإن كان يغلب على ظنه أنهم كلهم يصلون خلفه مع ارتكابه هذه المعاصي فليتقدم وإلا فليتأخر اه .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ يعلمه طريق السياسة للناس تارة بماله وتارة بقوله ، وتارة باطعامهم الطعام ، وتارة بقضاء حوائجهم ، وتارة بشكرهم في المجالس ، وتارة بالأجوبة الحسنة من ورائهم وإيثارهم على نفسه وغير ذلك ، فعلم أنه ينبغي لنا أن لا نتعاطى أسباب كراهة الناس لنا كضد الصفات المذكورة ، فإن من لازم ذلك كراهة الناس لنا ومن تعاطى ذلك وتقدم عليهم في صلاة جماعة أو جمعة وطلب منهم أن لا يكرهوه فهو مخطيء لا يباينه للبيوت من غير أبوابها :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى أبو داود وابن ماجه مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُمْ صَلَاةً فَدَكَرَ مِنْهُمْ وَرَجُلٌ أُمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ » .

وروى الطبراني أن طلحة بن عبيد الله صلى بقوم مرة ثم قال أَرْضَيْتُمْ بِصَلَاتِي ؟ قالوا ومن يكره ذلك يا حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« أَيُّمَا رَجُلٍ أُمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ لَمْ تَجْزُ صَلَاتُهُ أَذْنِيهِ » .

وروى ابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ لَا تَرْفَعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ شَيْئًا ، فَدَكَرَ مِنْهُمْ وَرَجُلٌ صَلَّى عَلَى

جَنَازَةٍ وَلَمْ يُؤْمَرْ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نقف في الصف المؤخر ونترك المقدم إلا لعذر صحيح شرعي ، وقد عد الصوفية من الأعداء المسوغة للوقوف

في الصف المؤخر أن يكون أحدنا كثير الوقوع في المخالفات ، كثير الأكل للشهوات بخيلا على الفقراء والمساكين بما زاد عن حاجته بحب الشهرة بالصالح والعلم ونحو ذلك كما سيأتي في عهد الزهد في الدنيا مرفوعا :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الدُّنْيَا : وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ » رواه الترمذى .

فجعل من يجمع الدنيا مجنونا وهو يؤبد ما ذكره الصوفية ، فإن من كان كثير الوقوع في المعاصي والشبهات فهو قليل العقل بيقين لأن العقل ما سمى بذلك إلا لعقله صاحبه عن المخالفات :

فلم أنه لا ينبغي على هذا التقدير لكثير المعاصي أن يتقدم لأوائل الصوفوف وإنما ينبغي ذلك لمن كان سالما منها :

قلت : ولعل هذا كان مشهد من نقل عنه الوقوف في أواخر الصوفوف من الأولياء كسيدى أحمد الزاهد وسيدى مدين وسيدى محمد الغورى رضى الله عنهم ، فقد أخبرنى جماعة من أصحابهم أنهم لم يروهم قط يصلون في غير الصف الأخير ويقولون : قد بلغنا أن الرحمة تستقر في الصف الأخير ، وإذا غفر لأهل صف غفر لمن وراءهم ، وربما كانوا يظنون بأنفسهم السوء وأن فيها سائر العيوب .

وقد قيل مرة لسيدى الشيخ أبى العباس الغورى رحمه الله : لم لا تصلى في الصف الأول؟ فقال لست من أهل الصف الأول حتى أتقدم إليه ، فقبل له ومن أهله فقال من لم تتطبخ جارحة من جوارحه بذنب أولم يصبر على خطيئة لحظة ، فتقبل له اعتقادنا فيكم أنكم كذلك بحمد الله فقال أنا أعلم بنفسى ولم يزل يصلى في الصف الأخير إلى أن مات .

وهذا ما عليه أئمة الصوفية الذين تحفهم هيبه الله عز وجل وكشف الحجاب عنهم فلو أقفنا لأحدهم الأدلة على أن يقف في الصف الأول لا يستطيع من هيبه الله عز وجل والحياء منه ، وأما ما عليه جمهور الفقهاء والمحدثين فهو مطلوبة الوقوف في الصف الأول لكل بالغ عاقل البلوغ المشهور: والعقل المشهور الذى بنيت عليه أحكام التكليف ، ويميز به بين الحسن والتبويح ولولم يعمل بعلمه حتى صار معدودا من الفسقة بخلاف البلوغ والعقل في مصطاح أهل الله عز وجل من الصوفية ، فإن البلوغ عندهم هو بلوغ الشخص أوج مراتب الكمال في الولاية والعقل عندهم الاشتغال بما هو الأولى في كل وقت حتى لا يكتب عليه كتاب

الشمال أبدا شيئا على أن العلة التي فهمها الصوفية، من حديث « ليلني منكم أولو الأحلام والنهي » يقبلها العقل ولا يردها إذا حملنا أولى النهى على العقل الكامل الذي يحجز صاحبه عن المعاصي ، فكما أن الصوفية دائرون مع العلة التي هي عدم جمع الدنيا فإن وجدت عندهم تقدموا إلى الصف الأول وإن فقدت تأخروا ، فكذلك جمهور العلماء دائرون مع ظاهر أحاديث للشريعة ولو فقدت العلة ، كما داروا مع ظاهر الشريعة في المواضع التي وردت على سبب مثل الرمل في الأشواط الثلاثة في طواف القدوم فإن العلة قد زالت ، وهي أن الصحابة كانوا يرون الكفار قوتهم وجلدهم حين بلغ الكفار إنه سيقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فلذلك أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاضطباع والرمل في الأشواط الثلاثة تكديبا لما توهمه قريش فيهم .

فعلم أن من جمع العقل والبلوغ على مذهب الصوفية والفقهاء والمحدثين فهو مأمور بالوقوف في الصف الأول ، اتفاقا .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي للشخص أن يبادر ويترحم على الصف الأول إلا إن كان سالما من العيوب الباطنة ، التي لو اطلع الناس عليها لحقروه وأخروه ، فليتنبه المصلي لمثل ذلك فإن في الحديث « صفوا كما تصف الملائكة عند ربها » أي لا يتقدم صغير على كبير ولا مطرود على مقرب بالنظر لاختلاف المراتب واعتبار المشاهد وإلا فالحق تعالى قريب من كل أحد على حد سواء كما يعرف ذلك من انكشاف حجابته لتنزيهه تعالى عن التحيز ، فكما لا يتقدم الملك الأصغر في الموقف على الأكبر ، فكذلك لا يتقدم مرتكب المعاصي ولو سرا على السالم منها ولو جهرا .

وتأمل يا أخى في المملكة الدنيوية لا يتقدم صغير في حصرة السلطان في موقف الكبير أبدا ، ولو أن شخصا من الصغار زاحم ودخل في غفلة مع نقيب الحضرة أخرجوه بعد ذلك وزجره أشد الزجر .

وقد قال بعض أهل الكشف : إن ترتيب المملكة السماوية على ترتيب الملائكة الأرضية حتى أن الملائكة التي تكتب الحسنات تكون على يمين الداخل للحضرة الإلهية وكاتب السيئات يكون على يسار الداخل لها كما في كاتب بيت الوالي وكاتب الجيوش ، فإن كاتب السيئات دائما يجلس على يسار الداخل ولو لم يقصد معلم الجيوش الآن ذلك لجهله بالحضرات السماوية .

وبالجملة فكل من العلماء والصوفية على هدى من ربهم فيما فهموه من الكتاب والسنة
ولكن منهم المشدد ومنهم المخفف على الناس بحسب الأمر الغالب :
(وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى) ، فد (اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ تَرَكَ الصَّفَّ الْأَوَّلَ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْذَى أَحَدًا أضعفَ
اللهُ له أجرَ الصَّفِّ الْأَوَّلِ » .

وروى الإمام أحمد ومسلم وغيرهما مرفوعا :
« لِيَلِينِي مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيُ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
فِي صِغَرِ السَّنِّ وَخِفَةِ الْعَقْلِ » .

فجعل الأمر بالوقوف في الصف الأول لسكامل السن والعقل ، وهو يحتمل المعنيين
السابقين عن الصوفية وعن الفقهاء والمحدثين :

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى أَهْلِ
الصَّفِّ الْأَوَّلِ » .

وهو يشمل أهله حقا وأهله مجازا كما قاله بعضهم ، ويكون المراد بأهل الصف الأول
الذين جمعوا صفات الكمال ثم وقفوا في الصف الأول ، لامن عصى ربه وتعاطى أسباب
الفسق ثم وقف فيه ، وكذلك يشمل المعنيين أيضا حديث مسلم مرفوعا :
« خَيْرُ صُنُوفِ الرِّجَالِ أَوْلَهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا » .

فإن بعض الصوفية قال المراد بالرجال هم الكمل من الأولياء الذين لا يشغلهم عن
الله شاغل كما في قوله تعالى :

(رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) اه .
فليتأمل ذلك ويحور والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بالوقوف في
مسابقة الإمام في الركوع والسجود والرفع منهما كما عليه غالب الناس اليوم ، فصاروا
يرفعون رؤوسهم ويخفضونها بحكم العادة لا العبادة ففاتهم أجر الاتباع وعصوا أمر الله
ورسوله ، ولعمرى من أحرم خلف إمام ناويا أنه لا يفارقه حتى يسلم أى فائدة في مسابقته
في أثناء الصلاة وهو مربوط معه إلى السلام .

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ صادق يسلك به في مقامات الأدب مع الله تعالى ومع الأئمة الذين نصبهم الشارع يصلون بالناس حتى يصير لا يركع ولا يرفع من ركوع ولا سجود إلا بحكم الاتباع لهم والحضور مع الله تعالى في ذلك ، فإن ذلك هو فائدة صلاة الجماعة ، وأما بغير سلوك فلا يصح له ذلك ولو أنه راعاه راعيه في الغالب بتكلف بخلاف السالك للمقامات لا يصير عنده تكاليف في امتثال أمر الشارع أبداً ، كما أنه لا يتكلف لدخول النفس وخروجه فتأمل ذلك فإنه نفيس :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

وروى الشيخان وغيرها مرفوعاً : « مَا يَحْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ رُكُوعٍ أَوْ سُجُودٍ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ كَلْبٍ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعاً : « الَّذِي يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ قَبْلَ الْإِمَامِ إِتْمًا نَاصِيئَتُهُ بِيَدِ شَيْطَانٍ » .

قال الحافظ المنذرى: وممن قال بعدم صحة صلاة من خفض ورفع قبل الإمام عبد الله ابن عمر ، ولكنه عامة أهل العلم على أنه أساء فقط وصلاته مجزية غير أن أكثرهم يأمرونه أن يعود إلى السجود ويمكث في سجوده بعد أن يرفع الإمام رأسه بقدر ما كان تركه قاله الخطابي والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد النام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتساهل بترك إتمام الركوع والسجود والاعتدال فيهما سواء كنا أئمة أو مأمومين أو منفردين وأما الزيادة في التطويل على الذكر الواجب والمندوب ، فلا يليق بالإمام بل ربما أبطلوا صلاته إذا طول الاعتدال زيادة على الذكر الوارد فيه المطلوب منه وإنما يليق ذلك بالمنفرد ، وأما المأموم فهو تابع لإمامه ، ثم إن طول تطويلاً خارجاً عن المأمور به فله مفارقتة ولو بلا عذر :

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي للفقير إذا كان يغلب عليه الدهول في حضرة الله عن شهود المأمومين أن يجعل نفسه إماماً بالناس لأن مثل هذا تحت أمر القدرة الإلهية لا اختيار له إلا أن يأمره الشارع بتطويل قراءة الثانية على الأولى كقراءة سورة الغاشية في الركعة الثانية من الجمعة وفي الأولى بسبح اسم ربك الأعلى مع أنها أقصر

من الغاشية وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم نص على أن تكون القراءة في الركعة الثانية دون الأولى والقراءة في الرابعة دون الثالثة :

وفي حديث عائشة : « وَكَانَتْ صَلَاتُهُ بِمَدُّ إِلَى الْبَخْفِيفِ » هـ .

ومن الحكمة في ذلك كون النفس تزهد من طول الوقوف بين يدي الله عز وجل عجزاً أو مع الغفلة إذا لا يقدر كل أحد على مراعاة كونه بين يدي الله عز وجل على الدوام من غير أن يعخل ذلك شهود الكون ، فإن ذلك ليس من مقدور البشر إلا أن يمن الله تعالى بذلك على بعض أصفيائه :

وتأمل يا أخى نفسك إذا طول الإمام الثانية على الأولى أو طول الدعاء في التكبيرة الرابعة في صلاة الجنابة تكاد روحك تخرج من حضرة الله عز وجل ، ولا يصبر واقفا يصلى منك إلا الجسم فقط ، وتلك الصلاة لا تصلح للقبول بل هي إلى الرد أقرب كما مر في عهد الخشوع في قسم المأمورات :

واعلم يا أخى أن الاعتدال قد وردت فيه أحاديث في تطويله وتقصيره ، فروى

البخارى :

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُطَوِّلُ الْأَعْتِدَالَ حَتَّى يَقُولَ إِنَّهُ نَسِيَ » .

وفي رواية : « كَانَ إِذَا جَلَسَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ كَأَنَّمَا جَلَسَ عَلَى الرَّضْفِ » يعني

الحجارة المحماة .

فأما الإمام أبو حنيفة فقال : يجب الاعتدال في الرفع عن الركوع والسجود بقدر ما يفصل الركن من الركن ، لأن الاعتدال في هذين الموضوعين إنما شرع تنفيساً للمصلى مع الحضور من المشقة العظيمة التي تجلب له في ركوعه وسجوده :

وأما الإمام الشافعي فقال يجب الاعتدال عن الركوع والسجود حتى يرد كل عضو

إلى موضعه التي هي حالة القيام :

وقد بسطنا الكلام على ذلك في أمرار الصلاة فراجعه والله أعلم :

وروى الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما مرفوعاً :

« لَا تَجْزِي صَلَاةَ الرَّجُلِ حَتَّى يُقِيمَ ظَهْرَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ » .

وروى الإمام أحمد : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ نَقْرَةِ الْغُرَابِ » .

وروى الطبراني وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا لَا يُبِيحُ رُكُوعَهُ وَيُنْقِرُ فِي سُجُودِهِ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ مَاتَ هَذَا عَلَى حَالَتِهِ هَذِهِ مَاتَ عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

وروى النسائي مرفوعا : « مِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَامِلَةً ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي النِّصْفَ وَالثُّلُثَ وَالرُّبْعَ وَالْخُمْسَ حَتَّى قَالَ : وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي الْعَشْرَ » .

وفي رواية للنسائي بأطول من هذا وفي حديث المساء صلته :

« فَازْكَعَ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَأْسًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَأْفِعًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ اجْلِسْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ اقْمَلْ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا » اهـ .
فالكامل من دار مع الأحاديث والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون بترك الحضور مع الله تعالى في صلاتنا وجميع طاعاتنا ولا بالخشوع فيها ، لأن روح كل عبادة هو الخشوع والخشوع فيها ، وما أمرنا الله تعالى بفعل طاعة إلا لشهده تعالى فيها وكل عبادة لا تجمع العبد بقلبه على الله تعالى فهي عادة لا عبادة فلا أجر فيها ، ومن قال من الفقهاء إن الخشوع في الصلاة لا يضر تركه فقد أخطأ طريق الكمال ، وإذا كان حامل القرآن والعلم يترخص هذا الترخص فيمن يقتدى بالناس . فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق حتى يزيل حججه وعوائقه التي تبعد عن دخول حضرة الله تعالى ويدخله حضرات القرب ويصير الخشوع لله تعالى من شأنه لا يتكلف له ، وأما من أكل ونام ولغا في الكلام وارتكب الآثام وشيع حتى صار بطنه كبطن الدب من الحرام والشبهات فنأين يأنيه الخشوع ، فإنهم أجمعوا على أن من شيع من الحلال فسأقلبه فكيف بمن شيع من الحرام وهذا حال أكثر الناس اليوم ، فیتعاطى أحدهم أسباب قسوة القلب ثم يقوم للصلاة ويطلب يحضر مع الله ويخشع .

وجوارحه كل جارحة في بلد أو حارة ، وذلك لا يصح وقد قالوا في المثل السائر : من مشى في غير طريق يتيه ولو كان في النهار .

فاسلك يا أخى على يد شيخ ليدلك على طريق الوصول إلى الحضور والخشوع ، ولا تكبر نفسك عليه وتقول أنا عالم فتخسر فإن من شرط العالم أن يعرف دواء كل علة وينزل الدواء على الداء ، ومن قال دواء الحمى مثلا كذا وكذا وهو لم يعرف الحمى كأنه لم يعلم شيئا ، وقد ذكرنا في عهود المشايخ أنه يجب على كل فقيه أن يتخذ له شيئا يدل على الطريق التي تسهل عليه الوصول إلى درجة العمل بما علم ليكمل نفعه لنفسه وللناس ، ولا يكون كالشمعة التي تضيء على الناس وتحرق نفسها وقد قال تعالى :

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) .

أى أكبر ما فيها كتلاوة القرآن غافلا والركوع والسجود وغير ذلك والمراد بذكر الله هنا شهود العبد ربه بقلبه أو علمه بأنه في حضرته تعالى والحق ناظر إليه فمن صلى كذلك نهته صلواته عن الفحشاء والمنكر خارجها لا يستصحب شهوده إن الله تعالى يراه التي هي حضرة الإحسان ، وأما من لم يحضر في صلواته فليس معه من الحضور ذرة حتى يستصحبها خارج الصلاة ولذلك تجدد خلقا كثيرا مواظبين على الصلاة ويقعون في كل فاحشة ورذيلة وهذا أولى من تفسير من قال المراد بكون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أنه مادام فيها من حين يحرم بها إلى أن يسلم منها لا يتصور منه معصية ، فتأمل ذلك وحرره .

واعلم يا أخى أن من لم يتصور له الحضور في الصلاة فقد خسر ، والله لا يحب الخاسرين .

وقد قال بعضهم : إن العبد لا يتنعم في الآخرة إلا بمقام حصله هنا ، وإن كل من لم يحصل مقاما في هذه الدار لا يعطاه في الآخرة :

(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) .

لحجابهم عن دخول حضرته في دار الدنيا ، وإن تفاوت حجاب المؤمن والكافر .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لولا دخول الأولياء حضرة الإحسان ما حفظوا من المعاصي :

قال : وقد دخلها الإمام الليث بن سعد ، والإمام الشافعى رضى الله عنهما ، فكان كل

واحد منهما يقول أنا أعرف شخصا في عصرنا هذا من منذ وعى على نفسه ما أتى معصية قط فكان أصحابه يعرفون أنه يعنى بذلك نفسه ، لأن أحدا لا يعرف ذلك من غيره إلا من طريق الكشف على أنه قد يحصى الله تعالى على عبده ما لم يخطر له على بال .

ثم من المعلوم أن حضرة الإحسان لا يتصور دخول إبليس فيما أبدا ولو بحيلة من الحيل إذا لو صح دخوله لما لم يبق أحد تضاف إليه المعاصي بالسوسة حتما ، فتعين أنه لا يدخلها وإن من وقع له وسوسة في صلاته وادعى أنه في حضرة الإحسان فهو غير صادق في دعواه ، ومن هنا عصمت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لعكوفهم في حضرة الإحسان على الدوام ، حتى في حال أكلهم وجماعهم ومزاحهم :

وسمعت أخى أفضل الدين يقول لفتيه رآه يقفز في الصلاة ليصطاد النية من الهواء ، كيمنه تطلب النية والحضور والخشوع مع الله وكل عضو منك في واد مربوط بعلاقة شهوة من الشهوات ، فاقطع علائقك أولا ثم صل وإلا فلا يمكنك أن تقطع علائقك كلها حال إحرامك ، ومن لازمك الالتفات لغير الله تعالى في صلاتك فلا يصح لك حضور ولا خشوع اه :

وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم لا يسامعون مريرهم قط في حضور شيء من الدنيا على باله وهو الصلاة ، بل كان الجنيد رضى الله عنه يقول للشبلي : يا أبا بكر إن خطر في بالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فلا تعد تأثبا فإنه لا يجيء منك شيء اه .

فلا تظن يا أخى أن هذا المشهد من أعلا المقامات وإنما هو من أوائل مقامات المريرين وذلك لأن أول قدم يضعه المرير في الطريق يشهد الخالق للذوات ويحجب عن الوتوع مع اللذات كمن وصل إلى مجالسة السلطان لا يلتهى عنه بمشاهدة غلام يخدم خيل بعض جنده يحجبه بذلك الجمال البديع عن رؤية غيره :

ومن كلام الجنيد رحمه الله من شهد الحق تعالى لم ير الخلق ، ولا يجمع بين رؤية الحق تعالى والخلق معا في آن واحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل ورثته ، وهذا الأمر لا يدرك إلا ذوقا :

وقد كان الشيخ معروف الكرخي رضى الله عنه يقول لى ثلاثون سنة أكلم الله والناس يظنون أنى أكلمهم .

وأخبرنى الشيخ يوسف الكردي من أصحاب سيدى إبراهيم المتبولى وكان يجتمع

ياخضر عليه السلام كثيرا ، قال : كنت مع سيدى إبراهيم فى مصر ثم رجعنا إلى بركة الحاج فر على بستان النخيل الذى غرسه فى البركة ، فقال سيدى إبراهيم ماهذه للنخيل ؟ فقلنا هذا بستانكم ، فقال من غرسه فقلنا له أنتم ، فقال وعزة ربى أنا لى منذ سبعة عشر سنة ماخرجت من حضرة الله تعالى ، ولكن أستحى إن خطر على بالى وأنا فى حضرة الله أن أغرس بستانا أو أبنى زاوية يأوى إليها الغرباء والحجاج ، فلعل الله تعالى أرسل ملكا على صورتى فغرسه ، هذا لفظ على رضى الله عنه .

فعلم أن من لم يسلك طريق القوم فهو واقف مع شهود الخلق دون الحق ، فلا يحصل له خشوع غالبا لعدم إدراكه لتجليات الحق جل وعلا التى دكت الجبال ذكا وخر منها السيد موسى عليه الصلاة والسلام صعبا .

وكان سيدى على المرصفى رحمه الله يقول : ماقطع بعض أهل الجدل عن الوصول إلى مقامات الأولياء وكراماتهم إلا دعواهم أنهم أعلم بالله منهم وخوفهم على علمهم الذى به رياستهم أن ينسى حين يتبعون طريق الفقراء وهو خديعة من النفس والشيطان ، فإن طريق الفقراء لا تزيدهم إلا علما إلى علمهم وجلاء لقلوبهم وحضورا فى عباداتهم اه :

قلت : وليس مرادنا بالفقراء هؤلاء الذين ظهروا فى النصف الثانى من القرن العاشر فى الزوايا وعقدوا مجالس الذكر ، فإن الفقهاء بيقين أحسن من هؤلاء وأعلى مقاما لزيادتهم عليهم فى العلم والفهم فى الكتاب والسنة ، وكلام الأئمة ، وإنما مرادنا العارفون بالله تعالى وبسائر مذاهب المجتهدين ومقلديهم الذين أتتهم تلك العلوم من طريق الوهب وهؤلاء قليلون فى مصر ، ولكن من صدق أوقعه الله تعالى عليهم اه .

وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله يقول : وهل ثم طريق غير ما فهمناه من الكتاب والسنة وينفى طريق القوم ، فلما اجتمع بسيدى الشيخ أبى الحسن الشاذلى وأخذ عنه صار يقول : ما قعد على قواعد الشريعة لئى لا تمهدم إلا الصوفية ، قال : ومما يدلك على ذلك ما يقع على يد أحدهم من السكرات والخوارق ولا يقع شىء منها على يد غيرهم ، ولو بلغ فى العلم ما بلغ هذا لفظه فى كتاب ألفه فى طريق الصوفية سماه التقريب ، وكذلك بلغنا عن الغزالي قول اجتماعه بشيخه البازغاني رحمه الله .

وسمعت سيدى عليا انخواص رحمه الله يقول : غاية حضور العالم فى الصلاة أن يتدبر فيما يقرؤه ؛ ويلقى باله مخارج الحروف واستنباط الأحكام ، وهذه كلها أمور مفردة

عن الحضور مع الله تعالى ، فإن من الآيات ما يذهب به إلى الجنة فيشاهد ما فيها ، ومنها ما يذهب به إلى النار فيشاهد ما فيها ومنها ما يذهب به إلى قصة آدم ونوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، فكيف الحضور إلى الله تعالى ؟ وليس في قدرة النفس أن تشتغل بشيئين معا في آن واحد ، ومن هنا قال مالك رحمه الله بأن إرخاء اليدين في الصلاة أولى للضعيف من وضعهما تحت صدره آخذاً يمينه يساره ، لأن مراعاتها تشوش على العبد وتمنعه من كمال الإقبال على مخاطبة الله عز وجل ومناجاته ، ولا شك أن مراعاة أدب الخطاب مع الحق أولى من مراعاة وضع اليدين تحت الصدر :

فعلم أن وضع اليدين تحت الصدر لا يؤمر به إلا من لم تشغله مراعاته عن كمال خطاب الله عز وجل من الأكارب الذين ثبتهم الله تعالى . أما الأصاغر فرمما ذهلوا عن عدد ماصلوا من الركعات ، وماقالوه من التسيبحات لأنها حضرة تذهل العقول كما يعرف ذلك أهل الله تعالى ، ولولا أن الله تعالى يلفظ بهم لما عرف أحد منهم عدد ما صلى ، والله تعالى أعلم :

وروى الترمذى والديلمى مرفوعا : « لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَبْدٍ عَمَلًا حَتَّى يَشْهَدَ قَلْبُهُ مَعَ بَدَنِهِ » .

وروى الترمذى والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه مرفوعا :

« الصَّلَاةُ مَثْنَى مَثْنَى تَشْهَدُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ وَتَمْشُحُ وَتَضْرَعُ وَتَمْسُكُنَّ وَتَبَاسُ وَتَقْنَعُ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهِيَ خِدَاجٌ » .

وقوله « تبأس » معناه إظهار البؤس والفاقة ، وقوله « تمسكن » من المسكنة والوقار وقوله « تقنع » أى يرفع يديه فى الدعاء ، وقوله « خداج » أى ناقصة الأجر والفضل :
وروى الطبرانى مرفوعا : « إِذَا صَلَّى الْعَبْدُ فَلَمْ يُبَيِّنْ صَلَاتَهُ يُخْشِعُهَا وَرُكُوعِهَا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ » .

وفى رواية له : « أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَرَى فِيهَا خَاشِعًا » .

وروى الطبرانى وأبو داود وغيره : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَلَّى يُسْمَعُ لِصَوْتِهِ أَرْبَعُ كَأَزِيْرِ الْمَرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ » .

يعنى أن لصوته وقلبه أينما كصوت غليان القدر على النار القوية ، والأزير بزاعين معجمتين .

وروى الطبرانى أن عبد الله بن مسعود كان إذا صلى كأنه ثوب ملقى من شدة الخشوع؛
وروى الطبرانى مرفوعا . « ثَلَاثَةٌ يُجِيبُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : تَعَجُّيلُ الْفِطْرِ وَتَأْخِيرُ
السُّجُورِ وَضَرْبُ الْيَدَيْنِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فِي الصَّلَاةِ » أى لأنها صفة الخاشعين
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتخطى قط رقاب الناس ،
وقد اصطفوا جلوسا ينتظرون الصلاة ، أو يستمعون الخطيب أو الواعظ أو تدريس العلم
ونحو ذلك أدبا مع الله تعالى ومع إخواننا المسلمين ولو زبالين ، فإن هذه الحضرات
ترل فيها الملوك الجبابرة فضلا عن غيرهم ، فمن تخطى رقاب الناس فيها فهو معدود من
قسم البهائم ، فن الأدب لطالب الخير أن يحضر قبل الناس أو يتخلف حتى يقوموا للصلاة
فيحرق الصفوف لسد تلك الفرجة ، إن كان من أهل الوقوف فى الصفوف المقدمة أو
يصلى أواخر الصفوف ، وليحذر من إظهار نعله إذا دخل وهو فى يده بل يستره
بردائه ونحوه .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله لا يتجرأ قط أن يدخل المسجد إلا تبعا لغيره ،
فإن جاء ولم يجد أحدا داخل من الباب صبر حتى يجيء أحد ثم يدخل كأنه مجرم أتوا به
إلى الوالى .

وكان أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : والله إنى لأرى الجميلة للناس إذ مكثونى
من الدخول للصلاة ولم يطردونى ثم يصلى فى أخريات المسجد قريبا من النعال ويقول :
إن مدد الله النازل فى بيته لا ينزل على متكبر ولا على غافل عن الأدب :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الامام أحمد وأبو داود وغيرهما : « أَنَّ رَجُلًا تَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَنَا
وَأَذَيْتَ » وفى أخرى « فَقَدْ آذَيْتَ وَأَنْتَ » بمد الهمزة : أى أخرجت الجيء .

وروى ابن ماجه والترمذى مرفوعا : « مَنْ تَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَخَذَ جِسْرًا إِلَى جَهَنَّمَ » .

وروى الطبرانى : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ وَيُبُذِّبُهُمْ فَقَالَ : مَنْ آذَى مُسْلِمًا فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ »
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نرفع بصرنا إلى حضرة خطابنا لربنا سواء كانت حضرة الخطاب فى العلويات أو السفليات وهما معا على حسب اتساع حال العبد وضيقة فى وجوه المعارف ، وكذلك لا ينبغى لنا الالتفات عن حضرة الخطاب بقلوبنا فضلا عن جوارحنا ، وهذا الأدب مطلوب من كل الناس وإن كان الحق تعالى لا يتحيز ولا تأخذه الجهات ، ونظير ذلك أنه تعالى طلب منا ستر العورة فى الخلوة والظلام وغيرهما وإن كان لا يحجبه تعالى شىء عنا فافهم .

ويحتاج من يريد للعمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ وإلا فلا يقدر على كف جوارحه عن الانتشار والتفرقة أبدا ، وأقل ما يفعله من لم يسلك الطريق أنه يشبع ويطلب من جوارحه السكوت عن الفضول وذلك لا يكون لأن من شأن الجوارح إذا أكل الإنسان زائدا على السنة أن تنتشر ويكثر فضولها بخلاف من وقفت على حد السنة فإن جوارحه تكون ذليلة خاملة عن سائر الملاهى فضلا عن الحرام . وقد قررنا مرارا أنه لا ينشأ فعل الحرام إلا من أكل الحرام ، ولا فعل الطاعات إلا من أكل الحلال ، فلو أراد آكل الحلال أن يعصى لما قدر ولو أراد آكل الحرام أن يطيع لما قدر .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى البخارى وغيره مرفوعا : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ لِيَذَّهَبَنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُخَطَّفَنَّ أَبْصَارُهُمْ » .

وروى الترمذى وغيره مرفوعا فى حديث طويل :

« فَإِذَا صَلَّى فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ » .

وفي رواية للامام أحمد وغيره مرفوعا :

« لَا يَزَالُ اللَّهُ تَعَالَى مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ » .

وفي رواية للامام أحمد وغيره مرفوعا :

« لَا يَزَالُ اللَّهُ تَعَالَى مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ

انصرفت عنه » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ قَامَ فِي الصَّلَاةِ فَالْتَفَتَ رُدَّتْ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ » .

وفي رواية له أيضا : « لَا صَلَاةَ لِلْمُلْتَفِتِ ، فَإِنْ غُلِبْتُمْ فِي التَّطَوُّعِ فَلَا تُغْلَبُوا

فِي الْقَرِيضَةِ » .

وروى ابن ماجه وغيره بإسناد حسن عن أم سلمة قالت : كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا لم يعد بصر أحدهم موضع سجوده ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا لا يعدو بصر أحدهم موضع سجوده ، فلما توفى أبو بكر كان لم يعد بصر أحدهم موضع القبلة ، ولما كانت الفتنة زمن عثمان رضی الله عنه أكثر الناس يمينا وشمالا :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

(أخذ علينا العهد للعام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتكلم والإمام يخطب إلا لضرة أذبا مع نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن للآواب من الأدب المستنبيهم وإن تفاوت المقام ، ثم إن ارتفع مشهدنا إلى سماع ذلك من الحضرات الإلهية كان لنا أدب آخر فوق ذلك ، ومن نظر بغير الكشف وجد جميع الواعظ رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فلا ينبغي له أن يجعل كلام الخطيب في حق غيره فيقوته ثمرة الحضور لسماع الواعظ كما عليه غالب الناس ، فيأخذ كل كلام وعظه به الخطيب في حق غيره وينسى نفسه ، وربما قال أفلح الواعظ. اليوم في الحط على الفسقة والظلمة الكلاب المنافقين ولا يأخذ من الخطيب كلمة في حق نفسه ، هذا إن صغى إليه فإن اشتغل بحديث الدنيا أو الغيبة أو النيمة فقد فسق وأساء الأدب مع الله ورسوله بتعديه حدود الله ، والواعظ يعظه في حضرة الله .

فيحتاج من يريد أن يكون من أهل الانصاف إلى شيخ يسلكه ويبين له عيوبه حتى

يصبر يأخذ كل كلام سمعه من الواعظ في حق نفسه فلا سبيل له إلا الانصات ، والله تعالى أعلم .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ أَنْصِتْ فَقَدْ لَعَوْتَ » .

ومعنى لغوت : خبت من الأجر ، وقيل معناه أخطأت ، وقيل بطأت فضيلة جمعتك ، وقيل صارت جمعتك ظهرا ، وقيل غير ذلك .

وروي الإمام أحمد والطبراني وغيرهما مرفوعا :

« مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَهَوَّ كَتَبَلِ الْجَارِ يَحْمِلُ اسْفَارًا ، وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ أَنْصِتْ لَيْسَ لَهُ جُمُعَةٌ » .

فالحياة في نهيه أن يشير له أنصت من غير لفظ .

وروى أبو داود وغيره مرفوعا : « مَنْ لَعَى وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَانَتْ ظُهُرًا » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نقر أحدا من المسلمين على تأخره عن حضور الجمعة حتى يصعد الإمام بل نأمره أن يحضر قبل صعوده وذلك لما روى الطبراني والأصبهاني مرفوعا .

« أَحْضَرُوا الْجُمُعَةَ وَأَذِنُوا مِنَ الْإِمَامِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَبْلَ تَأْخُرِهِ عَنِ الْجُمُعَةِ فَيُؤَخَّرُ عَنِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ بَيْنَ أَهْلِهَا » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نقر أحدا من المسلمين على تركه الجمعة بل نهاه ونزجره أشد الزجر رحمة به وخوفا أن الله تعالى يطبع على قلبه فلا يدخله بعد ذلك خير حتى يموت ، ومتى علمنا أن أحدا ترك حضور الجمعة بغير عذر وسكتنا على ذلك بغير عذر فقد خنا الله ورسوله ، وارتكبنا إثما عظيما ، وهذا العهد قد كثر الإخلال بالعمل به فلا تكاد ترى أحدا ينكر على أحد ترك الجمعة أبدا . والقاعدة أن كل من استهان بارتكاب غيره المعاصي فهو دليل على استهائه هو بارتكاب المعاصي في نفسه ، ومن استعظم وقوع نفسه فيها استعظم وقوعها من غيره ، فإن لم تكن هذه القاعدة كلية فهي أكثرية نسأل الله اللطف .

وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم مرفوعا :

« مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ فَهُوَ مُنَافِقٌ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم :

(أخذ علمينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا يجمع من الذهب والفضة قط نصابا إلا إن كنا نثق من أنفسنا بأننا نخرج زكاتها وهي مغلصة منسرحة لها ، فإن لم نثق من أنفسنا أننا نخرجها كذلك اقتصرنا في الجمع على مادون النصاب .
ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد غلى وجهه إلى السلوك الكامل على يد شيخ مرشد صادق وإلا فلا يشم من العمل به رائحة بل يجمع ويمنع ، وإن أخرج شيئا فهو لعملة فادحة في قبولها .

فاسلك يا أخى على يد شيخ حتى يقطعك عن محبة الدنيا يعنى من الميل إليها ، إذ الدنيا لا تبغض لذاتها ، وإنما المطلوب الزهد فى الميل إليها لافى ذاتها إذ لو كان الزهد مطلوباً فى ذاتها لما جاز لأحد إمساكها ولا قائل بذلك ، فإن المحذور إنما هو فى إمساكها محبة لذاتها إذ هو الذى يتفرع منه الحجاب والشح والبخل فيمنع العبد من إخراج زكاته ، وقد غلظ فى هذا الأمر قوم فتركوا جمع الدنيا أصلاً ورأساً فاحتاجوا إلى سؤال الناس تعريضاً وتصريحاً ولو أنهم كانوا سلسكوا على يد الأشياخ حتى فطموهم عن الميل إليها لجمعوا القناطير من الذهب وأنفقوها على المساكين وحصل لهم خير الدنيا والآخرة :

وقد حكى أن فقيراً دخل زاوية سيدى إبراهيم المتبولى فجلس للعبادة ليلاً ونهاراً وترك الكسب ، وكان الشيخ لا يحب للفقير عدم التكسب ، فقال له يا ولدى لم لا تحترف وتقوم بنفسك وتستغنى عن حمل الناس لك الطعام ، فقال ياسيدى لما دخلت زاويتكم رأيت فى تلك الطاقة بومة عمياء لا تطيق أن تسعى مثل ما يسعى الطيور ، ورأيت صقراً يأتها كل يوم بقطعة لحم يرميها لها فى طاقتها ، فقلت أنا أولى بالتوكل على الله من هذه البومة ، فقال له سيدى إبراهيم ولم تجعل نفسك بومة عمياء؟ هلا جعلتها صقراً تأكل وتطعم البومة؟ فقال الفقير التوبة وخرج للكسب اه .

فيحتاج الفقير إلى حال صادق يرمى به الدنيا وحال صادق يأخذها بعد

ذلك به :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

روى الشيخان مرفوعا : « قَامِنٌ مُسْلِمٌ جَمَعَ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً لَا يُودَى مِنْهَا حَقًّا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُمِّحَتْ لَهُ صَفَائِحٌ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبْهَتُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ » الحديث .

قال شيخنا وضى الله عنه ؛ وإنما خص الله السكى بهذه الثلاثة الأعضاء ، لأن صاحب المال إذا رأى الفقير جاء له يعرقص جبهته له ؛ فإذا جاء وجلس عنده يسأله شيئا أعطاه جنبه فإذا ألح عليه أعطاه صاحب المال ظهره وفارقه ، والأحاديث في منع الزكاة كثيرة مشهورة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا المعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتوكل توكل العام ، فنترك التكسب بالتجارة والزراعة والصناعة ونحو ذلك ، ونصير نسأل الولاة والأغنياء نصريحا أو تعريضا ، فإن ذلك جهل بمقام التوكل كما هو شأن من يطلب الوظائف والأنظار بالوسائط وكتابة القصص ثم يدعى التوكل بعد ذلك ، وهو قد سأل مع الغنى ، وربما يحتاج بأن التكسب يعطله عن الاشتغال بالعلم وذلك حجة لانهض إلا إذا لم يكن في بلده أو لإقليمه من يقوم بحفظ الشريعة . أما إذا كان في بلده من يقوم مقامه في الافناء والتدريس فالأدب اشتغاله بالتكسب إلا أن يمن عليه بما يأكل وما يشرب من عُثيث لا يحتسب ونحو ذلك .

فإياك يا أخى وسؤال الناس بلا ضرورة ، وقد كثر وقوعه من غالب حملة القرآن مع قدرتهم على الكسب بالحرف والصنائع وغيرها ، وإذا أمره أحد بالتكسب يحتاج بأنه مشغول بالعلم والحال بخلاف ذلك فإن من شرط من يجوز له أكل الصدقة أن تكون له علامات ظاهرة على حفظه والإكباب على الاشتغال بالعلم ليلا ونهارا ، بحيث لو اشتغل بالتكسب لتعطل مع حاجة الناس إلى علمه مع الإخلاص فيه ، بحيث يحس بنفسه أن لو سأل الله تعالى به حاجة لقضاها ، كما في خبر الثلاثة الذين وقعت عليهم الصخرة فسدت عليهم فم الغار ، وقالوا لا ننجيكم إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم :

وقد كان شيخنا شيخ الإسلام زكريا إذا أصابه وجع في رأسه وأنا أطلع له العلم لما

كفت بصره يقول نويت الاستشفاء بالعلم فيذهب الوجع لوقته: وقال لى مرارا عند ثوران الصداع برأسى قل نويت الاستشفاء بالعلم فأقوله ذلك فيذهب الوجع لوقته فلا أدرى هل ذلك من جهة إخلاصى أو ذلك ببركة الشيخ رضى الله عنه :

واعلم أن المروءة من الإيمان ولا مروءة لمن يسأل الناس وهو قادر على الكسب ، فن أراد العمل بهذا العهد فليسلك طريق القوم على يد شيخ صادق يسير به حتى يدخل به حضرات اليقين ويرى أهلها ويخالطهم ويصبر معتمدا على الله تعالى لاعلى الكسب ولاعلى أحد من الخلق وهناك لا يضره سؤال إن شاء الله تعالى لأنه حينئذ إنما يسأل من الله تعالى والخلق أبواب للحق فهو مع صاحب لب الدار لامع الدار ولا مع باها ، ومن لم يسلك على يد شيخ فغالب أحواله علل ، فإن سأل كان لعله وإن ترك كان لعله والله أعلم .

وقدروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَلَيْسَ بِوَجْهِهِ مُدْعَةٌ لِحَمٍّ » .

وروى البخارى وابن ماجه : « لِأَنَّ تَأْخُذَ أَحَدِكُمْ أَحْبَبُهُ فَيَأْتِي بِجُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعُهَا فَيَكْفَى بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ » .

وروى البخارى : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِهِ يَدِهِ وَإِنَّ نَجَى اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » .

وفي رواية : « إِنَّهُ كَانَ يَعْمَلُ الْقِنَافَ مِنَ الْخُوصِ » .

وروى أبو داود والترمذى مرفوعا : « إِنَّمَا السَّائِلُ كُدُوحٌ يَسْكُدُحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ ، فَمَنْ شَاءَ أَتَى عَلَى وَجْهِهِ ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ ذَا سُلْطَانٍ أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بَدَأَ » الكدوح : الخموش .

وروى البيهقى : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ نَزَلَتْ بِهِ أَوْ عِيَالٍ لَا يُطِيقُهُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِوَجْهِهِ لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ » .

وفي رواية أخرى له مرفوعا : « مَنْ فَتَحَ عَلَيَّ نَفْسَهُ بَابَ الْمَسْأَلَةِ مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ تَرَكَتْ بِهِ أَوْعِيَالٍ لَا يُطِيقُهُمْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَاقَةٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » .

وروى البيهقي : « أَنْ رَجُلًا أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَالَ : كَمْ تَرَكَ؟ فَقَالُوا دِينَارَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ قَالَ : تَرَكَ كَيْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ كَيْتَاتٍ » .

قال عبد الله بن القاسم وكان ذلك الرجل لم يزل يسأل الناس كثيرا :

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ سَأَلَ مَسْأَلَةً عَلَى ظَهْرِ غَيِّ اسْتَبَكَّرَ مِنْ رَضْفِ جَهَنَّمَ ، قَالُوا وَمَا ظَهْرُ غَيِّ؟ قَالَ : عَشَاءٌ لَيْلَةٍ » .

وفي رواية لأبي داود : « قَالُوا : وَمَا الْغَيُّ الَّذِي لَا يَنْتَبِئُ مَعَهُ الْمَسْأَلَةُ؟ قَالَ : قَدْرُ مَا يُغْدِيهِ وَيُعْشِيهِ » .

وفي رواية لابن حبان وابن خزيمة في صحيحه :

« هُوَ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَبَعٌ يَوْمَ وَلَيْلَةٍ » .

قلت : وهذه الأحاديث وماشاكلها إنما خرجت مخرج الزجر والتنفير عن ترك السكسب ولها تحقيق آخر عند العلماء والله أعلم :

وروى الشيخان مرفوعا : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » .

قال مالك وغيره : والعليا هي المنفقة :

وقال الخطابي وغيره : والأشبه أن المراد بالعليا هي المتعففة عن سؤال الناس لأن ذلك مأخوذ من علاء الجبد والكرم لامن علو المسكان ، وسيأتي الحديث يقتضيه فإنه صلى الله عليه وسلم قال : ذلك يحض على الصداقة والتعفف عن المسألة والله أعلم ،

وروى الطبراني مرفوعا بإسناد حسن : « شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ وَعِزُّهُ غِنَاهُ

عَنِ النَّاسِ » .

وروي مسلم مرفوعا : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ » .

وروي مسلم وغيره : « وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نسأل الحق تعالى تكبرا وما دام عندنا غداء وعشاء أو قيمة مانشترى به لا نسأله تعالى زائدا ، وكذلك حكمنا في ملبوسنا وأدمننا وغير ذلك لا نسأله تعالى شيئا إلا وقت الحاجة في ذلك الشيء وذلك لتكون متوجهين إلى الله تعالى كل يوم وليلة لإظهارها للفاقة والفقير ، لسكون الحق تعالى يجب منا ذلك :

ولا تصل يا أحمى إلى هذا المقام إلا بعد سلوكك على يد شيخ صادق يسير بك في الدرجات واليقين حتى يجعلك لا تهتم بأمر الرزق ، ولا تخاف من جهة ذنوبك أنه يضيعك أبدا ، ويتساوى عندك كون الدنيا في خزانتك وكونها في خزانة غيرك على حد سواء وهناك تصح لك القناعة ، وإن لم تسلك كما ذكرنا فن لازمك الشح والهلع وعدم القناعة غالبا والله أعلم .

روى مسلم مرفوعا : « قَدْ أفلَحَ مَنْ أسْلَمَ وَرُزِقَ كِفَافًا وَفَنِعَمَ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ » .

وفي رواية للترمذي بإسنادين صحيحين مرفوعا :

« طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كِفَافًا وَقَنَعَ » والكفاف ما كف

عن السؤال .

وقال بعضهم : الكفاف ما كان على قدر الحاجة من غير زيادة .

وروي مسلم والترمذي : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا أَبْنُ آدَمَ إِنَّ تَبْدُلَ الْفَضْلِ خَيْرٌ لَكَ ، وَلَا تَسْتَكْبِرْ شَرَّ لَكَ » .

وروي الترمذي مرفوعا : « مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَانِي فِي بَدَنِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِيهِ فَكَأَنَّمَا حَبِزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَائِرِهَا » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نأخذ من أحد مالا ولا نأكل له طعاما إلا إن علمنا طيب نفسه بلا علة ولا نية فاسدة تتبعه على ذلك من حب محمدمة

أوشهرة تسكره ونحو ذلك وتعرف طيب نفسه وعدم طيبها بنور الكشف أو باحتفاف القرائن ، فإن القرائن إحدى الأدلة الشرعية .

فيحتاج من يريد العمل بذلك إلى سلوك على يد شيخ ناصح حتى يخرج به من أودية الطمع وشرة النفس ، ويصبر يقدم أمر آخرته على دنياه ويؤخر رضا نفسه إذا عارضه رضا الله .

وماريت أحدا أقام بهذا العهد مثل ما قام به سيدي على الخواص رحمه الله ، كانوا يأتونه بالأموال والأطعمة وفيها اللعل فيردها فإذا قالوا له والله خاطرنا بها طيب يقول لهم أنا خاطرى بها ما هو طيب رضى الله عنه .

فعلم أننا نراعى حفظ أعمال إخواننا من الآفات كما نراعى أعمالنا ولا نساعدهم فيما ليس فيه أجر لهم ، فنأخذ أموالهم ونأكل طعامهم المعلوم لأجل نفع نفوسنا ولا نلتفت لنقص رأس مالهم ، فمن فعل ذلك فقد أساء على نفسه وعلى إخوانه :
(وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ) .

روى ابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فَمَنْ أَعْطَيْنَاهُ شَيْئًا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْ غَيْرِ تَشْرَهُ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَعْطَيْنَاهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِمَّا كَانَ غَيْرَ مُبَارَكٍ لَهُ فِيهِ » .

وروى ابن حبان في صحيحه والإمام أحمد وغيرهما مرفوعا :

« إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَخْرُجُ مِنْ عِنْدِي بِحَاجَتِهِ مُتَأَبِّطَهَا ، وَمَا هِيَ إِلَّا النَّارُ ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ تَعْظِمُهُمْ ؟ قَالَ : يَأْتُونَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلُوا وَيَأْتِيَ اللَّهُ لِي الْبُخْلُ » .

وقوله متأبطها : أى جاعلها تحت إبطه والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نسأل أحدا ونقسم عليه بوجه الله إجلالا لله عز وجل ، إلا أن يكون ذلك لضرورة شرعية وكذلك لا نبخل بشيء قط سألنا فيه أحد بوجه الله ولو ثيابنا وجميع مالنا أو بيعنا في السوق ، وأخذ ثمننا بحيلة يفعلها كما وقع للخضر عليه السلام ، وهذا العهد يظهر زغل خلق كثير ممن يدعون أنهم يجلون الله عز وجل ، فتراهم يدعون تعظيم الله تعالى وإجلاله ويسألهم الفقير بوجه

الله أن يعطوه فلما يعطونه بل رأيت الفقراء وهم بفناء الكعبة يقولون للطائفين لأجل هذا البيت درهم أو خرقة نستر بها عورتنا أو كسرة نسد بها جوعتنا فلا يعطيهم أحد شيئاً .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : من مر على سائل يسأل شيئاً ولم يجلب الله تعالى باعطائه كل ما يطلب فقال له إنسان إنك لا تحب الله تعالى فقد صدق ، لأن من شرط المحب لإجلال محبوبه : وكان يقول : إياكم أن تخرجوا إلى السوق بلا حاجة إلا أن يكون معكم شيء تعطونه لمن يسأل بالله على الطرقات لا سيما إن كان شريفاً من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اه والله أعلم .

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ صادق يسير به في طريق أهل الله حتى يخرجهم عن حب الدنيا ويجعلها لا تساوي عنده جتناح بعوضة كما هي عند الله فهناك لا يبخل بشيء يسأل فيه ولو بلا قسم بأحد من أولياء الله فضلاً عن الله عز وجل ومن لم يسلك على يد شيخ كما ذكرنا فلا يشم من العمل بهذا العهد رائحة ومن لازمه الاخلاق بجانب التعظيم :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وقد روى الطبراني مرفوعاً ورجاله رجال الصحيح :

« مَلْمُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللَّهِ ، وَمَلْمُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللَّهِ ثُمَّ مَنَعَ سَأَلَهُ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ هُجْرًا » .

الهجر بضم الهاء وسكون الجيم : الأمر القبيح الذي لا يليق ، وقيل السؤال القبيح بالكلام القبيح .

وروى أبو داود وغيره « لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ » .

وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه وغيرها مرفوعاً :

« مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ » .

وروى النسائي وابن ماجه وغيرهما : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ رَجُلٌ يُسْأَلُ بِوَجْهِ

اللَّهِ فَلَا يُعْطَى » .

وروى الطبراني مرفوعاً : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الْخَضِيرِ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

قَالَ : بَيْدَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَمْشِي فِي سُوقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْصَرَهُ رَجُلٌ مُكَاتَبٌ فَقَالَ :
تَصَدَّقْ عَلَيَّ بِبَارِكِ اللَّهِ فِيكَ ، فَقَالَ الْخَضِرُ : آمَنْتُ بِاللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ يَكُونُ
مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ ، فَقَالَ الْمُسْكِينُ : أَسْأَلُ بِاللَّهِ لِمَا تَصَدَّقْتَ عَلَيَّ فَإِنِّي نَظَرْتُ
إِلَى السَّمَاحَةِ فِي وَجْهِكَ وَرَجَوْتُ الْبَرَكَاتَةَ عِنْدَكَ . فَقَالَ الْخَضِرُ آمَنْتُ بِاللَّهِ مَا عِنْدِي
شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ إِلَّا أَنْ تَأْخُذَنِي فِتْيَتِي عَنِّي ، فَقَالَ الْمُسْكِينُ فَمَلَّ يَسْتَقِيمُ هَذَا ؟ قَالَ
نَعَمْ . أَقُولُ لَقَدْ سَأَلْتَنِي بِأَمْرِ عَظِيمٍ أَمَلًا فِي لَأُحْيِيكَ بِوَجْهِ رَبِّي بِفَنِي فَقَدَّمَهُ إِلَيَّ
السُّوقِ فَبَاعَهُ بِأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا » الحديث والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نرد شيئا جاءنا
من غير سؤال ولا استشراف نفس ، وهذا العهد يقع في خيائه كثير ممن يجب أن يشتر
بالزهد ويرد ما أعطيه خوفا أن يجرح مقامه عند الناس وعار عليه أنه جرح مقامه بذلك
عند الله تعالى فخذ من الله تعالى وأعط الله والله يتولى هداك .

وروي الطبراني مرفوعا : « مَا الْمُعْطَى مِنْ سَعَةٍ بِأَفْضَلٍ مِنَ الْآخِذِ إِذَا
كَانَ مُحْتَاجًا » .

وفي رواية لابن حبان : « مَا الَّذِي يُعْطَى مِنْ سَعَةٍ بِأَعْظَمِ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يَقْبَلُ
إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نرد قريبا سألنا
شيئا ونحن في غنى عنه ، ولا نتعدى قط بصدقتنا إلى الأجنبي ونترك قريبتنا للفقير أو
نتعدى بالحسنة جارنا الفقير إلى الأبعد ، ولو فقيرا ، فضلا عن أن يكون غنيا ، وهذا
العهد يقع في خيائه كثير من الناس فيسألهم قريبتهم ثوبا أو طعاما أو دراهم فلا يعطونهم
شيئا ويسألهم شخص لا قرابة بينهم وبينه فيعطونه ؛ ولعل العلة في ذلك أن القريب يأخذ
ولا يشكر أصلا أو يشكر ولا يبالغ في الشكر ، ويقول لاجميلة في ذلك لقريبي بخلاف
الأجنبي فإنه إذا أخذ من أحد شيئا يشكر صاحبه في المجالس ويبالغ في الثناء عليه والنفس
من شأنها أنها تحب ذلك .

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به في الطريق حتى يوقفه على

حضرات الإخلاص وبصير يستلذ بالعطية لمن يكتم أشد من لذته لمن يعترف بها ويشكره ، وقد كان أخى أفضل الدين رحمه الله صاحب مروءة ومال في الهاطن وكان مشهورا بالفقر ، فكان يجمع الزكوات من الناس جهرا ويخلط معها أكثر منها سرا ثم يفرقها على الفقراء والمساكين وبقية الأصناف، وإذا نسبوه إلى أنه اختلس من زكوات الناس شيئا لنفسه ولم يعط الناس منها إلا القليل ينشرح ويفرح ويقول الحمد لله الذى وفر علينا ما تفضل به علينا فى الآخرة من الأجر ولم يضيعه فى الدنيا بمدح الناس وشكرهم لنا ، فعلم أن من تعدى قريبه بالعطاء والهدايا والصدقات إلى الأجانب من غير عذر شرعى فهو مراء خالص وكذلك من تعدى جاره إلى الأبعد:

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ تَصَدَّقَ عَلَى زَوْجِهِ أَوْ أُيْتَامٍ فِي حِجْرِهِ فَلَهُ أُجْرَانِ : أُجْرُ الصَّدَقَةِ ، وَأُجْرُ الْقَرَابَةِ . »

وروى الترمذى والنسائى مرفوعا : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ » .

وروى الإمام أحمد والطبرانى مرفوعا : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحُ الَّذِي يُضْمِرُ عَدَاوَتَهُ » .

كشحه : وهو خصمه ، يعنى أن أفضل الصدقة على ذم الرحم القاطع لرحمه المضمر العداوة فى باطنه ٥

وفى رواية لابن خزيمة : « وَعَلَى الْقَرِيبِ » بدل « ذِي الرَّحِمِ » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْقَرَابَةِ يُضَعَّفُ أُجْرُهَا مَرَّتَيْنِ » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ رَجُلٍ وَلَهُ قَرَابَةٌ مُحْتَاجُونَ إِلَى صَلَاتِهِ وَيَصْرِفُهَا إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَا مِنْ ذِي رَحِمٍ يَأْتِي ذَارِحَهُ فَيَمْنَعُهُ فَضْلَهُ إِذَا سَأَلَهُ
وَيَبْنَحِلُ عَلَيْهِ إِلَّا أَخْرَجَ اللَّهُ لَهُ مِنْ جَهَنَّمَ حَيَّةً يُقَالُ لَهَا شُجَاعٌ فَتَبْتَلِمُظُ
فَتَطْوِي بِهِ » .

وفي رواية أيضا مرفوعا : « أَيُّمَا رَجُلٍ أَتَاهُ ابْنُ عَمِّهِ يَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَمَنَعَهُ إِلَّا
مَنَعَهُ اللَّهُ فَضْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نقبل صدقة ولا
هدية من امرأة إلا بعد أن نسأل عن ذلك ، فربما كان من مال زوجها بخير لإذنه ، فنفع
في الإثم ونهينا على الحرام ، وهذا الأمر يقع فيه الفقهاء المغفلون الذين يقرئون النساء
البخاري والقرآن والمولد وقد نهى جميع أشياخ الطريق عن قبول الرفق من النساء ولو
كان من كسبهن ، لأن الله تعالى قال :
(الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) .

قالوا : ومن ترخص في ذلك فهو ذئب الهمة والمروءة لا يجيء منه شيء في الطريق ؛
فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلكه ويرقى به إلى مقامات الرجولية ،
ويفظمه عن محبة الدنيا وإلا فن لازمه أنه يلحق كل ما وجدته :
(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الترمذي مرفوعا وقال حديث حسن :
« لَا تُنْفِقُ امْرَأَةٌ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الطَّعَامُ ؟
قَالَ : ذَلِكَ أَفْضَلُ أَمْوَالِنَا » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ أَنْ تَصَدَّقَ مِنْ مَالِ زَوْجِهَا
إِلَّا بِإِذْنِهِ » زاد العبدري في جامعه : « فَإِنْ أُذِنَ لَهَا فَلَا جُرْهُمَا ، وَإِنْ قَعَلَتْ بِغَيْرِ
إِذْنِهِ فَلَا جُرْهُمَا وَالْإِثْمُ عَلَيْهَا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نمنع أحدا يستق

من بئرنا ولو عدوا لاسيا إن كان عطشاننا في طريق الحج ، ولا نمنع دوابه من الماء والكلاء رحمة بعدونا وبالباثم فنجى ونحن وبهاثنا مع عدونا لثلاث يموت معهم عملا بأوامر الشارع صلى الله عليه وسلم لنا ، بأن نحب للمسلمين ما نحب لأنفسنا وخوفا من غضب الحق تعالى علينا يوم القيامة ، كما سيأتي في الأحاديث :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلكه ويخرج به من حضرات رعونات النفس حتى يصير يحب الخير لكل مسلم من أعدائه فضلا عن غيرهم ، ويصير يتأسف على كل خبير فانه ، وهذا العهد يقع في خيانتته كثير من أهل الرعونات فأول ما يقع بينه وبين أحد من جيرانه عداوة يحجز بينه وبين أن يستقى من بئرهِ ورأيت بعضهم ردمها حتى لا يستقى ذلك العدو منها وهذا كله من بقايا النفاق في القلب :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

روى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِأَخِيْلًا يَمْنَعُهُ ابْنَ السَّبِيلِ ، قَيْمُولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَمْنُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِدَاكَ » .

وروى أبو داود : « أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَجِلُّ مَنَعُهُ ؟ قَالَ : الْمَاءُ وَالْمِلْحُ وَالنَّارُ » قال أبو سعيد : يعنى الماء الجارى .

وفي رواية لابن ماجه : « مَنْ أُعْطِيَ نَارًا فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَا أَنْضَجَتْ تِلْكَ النَّارُ ، وَمَنْ أُعْطِيَ مِلْحًا فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَا طَيَّبَتْ تِلْكَ الْمِلْحُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتعاطى سبب إفطارنا شيئا من رمضان فتحفظ من أسباب المرض كأن تستحم في الشتاء بالماء البارد بغير عنبر شرعى وفي المرض قبل التنصل منه فيؤدى ذلك إلى المرض فننظر ، وهذا وإن لم يقصد به المسلم الإفطار فالتحفظ منه من حزم عقل المؤمن ، وإن احتاج إلى شرب دواء أو حقنة فليجعل ذلك ليلا إلا إن قال عدل من الأطباء إن تأخير ذلك يزيده مرضا فاعلم ذلك .

وروى الترمذى وأبو داود وغيرهما : « مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ
وَلَا مَرَضٍ لَمْ يَقْضِهِ صَوْمُ الدَّهْرِ كَسَلَهُ إِنْ صَامَهُ » .
والأحاديث في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نمنع حليلتنا من
صوم التطوع طلبا لشموة نفوسنا القوية للجوع في النهار ، ونوطن نفوسنا على الصبر إلى
الليل ، إلا إذا خفنا للعنت وهذا من حسن العشرة فلا تسبب قط في نقص أجر حليلتنا ،
وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي منع الحلائل من الصوم إلا في
أوقات توقع الحمل طلبا للحمل فله منعها من الصوم لتحمل ، فإذا حملت المرأة فلا يلغى
منعها من الصوم :

« وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » :

وينبغي حمل منع الزوج لئلا يمان الصوم في الأحاديث على ما إذا خاف العنت ونحو ذلك :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان مرفوعا : « لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ »
زاد في رواية الإمام أحمد « إِلَّا رَمَضَانَ » .

وفي رواية للترمذى مرفوعا : « لَا تَصُومُ الْمَرْأَةُ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ شَهْرِ
رَمَضَانَ إِلَّا بِإِذْنِهِ » .

وفي رواية للإمام أحمد والطبراني مرفوعا :

« فَإِنْ صَامَتْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ تَطَوُّعًا جَاعَتْ وَعَطَشَتْ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا » والله

تعالى أعلم .

(أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نخص الجمعة أو السبت

أو الأحد بالصوم لحديث مسلم والنسائي مرفوعا :

« لَا تَخْصُوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي وَلَا تَخْصُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصَوْمٍ مِنْ

بَيْنِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَامَ يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ » .

وروى البخارى وأبو داود « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى عَائِشَةَ صَائِمَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: أَصُمْتِ أَمْسِ؟ فَقَالَتْ لَا، قَالَ: أَتُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟ قَالَتْ لَا، قَالَ: فَأَفْطِرِي. » .

وروى الترمذى وابن ماجه فى صحيحه مرفوعا :

« لَا تَصُومُوا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا افْتُرِضَ عَلَيْكُمْ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ كُمْ إِلَّا لِحَاءِ عَنَبَةٍ أَوْ عُودِ شَجَرَةٍ فَلْيَمْضُغْهُ » واللحاء: هو القشر .

قال الحافظ المنذرى: وهذا النهى إنما هو عن إفراده بالصوم كالجمعة، فأما إن صام يوما قبله أو يوما بعده فلا بأس ، والله سبحانه وتعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نصوم فى السفر إلا إن سهل علينا من غير مشقة عملا برخصة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وميلا إلى الضعف ، وهذا العهد يقع فى خيانتة كثير من المتصوفة الجهال ، فيصوم أحدهم فى السفر ويقاسى المشقات الشديدة ولا يفطر ويرى أن ذلك أفضل له ويقدم رأى نفسه على الشارع صلى الله عليه وسلم ، وقد جرب أنه ما شدد أحد على نفسه ونخالفت الشارع إلا أهل بمأمورات آخر ، فإن الله تعالى أعلم بما يتحمل عبده المداومة عليه ، ولو علم منهم القدر على أكثر ما شرع لزيد عليهم فى التشريع ، بل جرب أن كل طفل قرأ يوم الجمعة وكتب لوحه فلا بد أن يكسل عن لوحه فى يوم آخر من الجمعة ، فلا أكمل ممن يقف على أحد ما أمره به الشارع أبدا :

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يهديه إلى سلوك طريق العبادات التى يطبق العبد المداومة عليها ، ولا يؤدى عليه :

« فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا » .

وأیضا حال للعبد فى حال فعله برخصة الشارع يسمى متبعا ، وفى التشديد على نفسه يسمى مبتدعا ، ومعلوم أن الاتباع أولى من الابتداع ولو استحسنت ، والله أعلم :

وروى مسلم وغيره : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ وَصَامَ النَّاسُ مُمْدَعًا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ

إِلَيْهِمْ شَرِبَ ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ ؟ فَقَالَ أَوْلَيْكَ الْعُصَاةُ
أَوْلَيْكَ الْعُصَاةُ .

وفي رواية لمسلم : « قِيلَ لَهُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ
فِيهَا تَفَعُّلًا ، فَدَعَا بِمَدْحٍ مِنْ مَاءٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَشَرِبَ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي
سَفَرٍ فَرَأَى رَجُلًا قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَقَدْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ مَا لَهُ ؟ فَقَالُوا صَائِمٌ ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ » .

زاد في رواية : « وَعَلَيْكُمْ بِرُحْصَةِ اللَّهِ الَّتِي رَحَّصَ لَكُمْ فَأَقْبِلُوهَا » .
وروى ابن ماجه والنسائي مرفوعا :

« صَائِمٌ رَمَضَانَ فِي السَّفَرِ كَالْمُفْطِرِ فِي الْخَضِرِ » :

ورواه بعضهم موقوفا على ابن عمر . وروى الإمام أحمد والطبراني مرفوعا :

« مَنْ لَمْ يَقْبَلْ رُحْصَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ جِبَالِ عَرَفَةَ » .

لكن قول البخاري كأنه حديث منكر . وروى مسلم عن أنس قال :

« كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ فَزَلْنَا
مَنْزِلًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ أَكْثَرْنَا ظِلًّا صَاحِبُ الْكِسَاءِ ، فَمِنَّا مَنْ يَتَّقِي الشَّمْسَ بِيَدِهِ فَسَقَطَ
الصَّوَامُ ، وَقَامَ الْمُفْطِرُونَ فَضْرَبُوا الْأَبْنِيَةَ وَسَقَوْا الرُّكْبَانَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ هَذِهِ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ » .

وكان عمر بن عبد العزيز وقتادة ومجاهد إذا سئلوا عن الصوم والافطار في السفر أيهما
أفضل ؟ يقولون أفضلهما أيسرهما : واختار هذا القول أبو بكر بن المنذر ، وقال الحافظ
عبد العظيم وغيره وهو حسن والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد للعام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا تتهاون قط في
الوقوع فيما نهانا الشارع عنه ، ولو رأينا أكابر العلماء يقعون فيه ، وذلك كالغيبية والهميمة
والحسد والكبر والغل والحقد وسوء الظن بالمسلمين ونحو ذلك في رمضان وغيره ، بل
نراعى ترك وقوع ذلك منا في رمضان أشد من مراعاته في غيره محلا بتأكيد الشارع صلى الله

عليه وسلم علينا في ترك ذلك في رمضان ، ولا يجوز لنا الاغترار بمن رأيناه يقع في ذلك من أكابر الناس ، لأن الاغترار لا يكون إلا فيما لم يرد لنا فيه عن الشارع ، أما ما ورد فيه ذلك فاغترارنا بمن وقع فيه ضلال مبين ، بل الذي يجب علينا التبعاد عن الوقوع في ذلك أشد من العلماء والصلحاء لنقص مقامنا عنهم ، وربما سماحهم الحق تعالى دوننا لهيبته لهم ، وأكثر من يقع في خيانة هذا العهد من في قلبه شيء من النفاق ، تراه يقع في الغيبة والنميمة ويشتم الناس في رمضان ويقول : هذا أمر لا يقدر العلماء بتحريزون عنه ، فضلا عن مثلي ، ولعمري هذا كلام لا يقع ممن يخاف الله عز وجل ، وهو حجة له في قلة الدين .

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح حتى يسد عليه مجاري الشيطان التي يدخل منها إلى قلب العبد ، فيوسوس له بالسئآت ، ومن لم يسلك على يد شيخ فن لازمه غالبا عدم حفظ جوارحه الظاهرة والباطنة عن الوقوع في كل عضو والصوم جنة ما لم يخرقه بغيبة أو نميمة ، ومعلوم أن الشيطان بالمرصاد لما تخرق من صوم العبد ليدخل إلى قلبه من ذلك الخرق ، فيحتاج إلى تحفظ زائد ليسد جميع الثغر الذي يدخل منه :

وقد أجمع العارفون على أن من حفظ صومه من التخرق حفظ من الشيطان إلى رمضان الآتي ، ثم من أعون شيء لإبليس على وسوسة العبد كثرة الأكل في العشاء والسحور ، فإن العبد إذا شبع شبع جوارحه وأجاب إبليس إلى كل ما دعاها إليه من المعاصي ، وهذا الأمر قد عم غالب الناس ، فتراهم يأكلون في رمضان أكثر مما يأكلون في غيره ، فأخطئوا طريق الصواب وصار صومهم كأنه عادة لا عبادة :

وقد كان السلف للصلح يخرجون من صيام رمضان يكاشفون الناس بما في سرائرهم من كثرة نور العبادات ، وتوالي الطاعات وترك أكل الشهوات ، وهجر المباحات ، وكان أحدهم إذا فاتته ليلة القدر في سنة يعاقب نفسه تلك السنة بصومها كلها ، فإن جميع ما يتقدم ليلة القدر من الصيام إنما هو كالأستعداد لرؤيتها ، فإنها خير من عبادة ألف شهر وهو نحو ثلاث وثمانين سنة : وإذا كان من ترك صلاة العصر من المؤمنين يحصل له من الحزن على فواتها مثل حزن من فقد أهله وماله ، فكيف لا يتأسف أحدنا على فوات عبادة ثلاث وثمانين سنة :

فاسلك يا أخى على يد شيخ لتكمل لك عبادتك ويزيل عنك القصد الواقع فيها ،

فإن مقصود أهل الطريق كلهم بالمريدين إنما هو ليلحقوهم بالسلف الصالح في إتمام عباداتهم على الوجه المشروع لا غير :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى البخارى وأبو داود والترمذى وغيرهم مرفوعا :

« مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ » .

زاد في رواية : « وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » :

أى إن الله لم يأمر بالصوم على هذا الوجه فافهم :

وروى الطبرانى مرفوعا : « مَنْ لَمْ يَدَعْ اتْلَانَا وَالْكَذِبَ فَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ أَنْ يَدَعَ

طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » .

وروى النسائى بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه والبيهقى مرفوعا :

« الصِّيَامُ جَنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرُقْهَا » .

زاد في رواية الطبرانى : « قِيلَ وَبِمَ يَخْرُقُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بِكَذِبِ

أَوْ غَيْبَةٍ » .

وروى ابن خزيمة في صحيحه والحاكم وغيرهما مرفوعا :

« لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ الْغَوْرِ وَالرَّفَثِ » .

وروى البخارى وغيره مرفوعا لكن في إسناده من لم يسم :

« أَنَّ أُمَّرَأَتَيْنِ صَامَتَا مُمٌّ جَلَسَتَا تَأْكُلَانِ مِنْ مَلْجُومِ النَّاسِ فَأَمَرَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْتَقِيمَا مَا فِي بُطُونَيْهِمَا فِي قَدَحٍ فَقَاءَا تَأْكُلُ وَاحِدَةً قَيْشًا وَدَمًا

وَصَدِيدًا وَلَحْمًا حَتَّى مَلَأَتَا الْقَدَحَ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ هَاتَيْنِ

صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمَا وَأَفْطَرْتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا » .

زاد في رواية : « وَلَوْ أَنَّ ذَلِكَ بَقِيَ فِي بُطُونَيْهِمَا لَأَكْتَهَمَا النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(أخذ علينا المعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتعلق بالفظاظة

وعدم الشفقة والرحمة على أحد من المسلمين وسائر الحيوانات ، بل تكون رحماً بخلق الله كلهم بطريقه الشرعى لإدخاله لعدم الأذى عليهم كما نحب أن يفعل بنا ذلك ، فإن من لا يرحم لا يرحم ، فنحن الشفرة للذبح ما شرع لنا ذبحه أو قتله من الحيوانات المؤذية ، ولا نمثل بشيء منها قط ولو نملة أو بعوضة فضلا عن الكلب أو الهر :

وقد أصاب الجرب والجدام كلبا في بلد سيدى أحمد بن الرفاعى حتى قدره الناس وأخرجوه إلى الصحراء ، فبلغ ذلك سيدى أحمد فخرج إليه وضرب عليه مطلة ، وصار يدهنه ويطعمه ويسقيه ، ويغسل يديه سبعا إحداها بالتراب صباحا ومساء مدة أربعين يوما ، حتى عافى الله تعالى ذلك الكلب ، فسخن له ماء وغسله ودخل به البلد فأبى الناس من شدة ما فعل من رحمته بذلك الكلب :

ودخل عليه مرة يعقوب الخادم فوجده يبكى ويعتذر ويقول : لا تؤاخذ حميدا بما وقع منه فإنه ما قصدى ، فقال باسيدى من تعاتب وما أرى عندك أحدا؟ فقال يا ولدى نزلت ناموسة على يدي فوضعت أصبعي عليها أنحمها فانكسر جناحها ، فخفت أن يؤاخذ الله بها حميدا يوم القيامة أو يكسر ذراعه في الدنيا كما فعل معها لعدم تحزى حين وقعت عليها يدي :

وكان يأمر رضى الله عنه أصحابه بالصبر على أذى القمل ويقول : كيف يدعى أحدكم للصبر على البلاء وهو ينفذ غضبه في قلة أو برغوث ولا يحمل أذاها فضلا عن أذى أعدائه من الناس :

فإن أردت يا أخى العمل بهذا العهد فأسلك على يد شيخ ناصح يلفظ كئانفك ويزيل عنك الغلظة والتجبر ويلحقك بالملائكة للكرام ، وتصبير تشفق على غيرك من سائر خلق الله كما تشفق على نفسك ولا تتجبر إلا على من أمرك بالتعجب عليه ، والله يتولى هداك :

وروى مسلم وأبو داود وغيرهما مرفوعا :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ وَلْيُجِدَّ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ وَإِيْرِحْ ذَبِيحَتَهُ » .

وروا الطبرانى وغيره : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ وَاضِعًا رِجْلَهُ

عَلَى صَفْحَةٍ شَاةٍ وَهُوَ يُحِدُ شَفْرَتَهُ وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِيَصْرٍهَا قَالَ أَفَلَا قَبِلَ هَذَا؟ أُرِيدُ
أَنْ تُبَيِّنَهَا مَوْتَيْنِ .

وروى ابن ماجه مرفوعا: « إِذَا ذَبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجْهِزْ » أى يسرع ذبحها ويتممه .
وروى النسائي والحاكم وصححه مرفوعا : « مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَقْتُلُ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا
يَغْتَبِرُ حَقًّا إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَقُّهَا ؟ قَالَ يَذُبُّهَا
قِيًّا كُلِّهَا وَلَا يَقْطَعُ رَأْسَهَا فَيَرْجِي بِهَا » .
وقوله « فما فوقها » يعنى فى الصغر قاله بعض المفسرين .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « مَنْ مَثَّلَ بِذِي رُوحٍ مُمٌّ لَمْ يَنْتَبِ مَثَلُ اللَّهِ
بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد للعام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بترك حج
الفرض مع الاستطاعة ولو خفنا أن أحدا يسعى فى إخراج أنظارنا عنا أو تدريسنا ،
وخطابتنا أو غير ذلك ، بل نخرج إلى حجة الاسلام ولو فاتتنا الدنيا بمخدا فيرها ، فإذا
قضينا حجة الاسلام فلنسا ترك حج التطوع إذا خفنا ما ذكر ، لأن تحصيل ما به قوام
معايشنا من الوظائف المذكورة أولى من حج التطوع مع الحاجة إذا رجعنا إلى أوطاننا ،
وهذا العهد يخل به كثير من الناس مع القدرة ، فيكون عنده من الأمتعة والكتب ما يفضل
عن مؤنة حجه ذاهبا وراجعا بل يكفيه نفقة سنة أو سنتين بعد الحج ويترك حجة الاسلام
ويحتج بخوف السعى على وظائفه ، والإنسان على نفسه بصيرة وقد قال تعالى :

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا) .

يعنى أنهم يأتوك مشاة ولا ينتظرون حصول شىء يركبونه تعظيما وخوفا من تأخير
أمر الله عز وجل :

وقد بلغنا أن الخليل عليه السلام ، لما أمره الله تعالى بالختان لم ينتظر موسى بل بادر
بأذن القدوم يعنى الفأس فاختنن بها ، فقيل له يا خليل الله هلا طلبت موسى ، فقال إن
تأخير أمر الله شديد .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ صادق رقبه فى درجات

التعظيم لله تعالى حتى يصير فوات الدنيا في جنب طاعة الله كفوات ذرة من التراب «
وفوات ذرة من طاعة الله تعالى أصعب عليه من فوات الدنيا بمخافتها لو كانت في يده
ومن لم يسلك الطريق كما ذكرنا فن لازمه غالبا تقديم أهوية نفسه على مرضاة ربه :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

روى الترمذى والبيهقى وغيرهما : « مَنْ مَلَكَ زَادًا أَوْ رَاحِلَةً تَبَلَّغَهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ
وَلَمْ يَحُجَّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا » وذلك أن الله تعالى يقول : (وَاللَّهُ
عَلَى النَّاسِ حَسْبُ الْبَيْتِ مِنَ اسْتِطَاعِ إِلَيْهِ سَبِيلًا) .

وفي رواية البيهقي مرفوعا : « مَنْ لَمْ تَحْلِسْهُ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ أَوْ مَرَضٌ حَاسِبٌ أَوْ
سُلْطَانٌ جَائِرٌ وَلَمْ يَحُجَّ فَلَيْمَتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا » .
وروى ابن حبان في صحيحه والبيهقى مرفوعا :

« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ
تَمَضَّى عَلَيْهِ حَسَنَةُ أَعْوَامٍ لَا يَفِيدُ إِلَى لَمَحْرُومٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا المعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتكهن عيالنا
المخدرات من الخروج لحج التطوع بخلاف حجة الفرض ، وذلك لضعفهن عن تحمل
مشقة الطريق ولكونهن عورة ، أو لغير ذلك من الأمور الواقعة للحجاج لاسيما أن
تفرسنا فيهن عديم الاخلاص ، فإن غالب النساء يسافرون بلا صلاة ولا طهارة ذهابا
وإيابا ويتخذن ذلك نزها وفرجة لاسيما سفرهن عتق موت أولادهن فى الفصل فيها جرن
من أوطانن بعدا عن المواطن التى مات فيها أولادهن ، فعلم أننا لا نتمنع غير المخدرات
أو من صلحت نيتن أو احتجنا لمن فى السفر كأن كان عندنا شدة غلظة وخفضنا على
أنفسنا أن يخطر فى بالنا شهوة محرمة فتؤاخذ بها ، فإن من خصائص الحرم أن الله يؤاخذ
من أراد فيه سوءا وإن لم يعمل به .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الامام أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِنِسَائِهِ عَامَ حَجَّةِ الْوُدَاعِ هَذِهِ نُهُمُ
ظُهُورُ الْخُصْرِ » .

قال أبو هريرة : فكن كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش ، وسودة بنت زمعة كانتا يقولان والله لا نحر كنا دابة بعد ما سمعنا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم يعنيان به قوله صلى الله عليه وسلم : « هذه ثم ظهور الحصر » ٥

كما في رواية الطبراني بإسناد صحيح ولفظه عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :

« هَذِهِ الْحِجَّةُ ثُمَّ الْجُلُوسُ عَلَى ظُهُورِ الْحُصْرِ فِي الْبُيُوتِ » .

وفي رواية أخرى له فقال صلى الله عليه وسلم للسائمه .

« إِنَّمَا هِيَ هَذِهِ ثُمَّ عَلَيْكُمْ بِظُهُورِ الْحُصْرِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بترك تعلم آلات الجهاد كالرمي بالنشاب والمصارعة والمدافعة ونحو ذلك ، ثم لا نتركها بعد التعلم حتى يتفك إدماننا ، وهذا العهد قليل من الناس من يعتنى به اكتفاء بعسكر السلطان ويقول إذا وقع دخول عدو بلادنا فعسكر السلطان يكفي فكل ذلك جبن وكسل وبيس طباع ، وكذلك من الأدب أن لا نتهاون بترك تعلم السباحة في البحر لاحتمال أن يضطرنا عدو عند شاطئ البحر فيهلكنا ، ولو أننا كنا نعرف السباحة لربما خلصنا منه . وقد كان شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري مع كبر سنه يعوم بحر النيل كل سنة مرة ويقول أنا أخاف أن يتفك مني الإدمان في العوم ، فإن ترك العوم نقص في الإنسان والله أعلم :

روى مسلم وابن ماجه مرفوعا : « مَنْ تَعَلَّمَ الرَّيِّ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا أَوْ فَقَدْ عَصَى » .

وفي رواية : « مَنْ تَعَلَّمَ الرَّيِّ ثُمَّ تَرَكَهُ فَقَدْ عَصَانِي » .

وفي رواية للطبراني : « مَنْ تَعَلَّمَ الرَّيِّ ثُمَّ نَسِيَهُ فَهِيَ نِعْمَةٌ جَعَدَهَا » .

وفي رواية : « مَنْ تَرَكَ الرَّيِّ بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ كَفَرَهَا » .

ويقاس على الرمي ما ذكرناه من آلات الجهاد وما لم يذكر ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نفر من جاعة

اجتمعنا معهم على أمر فيه إقامة للدين كالجهد في تبديل الله أو أمر بمعروف نعين عليه أو إزالة منكر أو مجلس ذكر لله إلا لضرورة شرعية لاسيما إن كان الناس ينفرون عن ذلك الخير تبعا لنا ، وهذا العهد يتأكد العمل به على علماء هذا للزمان وصوفيته لكونهم رؤوس الناس فإن قاموا في أمراقت العامة معهم ، وإن غفلوا في أمر غفلت العامة معهم عنه ، والله تعالى يحب كل من نصر شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم وأعان من يريد إقامة شعائرها كما مرت الإشارة إليه في ضمن العهود أوائل الكتب .

وبالجملة فلا يتخلف عن نصرة الشريعة مع القدرة إلا من في قلبه نفاق والسلام .
وقد ورد التهريب في الفرار من الزحف فقسنا عليه الفرار من كل خير فيه حياة الدين :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وقد روى الشيخان وغيرهما : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَّ السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ فَذَكَرَ مِنْهَا الْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلُ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نغل من شيء دخل يدنا على اسم الفقراء والمساكين كمال الزكوات والصدقات ، ولا نخص النساء وأولادنا بشيء زائد على الفقراء إلا بطيبة نفوسهم بعد إعلامهم بما نأخذ زائدا عليهم عملا بحديث :

« إِنَّ اللَّهَ يَسْكُرُهُ الْعَبْدَ الْمُتَمَيِّزَ عَنْ أُخِيهِ » .

وهذا العهد لا يقدر على العمل به إلا من سلك على يد شيخ حتى قطمه عن محبة الدنيا ، فمن لم يقطم عن محبتها فن لازمها غالبا تخصيص نفسه عن إخوانه سرا وجهرا :

فاسلك على يد شيخ إن أردت الوفاء بهذا العهد والله يتولى هداك :

وروى البخاري وغيره : « أَنْ رَجُلًا كَانَ عَلَى ثِقَلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَاتَ ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ فِي النَّارِ ، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ فَوَجَدُوا عَبَاةً قَدْ غَلَّهَا .

قال العلماء: والغلول هو ما يأخذه أحد الغزاة من الغنيمة يختصا به ولا يحضره إلى أمير الجيش ليقسمه الغزاة سواء قل أو أكثر وسواء كان الآخذ أمير الجيش أو أحدهم اه:

وروى مالك وأحمد وأبو داود: « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْتَنَعَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى رَجُلٍ غَلَّ حِرْزًا لِيَهُودِيٍّ لَا يُسَاوِي دِرْهَمَيْنِ ، وَقَالَ صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ ». وروى أبو داود مرفوعا: « مَنْ كَتَمَ غَالًا فَهُوَ مِثْلُهُ » .

أى ستر عليه ولم يعلم الناس بما غله ، والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نغفل عن تحديث أنفسنا بالغزو في سبيل الله لنكتب إن شاء الله من جملة أنصار دين الله ، فإن من لا يحدث نفسه بالجهاد ليس له اسم في ديوان أنصار الله وأنصار رسوله ، وإن كان له اسم من حيثبة أخرى كالاشتغال بالعلم ونحوه مما يثول لنصرة الدين أيضا وكفى بذلك طردا عن صفات كمال المؤمنين : أى لأن الكامل هو من كان قائما بنصب الدين من سائر الجهات التى تنصب بها القوة وإن كان هو فى حالة الفعل أكمل منه فى حالة القوة إلا أن يبعد عليه ذلك فيعذر وهذا العهد قد اندرس العمل به فى إقليم مصر وغيرها ولا نعلم أحدا يعمل به الآن إلا جند السلطان ابن عثمان نصره الله تعالى ، فإنه هو الحامى لبيضة الإسلام الآن شرقا وغربا برا وبحرا فالله ينفعنا بركائه ويحشرنا من جملة جنده وأنصاره آمين آمين ؟

وروى مسلم وأبو داود مرفوعا « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يَحْدَثْ نَفْسَهُ بِالْفِرَاقِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النَّفَاقِ » .

وروى الطبرانى مرفوعا: « مَا تَرَكَ قَوْمٌ الْجِهَادَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ » .

وروى أبو داود وابن ماجه مرفوعا: « مَنْ لَمْ يَغْزُ أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارِعَةٍ الطَّرِيقِ قَبْلَ

يَوْمِ الْقِيَامَةِ » يعنى العذاب .

وروى أبو داود وغيره مرفوعا: « إِذَا تَرَكَ أُمَّتِي الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ذُلًّا

لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى دِينِهِمْ » ، (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بعدم تلاوة القرآن في كل يوم ولو خمسة أحزاب خوفا من نسيانه ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من طلبة العلم ومتصوفة الزمان فيشتغلون بالعلم وقراءة الأوراد ويهجرون تلاوة القرآن حتى يمتنع حفظهم له وربما نسوه ويؤمنون أن ما هم فيه أفضل .

فعلم أنه يجب تعاهد القرآن وقراءته بالتدبر لأنه قوت القلوب . وقياس القرآن أنه يجب تعاهد كتب الفقه الشرعية وآلاتها كل قليل إذا كان تقدم للعبد حفظها عن ظهر قلب خوفا أن تنسى إذ هي كأنها تفسير للكتاب والسنة ، وتبين لما أبهم وأجل فيهما ، وإن لم يلحق في التعظيم بالقرآن .

وقد وقع لسيدى الشيخ أبو المواهب الشاذلى أنه اشتغل بالأوراد وهجر القرآن فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاتبه في ذلك وقال ترك تلاوة كتاب الله لأجل ويريد أنك فكان الشيخ أبو المواهب بعد ذلك يقرأ كل يوم خمسة أحزاب بتدبر إلى أن مات والله تعالى أعلم .

روى الترمذى والحاكم : « إن الذى ليس في جوفه شيء من القرآن كاتبته أظراب » .

وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة مرفوعا :

« عُرِضَتْ عَلَى أَجْرُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَدَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ . وَعُرِضَتْ عَلَى ذُنُوبِ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَكْبَرَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أَوْتِيهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا » .

وروى أبو داود مرفوعا : « ما من أمرى بقرء القرآن ثم ينساه إلا لقي الله أجذم » .

قال الخطابى والأجذم هو المقطوع اليد ومعناه أنه يلقى الله خالى اليدين من الخير كنى باليد عما تحويه اليد ، وقال بعضهم معناه لاحجة له والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نغفل عن الاكثار من ذكر الله عز وجل ليلا ونهارا سرا وجهرا لإجلال الله تعالى وعبودية له .
والمراد بذكر الله تعالى شهودنا ليلا ونهارا أننا بين يديه وهو يرانا ويرى أفعالنا وأقوالنا ونحو اطرننا .

وأما الذكر اللفظي فإنما هو وسيلة إلى حصول هذا الذكر .

ولا تصل بالأخى إلى هذا المقام إلا بالسلوك على يد شيخ مرشد ناصح ، ومن لم يسلك كذلك فمن لازمه الغفلة عن الله تعالى ولا يذكره إلا عند الحاجة لا غير ، فإذا أعطاه حاجته نسي ذكره ومن شك فليجرب .

وروى الطبراني والبيهقي وغيرها مرفوعا : « لَيْسَ يَتَجَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا » .

وروى الطبراني : « مَنْ لَمْ يُكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ فِيهَا » .

وفي رواية أخرى للطبراني مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِذَا ذَكَرْتَنِي شَكَرْتَنِي وَإِذَا نَسَيْتَنِي كَفَرْتَنِي » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا يجلس مجلسا ولا يقوم منه ولا نائم ولا يقوم إلا وذاكر الله تعالى ونصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن وقع منا مخالفة لذلك استغفرنا الله تعالى سبعين مرة وهذا العهد وإن كان داخلا في العهد الذي قبله ولكنه خاص بتغاير الأحوال وذلك أكد من الذكر المطلق كما قالوا في التلبية للحج والله أعلم .

روى أبو داود والترمذي مرفوعا : « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ » .

وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه وغيرها مرفوعا :

« مَنْ قَمَدَ مَقَمَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ » :

والتره هي النقص والتبعة .

وروى أبو داود والحاكم وغيرها مرفوعا : « مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ تَجْلِسِ لَأَيَّ ذِكْرٍ لَكَ اللَّهُ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ حَيْفَةِ حِجَارٍ وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانسبطنى الإجابة من الله تعالى ، ولا نقول دعونا فلم يستجب لنا لأن في ذلك سوء ظن بربنا ، وقد بلغنا أن داود عليه السلام استبطناً إجابة دعائه على من ظلمه فأوحى الله تعالى إليه :

« يَا دَاوُدَ إِنَّمَا أُبْطِئُ إِجَابَةَ دُعَائِكَ لِأَعْمَلِكَ بِنَظِيرِ ذَلِكَ إِذَا ظَلَمْتُ أَحَدًا وَدَعَا عَلَيَّكَ » اهـ .

مع أن قول العبد دعوت الحق فلم يستجب قوله لى قلة حياء وقلة أدب وكذب من حيث لا يشعر ، فإن الإجابة فى الحقيقة من الله هى قوله تعالى للعبد لبيك إذا قال يا الله وهذا لا بد منه لسكل داع، فليس المراد بالإجابة قضاء الحاجة فوق مايتوهم ، ثم إن العبد يقول يارب افعل لى كذا فيقول الله تعالى له نعم لكن فى الوقت الذى هو أولى لك ، إما فى وقت آخر فى الدنيا أو فى الآخرة ، فالدعاء محاب بقوله لبيك على الدوام ، وكذلك قضاء الحاجة محاب على الدوام ، وما ورد أحد الحضرة الإلهية ورجع بلا قضاء حاجة قط لأنها حضرة أكرم الأكرمين .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ يعلمه آداب الدعاء والتفويض لله تعالى فيه ، كأن يقول اللهم أعطنى كذا وادفع عنى كذا إن كان لى فى ذلك خيرة ومصالحة وسبق ذلك فى علمك ، وكلامنا فى غير المضطر أما المضطر فيجاب لوقته ، ثم إن العبد الذى لم يضطر إذا فوض إلى الله تعالى كذلك فعل معه خير الأمرين ، فإن أعطاه كان خيرا وإن منعه كان خيرا :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا: « يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ دَعْوَتُهُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي » .

وفى رواية لمسلم والترمذى : « لَا يَرَالُ يُسْتَجَابُ لِلْمَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِسْمِهِ أَوْ قَطِيعَةً رَحِمِهِ ، مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْأَسْتَعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَدَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي فَيَسْتَعْجِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَتْرُكُ الدُّعَاءَ » .
ومعنى يستحسر أى يمل ويعيا فيترك الدعاء .

فعلم أن المراد بعدم الإجابة عدم السرعة فيها وإلا فالإجابة حاصلة في الدنيا والآخرة ،
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نرفع بصرنا إلى
السماء حال دعائنا بل نغمض بصرنا وننظر إلى الأرض ، وكذلك لاندعو وقلوبنا غافل فإن
في ذلك من سوء الأدب ما لا يخفى لاتباع الشريعة واتباع العرف في ذلك ، وإلا فالجهات
كلها في حق الله واحدة ، وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في السماء لأنها
طريق لنزول الوحي المعهود ، كما أنه قد تلفت في صلواته ينظر إلى العين الذي أرسله
لينظر له خبر القوم فهو التفات إلى مخلوق ونظر إلى مخلوق من جبريل وغيره فافهم
فإن الله تعالى مدحه قبل ذلك بقوله عند ليلة الاسراء :

(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) يعني ما جاوز حضرة الخطاب .

وقد سمعت سيدي عليا الخواص يقول في حديث كانت خطيئة أخى داود النظر يعني
النظر إلى غير الله بغير إذن من الله اه .

وأما رفع اليدين إلى السماء فلإنهما آلة يقبل بهما صدقات الحق تعالى التي تصدق
الحق بها إليه ويضمهما إلى بعضهما كالمتعريف بهما ماء كما قاله الشيخ أحمد الزائد ،
والله أعلم .

وروى مسلم والنسائي وغيرهما مرفوعا : « لَيَنْتَهَبِينَ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِهِمْ أَبْصَارَهُمْ عِنْدَ
الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ أَوْ لَيَخْطَفَنَّ اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ » .

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن : « إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ
بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ ظَهَرَ قَلْبَ غَافِلٍ » .

وفي رواية : « لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبَ غَافِلٍ لَاهٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لاندعو على أنفسنا
ولا على ولدنا ولا على خادمتنا ولا على مالنا ، فإن ذلك من سوء الخلق ، وقد نهانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمرنا أن ننظر إلى مجارى الأقدار الإلهية التي قدرت على
من دعونا عليه ، وقد فعل مادعوننا من أجله مما لا يلائم طبائعنا ، وكثيرا ما يدعو الإنسان
على من يحبه فيستجيب الله تعالى له فيه فلا يهون عليه ذلك ، فيريد أن يرد ذلك عنه فلا
يجيبه الحق تعالى .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : إذا وجد أحدكم في نفسه إقبالا على الله تعالى ورجا الإجابة فليقل اللهم لا تستجب لي قط دعاء على أحد من المسلمين لاني حق نفسي ولا غيري ولا في حال غضب ولا في حال رضا ، فإن الله تعالى يفعل له ذلك ، ولما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش بالهلاك أنزل الله تعالى عليه :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

عنايا فاستغفر الله تعالى وصار يدعو لقومه بالهداية ويقول إذا خالفوه إلى ما يضرهم :

﴿ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلكه ويقطع به الحجب حتى لا يضيف إلى الخلق إلا ما أضافه الله إليهم من إسناد الأعمال لإيجادها ولهذا يصبر لا يدعو على أحد إلا سبق لسان :

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

روى مسلم وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

﴿ لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لَا تَوَافِقُوا سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ ﴾ .

وروى الترمذى وحسنه موقوفا : « ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا شَكَّ فِي إِجَابَتِهِنَّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ » .

وفي رواية لابن ماجه مرفوعا : « دَعْوَةُ الْوَالِدِ تُفْضَى إِلَى الْحَبَابِ » والله تعالى أعلم . (أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نجعل الدنيا في يدينا ولا ندخل حبا قلوبنا كما كان عليه السلف الصالح ، ولكن يحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يرقيه وإلا فلا يشم له رائحة ولو كان من أعلم الناس فاعلم ذلك :

وروى الشيخان مرفوعا : « قَلْبُ الشَّيْخِ شَابَ فِي حُبِّ اثْنَيْنِ ، حُبِّ الْعَيْشِ ، وَحُبِّ الْمَالِ » .

وفي رواية للترمذى : « طول الحياة وكثرة المال » .
وفي حديث مسلم والنسائي والترمذى مرفوعا :
« وأعوذُ بك من نفسٍ لا تشبعُ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « لو كان لابنِ آدَمَ وادِيانٍ مِن مَّالٍ لَأَبْتَعِيَ لهما نالِنا
وَلَا يَمَلَأُ جَوْفَ ابنِ آدَمَ إِلَّا التُّرابُ وَبِتُوبِ اللَّهِ عَلَى مَنْ تَابَ » .

وروى الترمذى مرفوعا : « يُؤْتَى بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَيْقُولُ اللَّهِ لَهُ : أُعْطِيَتْكَ
وَخَوَّلَيْتِكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ فَمَا صَنَعْتَ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ جَمَعْتُهُ وَتَمَيَّنْتُهُ فَفَرَكْتُهُ أَكْثَرَ
مَا كَانَ فَأَرْجِعْنِي آتِكَ بِهِ ، فَإِذَا عَبْدُ لَمْ يُقَدِّمْ خَيْرًا فَيُنْمِضِي بِهِ إِلَى النَّارِ » والله
تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانهاون بأكل الحرام
والشبهات ، سواء كان كسبنا بالتجارة أو الصنائع أو الوظائف التي لانسد فيها لابأنفسنا
ولا بنائنا ، ومن الشهات أن يطعمنا لأجل مايعتقده فينا من الصلاخ والدين ، ولا يخلو
حالنا من أمرين إما نكون صالحين كما ظنوا أو غير صالحين ، وكلا الأمرين لاينبغي لنا
الأكل بسببه ، اللهم إلا أن يخلص من أطمعنا فيطعمنا لله لالنية صلاح ولاغيره ، فهذا
لابأس بالأكل منه ، وقد كثر الأكل بالدين والصلاح في طائفة الفقراء واصطادوا بذلك
أموال السلاطين وغيرهم حتى صار لأحدهم كل يوم عشرون نصف فضة وأكثر ،
وإذا مات أحدهم يجدون بعده الألف دينار وأكثر وهو مع ذلك لايس جبة صوف :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الطبراني مرفوعا : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ التَّعَبَدَ لِيَتَغَذَّفَ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ
فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لِحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ
أَوْلَى بِهِ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « مَنْ اشْتَرَى قَوْبًا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ وَفِيهِ دِرْهَمٌ مِنْ
حَرَامٍ لَمْ يُتَقَبَّلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ صَلَاةٌ مَا دَامَ عَلَيْهِ » .

وروى ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه :

« مَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَامًا فَتَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ وَكَانَ وِزْرُهُ عَلَيْهِ .
وفي رواية لأبي داود : « مَنْ اكْتَسَبَ مَالًا مِنْ مَأْتَمٍ فَوَصَلَ بِهِ رِجْمَهُ أَوْ
تَصَدَّقَ بِهِ ، أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، جُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ جَمِيعًا فَقَدِفَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ » .
وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَكْتَسِبُ أَحَدٌ مَالًا
حَرَامًا فَيَتَصَدَّقَ بِهِ فَيُقْبَلُ مِنْهُ وَلَا يَنْفِقُ مِنْهُ فَيُبَارِكُ لَهُ فِيهِ ، وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ
ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ إِذْ لَا يُعْحَى السَّيِّئُ بِالسَّيِّئِ ، وَلَكِنْ يُعْحَى السَّيِّئُ
بِالْحَسَنِ ، إِنْ اتَّخِذْتَ لَا يَمْحُو اتَّخِذْتَ » .
وروى البخاري والنسائي مرفوعا : « يَا أَيُّهَا عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ
مِنَ الْحَرَامِ » .

زاد في رواية رزين : « فَهَذَا لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ دَعْوَةٌ » .

وروى الترمذي وغيره مرفوعا : « إِنْ رَسُلَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ
أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ النَّارَ ، فَقَالَ : الْقَمُّ وَالْفَرَجُ » .
وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِنْ اللَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمًا نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ » .

والسحت : هو الحرام ، وقيل هو الخبيث من المكاسب ؛

وروى أبو يعلى والبخاري والطبراني مرفوعا :

« لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَسَدٌ غُدِّيَ رِزَامٌ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نقر أحدا من المسلمين على جباية الظلم ولو علمنا أن ذلك الظلم قد استحکم في بلدنا ، ثم إذا عجزنا فيجب علينا أن نوصيه كل الوصية على المسلمين ونأمره بأن لا يأخذ شيئا من المكس لنفسه فإن هذه الأموال قد تفررت وعجزت الأولياء عن رفعها ، ويحتاج من يقف في هذه الجهات إلى موازين دقيقة وسياسة تامة مع صاحب الجهة الأصلي فربما غمز عليه أحدا إذا تغافل عن أحد ولم يأخذ منهم شيئا فيحصل له الأذى .

وروى أبو داود وابن خزيمة في صحيحه والحاكم مرفوعا :

« لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ » .

يعنى العشار الذى يأخذ من التجار إذا مروا عليه مكسا باسم العشر قاله البغوى ، أما الآن فإنهم يأخذون مكوسا أخر غير العشر لها اسم ، يعنى بل يأخذونه حراما سحتا يأكلونه فى بطونهم نارا وحقهم فيه داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد .
قاله الحافظ المنذرى .

وروى الإمام أحمد وغيره « ويل للعرفاء ، ويل للأمناء » ،

وروى أبو يعلى مرفوعا بإسناد حسن .

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَالَ طُوبَى لَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَرِيفًا » .

وروى أبو داود : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ عَلَى مَنْكِبِي الْمُقَدَّادِ ابْنَ مَعْدِيكَرَبَ ، وَقَالَ : أَفَلَحْتَ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَمِيرًا وَلَا كَاتِبًا وَلَا عَرِيفًا » .
وفى رواية لأبى داود : « قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَبِي شَيْخٍ كَبِيرٍ وَهُوَ يَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي الْعُرَافَةَ بَعْدَهُ ، فَقَالَ : إِنْ الْعُرَافَةَ حَقٌّ وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ عَرِيفٍ وَلَكِنَّ الْعُرَافَةَ فِي النَّارِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نغش أحدا من خلق الله تعالى سوام استرشدنا فى ذلك الأمر أم لا ؟ وهذا العهد لا يتم للعبد العمل به إلا إن سلك على يد شيخ صادق حتى صار لا يغش نفسه فى شىء من عباداته ولا معاملاته ، فإن من غش نفسه غش غيره من باب أولى ، ومن نصح نفسه نصح غيره :
فيجب على العبد أن يسلك على يد شيخ حتى يكشف الله تعالى له عن جميع دسائس النفوس وعللها فى سائر الأعمال ، وإلا فن لازمه غالبا الغش لنفسه ولغيره :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وقد روى مسلم مرفوعا : « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

وروى الطبرانى مرفوعا وقال رواه ثقات :

« مَنْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ » والأحاديث في مثل ذلك كثيرة .
وكان سفيان الثوري يقول : الأدب تبقية أحاديث التنفير على ظاهرها من غير تأويل
تبعاً لغرض الشارع :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتكرر طعاماً
للمسلمين خوفاً من وقوعنا في محبة غلاء للسعر ولو في سرائرنا ، وهذا الأمر قلّ من
يتخلص منه ، بل وقع لي أنني كنت أخرج إلى مصلى الجنائز في الفصل فأصلي عليها فابطأت
الجنائز وقتاً فصارت النفس تنتظر مجيء الأموات وتتألم إذا قلت الجنائز ، فنظرت فإذا
في ذلك محبة موت المسلمين حتى أصلى عليهم ، ويحصل لي الأجر ، فانصرفت من ذلك
الوقت وتركت ذلك الانتظار في المصلى وصرت أصلي من غير انتظار .
فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به طريق القوم حتى يصير العبد
يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، ومالم يصل إلى هذا المقام فن لازمه محبة الخير لنفسه
ولو أدى ذلك إلى ضرر غيره .

فاسلك يا أخى على يد شيخ إن أردت العمل بهذا العهد ، والله يتولى هداك .
وروى مسلم وأبو داود والترمذي وصححه :
« لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِي » .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى والبزار والجاكم وغيرهم مرفوعاً :
« مَنْ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِيَ مِنَ اللَّهِ وَبَرِيَ اللَّهُ مِنْهُ وَأَيْمًا أَهْلِي
عَرَصَةً بَاتَ فِيهِمْ أَمْزُؤًا جَائِعٌ فَقَدْ بَرِنَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ » .
وروى ابن ماجه والحاكم مرفوعاً : « الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مُلْعُونٌ » .
وروي الأصبهاني مرفوعاً : « مَنْ احْتَكَرَ كَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ ضَرَبَهُ اللَّهُ
بِالْجُدَامِ وَالْإِفْلَاسِ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم :
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نأكل من طعام من
يعامل الناس بالربا والحيلة إلا لضرورة شرعية كأن لم نجد شيئاً نسد به الرمق أو ترتب

على ذلك مصلحة دينية ترجح على تركه ، وهذا العهد قد كثر خيانة الناس له حتى لا يكاد يسلم منه تاجر ولا عالم فصاروا يعملون الحيلة في الربا ويكتبون ذلك في محاكم القضاة ويعترف أحدهم ويدعى الآخر بما ليس له بحق ، ثم يصير المرابي يطالب المرابي اسم مفعول ، فإن لم يعطه ما اتفق معه عليه يعترف له بزيادة على ذلك ثم يكتبونها كذلك ، فلا يزالون كذلك حتى تصير المائة دينار أكثر من ألف دينار ثم يحق الله مال الجميع .

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ صادق يسلك به الطريق حتى يدخله حضرات القناعة وحضرة الزهد في الدنيا وتصير نفسه تقنع بالخبز الخاف اليابس من غير إدام ، ويلبس الحصر بدل الثياب ، ومن لم يسلك فن لازمه محبة الدنيا غالبا وعدم صبره عن شهواتها فكلما طلبت نفسه شهوة تحمل الدين لأجلها ورضى بالربا له وعليه . وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول : والله لو أحببت نفسي إلى كل ما تطلب مني لخفت أن أكون شرطيا أو مكاسا هـ .

فاسلك يا أخى كما ذكرنا التخلص من ورطة الربا والوقوع فيه ، والله يتولى هداك :
وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « أُجْتَنِبُوا الشَّبْعَ الْمُوَبَّاتِ ، فذكر منهم :
وَأَكْلُ الرَّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ » الحديث . الموبقات : المهلكات .

وروى الشيخان مرفوعا : « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي وَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحِجْرٍ فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ ، فَجَمَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِيهِ بِحِجْرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فذكر الحديث إلى أن قال : فَقُلْتُ ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّهْرِ ؟ فَقَالَ :
أَكِلُ الرَّبَا » .

وروى مسلم والنسائي وأبو داود وغيرهم مرفوعا :

« نَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْلَ الرَّبَا وَمُوكَلَّهُ » وزاد ابن حبان وغيره : « وَشَاهِدِيهِ وَكَاتِبَهُ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ » .

وفي رواية الإمام أحمد وأبي يعلى وابن خزيمة وابن حبان عن ابن مسعود قال :
« آكَلُ الرِّبَا وَمَوْكَلُهُ وَشَاهِدَاهُ وَكَاتِبَاهُ إِذَا عَلِمُوا بِهِ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .
وروى الحاكم والبيهقي مرفوعاً : « الرِّبَا ثَلَاثٌ وَسَمِعُونَ بِأَبَا أَيْسَرَهَا مِثْلُ أَنْ
يَنْفَكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ » .

وروى الطبراني مرفوعاً عن عبد الله بن سلام :
« الدَّرْهَمُ يُصْبِيهِ الرَّجُلُ مِنَ الرِّبَا أَكْثَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ زَنْبَةً يَزْنِيهَا
فِي الْإِسْلَامِ » وقيل إنه مرفوع .
وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً :
« إِذَا ظَهَرَ الزَّانُ وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلَّوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ » وفي رواية :
« عِقَابَ اللَّهِ » .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما :
« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي وَأَنَا فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ
رَعْدًا وَبَرْقًا وَصَوَاعِقَ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَيَّ أَنْ قَالَ : فَآتَيْتُ عَلَى قَوْمٍ يُطُونُهُمْ
كَالْبُيُوتِ فِيهَا الْحَيَاتُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ ، قُلْتُ : يَا جَبْرَيْلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ :
هُؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا » .

وروى الطبراني والأصبهاني مرفوعاً : « مَنْ أَكَلَ الرِّبَا بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا
يَتَخَبَّطُ ، ثُمَّ قَرَأَ (الَّذِينَ يَا كُفُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) » .

وروى أبو داود وابن ماجه مرفوعاً : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ
أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرِّبَا ، فَمَنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعاً : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَبْيِئَنَّ أَنْاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى
أَشْرٍ وَبَطْرٍ وَلَعِبٍ وَهَوٍ فَيُضْبِحُوا ٧ قَرَدَةً وَخَنَازِيرَ بِاسْتِحْلَالِهِمُ الْمَحَارِمَ وَأَكْلِهِمُ
الرِّبَا » الحديث والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نغصب من أحد شيئا ولو دواة أو قلم أو سواكا أو خللا أو شيئا من سائر الحقوق خوفا من وقوعنا في العقوبة .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ يسلك به إلى حضرات الإيمان بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يصير ماتوعده به كأنه رأى عين على حد سواء ، ويحتاج ذلك إلى جوع شديد ورياضة تامة حتى لا يبقى عنده تجبر ولا استهانة بحق أحد من المخلوقين .

وكان جدى الأدي الشيخ على رحمه الله يوصى الشركاء إذا حرثوا القمح أن يجعلوا بينهم وبين قمح الجار خطا من الفول ، وإذا زرعو الفول أن يجعلوا بينهم وبين الجار خطا من القمح ، يحول بينهم وبين الجار ثم يتركونه للجار ، وكان إذا بنى دارا ترك للجار قدر موضع الجدار داخل مسكه ، ويحصل الحظ الأوفر للجار . وأخذ ولده مرة عود خلخال من شخص بغير طيبة نفسه فهجره شهرا ، وهذا أمر يعز وقوعه من غالب أهل هذا الزمان ، بل رأيت وقوع للغصب من الفقراء الذين يترددون إلى جهة الأمراء ، فأخذوا حجارة الناس فبنوا بها زواياهم وبيوتهم فقلت لأصحاب الحجارة ألا تشكون من أخذ حجارتكم ؟ فقالوا نخاف أن يرمى فينا سها عند الظلمة فيحبسوننا ويضربوننا حتى تموت ، فوالله إن الأمر أعظم مما نظن :

وقد حسكى لى شخص من الفقراء أنه مر على مارس قمح فى سنبله ، فرأى سنبله أعجيبته فأخذها وفركها ، فلما أراد أن يأكلها تذكر الحساب عنها يوم القيامة فرماها فى المارس ، فنام تلك الليلة فرأى القيامة قد قامت وجاء صاحب السنبله فادعى عليه بسنبلته ، فقال يارب خفت من الحساب فى هذا اليوم فرميتها فى مارسه ، فقال صدق يارب ولكن لم يصل إلى تب بن البرج لأنه طار فى الريح ، قال فأعجزنى فى تحصيله ثم استيقظت فزعا مرعوبا هـ .

قلت : ولا أعلم لأحد من خلق الله بحمد الله على حق الآن إلا شخص من تجار الخانقاه أجلسنى فى دكانه وأنا دون الهلوى فأخذت من غلته نحو ثمانية نقرة أكلت بها حلوة ولم أذكره إلى أن مات ، وقد أخذت لأولاده بما قدرت عليه وقرأت القرآن كثيرا ودعوت له وما على قلبى أثقل منه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم :

وروى الشيخان مرفوعا : « مَنْ ظَلَمَ قَدَرَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ طَوْفَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » .

وفي رواية للإمام أحمد مرفوعا : مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ طَوْفَهُ اللَّهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » .

ولفظ مسلم : « لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا طَوْفَهُ اللَّهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

قيل أراد طوق التكليف لا طوق التقليد ، وهو أن يطوق حملها يوم القيامة ، وقيل إنه أراد أن يحسب الله به الأرض فتصير البقعة المغصوبة في عنقه كالطوق قاله البغوي وهذا أصح ، ويؤيده رواية البخاري وغيره :

• « مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ » .

وفي رواية لأحمد والطبراني مرفوعا : « مَنْ أَخَذَ أَرْضًا بِغَيْرِ حَقِّهَا كَلَّفَ أَنْ يَحْمِلَ ثَرَاتَهَا إِلَى الْمَحْشَرِ » .

وفي رواية للإمام أحمد والطبراني مرفوعا باسناد حسن :

« أَظْلَمُ الظُّلْمِ ذِرَاعٌ مِنَ الْأَرْضِ يَنْتَقِصُهَا الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ ، وَلَيْسَ حِصَاةٌ مِنَ الْأَرْضِ يَأْخُذُهَا إِلَّا طَوْفُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى قَعْرِ الْأَرْضِ وَلَا يَعْلَمُ قَعْرَهَا إِلَّا الَّذِي خَلَقَهَا » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا : « لَا يَحْمِلُ الْمُسْلِمُ أَنْ يَأْخُذَ عَصَا أَخِيهِ بِغَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ » .

قال ذلك لشدة ما حرم الله من ماك المسلم ، والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نبنى في هذه الدار بناء فوق الحاججة ولا نزخرف لنا دارا خوفا من حب الإقامة في هذه الدار ونسيان الدار الآخرة كما جرب ذلك فلا يكاد فاعل ذلك يقدر على تحرير نية في ذلك أبدا ، وما

وضع صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنة، حتى إن درجة من درج الغرفة التي ينام فيها تنزلت فلم يأذن لأحد في إصلاحها مع أنها زهقت من تحت رجله فانفكت رجله ومكث سبعا وعشرين يوما لا يقدر على الخروج للناس :

فاتبع يأخى نبيك في ذلك ، ثم إنك لو تبعت الحل في كسبك لما وجدت ثمن الطوب الذي تبني به فضلا عن الحجر والرخام، فوالله ثم والله لقد خسرت من اتخذ هذه الدار وطنا ، وقد رأيت في المنام شيخ الإسلام زكريا وهو يقول لى قل لولد ولدى زكريا : كن في الدنيا بحسبك وفي الآخرة بقلبك ، فإني والله هكذا كنت فاعلم ذلك والله يتولى هداك :

وفي حديث الشيخين في بيان الإسلام والإيمان والإحسان :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ أَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا - يَعْنِي السَّاعَةَ - قَالَ : أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّهَا وَأَنْ تَرَى الْخَفَاءَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَبْتَطَأُونَ فِي الْبُنْيَانِ » .

وفي رواية للشيخين : « وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبُهْمِ يَبْتَطَأُونَ فِي الْبُنْيَانِ فَذَلِكَ مِنْ أَسْرَاطِهَا » يعنى الساعة .

وروى أبو داود وابن ماجه : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقُبَّةٍ عَلَى بَابِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ قَالُوا قُبَّةٌ بَنَاهَا فُلَانٌ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلُّ مَا كَانَ هَكَذَا فَهُوَ وَبَالَ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَبَلَغَ الْأَنْصَارِيُّ ذَلِكَ فَوَضَعَهَا ، فَمَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ فَلَمْ يَرَهَا فَسَأَلَ عَنْهَا ؟ فَأَخْبِرَ أَنَّهُ يَضَعُهَا ، لِمَا بَلَغَهُ عَنْهُ فَقَالَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ يَرْحَمَهُ اللَّهُ » ومعنى وضعها : هدمها .

وفي رواية لأبي داود مرفوعا : « أَمَا إِنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبَالَ عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَا لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْهُ مِمَّا يَسْتُرُهُ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالسَّبَاعِ وَنَحْوِ ذَلِكَ » .

وفي رواية للطبراني بإسناد جيد مرفوعا :

« إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْبُدَ شَرًّا خَضَرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ وَالطَّيْنِ حَتَّى يَبْنِي » وفي رواية له أيضا « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْبُدَ هَوَانًا أَنْفَقَ مَالَهُ فِي الْبُنْيَانِ » .

وفي رواية له أيضا : « مَنْ بَنَى فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ كُفِّرَ أَنْ يَحْمِلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
وروى الدارقطني والحاكم مرفوعا : « وَمَا أَنْفَقَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّ بَخْلَهَا
كَلَى اللَّهِ وَاللَّهُ ضَامِنٌ إِلَّا مَا كَانَ فِي بُنْيَانٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ » .
وروى الترمذي مرفوعا : « يُؤَجَّرُ الرَّجُلُ فِي نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إِلَّا التُّرَابَ ، أَوْ قَالَ
فِي الْبُنْيَانِ » .

وروى أبو داود في المراسيل : « أَنْ حُجِرَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَانَتْ جَرِيدَ نَخْلٍ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ لَهُ وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ
مُوسِرَةً فَجَعَلَتْ مَكَانَ الْجَرِيدِ لَبِنًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هَذَا ؟ قَالَتْ
أَرَدْتُ أَنْ أَكُفِّ عَنِّي أَبْصَارَ النَّاسِ ، فَقَالَ يَا أُمَّ سَلَمَةَ : إِنْ شَرَّ مَا ذَهَبَ فِيهِ مَالُ
الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الْبُنْيَانُ » .

وروى أبو داود وغيره : « أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ مُقَبَّةَ فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنْ يَهْدِمَهَا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا أَتَيْتَ بِنْتِي آ ؟ فَقَالَ لَا : أَهْدِمَهَا » .
وروى الترمذي مرفوعا : « النَّفَقَةُ كُلُّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا الْبِنَاءَ فَلَا خَيْرَ فِيهِ » .
وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن قال :
« لَمَّا بَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ قَالَ : أَبْنُوهُ عَرِيشًا كَعَرِيشِ
مُوسَى » .

قيل للحسن وما عريش موسى ؟ قال إذا رفع يده بلغ العريش يعني السقف ؛
وفي رواية لابن أبي الدنيا عن عامر بن عمار موقوفا :

« إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ بِنَاءً فَوْقَ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ نُودِيَ يَا أَفْسَقَ الْفَاسِقِينَ إِلَى أَيْنَ ؟ »
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نفر من مواضع
غضب الله عز وجل التي جعل نفسه خصما لنا فيها كعدم إعطاء الأجير أجرته أو عدم
إعطاء للذي ظلم ظلامته ونحو ذلك مما ورد ، فمن استهان بذلك استحق إدخاله النار ولو

كان من المشهورين بالصلاح ، فالؤمن من فر من مواطن الغضب والسلام ؛
وقد كان سيدى أحمد الزاهد يعطى الفقلاء والبنائين أجرتهم من صلاة العصر خوفا
من تأخير إعطائهم عن الفراغ والعمل ؛

وروى البخارى وابن ماجه وغيرهما مرفوعا :

« قَالَ اللهُ تَعَالَى : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصَمُهُ فَصَمْتُهُ :
رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي مُمْ غَدَرٌ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا وَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا
فَاسْتَوَفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نخوف العبد إذا أبق من
سيده ونعلمه بما ورد في الإباق ثم لانرجو منه خيرا قط بالإحسان إليه ، فإنه لو كان فيه
خير كان لسيدته الذى أعطى ثمنه وأطعمه وكساه زمانا طويلا ، فينبغى للمتدين أن لا يقرب
الآبق ولا يحسن إليه لأن فى ذلك إعانة له على استحلاء الإباق ، حتى لا يكاد يدوق إله
مرارة ولا يتذكر سيده ، ومن هنا الباب أيضا العاق لوالديه ، فلا ينبغى لأحد الإحسان
إليه إثارا لجانب الحق تعالى فإنه غضبان عليه كما هو غضبان على العبد الآبق ه
(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وقد روى مسلم مرفوعا : « أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرَّتَ مِنْهُ الذِّمَّةُ » .

وفى رواية لمسلم : « ٧ لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ : وَالْعَبْدُ الْآبِقُ حَتَّى
يَرْجِعَ فَيَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ مَوْلَاهُ » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « أَيُّمَا عَبْدٍ مَاتَ فِي إِبَاقَتِهِ دَخَلَ النَّارَ ، وَإِنْ قُتِلَ فِي
سَبِيلِ اللهِ » والله تعالى أعلم .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا أعتقنا عبدا أو أمة أن
لا نستخدمه إلا برضاه ونعطيه ورقة عتقه ونشيع ذلك بين الناس ، وهذا العهد يخل به
كثير من الأكابر ، فيعتقون عبيدهم فى الشدائد والفتن ثم يخفون ورقة عتقهم
ويستخدمونهم كرها ، وذلك عصيان للشارع صلى الله عليه وسلم ه

روى أبو داود وابن ماجه مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ صَلَاةٌ فَذَكَرَ مِنْهُمْ
وَرَجُلٌ اعْتَبَدَ مُحَرَّرُهُ » .

واعتماد المحرر يكون من وجهين: أحدهما يعتقه ثم يكتم عتقه أو ينكره ، وهذا أشد
الأميرين . والثاني أن يعتقله بعد العتق فيستخدمه كرها .

وروى ابن ماجه : « ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصَمَهُ قَصَمْتُهُ ،
فَذَكَرَ مِنْهُمْ : وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا وَأَكَلَ مَمْنَهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لأنكثرت الحلفت بالله عز
وجل على بيع أو شراء أو حكاية شيء من الوقائع المعجبة منها ونحو ذلك لإجلال الله
تعالى ، وإن سبق لساننا إلى الحلفت بالله تعالى في شيء من الأمور المذكورة هادرنا إلى
التوبة والاستغفار ، وهذا الأمر قد أغفله غالب الناس فأذلم الله ، فإن من أجل الله أجله ،
ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به الطريق حتى يوقفه على حضرات
العظمة الإلهية ويقم به فيها السنة والسنتين حتى يخالط أهلها ، ويكتسب منهم الإجلال
والتعظيم لله عز وجل فإنه ورد : اطلبوا الرفيق قبل الطريق . وأوجهوا على التائب التباعده
إخوان السوء والقرب من إخوان الخير ، وقالوا إن ذلك أعون له . فالعاقل من أتى
البيوت من أبوابها ، وكتم من أخلاق نبوية وصحابية وتابعة صارت بين ظهر الناس ينظرونها
ولا يضح لأحد العمل بها ، لفقد إمام يمشى بهم في الطريق ، ولنفقد من يطلب الطريق ،
وبذلك اندرست بعض معالم الشريعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

روى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِنَّمَا الْخَلْفُ حِنْتُ أَوْ نَدَمٌ » .

وروى الإمام أحمد وغيره . « إِنَّ التَّجَارَ مُمُّ الْفِجَارِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ
قَدْ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ؟ قَالَ بَلَى : وَلَكِنَّهُمْ يَخْلِفُونَ فَيُؤْتَمِنُونَ وَيُحَدِّثُونَ
فَيَكْذِبُونَ » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذي مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ،

وذكر منهم : وَالْمُنْفِقُ سَلَمَتَهُ بِالْخَلْفِ الْكَاذِبِ » .

وروى النسائي وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« أَرْبَعَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ ، فَذَكَرَ مِنْهُمُ الْبَيْعَ الْخِلَافَ » .

وفي رواية : « التَّاجِرَ الْخِلَافَ » .

وروى الطبراني : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى الشُّجَارِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَيَقُولُ يَا مَعْشَرَ الشُّجَارِ إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ » .

• وروى البخاري وغيره مرفوعا : « الْخَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ مَحَقَّةٌ لِلْكَسْبِ » .

وفي رواية لأبي داود : « مَحَقَّةٌ لِلْبِرِّكَةِ » .

وفي رواية لمسلم والنسائي وابن ماجه مرفوعا :

« إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْخَلْفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يَنْفَقُ ثُمَّ يَمْحَقُ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نعمل على طريقين اليقين بحيث لا يبقى عندنا اهتمام ولا حرص على شيء من الدنيا .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به وإلا فلا يشم من رائحة اليقين رائحة ، بل يحرص على الدنيا حتى يموت :

وروى الطبراني وغيره مرفوعا : « أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ : جُحُودُ الْعَيْنِ وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ وَطُولُ الْأَمَلِ وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا » .

وروى الطبراني : « لَا تُرْضِينَ أَحَدًا بِسُخْطِ اللَّهِ وَلَا تَحْمَدَنَّ أَحَدًا عَلَى فَضْلِ اللَّهِ وَلَا تَذْمُنَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ فَإِنَّ رِزْقَهُ لَا يُسْعِيهِ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْكَ كَرَاهِيَةُ كَارِهِ » .

وروى الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أَرْسِلَا فِي غَمٍّ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ » .

وسياتي في عهد الزهد إن شاء الله تعالى زيادة على ذلك ، والله أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانحون شريكنا ولا من استأمننا على شيء لا بالفعل ولا بالنية ، فإن ذلك خسارة في الدنيا والآخرة ،

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من خيانة الشريك أن يعزم على أن يميز نفسه على شريكه بشيء ولو لم يفعل ، فإن البركة ترفع بمجرد هذه النية ولو لم يتخصص بشيء ، ثم يصير الشريك يحلف بالله وبالطلاق أنه مأخذ من ذلك شيئا ولا واكس عليه فيتجبر الناس في ذلك ، والحال أن البركة ارتفعت بمجرد النية المذكورة لكونها خيانة ، وهذا العهد لا يقدر على العمل به إلا أكابر الأولياء الذين تخلقوا بالرحمة على العالم حتى صاروا أشفق على المسلمين من أنفسهم بحكم الإرث في المقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

فعلم أن كل من لا يعلم من نفسه القدرة على عدم وقوعها في الخواطر المذكورة فليتاجر لنفسه ولا يشارك أحدا ، فإن في ذلك ضررا عليه وعلى شريكه بارتفاع البركة شاء أم أبي :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

روى أبو داود والحاكم وغيرهما مرفوعا :

« يَقُولُ اللَّهُ أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، فَإِذَا خَانَ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا » .

زاد في رواية رزين : « وَجَاءَ الشَّيْطَانُ » .

وفي رواية للدارقطني : « يَدُ اللَّهِ عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، فَإِذَا خَانَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ رَفَعَهَا عَنْهُمَا » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانفريق بين والدة وولدها) حتى من البهائم والطيور ، وسواء كان التفريق بالبيع أو غيره رحمة بخلق الله ، فإن الوالدة والولد يتألم كل منهما بالفراق :

« وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ لَأَيْرُحَمٍ » .

وما رأيت عيني أكثر عملا بهذا العهد من أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى : كان إذا وقع عصفور صغير من عش أمه من سقف مسجد أو غيره ، يأتي بسلم من خشب ويصعد به إلى عش أمه ، ورأيت به يبذل في ذلك نصف فضة لمن يطلع بالعصفور لأمه .

وقد بلغني عن سيدي ياقوت العرشي رضي الله عنه أن حماسة جاءته في إسكندرية

فجلست على كتفه وساررتة، فقال: بسم الله، فقالت: هذا الوقت فطلب دابة وخرج مسافرا معها إلى مصر، حتى بلغ جامع عمرو وهي معه، فعرشت نحو المنارة الغربية، فأرسل الشيخ وراء المؤذن وقال له إن هذه الحمامة جاءت بي إليك من إسكندرية سيقا على أنك لا تعود تذببح أولادها، فقال له المؤذن صدقت ياسيدي فيما قالت: فاني ذبحت أولادها ثلاث مرات، وخافت أني أذبجهم رابع مرة فسافرت إليك، وأشهدك ياسيدي أني تائب إلى الله عز وجل عن مثل ذلك.

فانظر يا أخي أولياء الله كيف تعرف الطيور ما عندهم من الرحمة، وكيف علم الله سيدي ياقوت منطق الطير ورائة سليمانية، فعليك يا أخي بالرحمة لكل حيوان، والله يتولى هداك.

وروى الترمذى والحاكم والدارقطنى مرفوعا:

« مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَفَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى ابن ماجه والدارقطنى عن أبي موسى قال:

« لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا ، وَبَيْنَ

الْأَخِ وَأَخِيهِ » .

وروى الطبرانى مرفوعا نحو ذلك،

وسياتى في عهد الرحمة بالبهائم:

« أَنْ حَامَمَةً عَرَّشَتْ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ فَجَعَ هَذِهِ فِي وَلَدِهَا ؟ فَقَالَ شَخْصٌ أَنَا ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَضَّرَهُ فَطَارَ مَعَ أُمِّهِ » الحديث بمعناه .

وقد اختلفت في وقت تحريم التفريق، فقال بعضهم يحرم التفريق بين الأم وولدها

حتى يميز، وقال بعضهم حتى يبلغ، ويقاس على ذلك بلوغ الحيوان من البهائم والطيور وغيرها وتمييزه، وأهل الكشف يعرفون ذلك وربما عرف ذلك الصيادون للطيور

والكلابون مثلا:

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانستدين شيئا من أعز أصحابنا إلا لضرورة شرعية فلا نستدين شيئا لشهوة مأكل أو ملبس أو حج نفل مثلا أو توسع في نفقة على العيال أو ضيوف أو بناء دار أو زراعة بستان ونحو ذلك مما لضرورة إليه ، وهذا العهد يتعين العمل به على من اشتهر بكرم في هذا الزمان ، ويجب عليه سد بابيه والإحصار عن قريب في الحبس ، ثم يجيء الذين كانوا يجتمعون على سباطه يأكلون فيشهدون بتفليسهم ويتفرقون عنه كأنهم لم يعرفوه قط .

ثم إن العامل بهذا العهد لا بد له من شيخ يسلكه حتى يخرج منه عن حكم الطبع عليه بحيث يراعى أوامر ربه في الإنفاق دون الخلق ، حتى لو جاء له أمير أخرج له كسرة وبصلة ولا يستحى من ذلك ، ومن لم يسلك كما ذكرنا فن لا زمة الدين وإطعام الناس رياء وسمعة ، ولو لا شدة الدين في الدنيا والآخرة ما شدد الشارع فيه .

وروى النسائي والحاكم : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالذِّينِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْدِلُ الْكُفْرَ بِالذِّينِ ؟ قَالَ نَعَمْ ! » .

وروى الحاكم مرفوعا : « الدِّينُ رَايَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُذِلَّ عَبْدًا وَضَعَهُ فِي عُنُقِهِ » .

وروى البيهقي : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَى رَجُلًا فَقَالَ لَهُ : أَقِلِّلْ مِنَ الدِّينِ تَعِشْ حُرًّا » .

وروى الإمام أحمد والحاكم مرفوعا : « لَا تُخَيِّفُوا أَنْفُسَكُمْ بَعْدَ آمَنِيهَا قَالُوا وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ الدِّينُ » .

وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيٌّ مِنْ ثَلَاثٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، الْغُلُولِ وَالذِّينِ وَالْكَبِيرِ » .

وفي رواية : « وَالْكَتْبِ » بالنون والزاي ، وهي أصح .

وروى البخارى وابن ماجه وغيرهما مرفوعا :

« مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ إِنْثَافَهَا أَتَفَّهُهُ اللَّهُ » .

وروى الطبرانى وغيره مرفوعا : « مَنْ آذَانَ دِينًا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَهُ آذَاهُ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ اسْتَدَانَ دِينًا وَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَهُ حَتَّى يَمُوتَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ظَنَنْتُ أَنْي لَا أَخْذُ لِعَبْدِي حَقَّهُ ، فَيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَيُجْعَلُ فِي حَسَنَاتِ الْآخِرِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْآخِرِ فَيُجْعَلُ عَلَيْهِ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نمطل أحدا له علينا دين بل نبيع له جميع ثيابنا وأمتعتنا ماعدا ستر العورة ومالابد منه من آلات الطهارة ، لأن السلامة مقدمة على الغنيمة ، وهذا العهد يخل به خلق كثير لاستهانتهم بالدين وكثرة حبههم للدنيا :

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلكه حتى يقطع به الحجب ويوقفه على حضرات الحساب يوم القيامة حتى تشاهدها بصيرته ، وإلا فإن لازمه المطل وعدم سماح نفسه ببيع شيء من أمتعته التي لا ضرورة إليها :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ ، وَإِذَا أَتْبِعَ أَخَذُكُمْ كَمَا كَلَى مِلِّي فَلَيتَّبِعْ » .

قوله : أتبع بضم الهمزة وسكون المثناة : أى أحيل .

قال الخطابي : وأهل الحديث يقرءونه اتبع بتشديد المثناة وهو خطأ .

وروى ابن ماجه والحاكم وغيرهما مرفوعا :

« لِيُؤَاخِذَ يَحِلُّ عِرْضُهُ وَعُقُوبَتُهُ » .

أى مطل الواجد الذى هو قادر على وفاء دينه يحل عرضه أى يبيح للناس أن يذكروه بسوء المعاملة ليحذره الناس ، وأما عقوبته فهى حبسه .

وروى الطبرانى وغيره مرفوعا : « إِنْ اللَّهَ لَا يَحِبُّ النَّعْيَ الظُّلْمَ » .
وفى رواية للطبرانى وغيره « مِنْ انْصَرَفَ غَيْرِهِمْ وَهُوَ سَاخِطٌ كُتِبَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَشَهْرٍ وَجُمُعَةٍ ظُلْمٌ » .

وروى ابن ماجه وغيره : « أَنْ أُعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ لَا أَخْرُجُ عَنْكَ إِلَّا إِنْ قَضَيْتَنِي . فَأَنْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا وَيْحَكَ تَدْرِي مَنْ تُسَكِّمُ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَطْلُبُ حَقِّي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلَا مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ ؟ » الحديث ، والله أعلم .
(أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانطلق بصرنا إلى شيء من زينة الدنيا سواء الصور الجميلة والثياب الفاخرة فى الأسواق والبيوت فان خلاصه من ذلك عسير ، وفى الحديث :

« كَانَتْ خَطِيئَةُ أَخِي دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّظْرُ » .

أى سبب النظر ، وذلك أنه رفع رأسه بغير نية تصالح نية تقدمت ، إذ الأكابر مكلفون بأن لا يقع منهم حركة ولا سكون إلا بعد تحرير نية صالحة ، وإذ انظر أحدهم إلى شيء مثلا مع غفلة أو سهو عوقب على ذلك وسمى ذلك خطيئة له ، إذ الأنبياء معصومون من كل ذنب ، وللحق تعالى أن يؤاخذهم على كل حركة وقعت على غير حضور مع الحق وشهود له :

ومن هنا كان الفقراء يؤاخذون المرید على كل حركة فعلها مع غفلة أو سهو ، فأرادوا له أن يمشى على مدرجة الأنبياء وهجره على ذلك طلبا لترقيه فافهم ، وإياك أن تظن أن داود عليه السلام نظر إلى امرأة أجنبية ولو فجأة ، فان ذلك لم يقع منه لعصمته ، وهذا جواب فتح الله به لم أره لأحد قبلى ، وهو فى غاية الوضوح :

ومن الأولياء من ينظر إلى جميع ما خلق من التراب بعين التراب فيراهم فى جميع تطوراتهم ترايا من ملك وأمير وصالح وطالح وقاض وفلاح وغير ذلك ، لا يراه إلا ترايا يتكلم وينهى ويقبل ويولى ويعزل وهو تراب ، وهذا من عجائب مشاهد الأولياء ، وهو

مشهدنا بحمدنا الله في سائر أطوار الخلق على اختلاف مراتبهم، وما زاد على التراب فلانما هو خلع يخلعها الحق تعالى على عباده عارية مردودة ، وهنا أسرار يذوقها أهل الله تعالى لا تسطر في كتاب .

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ عارف ليسد مجارى الشيطان من البدن حتى يسد عن العبد جميع مجاربه من بدنه ، وهناك لا يبقى على القلب الذى هو أمير البدن داعية إلى النظر إلى شيء من الدنيا إلا إن أمره الشارع بالنظر إليه ، وهناك يصبح للعبد العمل بهذا العهد وإلا فلا يشتم من العمل به راحة ، وقد اختصرت لك الطريق :

وقد روى الترمذى وأحمد وأبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه :

« يَا عَلِيُّ إِنَّ لَكَ كَنْزًا فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا فَلَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَىٰ وَلَيْسَ لَكَ الْآخَرَىٰ » .

وقوله «ذو قرنهما» أى ذو قرنى هذه الأمة، وذلك لأنه كان له شجنتان فى قرنى رأسه إحداهما من ابن ملجم لعنه الله والآخرى من عمرو بن ودّ ، وقيل غير ذلك .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « كَتَبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّانَا مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ، أَلْعَيْنَانِ زَانَاهُمَا النَّظْرُ ، وَالْأُذُنَانِ زَانَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ ، وَاللِّسَانُ زَانَاهُ الْكَلَامُ ، وَالْيَدُ زَانَاهَا الْبَطْشُ ، وَالرَّجْلُ زَانَاهَا الْخَطَا ، وَالْقَلْبُ يَهْوَىٰ وَيَتَمَتَّىٰ وَيُضِدُّكَ ذَلِكَ الْفَرَجُ أَوْ يُكْذِبُهُ » .

زاد فى رواية لمسلم وغيره : « وَالْقَمُّ يَزْنِي وَزِنَاهُ الْقَبْلُ » .

وروى مسلم وغيره عن جرير قال :

« سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظْرِ النَّجْاةِ فَقَالَ : أُصْرِفُ بَصْرَكَ » .

وروى البيهقى وغيره : « الْأَيْمُ حَوَارُ الْقُلُوبِ ، وَمَا مِنْ نَظْرَةٍ إِلَّا وَالشَّيْطَانَ

فِيهَا مَطْمَعٌ » .

ومعنى حوار بفتح الحاء وتشديد الواو : أى غالب على القلب حتى يركب صاحبه

ما لا يلبق :

وروى الطبراني مرفوعا: « لَتَفُضَّنَّ أَبْصَارَكُمْ وَلَتَحْفَظُنَّ فُرُوجَكُمْ أَوْ لَيَسْكُنَنَّ اللَّهُ وُجُوهَكُمْ ». »

وروى ابن ماجه الحاكم مرفوعا: « مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ : وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ ». »

وروى ابن ماجه: « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى الرَّجُلَ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى ثِيَابِ الْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتخلى قط بأجنبية يخاف منها الفتنة ، ولو كنا من أصلح الصالحين ، وهذا العهد يخل به كثير من الفقراء الساذجين لا سيما طائفة الفقراء الأحمدية والبرهامية والقادرية ، فيأخذون للعهد على المرأة بأداب طريقهم ، ثم يصيرون يدخلون عليها في غيبة زوجها ، وهذا من المنكر الصريح ، ومن قال من الفقراء نحن بحمد الله محفوظون من مثل ذلك ، فنقول له لا يخلو حالك من أمرين: إما أن يكون قلبك ساذجا لا حذر عندك من الوقوع في محذور ، أو حاذقا تدرك الأمور ، فإن كنت ساذجا عمل عليك إبليس الحيلة كما عمل على أبيك آدم حين حلفت له إنه لمن للتاصحين ، وإن كنت حاذقا تدرك الشينة فأنت من حزب إبليس ، فوقعك في للفواحش من أقرب ما يكون ، فتحريم الشريعة عام في حق جميع الناس ، ومن ادعى شيئا يخرج عن ذلك العموم كذبناه فإن الله سبحانه وتعالى لا يحرم شيئا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ويسر إلى أحد من أتباعه شيئا يخالف شرع نبيه صلى الله عليه وسلم أبدا ، فاعلم ذلك واحذر مما حذرك الله تعالى منه :

وقد رأى الشيخ أبو بكر الحلبى نفعنا الله ببركاته الشيخ محمدا العدل وهو يضع يده على بطن امرأة يرقها من مرض كان بها ، فصاح بأعلى صوته واديناه ومحمداه تضع يدك على بطن أجنبية؟ هل أنت معصوم؟ هذا مع كونها كان من أولياء الله تعالى ، فيالك والخلوة بأجنبية ، ثم إياك وإن دخلت عليك على غفلة فازجرها حتى تأتي بامرأة معها أو محرم :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا: « إِيَّاكُمْ وَالشُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ». »

وروى الديلمى مرفوعا: « لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَا لِيَهُمَا الشَّيْطَانُ ». »

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « لَا يَخْلُونَ أَحَدُكُمْ بِأَمْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي حَرَمٍ » ..

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَخْلُونَ بِأَمْرَأَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا حَرَمٌ » .

وروى الطبراني والبيهقي بإسناد جيد مرفوعا :
« لِأَنَّ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْطَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ » .

والمخيط: ما يخاط به كالإبرة والمسلة ونحوهما :

وروى الطبراني : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّا كُنَّا وَاتَّخَلَوْنَا بِالنِّسَاءِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَلَا رَجُلٌ بِأَمْرَأَةٍ إِلَّا دَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا وَلَئِنْ يُزَاحِمَ الرَّجُلُ خَيْرِيًّا مُتَطَلِّحًا بَطِينًا أَوْ حَمَاتَةً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُزَاحِمَ مَنْكِبِيهِ مَنْكِبَ امْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ » .

والحمأة : هو اللطين الأسود المنزن ، والله تعالى أعلم :

فانظر يأخى في هذه الأحاديث وإطلاقه فيها لفظ المرأة والنساء فإنه يشمل من يخاف منها الفتنة ومن لا يخاف والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتعاطى أسباب ارتكاب حلاتنا الذنوب ، كأن نقلل عنها النكاح حتى يطمح بصرها إلى غيرنا ، أو نقهر عليها النفقة مع قدرتنا على توسعتها ، أو نتسرى عليها أو نتزوج عليها ونحو ذلك لغير غرض شرعى أو بغير سياسة ترضيها ونحو ذلك ، فإن غاية النكاح أن يكون واجبا أو مستحبا ، وإذا تعارض عندنا واجب ومحرم قدمنا ترك المحرم عملا بقاعدة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وهذا العهد يقع في خيانتته كثير من الناس ، فيتزوج أحدهم على زوجته من غير حاجة ضرورية ، أو يتسرى عليها ويخالفها في أهويتها المباحة حتى تتعاطى أسباب مخالفة أهويته كذلك ، فيسخط عليها ويقول لها حرام عليك أن تسخطى زوجك وينسى ما فعله هو معها .

ويحتاج العامل بهذا العهد إلى نور قلب وكثرة سياسة ، فإن صورة أخلاق المرأة صورة نفس الرجل لأنها مخلوقة منه ، فعوجها من عوجه واستقامتها من استقامته .
وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول : إنى لأقع في مخالفة فأعرف أثر ذلك في خلق حمارى وزوجتى وخادمى ، وكأن الحق تعالى يقول لعياك العهد وأصحابه أطيعوا عبدي ما أطاعنى واعصوه ما عصانى ، وهذه قاعدة أكثرية لا كلية ، فربما كان الوالى مستقيما مع الله تعالى فيبليه الله تعالى بمخالفة زوجته وغيرها اختبارا له لينظر تعالى صبره وغير ذلك :

فعلم أنه لا ينبغي للرجل المبادرة إلى إلحاق الإثم بالزوجة بسخطه عليها إلا إن سار معها مسيرة حسنة وفتش أخلاقه معها كلها .
وقد كان سيدى عبد العزيز الديرينى يقول : إياك أن تزوج على امرأتك أو تتسرى عليها إلا إن وطنت نفسك على نكد الدهر ، ولما أوقعه الله تعالى فيما كان يحذر الناس منه وتزوج على امرأته أنشد يقول :

تَزَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ لِنَرَطٍ جَهْلِي	وَقَدْ حَازَ الْبَلَاءَ زَوْجُ اثْنَتَيْنِ
فَقُلْتُ أَعِشْ بَيْنَهُمَا خَرُوفًا	أُنْعَمُ بَيْنَ أَكْرَمِ مَعَجَبَتَيْنِ
فَجَاءَ الْحَالُ عَكْسَ الْحَالِ دَوْمًا	عَذَابًا دَائِمًا بِبَيْتَيْنِ
رِضًا هَذَا يُهَيِّجُ سُخْطَ هَذَا	فَمَا أَحَلُّوْا مِنْ أَحَدَى السَّخَطَتَيْنِ
هَذَا لَيْلَةٌ وَلِلَّتْكَ أُخْرَى	تَقَارُ دَائِمًا فِي اللَّيْلَتَيْنِ
إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا	مِنْ الْخَلِيْرَاتِ تَمْلُؤُ الْيَدَيْنِ
فَعِشْ عَزْبًا وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْهُ	فَوَاحِدَةً تَكْفِي عَسْكَرَيْنِ

والله تعالى أعلم :

ولنذكر ما ورد في إسقاط المرأة زوجها ومخالفته بغير حق أو بحق :

زوى الشيخان مرفوعا في حديث طويل :

« وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً يَتَوَى أَنْ لَا بُعْطِيهَا مِنْ

صَدَاقِهَا شَيْئًا فَمَاتَ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ زَانٍ » .

وفي رواية أخرى : « أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَلَى مَا قَلَّ مِنَ الْمَهْرِ أَوْ كَثُرَ لَيْسَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا حَقَّهَا خَدَعَهَا فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهَا حَقَّهَا لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ زَانٍ » والأحاديث في ذلك كثيرة .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » .

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ لَا تَرْفَعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ شَيْئًا ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ : وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوَّجَهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا وَزَوَّجَهَا كَارِهِ لَعْنَتُهَا كُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَرَّتْ عَلَيْهِ عَيْدِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ حَتَّى تَرْتَجِعَ »
والله أعلم .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نرجع لإحدى زوجاتنا على الأخرى في نوم أو نفقة أو بشاشة أو نحو ذلك ، فإن الشارع صلى الله عليه وسلم ماسأحننا إلا في ميل القلب فقط ، وأما ما زاد على ذلك فلم يسأحننا فيه إلا في غيبة المرجوحة : فلنا أن نزيد في البشاشة لكل من اختلينا معها على الأخرى مداواة لها ، وما نهينا إلا عن ترجيحها بخصرة ضررتها لا غير .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سياسة عظيمة حتى لا تلحق إحدى الضررتين بترجيحه لضررتها إساءة :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الترمذي والحاكم مرفوعا : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقَقُهُ سَاقِطٌ » .

ولفظ أبو داود مرفوعا : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقَقُهُ مَائِلٌ » .

ولفظ رواية النسائي : « مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ لَهُ مِثْلُ مَا لِحَدَاثَهُمَا عَلَى الْآخِرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدُ شَقِيهِمَا مَائِلٌ » .

وروى أبو داود والترمذى والنسائي وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن عائشة قالت :
« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ قَيْعِدِلُ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلْمِزْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ » يعنى القلب ، والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نشتغل بشيء من العبادات ونترك الكسب بحيث نضيع عيالتنا وأنفسنا ، ونحتاج كلنا إلى سؤال الناس ، وهذا العهد يقع فى خيانتة كثير من المتعبدين وطلبة العلم .

فيحتاج من يريد العمل به إلى سلوك الطريق على يد شيخ يعلمه مراتب العبادات ، وما هو الأولى منها ليقدمه على غير الأولى ، لأن عمر الإنسان أعز من الدنيا وما فيها وهو قصير ، فوجب أن يبدأ العبد بالأهم فالأهم ، ليكون الأعز فالأعز ، ولولا أن من شأن العبد الملل لما كان له أن يشتغل بغير الأعز فيه أبدا ، فلما ركبته الله تعالى على الملل جعل له رتبة أخرى مفضولة لينتقل إليها إذا مل ، فإذا مل منها كذلك ينتقل إلى المباح وهذا كله من رحمة الله بعباده :

وقد قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة ، مع أن الثلث الأخير من الليل كان يصرفه فى التهجد دائما ، فلولا أن العبد يمل من الاشتغال بالعلم لكان جعل للثلث الأخير كذلك للعلم .

وحاصل الأمر أن تقديم الكسب واجب مقدم على الاشتغال بالعلم وغيره بأى طريق كان الكسب حتى بالسؤال للناس بشرطه ، فإذا حصل الإنسان قوته اجتمع فكره :

وقد كان الإمام الشافعى رحمه الله يقول : لا تشاور من ايسر فى بيته دقيق أى لأنه مشتت البال ، فعلم أن حياة الأبدان مقدمة على حياة الأرواح ، والقوت بالعلم لأن حياة الروح فرع عن حياة الجسم ، من حيث أنه محل لظهور أفعال التكليف ، وإقامة شعائر الدين ، وهذا اللوم فى حق من يضيع من يعول مع اشتغاله بخير آخر فكيف بمن يضيعهم لاشتغاله باللهو واللعب ونحو ذلك :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى أبو داود والنسائي مرفوعا : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ » .
وفي رواية للنسائي « مَنْ يَعُولُ » .

وروى ابن حبان في صحيحه : « إِنْ أَلَّهِ تَعَالَى سَأَلَ سَكْرًا رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَهُ
أُمَّ ضَيْعَهُ حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » والله أعلم .

(أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نسمى أولادنا
وخدامنا بالأسماء التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر أن الله تعالى
يكرهها ، وإن وقع أننا سمينا أحدا بها غيرناها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهذا العهد يخل بالعمل به أكثر الناس ومانهى الشارع عنه إلا لإثم يترتب عليه ، فن أدبنا
معه صلى الله عليه وسلم أن نجتنب ما نهانا عنه سواء اطلعنا على علته أم لم نطلع إذ هو
معصوم من أن يغش أمته :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وقد روى أبو داود والنسائي : « أَقْبَحُ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ حَرْبُ وَرْمَةٌ » .

وروى مسلم وغيره عن جندب رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَا تُسَمِّ غُلَامَكَ بِسَارٍ أَوْ لَارٍ بَاحًا وَلَا بَاجِيحًا وَلَا أَفْلَحَ فَإِنَّكَ تَقُولُ أُمُّهُ هُوَ ؟ فَيُقَالُ لَا » .
وروى ابن ماجه عن جندب أيضا قال :

« هَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُسَمِّي رَقِيقَنَا بِأَبْعَدِ الْأَسْمَاءِ أَفْلَحَ وَنَافِعٍ
وَرَبَاحٍ وَيَسَارٍ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « إِنْ أَخْنَعَ اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى رَجُلًا يَتَسَمَّى
مَلِكَ الْأَمْلَاقِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ » .

قال سفيان مثل شاه شاه ، قال أحمد بن حنبل : سألت أبا عمرو عن أخنع ؟ فقال أوضع وأذل :
وفي رواية لمسلم : « أَعْيَظُ رَجُلٍ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَهُ رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى
مَلِكَ الْأَمْلَاقِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ » .

« وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغَيِّرُ الْأَسْمَ الْقَبِيحَ » .

فروى الترمذى وابن ماجه أن ابنة لعمر كان اسمها عاصية فسمها جميلة .

وروى الشيخان : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيَّرَ اسْمَ بَرَّةَ وَسَمَّاهَا زَيْنَبَ » .

قال أبو داود : « وَغَيْرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّمَ الْعَاصِي عَزِيْرًا وَعَتَلَةَ وَشَيْطَانَ
وَالْحَاكِمَ وَحَرَابَ وَعُبَابَ وَجَبَابَ وَشِهَابَ ، فَسَمَاهُ هِشَامًا ، وَسَمَى حَرَبًا سَلْمًا ، وَسَمَى
الْمُنْجَبَعَ الْمُنْبَعِثَ ، وَأَرْضًا تُسَمَّى عَفْرَةَ فَسَمَاهَا خَصْرَةَ ، وَشَعْبُ الضَّلَالَةِ فَسَمَاهُ شَعْبَ
الْهُدَى وَبَنُو الرَّيْبَةِ سَمَاهُمْ بَنِي الرَّشْدِ » .

قال أبو داود : وتركت أسانيدھا اختصارا ، والله أعلم :

(خاتمة) ينبغى التحفظ من التسمية بأسماء الله تعالى إلا ما أطلقتها الشارع على
العبيد ، مثل لفظ : مؤمن ومتكبر وعليم وعدل وعلى وكرم وولى وجامع ووارث
ونحو ذلك :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لاننكر انتسابنا
إلى أئبنا أو أمنا إذا رفع الله قدرنا فى الدنيا ولو كانا من أراذل الناس كفلاح وحجام وكناس ،
أو ننفى كون أمنا أما لنا أو كون أئبنا أبا لنا ونسكت عن انتسابنا إلى غيرهما ونحو ذلك ،
وهذا العهد يخلّ بالعمل به كثير ممن يريد أن يترأس بين الناس الذين لا يعرفون أصله من
القضاة والمباشرين والتجار ، بل رأيت قاضيا جاءته أمه من بلاد الريف فدخلت عليه فسلم
عليها سلام الأجانب خوفا من زوجته المصرية أن تعاربه بأمه ، وصار يقول غدوا الفلاحة
عشوا الفلاحة ، وقال لها يا عجوز إن قلتي أنا أم للقاضى أخرجتك وما أخليك تدخلين لى
بعد ذلك أبدا .

وكذلك رأيت شخصا آخر من طلبه العلم أنكر أباه لما جاءه من الريف وصار يقول
بحضرة طلبته غدوا الفلاح وقال له يا شيخ النحس إن قلت أنا أبو فلان ماعدت أخليك
تدخل لى أبدا ، فجاور عندى فى الزاوية نحو سنة حتى رجع إلى بلاده ، ولو أن أحدهذين
الرجلين كسا ولده أو أمه كسوة حسنة مما هو قادر عليه ثم أدخلها أو أدخله داره بعد ذلك
لصارت أم القاضى أو أبا العالم حقيقة ولم يحصل له المعايرة بهما ، وهذا كله من غلبة الجهل
والمقت من الله تعالى وإن كان يفتى ويدريس ، فالله تعالى يلطفت بنا وبه آمين .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « مَنْ أَدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ
أَبِيهِ فَأَجَنَّةٌ عَلَيْهِ حَرَامٌ » .

وفي رواية للشيخين مرفوعا : « لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ » .

وفي رواية أخرى لها : « وَمَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا » أى لا فرضا ولا نفلا .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ ادَّعَى نَسَبًا لَا يَعْرِفُ كَفَرَ بِاللَّهِ ، وَمَنْ تَبَرَّأَ مِنْ نَسَبٍ وَإِنْ دَقَّ كَفَرَ بِاللَّهِ » .

ومعنى دق : صغر في عين الناس ، والله أعلم :

(أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نضيف امرأة غيرنا إذا زارتنا بالأطعمة للفاخرة ، ولا نبش في وجهها ولا نكلمها الكلام الخلو ، إلا إذا علمنا منها ثبات الود لزوجها التي هي في عصمة نكاحه ، وهذا العهد يخل بالعمل به كثير من أكابر الناس فضلا عن غيرهم ، بل بلغنا أن شخصا ضيفت زوجته صاحبه فقامت امرأته لبيت الخلاه فصار يقبلها ويعانقها ، فالت نفسها إليه وكان شابا أجمل من زوجها فنشزت على زوجها حتى طلقها وأخذها ذلك القيم ، فالعاقل من لا يمكن عياله تزور أحدا إلا إن عرف منها الأمان من مثل ذلك :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ ، وَمَنْ خَبَبَ عَلَى أَمْرِي زَوْجَتَهُ أَوْ مَمْلُوكَهُ

فَلَيْسَ مِنَّا » ومعنى خبيب : أفسد وخدع .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه :

« مَنْ خَبَبَ عَبْدًا عَلَى أَهْلِهِ فَلَيْسَ مِنَّا ، وَمَنْ أَفْسَدَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا

فَلَيْسَ مِنَّا » .

وروى مسلم وغيره مرفوعا : « إِنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرَشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَابًا

فَادْنَاهُمْ مِنْ لَهٍ مِنْهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً فَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ صَنَعْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ

مَا صَنَعْتُ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكَتُهُ حَتَّى فَرَقتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ
فَيُذْنِبُهُ مِنْهُ وَيَقُولُ نَعَمْ أَنْتَ وَيَلْتَزِمُهُ « وَالله أعلم .

(خاتمة) إذا نعب شيطان الإنس أو الجن ولم يقدر إلى وصوله إلى إفساد امرأة
الغير وسوس بذلك لعجوز الإنس ، فتدخل البيت وتظهر الزهد والصلاة إلى أن تجد
فرصة ، فتفسد تلك المرأة على زوجها بنحو قولها : فلان من أجمل الناس ، وهو يحبك
كثيرا وكاد أن يموت على القرب منك ، ويود أنه لو طلقك زوجك وأخذك ، وربما
يرسل مع العجوز المآكل والملابس والذهب لها فتميل إليه ضرورة وتصير تكره زوجها
بالطبع وتود مفارقتة . بل حكى لي شيخى سيدى على الخواص رحمه الله أنه كان بجواره شخص
من القضاة يحب زوجته وتحبه ولا يقدر أحدهما على مفارقة الآخر ، فعجز إبليس عن
أن يوقع بينهما فسوس بعجوز من الإنس فدخلت بيت للقاضى ومعها سبحة وسجادة ،
وأظهرت الدين والصيام والطفى فسكنت عندهم مدة وهى صائمة النهار قائمة الليل ، قال
القاضى وزوجته إليها أشد الميل ، وكان القاضى له شخص يعتقه من الصالحين ، فكان
كل قليل يبيت عنده فجاءت تلك العجوز إلى زوجة القاضى ، وقالت لها قد صرت
كابنتى وخيرك على يسوعى ما يسوعك ، وقد تزوج القاضى امرأة من ورائك فهو يبيت
عندها هذه الأيام التى يغيب فيها وأنا مقصودى تأخذى السكين وتقطعى لى خصلة من
لحيته ، مما يلى زوره حتى أعقد لك عليها عقدا يطلق لك المرأة ولا يعود يتزوج عليك
أبدا ، وجاءت للقاضى من وراء زوجته وقالت له ياسيدى قد صار لك فضل على ،
والذى يسوعك يسوعى وقد عزمت امرأتك على ذبحك فى هذه الليلة لتزوج غيرك ،
وإن شككت فى قولى فتناعس لها ونم وغمض عينيك وشخر وانظر ماذا تصنع ، فتناوم
للقاضى وهو ينظر نظرا خفيا لا تكاد زوجته تلاحظ به فجاءت بالسكين وأدخلت يدها ترفع
لحيته عن زوره ، وأدخلت السكين فزعت القاضى وأخذ المرزبة وضربها تحت أذنها فانت ،
فعلم بذلك أهلها فجاءوا وأخذوا القاضى للوالى فقتله فخرجت العجوز بسببحتها ، وهى
تقول : سبحان الله سبحان الله ، فالعاقل من منع العجائز دخول بيته والسلام .

وقد دخلت بيتى مرة عجوز فكانت أم الأولاد تحسن إليها فدخلت مرة فسمعتها
وهى تقول لها إيش حصلت من وراء هذا الشيخ من الثياب والأساور والحلى ، فقالت
لها ما حصلت شيئا ، فقالت قد دخلت على امرأة الشيخ النبى فرأيتها حصلت من ورائه

دغادى ذهباً وثياباً حريراً وغير ذلك ، فقلت لها إيش باعجوز فخرتجتها ومنعتها الدخول حتى ماتت ، فلو أن أم الأولاد كانت صالحة لفسدتها على مرادها بالشيخ التنبى شيخ للشيخ نور الدين الشونى فنسيت الشون وتذكرت التبن فاعلم ذلك والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نمكن زوجتنا من خروجها للطريق متعطرة مزينة بما يميل النفوس الغوية إليها ، حفظاً لدينها ودين من تمر عليه من إخواننا المسلمين ، وهذا العهد يقع فى حياته كثير من نساء العلماء والصلحين فضلاً عن غيرهم ، فيغلب عليهم حكم الطبع النفسى ويستحيون من عيالهم أن يمنعوهم من ذلك ، ومعلوم أن الحياء الشرعى لا يكون إلا فى ترك المذمومات ، وأما ترك المأمورات فلإنما ذلك قلة دين .

وقد كان أخى أفضل للدين رحمه الله له أخت من أجل النساء ، وكانت إذا خرجت للطريق تلبس الثياب المخرقة الوسخة وتنزع ثيابها الفاخرة المعطرة حتى ترجع إلى بيتها ، وكانت تدخل بيوت الأكابر بتلك الثياب ولا تستحي منهن ، وتقدم مصلحة دينها على حكم الطبع رضى الله عنها .

فاعلم يا أخى ذلك وأمر به عيالك والله يتولى هداك .

وروى أبو داود والترمذى وغيرهما مرفوعاً :

« كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ ، وَالْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَّاءٌ وَكَذَّاءٌ » يعنى زانية .

وفى رواية لابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما مرفوعاً :

« أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ » .

وروى ابن خزيمة فى صحيحه مرفوعاً بإسناد متصل :

« لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ امْرَأَةٍ صَلَاةً خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرِيحُهَا يَعْصِفُ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ » .

وبوب عليه ابن خزيمة باب إيجاب الغسل على المطيبة للخروج للمسجد ونفى قبول صلاتها إن صلت قبل أن تغتسل .

وروى أبو داود والنسائي مرفوعا: « أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بُحُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ ». .

وروى ابن خزيمة مرفوعا: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْهَوْا نِسَاءَكُمْ عَنْ لُبْسِ الزَّيْنَةِ وَالتَّبَخُّرِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَإِنَّ بَيْتِي إِمْرَأَتَيْلَ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى لَبَسَ نِسَاءُهُمُ الزَّيْنَةَ وَتَبَخَّرَتْنَ فِي الْمَسْجِدِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نفشى سر الصاحب ولا لزوجة ولا لأحد من المسلمين إلا لعذر شرعى .

واعلم يا أخى أنه لا يشترط فى كونه سرا أن يوصينا صاحبتنا على عدم إفشائه ، بل يكون سرا بالقرائن كما إذا كان يحدثنا ويلتفت يمينا وشمالا ، فنعلم بالقرائن أنه يريد منا السكتان ، وهذا العهد قد كثرت خياناته من غالب الناس حتى صار لا يسلم من خياناته إلا القليل وذلك لكثرة انحلال القلوب وعدم ارتباطها ببعضها بعضا ، فمن أفشى سره وطلب من الناس كتمانها فهو أحمق ، وقد أنشد الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه :

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ وَلَا مَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهُوَ أَحْمَقُ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي أَوْدَعْتَهُ السِّرَّ أَضْيَقُ

واعلم أن غالب الفقراء يغلب عليهم السداجة ، فإياك أن تعطى الفقراء سرا حتى تمتحنهم غاية الامتحان فإنهم غافلون عما للناس فيه من العداوة والبغضاء والحسد ، ولا يخلو من تودعه سر من أحد رجلين : إما ساذج كما ذكرنا وإما شيطان وكلاهما لا يؤمن على سر .

وفى كلام الإمام الشافعى رضى الله عنه : من كتم سره كانت الخيرة فى يده .

وقال : من تم لك نم عليك ، ومن نقل إليك نقل عنك .

فانظر يا أخى من تودعه سر من رأيته ينقل عن الناس ما يسمعه منهم فاعلم أنه

لا يكتم لك سرا وأنشد :

أَحِبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُوَاتِي وَكُلِّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ عَثْرَاتِي
يُسَاهِيْنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أَرُومُهُ وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ تَمَاتِي
فَمَنْ لِي بِهَذَا لَيْتَ كُنْتُ أَصْبَتُهُ فَقَاسَمْتُهُ مَا لِي مَعَ الْحَسَنَاتِي

وَأُنشِدُ أَيضًا :

خَبَرْتُ الدَّهْرَ مُلْتَمِسًا يَجْهَدِي أَخَا بَقَّةٍ فَأَكْدَاهُ التِّمَّاسِي
تَسَكَّدَرَتِ الْبِلَادُ عَلَيَّ حَتَّى كَانَتْ أَنَا سَهَا لَيْسُوا أَنَا سِي

فعلم أن من كتم الأسرار ما يتعلق بعزل الولاية وأضرابهم ، فإياك أن يطلعك الله تعالى على شيء من أحوالهم ومن أحوال السلطان الأعظم فتخبر به الناس ، بل اصبر واتكلم ذلك حتى يقع في الوجود ويشهده الخاص والعام .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رضى الله تعالى عنه يقول : إياكم وإطلاعكم الناس على ما كشف لكم من أحوال الخلق ، فإن المفشى لذلك حكمه حكم الجالس في بيت الخلاء ، مكشوف العورة مفتوح الباب ، فكل من مر عليه من العقلاء يلعنه لكشفه عورته ، وهتكه سريره وتعريضه نفسه للقتل بذلك .

وقد قال رجل من أهل للكشف مرة لرجل من الناس : رأيت فلانا مع امرأتك ، فجاء ذلك المتهم وقتل الشيخ الذى أخبر بالزنا ،

وقد أنشدنى شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصارى نفعنا الله ببركاته :

أَحْفَظُ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَيْلِدَعْنِكَ إِنَّهُ تُعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ
فاكتم يا أخى السر المتعلق بك وبالمسلمين والله يتولى هداك .
(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وروى مسلم وأبو داود وغيرهما مرفوعا : « إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الرَّجُلُ يُفِضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْشُرُ أَحَدُهُمَا سِرَّ صَاحِبِهِ » .

وروى الإمام أحمد عن أسماء « أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قُعُودٌ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : لَعَلَّ رَجُلًا يُخْبِرُ بِمَا فَعَلَ بِأَهْلِهِ ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا فَأَرَمَ الْقَوْمُ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ ،

وَأِيمَنُ كَيْفَعَلَنَ ، فَقَالَ : لَا تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانٍ لِقِي شَيْطَانَةٍ فَغَشِيَهَا
وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ .

ومعنى أرم القوم : أى سكتوا ، وقيل سكتوا من خوف ونحوه :

وفى رواية للبخاري مرفوعا : « أَلَا عَسَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَخْلُوَ بِأَهْلِهِ يُفْلِقُ بَابًا
ثُمَّ يُرْخِي سِتْرًا ثُمَّ يَقْضِي حَاجَتَهُ ثُمَّ إِذَا خَرَجَ حَدَّثَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ ، أَلَا عَسَى
إِحْدَاكُمْ أَنْ تُفْلِقَ بِأَهْلِهَا وَتُرْخِي سِتْرَهَا ، فَإِذَا قَضَتْ حَاجَتَهَا حَدَّثَتْ صَوَاحِبَهَا .
فَقَالَتْ امْرَأَةٌ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِيْمَنُ كَيْفَعَلَنَ وَإِيْمَنُ كَيْفَعَلُونَ . قَالَ : فَلَا تَفْعَلُوا
فَإِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانٍ لِقِي شَيْطَانَةٍ حَتَّى قَارِعَةَ الطَّرِيقِ فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا
ثُمَّ انْصَرَفَ وَتَرَ كَهَا . »

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « السَّبَاعُ حَرَامٌ » .

قال ابن لهيعة : يعنى به الرجل الذى يفتخر بالجماع :

وروى أبو داود مرفوعا : « الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثُ مَجَالِسَ : سَفْكُ دَمٍ حَرَامٌ ،
أَوْ فَرْجٌ حَرَامٌ ، أَوْ افْتِطَاحُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ » .

وروى أبو داود والترمذى مرفوعا : « إِذَا حَدَّثَ رَجُلٌ رَجُلًا بِحَدِيثٍ ثُمَّ التَّقَمَّتْ
فَهُوَ أَمَانَةٌ » وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانطول ذيل قميصنا
ولا قنار سراويلنا ، ولا نرخصى إزارنا ولا غير ذلك من ملبوسنا إلا على حد ماورد فى السنة
من حيث أن ذلك من شعار الخيلاء المتكبرين والله لا يحب المتكبرين . ويتعين فعل السنة
والوقوف عندها على كل من علم من نفسه أن الناس يقتدون به بى ادى الرأى ولا يسألونه
هل ذلك سنة أم لا ، وكذلك القول فى كل فعل وقول : وأما من لا يقتدى به فالأمر فى حقه
أخف ، ثم لا يخفى أن محل الأمر بتطويل القميص وما عطف عليه إلى حد السنة ما إذا
وجد ثمنه من مال حلال لأشبهة فيه ، فإن لم يوجد بدأنا بما يستر العورة ثم زدنا على قدر
مانجد من الثمن الحلال إلى حد السنة لما تقدم فى حديث الإمام أحمد فى عهد من صلى فى
ثوب ثمنه عشرة دراهم وفيه درهم واحد من حرام من أن صلواته لا تقبل ، فينبغى لكل

متدين أن يراعى الحل في ملبوسه لاسيا حال الوقوف بين يدي الله عز وجل في الصلاة وغيرها :

وكان أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : من الأدب في هذا الزمان للعبد أن لا يأكل طعاما إلا ويستغفر الله منه ولا يلبس شيئا إلا ويستغفر الله منه لغلبة الشبهات وقلة من يتورع من الناس ، فأى تاجر يقفت عليه قاض يأخذ الرشا أو مكاس أو ظالم يشتري منه قاشا فيرده ويقول دراهمك شبهات ، وأى عابد في هذا الزمان يأتيه الآن شيء من هؤلاء فيرده ويقنع بالخبز اليابس الخاف فهذا أمر قد تودع منه مابقيت الدنيا .

وقد كان سيدى على الخواص يضير الخوص مزدوجا من غير تشهير ويحطه في النداء دون رشه بالماء طلبا للقوة والنفع ، فكانت القفة تمكث عند صاحبها السنتين والثلاث زيادة على قفت الناس ويقول في نفسى شيء من أكلى من هذا الكسب لأنى بتقدير نصحى في صنعتى أبيع على من ؟ فان غالب الناس اليوم متهورون في مكاسهم ، وإذا بعث على من لا يرد فلوس مكاس فكانتى بعث على المكاس ، وكان ملبسه رضى الله عنه جبة صوف ونحو سبعة أذرع عمامة فكان كل سنة يجدد الجبة ويتصدق بالخلق . وكان يغسل عمامته كل سنة مرة بملح من غير صابون ، وكذلك الجبة تخفيفا للمؤنة لقلة الحلال المشاكل لمقامه .

ويحتاج للعامل بهذا العهد إلى شيخ يريه حتى يخرج من رعونات النفس بحيث لا يبقى عنده التفات إلى شيء ، فإنه من الشبهات بل يفرح بفواتها وهناك يصلح له التقلل من الملابس والمطاعم وربما لبس القمير جبة خشنة وأكل طعاما خشنا وعنده من الرعونات والكبر ما ليس عند الظلمة ، ولو كان له شيخ يريه لنبيه على ذلك وأخرجه من العلال في أعماله :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى أبو داود والترمذى والنسائى وحسنه الترمذى وصححه الحاكم :

« كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْقَمِيصُ » .

وروى البخارى والنسائى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول :

« مَا أَسْفَلَ السَّمْبَتَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ » .

وروى أبو داود عن ابن عمر قال: ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإزار فهو في القميص .

وروى مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :
« أُرْزَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ
وَمَا أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَمَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « لَأَخَيْرَ فِي أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ » يعني في الإزار .
وفي رواية له عن ابن عمر قال : « دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ إِزَارُهُ
يَتَقَمَّقُ فَقَالَ مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
فَارْفَعْ إِزَارَكَ فَرَفَعْتُ إِزَارِي إِلَى نِصْفِ السَّاقَيْنِ » .
قال زيد بن أسلم : فلم تزل أزرته حتى مات .

وروى مسلم وأبو داود وغيرهما مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ وَالْمَتَّانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَفَتُهُ
بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ » .

وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم مرفوعا :
« الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ ، مَنْ جَرَّ شَيْئًا خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

والخيلاء: بالمد وضم الخاء وكسرها وفتح الياء هو الكبر والمعجب :
وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ لَا يُرِيدُ بِهِ إِلَّا الْمَخِيلَةَ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

والخيلة : بفتح الميم وكسر المعجمة من الاختيالك ، وهو الكبر واحتقار الناس :
وفي رواية للشيخين : « أَنْ أَبَا بَكْرٍ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ إِزَارِي يَسْتَرْخِي

إِلَّا أَنْ أْتَاهَدَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكَ لَسْتَ بِمَنْ يَفْعَلُهُ خِيَلَاءٌ .

وروى الإمام أحمد والطبراني وغيرهما مرفوعا : « مَنْ وَطِئَ إِزَارَهُ خِيَلَاءَ يُوطِئُهُ فِي النَّارِ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ كَانَ عَلَى اللَّهِ كَرِيْمًا » .

وروى أبو داود وغيره مرفوعا : « مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خِيَلَاءَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَامٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ إِزَارَهُ »
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانكسو عيالنا من الثياب التي تصف البشرة ولا نقرها أن تشترى لنفسها ذلك مبالغ في سترها عن عيون الأجانب ، الذين يدخلون الدار من الرجال الأجانب والنساء ، فرما نظرت الأجانب إلى فرج المرأة من تحت الثياب الرقيقة كما تنظره من تحت الزجاج الصافي ، وما أمرنا الله تعالى إلا بما لا ترى البشرة من تحته ، فينبغي للزوج إذا رأى زوجته تحب لبس ذلك أن يمد لها بساطا في فضل ستر المرأة بدنها عن العيون لاسيما العورة ، وبين لها أنه لا ينبغي لها النظر إلى عورة نفسها ولو في خلوة إلا الحاجة ، لسكن غالب النساء يجهل ما ذكرنا ثم بعد ذلك يأمرها بعدم لبس الرقيق ولعلها لا تخالف زوجها .

(وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) .

وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم مرفوعا : « يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ نِسَاءُهُمْ كَسِيَّاتٌ عَارِيَّاتٌ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ الْمَلْعُونَاتُ ، لَوْ كَانَ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّةِ خَدَمْتُهُمْ نِسَاؤُكُمْ كَمَا خَدَمْتُمْ نِسَاءَ الْأُمَّةِ قَبْلَكُمْ » .

وفي رواية لمسلم وغيره مرفوعا : « صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرُهما : قَوْمٌ مَعَهُمْ

سَيَاطُ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءَ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ مُّيَمَّلَاتٌ
مَائِلَاتٌ عَلَى رُءُوسِهِنَّ كَأَسْنَمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ ، لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا
وَلَا يَرِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا كَذَا .

وروى أبو داود وقال مرسل حسن : « أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ دَخَلَتْ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رِقَاقٌ ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : يَا أَسْمَاءُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يُرَى مِنْهَا
إِلَّا هَذَا وَهَذَا وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفَيْهِ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانقر أحدا من
الظلمة والمباشرين وغيرهم من المتهورين في دينهم على لبس الحرير والجلوس عليه ، ولا
على التحلي بالذهب .

ويحتاج من يزيل منكرات مثل هؤلاء إلى سياسة تامة وزهد تام وعفة عما بأيديهم
من سحت الدنيا، وأما من لاسياسة عنده ولا زهد ولا عفة فلو نهاهم وأنكر عليهم
لا يصغون إلى إنكاره بل يزدرونه ويضحكون عليه ، وهذا العهد قد كثرت خيائنه من
غالب الناس فيسكتون عن الإنكار على لبس الظلمة الحرير ، أو ينكرون عليهم مع
طمعهم فيما بأيديهم وقبولهم هداياهم وتردهم إليهم لأجل ذلك ، أو ينكرون عليهم بلا
سياسة من غير أن يتجسسوا عليهم هل يردون إنكارهم عليهم أو يعملون به ، فينبغي
جس المخاضة أولا، فإذا لم ير علامات القبول عرض له بالإنكار ثم يتمهل حتى تخمد نفس
ذلك الظالم ثم يأمره برفق وسياسة .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ فَإِنَّهُ مِنْ لِبْسِهِ فِي الدُّنْيَا
لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ » .

وفي رواية للشيخين : « إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَأَخْلَاقَ لَهُ » .

وروى أبو داود والنسائي : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ حَرِيرًا

فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ ، وَذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَيَّ ذُكُورِ أُمَّتِي .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا : « مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا حُرِمَهُ أَنْ يَلْبَسَهُ فِي الآخِرَةِ » .

وروى البزار والطبراني عن معاذ قال : « رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُبَّةً مُجَبَّبَةً بِحَرِيرٍ فَقَالَ طَوْقٌ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .
وقوله مجيبة : أى لها جيب ، وهو الطوق .

وروى الإمام أحمد والطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي وَهُوَ يَتَحَلَّى بِالذَّهَبِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ لُبْسَهُ فِي الْجَنَّةِ » .

وروى مسلم : « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ وَطَرَحَهُ ، وَقَالَ : يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَطْرَحُهَا فِي يَدِهِ »
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نقر أحدا من أهل السخرياء يتشبه بالنساء ولا نحضر له مجلسا إلا إن كان يسمع لنا في ترك ذلك ، وكذلك لا نقر أحدا من إخواننا يرسل وراء المخيطين في عرس أو ختان أو غيرهما ، لأنهم لا ينضبون على الأمور المباحة ، وإنما يتعدون الحدود لأجل إضحاك الناس ، ومن ذلك لباس المغنين للعروسة لباس الرجال من جندي وقاض وغيرهما كل ذلك حرام لا يفعله في داره من له مروءة أهل الإيمان مع أن الزمان صار لا يناسبه السخرياء لثراكم الهموم على الأكابر والأصاغر ، ومن خالف وحضر مجالس المخيطين واخلبوص المغاني وضحك فلا بد له من حصول نكد عقب ذلك ، ومن شك فليجرب .

وقد قال لى رئيس المخيطين إن لى كذا وكذا سنة أتكلف إضحاك الناس ويضحكون تكلفنا كذلك ثم بعد مدة رأيت هبة غير تلك الهبة ، فقلت له ماشأنتك ؟ فقال تركت

تلك الحرفة لكثرة ما الناس فيه من السكر في مصر وقرائها ، ثم نظم لي أبياتا على
البيهة منها :

لَهْفِي عَلَى مِصْرَ كَانَتْ فِي عِزِّي ذَلَّتْ وَهَانَتْ
وَعَنْ بَقَاهَا تَفَانَتْ وَكَانَ لَهَا ذِكْرُ يَذْكُرْ
أَيْنَ الْفَرَحِ وَالْمَكَايِبِ وَأَيْنَ عَزْمُ الْأَرْبَعِ مَذَاهِبِ
وَأَيْنَ كُلُّ مَطْلَبٍ وَطَالِبِ وَأَيْنَ مَنْ طَالَ وَقَصُرْ
أَيْنَ الْمَخَادِيمِ وَالْأَرْزَاقِ وَأَيْنَ التَّخَا وَيَضُ بِيُولَاقِ
وَأَيْنَ الزَّمَانُ الَّذِي رَاقِ وَبَعْدَ حُلُوِّ تَمْرَزِ
زَادَتْ عَلَى اتْلَاقِ أَهْوَالِ وَخَلْفُ نِيَّاتِ وَأَقْوَالِ
حَتَّى بَقِيَ الْكَرْبُ رِسْمَالِ لِكُلِّ مُعْسِرٍ وَمُوسِرِ
أَحْوَالِ ذِي اتْلَاقِ هَاجَتْ وَمَرَّ كَبُّ الْكَرْبِ مَا جَتِ
فَقَرَّقْتَنَا وَمَا جَتِ وَمَا يَتْرِي عَلَى بَرِّ
هَذَا زَمَانُ الْعَجَائِبِ وَهَذَا الْكَثِيرُ الْمَصَائِبِ
مَنْ يَتْرِكِ الطِّفْلِ شَائِبِ مِثْلَ الْحَزِينِ الْفَقِيرِ
هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي جَارَ وَحَقَّرَ الشَّيْخَ وَالْأَحْرَانَ
فِيهِ عَقْلِي حَارَ ذَهْنِي وَفِكْرِي تَحَيَّرِ

إلى آخر ما قال (والله غفورٌ رحيمٌ).

وروى الشيخان وأبو داود وغيرهما : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ
الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَلَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ » .
يعنى في لباس أو كلام أو حركة ونحو ذلك .

وروى الطبراني وابن ماجه : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً
مُتَقَلِّدَةً قَوْسًا فَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ » .

وفي رواية للبخارى : « لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ ،
وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ » .

والمخنث بفتح النون وكسرها : من فيه انخثات وهو التكسر والتثنى كما يفعله النساء ،
كالذى يفعل الفاجشة الكبرى .

وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرها :

« لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ
لِبْسَةَ الرَّجُلِ » .

وروى أبو داود : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِرَجُلٍ قَدْ خَصَبَ
يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ بِالْحِنَاءِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا بَالُ هَذَا ؟ قَالُوا تَشَبَّهَ
بِالنِّسَاءِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَنُفِيَ إِلَى التَّيْمِيعِ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَقْتُلُهُ ؟ قَالَ : إِنِّي مُهَيِّتُ
عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ » والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نلبس لمباس شهرة
ولا لباس فخر ولا مباهاة ، كأن نلبس المرقعات الملونة من رقع خضر وصفر وحمر
وسود ونحو ذلك ، كما يفعله الفقراء الأحمديّة والقادريّة ونحوهما ، أو نلبس بشتا من ليف
ونحوه أو حلفاء أو جلودا منزوعة الشعر أو طرطور جلد أو خوص مكشوفة بغير عمامة
أو شملة حمراء أو خضراء أو نحوهما ، أو نلبس طيلسانا رقيقا أو جبة نقيه البيضاء جدا
ونحو ذلك إلا بنية صحيحة شرعية .

وقد كان الأشياخ في العصر المتقدم لا يلبسون الرقعة إلا من قلة الحلال ، فكانوا إذا
تقطع لهم ثوب أو رداء يرقعونه بحسب ما يجدونه من الحلال ولا يلتزمون لونا خاصا ،
فكانت ثيابهم على طول تصير ملونات من غير قصد بخلاف من يأخذ الرقع من حلال
وحرام أو يأخذ الخرقة الكبيرة فيقطعها على قدر هوى نفسه من غير تفرق تحتها ونحو
ذلك ، فإن ذلك معدود من رعونات النفوس .

واعلم أن الأشياخ في الزمن المتقدم كانوا يعرفون نفاسة الطريق ، وكانوا لا يأذنون
للمريد في لبس الجبة من الصوف إلا بعد فراغه من تهذيب نفسه ورياضتها ، ثم إن الشيخ

يجمع الفقراء الموجودين في العصر ويقرءون الفاتحة ويدعون له ثم يلبسه الحبة بمحضرتهم ، فكانوا ينكرون على كل من لبس الصوف قبل خمود نار بشريته ويأمرونه بالنزع لرد ذلك :

وكان سيدي أحمد بن الرفاعي إذا رأى على فقير جبة صوف وهو محتاج إلى رياضة الأخلاق يقول له اخلع يا ولدي هذا اللباس وجاهد نفسك حتى تحمد نارها بحيث لو لطح أحد وجهك بالعدرة بخضرة الناس ، ولطح ثيابك لانتأثر : ورأى مرة شخصاً عليه سيما الصالحين لابساً صوفاً فقال يا ولدي إنما تزيت بزى الصالحين وتحليت بجلمة المتقين ، فإن لم تسلك طريقهم وإلا فانزع لباسهم : وكان يمنع أصحابه من إرخاء العذبة ويقول لا ترخوا العذبة حتى تحمد نيران نفوسكم ، فإن من أرخاها بنية التمشيح فهو حرام .

فاعمل يا أخي على تحصيل الأخلاق الباطنة حتى يشهد لك شيخك بالكمال أولاً ، ثم لبس الصوف ليشارك ظاهرك باطنك وإن لم يوافق باطنك ظاهرك فالبس لبس العوام من آحاد الناس .

وقد رأيت جماعة يلبسون الصوف ويأخذون في أيديهم السبحة وألسنتهم كالعقارب وأفواههم كأفواه التماسيح وبطونهم كالسفن ثم بعد ذلك يدعون الطريق فاياك وليأهمه بل رأيت من عمل منهم مكاسا وهذا كله لا ينبغي لأحد من أهل الطريق أن يقر عايه إلا من كان من أمهاته ، وقد أدر كنا طريق الفقراء ولها حرمة عند الناس وعلى أصحابها الخير والهيبه ، فرفع الله تعالى ذلك بموت شيخنا سيدي على المرصفي بمصر رضي الله عنه ، وموت سيدي على الخواص ، وموت سيدي محمد الشناوي رضي الله عنهم ، فأرأيت أشد تعظيماً لأولاد الفقراء من هؤلاء الثلاثة .

وقد حكى سيدي محمد الشناوي أن سيدي الشيخ عبد الرحيم القناوي قام لكاتب مر عليه فلامه بعض الناس فقال إنما قمت لزي الفقراء الذي في عنقه ، فأرأوا في عنق الكاتب شرموطاً من جبة فقير ، فاعلم ذلك ولا تلبس لباس شهرة ، والله يتولى هداك :

وروى الطبراني مرفوعاً : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَلْبَسُ ثَوْبًا لِيُبَاهِيَ بِهِ فَيَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهِ إِلَّا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ حَتَّى يَنْزِعَهُ مَتَى نَزَعَهُ » .

وروى الإمام أحمد : عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ « أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ مِنْ حُلِّ الْيَمَنِ ، فَقَالَ : يَا ضَمْرَةَ أَتَرَى ثَوْبِيكَ مُدْخِلِيكَ الْجَنَّةَ ؟ فَقَالَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ لَنْ اسْتَغْفِرْتَ لِي لَأَقْعُدُ حَتَّى أَنْزِعَهُمَا عَنِّي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِمُضْمَرَةَ ، فَأَنْطَلَقَ سَرِيعًا حَتَّى نَزَعَهُمَا عَنْهُ .

وروى بن أبي الدنيا مرفوعا : « شَرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غَدُوا بِالنَّعِيمِ ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
أَلْوَانَ الطَّعَامِ وَيَلْبَسُونَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ . »

زاد في رواية الطبراني : « وَيَشْرَبُونَ أَلْوَانَ الشَّرَابِ . »

وروى رزين مرفوعا : « مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شَهْرَةَ أَلْبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
ثُمَّ أَهْلَبَ فِيهِ . »

وفي رواية أخرى : « مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شَهْرَةَ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مُذَلَّةٍ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ أَهْلَبَ فِيهِ نَارًا . »

وفي رواية أخرى : « مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شَهْرَةَ أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى يَضَعَهُ مَتَى
وَضَعَهُ » والله أعلم .

(أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا تقرأ أحدا من النساء
على وصل شعرها أو وشم بدننها أو تخفيف وجهها ، يعنى أخذ شعره أو تفلج أسنانها
بالمبرد ونحوه ، ويتعين إشاعة النهى عن ذلك بين النساء ، فإن أكثرهن جاهل بتحريم
ذلك ، كما يجهران تحريم تثقيب الآذان والأنف ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« كُلُّ رَأِيحٍ مَسْمُوكَةٌ عَنْ رَعِيَّتِي . »

فإن لم يعلم الرجل زوجته وإلا فمن يعلمها ، وقد كثرت خيانة هذا العهد من قراء
القرآن وطلبة العلم ، فينظر أحدهم زوجته وهي تصبح وتسمى وهي جنب ولا يأمرها
ولا ينهها ، وينظرها ترك الصلاة فلا ينهها ، وينظرها تأخذ شعر خدودها فلا ينهها ،
وربما كانت قابلة للتعليم والتفقه في دينها فلا يتعب خاطره فيها ، وبحوجها إلى أن تخرج إلى
الوعاظ في المساجد ، وتعرض لعدة من المفاسد بسبب خروجها وخلطتها بمن لا يصلح ،
فالعاقل من أغنى زوجته عن الخروج إلى غيره إلا إن كان عاميا والسلام ، فيجب عليه

تعلم الحلال والحرام أولاً ، ثم يعلم عياله : ولما رأى سيدى أحمد الزاهد هذا الأمر قد فشا في النساء مع ترك بعولتهن تعليمهن لأحكام الدين كان رضى الله عنه يجمع النساء في المسجد ويعلمهن أحكام دينهن ولا يمكن أحدا من الرجال يدخل عليهن رضى الله عنه :

وروى مسلم وابن ماجه : « أَنَّ لِمَرْأَةً قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ ابْنَتِي أَصَابَتْهَا الْخُصْبَةُ فَتَمَزَّقَ شَعْرُهَا وَإِنِّي زَوَّجْتُهَا أَفْصِلُ فِي شَعْرِهَا ؟ فَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَصِلَةَ وَالْمَوَاصِلَةَ » .

وفي رواية : « لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَأَصِلَةَ وَالْمَسْتَوْصِلَةَ » .
وروى الشيخان وغيرهما :- « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ الْوَأَشِمَةَ وَالْمَسْتَوْشِمَةَ » .

زاد في رواية أخرى للشيخين وغيرها : « وَالْمُتَمِصَّاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ » .

والواصلة : التي تصل الشعر بشعر النساء ، والمستوصلة المعمول بها ذلك ، والنامصة : التي تنقش الحاجب حتى ترقه هكذا ، قاله أبو داود . وقال الخطابي : هو من التمس وهو نتف الشعر من الوجه ، والواشمة : هي التي تغرز اليد والوجه بالإبر ثم تمحشو ذلك المكان كحلا أو مدادا ، والمستوشمة المعمول بها ذلك ، والمتفلجة هي التي تفلج أسنانها بالمبرد ونحوه للتحسين :

وروى الشيخان : « أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ : إِنَّا نَكْفُرُ بِأَحَدِنَا زَى سُوءٍ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الزُّورِ » .

وفي أخرى لها : « أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَخْرَجَ سَكْبَةً مِنْ شَعْرٍ فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ أَحَدًا يَفْعَلُهُ إِلَّا الْيَهُودَ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَّغَهُ قَسَمَاءُ الزُّورِ » .

قال قتادة : والمراد به ما تكثر به المرأة شعرها من الخرق . قال وجاء رجل بعصا على رأسها خرقة فقال معاوية : ألا هذا الزور والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نخضب لنا الحية

بالسواد ولانقر زوجتنا ولا غيرها على خضب رأسها بالسواد تقديما لغرض الشارع صلى الله عليه وسلم على غرضنا، إلا لغرض شرعى كالجهاد في سبيل الله؛ فالمجاهد فعل ذلك، وله أن يقر عليه من يفعله من المجاهدين إرهابا للعدو، وسيأتى بسط ذلك في عهد تزين المرأة لزوجها إن شاء الله تعالى؛

وروى أبو داود والنسائي وابن خزيمة مرفوعا:

« سَيَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحُمَامِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » .

وروى الديلمي عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : لا بأس للرجل أن يخضب لحيته للمرأة ولا بأس للمرأة أن تخضب لزوجها إنما هو زينة ، والله تعالى أعلم :
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لاتهاون بترك التسمية على الطعام والشراب ، ولا ندع أطفالنا يتركون ذلك ، بل نتعاهدهم كل يوم بقولنا للطفل إذا جلس للأكل قل :

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) حتى يصير ذلك عادة له لا ينساها .
وفي القرآن العظيم :

(وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِشْقٌ) .

والعبرة بعموم اللفظ عند المحققين لا بخصوص السبب ، فمن تهاون بتركها جره ذلك إلى كثرة انتهاك محارم الله تعالى :

وكان سيدي على الخواص رحمه الله لا يأكل من عجين أو طيبخ لم يذكر العاجن أو الطابخ اسم الله تعالى عليه ويقول : كل ما لم يذكر اسم الله عليه فكأنه عندي كالميتة .

وكان أخى أفضل الدين لا يأكل لقمة واحدة حتى يقول دستور يا الله : ونسى مرة ذلك فاستغفر الله سبعين مرة كفازة لذلك ، وكان يقول لا أحب لأصحابي أن يأكلوا على غفلة كونهم بين يدي الله عز وجل ولكل مقام رجال :

(وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

وروى أبو داود والترمذى وغيرهما : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ

يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتِّهِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلِقَمَتَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمِيَ لَكَفًا كُمْ . »

وروى أبو داود وابن ماجه زيادة وهي :

« فَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ : بِسْمِ اللَّهِ أَوْلَهُ وَآخِرَهُ » زاد في رواية : « فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ قَاءَ الشَّيْطَانُ مَاءً فِي بَطْنِهِ . »

وروى مسلم مرفوعا : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَجِِلُّ الطَّعَامَ الَّذِي لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ حلينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانقر عيالنا وغيرهم على استعمال المكحلة الفضة ، أو المرود الفضة ، أو المعلقة أو الخلال الفضة فضلا عن الذهب لعموم الأحاديث الواردة في ذلك ، لأن الآنية هي كل مانقل شيئا من محل إلى محل فافهم ، فإن المرود ينقل الكحل إلى العين فافهم ، وهذا العهد ينحل بترك العمل به خلق كثير فيرون نساءهم وهم يكتبون بما ذكر ولا يهونهم عن ذلك ، كل ذلك لعدم غيرتهم على الشريعة المطهرة :

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من الإيمان أن يعنى العبد بما اعتنى به الشارع صلى الله عليه وسلم ولا يتهاون به ، والله تعالى أعلم :

وروى الشيمخان وغيرهما مرفوعا : « الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ . »

وفي رواية لمسلم : « إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَكَأَنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ . »

وفي أخرى لمسلم : « مَنْ شَرِبَ مِنْ إِنَاءِ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ . »

وروى الحاكم وقال صحيح الاسناد مرفوعا :

« مَنْ شَرِبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَمْ يَشْرَبْ بِهَا فِي الآخِرَةِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانهمل أولادنا الصغار بتقريرهم على الأكل والشرب باليد الشمال مثلا ، أو بتقريرهم على النفخ في الإناء أو الشرب من قم السقاء أو من نلعة القدح ونحو ذلك مما ورد في آداب الأكل والشرب ، وهذا العهد يخل به غالب الناس فلا يلتفتون لأولادهم بتعليمهم الآداب الشرعية حتى يبلغوا الحلم وهم على ذلك كل ذلك لعدم غيرتهم على الشريعة المطهرة ، فلا يزال الناس ينقصون من العمل بآدابها حتى تصير مجهولة لعدم مشاهدة من يعمل بها :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى مسلم والترمذى مرفوعا : « لَا يَأْكُلُ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ وَلَا يَشْرَبُ بِهَا ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا » .
زاد في رواية لابن ماجه : « وَلَا يَأْخُذُ بِهَا وَلَا يُعْطَى بِهَا ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُعْطَى بِشِمَالِهِ وَيَأْخُذُ بِهَا » .

وروى الترمذى : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الْإِنَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : الْقَدَاةُ أَرَهَا فِي الْإِنَاءِ ؛ فَقَالَ أَهْرُقَمَا » .
وروى أبو داود وغيره : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الشَّرْبِ مِنْ ثَلَاثَةِ الْقَدَاحِ » .

وروى ابن حبان في صحيحه : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ مِنْ فِي السَّقَاءِ » .

وروى الحاكم « أن شخصا شرب من في السقاء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت له حية » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نمنع أصحابنا وأولادنا وعيالنا من الشيع ومن التوسع في المآكل والمشارب شرها وبطرا ، وهذا العهد قد أخذ بالعمل به غالب الناس ، وهذا دليل على قلة الورع في الكسب ، لأن الإنسان لو تورع التورع المشروع لم يجد شيئا يشبع منه ولا وسع به على نفسه فضلا عن أن يوسع على غيره وفي الشيع من الحلال مفاسد كثيرة فكيف الشيع من الشبهات والحرام أقل ما فيها أن الإنسان

إذا أكل وشبع جاءت جوارحه فلا تشبع إلا إن وقعت في المعاصي المشاكلة لذلك الأكل في الحل والحلوة خفة وثقلا :

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا كان الأكل حراما نشأ منه أعمال حرام ، وإذا كان خلاف الأولى نشأ منه ارتكاب خلاف الأولى ، ومن قال إن الأعمال تنشأ على غير مشاكلة الأكل فليس عنده تحقيق اه :

وكان إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه يقول أطب مطعمك ولا عليك أن لانصوم النهار ولا تقوم الليل :

وكان سيدي إبراهيم المتبولي يقول : إياكم والأكل من الشبهات فإنها تؤثر في قلب العبد ولو كان من أكابر الأولياء .

ومن مفسد الأكل الكثير أيضا نقل الأعضاء عن للقيام بالطاعات في الليل والنهار ، فعلم أن من نوتع الأطعمة في بيته في هذه الأيام وبالغ في التوسعة على عياله فلا بد أن يندم عن قريب وتدور عليه الدوائر :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « الْمُسْلِمُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ

فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ » .

وفي رواية للبخارى أن رجلا كان يأكل أكلا كثيرا فأسلم فكان يأكل أكلا قليلا فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

« إِنَّ الْمُسْلِمَ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ ، وَالْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ » .

وفي رواية لمسلم : « أَضَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَيْفًا كَافِرًا فَأَمَرَ لَهُ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ فَحَلَبَتْ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أَخْرَى فَشَرِبَ حِلَابَهَا

حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ بِأَخْرَى فَلَمْ يُتَمِّمْهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ ، وَالْكَافِرَ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ » .

وروى الترمذى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، فَحَسِبُ ابْنَ آدَمَ أَكَلَاتِ يُقَمِّنُ صُلْبَهُ ،
فَإِنْ كَانَ لَا حِمْلًا فَلَتُكَلِّمَ لِبَطْنِهِ ، وَتُكَلِّمُ لِشَرِّهِ ، وَتُكَلِّمُ لِنَفْسِهِ . »

وروى الترمذى وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد :

« عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ : أَكَلْتُ مَرَّةً تَرِيدَةً مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلْتُ أَتَجَشَّئُ فَقَالَ : يَا هَذَا كَفَّ مِنْ جُشَائِكَ ، فَإِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . »

زاد في رواية - « فما أكل أبو جحيفة ملاء بطنة حتى فارق الدنيا ، كان إذا تغدى لا يتعشى .

وإذا تعشى لا يتغدى » :

وفي رواية لابن أبي الدنيا « قال أبو جحيفة فما ملأت بطني منذ ثلاثين سنة » :

وروى البخارى فى كتاب الضعفاء ، وابن أبى الدنيا عن عائشة قالت « أول بلاء

حدث فى هذه الأمة بعد نبىها الشيع ، فإن القوم لما شيعت بطونهم سمتت أبدانهم فضعت
قلوبهم وجمحت شهواتهم » :

وروى البيهقى : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى عَائِشَةَ أَكَلَتْ فِي الْيَوْمِ
مَرَّتَيْنِ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ : أَمَا تُحْيِينَ أَنْ يَكُونَ لَكَ شُعْلٌ إِلَّا جَوْفَكَ | الْأَكْلُ
فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ مِنَ الْإِسْرَافِ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ اسْتِرْفِينَ . »

وفي رواية : « يَا عَائِشَةُ اتَّخَذْتَ الدُّنْيَا بَطْنَكَ ، أَكْثَرُ مِنْ أَكَلِكِ كُلِّ يَوْمٍ

سَرَفٌ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ اسْتِرْفِينَ . »

وروى الإمام أحمد والطبرانى وغيرهما مرفوعا :

« إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْعَيْ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضَلَاتِ الْهَوَى . »

وروى الإمام أحمد والطبرانى ورواه ثقات :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مَعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ : يَا بَاكَ

وَالْتَنَعَمَ ، فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِمِينَ . »

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والله أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتخلف عن الإجابة إلى الولائم إلا بعذر شرعي ، ومتى تخلفنا ترفها وضخامة واحتقارها للداعي فقد عصينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا العهد يحل بخيانتته كثير من الفقراء والمخنفسين الذين يضحمون نفوسهم بغير حق لاسيما إذا صار للناس يمدحون أحدهم بقولهم فلان على طريقة عظيمة لا يتردد إلى أحد ولا يحضر وليمة ولا عقد نكاح ولا جمعية أبداً :
وقد قالوا المؤمن ينقلب في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة ، والمنافق يمكث على حالة واحدة أكثر من سبعين سنة وذلك أنه يخاف أن يغير سيطه بذلك الأمر للذي مدح لأجله ، بخلاف المؤمن فإنه دائماً دائر مع الفضائل ، فتى رأى أمراً أفضل مما هو فيه يترك ما هو فيه :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى الساوك على يد شيخ ناصح ليخرجه من دركات الرياء والنفاق إلى درجات الصدق والإخلاص وعدم مراعاة الخلق في ذمهم ومدحهم إلا على وجه التفكير والاعتبار ، لحديث :

« أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ ، وَمَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَهُوَ شَرٌّ » .

فالعاقل يأخذ عنوان مايقع له يوم القيامة من أفواه الناس من غير اعتماد عليهم وعلى قولهم ، قال تعالى :

(وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) .

فاسلك يا أخى على يد شيخ إن أردت أن تعرف مراتب الأعمال وما هو أحق بالتقديم منها على غيره ، والله يتولى هداك :

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً : « شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَالِيَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ وَتُتْرَكُ الْمَسَاكِينُ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ » .

وروى أبو داود مرفوعاً : « مَنْ دُعِيَ فَلَمْ يُجِبْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَى غَيْرِ دَعْوَةٍ دَخَلَ سَارِقًا وَخَرَجَ مُغِيرًا » . وفي سنده راو ضعيف .

وروى مسلم مرفوعا : « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُجِبْهُ عُرْسًا كَانَ أَوْ نَحْوَهُ » .
وفي رواية له : « إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ ، فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ ،
وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ ، فَذَكَرَ مِنْهَا لِإِجَابَةِ
الدَّعْوَةِ » الحديث .

وروى أبو الشيخ مرفوعا : « سِتُّ خِصَالٍ وَاجِبَةٌ لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ، مَنْ تَرَكَ
شَيْئًا مِنْهُنَّ فَقَدْ تَرَكَ حَقًّا وَاجِبًا فَذَكَرَ مِنْهَا : يُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ » .
واعلم أن من للعدو الشرعى لنا فى عدم الإجابة وجود منكر هناك لا يزول بحضورنا ،
ومن عدونا فى ترك الأكل وجود شبهة فى الطعام أو عدم صلاح النية فى عمله .
وقد روى أبو داود : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ طَعَامِ الْمُتَبَارِئِينَ
أَنْ يُؤْكَلَ » .

والمتباريان : هما المتفاخران بالطعام والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتعاطى شيئا يؤذى
الملائكة الكرام السكاتبين ويقرب منا الشيطان ، وهذا العهد لا يقوم به إلا من نور الله
تعالى قلبه ولطف حمجابه حتى يصير مؤمنا بحضور الملائكة وإن لم يرههم . وقد بالغ أئمة
أفضل الدين رحمه الله فى الأدب مع الملائكة الكرام السكاتبين فكانوا يكلمونه ويكلمهم
لسكن لا يراهم فإنه لا يجمع بين رؤية الملك وسامع كلامه إلا الأنبياء فقط ، أما غيرهم فإن
وقع أنه رأى ملكا لا يكلمه الملك ، وإن كلمه لا يرى شخصه .

وقد كان ثابت البنانى رضى الله عنه يتحادث كثيرا مع الملكين السكاتبين ويسلم عليهم
صباحا ومساء فيقول للملائكة النهار أو ملائكة الليل إذا نزلوا السلام على الملكين السكاتبين
السكاتبين الحافظين اكتبنا :

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ .
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وأشهد
أن الجنة حق . وأن النار حق ، وأن الصراط حق ، وأن الميزان حق :
(وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) .

اللهم إني وهذا اليوم أو هذه الليلة خلقتان من خلقك فلا تبتلني فيه أو فيها إلا بالتي
هي أحسن ، ولا تزين لي فيه أو فيها جراءة على محارمك ولا ارتكابا لمعصيتك ، ولا
استخفافا بحق ما افترضته عليّ ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر كل دابة
أنت آخذ بناصيتها :

(إِنْ رَّبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

اللهم إني أعوذ بك في هذا اليوم من الزيغ والزلل ، ومن البلاء والبلى ، ومن شر شامنة
الأعداء ، ومن الظلم ومن دعوة المظلوم ، ومن شر كتاب قد سبق : اللهم لا تجعل الدنيا
أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا مصيبي في ديني ولا تسلط عليّ بدني من لا يرحمني ، ولا
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ه :

وقد تقدم في الحديث أن الملائكة تتأذى بما يتأذى به بنو آدم ، وما يتأذى منه بنو آدم
رؤيتهم العورات وشمهم للقاذورات فلا ينبغي لمؤمن أن يكشف عورته خاليا حياء من الله
ومن الملائكة .

وقد كان أبو يزيد البسطامي إذا أراد أن يدخل الخلاء يبسط رداءه ويقول للملكين
اجلسا أكرمكم الله حتى أفضى حاجتي .

وكان الإمام البخاري يقلل أكله حتى انتهى إلى الاكتفاء في اليوم بشمرة أو لوزة ،
فقليل له في ذلك فقال حياء من الملكين حتى لا يكثر ترددي إلى الخلاء وبشمون من أجل
الرائحة الكريمة ، وكذلك أدركت سيدي محمد بن عنان وسيدي تاج الدين الذاكر
بفعلان ذلك :

وأخبرني الشيخ عبد الباسط خادم الشيخ تاج الدين أنه قلل الأكل حتى صار يدخل
الخلاء كل أسبوع مرة وجميع وضوئه في الأسبوع لكل صلاة كان تجديدا لاعتن حدث ،
فرحمة الله على أهل الأدب .

وروى أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمْرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » والعمر: هو ريح اللحم وزهوئته .

وروى الترمذى والحاكم مرفوعا : « إِنَّ الشَّيْطَانَ جَسَّاسٌ لِحَاسٍ فَاحْذَرُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ رِيحٌ غَمْرٌ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » .
وفي رواية للطبرانى باسناد حسن : « مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ رِيحٌ فَأَصَابَهُ وَضَحٌ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » والوضح : المراد به هنا البرص .

وروى الديلمى مرفوعا : « لَا تُبَيِّتُوا الْقَمَامَاتِ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّهَا مَبِيتُ الشَّيْطَانِ » .
وفي رواية : « فَلَا تُبَيِّتُوا مِنْدِيلَ الْعُمْرِ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّهُ مَبِيتُ الشَّيْطَانِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نشير على أحد من الناس أن يتولى ولاية في هذا الزمان لقصور نظرنا عن يستحق تلك الولاية ، سواء كان المستشار ظلما أو قاضيا أو ناظرا على وقف ونحو ذلك ، فإن البلاء قد كثر على أهل تلك الوظائف ، فإذا أصابهم بلاء لا يطيقونه يصيرون يدعون على من أشار عليهم بذلك ؛ فعلم أنه ينبغي لسكل من عمل شيئا في هذا الزمان أن يقول لمن يستشير به في ولاية استخر ربك واعمل بما ينشرح به صدرك ؛

واعلم يا أخى أن من الأدب أن لا تشفع قط عند ظالم أن يولى فلانا من تحت يده في الظلم وشفاصتك له عدم الشفاعة ، وإذا كان لا ينبغي لعاقل أن يشفع في أحد أن يتولى القضاء فكيف بالمكاسين ، وستورد لك يا أخى الأحاديث الواردة ؛

وقد حكى لى من أثق به من العلماء المدرسين قال وردت نواحي الغربية فرأيت هناك في طريق سوق البلد قاضيا وعنده أوراق مكتوبة يخوف بها الفلاحين ، فيقول للانسان ما اسمك فيقول فلان بن فلان ، فيقول عندي عليك مسطور لفلان وهؤلاء شهوده ، فإن وجد معه فلوسا أخذها وقطع الورقة وإلا أخذ الحجارة أو الجلدى أو غيرها حتى يصير عنده مراح بهائم ، وأرادوا الانصراف يوما فرأوا يهوديا على حمارته فقال اصبروا حتى نغفل على اليهودى فادعى القاضى على اليهودى بالحجارة أنها لأحد شهوده وصدقه الحاضرون ،

فأخذوها منه ، ثم جاء له شخص وقال له أعط القاضي دينارا يخلص لك حمارك فأعطاه الدينار فجعله القاضي في فمه وصاح بأعلى صوته سکوا هذا الکاب یرطانی علی الشرع ویظهر أنه متورع ، وقد أخذ الدينار منه فجعل اليهودی متاعه علی کتفه وولی وهو یقول بین یدی الله تلتقی الخصوم ووالله إن قاطع الطریق أرحم بالناس من هذا القاضی ، فلا ینبغی أن یتولی أمور الناس إلا من تعین غلبة علیه والله أعلم .

وروی الشیخان مرفوعا : « کُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » الحديث .
وروی أبو داود والترمذی مرفوعا : « مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ أَوْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ ، فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ » .

قال الحافظ عبد العظيم ومعنى ذبح بغير سكين أن الذبح بالسكين يحصل به راحة للذبيحة بتعجيل لزهاق روحها ، فإذا ذبحت بغير سكين كان فيه تعذيب لها ، وقيل إن الذبح لما كان في ظاهر العرف والعادة غالبا بالسكين عدل صلى الله عليه وسلم عن ظاهر العرف والعادة إلى غير ذلك ليعلم أن مراده صلى الله عليه وسلم بهذا القول ما يخاف عليه من هلاك دينه دون هلاك بدنه ذكره الخطابي .

وروی الترمذی وابن ماجه مرفوعا : « الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَبَجَرَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلِ فَهُوَ فِي النَّارِ » .
وفي رواية للترمذی وغيره مرفوعا : « مَنْ كَانَ قَاضِيًا فَقَضَى بِالْعَدْلِ فَبِالْحُرَى أَنْ يَتَقَلَّتْ مِنْهُ كِفَاةً » .

وروی الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِيِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةٌ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَتَّقِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ » .

وفي رواية للامام أحمد وغيره مرفوعا :

« يُدْعَى الْقَاضِي الْقَدْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَمِيْلَتِي مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ » .

وروى الطبراني والبخاري وغيرهما : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ عَنِ الْإِمَارَةِ ، فَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَوْلَاهَا مَلَامَةٌ ، وَثَابِتُهَا نَدَامَةٌ ، وَثَالِثُهَا عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ عَدَلَ ، وَكَيْفَ يَعْدِلُ مَعَ أَقْرَبِيهِ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرًا عَشْرَةَ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعْلُومَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، فَسَكَهُ بِرُءُؤِهِ أَوْ بَقِيَّةِ إِيْمَتِهِ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا جَاوَزَ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْحَرَقَ بِهِ الْجِسْرُ فَهَوَى فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيْفًا » .

وروى ابن ماجه والبخاري مرفوعا : « مَا مِنْ حَاكِمٍ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا جَاوَزَ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْحَرَقَ بِهِ الْجِسْرُ » .

وروى ابن ماجه والبخاري مرفوعا : « مَا مِنْ حَاكِمٍ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَلَكٌ آخِذٌ بِقَفَاهُ ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَإِنْ قَالَ أَلْقِهِ أَلْقَاهُ فِي مَهْوَاةٍ أَرْبَعِينَ خَرِيْفًا » .

قلت قال سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى ولعله لما قال أربعين دون غيرها من الأعداد لأن ذلك في حق من حكم بين الناس أربعين خريفا ولو أنه كان حكم خمسين لقال صلى الله عليه وسلم خمسين كما قال ذلك في حق بعض المتأفقين لما مات وسمعوا هدة عظيمة فقالوا ما هذا فقال صلى الله عليه وسلم :

« حَجَّرْتُ أَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مِنْ مُنْذِ سَبْعِينَ سَنَةً ، فَهُوَ يَهْوَى حَتَّى وَصَلَ قَعْرَهَا » .

وكان ذلك الميت هو أبي بن خلف فحسبوا عمره فوجدوه سبعين سنة ، والله تعالى أعلم :

وروى الإمام أحمد : « أَنَّ حَمْرَةَ عَمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْمَلْنِي عَلَى شَيْءٍ أَعِيشُ بِهِ ، فَقَالَ : يَا عَمُّ نَفْسٌ تُشْحِيهَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ نَفْسٌ تُمَيِّمُهَا ؟ فَقَالَ نَفْسٌ أُحْيِيهَا ، فَقَالَ عَلَيْكَ نَفْسُكَ » .

وروى أبو داود : « أَنَّ الْمِقْدَامَ بْنَ مَعْدِيكَرِبَ قَالَ : ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَنْكَبِيٍّ سُمًّا قَالَ : أَفْلَحْتَ يَا قَدِيمُ إِنْ مِتَّ وَلَمْ تَسْكُنْ أَمِيرًا وَلَا كَاتِبًا وَلَا عَرِيفًا » .

وروى مسلم وغيره : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ ، وَكَانَ قَدْ سَأَلَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ : يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » .

وفي رواية لمسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له :

« يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي ، لَا تَتَأَمَّرَنَّ عَلَيَّ ائْتِنِنِ وَلَا تَلِينَنَّ مَا لَيْتِمِ » .

وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم مرفوعا :

« أَنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ كَانَ يَقُولُ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتَ لَهَا » الحديث .

وروى أبو داود والترمذي مرفوعا : « مَنْ ابْتَغَى الْقَضَاءَ وَسَأَلَ فِيهِ شُفَعَاءَ وَكَلَّ إِلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَكْرَهَ عَلَيْهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكَ يُسَدِّدُهُ » .

وفي رواية للترمذي : « مَنْ سَأَلَ الْقَضَاءَ وَكَلَّ إِلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أُجْبِرَ عَلَيْهِ نَزَلَ عَلَيْهِ مَلَكَ يُسَدِّدُهُ » .

وتقدم عدة أحاديث في باب الزكاة تتعلق بالعمال إذا جاروا فراجعها إن شئت ؛ وكذلك بسطنا الكلام في عهود الولاية في كتاب البحر المورود فراجعها إن شئت والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتمكن أحداً من صحبته من الولاية في هذا الزمان وانقاد لنا أن يشق على رغبته ، أو يجور عليهم أو يغشهم أو يحتجب عنهم ، أو يغلق بابهم دون حاجتهم ، فإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وإذا عدك الوالى فقد قام بحق دين الله ، وإذا جار فقد أخل بحقه ، وهذا العهد خاص فعله بأكابر العلماء والصالحين المتعفين عما بأيدي الظلمة والولاية الذين لهم عند الولاية لابر ولا حسنة ولا جوالى ولا مسموح ولا مرتب على بساط للسلطان ونحو ذلك ، لأن هؤلاء ربما سمع لهم الولاية وأما من يأكل من أموالهم ويقبل صدقاتهم وبرهم ولو بلا سؤال فلسانه أخرس وعينه عمياء وأذناه صماء قهرا عليه لا يقدر على نفسه أن يكلمهم كلمة ، وقد قل العالم والصالح العفيف عن مثل ما ذكرناه وصار هذا النوع في العلماء والصالحين أقل من للقليل وربما هموا أحداً من الولاية أو أمره بمعروف فقام لهم من له عند الولاية علاقة فصار خصما لهم حتى كأن الذى أمر بالمعروف هو الذى فعل المنكر ، ومن شك في قولى هذا فليجرب فإن أهل الشر قد غلبوا على أهل الخير :

(لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) .

وإذا غلب أهل الله عن إقامة الدين فلا لوم عليهم بل أقول إنه لو أراد الأئمة الآن أن يعدلوا في رعاياهم لا يقدرون لعدم استحقاق رعيته الرحمة بهم ، فعلة الظلم والجور مركبة من الرعية والظلمة ، وما بقى يرجى لهم تنفيس حتى يخرج عيسى بن مريم عليه السلام .

وكان آخر كلام سمعناه من سيدى على الخواص قبل موته بثلاثة أيام : قد صار الخلق الآن كالسمك الذى كان في بركة ماء ثم نشف عنه الماء وصار في أرض يابسة ، فالكلاب والحدادى تحفظه وتفسخه في النهار والذئباب والتعالب تفسخه بالليل ، ولا بقى يرجى عود الماء حتى ينغمر فيه السمك الذى هو كناية عن الرحمة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وسمعه قبل ذلك يقول : قد صارت بيوت الحكام الآن جحرة من نار ولا تبقى فيها واسطة خير إنما همتهم البرطيل ولا يقضون حاجة إلا به وعن قريب يصيرون يأخذون البرطيل من الجانبين ولا يقضون لأحد منهما حاجة ثم إن صاحب الحاجة يطلب منهم أن يردوا له ما أعطاه لهم فلا يعطونه وربما دفعه وضربه غلمانهم وأخرجوه اه :
وبلغنا أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال يوماً لأصحابه ما تصنعون بي إذا انعوجت؟ فقالوا نعلو هامتك بالسيف ، فقال بارك الله فيكم هكذا كونوا اه :

فعلم أن من الأدب أن نقول إن العال ما جاروا إلا بحسب جور الرعية على أنفسهم وعلى إخوانهم بالعداوة والبغضاء وعدم قيامهم بواجب الدين فاللوم على الرعية لا على الولاة فلو قدرنا أنه أتانا في مصر نائب من الصالحين وكانت أعمال أهل مصر معوجة فلا تزال أعمالهم تعوجه حتى يصير كالخطاف ، ولو قدرنا أنه أتانا في مصر نائب أعوج وكانت أعمال أهل مصر مستقيمة فلا تزال أعمالهم تقيمه حتى يصير كالمرمح وقد بسطنا الكلام على ذلك في عهود البحر المورود .

وعلم أيضا أنه ما كل عالم ولا صالح يقدر على أمر الولاة بالمعروف ونهيم عن المنكر لاحتياج فاعل ذلك إلى سياسة تامة فيمهد للمنصوح بساطا يشهد فيه ماله من المصالح إن استقام وماله من الفساد إن اعوج ويكون أهل كشفت إذا أخبر ذلك للوالى بحصول أمر له في المستقبل يقع كما قال في ذلك الوقت : وأما إذا لم يكن عنده كشفت ولا اطلاع فلا يسمعون له وآخر أمره بعد العناء والتعب أن يذمعه عن الدخول لهم :
(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الترمذى وغيره مرفوعا : « أَبْقَضُ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَبْعُدُهُمْ عَنْهُ مَجْلِسًا لِإِمَامٍ جَائِرٍ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِمَامٍ جَائِرٍ » .

وروى البزار مرفوعا : « يُجَاهِدُ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتُخَاصِمُهُ الرَّعِيَّةُ فَيَفْلَجُوا عَلَيْهِ فَيَقَالُ لَهُ سُدُّ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ جَهَنَّمَ » .

وقوله فيفلجوا عليه بالجيم : أى يظهروا عليه بالحجة والبرهان ويقهروه حال الخصامة ، وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ إِمَامٍ جَائِرٍ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»
فذكر منهم «الإمام الجائر» .

وروى البزار والبيهقي وغيرهما مرفوعا: «السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ يَأْوِي
إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ فَإِنْ عَدَلَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَكَانَ «وَلَى الرَّعِيَّةِ
الشُّكْرَ وَإِنْ جَارَ أَوْ خَافَ أَوْ ظَلَمَ كَانَ عَلَيْهِ الْوِزْرُ وَوَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ وَإِذَا جَارَتْ
الْوَلَاةُ فَصَطَّتِ السَّمَاءُ وَإِذَا مُنِعَتِ الزَّكَاةُ هَلَكَتِ الْمَوَاشِي» .
وروى الحاكم مرفوعا وقال صحيح على شرط مسلم:

« مَا بَحَسَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤَنَةِ وَجَوْرِ
السُّلْطَانِ ، وَلَا يَحْكُمُ أَمْرَاؤُهُمْ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا سَطَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدْوُهُمْ
فَأَسْتَنْقَدُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا عَطَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ
بِأَسْمِهِمْ بَيْنَهُمْ » .

وروى أبو داود مرفوعا: « مَنْ طَلَبَ قِضَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَنَالَهُ ثُمَّ غَلَبَ عَدْلُهُ
وَلَى جَوْرِهِ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ غَلَبَ جَوْرُهُ عَدْلُهُ فَلَهُ النَّارُ » .

وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وغيرهم مرفوعا:
« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعَ الْقَاضِي مَا لَمْ يَجْرُ فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ » .
وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا: « مَا مِنْ وَاِلَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا لَقِيَ اللَّهُ مَغْلُوبَةً يَمِينُهُ
فَلَهُ عَدْلُهُ أَوْ غَلَبَهُ جَوْرُهُ » .

وروى الطبراني وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما مرفوعا:
« إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ أَعْمَالِ ثَلَاثَةٍ قَالُوا وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : زَلَّةُ
عَالِمٍ وَحُكْمُ جَائِرٍ وَهَوَى مُتَّبِعٍ » .

وروى مسلم والنسائي وأبو عوانة في صحيحه مرفوعا:
« اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ
أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ » .

وروى الطبراني وغيره مرفوعا ورجاله رجال الصحيح :

« مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَاجَتِهِ حَتَّى يَنْظُرَ فِي حَاجَتِهِمْ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَفَشَسَهُمْ فَهُوَ فِي النَّارِ » .

وفي رواية أبي داود مرفوعا : « مَنْ وُلِّاهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَقَفَّرَهُمْ إِلَّا احْتَجَبَ اللَّهُ تَعَالَى دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَقَفَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وكان معاوية يجعل رجلا على حوائج المسلمين إذا احتجب لضرورة :

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن وأبو يعلى مرفوعا :

« مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ الْمِسْكِينِ وَالْمَظْلُومِ وَذَوَى الْحَاجَةِ أَغْلَقَ اللَّهُ عَنْهُ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ دُونَ حَاجَتِهِ وَقَفَّرَهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانقر أحدا من الولاة الذين صحبناهم أن يولى على المسلمين من تحت يده إلا من يراه خيرا بعد أن يجتهد ويبيّنك وسعه في ذلك ، وهذا العهد قلّ من يسمع له من المسكاسين ونحوهم من جباة الظلم ، لأنه يعرف أنه إذا ولى شخصا يخاف على دينه ضيع ذلك المال الذى يجبوونه من تلك الجهة :

وقد سألتى مرة شيخا من أعوان المسكاسين أنى أطيب عليه خاطر كبير المسكس ، فقال أطيب عليه ولكن بشرط التوبة ، قلت وما هى ؟ قال أن لا يفرج على أحد عليه مكس فقلت اخرجنا من عندى فتوبا فى الكنيسة :

فيحتاج العالم أو الصالح الذى يأمر المسكاسين ونحوهم بالمعروف إلى سياسة تامة فى لبن الكلام ، وإلا لم يسمعوا له :

وكان سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يوصى أصحاب هذه الجهات ويأمرهم

بالانخفيف عن الناس جهدهم ، وكان يقول لأصحابه من التجار إذا جاءكم جباة للظلم يطلبون عادتهم بإذن السلطان فأعطوها طاعة للسلطان ، وإلا حصل لكم من الضرر أشد مما يخلتم به عليهم ، وكان يقول للتجار الذين يجيئون من الشام إلى مصر : أعطوا الظلمة عادتهم في غزة وفي قطية ، فإن ذلك غفارة أيسر من المكس في شيء ، فإن السلطان لو تزلزل أمره ما قدر أحد منكم يخرج بتجارة في البرارى من الشام إلى مصر أبدا ، وعلى كلام الشيخ فليس من المكس إلا الذى يؤخذ من قوم جاءوا إلى مصر في ظل سيوفهم من غير حاجة إلى مساعدة السلطان أو الذى يأخذه الختم من السوق وهم آمنون في بيوتهم وحوالياتهم ، هكذا قال رضى الله عنه ، فليتأمل . وكان إذا تولى مكاس يأمره بلبس الجبة والفروة للكباشى فى الشتاء والرضا بالبرغيف ولو كان حافا وركوب الخمار والرضا بجارية تخدمه من غير زوجة ، ويأمره باجتنا بلبس الخمرات والتبسط فى للشهوات ، ونكاح النساء الجميلات ، والسكنى فى القاعات المرخمت ، ويقول له إن أردت تعمل مثل من كان قبلك من المتهورين فى دينهم ، وتتبسط فى المأكول والملبس وغير ذلك ، لم يكفك مال الجهات كلها وهذا كله من باب ظلم دون ظلم فافهم ، وإياك والاعتراض على الشيخ والله يتولى هداك .

وروى الحاكم مرفوعا وقال صحيح الإسناد :

« مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَتِهِ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى اللَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ » .

وفى رواية أخرى للحاكم مرفوعا وقال صحيح الإسناد :

« مَنْ وَلى مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يَدْخُلَ جَهَنَّمَ » .

رواه أحمد باختصار والله تعالى أعلم .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لالعين الراشى والمرشى والساعى بينهما إلا إن كان مختارا وقبل الرشوة لنفسه ، فإن أكره على أخذها غيره فلا ينبغى لنا لعنه ، كما أننا إذا لعناه لا نلعنه إلا بحكم العموم دون الخصوص لجهلنا بعاقبة

أمره ، فقد يتوب الله عليه قبل موته ، وحقيقة الرشوة ما يأخذها القاضي ليحكم بحق أو يمتنع من ظلم وقوله تعالى :

(وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) .

المراد به كفر دون الكفر الذي يخرج به الشخص من دين الإسلام ويحتاج من يريد ينكر على قاض للفحص العظيم عن كونه مختاراً في أخذ الرشوة لغيره أو لنفسه ، وذلك بكثرة مخالطته فلا تكفي الاشاعة بأخذ الرشوة لكثرة تساهل الناس في هذا الزمان في ذمهم للقضاة من غير أن يشاهدوا منهم أخذ الرشوة أو حكمهم بغير الحق ، وربما أشاع الناس عن قاض أنه يأخذ الرشوة قياساً على من رآه أخذها ، ويقولون بعيد عن مثل هذا أن يتورع عن مثل ذلك ، ويأليت شعري من يقسق هؤلاء القضاة كيف يسوغ له أن يطالب بالحقوق التي ثبتت عليهم فلانها غير ثابتة في اعتقاد هذا المنسقطم ففتش يا أخى على من يأخذ الرشوة مختاراً ثم العنة بلعنة الله ولعنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصن لسانك عن التجريح في قضاة الشريعة ، إلا بطريق شرعى تقدر على إثباته ، وإلا يخاف عليك الحبس والضرب ، وإخراج وظائفك عنك تعزيراً لك على تجريح الحكام بغير طريق شرعى . وقد وقع من بعض طلبية العلم أنه طلب منه تزكية بعض قضاة العساكر فأبى وقال هذا رجل فاسق فوشى بذلك بعض الأعداء وشهدوا عليه بأنه مصرح بفسق القاضي في المجالس ، فأخرج عنه جميع وظائفه وصار يسوق عليه السياقات فلا يقبل منها أحداً ، فإن اضطرتت يا أخى إلى تزكية قاض فزكه ، وورث في ألفاظ التزكية حسب طاقتك ، كما يفعله علماءنا الآن والله يتولى هداك .

وروى أبو داود والترمذى مرفوعاً وقال حسن صحيح :

« لَعْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ » .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه مرفوعاً :

« لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الرَّاشِيِّ وَالْمُرْتَشِيَّ » .

وروى الطبرانى والبخارى مرفوعاً : « الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ فِي النَّارِ » .

وروى الإمام أحمد بإسناد فيه نظر مرفوعاً :

« مَا مِنْ قَوْمٍ يَظْهَرُ فِيهِمُ الزُّنَا إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ ، وَمَا مِنْ قَوْمٍ يَظْهَرُ فِيهِمُ

الرِّشَاءُ إِلَّا أُخِذُوا بِالرُّعْبِ » .

وروى الإمام أحمد والبخاري والطبراني : « أَعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِسَ » .

يعنى الماشى بينهما : أى بين الراشئ والمرتشئ :

وروى الطبرانى مرفوعا عن ابن مسعود بإسناد صحيح :

« الْهَرَشُوعَةُ فِي الْحُكْمِ كُفْرٌ وَهِيَ بَيْنَ النَّاسِ سُحْتٌ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون بترك الإنكار على من رأيناه ظلم أخاه من الفقراء وغيرهم ولو بسوء الظن به ، بل ننكر عليه وننصر المظلوم ويحتاج العامل بهذا العهد إلى سياسة تامة ، وإلا نسبه الناس إلى غرض مع ذلك المظلوم فيصير خصما للظالم ؛ ويخرج عن كونه ميزان عدالة بين الخصمين ، فيحتاج الأمر إلى شخص آخر ثالث يصلح بين الظالم والمظلوم ، ثم إذا رأى نفس الظالم نائرة فليضرب عليه حتى تحمد نارها ، وذلك ليصغى إلى وعظه له فإن العبد إذا غضب ركبته نفسه هى وزوجها أبو مرة ، فيصيران راكبين عليه ، فلا يتكلم فيه إلا شيطان .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من علامة ركوب الشيطان لخصمك أن تراه يتكلم بالكلام القبيح الذى ليس من عادته النطق به ، فإذا رأيت ذلك منه فاصبر على جوابه حتى ينزل الشيطان من على ظهره ، فإن أجبتة قيل ذلك ضحك عليك الشيطان حين تظن أن الذى يكلمك هو أخوك :

وسمعتة أيضا يقول : يجب على من يصلح بين الناس إذا رأى نفس المظلوم ثارت ونفس الظالم خمدت أن يتربص ساعة حتى تحمد نار نفسه ، فربما لا يرضيه من الظالم إلا أكثر من حقه ، ومن سلك هذا المسلك مع الخصمين وطواعاه استغنيا عن رواح بيت الوالى .

واعلم أن من أقبح الصفات فى الفقراء خصامهم بين الناس ، وتمزيقهم أعراض بعضهم بعضا ، وإن ادعوا أنهم تحت تربية شيخ كذبرا وشيخهم برىء منهم إلا أن يتوبوا ، وكذلك أقبح من كل قبيح خصام الظالم أو المظلوم لشيخه إذا لم يطارعه على غرضه التماسد ، ومن فعل ذلك مع شيخه مقته الله وطرده عن حضرات الصالحين ، وربما عوقب بتركه التوبة - حتى يموت على أسوأ حال ، وهذا المقت قد عم غالب الفقراء

في هذا الزمان ففتنوا وصاروا أبدانا بلا أرواح ، فالله تعالى يلهمهم التوبة من ذلك بفضلهم
وكرمه إن شاء الله تعالى ، ويصبر شيخهم عليهم وعلى سوء أدبهم معه آمين .

وروى مسلم والترمذى وابن ماجه مرفوعا :

« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ
بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا » الحديث .

وروى مسلم وغيره مرفوعا : « اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « لَا تَظَالُمُوا فَتَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ وَتَسْتَسْقُوا
فَلَا تُسْقُوا وَتَسْتَنْصِرُوا فَلَا تُنصَرُوا » .

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن مرفوعا :

« الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُجْذَلُهُ وَيَقُولُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ
اِثْنَانِ فَتَيَخَّصِمَا وَتَفَرَّقَا إِلَّا بِذَنْبٍ أَحَدُهُمَا أَحَدُهُمَا » .

وروى الشيخان مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ يُمَلِّئِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » .

وروى الشيخان وغيرهما : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمُعَاذٍ « اتَّقِ دَعْوَةَ
الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ ، وَعِزِّي
لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .

وروى الحاكم مرفوعا : « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
شَرَارَةٌ » .

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن مرفوعا :

دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفَجْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ » .

وقال الإمام مالك : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَلَوْ كَانَ
كَافِرًا لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ
لَا يَجِدُ لَهُ نَاصِرًا غَيْرِي » .

وروى أبو داود مرفوعاً : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُذْهَبُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً : « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرْهُ ؟ فَقَالَ حِجْزُهُ أَوْ قَالَ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا ندخل على ظالم إلا للضرورة شرعية بشرط أن نعلم من نفوسنا عدم تصديقه وعدم معاونته على باطل ، وهذا العهد يقع في خيائنه كثير من الناس الذين يقبلون من الظلمة الهدايا ، ويأكلون على سماطهم ، فتدخل رأس أحدهم الجراب ويعوم مع ذلك الظالم ويصدقته على مقاله على ذلك المظلوم ؛ فمن أراد السلامة من تصديقهم أو من سكوته على ذلك ومن معاونتهم فليستعفف عن قبول هداياهم ، والأكل من طعامهم ، وإلا فمن لازمه معاونتهم وتصديقهم .

وقد وقع أن شيخاً من مشايخ العصر دخل على محمد بن بغداد ليشفع عنده في مظلوم فأغلق القول على محمد فصبر عليه حتى فرغ ، ثم قال محمد لأصحابه سرا : ايش قلتم فيمن يلقي عليه الإكسير فينقلب معنا على من جاء يشفع فيه ، فقالوا كيف ؟ فقال : هاتوا لي ورقة ودواة ، فكتب له خمس قناطير عسل وخمسة وعشرين أردب قمح بمحمولة إلى زاويته وأعطى ذلك الوصول للنقيب ، فأعلم به الشيخ فتحول الشيخ في الحال، على ذلك المظلوم ، فصار يقول الحق مع شيخ العرب وأنت مالح الرقبة تنهى إلى الفقراء خلاف الواقع ثم رده من غير قبول شفاعته .

فادخل يا أخى إلى حضرة قبول شفاعتك عند الحكام من باب التعفف إن أردت قبولها أو دوامها وإلا فنب عن الدخول على الظلمة والله يتولى هداك :

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة في النهي عن الدخول على الظلمة لغير ضرورة :

فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح مرفوعاً :

« مَنْ بَدَأَ جَبًا وَمَنْ تَبِعَ الصَّيْدَ غَلَلَ وَمَنْ آتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتِنَ وَمَا أَزْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا أَزْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا » .
وروى نحوه أبو داود والترمذي والنسائي .

وروى الإمام أحمد والبخاري وغيرهما : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ قَالَ وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ ؟ قَالَ أَمْرَاهُ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي لَا يَهْتَدُونَ يَهْدِي وَلَا يَسْتَنْوَنَ يَسْتَنْتِي فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا يَرُدُّونَ عَلَيَّ الْخَوْضَ وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِينَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ » الحديث .
زاد في رواية أخرى للإمام أحمد :

« وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِينَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ » .

وروى الأصبهاني وغيره عن بلال بن الحرث أنه قال : إذا حضرتم عند ذي سلطان فأحسنوا المحضر فلاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« إِنْ أَحَدَكُمْ لَيْتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتِيبُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أَمْرَاهُ يُقْرَبُونَ شِرَارَ النَّاسِ وَيُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِفِهَا فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلَا يَكُونُ عَرِيفًا وَلَا شَرِيطًا وَلَا جَابِيًا وَلَا خَازِنًا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نبادر لمساعدة خصم على خصمه وإعانتة إلا بعد تصبر وتمهل في ذلك ، فربما يكون ظالما وهو يصيح أنه مظلوم :
وقد وآيت بعيني امرأة قبضت على بيض زوجها وسحبته إلى الأرض فصار فوقها وهي تحته وهي تصيح يا مسلمين ارفعوه عنى قتلى ، فصارت الناس يضربونه بالعصى على ظهره ومقلدته حتى أثنوه ، وهو يقول لهم قولوا لها تطلقني وهم لا يبدرون بالحكاية ، فاعرفوا الحكاية حتى كادوا أن يهلكوه ، وهم يظنون أنهم في قرية إلى الله

تعالى بنصرتهم المظلوم على الظالم ، وكذلك لا تبادر قط للشفاعة في إنسان ادعى أنه مظلوم حتى تفحص عن حكايته ، فربما يكون وقع في حد من حدود الله عز وجل ، فتمتع في نهى الشارع عن الشفاعة في الحدود :

وقد جاءني شخص يبكي ويطلب مني الشفاعة فيه عند عامر بن بغداد، فأرسل يقول لي إن هذا زور على كتابا للكاشف وعلمه بعلامتي أنه يقتل فلانا وفلانا اللذين عنده في الحبس؛ ويكبس على البلد الفلانية ويأخذ منها فلانا، وفلانا فقتل هذا يستحق التأديب الشديد، ومن ذلك اليوم وأنا أربص في كل حكاية ولا أشفع إلا بعد تأمل زائد لكثرة إنهاء الخلق لانتقراء خلاف الواقع :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى فراسة تامة وإلا وقع في النهي وهو لا يشعر ، كما يقع في ذلك من كان ساذجا من القراء :

وقد وقع لشيخ الاسلام نور الدين الطراباسي الحنفي رحمه الله أنه ركب الأمير غانم الجمزاي يشفع عنده في شخص كان قد عمل على قتل غانم مرارا فقال غانم للجماعة الفقهاء الحاضرين تدرؤن ما يقول سيدنا شيخ الإسلام؟ قالوا لا : قال : يقول لي أطلق هذا الثعبان الذي كنت خائفا منه سنين حتى يلسعك فتموت لأجلى ، فقال الجماعة كلهم هذا لا ينبغي فرجع شيخ الإسلام بلا قبول شفاعة ، ولو أنه كان حاذقا يعرف أحوال الناس ما شفع في مثل ذلك إلا بطريق يمهدها أولا للمشفوع عنده ثم يشفع على بصيرة من أمر المشفوع فيه والمشفوع عنده ،

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى أبو داود وغيره مرفوعا : « مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَزَلُ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَبْرَحَ ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ سَقَاةُ اللَّهِ رَدَعَهُ أَنْجَبَالَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ » .

والخبال : عصارة أهل النار أو عرقهم كما في رواية مسلم :

وفي رواية للحاكم : « مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَتْ فِي سَخَطِ اللَّهِ

حَتَّى يَنْزِعَ » .

وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه :

« مَثَلُ الَّذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ كَمَثَلِ بَعِيرٍ تَرَدَّى فِي بئرٍ فَهُوَ يَنْزِعُ مِنْهَا بِذَنْبِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْخَلَّاصِ » .

ومعنى الحديث كما قاله الحافظ عبد العظيم أنه قد وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردى في بئر فصار ينزع بذنبه ولا يقدر على الخلاص :

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدِّهِ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ فِي غَضَبِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ شَدَّ غَضَبًا عَلَى مُسْلِمٍ فِي خُصُومَةٍ لَا دِلْمَ لَهُ بِهَا فَقَدْ عَانَدَ اللَّهُ حَقَّهُ وَحَرَّضَ عَلَى سُخْطِهِ وَعَلَيْهِ أَلْمَنَةُ اللَّهِ تَتَابَعُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ يُعِينُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نرضى الحكام وغيرهم بما نعرف أنه يخالف شرع الله عز وجل ، ونحذر إخواننا المترددين إلى الحكام من ذلك أشد التحذير ، وهذا العهد لا يعمل به إلا من زهد فيما في أيدي الولاة ، وأما الراغب فيما بيدهم فبعيد أن يقع منه ما يغيظهم عليه ، وكيف يقدر شخص أن يخالف من ينعم عليه بالمأكل والملبس والذهب والفضة ، هذا يكاد أن يكون خروجا عن الطبع فإن الحكام مشهود له والله تعالى غير مشهود له ، والغالب على من لا يشهد بالعين أو بالقلب عدم المراعاة لمرضاته ، ومن هنا حرم الله تعالى أكل مال اليتيم تحريما مغلظا لسكون اليتيم لا والى له إلا الله تعالى ، وماله والديراعى لأجله ، والله تعالى غير مشهود ، فلذلك أكل غالب الناس مال اليتيم بغير حق ، فافهم وابتعد عن الدخول للحكام مادامت ترجح الذهب على الزبل ، فإن دخلت وأنت كذلك فمن لازمك غالبا أن ترضيهم بما يسخط الله تعالى :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وروى الطبراني عن عائشة رضی الله عنها قالت :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ التَّمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسُخْطِ النَّاسِ كَفَأَهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ ، وَمَنْ التَّمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسُخْطِ اللَّهِ وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ » .

وفي رواية ابن حبان مرفوعا : « مَنْ التَّمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ ، وَمَنْ التَّمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ » .

وروى الحاكم مرفوعا : « مَنْ أَرْضَى سُلْطَانًا بِمَا يُسَخِطُ بِهِ رَبَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وروى البزار وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« مَنْ طَلَبَ تَحَامِدَ النَّاسِ بِمَعَاصِي اللَّهِ عَادَ حَامِدُهُ لَهُ دَائِمًا » .

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ تَحَبَّبَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يُحِبُّونَهُ وَبَارَزَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَى اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا تؤذى أحدا من خلق الله تعالى بضرب أو هجر أو كلام أو نحو ذلك إلا بأمر شرعي ، وقد عدوا الإضرار بالناس من الأمور التي تقارب الكفر ، وأنشدوا في ذلك :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ اللَّهَ ذُو كَرَمٍ وَمَا عَائِلِكَ إِذَا مَا أَذْنَبْتَ مِنْ بَاسٍ
إِلَّا أَنْتَتَيْنِ فَلَا تَقْرَبُهُمَا أَبَدًا الشُّرْكَ بِاللَّهِ وَالْإِضْرَارُ بِالنَّاسِ

وإيضاح ذلك أن حقوق الآدميين مبنية على المشاهدة من أصحابها إذا نوقشوا الحساب يوم القيامة ، ولا يخرج عن حكم هذه المناقشة إلا أفراد من الناس ، والجسم الغفير كلهم يناقشون ويحصى الله تعالى عليهم مثاقيل الذر لعدم مناقشتهم نفوسهم في دار الدنيا ، وتركها هملا كالبهائم السارحة ، بخلاف الأفراد الذين ناقشوا نفوسهم في حقوق الله تعالى وحقوق عباده لا يناقشون في الآخرة لأنهم قضوا ما عليهم في الدنيا ، وإن وقعت مناقشة فلأنها هي في أمور يسيرة خفيت عليهم ففرطوا فيها والله أعلم .

واعلم أن من أشد الناس مناقشة ومشاهدة لخصمه يوم القيامة العلماء الذين لا يعمارون بعلمهم ، فإياك أن تؤذى أحدا منهم ، فإنك لا تقدر على أن ترضيه في الدار الآخرة أبدا لكثرة إفلاسه وفقره من الأعمال الصالحة ، فإن المسامحة معدودة من صدقات العبد والصدقة لا تكون إلا على ظهره ، ومن كان فقيرا شح ضرورة ، ولو أنه أعطى

أحدنا شيئاً تبعته نفسه قهراً عليه ، فإياك وغيبية كل فاسق في دار الدنيا إلا بشرطه بل قال بعضهم في معنى حديث « لا غيبة في فاسق » أي احفظوا لأنكم في حقه ولا تغتابوه فجعل لفظه « لا » ناهية اه :

فإياك يا أخى أن تستغيب فاسقاً أو تؤذيه أو تشق عليه أو تستعمل عبدك ، أو أملاكك في أمر يعجزان عنه ، أو تحمل دابتك فوق طاقتها ، أو تسم شيئاً من الحيوانات بالنار إلا بأمر شرعي ، كوسم إبل الصدقة أو غنمها أو كنى الحيوان لمرض ونحو ذلك ، وقد نصحتك ، ووالله إنى لأعرف من بعض الحساد الذين تمكن فيهم البغضاء والحسد أنه لو عرض عليه بعض أعدائه يوم القيامة بجميع أعماله الصالحة ليأخذوا ثوابها في نظير غيبة واحدة فيه ما رضى بها فكيف حال من لا تحصي غيبته في الناس ، فلا حول ولا قوة إلا بالله للعلى العظيم :

وروى أبو داود وغيره مرفوعاً أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تُنَزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ سَقِيٍّ » .

وروى الحاكم وغيره : « أَنْ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لِأَرْحَمُ الشَّاةِ أَنْ أذْبَحَهَا فَقَالَ لَهُ : إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ » .

يعنى إذا ذبحتها فاذبحها وأنت راحم لها ، وليس المراد أنه يترك ذبحها أصلاً .

وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه مرفوعاً :

« اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمَعْجَمَةِ فَإِنَّ كِبُوهَا صَالِحَةٌ وَأَذْبُوهَا صَالِحَةٌ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً : « أَنْ رَجُلًا دَنَا مِنْ بَيْتٍ فَنَزَلَ وَشَرِبَ مِنْهَا وَظَلَى الْبَيْتِ كَلْبٌ يَلْهَثُ ، فَرَجَعَهُ فَنَزَعَ أَحَدَ خُفَيْهِ فَسَقَاهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » .

وروى مسلم وأبو داود وغيرهما مرفوعاً : « مَنْ ظَلَمَ مَمْلُوكًا لَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّرَتْهُ أَنْ يُعْنِقَهُ » .

وروى الطبراني وغيره مرفوعاً ورواته ثقات :

« مَنْ ضَرَبَ مَمْلُوكًا ظُلْمًا اقْتَصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى البخارى وغيره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ فَضَلَّكُمْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ، فَمَنْ لَا يُلَاغَكُمْ فِي عِوَاهِهِ وَلَا تَعُدُّوا خَلْقَ اللَّهِ » .
وروى أبو يعلى والطبرانى : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا وَصِيْفَةً لَهُ وَهِيَ تَلْعَبُ فَلَمْ يُجِبْهُ وَقَالَتْ لِمَ أَسْمَعُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ لَوْلَا خَشْيَةُ الْقَوَدِ لَا أُوجِمُكَ بِهَذَا السَّوَالِ » .

وفي رواية : « لَأَضْرَبُكَ بِهَذَا السَّوَالِ » .

وروى مسلم وغيره : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى حَجَّارٍ قَدَّ وَبِئْسَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَّمَهُ » .

وروى الطبرانى وغيره : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مداهنة للناس وطلبها لمرضايتهم الفاسدة ، فإن أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أحق بالمراعاة والتقديم ، وهذا العهد لا يقوم بحقه إلا لمن سلك طريق اللقوم على يد شيخ حتى وصل إلى حضرة الله تعالى وشاهد أفعاله وتصاريفه وتيقن أنه ليس بيد مخلوق ضر ولا نفع إلا إن شاء الله .

ومعلوم أن من راعى أمر الله تعالى وقدمه على أمر عباده لا بد أن ينصره الله تعالى على ذلك الظالم الذى يخالف المعروف ويفعل المنكر ، قال الله تعالى :

(وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

فإن أردت العمل بهذا العهد فادخل من بابہ واسلك على يد شيخ كما ذكرنا وإلا فن لازمك مراعاة المخلوقين وتقديم مرضاتهم خوفا من شرهم ورجاء لبرهم :

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وقد مضى الأئمة والعلماء القوامون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأظلمت الدنيا لفقدهم وكانت أنفاسهم تحميمهم من الظلمة حتى يقوموا بالمرتبة حين كان الدين فى زيادة ، فلما أخذ الدين فى النقص فى سنة ثلاث وخسين وسبائة وضعفت قلوب

العلماء ، وعجزت عن إزالة المنكرات لكثرتها وقلة من يساعد عليها الولاة الذين يسمعون للعلماء ، بل نقول : لو أن العلماء الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في الزمان الماضي عاشوا إلى اليوم لكانوا مثلنا في عدم الإنكار ولكن سبقونا بالزمان .
وقد حكى لي شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري شارح الروض والبهجة رضى الله عنه ، أن سفيان الثوري كان يخرج إلى السوق فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فسامت حتى صار يرى المنكر فلا ينكره فقبل له في ذلك ، فقال كان قد انفتح في الإسلام ثلثة فأردنا أن نسدها فانفتح في الإسلام ذروة وانهدمت من أركانه أركان ، ثم صار يقول الدم إلى أن مات من القهر اه .

وبلغنا عن سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي رضى الله عنه أنه كان يعظ السلطان أيوب وولده السلطان الصالح وينهاهما عن المنكر فيقبلان يده ويقولان له جزاك الله عنا خيرا . وبلغه مرة أن غالب الأمراء الأكابر إلى الآن في الرق لم تعتقهم ساداتهم ، فقال كيف يحكم هؤلاء بين الناس ؟ فطاع إلى السلطان وقال كل من لم يأتنا بعتاقته بعناه ووضعنا ثمنه في بيت المال فباع منهم جماعة ونادى عليهم في الديوان ، ثم أعتقهم السلطان فاجتمعوا على قتله وجاءوا بالسلاح ووقفوا على بابه فخرج إليهم فوقع السلاح من أيديهم هيبة منه ، فقال له ابنه الحمد لله الذي لم يقتلوك ، فقال والدك أحقر من أن يقتل في إقامة دين الله تعالى اه .

فانظر حالك يا أخي الآن إذا أمرت قاضيا أو أميرا . وكذلك حكى لي شيخنا شيخ الإسلام زكريا المذكور آنفا ، أنه كان يحط على الولاة في خطبته ، ويتعرض للسلطان قايتباي بأنه ظالم غاش لرعيته ، فتكدر السلطان منه لسكون ذلك على المنبر بحضرة الناس والعسكر والعوام ، ثم قال له لما انقضت الصلاة والله يامولانا إنما وعظتلك في المثلأ مبادرة لنصحك ، ثم مسكت يده أو قالت له والله إنى نخائف على جسمك هذا أن يكون فحما في جهنم اه ، فهل تقدر يا أخي الآن تفعل مثل ذلك مع بعض قضاة السلطان .

وقد كان الشيخ شمس الدين الدمياطي الواعظ بالأزهر يحط على السلطان الغورى على كرسى الوعظ في الجامع الأزهر ، فبلغه ذلك فأرسل وراءه بنية أنه يهطش به ، فطلع له القاعة وقال له السلام عليك أيها السلطان ، فلم يرد الغورى عليه ، فقال رد السلام واجب عليك ومن ترك الواجب فستى ، فرد السلطان السلام ثم قال له قد بلغنا أنك تحط علينا في المجالس من جهة ترك الجهاد وغيره وليس عندنا الآن مراكب ،

فقال عمر لك مراكب أو استأجرها وجاهد، فقام على السلطان الحجة ، ثم قال له يا مولانا للسلطان ماجزاء من نقلك من الكفر إلى الإسلام ، ثم من الرق إل الحرية ، ومن الجندي إلى الأمير ومن الأمير إلى السلطان ، إلا الشكر ، فقال : الحمد لله ، ثم قال له : وعن قريب تموت ، ويزلونك في حفرة ويغرزون أنفك في التراب ، ثم تصير تراباً ثم تبعث ، ثم تحاسب وتدعى عليك جميع رعيتك في مصر والشام وقرهما ، بما أخذته أنت وعمالك منهم ظلماً ، وتصير تحت أسرهم فاصفر وجه الساطان ، وارتعد فسلم الشيخ وخرج ، فلما صحا السلطان قال هاتوا الشيخ فأتوا به ، فقال ما حاجتكم ؟ فقالوا رسم السلطان لك بعشرة آلاف دينار ، فقال الشيخ للسلطان ردها إلى من ظلمتهم فيها ، ولكن إن كان مولانا السلطان يحتاج إلى مال أقرضته فلأني رجل تاجر كثير المال ، فقام له السلطان وشيعه وعظمه .

وكان سيدي إبراهيم المثبولى رضى الله عنه يقول : تغير المنكرات بالقول خاص بالعلماء وباليد خاص بالولاة ، وبالقلب خاص بأولياء الله تعالى ، وعمدة التغيير في كل إنما هو على العلماء العاملين والأئمة المجتهدين رضى الله عنهم أجمعين ، وأما الفقراء فإنما يقع منهم تغيير بقلوبهم في نادر من الزمان وذلك أن يتوجه أجدهم بقلبهم إلى الله تعالى في إزالة ذلك المنكر من ذلك المكان فيزول بقدرة الله عز وجل ، هذه صورة تغييرهم المنكر بقلوبهم ، وأما قوله في الحديث :

« وَذَلِكَ أضعفُ الإيمانِ » .

فلا ينافي ما ذكرناه ، فإن الإيمان يضعف من جهتين إحداهما مذمومة والأخرى محمودة : فأما المذمومة فالمراد بها ضعف اليقين والشك ، وأما المحمودة فالمراد بها رقة الحجاب ، إذ الإيمان لا يكون إلا من خلف حجاب ، فكما ترقى العبد إلى مقام الإحسان الذى هو مقام خضرة الشهود ، وضعف حجاب الإيمان ورق قوى مقام الشهود ، ومن قوى مقام شهوده على مقام إيمانه فليس بمذموم فتأمل ؛ فنسأل الله تعالى أن يلطف بنا وبعلمائنا في هذا الزمان ، ونخرجنا منه على التوحيد إنه سميع قريب مجيب أمين .

وروى الشيخان وغيرهما عن عبادة بن الصامت قال :

« بَأَيِّعَنَّا رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَلَى السَّعْرِ وَالطَّاعَةِ فِي العُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَشْطِ وَالْمَسْكِرَةِ وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَهْبَاءَ كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَأُئِمِّ » .

وروى أبو داود وغيره مرفوعاً : « أَفْضَلُ الْجَمَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ » .

وروى الحاكم مرفوعاً وقال صحيح الإسناد :

« سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ » .

قلت : يعنى ولم يكن فى باك الرجل أنه يقتله ، وإلا فالأمر بالمعروف يسقط عند خوف القتل أو الضرب الشديد أو الحبس الطويل والله أعلم :

وروى مسلم وغيره : « سَيَكُونُ مِنْ أُمَّتِي نَاسٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرَدَلٍ » .

وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّهُكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ نَعَمْ : إِذَا كَثُرَ الْخُبُثُ » .

وروى ابن ماجه بإسناد رجاله ثقات مرفوعاً :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَعْبُدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وَكَذَا ؟ فَيَقُولُ يَا رَبِّ خَشِيتُ النَّاسَ فَيَقُولُ أَنَا أَحَقُّ أَنْ يُخْشَى » .

وروى الأصبهاني مرفوعاً : « إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ لَا يَدْفَعُ رِزْقًا وَلَا يَقَرِّبُ أَجَلًا وَإِنَّ الْأَخْبَارَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَمَّا تَرَ كُؤُومًا بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ ثُمَّ عُمُوا بِالْبَلَاءِ » .

وروى الحاكم مرفوعاً وقال صحيح الإسناد :

« إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ أَنْ تَقُولَ لِلظَّالِمِ يَا ظَالِمُ فَقَدْ تَوَدَّعَ مِنْهُمْ » والأحاديث فى ذلك كثيرة والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نطلق أبصارنا

في عيون الناس ولا نسأل قط عن تحقيق ما سمعناه في حقهم من التهم ، ونحفظ أسماعنا وأبصارنا عن مثل ذلك ، فن شق جيب الناس شقوا جيوبه ، ومن كان عليه دين قديم قضاه لا محالة .

وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول : والله لقد أدركنا أقواما كانت عيوبهم مستورة فبحثوا عن عيوب الناس فأظهر الله عيوبهم ، ورأينا أقواما ليس لهم عيوب فبحثوا عن عيوب الناس فأحدث الله لهم عيوباً ، قال : ولقد عايرت مرة رجلاً يذنب فلحقني ذلك الذنب بعد خمسة عشرة سنة . ووقع أن فقيراً عندنا في الزاوية تجسس ليلة على أخيه لسوء ظنه به فأصبح في بيت الوالى وحصل له ضرب شديد حتى كاد يموت .

فإياك يا أخى والتجسس على عيب أحد فإن هذا العهد قد قل العمل به في غالب الناس ، فلم يزل الواحد منهم يتمجس على معرفة عيوب الناس ونقائصهم ، ثم غاية أمره احتقار الناس وازدراؤهم ومخالفة أمر الشارع صلى الله عليه وسلم في قوله : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ » .

فيحتاج العامل بهذا العهد إلى سلوك الطريق على يد شيخ مرشد ، حتى يصير يحترم الوجود كاملاً ويعظمه لكونه من شعائر الله كل شيء بما يناسبه على الوجه الشرعى ، وأيضاً فإنه صنعة الله تعالى وصنعتة كلها حسنة ، والقبیح إنما هو عارض عرض من حيث الصفات لا الذوات وجميع ما أمرنا الله بمعاداته إنما هو من حيث الصفات ، فلو أسلم اليهودى وحسن إسلامه أمرنا بمحبته ، فما زالت منه إلا صفة الكفر وذاته لم تتغيره .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من إكرام الله وإكرام رسوله صلى الله عليه وسلم إكرام جميع المسلمين :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الترمذى وابن حبان في صحيحه :

« أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَزِدُّوهُمْ وَلَا تَدْبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ » .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَطْلُبُوا عَثَرَاتِهِمْ » .

زاد في رواية لأبي داود : « وَلَا تَفْتَابُواهُمْ » .

وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ تُفْسِدُهُمْ » .

وفي رواية لأبي داود مرفوعا : « إِنْ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرَّيْبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ »

والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نغتر بإهناك الحق تعالى وحلمه علينا إذا وقعنا في شيء من معاصيه سرا أو جهرا ، تعظيما لأمر الله عز وجل ومحك الصديق في تعظيم الله عز وجل أن نتأثر ونندم إذا وقعنا في المعصية سرا ، مثل ما نتأثر ونندم إذا وقعنا فيها جهرا أو شاعت عنا بين الخاص والعام ، ومتى زاد قبح المعصية الواقعة جهرا على وقوعنا فيها سرا فنحن لم نبلغ في تعظيم حرمات الله حدها المشروع لنا ، من أنه تعالى أحق أن يستحي منه .

واعلم يا أخي أن كل من احتجب حال عصبائه عن غيره فليس بمحسن في سيره ، بل هو إلى المقت أقرب ، لكن من رحمة الله تعالى بنا حصول الندم منا إذا وقعنا في المعصية مع علمنا بأن جميع ما قدره الله تعالى علينا كأئن لا محالة ، مع أن المقدر لا يقع إلا مع حجاب عن شهود أن الحق تعالى يرى ذلك العاصي ، ولا يمكن أن العبد يعصى على الكسوف والشهود بأن الحق تعالى يراه أبدا ، ولو قدر أنه شهد ذلك فلا بد أن يشهد الحق تعالى غير راض عنه في تلك المعصية .

ولا تصل يا أخي إلى حضرة الاستيحاء من الله تعالى إلا إن ساءت على يد شيخ صادق وأدخلك لحضرة الإحسان التي فيها يعبد العبد ربه كأنه يراه ، ثم إنك يا أخي تسنهج بهذا الشهود على الدوام حتى في حال جماعك ، وما دمت لم تدخل حضرة الإحسان فأنت في حضرة إبليس ، فلا تستبعد يا أخي وقوعك في أكبر المعاصي فضلا عن صغارها ، ومن هنا عصمت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لعكوف قلوبهم على الدوام في حضرة الإحسان ، فلم يتصور منهم ذنب ولو صغيرا ، وجميع ما وقع من بعض الأنبياء

إنما هو صورة ذنب وليس هو ذنب حقيقة ؛ وإنما هو مباح ليعلم قومه كيف يفعلون إذا وقعوا في الذنوب وكيف يتوبون ، بل قال بعضهم : إن النبي يثاب على فعل المباح والمكروه ثواب الواجب من حيث تبيينه الجواز لذلك الأمر في الجملة اه ، ومن قال في الأنبياء خلاف ذلك فعليه الخروج من ذلك بين يدي الله عز وجل .

فاسلك يا أخى على يدشيخ إن أردت عدم الوقوع في انتهاك الحرمات إما التحفظ من الوقوع وإما التعرف كيف التنصل من ذلك الذنب والله يتولى هداك :

وقد روى البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أَنَا آخِذٌ بِحُجْرَتِكُمْ أَقُولُ إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلِذَا أَنَا مِتُّ تَرَكَتُكُمْ وَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْخَوْضِ فَمَنْ وَرَدَ أَفْلَحَ » الحديث .

وروى الشيخان مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ » .

وروى ابن ماجه قال ورواه ثقات مرفوعا :

« لَأَعْلَنَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضَاءٍ فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى هَبَاءً مَنْثُورًا ، قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا لَنَا ، لَأَنْكُونُ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ ؟ قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خُلُوا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا » .

وروى البزار والبيهقي مرفوعا : « الطَّابِعُ مُعَلِّقَةٌ بِقَائِمَةِ عَرْشِ اللَّهِ ، فَإِذَا انْتَهَكَتِ الْحُرْمَةَ وَحَمَلَ بِالْمَعَاصِي وَاجْتَرَى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعَثَ اللَّهُ الطَّابِعَ فَيَطْبَعُ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يَعْقِلُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا » .

وروى ابن ماجه والبيهقي مرفوعا : « اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَسْكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا ندهن في ترك إقامة الحدود ، بل نقيمها على كل من قدرنا عليه من شريف ودين ، تقديما لمرضاة الله عز

وجعل على مرضاتنا ، وهذا العهد لا يعمل به خالصا إلا من سلك الطريق على يد شيخ ناصح ، ومن لم يسلك فن لازمه الإخلال به وإقامته لعلة نفسانية . وأما حديث :

« تَجَافُوا عَنْ ذَنْبِ السَّخِيِّ فَإِنَّ اللَّهَ أَخَذَ بِيَدِهِ كُلَّمَا عَتَرَ . »

فالمراد به الذنب الذي لا حد فيه أو قبل أن يبلغ الحاكم :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما : « إِنَّمَا أَهْلَكَ الدِّينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحُدَّ وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بَدَتْ مُحَمَّدٌ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » والله أعلم .

قلت : ويلحق بالحدود في ذلك الضرب للتأديب من وصى أو ولي أو قيم أو فقيه يؤدب الأطفال ، فلا ينبغي مراعاة الولد في ترك التأديب بالسوط ونحوه ، ولا ينبغي أن تأديب الطفل بالضرب لا يكون إلا بعد عدم سماعه الكلام ، كما أن الكلام لا يكون إلا بعد عدم سماعه بالإشارة فالضرب ثالث مرتبة :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نصحب من يشرب مسكرا كالخمر والنبذ والبوطة والحشيش أو يبيع ذلك أو يشتره أو يعصره ، أو يحمله أو يأكل ثمنه ، وذلك هروبا من صحبة من لعنه الله تعالى أو لعنه الأئمة رضى الله عنهم إيثارا لجناب الله عز وجل ، اللهم إلا أن تكون صحبتهم نقصد بها تمهيد بساط التوبة لهم فهذا متعين كما عليه الدعاء إلى الله تعالى فإنهم لا يبعدون عن استقيم ولا أعوج ، فإن المستقيم لا يجوز هجره والأعوج محتاج إلى من يقوم عوجه :

وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام حين أنفت نفسه من مخالطة عصاة بني إسرائيل إيثارا لجناب الله عز وجل :

« يَا دَاوُدَ الْمُسْتَقِيمُ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْكَ وَالْأَعْوَجُ قَدْ أَنْفَتَ نَفْسَكَ عَنْ مُحَاظَتِيهِ وَتَقْوِيمِ عَوْجِهِ فِيمَاذَا أُرْسِلْتَ . »

فتلبي داود عليه الصلاة والسلام لسر حكمة إرساله ، وصار يجالس العصاة ليلا ونهارا ويسارقهم بالمواظ ، وقد أغفل هذا الأمر خلق كثير من طلبية العلم فبعدوا عن مخالطة

المعوجين من الظلمة فحرموا بركة هدايتهم ، ولو أنهم قربوا منهم مع العفة عما بأيديهم من الدنيا وسارقوهم بالمواظ لربما أثرت فيهم مواظهم :
وقد كتبت يهوديا مرة من عمال المسكس بكلام ابن فأسلم :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَا يَزْنِي الرَّأْيِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » .

زاد في رواية أبي داود ولسكن التوبة معروضة بعد ، إذ من عقل العاقل أن لا يصحب من لعنه للشارع أو الأئمة خوفا أن يلحقه من اللعن جزء ، وسيأتى بيان المراد برفع الإيمان من أصحاب هذه الصفات في العهد بعده :

وروى أبو داود وابن ماجه والترمذى مرفوعا :

« لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَبَائِعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ » .

وزاد في رواية للترمذى : « وَأَكِلَ تَمْنِيهَا » .

وروى أبو داود مرفوعا : « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ قَالَهَا ثَلَاثًا ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ فَبَاعُوهَا فَأَكَلُوهَا أَعْمَاهَا إِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ شَيْءًا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ تَمْنَهُ » .

وروى الترمذى مرفوعا : « إِذَا قَعَلْتُ أُمَّتِي خَمْسَةَ عَشَرَ خَصَلَةً نَزَلَ بِهَا الْبَلَاءُ قِيلَ وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِذَا كَانَ الْمَغْنَمُ دُولًا وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ الْوَالِدُ أُمَّهُ وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَجَفَأَ أَقْرَبَهُ وَإِنْ تَفَعَّتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْدَلْتُمْ وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ خِيفَةَ شَرِّهِ وَشَرِبَتْ الْخَمْرُ وَلَيْسَ الْحَرِيرُ وَالْمَخِيطَاتُ الْمَغْنِيَّاتُ وَالْمَعَارِفُ وَلَمَنْ آخَرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا فَلْيَدْرَبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرًا أَوْ خَسْفًا وَمَسْحًا » .

وروى الحاكم مرفوعاً: « مَنْ رَزَى أَوْ شَرِبَ الْخَمْرَ نَزَعَ اللَّهُ مِنْهُ الْإِيمَانَ كَمَا يَخْلَعُ الْإِنْسَانُ الْقَمِيصَ مِنْ رَأْسِهِ ». .

وروى الامام أحمد مرفوعاً: « مُذْمِنُ الْخَمْرِ كَمَا يَدِ وَثْنٍ ». .

وروى البيهقي: « إِذَا اسْتَحَلَّتْ أُمَّتِي خَسًا فَعَلَيْهِمُ الدَّمَارُ إِذَا ظَهَرَ التَّلَاعُنَ وَشَرِبَتْ الْخَمْرُ وَلُبِسَ الْخُرَيْرُ وَأُتْخِذَتِ الْقَيْنَاتُ وَاسْتَفْتِيَ الرَّجَالُ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ ». .
والأحاديث في ذلك كثيرة والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لاتعاطى من شهوات الأكل والشرب إلا بقدر الحاجة خوفاً من انتشار جوارحنا لفعل المعاصي ، لاسيما الفرج لاسيما بحليلة الجار ومن غاب زوجها ، من حيث أن الله تعالى هو خليفة الغائب في أهله وهو الحارس لهم ، فن تعرض لهم بسوء كان خصمه الله ومن كان خصمه الله أكبه في النار على وجهه ومقته وأزال عنه النعم كما هو مشاهد في الزناة ، ومن شك فليجرب ، وهذا العهد قد كثرت خيافته من كثير من الناس حتى وقع أن جماعة من أكابر الناس اجتمعوا في مجلس فقال شخص منهم من سلم منكم من الزنا فليحلف لنا بالله تعالى أنه ما زنى فأتجزأ أحد منهم على الحلف ، واعترفوا جميعاً بأنهم وقعوا في ذلك في شبابهم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأصل ذلك كله تعاطى ما يثير الشهوة مع تقدير الله عز وجل :

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يروض نفسه على يديه شيئاً فشيئاً حتى يترك الشهوات المسكروهة كلها ويصير أكثر أوقاته مراقباً لله عز وجل ومشاهداً لأهل حضرته من الأنبياء والأولياء والملائكة ، وهناك يسرق من طباعهم الحسنة ، وأما من أبكل الشهوات وخالط أهل الغفلة المطرودين عن حضرة الله تعالى وطلب السلامة من الزنا فقد رام المحال ، وقد فسد جماعة من كثرة أكل الشهوات وخلطة من لا يصلح من أولاد مصر وكسبوا بالوالى وخسروا الدنيا والآخرة .

فإياك يا أخى من الشيع ولو كنت شيخاً ، فإنه لولا أن الشيخ يقع في الزنا ما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الشَّيْخَ الرَّائِي » .

فلولا وجوده لما وجد لغضب الحق نفاذ .

واعلم يا أخى أننا لانعلم ذنبا ينشأ من أكل الشهوات بعد الكفر والقتل أوجب من الزنا
فإن الله تعالى قال فيه :

(إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا) .

فسأل الله تعالى من فضله أن يحفظنا منه وإخواننا وجميع العارفين آمين :

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ » الحديث .
قلت : معناه أنه لا يزني وهو مؤمن بأن الله يراه إذ لو كان يؤمن بذلك حال الزنا
ما زنى فلا بد من حجاب للزاني عن شهود إيمانه بأن الله يراه حتى يقع ، وليس المراد نفي
إيمانه بالله وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ونحو ذلك فافهم والله تعالى أعلم ۝

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا يَأْخُذِي ثَلَاثُ الثَّيِّبِ الزَّانِي وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكِ لِديْنِهِ
المُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ » .

وروى الطبراني بإسناد صحيح مرفوعا : « يَا بَغَايَا القَرَبِ أَخُوفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ
الزَّانَا وَالشَّهْوَةَ اتَّخَفِيَةٌ » .

يعنى الرياء فى العبادات كما صرح به الحديث :

وروى الطبراني مرفوعا بإسناد فيه نظر : « الزَّانَاةُ تَشْتَعِلُ فُؤُوجَهُمْ نَارًا » .

وروى البيهقي مرفوعا : « الزَّانَا يُورِثُ الفَقْرَ » .

يعنى به الفقر الذى استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝

وروى مسلم والنسائي والطبراني وغيرهم مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ

أليمٌ شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ » الحديث .

وروى الطبراني مرفوعا : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى الشَّيْخِ الزَّانِي

وَالْمَعْبُورِ الزَّانِيَةِ » .

وفى رواية له أيضا : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى الأَشْمَطِ الزَّانِي » .

الأشمت : من اختلط شعر رأسه الأسود بأبيض .

وروى الإمام أحمد مرفوعاً : « لَا تَزَالُ أُمَّتِي يَخْبِرُ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمُ الزُّنَا فَاِذَا فَشَا فِيهِمُ الزُّنَا فَأَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ » .

وروى البزار مرفوعاً : « إِذَا ظَهَرَ الزُّنَا ظَهَرَ الْقُرُ وَالْمُسْكَنَةُ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً : « مِنْ أَعْظَمِ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ » .

وروى الإمام أحمد والطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه :

« لِأَنَّ يَزْنَى الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ أَيْسَرَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنَى بِأَمْرَأَةٍ جَارِهِ » .

وروى الطبراني مرفوعاً : « مَنْ قَعَدَ عَلَى فِرَاشٍ مَغْيِبَةٍ قَبِضَ اللَّهُ لَهُ ثُعْبَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

والمغيبة : هى التى غاب زوجها عنها والله تعالى أعلم ٥

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نحذر مما حذرنا الله تعالى منه ولو كنا على قدم صالحى زماننا ، فلا نستبعد وقوعنا فى أعظم الكبائر كاللواط فى آدمى أو بهيمة أو شرب بوظة أو أكل حشيش أو نحو ذلك ، فإن طينة الآدمية واحدة والجائز وقوعه من أفسق الفاسقين جائز وقوعه من أصالح الصالحين ، وما خرج عن هذه الطينة سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لعصمتهم وبعض الكمل لحفظهم ، وهذا العهد يقع فى خيائنه كثير من الفقراء فيظنون بأنفسهم الحفظ وأن مثلهم لا يقع فى مثل ما ذكرناه ، فما يمضى عليهم زمان إلا وقد وقعوا فيما حذرهم الله منه فالعاقل من خاف بما خوفه الله منه والسلام .

وقد روى ابن ماجه والترمذى والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً :

« إِنْ أَخُوْفَ مَا أَخُوْفُ كَلَى أُمَّتِي مِنْ عَمَلِ قَوْمٍ لُوْطٍ » .

وروى ابن ماجه والبزار والحاكم والبيهقى مرفوعاً :

« مَا نَقَضَ قَوْمٌ التَّهْدَى إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ وَلَا ظَهَرَ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا

سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ » .

وفى رواية لابن ماجه مرفوعاً : « لَمْ تَظْهَرَ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُبْلِنُوا بِهَا

إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَابِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا .
وروى الطبراني مرفوعا : « إِذَا كَثُرَتِ اللُّوطِيَّةُ رَفَعَ اللهُ يَدَهُ عَنِ الْخَلْقِ فَلَا يُبَالِي
فِي أَيِّ وَادٍ هَلَكُوا » .

وروى الطبراني أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ
قَوْمِ لُوطٍ وَرَدَّهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ لَعَنَ مَنْ آتَى شَيْئًا مِنَ الْبَهَائِمِ مَرَّةً وَاحِدَةً » .
وروى الطبراني والبيهقي مرفوعا : « أَرْبَعَةٌ يُصْبِحُونَ فِي غَضَبِ اللهِ وَيُمْسُونَ
فِي سَخَطِ اللهِ ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ الَّذِي يَأْتِي الْبَهِيمَةَ وَالَّذِي يَأْتِي الرِّجَالَ » .
وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي مرفوعا :

« مَنْ وَجَدَ تَمَوْهُ سِعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ فَأَقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ » .

وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي بإسناد جيد : أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ
أَنَّهُ وَجَدَ رَجُلًا فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْعَرَبِ يَنْكَحُ كَمَا تَنْكَحُ الْمَرْأَةُ ، فَجَمَعَ لِدَلَاكِ أَبُو بَكْرٍ
أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ عَلِيُّ :
لِإِنَّ هَذَا ذَنْبٌ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أُمَّةٌ إِلَّا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ففعل الله بهم ما قد علمتم ، أرى أن تحرقوه
بالنار ، فاجتمع رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحرق بالنار فأمر به
أبو بكر أن يحرق بالنار .

وروى الطبراني مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ :
الرَّاكِبُ وَالْمَرْكُوبُ وَالرَّاكِبَةُ وَالْمَرْكُوبَةُ وَالْإِمَامُ الْجَائِرُ » .

وروى الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« لَا يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلٍ آتَى رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا » .

وروى أحمد والبخاري ورجلها رجال الصحيح .

« هِيَ اللُّوطِيَّةُ الصُّغْرَى » يعني الرجل يأتي امرأته في دبرها .

وروى ابن ماجه وغيره :

« إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْخَلْقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ »

وروي الطبراني مرفوعا ورواه ثقات: «لَعَنَ اللَّهُ الَّذِينَ يَأْتُونَ النَّسَاءَ فِي حَمَاهِنَ» .
وفي رواية: « فِي أَسْتَاهِنَ » .

قال الحافظ عبد العظيم: وحرق اللوطية أربعة من الصحابة: أبو بكر وعلي وعبد الله ابن الزبير وهشام بن عبد الملك ، وتحقيق هذه المسئلة من حيث كيفية الحد فيها مقرر في كتب الفقه والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نشمت قط بقتل عدو من المسلمين لا سيما إن قتل بغير حق ، وهذا العهد يقع في خيانتته كثير من الناس ، فيفرحون إذا قتل عدوهم من المسلمين ، ومن وقع له ذلك لا يهد أن يقع في مثل ذلك ويشمت فيه الناس كذلك ، وقد جرب أنه ما سعى أحد في قتل عدو وإلا وألتي الله تعالى عليه الغم والحلم ؛ حتى أنه لا يتنى بعده بأكل ولا نوم حتى يموت بعده بقليل ، ولولا أن الغم ملازم للقاتل ما قال تعالى ممثنا على موسى عليه الصلاة والسلام :

(وَوَقَلْتِ نَفْسًا فَتَجَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) .

مع أن تلك النفس التي قتلها موسى كانت كافرة: أي نجيناك من الغم الذي جعلناه على كل قاتل .
وقدر أينا جماعة من ملوك الجراكسة سعوا في قتل عدوهم فقتلوا كلهم بعده بقليل ؛
فإياك يا أخي أن تسعى في قتل نفس أو تشمت في قتلها ؛

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروي الترمذي وقال حسن غريب مرفوعا :

« لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « مَنْ عَيَّرَ أَحَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ » .

قال الإمام أحمد قالوا : من ذنب قد تاب منه :

وروي الشيخان وغيرهما مرفوعا : « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ النُّيَامَةِ

فِي الدَّمَاءِ » .

وروي الشيخان وغيرهما مرفوعا أيضا : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ ، فَذَكَرَ مِنْهَا:

قَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ » والموبقات: هي المهلكات .

وروى البخارى والحاكم مرفوعا : « لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِيبَ دَمًا حَرَامًا » .

وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول : من ورطت الأمور التي لا تخرج له أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله .

وروى ابن ماجه بإسناد حسن ولترمذى والبيهقى وغيرهم مرفوعا :

« لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ » .

زاد البيهقى : « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَدْخَلَهُمُ اللَّهُ بِقَتْلِهِ النَّارَ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَافَ بِالسَّكْبَةِ فَقَالَ : مَا أَطْيَبَ وَأَطْيَبَ رِيحِكِ ! مَا أَعْظَمَكَ وَمَا أَعْظَمَ حُرْمَتَكَ ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدَيْهِ لِحُرْمَةِ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ مِنْ حُرْمَتِكَ مَالِهِ وَدَمِهِ » .

وروى ابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنِ رِيحَ الْجَنَّةِ لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ » .

والأحاديث فى ذلك كثيرة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نحضر قتل إنسان أو ضربه أو معاقبته ظلما ولو كنا غير راضين هروبا من السؤال عنه يوم القيامة ، وهذا العهد يتعين العمل به على حملة القرآن ونحوهم من المؤمنين ، فلا ينبغى لأحد منهم أن يحضر مع الأطفال مواطني الظلم أو يخرج من بيته حتى ينظر من شئقه الولاية أو شنسكلوه أو خوزقوه أو وسطوه ، أو خزموه فى أنفه أو سمروا أذنيه فى حائط أو جرسوه على ثور أو شحططوه فى أذناب الخيل ، أو ضربوه فى قطع الخليج أو عدم نقده الفلوس الجدد التى تدخل عليه ونحو ذلك ، فربما يكون أرباب هذه الأمور مظلومين فيؤاخذ بهم لم نصرتهم ، ولو أننا لم نحضرهم ربما لا نؤاخذ على ذلك .

وقد أخبرنى سيدى على الخواص قال : رأيت الشيخ عز الدين المظلوم المدفون فى كوم

الريش بين مصر ومنية الأمير وهو نخشب هو وجماعته على جمال وهو يضحك ، فقلت له يش هذا الحال ؟ فقال ما أراد أن تقدم عليه إلا هكذا ، قال وكان أصل هذه الواقعة أن للشيخ عز الدين قال لجماعته في أيام الغلاء يا فقراء رأيت أنه ينزل علينا بلاء ، فمن أحب أن يشاركنا فيه فليقعده ، ومن أحب أن يهرب فليهرب ، فقال بعض الفقراء كأن للشيخ استئقل بأكلنا في هذا الغلاء فبعد أيام قلائل ضربت المناسر مصر وكان الشيخ عز الدين وجماعته يسهرون الليل في العبادة وينامون بالنهار في الزاوية في كوم الريش ، فجاء إنسان إلى السلطان وقال له قد عثرنا على المنسر الذى يدق المدينة ، فأرسل الوالى فقبض على الشيخ وجماعته وكانوا أربعين رجلا ، فأمر السلطان الوالى بتوسطهم فوسطهم في الكوم ، فبينما الفقراء بالليل وإذا بكلب يأكل من الوسطين ، فزحف الشيخ وأخذ جريدة وطرد الكلب عن جماعته ، فأخبر الوالى بذلك فجاء يعنف الشيخ ، فقال له الشيخ أنت وسطتنا بسيف السلطان ونحن نوسطك بسيف القدرة ، فأشار بالجريدة فوسط الوالى فهم الآن كلهم مدفونون في الكوم الشيخ والوالى والفقراء رضى الله عنهم .

وروى الإمام أحمد والطبرانى مرفوعا : « لَا يَشْهَدُ أَحَدُكُمْ قَتِيلًا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ مَطْلُومًا فَيَصِيدُهُ السَّخَطُ » .

وروى الطبرانى والبيهقى مرفوعا : « لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْفِقًا يُقْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ وَلَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْفِقًا يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ » .

قلت وخرج بقوله ظلما من قتل بسيف الشرع أو جلد في زنا لقوله تعالى :

(وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) والله تعالى أعلم .

وروى الطبرانى مرفوعا باسناد حسن : « مَنْ جَرَدَ ظَهْرَ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِقَى اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « ظَهْرُ الْمُؤْمِنِ حِمِّيٌّ إِلَّا بِحَقِّهِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بارتكاب
شئ من صغائر الذنوب فضلا عن كبائرها ، ولا بارتكاب شئ من مكروهاتها حتى
خلاف الأولى منها ، ولا نصر على ذنب بل نتوب منه على الفور ، وذلك لأن ارتكاب
المعاصي وما قاربها مع الاصرار يظلم به القلب حتى يصير لا يحن إلى فعل شئ فيه خير ،
وتتفاوت الناس في مقدار ظلمة القلب بحسب مقاماتهم ، وربما أن بعض الناس لا يحس
بظلمة القلب إلا عند ارتكاب الكبائر دون الصغائر ، وربما إن بعضهم لا يحس بظلمة
القلب إلا عند ارتكاب الصغائر دون المكروهات ، وربما أن بعضهم لا يحس بظلمة القلب
إلا عند ارتكاب المكروهات دون خلاف الأولى ، ولكل مقام رجال ، فكلما صفا
القلب كلما ظهر فيه الظلمة وأدركها بصر صاحبها كالخبر على الورق ، وكلما تكدر القلب
خفي فيه الظلمة ولم يدركها بصر صاحبها كالخبر على الفحم :

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح يسد عليه جميع
الخارسات التي يدخل منها الشيطان ويشغله بالطاعات المتوالية حتى تراكم عليه الأنوار ،
ويخلص من سائر الذنوب ، ويدخل حضرة الإحسان ، فهناك لا يتهاون بذنب ولو خلاف
الأولى فضلا عن المكروهات فضلا عن الصغائر فضلا عن الكبائر ، فإن أهل كل
حضرة يساعدون بعضهم بعضا بمشاهدة بعضهم أحوال بعض ، ومن هنا شرطوا في إتمام
التوبة هجر إخوان السوء لئلا يزلزوا توبته بمشاهدته لمعاصيهم ، وأمروا التائب أن يخاطب
أهل الطاعات ليشهد طاعاتهم وينقل نفسه من المعاصي ، والطباع تسرق من الجليس الأفعال
التي يشاهدها منه من خير وشر ولو على طول ، فينتقل جميع ما في ذلك الجليس لك
يا أخى ، فالعاقل من أتى البيوت من أبوابها .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وقد روى الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه مرفوعا :

« إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نَسِئَتْ فِي قَلْبِهِ نَسِئَةً سَوْدَاءَ ، فَإِنْ هُوَ
نَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ صُمَّتْ فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَمَلُّ قَلْبَهُ فَمَوَّ الرِّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ
تَعَالَى بِقَوْلِهِ : - كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ - » .

والنسيئة : هى نقطة تشبه الوسخ فى المرآة .

وروى الإمام أحمد والطبراني والبيهقي مرفوعا :

« يَا أَيُّكُمْ وَنُحُفَرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى تَهْلِكَهُ كَمَا كُنْتُمْ قَوْمٌ
نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ فَيَجْعَلُ الرَّجُلُ يُنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْمُودِ وَالرَّجُلُ
يَأْتِي بِالْمُودِ حَتَّى يَجْمَعُوا سَوَادًا وَأَجْبُوا نَارًا وَأَنْضَجُوا مَا قُدِفَ فِيهَا » .

وروى النسائي بإسناد صحيح وابن حبان في صحيحه وغيرهما مرفوعا :

« إِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْرُمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ » .

وروى الطبراني عن ابن مسعود : « إِنَّ لِي لِأَحْسِبُ الرَّجُلَ يَنْسِي الْعِلْمَ كَمَا تَمَلَّهُ
لِلْخَطِيئَةِ يَمَلُّهَا » .

وروى البخاري وغيره عن أنس رضى الله عنه قال : إنكم لتعملون أعمالا هي أدق
في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات ، يعنى
المهلكات .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« لَوْ أَنَّ اللَّهَ يُؤَاخِذُنِي وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ بِذُنُوبِنَا لَعَذَّبَنَا وَلَا يَظْلِمُنَا شَيْئًا وَأَشَارَ
بِالسَّبَابَةِ وَالَّتِي تَلِيهَا » .

وفي رواية : « لَوْ يُؤَاخِذُنِي اللَّهُ وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ بِمَا جَعَتِ هَاتَانِ يَعْزِي الْإِيهَامَ
وَالَّتِي تَلِيهَا لَعَذَّبَنَا اللَّهُ ثُمَّ لَمْ يَظْلِمْنَا شَيْئًا » .

وروى الإمام أحمد والبيهقي مرفوعا : « لَوْ غَفَرَ لَكُمْ مَا تَأْتُونَ إِلَى الْبَهَائِمِ لَغَفَرَ
لَكُمْ كَثِيرًا » .

وفي رواية أنه من كلام أبي الدرداء .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد أن عبد الله بن مسعود قرأ :

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرٍهَا مِنْ ذَنْبَةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) .

ثم قال : « كاد الجمل يعذب في جحره بذنب ابن آدم » والجمل بضم الجيم وفتح العين
دويبة تكاد تشبه الخنفساء تدحرج الروث بأنفها والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بمخالفة
أغراض والدينا ولو مباحة ، فنفعلها لهما لأنها واجبة أو مندوبة وتجتنب كل ما يكرهونه
كأنه حرام أو مكروه ، وذلك أن الشارع صلى الله عليه وسلم لم يذكر للعقوق ضابطا يرجع
إليه ، وإنما ذكر لنا لا نخالفهم فيما يطلبونه منا .

ويحتاج العامل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق حتى يعرفه مقام الوالدين
عند الله تعالى .

وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لا يأكل مع والدته قط في إناء واحد خوفا
أن يسبق بصرها إلى لحمه أو رطوبة أو زبيبة أو عنبية أو تينة فيأكلها وهو لا يشعر .

واعلم يا أخى أنه لا فرق في النهى عن مخالفة الوالدين والد للجسم أو والد القلب ، بل
مخالفة والد القلب أشد لأنه ينقذه من النار أو مما يقرب من النار ، وأما والد الجسم فإنما
كان سببا في إيجاده في أسفل المراتب ، فكأنه أوجده كالطينة أو كالحديد المصدأة فلم يزل
والد القلب يلطفه حتى صار كالبلور الأبيض أو كالذهب المصفى ، وأيضا قالوا أبو الجسم
كان سببا لمجاورته للحيوانات والبهائم ، وأبو الروح كان سببا في مجاورته لأهل حضرة الله
من الملائكة والأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يقدر مريد يجازى شيخه على
تعليمه أدبا واحدا في الطريق ولو خدمه ليلا ونهارا ، إلى أن يموت .
فاسلك يا أخى على يد شيخ لتعرف مقدار حق الوالدين وتجتنب عقوقهم والله يتولى
هداك .

وروى البخارى وغيره مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ
وَمَنْعًا وَهَاتِ » الحديث .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ثَلَاثًا ؟ قَالُوا
بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ » الحديث .
وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّ اللهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ » .

قلت : فعلم أنه لا ينبغي التهاون بشيء من حقوق الوالدين أبدا لاجتماع أن يؤاخذ الله تعالى به الولد كما روى الأصمباني وغيره ، وقال الأصمباني : حدث به أبو العباس الأصم إملاء بنيسابور بمشهد من الحفاظ فلم ينكروه عن العوام بن حوشب قال :
نزلت مرة حيا وإلى جانب ذلك الحى مقبرة ، فلما كان بعد العصر انشقت منها قبر فخرج منه رجل رأسه رأس حمار ، وجسده جسد إنسان ، فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فإذا عجوز تغزل شعرا أوصوفا ، فقالت امرأة ترى تلك العجوز فقلت ما لها فقالت هي أم صاحب هذا القبر فقلت وما كان قضيته ؟ قالت كان يشرب الخمر فإذا راح إلى أمه تقول له أمه يا بني اتق الله إلى متى تشرب هذا الخمر؟ فيقول لها إنما أنت تنهق كما ينهق الحمار؟ فإني فات بعد العصر فهو ينشق عنه القبر كل يوم بعد العصر فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر .
وروي النسائي والبخاري مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْعَائِقُ لَوَالِدَيْهِ وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ » الحديث والله تعالى أعلم

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بعدم صلة الرحم بل نصلها ولو قطعت طلبا لرضا الله تعالى ومصلحة لنفوسنا ، من حيث الأجر العظيم لمن يصل رحمه التي قطعت ، وكذلك لرافق قاطع رحم ولا نجاسه ، وهذا العهد لا يقوم به إلا من سلك على يد شيخ وخرج عن رعونات النموس وصار يعامل الله في خلقه امتثالا لأمره لا لعله أخرى ، وأما من لم يسلك فمن لازمه غالبا قطع رحمه ، إذا قطعت ولا يصلها إلا إن وصلته ، وتلك إنما هي متاجر ليست من أخلاق كمال المؤمنين : فاسلك يا أخى على يد شيخ فاصح ليوصلك إلى مقام الصدق في معاملة الله والله يتولى هداك .

وروى أبو داود والترمذي مرفوعا : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا اللهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ وَخَلَقْتُ الرَّحِيمَ وَشَقَقْتُ لَهَا أَسْمَاءَ مِنْ أَسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ »
أو قال : « بَدَّتْهُ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ ،
وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ » .

وروى البخارى واللفظ له وأبو داود والترمذى وغيرهم مرفوعا :

« لَيْسَ الْوَأَصِيلُ بِالْمَكَافِيِّ وَلَكِنَّ الْوَأَصِيلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَجْمُهُ وَصَلَهَا » .

وروى للترمذى وقال حسن صحيح مرفوعا :

« لَا تَكُونُوا إِمْعَةً تَقُولُونَ إِنَّا أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا وَإِنَّا ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ
وَطَنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّا أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنَّا أَسَاءُوا أَنْ لَا تَطْلُمُوا » .

وقوله إمعة بكسر الهمزة وتشديد الميم وفتحها وبالعين المهملة قال أبو غبيدة : الإمعة
هو الذى لا رأى معه ، فهو يتابع مع كل واحد على رأيه .

وروى مسلم وغيره : « أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةَ أَصْلِهِمْ وَيَقْطَعُونَ نِيَّ
وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ
فَكَأَنَّما تُسْقِئُهُمُ الْمَلَّ » يعنى الرماد الحار .

قلت : وقوله صلى الله عليه وسلم :

« إِنْ كُنْتَ كَمَا تَقُولُ » .

فيه رائحة أن السائل لم يكن من أهل ذلك المقام ، فاستبعد الشارع صلى الله عليه
وسلم وقوع ما قاله منه من أنه يفعله والله أعلم :

وروى الطبرانى وغيره مرفوعا وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم مرفوعا :

« أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ » .

ومعنى الكاشح : أى الذى يضمم عداوته فى كسحه وهو خصمه يعنى أن أفضل
للمصدقة على ذى الرحم المضمم العداة فى باطنه ، وهو فى معنى قوله صلى الله
عليه وسلم :

« وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ » .

وروى الإمام أحمد والحاكم : « أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ قَالَ : لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

الله عليه وسلم فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ فَقَالَ: يَا عُقْبَةُ صِلْ مَنْ قَطَعْتَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمْتَ وَأَعْرِضْ عَنِ ظَلَمِكَ .

وفي رواية البزار والطبراني: « وَتَغْفُورُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ » .

وروى الطبراني مرفوعا: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَكْرَمِ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ أَنْ

تَصِلَ مَنْ قَطَعْتَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمْتَ وَتَغْفُورَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ » .

زاد في رواية: « وَتَصْفَحَ عَمَّنْ شَتَمَكَ » .

وفي رواية للبزار: « وَتَحْمَلْ عَلَىٰ مَنْ جَهِلَ عَلَيْكَ » .

وروى ابن ماجه والترمذي والحاكم وغيرهم:

« مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعْجَلَ اللَّهُ بِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدْخِرُ لَهُ

فِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّبِيِّ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْحَيَانَةِ وَالسَّكْدِ » .

وروى الطبراني بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه كان يجلسا بعد الصبح في حلقتة

فقال أشهد بالله قاطع الرحم لما قام فلأنا نريد أن ندعو ربنا وإن أبواب السماء مرتجة دون

قاطع الرحم: ومعنى مرتجة: مغلقة .

وروى الطبراني مرفوعا: « لَا تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعٌ رَحِمٍ » .

وروى الأصبهاني عن عبد الله بن أبي أوفى قال:

« كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَا يُجَالِسُنَا الْيَوْمَ قَاطِعٌ رَحِمٍ .

فَقَامَ فَمِنَ الْخَلْقِ فَأَتَىٰ خَالَتَهُ وَقَدْ كَانَ بَيْنَهُمَا بَعْضُ الشَّيْءِ فَاسْتَغْفَرَ لَهَا وَاسْتَغْفَرَتْ

لَهُ ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ الْمَجْلِسِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَنْزِلُ عَلَىٰ قَوْمٍ

فِيهِمْ قَاطِعٌ رَحِمٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بحق الجار

ولو كان من أعدى عدو لنا، بل نخالفت نفوسنا ونقهرها على الإحسان إلى ذلك الجار العدو .

واعلم أن مما يخفى على كثير من الناس تأدية حق الجار من الملائكة الكرام السكاكين

وكذلك حق الله عز وجل فإنه تعالى أقرب مع الجار إلينا كما أشار إليه قوله تعالى :
(وَتَمَنُّ أَوْقَرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ).

وجماع نأدية حق الله تعالى فعل ما أمر واجتناب ما نهى وجماع حق الملائكة الكرام
الكتابيين ، عدم عصيان الله تعالى وعدم الرواح الكريهة والكلام القبيح وغير ذلك
من سائر أخلاق الشياطين ، فكما أن الشياطين تنفر من أخلاق الملائكة كذلك الملائكة
تنفر من أخلاق الشياطين ، ومن تأكيد حق الجار عدم غيبته وافتقاده بالمرقة كل ليلة
إذا طبخ طبيخا وفي جميع المواسم كالعيدين ، وأيام العشر ونحو ذلك ، ومن حقه أيضا
كسوة أولاده كلما تعرفوا ، وشراء الفواكه والحلوات لهم ونحو ذلك ، ومن حقه أيضا
القيام له إذا مر علينا والاهتمام بكل ما يهمه من خوف على نفس أو مال أو ولد
أو صاحب ونحو ذلك :

وبالجملة فن عمل ببعض الآداب جره ذلك إلى فعل البعض الآخر :
(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي
جَارَهُ » الحديث .

وروى الإمام أحمد والطبراني ورجال ثقات :

« لِأَنَّ يَزْنَى الرَّجُلُ بِسَرَّةِ نِسْوَةٍ أَسْرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنَى بِمَحَلَّةِ جَارِهِ » .
وروى البخاري ومسلم وأحمد : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَاتِقِهِ » .
زاد أحمد في رواية : « قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا بِوَاتِقِهِ ؟ قَالَ : شَرُّهُ » .

وروى أبو يعلى والأصبهاني مرفوعا : « إِنَّ الرَّجُلَ لَا يَسْكُونُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَأْمَنَ
جَارَهُ بِوَاتِقِهِ حِينَ يَبِيتُ وَهُوَ آمِنٌ مِنْ شَرِّهِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي نَفْسُهُ فِي عَنَاءِ
وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ » .

وروى مسلم مرفوعا : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ أَوْ
لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .

وروى الطبراني أن رجلا قال يا رسول الله إنى نزلت فى محلة بنى فلان وإن أشدهم لى أذى أقربهم لى جورا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليهما يأتون للمسجد فيقومون على بابه فيصيحون :

« أَلَا إِنَّ أَرْبَعِينَ دَارًا جَارٌ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَأْتِقَهُ » .

يعنى شره وغائلته ، كما فى رواية : وفى رواية أن البوائق : هى العطش والظلم .

وروى أبو الشيخ مرفوعا : « مَنْ أَدَى جَارَهُ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى

اللَّهُ ، وَمَنْ حَارَبَ جَارَهُ فَقَدْ حَارَبَنِي ، وَمَنْ حَارَبَنِي فَقَدْ حَارَبَ اللَّهَ » .

وفى رواية للطبراني : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ :

لَا يَصْحَبُنَا الْيَوْمَ مَنْ آذَى جَارَهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا بَنَيْتُ فِي أَصْلِ حَاطِطٍ

جَارِي فَقَالَ لَا تَصْحَبُنَا الْيَوْمَ » .

قال الحافظ عبد العظيم وفيه نكارة :

وروى الإمام أحمد والطبراني مرفوعا : « أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ » .

وروى الطبراني والبخاري باسناد حسن : « أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ : اطْرَحْ مِتَاعَكَ عَلَى الطَّرِيقِ فَطَرَحَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَمْشُونَ عَلَيْهِ

وَيَلْعَنُونَهُ » أى ذلك الجار « فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ

مَا لَقَيْتُ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ : وَمَا لَقَيْتَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : يَلْعَنُونِي ، قَالَ : قَدْ لَعَنَكَ اللَّهُ قَبْلَ

النَّاسِ قَالَ إِنِّي لَا أَعُودُ فَجَاءَ الَّذِي شَكَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ ارْفَعْ

مِتَاعَكَ فَقَدْ كُفِّيتَ » .

وروى البخاري والإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم :

« أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصَدَقَتِهَا

وَصِيَامِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذَى جِيرَانِهَا بِلِسَانِهَا فَقَالَ : هِيَ فِي النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ

يَذُكْرُ مِنْ قَلْبِهِ صِيَامُهَا وَصَلَاتُهَا وَأَنَّهَا تَبْتَدِقُ بِالْأَنْوَارِ مِنَ الْأَقْطِ وَلَا تُؤْذِي حَبِيرَانَهَا
قَالَ هِيَ فِي الْجَنَّةِ .

والأنوار : جمع نور وهي القطعة من الأقط ، والأقط : شيء يتخذ من مخيض
اللبن الغنمي :

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ جَارِهِ مَخَافَةَ عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ
فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُؤْمِنٍ ، وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَأَقْبِهِ ، أَنْتَدِرِي مَا حَقَّ الْجَارِ عَلَى
الْجَارِ؟ إِذَا اسْتَمَعْنَاكَ فَأَعْنَهُ ، وَإِذَا اسْتَفْرَضَكَ أَفْرِضْهُ وَإِذَا افْتَقَرَ عُدَّ عَلَيْهِ ، وَإِذَا مَرِضَ
عُدْتَهُ ، وَإِذَا أَصَابَهُ سَخِيرٌ هَنَيْتَهُ ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَيْتَهُ ، وَإِذَا مَاتَ اتَّبَعْتِ
جَنَازَتَهُ ، وَلَا تَسْتَطِيلُ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَلَا تُؤْذِيهِ بِقِتَارِ
رِيحِ قَدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَآكِهَةً فَأَهْدِلْهُ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
فَأَدْخِلْهَا سِرًّا وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَآدَهُ . »

قال الحافظ : ويشبهه أن يكون قوله أنتدري ما حق الجار إلى آخره من كلام الراوي
غير مرفوع :

وفي رواية للطبراني عن معاوية بن عبيدة قال :

« قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ الْجَارِ عَلَى؟ قَالَ : إِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ وَإِنْ مَاتَ شَيْعَتَهُ
وَإِنْ اسْتَفْرَضَكَ أَفْرِضْتَهُ وَإِنْ أَعْوَزَ سَتَرْتَهُ . »

وزاد في رواية في آخره : « هَلْ تَفْقَهُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ؟ أَنْ يُؤَدِّيَ حَقَّ الْجَارِ
إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ رَحِمِ اللَّهِ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا . »

قال الحافظ عبد العظيم بعد أن ذكر طرق الحديث : ولا يخفى أن كثرة طرق الحديث
تكسبه قوة :

وروى الطبراني مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ مِنَ الْفَوَاقِرِ فَذَكَرَ مِنْهَا وَجَارٌ سُوءٌ إِنْ رَأَى
خَيْرًا دَفَنَهُ ، وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَدَاعَهُ . »

وروى الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات مرفوعا :

« مَنْ بَاتَ شَبَعَانَ وَجَارَهُ جَائِعٌ إِلَى جَنَبِهِ » .

وفي رواية للطبراني : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْنِي فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْنِي فَقَالَ أَمَا لَكَ جَارٌ لَهُ فَضْلٌ قَوْمَيْنِ فَقَالَ بَلَى غَيْرُ وَاحِدٍ فَقَالَ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِي الْجَنَّةِ » .

وروي الأصبهاني مرفوعا : « كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَمَلِّقٍ بِجَارِهِ يَقُولُ يَا رَبِّ سَلْ هَذَا لِمَ أَغْلَقَ عَنِّي بَابَهُ وَمَنَعَنِي فَضْلَهُ » .

وروي ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والترمذي والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم مرفوعا :

« خَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ » .

وروي الإمام أحمد والطبراني مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ فَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلٌ لَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ فَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللَّهُ لِإِيَّاهُ بِحَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ » .

وروي الشيخان مرفوعا : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَّثُهُ » .

وروي الإمام أحمد ورواته رواة الصحيح مرفوعا : « مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ : الْجَارُ الصَّالِحُ وَالْمَرْكَبُ الْهَيِّئُ وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ » .

زاد في رواية لابن حبان في صحيحه مرفوعا : « أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ وَالْجَارُ الصَّالِحُ » الحديث .

وروي الطبراني مرفوعا : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيَدْفَعُ بِالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ الصَّالِحِ عَن مَائَةِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْبَلَاءَ » ثُمَّ قَرَأَ (وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(أهدت علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نقيم عند أختينا بحيث نضيق عليه إذا زرناه ، بل نرجع من عنده بسرعة ، فإن عزم علينا بالإقامة

وأكد بقنا عنده عملا بقوله ثم استأذناه من بكرة النهار على الرجوع من عنده ، فإن عزم وأكد بقنا عنده كذلك لكن بشرط أن يغلب على ظننا الإخلاص وعدم التجمل ، فإن طرقتنا منه رياء وحب تجمل فارقتاه ولو قهرا عليه لاسيما إن كان مشهورا بالكرم في بلده وانخلق يبيتون عنده كثيرا ، فإن هذا الزمان لا يمتثل أن أحدا يظهر فيه بالكرم في بلده ويكثر عليه الوارد ويصير يطعم الناس بطيبة نفس أبدا ، إنما هي تجوينات ، وآخر الأمر يتوارى عن الناس أو يرحل من تلك البلد : وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من الفقهاء والفقهاء الساذجين فيزورون مريدهم وأصحابهم بعيالهم أيام الليل بمصر أو أيام الشتاء ويمكثون عند مريدهم وأصحابهم بعيالهم حتى يتمنى أنه لم يكن عزم عابهم لسكرة كلفة الطعام وضيق المكان الذي يبيتون فيه ، فرحم الله من زار وخفت وعمل بكلام الشارع في ذلك .

فعلم أنه ينبغي للمتورع إذا سافر بلاد الحريف مثلا أن لا يبيت في دوائمن اشهر بالكرم في هذا الزمان رحمة به لاسيما إن كان من أصحاب من يكرهنا فإن طعام المتكرمين داه في جسد الآكل كطعام البخيل على حد سواء ، وإن كان ولا بد له أن يبيت عنده فليحمل عنه علق بهائمه ويكافئه على طعامه ولو بأن يخلع له ثوبه ، وقد مضى أهل المروءات الذين كانوا يعاملون الله تعالى وبقي من يطلب العوض من الناس في كل معروف أسداه إليهم ، فاعرف زمانك يا أخى والله يتولى هداك :

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَارَتْهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُجْرِبَهُ » .

قال الترمذى : ومعنى لا يثوى عنده لا يقيم حتى يشق على صاحب المنزل : والخرج : هو للضيف .

وقال الخطابي : معناه لا يحل للضيف أن يقيم عنده بعد ثلاثة أيام من غير استدعاء منه حتى يضيق صدره فيبطل أجره .

وقال الحافظ عبد العظيم : وللعلماء في الحديث تأويلان : أحدهما أنه يعطيه ما يجوز به ويكفيه في يومه وليلته إذا اجتاز به وثلاثة أيام إذا قصده ، والثاني أن يعطيه ما يكفيه يوما وليلة ويستقبلهما بعد ضيافته

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى والبزار مرفوعا :

« لِلضَّيْفِ عَلَى مَنْ نَزَلَ بِهِ مِنْ الْحَقِّ ثَلَاثٌ فَأَزَادَ فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى الضَّيْفِ أَنْ يَرْتَحِلَ لَا يُؤْتَمُّ أَهْلَ الْمَنْزِلِ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نحتقر ما تقدمه للضيف ولا نحتقر ما قدم لنا إذا كنا ضيوفا ولو كسرة يابسة أو تمر واحدة ، لا سيما في هذا الزمان الذى قل فيه الحلال ، حتى أنه لا يسكاد يوجد شيء منه في يد شيخ من مشايخ الفقراء فضلا عن آحاد الناس ، ولم يكلفنا الله تعالى أن نضيف للناس بالحرام والشبهات ، وإنما أمرنا أن نضيفهم بالحلال .

واعلم أن من علامة المتهور في أكل الشبهات أن يوجد عنده غالب الأيام الطعام واسعا يأكل منه الضيوف ويفضل عنهم ، ولو أنه كان تورع على طريقة القوم ما وجد شيئا يكفيه ويكفى عياله أبدا ، وقد أراد الفقراء المقيمون عندنا في اللازوية أن يعلموا القطع الخشب السكبار التي اشتريتها لسماط الفقراء ، فقالوا أى شيء نكتبه عليهم ؟ فقلت لهم اكتبوا : كبر القصب من قلة الورع :

وقد بلغنا أن الحسن البصرى زار عمر بن عبد العزيز أيام خلافته ، فأخرج له عمر نصف رغيف ونصفت خيارة وقال له كل يا حسن ، فإن هذا زمان لا يهتم الحلال فيه الإسراف اهـ .

وقال ميمون بن مهران : زرت الحسن البصرى فدققت الباب فخرجت لى جارية خماسية ، فقالت من تكون؟ فقلت لها ميمون ، قالت كاتب عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت لها نعم ، فقالت : وما حياتك يا شقى إلى هذا الزمان الخبيث ؟ ثم استأذنت الحسن فأذن لى فدخلت عليه فأخرج لى كسرة وشقة بطيخ وذكر لى زيارته لعمر بن عبد العزيز وتقديمه له الكسرة والخيارة : فإذا كان هذا حال الخلفاء أمراء المؤمنين فى المائة الأولى فما ظنك يا أخى بالنصف الثانى من القرن العاشر صاحب العجائب والغرائب فى عدم تورع أحد من أهله ذلك التورع :

فأطعم يا أخى لله تعالى بشرط الحل فإنك مسئول عن كل لقمة تطعمها لضيوفك من أين اكتسبتها والله يتولى هداك :

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى عن جابر أنه دخل عليه نفر من أصحاب محمد صلى الله

عليه وسلم فقدم إليهم خبزاً وخبلاً وقال : كلوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نعم الإدام الخلل » فإنه هلاك بالرجل أن يدخل عليه النقر من إخوانه أن يحتقر ما في بيته أن يقدمه إليهم ؛ وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم. قال الحافظ وقوله نعم الإدام الخلل في الصحيح وقوله إنه هلاك بالرجل الخ لعله من كلام جابر ، أدرجه في الحديث وليس بمرفوع والله تعالى أعلم :

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نبخل ولا نشح على أحد من المسلمين إذا سألنا شيئاً ونحن في غنية عنه ، بل نعطيه له تحلقاً بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة بعده ، وهذا العهد لا يعمل به إلا من سلك على يد شيخ ناصح ، وخلص من محبة الدنيا وشهواتها ، وإلا فن لازمه البخل والشح كما عليه طائفة المتعبدین والمتفقهين الذين لم يدخلوا طريق القوم : وإيضاح ذلك أن أصل الإنسان فقير بالذات وما فتح عينه في هذه الدار إلا وهو فقير ليس له ثياب ولا له متاع فكان من شأنه أن يأخذ ولا يعطى إلى أن يموت ، فلما ذم الله تعالى البخل والشح أنف أهل الله عز وجل أن يقفوا في مقام يذمهم الله تعالى فيه ، فلذلك طلبوا أن يزيل أمراضهم ويبطل موانعهم حتى يدخلوا حضرات الجود الكرم ، فمنهم من ظفر بشيخ ناصح وأوصله إلى ذلك المقام ، ومنهم من لم يظهر :

وكان سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول : لا بد للفقير من رمى الدنيا من يده ثم من قلبه قبل سلوك الطريق ، ومحال أن يقدر أحد على إدخال فقير حضرة الله عز وجل ومعه علاقة دنيوية ، إذ جميع أهل حضرة الله عز وجل مطهرون من محبة الدنيا وشهواتها ، لأنهم أنبياء وأولياء وملائكة ، ولا أحد من هؤلاء يحب الدنيا لغرض فاسد ، وإنما يحبها لله عز وجل بالإجماع ، وكان يقول في تفسير قوله تعالى : (وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ) الآية .

بلسان الإشارة المعروفة بين القوم يقال للولى « وما تلك بيمينك » أيها الولي فيقول هي دنياى أنفتق منها على نفسى وأهلى وإخوانى ، فيقال له ألقها فيلقها فيجدها حية تسعى في هلاك قابضها فيأخذ حذره منها ، فإذا حذر منها يقال له (خذها ولا تخف) فكما ألقاها أولاً باذن حال بدايته ، فكذلك أخذها باذن حال نهايته ، وهذا الأخذ الثانى متعين على كل شيخ داع إلى الله تعالى ليحمل كلفته عن المريدين ويرتفع عندهم

مقامه ، فإن كل من احتاج إلى إنسان هان في عينه لأنه حينئذ يصبر معدودا من عائلته فيقل نفع ذلك الشيخ :

وسمعت سيدى محمد الشناوى رحمه الله يقول : مال المریدین حرام على الأشياخ إلا أن يتحدوا بالشيخ فيصير ما لهم معدودا عندهم من فضل شيخهم. وصدقته عليهم اه وقد بلغنا أن نبيا من أنبياء بنى إسرائيل كان فقيرا أول رسالته ، فكان إذا جاع وقفت على أبواب بنى إسرائيل يطلب منهم غداء أو عشاء ، فشق عليه ذلك فقال يارب إن خزائن رزقك ملأى لاتعجز عن غدائى وعشائى ، فلو أغنيتنى عن بنى إسرائيل ، فأوحى الله تعالى إليه : يا بنى إذا كانت هذه الشكاية فى خلقك على بنى إسرائيل وأنت محتاج إليهم ، فكيف لو أغنيتك عنهم ، فتأدب وصبر حتى أغناه الله من فضله ، وصار بنو إسرائيل يأكلون على سماطه اه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : يجب على الشيخ ان يكون كريما حالاً للأذى وإلا لم يفلح له مرید ، فعلم أن الدنيا إذا خرجت من قلب مرید لا يتصور وقوعه فى البخل المذموم أبدا بعد ذلك ، وإنما يمنع بالحكمة كما يعطى بالحكمة تخلفا بأخلاق الله تعالى ، فإنه تعالى سمي نفسه المانع ولم يسم نفسه بخيلا ، فافهم فلا ينبغي للفقير أن يعطى أحدا شيئا طلبه منه حتى ينظر حاله ، وماذا هو عازم عليه وعلى إنفاقه فيه ، ثم يعطيه بعد ذلك ، فإياك يا أخى أن تسمى الظن بأحد من الأشياخ إذا سألته شيئا ولم يعطه لك فإنه لم يمنعك عن بخل حاشى الأشياخ عن ذلك ه

فاسلك يا أخى على يد شيخ ليعلمك أدب العطاء وأدب المنع والله يتولى هداك :

وروى مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ » الحديث .

وروى مسلم مرفوعا : « وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ،

حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا حَرَمَهُمْ » .

قال الحافظ عبد العظيم : والشح مثلث الشين وهو البخل والحرص ، وقيل الشح

الحرص على ما ليس عندك ، والبخل الشح بما عندك .

وفى رواية لابن حبان وغيره : « إِبَّاءُكُمْ وَالشُّحُّ فَإِنَّهُ دَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ

فَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا حُرْمَاتِهِمْ » .

وروى أبو داود وغيره مرفوعاً : « إِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ فَإِنَّمَا أَهْلِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشَّحِّ ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيمَةِ فَقَطَمُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخَلُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا » .

وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه مرفوعاً : « ثَمَرُ مَا فِي الرَّجُلِ شَحٌّ هَالِكٌ ، وَجُبْنٌ خَالِكٌ » .

ومعنى هالغ : محزن ، والهلع أشد الفزع ، وقوله جبن خالغ : الجبن هوشدة الخوف وعدم الإقدام ، ومعناه أنه يخلع قلبه من شدة تمكنه منه .

وروى النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم مرفوعاً : « لَا يَجْتَمِعُ شُحٌّ وَإِيمَانٌ فِي قَلْبٍ عَبْدٍ أَبَدًا » .

وروى الطبراني مرفوعاً : « الشَّحِيحُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » .

وروى الترمذي مرفوعاً : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَبٌّ وَلَا مَتَانٌ وَلَا بَخِيلٌ » .
والخب : بفتح الخاء هو الخلداء الخبيث .

وروى الطبراني مرفوعاً بإسناد جيد : « إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ الْجَنَّةَ عَذْبٌ تَسْكِبِي فَقَالَتْ : قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ فَقَالَ : وَعِزِّي وَجَلَالِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكَ بَخِيلٌ » .
وروى الترمذي مرفوعاً : « خَصَلْتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ مُؤْمِنٍ : الْبُخْلُ وَسُوهُ أُخْلِقِ » .

وروى الترمذي مرفوعاً : « الْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بِعِيدٌ مِنَ النَّاسِ بِعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ ، وَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ » ، وروى هذا الحديث مرسلًا .

وروى الأصبهاني مرفوعاً : « الْجَوَادُ مَنْ أُعْطِيَ حُقُوقَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَالِهِ ، وَالْبَخِيلُ مَنْ مَنَعَ حُقُوقَ اللَّهِ وَبَخَلَ عَلَى رَبِّهِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نهب أحدًا شيئاً ونرجع فيه أو نندم على عطيته بقلوبنا ، وهذا العهد يقع في خيافته كثير من المهوورين

الذين يعاملون غير الله تعالى من وجوه العظم ، فيعطى أحدهم عمامته أو جوارحه مثلا
لإنسان ثم لما يرى منه خللا في حقه يتدم على إعطاء ذلك له ، وربما يسرجعه منه ،
لا سيما إن كان في أملة أن الناس يشكرونه على ذلك فلم يشكره أحد ولا مدحه على ذلك ،
فمن الأدب إذا أعطانا أحد شيئا نعلم بالقرائن أنه يستحل في نفسه اطلاع الناس عليه أن
لا نقبله منه ، لأنه كالعيب بالنسبة لنفسه هو ، فلا نحن كافينا بشيء ولا مدحناه على
عطائه ، ولا أحد من الناس أعطاه شيئا حنا ، ولا الحق تعالى أثابه على ذلك ، والفقير
لا ينبغي له قبول شيء إلا إن رأى المنفعة فيه للمعطي في الدنيا والآخرة ، فان قيل
شيئا من أحد يعلم منه عدم الإخلاص في عطيته كتب في ديوان الغاشين للأمة المحمدية ،
وفي الحديث :

« مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله إذا علم من إنسان أنه ما أعطاه إلا لعلته فاسدة
لا يقبل منه شيئا ، فإذا قال له ياسيدي أنا خاطري بذلك طيب ، يقول له أنا خاطري
بذلك ما هو طيب ، وكان يقول : من علامة عدم الإخلاص في العطية أن يتعدى جاره
أو قريبه الأخرج منا ويعطينا ، فإذا قبلنا منه ذلك فقد أعناه على مخالفة السنة ، فإنها أمرته
أن يبدأ بالقریب أو الجار الفقير ، ولا يصح العمل بهذا العهد إلا لمن سلك طريق القوم
وخلص من محبة الدنيا وصار يتصرف بحسب المصالح الشرعية لنفسه وللمعطي ، وأما
محب الدنيا فيعيد أن يشم من هذا المقام رائحة إنما هو يلف كل شيء أعطيه ولو علم أن
المعطي تدهى جاره الفقير أو قريبه الفقير .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لفقير أن يقبل من أحد صدقة
أو هدية إلا إن علم أنه ليس في بلده أحد أحق بها منه ، فإن علم أن هناك من هو أحق
منه وقبل فقبل خان عهد أهل الله تعالى ، نسأل الله اللطف .

فاسلك يا أخي على يد شيخ صادق ليعلمك معاملة الله تعالى حتى لاتعطي أحدا شيئا
قط تتبعه نفسك والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « الَّذِي يَرْجِعُ فِي هَبْتِهِ كَالْكَلْبِ يَرْجِعُ
فِي قَيْتِهِ لِأَسْئَلِهِ » .

وفي رواية الشيخين : « مَثَلُ الَّذِي يَعُودُ فِي هَيْبَتِهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَتْبَعُهُ ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ قَيْئًا كَلْبُهُ » .

قال قتادة ولا نعلم أكل الشيء إلا جرأما :

وروى أبو داود والترمذي وغيرهما مرفوعا : « لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُعْطِيَ لِأَحَدٍ عَطِيَّةً أَوْ يَهَبَ هِبَةً ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا إِلَّا الْوَالِدُ فِيمَا يُعْطِي لِوَلَدِهِ » .

وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه مرفوعا : « مَثَلُ الَّذِي يَسْتَرِدُّ مَا وَهَبَ كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَتْبَعُهُ ثُمَّ يَأْكُلُ قَيْئَهُ فَإِذَا اسْتَرَدَّ الْوَاهِبُ فَلْيَرْفُقْ لِيَعْرِفَ بِمَا اسْتَرَدَّ ثُمَّ لِيَدْفَعْ إِلَيْهِ مَا وَهَبَهُ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانقبل هدية من شفطنا فيه عند ظالم ، بل نردها عليه جزما ، فإن علمنا كسر خاطره بذلك قبلناها وفرقتها على محابيح المسلمين ولا نذوق منها شيئا إن كانت طعاما ، ولا نلبسها إن كانت تلبس ، ولانشمها إن كانت تشم ولا غير ذلك ، وهذا العهد قد كثرت خيائته من طائفة الفقراء الذين يشفعون في الناس عند الأمراء أو الكشاف ومشايخ العرب وهو جهل وقلة دين ، ولا سيما هدية الفلاحين ، فإن تحمها ألفت بلية ، وتأمل لولا شفاعتك ما أتاك ذلك الفلاح بشيء ، وكم له سنة وهو يسمع بك فلا يعطيك شيئا ، ثم من أقبح ما يقع فيه الشافع المحب للدنيا أنه إذا استحل قبول الهدايا يصير يشفع لأجل ذلك فيعدم الإخلاص فيعدم الأجر في الآخرة من ثبوت الأقدام على الصراط ونحو ذلك مما ورد ، فلا يصير يقدر على نفسه يتجرد عن محبة العوض ، بل رأيت بعض الفقراء تزوج ثلاث نسوة اعتادا على الهدايا بالواصله إليه من الناس الذين يشفع فيهم لسكونه ليس له كسب شرعى ينفق على عياله منه ، وما كانت إلا مدة قريبة ومسكوه بمعضلة فنفرت الولاة الذين كان يشفع عندهم منه وبطلت الهدايا لبطلان الشفاعه ، وطلق الثلاث زوجات وصار لا يقدر على عشاء ليلة :

فاسلك يا أخى على يد شيخ ليعلمك آداب الشفاعه والله يتولى هداك .

وروى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ شَفَعَ شَفَاعَةً لِأَحَدٍ فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْنَا قَبَّلَهَا فَقَدْ آتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الْكِبَارِ » .

قلت: وقوله « فأهدى له هدية عليها » يفهم أنه إذا كان من عادة المشفوع له الهدية قبل ذلك الصدقة أو هبة فلا يخرج في قبولها ، لأنه حينئذ لم يهد لأجل شفاعته فيه والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانخاصم أحدا ولا نخاطبه بلفظ فيه فحش ولا بأذى تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن فاحشا ولا متفحشا صلى الله عليه وسلم :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك الطريق على شيخ ناصح يخرج عنه دعوات النفوس ويخرج به من أودية الجفاء إلى حضرات الرحمة والصفاء والرفق بسائر خلق الله عز وجل على الوجه الشرعي : وقد روى أهل السير :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَفَ عَلَيْهِ بِمَنْزِلِ الْيَهُودِ مِنْ بَعْضِ الْخُصُونِ وَهُوَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ يَا إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ مَا عَهْدُكَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا فَطَأَطَأَ رَأْسَهُ وَاسْتَحَى » .

فاسلك يا أخي على يد شيخ وإلفن لازمك غالبا الفحش والبذاء وقلة الحياء شئت أم أبيت والله يتولى هداك .

وقد روى ابن ماجه مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيئًا مُمَقَّتًا فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيئًا مُمَقَّتًا نَزَعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةَ فَإِذَا نَزَعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مُخُونًا فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مُخُونًا نَزَعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةَ ، فَإِذَا نَزَعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيئًا مُلْعَنًا فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيئًا مُلْعَنًا نَزَعَتْ مِنْهُ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ » .

والربقة بكسر الراء وفتحها واحدة الريق: وهى عرى فى جبل تشد به البهائم ويستعار لغير ذلك والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانسمى وخلقنا على

أحد من خلق الله عز وجل بغير سبب شرعى هروبا من أن نكتب في ديوان الأشرار فنحرم بركة النصح لنا ولاخواننا لأنهم ربما رأونا على فعل مذموم، فأرادوا أن ينصحونا فينتكروا سوء خلقنا فيسكتون علينا ، ولو أننا كنا مطهرين من سوء الخلق لقدموا على نصحننا ، وهذا العهد يتعين العمل به على كل من طلب الدرجات العلى في الدنيا والآخرة قال تعالى :

(وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا) .

فما قرحوا بالإمامة إلا بعد صبرهم على مخالفة هوى نفوسهم المذمومة فافهم .
وقد قدمنا أن الإمام عمر بن الخطاب قال لأصحابه يوما ماذا تصنعون بي إذا هوججت؟
قالوا نعلو هامتك بالسيف ففرح وقال هكذا كونوا اه .

فيحتاج كل من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح بهذب أخلاقه حتى لا يبقى عنده شيء من الجفاء والقحش ، ويصبر يجب كل من نصحه ويشكره سرا وجهرا ، ولا يرى أنه قام له بجزاء ، ومن لم يسلك كما ذكرنا على يد شيخ فن لازمه الرعونات وسوء الخلق ونجبت الطوية :

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وقد روى الطبراني والبيهقي مرفوعا : « مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِسُوءٍ أُمَّةً خُلِقَ سَيِّئًا » .
وروى الطبراني والبيهقي مرفوعا : « أُنْخَلِقُ الْحَسَنُ يَذِيبُ الْخَطِيَا كَمَا يَذِيبُ الْمَاءُ الْجَلِيدَ ، وَأُنْخَلِقُ السَّيِّئُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلَاءُ الْعَسَلَ » .
وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِنْ أَبْتَضَّكُمْ إِلَيَّ وَأَبْدَكَ كُمْ مِنِّي تَجَلِسَا فِي الْآخِرَةِ أَسْوَدُكُمْ أَخْلَاقًا » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود مرفوعا : « حُسْنُ أُنْخَلُقِ تَمَامًا ، وَسُوءُ أُنْخَلُقِ شُومٌ » .

وروى الطبراني : « أَنَّهُ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الشُّومُ ؟ قَالَ : هُوَ سُوءُ أُنْخَلُقِ » .

وروى الطبراني والأصبهاني مرفوعا : « مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَهُ تَوْبَةٌ إِلَّا صَاحِبُ سُوءِ الْخُلُقِ فَإِنَّهُ لَا يَتُوبُ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا عَادَ فِي شَرِّهِ مِنْهُ » .

وروى أبو داود والنسائي مرفوعا : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانستعبد أحدا من إخواننا المسلمين ولا نتميز عنهم إلا بما أذن لنا فيه الشارع صلى الله عليه وسلم ، فلا يمكن أحدا من إخواننا من القيام لنا إذا مررنا عليه ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من الفقراء إما لسداجة قلوبهم وإما لجهلهم بما أومأنا إليه ، وإن قال هؤلاء لاحرج علينا في استخدام المرید واستعبادنا له ، لأن المرید مأمور بتعظيم شيخه ، قلنا لهم إنما التعظيم للأشياء بعدم مخالفتهم لما يأمرونه به ، وأما القيام لهم مع مخالفة إشاراتهم فلا فائدة فيه ، وأول من أحدث هذا القيام بين يدي الأشياخ فقراء العجم ؛ فربما يقف المرید بين يدي أحدهم نحو الثلاثين درجة لا يقولون له اجلس ، وكل ذلك ليس من نظام الفقراء إنما هو من نظام الملوك وأرباب الدولة ، وفي الحديث :

« لَا تَقُومُوا عَلَى رُؤُوسِ أُمَّتِكُمْ كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ عَلَى رُؤُوسِ مُلُوكِهَا »
رواه الديلمي .

وقد أدرکنا نحو مائة شيخ من أولياء مصر وقراها فما رأينا بحمد الله أحدا منهم يمكن مریده من القيام له ، بل يظهرون له الكراهة هروبا من مزاحمة أوصاف الربوبية رضى الله عنهم أجمعين :

(قَبِّهْدَاهُمْ أُقْتَدِهْ) والله يتولى هداك .

وقد روى أبو داود مرفوعا والترمذى باسناد صحيح وحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

قال الجلال السيوطى وهو حديث متواتر :

وروى أبو داود وابن ماجه باسناد حسن عن أبى أمامة رضى الله عنه قال :

« خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَا قَمَنَا إِلَى الْيَوْمِ فَقَالَ لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعْجِمُ يُعْظَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا » .

قلت : وفي حديث أنس أنه قال ، لم يكن أحد أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لانقوم له إذا مر علينا لما نعلم منه من كراهيته لذلك والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون برد السلام من غير لفظ بل نلتفظ به حتى نسمع من سلم علينا إلا أن يكون بعيدا منا فنرد بالإشارة باليد أو بالرأس مع اللفظ ، وهذا العهد قد غلب على أرباب الدولة الاخلال بالعمل به فلا تكاد تسمع من أحدهم لفظ السلام ، وإنما يسلمون ويردون بالإشارة بالرأس ، بل بعضهم يركع جملة واحدة :

واعلم أن السلام أمان ، فكان المسلم يؤمن أخاه بقوله « السلام عليكم » ويؤمنه الآخر بقوله « وعليكم السلام » وأصل مشروعية السلام إنما هو على الذين يخافون من بعضهم بعضا ويتسلطون على بعضهم بالقتل وأخذ المالك وإفساد الحریم ونحو ذلك ، وأما نحو الملوك فهم في أمان من آحاد الرعية وقولنا لهم « السلام عليكم » معناه أنتم في أمان منا أن نخالف أمركم ونخرج عن طاعتكم ، وكذلك السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه أنت في أمان منا يارسول الله أن نخالف شريعتك ، فيحصل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طمأنينة القلب على ذلك الذي سلم عليه أن يقع في معصية الله عز وجل ، وذلك لكمال وفور شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ، وكذلك يحصل للملوك ومن والاهم طمأنينة القلب بانقياد رعيتهم لهم وعدم الخروج عليهم هذا أصل مشروعيته ، وقد فهم هذا الذي ذكرناه ومشروعيته بعض حاشية الملوك فجاءوا التحية بانخفاض الرؤوس وانحناء الظهر ، وقالوا الملوك في أمان من مثلنا أن تؤذيهم حتى تؤمنهم وما فهموا كمال الأمر ولا السر الذي ذكرناه .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : إذا مررت على عدوك فسلم عليه واجهر به جهورا قويا حتى إنك تكاد تشق قلبه بالصوت ، ولكن بشرط أن تعلم منه أنه يرد عليك السلام ، فإن لم تعلم أنه يرد عليك لغلبة النفس عليه فارجه بعدم السلام لئلا تعرضه للمعصية بعدم رده السلام اه :

قلت : وهذا هو الذى شرطه الشيخ هو مذهب بعضهم ، والراجح من مذهب
للشافعى استحباب السلام مطلقا لحديث أبى داود وغيره مرفوعا :

« لَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ فَلَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ
عَلَيْهِ فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدْ اشْتَرَى كَأْفَى الْأَجْرِ وَإِنْ لَمْ يَرُدِّ السَّلَامَ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِنْمِ
وَوَخَّرَجَ الْمُسْلِمُ عَنِ الْمُهْجَرَةِ » والله أعلم .

فاعمل يا أحمى بالسنة فإن الخير كله فيها والله يتولى هداك :

وقد روى الترمذى والطبرانى مرفوعا : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا ، لَا تَشَبَّهُوا
بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ بِالْإِشَارَةِ بِالْأَصَابِعِ ، وَإِنْ تَسَلَّمَ
النَّصَارَى بِالْأَكْفِ » .

وروى أبو يعلى بإسناد صحيح : « تَسْلِيمُ الرَّجُلِ بِأَصْبُعٍ وَاحِدٍ يُشِيرُ بِهَا فِعْلُ الْيَهُودِ »
والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانسلم على كافر ولا
نكلمه بكلام فيه تفخيم إلا لضرورة شرعية مع عدم ميل قلبنا إليه بالحببة ، وهذا العهد
يقع فى خيانتهم خلق كثير ممن يقبل من الكفار بزهم وحسنتهم ، أو يتطرب بهم ويحصل
له الشفاء من الله تعالى أيام تطيبه ، أو يصبر عليه بالخراج إن كان مباشرا تحت أيدى الظلمة
فيحكم على ذلك الفقير أو المريض أو الفلاح الميل إلى ذلك الكافر قهرا عليه ، فيعسر
عليه معاداته بالقلب كما أمره الله تعالى ويودهم ، فيصير عاصيا بذلك لأوامر الله عز
وجل فى نحو قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمَوَدَّةِ) الآية .

وانظر كيف بين الله تعالى لنا عداوة الكفار حتى لا يبقى لنا عذر فى مودتهم ، لعلمه
تعالى بأن فىنا من لا يغاز الله تعالى ولا يعادى من عاداه الله تعالى لإجلال الله تعالى ، فأخبرنا
تعالى أنهم أعداء لنا كذلك تحريضا لنا على عدم مودتهم من كل وجه ، ولو علم
تعالى منا كمال الإيمان والحببة له وأننا نترك مادة الكفار إذا خالفوا أمر الله وحده دوننا

لما أخبرنا بمعاداتهم لنا فافهم ، وإياك والاعراض على من رأيتهم بفخم الكفار ببادى
الرأى ، بل تربص فى ذلك فربما يكون له عذر شرعى فى ذلك من خوف أذاه ونحوه
كتمثيل قلبه لأهل الإسلام أو الإسلام ، وأقم العذر لإخوانك المسلمين فإنهم لم يعظموا
اليهود والنصارى إلا بعد تقريب الولاة لهم ، وجعلهم صيارف ومكاسين وحاكين على
تجارنا وعلماؤنا ومشايخنا فى جميع ما باتهم من الأنواع التى لهم عليها عادة ، فتصير أحمال
الواحد منا مطروحة على شاطئ البحر مثلا لا يقدر على تخليصها حتى يأتى المعلم ويفرج
عنا ، فطاعتنا لهم وتحسيننا لهم الألفاظ إنما هى حقيقة أدب مع الولاة الذين ولوهم ،
فاعرف زمانك يا أخى :

وقد كاتبت مرة يهوديا وقلت فى مكاتبتى : وأسأل الله تعالى أن يدخل المعلم الجنة
من غير عذاب يسبق ؛ فأذكر على بعض الفقهاء وأجاب عنى فقيه آخر بأن ذلك فى غاية
الصواب ؛ لأنه لا يدخل الجنة حتى يسلم فطوبنا له وقوع الإسلام قبل دخول الجنة ،
لئلا تنفر نفسه من قولنا له حال محبته الكفر اللهم اجعل المعلم يسلم ، فإن قلنا له ذلك
يؤذيه كما يؤذينا قوله هو لنا اللهم اجعل فلانا يموت يهوديا ، قال تعالى :

(وَكَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ .)

وقد حكى القشيري عن معروف السرخي نحو ما قلناه لما مر عليه جماعة فى زورق
فى دجلة بغداد ومعهم هو وطرب ونخر يشربونه ، فقال الناس له ادع الله عليهم كما
تجاهروا بمعاصى الله تعالى ، فقال معروف ابسطوا أيديكم وقولوا معى اللهم كما فرحتهم
فى الدنيا فمرحهم فى الآخرة ، فقال الناس إنما سألتناك ياسيدى أن تدعو عليهم ، فقال
كان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم إذا سئل أن يدعو على أحد عدل عن الدعاء عليه
ودعا له ، ولا يفرح الله تعالى هؤلاء فى الآخرة إلا إن تاب عليهم فى الدنيا ، فانظر
كيف طوى لهم رضى الله عنه فى هذا الدعاء التوبة :

قال شيخنا شيخ الإسلام زكريا فى شرح رسالة القشيري وهذا من حسن سياسة
معروف رضى الله عنه فاعلم ذلك والله يتولى هناك .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى مرفوعا :

« لَا تَبْذَرُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ ، وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِى طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ
إِلَى أَضْيَقِهِ . »

وروى الشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه مرفوعا :

« إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ قُولُوا وَعَلَيْكُمْ » .

وسأق بسط ذلك في قسم الترغيب في السلام وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة
رضى الله عنها :

« السَّامُ هُوَ الْمَوْتُ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بإطلاق
بصرنا في دار أحد من إخواننا ، من خلل بابه أو من طاقة تشرف عليه وفاء بحقه ولو لم
يتأثر هو بذلك .

وقد كان الامام الشافعي رضى الله عنه يقول : لا تقصر في حق أخيك اعتمادا على
مروءته ، وهذا الأمر قد كثرت انخيانة فيه من فقراء الأحمدية والبراهنية ونحوهم كفقراء
الزوايا المقابل شباكه لطيقان بيوت الربوع ، فيجلس الفقير في الشباك بلية القراءة
والنظر للناس ، فلا يزال به أبو مرة حتى يصير يسارق المرأة المنبرجة بالنظر ، وهي
في الطاقة ثم يصير يقصدها بالنظر المحقق ، ثم لا يزال إبليس يؤلف بينهما في الحرام
حتى تميل المرأة اليه ، فرمما طلع لها في غيبة زوجها فراقبهم الجيران ، وأعلموا جاعة
الوالى فقبضوا عليهم وأدخلوهم بيت الوالى وغرموا جملة فلوس : فإياك يا أخى من
الجلوس في شبايك الجامع أو الجلوس على بابه ثم إياك ، وكذلك لا يابغى لفقير أن
يتهاون برؤية امرأة أخيه إذا دخل بيته في عزومة ، فتخرج امرأة أخيه مسفرة وجهها
عليه ويرى زوجها أن ذلك من طريق الفقراء ، ولا يخفى أن طريق الفقراء محررة على
الكتاب والسنة ، قال تعالى :

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) .

وذلك لعدم العصمة ، فإن النهى لا يقع في محل إلا مع صحة وقوع ذلك المحل فيه ،
ولو أنه كان معصوما من الوقوع لما احتاج إلى نهى فافهم ، لكن جوز بعض العلماء
الخلوة للولى بالولية الأجنبية كرابعة العدوية ، وسفيان النورى ، نظرا إلى المعنى الذى
حرم النظر لأجله والخلوة لأجله ، وهو مذهب فيه ترخيص كترخيص من جوز شرب
قليل النبيذ الذى لا يسكر نظرا لانتفاء العلة التى حرم الشرب لأجلها وهو الإسكار ،

والحق أن مذهب الفقهاء وغالب الأئمة إنما هو مبنى على الاحتياط وللتشديد في الدين
لكونهم عمدة أهل الإسلام ، فإذا فعلوا شيئاً تبعهم عوام الناس على ذلك مع عدم
شهودهم منازعهم فيها فيهلكون الناس .

وقد كان الشيخ العارف بالله تعالى أبو بكر الحديدى إذا رأى أحداً من الأولياء
الذين يتبرك الناس بدعائهم ورقبتهم يضع يده على محل الوجع من الأجنبية يصبح به
ارفع يدك وارقتها باللسان هل أنت معصوم ؟ رضى الله عنه .

وقد أخبرنى الشيخ شرف الدين الخطابى المدرس فى زاوية سيدى عثمان الخطابى أن
زوجة الشيخ الحافظ عثمان الديرى كانت تخرج سافرة الوجه على سيدى عثمان الخطابى ،
وكذلك زوجة الآخر مع الآخر ويأتى كل واحد منهما إلى دار الآخر فيختلى بزوجة
الآخر وتخرج له ما يأكل وما يشرب فى غيبة الآخر مثل ما نقل عن رابعة العدوية
وسفيان الثورى ، ولكل رجال مشهد ، والمشى على ظاهر الشريعة أحوط :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً : « مَنْ أَطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ
لَهُمْ أَنْ يَفْقَهُوا عَيْنِيهِ » .

وفى رواية للنسائى مرفوعاً : « مَنْ أَطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَفَّتُوا عَيْنَهُ
فَلَا دِيَّةَ وَلَا قِصَاصَ » .

وروى الإمام أحمد والترمذى مرفوعاً : « أَيُّمَا رَجُلٍ كَشَفَتْ سِتْرًا فَأَدْخَلَ بَصَرَهُ
قَبْلَ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فَقَبِدْ أُنَى حَدًّا لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا فَمَأْ عَيْنَهُ فَقَدَّ
أَهْدَرَتْ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى بَابٍ لَأَسْتَرَهُ فَرَأَى عَوْرَةَ أَهْلِهِ فَلَا خَطِيئَةَ عَلَيْهِ
إِنَّ الْخَطِيئَةَ عَلَى أَهْلِ الْمَنْزِلِ » .

وروى الطبرانى ورواته ثقات : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ
عَنِ الْأَسْتِئْذَانِ فِي الْبُيُوتِ فَقَالَ مَنْ دَخَلَتْ عَيْنُهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ وَيُسَلِّمَ فَلَا إِذْنَ لَهُ
وَقَدْ عَصَى رَبَّهُ » .

وروى الشيخان وغيرهما : « أَنَّ رَجُلًا أَطَّلَعَ مِنْ بَعْضِ حُجَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَقَامَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِشْقَصٍ أَوْ بِمَشَاقِصَ كَأَنَّهُ أَنْظَرُ إِلَيْهِ يَخْتَلِ الرَّجُلَ لِيَطْمَئِنُّهُ « والمشقص : سهم له نصل عريض .

وفي رواية للشيخين وغيرهما : « إِنَّ رَجُلًا أَطْلَعَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِذْرَافًا يَحْكُ بِهَا رَأْسَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ عَلِمْتَ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَمَنْتُكَ بِهَا فِي عَيْنَيْكَ لَمَّا جِيلَ الْإِسْتِثْدَانُ مِنْ أَجْلِ النَّظَرِ » .

وروى أبو داود وغيره مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَهُنَّ فَذَكَرَ مِنْهُنَّ وَلَا يَنْظُرُ فِي قَعْرِ بَيْتٍ قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ دَخَلَ » .

وروى الطبراني مرفوعا : « لَا تَأْتُوا التُّبُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَلَكِنْ اثْبُوتُهَا مِنْ جَوَابِهَا ، وَاسْتَأْذِنُوا فَإِنْ أُذِنَ لَكُمْ فَأَدْخُلُوا وَإِلَّا فَارْجِعُوا » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نستمتع لحديث قوم وهم لنا كارهون ولا تفتقر معرفتنا لسكراهمهم إلى لفظ يقع منهم ، بل تكني القرينة التي طرقت قلوبنا منهم ، وهذا العهد يقع في خيائه كثير من الناس تهاونا به وهو دليل على قلة الدين ، فإنه لولا عظمة ذلك للذنب ما نهى الله ورسوله عنه ولا قال تعالى : (ولا تجسسوا) فافهم . فان من علامة تعظيم العبد لله تعالى تعظيم ما عظمه الله واعتنى به تعالى بالنهي عنه : فأياك يا أخى أن تتجسس على أخبار أحد من أعدائك وما جرى له بل أعرض عن أحواله جملة أو أسأل عنها لتتوجع له أو لتحمل همه والله يتولى هداك : وروى البخارى وغيره مرفوعا : « مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي آذَانِهِ الْآنَ الْيَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

والآنك بالمد وضم النون : هو الرصاص المذاب ، والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بترك رياضة نفوسنا أبدا هروبا من وقوعها في سرعة للغضب بغير حق حمية جاهلية ، فيتعين على كل مروهلاه الله تعالى ولاية أن يروض نفسه على يد شيخ ناصح ليصير سداه ولحمته اللحم على رعيته إلا في مواضع أمره الشارع فيها بعدم اللحم ، كإقامته الحدود الشرعية على أربابها

ونحو ذلك ، فمن راض نفسه كما ذكرنا قل غضبه على زوجته وولده وغلामه وصاحبه .
وصار لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمت الله عز وجل لا غير ، وقد درجت الأئمة وجميع
مشايخ الصوفية على العمل على عدم الغضب جهدهم ، فإن الغضب بئس الصفة ، لاسيما
في حق من كثر دعاؤه إلى الله تعالى فإن حكم غضبه على تلامذته حكم غضب راعي الغنم إذا
غضب على غنمه من شدة شتاتهم وتركهم في البرية للذئب والسبع بعد أن كان تعب
فيهم من حين كانوا يرضعون اللبن ، وذلك معدود بيقين من سخافة العقل .

فاسلك يا أخى على يد شيخ ناصح يخرجك عن رعونات النفوس ويلطف كتابك
حتى تكاد تلحق بالملائكة ، لتصير تتحمل من رعيتك جميع الصفات المخالفة لأغراضك
ولا تتأثر والله يتولى هداك :

وقد روى البخارى : « أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي قَالَ
لَا تَغْضَبْ فَرَدَّ مَرَارًا قَالَ لَا تَغْضَبْ » .

وروى الإمام أحمد عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : فكرت
في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغضب ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله ؛
وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه : « أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُبَاعِدُنِي مِنْ غَضَبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لَا تَغْضَبْ » .

وروى الترمذى مرفوعا : « إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ ، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ
الْبَطِيءُ ، وَالغَضَبِ سَرِيعُ النَّوَى ، وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الغَضَبِ سَرِيعُ النَّوَى فَنَلَّكَ بِتَلَّكَ ،
أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ سَرِيعُ الغَضَبِ بَطِيءُ النَّوَى ، أَلَا وَخَيْرُهُمْ بَطِيءُ الغَضَبِ سَرِيعُ الرَّجُوعِ
وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الغَضَبِ بَطِيءُ الرَّجُوعِ » .

وروى البخارى تعليقا : « من صبر عند الغضب وعفا عند الإساءة عصمه الله وخضع
له عدوه » .

وروى الطبرانى مرفوعا : « مَنْ دَفَعَ غَضَبَهُ دَفَعَ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ » والله أعلم .
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نشاجر أحدا من المسلمين
ولا نهجره ولا ندابره إلا بوجه شرعى :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى طول مجاهدة وسلوك على يد شيخ ناصح ليخرج به من حضرات رعونات النفوس ويدخل به إلى حضرات الصفاء ومحبة كل من علم أنه يحب الله ورسوله ، وقليل من الناس من يصبر على طول المجاهدة المذكورة ، وما نهانا الشارع عن هذه الأمور إلا شفقة علينا ومحبة لنا خوفاً أن ينزل علينا البلاء الذي لا مرد له ، وتندرس معالم الشريعة بذلك ، ولو لم يكن إلا أن من ارتكب شيئاً من هذه الأمور لا يرفع له إلى السماء عمل لكان فيه كفاية ، فإن الشارع ألحق أعمالنا بأعمال الكفار في عدم رفعها مادامنا متشاحنين ، وقد عم هذا البلاء غالب الخلق حتى بعض العلماء ومشايخ الزوايا وصار أحدهم لأخيه خيراً ويشمت به إذا نزلت به مصيبة ، وصرت إذا سألت أحدهم عن الآخر يقول بئس من ذكرت خلونا بلا غيبة تعريضاً لما فيه من النقائص ، وصار أحدهم إذا قام أخوه بأمره بالمعروف ينخذل عليه ويحمله على الرياء وحسب السمعة حتى اضمحل غالب أركان الشريعة وقواعدها ، وما هكذا أدركنا المشايخ ولا العلماء فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ووالله إنا قد استحققنا الخسف بنا لولا عفو الله تعالى وحلمه وإذا كان المريدون والعوام الذين غلبت عليهم رعونات النفوس يقبح عليهم مشاحنة مسلم ، فكيف بالعلماء ومشايخ الطريق ؟ ولكن سبب ذلك كله عدم فطام هؤلاء المشايخ على يد أسيانهم ، ولو أنهم سلكوا الطريق لأكرموا عباد الله بمحبتهم لله ولرسوله وتحملوا أذى الله ورسوله كما قالوا في المثل : لعين تجازى ألف عين وتكرم ، فوالله إن عظمة الله ورسوله خرجت من كل مشاحن .

فعلم أن من الواجب على كل من يدعى أنه يحب الله ورسوله أن يعفو ويصفح عن جميع هذه الأمة المحمدية ولو فعلوا معه من الأذى ما فعلوا إكراماً لمن هم عبيده سبحانه وتعالى ولن هم من أمته صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكرنا في عهد البحر المورود أن من الواجب على المرید لإكرام كل من كان شيخه ومولاه ، وأن من كره أحداً من جماعة شيعته بغير طريق شرعي فهو كاذب في دعواه صحة الأخذ عنه ، وذلك دليل على تمكن المقت منه ، ولو أنهم صح لهم الأخذ عن شيخهم لأحبوا كل من كان شيخهم يحبه ، وما رأيت أحداً على هذا القدم في عصرنا هذا سوى سيدي محمد الشناوي ، والشيخ سليمان الخضيرى ، رأيتهما إذا رأيا أحداً ممن يجب شيخهما يرفرفان عليه بقلوبهما ويكرمانه أشد الإكرام ، فرضى الله عنهما .

فاعلم ذلك يا أخى والله يتولى هداك :

وقد روى البخارى ومالك وأبو داود والترمذى والنسائى مرفوعا :

« لَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ » ورواه الطبرانى وزاد فيه « يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَالَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ بِسَبْقِي إِلَى الْجَنَّةِ » .

وفى رواية للشيخين وغيرهما مرفوعا : « وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » .

قال الإمام مالك رحمه الله : ولا أحسب التدابر إلا الإعراض عن المسلم يدبر عنه

بوجهه :

وروى أبو داود والنسائى مرفوعا : « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَهَاتَ دَخَلَ النَّارَ » .

وفى رواية لأبى داود مرفوعا : « لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثٍ فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ فَلَقِيَهُ فَلَيْسَتْ عَلَيْهِ فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدِ اشْتَرَى كَأَنَّ فِي الْأَجْرِ وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِيمِمْ وَخَرَجَ الْمُسْلِمُ مِنَ الْهَجْرَةِ » .

وفى رواية لأبى داود مرفوعا : « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَإِذَا لَقِيَهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِيمِمْ » .

زاد فى رواية للإمام أحمد « فَإِنْ مَاتَا عَلَى صِرَامِهِمَا لَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ جَمِيعًا أَبَدًا » .

وفى رواية لابن حبان فى صحيحه : « فَإِنْ مَاتَا عَلَى صِرَامِهِمَا لَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ وَلَمْ يَجْتَمِعَا فِي الْجَنَّةِ » .

وفى رواية لابن أبى شيبه : « وَأَيُّهُمَا بَدَأَ صَاحِبُهُ بِالسَّلَامِ كَفَرَتْ ذُنُوبُهُ ، فَإِنْ هُوَ سَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَلَمْ يَقْبَلْ سَلَامَهُ رَدَّ عَلَيْهِ الْمَلَكُ وَرَدَّ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْطَانُ » .

وروى أبو داود والبيهقى مرفوعا : « مِنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفَكَ دَمِهِ » .

وروى مسلم مرفوعاً: « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَدْسُ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ
وَلَكِنَّ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ » .

قال الشيخ عبد العظيم: والتحريش هو الإغراء وتغيير القلوب والتقاطع .
وروى مالك ومسلم مرفوعاً: « تَعْضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمْسٍ فَيَغْزِرُ اللَّهُ
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا امْرَأًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ
شَحْنَاءٌ فَيَقُولُ اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا » .

قال أبو داود وإذا كنت الهجرة لله تعالى فليس شيء من هذا ، فإن النبي صلى الله عليه
وسلم هجر بعض نسائه أربعين صباحاً وهجر ابن عمر ابناً له حتى مات اه .
قلت : وكان سيدي للشيخ عبدالعزيز الديريني يقول لا يلبق الهجر بأمثالها الغارقين في
حفظ نفوسهم وإنما يلبق الهجر بالعلماء بالله الغواصين على دسائس النفوس :

وروى البيهقي وغيره مرفوعاً ومرسلاً: « يَطْلَعُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ كَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ
شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا لِلْمُشْرِكِ أَوْ مُشَاحِنٍ » .

قلت : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : ينبغي للشيخ إذا أصلح بين
فقرين ولم يسمعه له أن يهجرهما جميعاً كما هجرهما الله تعالى ومنع صعود عملهما إلى ديوان
السماء والله تعالى أعلم :

(أخذ عاينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بحصائد
ألسنتنا كقولنا في حال غضب على مسلم يا كافر يا قليل الدين يا عديم الدين ونحو ذلك مع
جهلنا بعاقبته ، فإن أطلعنا الله تعالى من طريق الكشف الصحيح الذي لا يدخله نحو على
أن ذلك المسلم يموت كافراً أو قليل الدين أو عديمه فلنا ذلك ، وهذا العهد يقع في خيانتة
كثير من الناس حال غضبهم اللهم إلا أن يكون القائل لذلك يقصد به كفر النعمة
أو الكفر الذي لا يخرج به المسلم عن دين الإسلام المشار إليه بقوله تعالى :

(وَمَنْ لَمْ يَخُفْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) .

قال قتادة ومجاهد وغيرهما هو كفر لا يخرج به المسلم عن الإسلام ، ونظير ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم :

« الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ » .

يعنى التشكيك فيه فيأتى الرأى لن يتهم من القرآن أمرا يجزم به فيدخل عليه الشبهة حتى يشكسه فيه ويخرجه عن الجزم به ؟ واعلم أنه لا ينبغي لولد الصلب أو واد القلب أن يستسعى على والده المذكور إذا سبق لسانه بقوله يا كافر يا نصرانى يا يهودى يا مشرك بالله يامراق الدم ونحو ذلك ، فإن مراد والده بذلك تعظيم الأمر الذى خالفه فيه وتغليظه عليه وتقييحه فى عينه لاغير ، بدليل أنه إذا وقع فى معصية وأرادوا أن يقتلوه أو يضره به لا يهون عليه مع أن كل هذه الأمور تحتل التأويل ، فإن الكفر هو السر ولا بد أن يستر ذلك الشخص عن الناس أمرا ما ، والنصرانى الذى ينصر غيره فى أمر واليهودى المائل إلى دينه الراجع إليه والمشرك به فى وجود أو فعل أو ملك ، والمراق للدم الذى يقصد أو يحجم ونحو ذلك فاعلم ذلك .

وروى مالك والشيخان وغيرهما مرفوعا : « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا فَإِنْ كَانَ كَمَا قِيلَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ » .

وفى رواية لابن حبان فى صحيحه مرفوعا : « مَا كَفَرَ رَجُلٌ رَجُلًا إِلَّا بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَافِرًا وَإِلَّا كَفَرَ بِتَكْفِيرِهِ » .

وروى البزار مرفوعا ورواه ثقات : « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ فَهُوَ كَيْتَلُهُ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانسب آدميا ولا بهيمة ولا غيرها من المخلوقات ولا نلعنهما إلا بلعنة الله تعالى ، كلعننا إبليس إذا تراهى لنا مثلا وذكر اسمه كلعن من عمل عمل قوم لوط وغير حدود الأرض ، أو ذبح لغير الله ، أو كان اللعن لغير معين كقولنا لعن الله اليهود ونحو ذلك ، ويجب على كل مسلم أن يعود لسانه الكلام الصادق والحسن دون الكذب والقيبح ؟

وقد بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر على خنزير ، فقال ما معناه أنعم صابحا فقبل له فى ذلك ، فقال إنما فعلت ذلك لأعود لسانى الكلام الحسن ؟
ويحتاج العامل بهذا العهد إلى رياضة تامة على بدشيوخ حتى يمدح من نفسه الرعونات ، ويخلقه بالأخلاق الحسنة وإلا فلا يشم من العمل بهذا العهد رائحة :

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما : « سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَفِتْنَاهُ كُفْرٌ » .
وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا : « الْمُسْتَبَانِ شَيْطَانَانِ يَأْمُرَانِ ،
وَيَنْكَرَانِ » .

وروى أبو داود وغيره مرفوعا متصلا : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجَابِرِ
ابْنِ سُلَيْمٍ : لَا تَسُبَّنْ أَحَدًا ، قَالَ جَابِرٌ : فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَ ذَلِكَ حُرًّا وَلَا عَبْدًا وَلَا بَعِيرًا
وَلَا شَاةً » الحديث .

وروى البخاري وغيره مرفوعا : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ
قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ
وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » .

وروى البخاري وغيره مرفوعا : « لَا يَنْبَغِي لِصَدِيقٍ أَنْ يَكُونَ لِقَانًا » .
وفي رواية للحاكم مرفوعا : « لَا يَجْتَمِعُ أَنْ يَكُونُوا لَعْنَيْنِ صِدِّيقَيْنِ » .
قال ذلك لأبي بكر حين لعن بعض رقيقته .

وروى الطبراني بإسناد جيد عن سلمة بن الأكوع قال : كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه
رأينا أنه قد أتى بابا من الكبائر :

وروى أبو داود مرفوعا : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا فَلِنْ كَانَ أَهْلًا لِنِتَانِكَ اللَّعْنَةِ
وَإِلَّا رَجَمَتْ إِلَى قَائِلِهَا » .

وروى مسلم وغيره : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ امْرَأَةً مِنَ
الْأَنْصَارِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ تَلْعَنُ نَاقَتَهَا حِينَ ضَجِرَتْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَذُوا
مَاعِيَهَا وَدَعُوها فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ » .

قال عمران بن حصين فكأنى أراها الآن تمشى في الناس ما تعرض لها أحد .

وروى أبو يعلى وابن أبي الدنيا : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى
رَجُلًا يَلْعَنُ بَعِيرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسِرْ مَعَنَا عَلَى بَعِيرٍ
مَلْعُونٍ » .

وروى النسائي مرفوعاً : « لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ »
وفي رواية للطبراني : « أَنَّ دِيكًا صَرَخَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَسَبَّهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَا تَلْعَنُهُ وَلَا تَسُبَّهُ فَإِنَّهُ يَدْعُو لِلصَّلَاةِ » .
وروى أبو يعلى وغيره : « إِنَّ رَجُلًا لَدَغْتَهُ بُرْغُوثٌ فَلَمَعَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنُهَا فَإِنَّهَا نَبِيَّاتٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِلصَّلَاةِ » .
وفي رواية للبخاري ورجاله رجال الصحيح : « لَا تَسُبُّهُ - يَعْنِي الْبُرْغُوثَ - فَإِنَّهُ يُقِظُ نَبِيًّا
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِلصَّلَاةِ الصُّبْحِ » .
وروى الطبراني : « أَنَّ الْبُرْغُوثَ ذُكِرَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ
إِنَّهَا تُوقِظُ لِلصَّلَاةِ » .

وفي رواية له عن علي رضي الله عنه قال :

« نَزَلْنَا مَنْزِلًا قَادَتْنَا الْبُرْغُوثُ فَسَبَبْنَاهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
لَا تَسُبُّوهَا فَنِعِمَّتِ الدَّابَّةُ فَإِنَّهَا أُيْقِظَتْكُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وروى أبو داود والترمذي وابن حبان : « أَنَّ رَجُلًا لَعَنَ الرِّيْحَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنِ الرِّيْحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ
مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلِ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ » والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نطلق ألسنتنا بألفاظ
نفهم القذف لأحد من المسلمين فضلاً عن القذف الصريح ، وإن وقع أننا وقعنا في ذلك
سلمنا نفوسنا للمقذوف يتصرف فيها كيف يشاء ولا نتشفع عنده بأحد من الأكابر أو من
أصحابه لئلا يسأحننا بترك الحد ولو كان من أرقائنا ، وهذا العهد يخلف به كثير من الناس ،
فيقع أحدهم في عرض أخيه المسلم بحسب إشاعة الناس الذين لا يتورعون في منطلق
ويقولون فلان كاتب ، فلان فاسق فلان لوطي فلان يشرب الخمر ، فلان زان فلان يبيع
الحشيش ، فلان علق فلانة تحبه ونحو ذلك ، ولا رآه قط على فاحشة من هذه الفواحش

ولا أقيمت عند الحاكم بذلك بيئة عادلة ، وهذا كله من عدم خوف من وقع في ذلك على دينه :

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح حتى يخرق بصره إلى الدار الآخرة ، ويطابق بينها وبين هذه الدار وينظر ما يمشى عند الله هناك فيفعله هنا ومالا يمشى هناك فيتركه هنا، ومن لم يسلك كما ذكرنا فن لازمه أن لا يشم شيئا من رائحة التورع عن الوقوع في أعراض المسلمين :

(وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ)

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَدْ كَرِهَ مِنْهُنَّ وَقَدَفَ الْمُحْصَنَاتِ الْفِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا : « إِنَّ أَكْبَرَ الْأَكْبَابِرِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَمَى الْمُحْصَنَةِ » .

وروى الطبراني بإسناد جيد مرفوعا : « مَنْ ذَكَرَ أَمْرًا بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ لِيَعْبِيَهُ بِهِ حَبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَادٍ مَا قَالَ فِيهِ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « مَنْ قَدَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزَّنَا يُقَامُ عَلَيْهِ الْحُدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ » .

قلت : في هذا الحديث تصريح بأن أحكام الدار الآخرة قد تخالف الحكم الشرع في دار الدنيا ، وإلا فقد صرحت الأحاديث بتحريم الغيبة والنميمة ، وإن كان صاحبها محقا والله أعلم .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد عن عمرو بن العاص أنه زار عمته له فدعت بطعام فأبطأت الجارية فقالت ألا تستعجلين يا زانية ؟ فقال عمرو سبحان الله لقد قلت عظيما هل اطلعت منها على زنا ؟ قالت : لا والله ، فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« أَثِيمًا عَبْدٌ أَوْ امْرَأَةٌ قَالَ أَوْ قَالَتْ لَوْلِيدَيْهَا يَأْزَانِيَةٌ وَكَمْ تَتَلَدِّعُ مِنْهَا عَلَى زِنَا جَلَدَتْهَا وَلِيدَتُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُ لَا حَدَّ لَهُنَّ فِي الدُّنْيَا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نرّوع مسلماً ولا نشير إليه بسلاح ونحوه ولا جاهدن ولا مازحين لا سيما الأطفال ، إذا طلبنا أننا نخوفهم ليناموا في الليل مثلاً أو يسكنوا عن الصباح خوفناهم بتغليظ الصوت أو البعرة ، كقولنا اسكت البعرة جاءت ونعنى بها قيام الساعة لأن كل عاقل يخاف من مجيئها ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من الناس ويقولون إنما نلعب فيقال لهم تلعبون بشيء نهى عنه الشارع صلى الله عليه وسلم واعتنى بالتهنى عنه :

واعلم أن من أقبح الأمور أن يخاضم الرجل أخاه ثم يصبر يخفيه بشكواه من بيوت الحكام ، وربما حلفت أنه لا بد أن يشتكيه للمفتش مثلاً أو للقاضي أو للوالي ، وربما كان الخاف ضعيف القلب لاعادة له بدخول بيوت الحكام فيرى سلب ما له أهون عليه من الحكام والوقوف بين أيديهم :

فالزم يا أخى حرمة المسلمين كما أمرك الشارع ولا تهاون وتقول إنما أنا لعب وليس مقصودى شكوى حقيقة فإنه سوء أدب عظيم ؛ فإياك ثم إياك من ذلك والله يتولى هداك : وقد روى أبو داود أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا سائرين مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام رجل منهم فانطلق إلى رجل معه جمل فأخذه ففزع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا » .

وفى رواية للطبرانى أن رجلاً كان مسافراً مع النبي صلى الله عليه وسلم فخفق على راحلته فانتزع رجل سهماً من كنانته فانتبه فزعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا » ومعنى خفق : نغمس .

وروى أبو داود والترمذى مرفوعاً : « لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لِأَعْبَاءٍ وَلَا جَادًّا » .

وروى الطبرانى والبزار وغيرهما أن رجلاً أخذ نعل رجل فغيبها وهو يمزح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« لَا تَرَوُّعُوا الْمُسْلِمَ فَإِنَّ رَوْعَةَ الْمُسْلِمِ ظُلْمٌ عَظِيمٌ » .

وروى الطبرانى أن رجلاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام ونسى نعليه فأخذهما

رجل فوضعهما تحته فرجع الرجل فقال نعلي ، فقال القوم مارأيناها ، فقال الرجل هودة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فكيف بروعة المؤمن مرتين أو ثلاثا :

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ أَخَافَ مُؤْمِنًا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُؤْمِنَهُ مِنْ فَرَجِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وفي رواية له أيضا : « مَنْ نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخْفِيهِ فِيهَا بِغَيْرِ حَقٍّ أَخَافَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ » .
ومعنى ينزع : يرمى ، وأصل النزع الطعن والفساد .

وروى مسلم مرفوعا : « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِجَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْتَمُهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَأَلْقَا تِلْهُمَا وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ » .
وفي رواية لها أيضا « إِنْ الْمُسْلِمَيْنِ إِذَا حَمَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى أَخِيهِ السَّلَاحِ فَمِمَّا عَلَى حَرْفِ جَهَنَّمَ ، فَإِذَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ دَخَلَاهَا جَمِيعًا فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ ؟ قَالَ إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « سِيَابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » والله أعلم .
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نسب الدهر الذي نحن فيه يعنى الزمان ، وأما سبه بالمعنى الآخر فهو كفر صريح ، وهذا العهد يقع في خيانتته كثير من العلماء وللصالحين فضلا عن العوام والفاسقين ، فيقولون هذا زمان السوء هذا زمان الشؤم ، وكأنهم يسبون أنفسهم إذ الشر والخير إنما هما فعل المكلف لا فعل الزمان وأنشدوا :

نَسَبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا

إلى آخر ما قالوا ، وفي الحديث : « إِذَا قَالَ ابْنُ آدَمَ لَعَنَ اللَّهُ الدُّنْيَا قَالَتِ الدُّنْيَا ؟ لَعَنَ اللَّهُ أَعْصَانَا لِرَبِّهِ » .

فافهم وأضف الشر والشؤم إلى المسكلفين فإنه صدق بخلاف الزمان ، ومن تأمل في نفسه وجد نفسه تحت حكم قضاء الله وقدره في كل ما يقع على يديه من المعاصي والشرور فليس في يده دفعها عنه ولا دفع جزائها عنه إذا وقعت ، وكذلك جميع أفعال الظلمة والولادة ، فأمسك يا أخى الأصل ونزل في الفروع من غير غفلة عن مشاهدة الأصل لئلا تشرك بالله تعالى شيئا من خلقه على وجه أن لذلك الشيء أثرا في إيجاد الأفعال ، وأضف الأفعال إلى الخلق من حيث الوجه الذى أضافه الحق تعالى إليهم بقوله تعالى :

(تَفْعَلُونَ - تَعْمَلُونَ - تَكْسِبُونَ) ونحو ذلك .

وسمعت سيدى الخواص رحمه الله يقول : اجتمع أصحاب سيدى للشيخ سالم أبى العجا القوى بمدينة فوة بالبحيرة وهو مختصر وكانوا سبعمائة رجل ، فقالوا له أوصنا في هذا الوقت وصية موجزة نحفظها عنك فسكت ، ثم قال اعلّموا با إخر اننا أن كل ما فى الوجود يقابلكم بشاكة ما برز منكم من الأعمال الظاهرة والباطنة فانظروا كيف تكونون . قلت وهذا كلام في غاية النفاسة فن تأمله لم يصف قط إلى الزمان وأهله شيئا إلا على وجه الاستناد لأجل إقامة الحدود والتكاليف كما أشار إليه حديث :

« الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ » اه .

فلولا أنه يصح نسبة الأمور للدنيا ما أخبر الشارع صلى الله عليه وسلم أنها ملعونة ، فتأمله والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ ، وَأَنَا

الدَّهْرُ بِيَدَيَّ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ » .

وفي رواية : « أَقْلَبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا » .

وفي رواية لمسلم : « لَا يَسُبُّ أَحَدُكُمْ الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ » .

وفي رواية للبخارى : « لَا تَسْمُ الْعَيْنُ الْكَرِيمَ وَلَا تَقُولُوا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنَّ اللَّهَ

هُوَ الدَّهْرُ » .

وفي رواية لأبي داود والحاكم وغيرهما مرفوعا :

« قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤَذِّنُنِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ ، فَلَا يَقُلُ أَحَدٌ كُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ أَقْلَبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ » .

وروى الحاكم والبيهقي مرفوعا : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُقْرِضْنِي وَشَتَمْتَنِي عَبْدِي وَهُوَ لَا يَدْرِي يَقُولُ : وَادَهْرَاهُ وَادَهْرَاهُ وَأَنَا الدَّهْرُ » .
وفي رواية للبيهقي : « لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا الدَّهْرُ ، الْإِيَّامُ وَاللَّيَالَى أَجْدَدُهُمَا وَأَبْلَيْهِمَا وَآتَى بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ » .

وقوله أنا الدهر ضبطه الجمهور بضم الراء . وكان أبو داود ينكر ضم الراء ويقول لو كان كذلك لسكان اسما من أسماء الله تعالى ، وكان يقول إنما هو بفتح الراء على الظرف ومعناه أنا أطول الدهر والزمان أقلب الليل والنهار ورجح هذا بعضهم والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نسارر أحدا قط من إخواننا بنميمية إلا بطريق شرعي ، كما إذا رأينا ظالما قد عزم على أخذ مال أحد بغير حق أو حبسه أو ضربه أو عزم على السعي على وظيفة أو الزيادة في كراء بيته أو عزم على السعي على أنه يوليه وظيفة لا يطبق القيام بحقها ، كأن يجعله إقاضيا أو عاملا أو محتسبا أو نحو ذلك ، فإن النميمية ما حرمت إلا على وجه الإفساد :

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُنْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) .

وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من أهل هذا الزمان ويقولون إن نمواله لا تنقل إني قلت لك وصارت الإقامة بين أظهركم من أخوف ما يكون .

وقد أجمعت الأمة على تحريم النميمية وأنها من أعظم الذنوب عند الله عز وجل ، فخذ حذرك يا أخي من كل من نم لك فإنه ينم عليك ببة بين ، وكن عالية العوالم في الحسد وإلا وقعت ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِنَمَامٍ » .

وفي رواية : « قَتَاتٌ » وهو بمعنى النمام .

وقيل النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثا فينم عليهم ، والقنات الذي يتسمع عليهم وهم لا يعلمون ثم ينم ، وتقدم حديث الشيخين مرفوعا :

« أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ». .

وروى الطبراني مرفوعا : « النَّيْمَةُ وَالشَّيْمَةُ وَالْحَمِيَّةُ فِي النَّارِ » .

وفي رواية : « إِنْ النَّيْمَةَ وَالْحَقْدَ فِي النَّارِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ مُسْلِمٍ » .

وروى أبو يعلى وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِنْ الْكَذِبَ يُسَوِّدُ الرَّجُلَ ، وَالنَّمِيمَةَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « شَرُّ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاوِنَ بِالنَّمِيمَةِ الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ

الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَاءِ الْعَيْبِ » .

وفي رواية لأبي الشيخ : « الْهَمَّازُونَ وَاللَّمَّازُونَ وَالْمَشَاوِنَ بِالنَّمِيمَةِ الْبَاغُونَ

لِلْبُرَاءِ الْعَيْبِ يَحْشُرُهُمُ اللَّهُ فِي وُجُوهِ الْكِلَابِ » .

وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه مرفوعا في حديث طويل :

« فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ » .

ثم قال ابن حبان ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ أَقُولُ تَحْلِقُ الدِّينَ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون في وقوعنا

في غيبة فضلا عن وقوعنا في البهتان ، ولا نرى لنا أعمالا مكفرة لذلك كما عليه طائفة

المتهورين في أعراض الناس بل لا نزال خائفين من وقوعنا في ذلك ، وهذا دأبنا حتى

نلقى الله عز وجل ونصدر عن الحساب ، وهناك تظهر لنا الأعمال التي لنا هل وكفر تلك

الغيبية أم لا ؟ فإن أعمالنا الصالحة عندنا تحتاج إلى مكفرات أخر لما فيها من العلل والآفات

كما قيل :

ذُنُوبُكَ فِي الطَّلَاعَاتِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ إِذَا عُدَّتْ تَسْكِينِكَ عَنْ كُلِّ زَلَّةٍ

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : لا يقعن أحدكم في غيبة مسلم ثم يقول ولو

في نفسه إن لي أعمالا صالحة تسكفر عنى تلك الغيبة فر بما كان من اغتيبناه أو بهتناه لا يرضيه

جميع أعمالنا يوم القيامة ، وهذا الداء قد عم غالب الخلق وما سلم منه إلا القليل ، وصار غالب

الناس من وراء الواحد بوجهه ومن قدامه بوجهه ، فالعاقل لا يتكدر من الغيبة فيه بل ينبغي له الفرح لأن الله تعالى يحكمه يوم القيامة في أعمال الذي اغتابه فيأخذ منها ماشاء . وقد سمعت أخی أفضل الدين رحمه الله يقول عن شخص اغتابه : اللهم اغفر له ما جناه من جهتي واقسم له الاخلاص في أعماله ليعطى الناس منها يوم القيامة ، فإن الأعمال التي دخلها رياء أو سمعة لا يوصل إلى الآخرة منها مع صاحبها شيء حتى يرضى به الناس الذين اغتابهم ، فرضى الله تعالى عنه ما كان أرحمه بعباد الله عز وجل :

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به الطريق حتى يصير يشاهد بقلبه عرصات القيامة وما يمشى هناك من الأعمال وما يرد وما يؤاخذ الله به وما لا يؤاخذه ليحذر من الوقوع في كل شيء لا يمشى هناك ، فإن غالب إيمان الناس صار فيه ضعف فلا ينهض بصاحبه إلى مقام اجتناب هذه الموبقات ، ولو أن الإيمان كان قويا لما وقع أحد قط فيما حرم الله .

وقد سمعت سيدي عايبا الخواص رحمه الله يقول : كل من لا يكرن عنده ما توعدده الله تعالى به كالحاضر على حد سواء ، فمن لازمه وقوعه في المخالفات ، وتأمل صاحب الشهرة للجاج وصاحب المسال إذا بخل بإخراج الزكاة لو أوجب السلطان له نارا عظيمة وقال له إن منعت الزكاة أو زנית بهذه المرأة عذبتك وأحرقتك بهذه النار قولاً حازماً كيف لا يفعل الزنا ولا يمنع الزكاة لمشاهدته للعذاب ببصره ، فكذلك من يشهد ببصيرته كفارة الغيبة ، ومن هنا قلت معاصي كمل المؤمنين وكثرت معاصي غيرهم .

وقد بلغنا أن سيدي الشيخ أبا المواهب الشاذلي رضي الله عنه كان يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت يارسول الله ما كفارة الغيبة إذالم تبلغ صاحبها ؟ فقال كفارتها أن تقر أقل هو الله أحد والمعوذتين وتمهدى ثواب ذلك في صحائف من اغتابته اه :
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وروى الشيخان وغيرهما : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : إِنْ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاصُكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ » .

وروى مسلم والترمذي مرفوعاً : « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ » .

وروى الطبراني مرفوعاً: « الرَّبَّاءُ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا أَذْنَاهَا مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ
أُمُّهُ ، وَإِنْ أَرَبَى الرَّبَّاءُ اسْتَطَالَتْ الرَّجُلِ فِي عَرَضِ أَخِيهِ » .

وروى البزار بإسناد قوى مرفوعاً :

« إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ اسْتَطَالَةَ الرَّجُلِ فِي عَرَضِ الرَّجُلِ لِلسُّلْمِ بِغَيْرِ حَقٍّ ،
وَمِنْ الْكِبَائِرِ السُّبْتَانِ بِالسُّبْتَةِ » .

وروى أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح :

« أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْبُكَ مِنْ
صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا » قال بعض الرواة : يعنى قصيرة ، « فَقَالَ لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مَرَجَتْ
بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ » .

أى لو قدرت جسمها وطرحتها في البحر لكدرته وصيرت ريحه منقنا :

وروى أبو داود : أن زينب قالت لصفية مرة ياهودية في حال غضب فهجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم زينب ذا الحجة والحرم وبعض صهره :

وروى ابن الدنيا عن عائشة قالت :

« قُلْتُ لِأَمْرَأَةٍ مَرَّةً وَأَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ هَذِهِ أَطْوَيْلَةُ الدَّيْلِ ،
فَقَالَ الْفِطْيَى فَلَفَظْتُ بَضْعَةً مِنْ لَحْمٍ » .

ومعنى الفطى : ارمى ما في فلك ، والبضعة : القطعة .

وروى أبو يعلى والطبراني : « أَنَّ رَجُلًا قَامَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَرَأَى فِي قِيَامِهِ عَجْزًا فَقَالُوا مَا أَعْجَزَ فَلَانًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلْتُمْ
لَحْمَ أَخِيكُمْ وَأَغْبَيْتُمُوهُ » .

وروى الأصبهاني بإسناد حسن : « أَسْهَمُ ذَكَرُوا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رَجُلًا وَقَالُوا إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُطْعَمَ وَلَا يَرْجُلُ حَتَّى يَرْجَلَ لَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اغْتَبَيْتُمُوهُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا حَدَّثْنَا بِمَا فِيهِ ، قَالَ حَسْبُكُمْ إِذَا
ذَكَرْتُمْ أَخَاكُمْ بِمَا فِيهِ » .

وروى الطبراني ورواه رواية الصحيح :

« أَنْ رَجُلًا قَامَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَعَ فِيهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَخَلَّلُ قَالَ وَمِمَّ أَنْتَ تَخَلَّلُ؟ مَا أَكَلْتَ لَحْمًا، قَالَ: إِنَّكَ أَكَلْتَ لَحْمَ أَخِيكَ » .

وروى ابن أبي الدنيا والطبراني مرفوعا قال :

« أَرَبِمَّةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْأَذَى فَذَكَرَ مِنْهُمْ وَرَجُلٌ كَانَ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ بِالْغَيْبَةِ وَيَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ » .

وروى الإمام أحمد: « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ فِي النَّارِ فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجِيفَ؟ فَقَالَ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيْلُ؟ فَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » .

وروى أبو داود مرفوعا قال : « لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْشُونَ وُجُوهُهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » .

وروى ابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي مرفوعا :

« الْغَيْبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزُّنَا، قِيلَ وَكَيْفَ؟ قَالَ: الرَّجُلُ يَزِيْرِي مُمَّ يَتُوبُ فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ صَاحِبَ الْغَيْبَةِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ » .

وروى الأصبهاني مرفوعا : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْتَى كِتَابَهُ مَنْشُورًا فَيَقُولُ يَا رَبِّ فَأَيْنَ حَسَنَاتُ كَذَا وَكَذَا عَمِلْتُهَا لَيْسَتْ فِي صَحِيحَتِي؟ فَيُقَالُ لَهُ مُحِيتَ بِأَغْتِيَابِكَ النَّاسِ » .

وروى مسلم وأبو داود وغيرهما مرفوعا : « أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ فَقَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَسْكُرُهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِي أَخِيكَ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَسْكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ » .

والأحاديث في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم ۞

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بتركه وقوعنا في الكلام اللغو خوفاً أن يجر إلى مكروه أو حرام ، ونعوذ لساننا أن لا يجيب عن الكلام إلا بعد تأمل وثبت ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من الحجاج إذا رجعوا من الحج فيصير يحكى ما وقع له من غير أن يسأله الناس عنه فيصير الناس الذين يسمون عليه متقلبين لأجل حوائجهم التي وراءهم من سلام على حجاج آخرين أو غير ذلك وهو يهدر لهم كالشاعر ، وكذلك يقع في خيانتة كثير من الفقراء الذين تزورهم الأمراء فيفتحون على ذلك الأمير باب الكلام الذي ليس لذلك الأمير به حاجة كقوله له : كان فلان الأمير عندنا البارحة أو الباشا زارنا أمس أو قاضى العسكر أو أعطانى الباشا حصاناً مليحاً ونحو ذلك ، وهذا دليل على أن ذلك الشيخ ديناوى دق المطرقة لاستعزازه بالخلق ، وربما طول الشيخ للكلام على ذلك الأمير فيقول للشيخ وهو في وسط الكلام اقرءوا الفاتحة ياسيدى الشيخ فيكلح الشيخ فيصير دعاؤه خداجاً من قلة اعتقاد الأمير في الشيخ ، ولكثرة ما وقع فيه من اللغو والهديات ، فعلم أن من الأدب الكفت عن مثل ذلك ، والله غفور رحيم :

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً عن أبي موسى قال :

« قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ قَالَ: مَنْ سَلَّمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ . »

قلت : قال سيدى على الخواص رحمه الله ، وهذا من شرط كل داع إلى الله عز وجل ، فن ادعى مقام المشيخة ولم يسلم الناس من لسانه ولا من يده فهو كاذب ، لأنه إذا لم يسلم له كمال مقام الإسلام فكيف بمقام الإيمان؟ فكيف بمقام الإحسان الذى يدعيه؟ فإن شرط الداعى أن يقف في محل القرب يدعو المطرودين عن حضرة الله إلى حضرة الله والله أعلم ۞

وروى الشيخان مرفوعاً : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَنْبَغُ فِيهَا يَنْزِلُ بِهَا

فِي النَّارِ أَوْ بَعْدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » .

وفي رواية لابن ماجه والترمذى : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا

يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا » .

وقوله ما يتبين : أى ما يتفكر هل هى خير أو شر ؟ ۞

وروى البيهقى مرفوعاً : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَتَكَلَّمُ بِهَا إِلَّا

لِيُضْحِكَ بِهَا الْمَجْلِسَ يَهْوِي بِهَا أَبَعَدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَزِلُّ عَنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَزِلُّ عَنْ قَدَمَيْهِ .

وروى الترمذى والبيهقى مرفوعا : « لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَإِنَّ أَبَعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي » .
وروى مالك بلاغا أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كان يقول : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم ، وإن القلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون :
وروى الترمذى وابن ماجه وغيرهما مرفوعا :

« كَلَّ كَلَامَ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَأَلَهُ إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرُ اللَّهِ » .

وروى أبو الشيخ مرفوعا : « أَكْثَرُ النَّاسِ ذُنُوبًا أَكْثَرُهُمْ كَلَامًا فِيمَا لَا يَعْنِيهِمْ » .

وروى الترمذى مرفوعا ورواته ثقات : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » .
أى ما لا تدعو إليه ضرورة دينية أو دنيوية ، والأحاديث فى ذلك كثيرة والله تعالى أعلم :
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نحسد أحدا من خلق الله ولا نمتنى زوال ما أعطاه الله تعالى له من علم أو جاه أو كثرة اعتقاد فيه أو نحو ذلك من الأمور الدنيوية أو الدنيوية هروبا من راحة الاعتراض على الله عز وجل أو خوفا من مقتنا وطردنا ولعننا كما وقع لإبليس ، فإن جميع ما وقع له كان أصله الحسد لأدم عليه السلام كما صرحت به الآيات والأحاديث والأخبار ، فمن حسد أحدا من العلماء والصالحين فلا يستبعد أن يقع له كما وقع لإبليس .

ومن كلام سيدى على بن وفا رحمه الله تعالى : كن لأولياء الله خادما إما لترحم أو لتغتم أو لتسلم ، ولإياك أن تكون لهم حاسدا ، فإنه لا بد لك أن ترحم وتلعن وتطرد ولو على ممر الأيام ، وإن كان لك مؤلفات أو تلامذة عدمت النفع بهم .

وبالجملة فجميع ما يطلبه العبد لإخوانه من خير أو شر يجازيه الله تعالى بنظيره ، وهذا ضابطه :

واعلم أنه يا أخى لا يصح لك العمل بهذا العهد إلا إن سلكت على يد شيخ ناصح

وخرجت عن جميع رعونات النفوس وإلا فمن لازمك الحسد ، ولو كنت عاقلا لطابت
مع ربك أن يعطيك كما أعطى من حسدته واسترحت من تعرضك للموت :
قلت : وأنا أعطيك ميزانا تعرف به الحسود من غيره ، وهو أن كل من عجز عن
تصوير دعوى شرعية عليك في الدنيا والآخرة ، وهو مع ذلك يكرهك فاعلم أنه حسود
لإيرضيه إلا زوال النعمة عنك :

فاسلك يا أخى على يد شيخ إن أردت العمل بهذا العهد والله يتولى هداك :

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا في حديث طويل :

« وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا » .

وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم مرفوعا .

« لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ غِبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِيحُ جَهَنَّمَ ، وَلَا يَجْتَمِعُ

فِي جَوْفِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ » .

وروى أبو داود مرفوعا : « إِتَاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا

تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ ، أَوْ قَالَ الشُّبَّ » .

وروى الطبراني ورواته ثقات مرفوعا : « لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا » .

وفي رواية له أيضا مرفوعا : « لَيْسَ مِنِّي ذُو حَسَدٍ وَلَا تَمِيمَةٍ » الحديث .

وفي رواية له أيضا : « لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا ثَلَاثَ خِصَالٍ أَنْ تَكْثُرَ لَهُمُ الدُّنْيَا

فَيَتَحَاسَدُونَ » الحديث .

وروى البزار بإسناد جيد والبيهقي وغيرهما مرفوعا :

« دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاهُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ

تَحْلِقُ الشُّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ » .

وروى الترمذي وقال حديث حسن أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

لِأَنَسٍ يَا بُنَيَّ إِنَّ قَدْرَتَ عَلَيَّ أَنْ نُصْبِحَ وَنُتَمَسَّيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ حَسَدٌ لِأَحَدٍ فَأَقْمَلْ » .

وروى الإمام أحمد على شرط الشيخين :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ

مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ فَأَخْبَرَ ذَلِكَ الرَّجُلَ بِمَا قَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّهِ وَقَالُوا لَهُ مَا عَمَلُكَ؟ فَقَالَ لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي حَسَدًا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا غِشًا وَلَا أَحْسَدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ .

والأحاديث في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتكبر على أحد من المسلمين ولا نفتخر عليه ولا نعجب بشيء من أحوالنا الظاهرة والباطنة .

ويحتاج من يريد العمل بهذا للعهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح يسلك به حتى يسد عنه جميع الخمراس التي يدخل عليه منها الآفات .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : مخرس الكبر الذي يدخل على الإنسان منه الكبر والفخر والعجب هو شهوده أن الفضائل التي تكبر بها أو افتخر بها له ، فإذا سلك الطريق وجدها كلها لله عز وجل كشفاً وبقينا ليس للعبد منها شيء وإنما هي عارية لله تعالى عند العبد ، ولها مصارف شرعية يصرفها فيها ، كإظهار التكبر على فعل ما أمره به إبليس وإظهار الفخر على الكفر والظلمة ، وإظهار العجب من أفعال الحق تعالى في حلمه عليه وكثرة إحسانه له مع كثرة مخالفته .

واعلم أن تكبر العوام إنما هو بشهودهم النقص في أنفسهم ، فيريدون أن يزيلوا ما في نفوس الناس من احتقارهم لهم ولذلك يقولون في المثل لا تجمد النفورة إلا عند الحمير العرج وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه : قل من يكون في جسمه نقص إلا وعنده تكبر أى لأجل العلة التي ذكرناها .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يصح لأحد التكبر على الله تعالى أبداً وإنما تكبر من تكبر على أمر الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فتكبروا عن أمر الرسل مع غفلتهم عن كون أوامر الرسل هي أوامر الله تعالى حقيقة إذ الجناب الإلهي معظم عند سائر الملل فافهم .

وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى يقول : التكبر خاص بالإنس والجن دون غيرهما من سائر المخلوقات ، قال : والحكمة في ذلك كون المتوجه على إيجادهما من الأسماء الإلهية أسماء العنان واللطف والرحمة دون أسماء القهر وللذلة ، فخرج الإنس والجن من حضرات تلك الأسماء فلم يروا في نفوسهم ذلاً ولا انكساراً فتكبروا بخلاف

غيرهما من الملائكة والبهائم وغيرهما ، فإن المتوجه على إيجادهما أسماء القهر كالذل، والمنتقم والجبار ، فلذلك خرجوا أذلاء في نفوسهم ولا تكبر عندهم اه :

ثم لا يخفى أن صفات البشر وإن كانت من الأصل لغيره لاسيما لما حملت فيه تشكلت بشاكلته وصارت كأنها من أصل طبيئته لا يمكن زوالها منه أبدا ، وإنما الحق تعالى يعطل استعمالها في عباده المخلصين قال تعالى :

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ .)

فأخبر أن الشح من لازم البشر لاسيما توقي العمل به فضلا منه تعالى عليه ، وقال تعالى (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) .

وما قال (ومن شر) أن يقوم بأخذ حسد لى لعلمه تعالى بأن الحسد في كل جسد من البشر من الأمم .

وقد كنت رأيت مرة لوجا أحمر نزل من السماء في سلسلة فضة مكتوب فيه بالأخضر ، اعلموا أن حكم البشر حكم الطينة المعجونة من سائر الأجرام والطعوم والروائح والنفاس والخبيثة والخلة والثقل والجبن والبهخل والشجاعة والكرم والروائح الطيبة والكرمية وغير ذلك ، فإذا فرقت هذه الطينة بعد مجئها حتى صارت روحا واحدا أجزاء صغارا على أدق ما يقضى به العقل بحكم العقل ، بأن في كل جزء مجموع ما تفرق في غيره في طينة البشر من صفات الشر ما لا يحصى ومن صفات الخير ما لا يحصى ، وفي الأكاير من الصفات الناقصة كما في الأصاغر وعكسه لاسيما الصفات الناقصة خفية في الأكاير والصفات الكاملة خفية في الأصاغر وعكسه ، هذا حكم جميع ولد آدم ما عدا الأنبياء ، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد طهر الله تعالى طينتهم بسابق العناية لابعمل عملوه ولا بخير قدموه ، فطينتهم كلها خير لا شر فيها ، وأما غيرهم فهو باق على أصل طبيئته ، وما كان جبليا في النشأة فبحال أن يزول إلا بانعدام الذات ، وما دامت العناية تحف العبد بالصفات الحسنة مستعملة في العبد والسيدة معطلة ، وحينئذ يقول الناس لذلك الشخص شيء لله ، المدد ياسيدي الشيخ ، فإذا تخلفت عنه العناية قامت الصفات السيئة للاستعمال وتعطلت الحسنة ، فيكون العبد كالشيطان يقول الناس عند رؤيته نعوذ بالله من شر ما رأينا وتبرأ منه الخلق أجمعون اه ، ما رأيت في اللوح في واقعة من وقائعنا بمصر الحروسية وقد جهل العارفون من قال في كتابه باب علاج

زوال العجب باب علاج زوال الكبر ونحو ذلك ، لأنه يوهم أن هذه الصفات تزول من العبد والأمر بخلاف ذلك كما بيناه آنفا والله غفور رحيم .

وقد روى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً وَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ بَاطِنِينَ » .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « وَمَنْ تَكَبَّرَ قَصَمَهُ اللَّهُ أَوْ قَالَ أَخْتَأَهُ فَهُوَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرٌ وَفِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ » .

وروى الطبراني مرفوعا ورواته ثقات : « إِيَّاكُمْ وَالْكِبْرَ فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَإِنْ عَلِيهِ الْعِبَاءَةُ » .

وروى الإمام أحمد والترمذي والطبراني وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِنَّ أْبْقَصَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي بِمَجْلِسَا يَوْمِ الْقِيَامَةِ التَّرْتَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّقُونَ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمُتَفَيِّقُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ » .

وروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وغيرهم مرفوعا :

« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعُظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَقْبَيْتُهُ فِي النَّارِ » .

وروى مسلم وغيره مرفوعا : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ وَقَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ » . والعائل بالمد : هو الفقير .

وفي رواية للنسائي : « وَفَقِيرٌ مُخْتَالٌ » .

وفي رواية لابن خزيمة وابن حبان : « وَفَقِيرٌ فَخُورٌ » .

وفي رواية للبخاري : « وَقَائِلٌ مَزْهُومٌ » يعنى المزهو المعجب بنفسه المتكبر .

وفي رواية للطبراني مرفوعا : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُسْكِينٌ مُتَكَبِّرٌ » .

وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعا : « مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ كَبِيرٍ كَتَبَهُ اللهُ لَوَجْهِهِ فِي النَّارِ » .

وروى مسلم والترمذى مرفوعا : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كَبِيرٍ فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، وَالْكَبِيرُ بِطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ » .

وبطرس الحق دفعه ورده ، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم ، وكذلك غمصهم بالصاد المهملة .

وروى البخارى والنسائى وغيرهما مرفوعا : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْنُ كَانَ قَبْلَكُمْ يَجْرُ إِزَارَهُ خَيْلَاءَ إِذَا خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . والخيلاء : هو الكبر والعجب .

وقوله يتجلجل في الأرض : أى يغوص وينزل فيها .

وروى الإمام أحمد والبخارى مرفوعا : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْنُ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَ فِي بُرْدَيْنِ أَخْضَرَيْنِ يَخْتَالُ فِيهِمَا أَمَرَ اللهُ الْأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ ، مَرَّ رَجُلٌ بِرَأْسِهِ يَخْتَالُ فِي مِسْبِيهِ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وروى أبو يعلى عن كريب قال كنت أقود ابن عباس رضى الله عنهما في زقاق أبى لهب ، فقال يا كريب بلغنا مكان كذا وكذا قلت أنت عنده الآن ، قال حدثني العباس ابن عبد المطلب قال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع إذ أقبل رجل يتبختر بين بردين وينظر إلى عطفه قد أعجبته نفسه ، إذ خسف الله به الأرض في هذا الموضع فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

وروى ابن حبان في صحيحه والترمذى : « إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمَطِيطَاءُ وَخَدَمَتْهُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ سَلَطَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » .

والمطيطاء : هو التبختر ومد اليدين في المشى .

وروى الترمذى مرفوعا : « لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ » .

وقولهم يذهب بنفسه : أى يرتفع ويتكبر :

وروى البزار بإسناد جيد مرفوعا : « لَوْ لَمْ تُذُنُّوا تَخَشَّيْتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ الْمُجَبُّ » والله تعالى أعلم .

أخذ (علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانعظم أحدا إلا تبعنا لنعظيم الشارع صلى الله عليه وسلم ، كما لانقر أحدا على تعظيمه لنا ولو كنا على التدم الذى نعلم من الناس أنهم يعظمونا لأجله خوفا من مزاحمة أوصاف الربوبية ، ثم مرادنا بتعظيم الشارع لأحدنا حتى نعظمه أن توجد فيه الصفات الحميدة التى مدحها صلى الله عليه وسلم ، فكل من وجدت فيه صفة منها عظمناه وقمنا بواجب حقه ، وكل من لم توجد فيه أعرضنا عن تعظيمه ، ولو كان من أركان الدولة إلا أن يترتب على ذلك مصلحة لنا أو للمسلمين فعلم أنه لا ينبغى لنا تعظيم فاسق ولا مبتدع بنحو قولنا له ياسيدى أو نحوها من كلمات التعظيم والتفخيم إلا إن سبق لساننا بحكم عادتنا مع الناس السالمين من الفسق ، بل ربما سبق لسان بعض العلماء بقوله لليهود حشاك ياسيدى أو ملىح ياسيدى ، ومثل ذلك لا يؤخذ به العبد إن شاء الله تعالى قاله بعضهم ، وكلامنا فى الفسق الاصطلاحى كشارب الخمر والمبتدع ونحوهما مما توعد الشارع صلى الله عليه وسلم عليه ، وليس المراد به فعل مطلق الأمور التى ترد بها الشهادة كأكل فى السوق وإضحاك الناس والمشى بلا رداء أو مكشوف الرأس ونحو ذلك . ويجمع الفسق كله ارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة أو مداومة ارتكاب المكروه والإخلال بالسنن المشروعة ، ثم لافرق عند محققى الصوفية بين المعاصى الظاهرة كما قدمنا وبين ارتكاب المعاصى الباطنة كالحسد والكبر والحقود ونحوها ، فمن كان مرتكبا لشيء من هذه المعاصى فلا ينبغى لأحد أن يقول له ياسيدى ولا ينبغى له أيضا أن يقر الناس على ذلك وهو يعلم من نفسه الفسق بارتكاب ما يؤبداه للناس لنفسه ، والله غفور رحيم .

وروى أبو داود والنسائي بإسناد صحيح مرفوعا :

« لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ يَا سَيِّدِي فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ » .

ولفظ رواية الحاكم : « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِلْمُنَافِقِ يَا سَيِّدِي فَقَدْ أَغْضَبَ رَبَّهُ »
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون بالوقوع في الكذب من غير تثبيت ، سواء كان قولا أو فعلا ظاهرا أم باطنا كأن يدعى أحدهنا مقام التقريب عند الله تعالى ، وأنه محل أسراره وأنه يشفع في أهل عصره أو إخوانه يوم القيامة من غير أن يطلع الله تعالى على ذلك من طريق الكشف الصحيح الذي لا يدخله محو ، وهذا العهد قد كثرت خيانتها من غالب أهل هذا العصر حتى من بعض المشايخ الموجودين فيه فيقول أحدهم لصاحبه إذا جاءك الشيطان فتوجه إلى وقل يا فلان أذفعه عنك ، مع أن نفس الشيخ ربما كان إبليس راكبه هو لهلا ونهارا لا يكاد ينزل عنه بل بعضهم يقول إذا جاءك منكرو ونكير أو زبانية جهنم فقل أنا من جماعة فلان فإنهم يتركونك ونحو ذلك من الهدايات ، وقد استتر الأولياء أصحاب القدم وتركوا ناسا مثل هؤلاء لعلمهم بخروج الأشياء عن موضوعاتها الآن كالمقناة إذا خربت وأطلقوا فيها البهائم ، والله لا ينبغي للعبد الآن أن يدعى مقام الإسلام التام المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم :

« الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » .

فإن غالب الناس إذا أنصفوا يعلمون من أنفسهم أن المسلمين لم يسلموا من لسانهم ولا من يدهم فضلا عن سوء الظن بهم فيأزم العبد الألفاظ التي لا تشعر بكمال فإنها إلى الصدق أقرب :

وقد سئل الشيخ ذو النون المصري رضى الله عنه عن الصدق في الطريق ما هو فأشدد يقول :

قَدْ بَقِينَا مُدْنِبِينَ حَيَّارَى تَطْلُبُ الصِّدْقَ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

فأين هذا من قول بعض أهل الزمان أنا القطب الغوث ويمدح نفسه بذلك في الملاء ،

وأين هذا أيضا من قول الحسن البصرى سيد التابعين لمن قال له رأيتك البارحة فى الجنة أما وجد إبليس أحدا يسخر به غيرى وغيرك؟ وأين هذا أيضا من قول مالك بن دينار لما قيل له اخرج معنا للاستسقاء وأبى إنى أخاف أن تمطر عليكم حجارة بسبب وقوفى معكم ، وكان إذا أملى الحديث فمرت به سحابة يقطع التحديث ويقول : حتى تمر هذه السحابة فإنى أخاف أن يكون فيها حجارة ترجمنا بها . وكان يقول والله لو حلف شخص أننى ما أخاف الله ولا يوم الحساب فقلت له لا تكفر عن يمينك صدقت فإن أفعالى تصدق ذلك ، وأين هذا أيضا من قول معروف الكرخى رضى الله عنه والله إنى لأنظر إلى أننى فى كل يوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود من سوء ما أتعاطاه ، وكان كثيرا ما ينظر فى المرآة إذا قام من النوم وربما حسس على وجهه بيده ويقول أخاف أن يكون الله عز وجل قد حول وجهى وجه خنزير ، وأين هذا أيضا من قول سيدى الشيخ عبد العزيز الديرينى لما طلبوا منه كرامة والله يا أولادى ما عندى الآن كرامة أكرمنى الله بها أعظم من إمساك الأرض ولم يخسفها بى حين أمشى عليها ، والله يا أولادى لقد استحقينا الخسف بنا لولا عفو الله تعالى ؛ وأحوال السلف فى خوفهم من الله تعالى كثيرة مشهورة خلاف ما عليه بعض أهل هذا الزمان من حسن الظن بنفوسهم من غير طريق شرعى :

ومعلوم أن من شأن كل عارف بالله تعالى أن ينظر للذى عليه ولا ينظر للذى له ، وغالب المدعىين فى هذا الزمان وغيره لا بد أن يفتضحوا لأن كل مدع ممتحن ، وقد قال شخص من صوفية عصرنا هذا أطلعنى الله تعالى على جميع ما كتبه فى اللوح المحفوظ المشار إليه بقوله تعالى :

(وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) .

وكان ذلك بحصرة بعض الخذاق ، فقال له ياسيدى فكف فى حاجبك من شعرة؟ فإدرى ما يقول فافتضح ؛ فاعلم ذلك وإياك والدعاوى الكاذبة حتى تجاوز الصراط . والله يتولى هداك .

(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

وروى الشيخان مرفوعا : « يَا كُفُّمُ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » .

وفي رواية لابن حبان : « يَا كُفُّمُ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ » .

وروى الإمام أحمد : « أَنْ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَمَلُ أَهْلِ النَّارِ ؟ قَالَ : الْكَذِبُ . فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَذَبَ فَجَرَ ، وَإِذَا فَجَرَ كَفَرَ ، وَإِذَا كَفَرَ دَخَلَ النَّارَ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ » الحديث .

وروى الإمام أحمد والطبراني وغيرهما مرفوعا :

« لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَتْرَكَ الْكَذِبَ فِي الْمِرَاحِ وَاللِّرَاءِ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا » .

وفي رواية لأبي يعلى مرفوعا : « لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ صَرِيحَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتْرَكَ الْمِرَاحَ وَالْكَذِبَ » الحديث .

وروى البزار وأبو يعلى ورواه رواة الصحيح مرفوعا :

« يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ » .

وروى مالك مرفوعا : « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّكُمْ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا ؟ قَالَ : لَا » .

وروى الإمام أحمد : « كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِرٌّ كَاذِبٌ » .

وروى الأصبهاني مرفوعا : « الْكَذِبُ يَنْقِصُ الرَّزْقَ » .

وروى ابن أبي الدنيا والترمذي وقال حديث حسن مرفوعا :

« إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ عَنْهُ الْمَلَكُ مِائِلًا مِنْ تَنْبِنٍ مَا جَاءَ بِهِ »

وروى البزار وأحمد وابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت « ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ما طلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة »

وفي رواية كان يغضب على الكذبة الواحدة الشهر والشهرين وأكثر :

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « إِنَّ الْكَذِبَ يُكْتَبُ كَذِبًا حَتَّى تُكْتَبَ الْكَذِبَةُ كَذِبَةً » .

وروى الإمام أحمد وابن أبي الدنيا مرفوعا :

« مَنْ قَالَ لِبُيْتِي تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذِبَةٌ » .

وروى أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والبيهقي مرفوعا :

« وَبِئْسَ الَّذِي يُحَدِّثُ الْحَدِيثَ يَضْحِكُ بِهِ الْقَوْمَ فَيَسْكَذِبُ وَيَلُؤُهُ وَيَلُؤُهُ »
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون باستهزائنا بأحد من خلق الله عز وجل ، وذلك بأن نؤتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه على وجه الاستهزاء لاعلى وجه المداراة ، لأن الله تعالى لم يؤاخذ المنافقين بقولهم للذين آمنوا (إننا معكم) فقط ، وإنما أخذهم بقولهم (إنما نحن مستهزون) ولذلك لما رد الله عليهم لم يرد إلا استهزائهم فقط ، فقال (الله يستهزي بهم) فافهم ، فإن هذا من لباب التفسير :
ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ حتى يدخل به حضرات الأولياء ويعرف قدر عظمة المؤمن ومن هو مخاطب بالاستهزاء به ، والله لولا الجهل لكان الإنسان يستحق باستهزائه نحو دخول النار .

فاسلك يا أختي على يد شيخ إن أردت العمل بهذا العهد وإلا فن لازمك أن تكون ذا وجهين وذالسانين والله عليم حكيم .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَوْا ، وَتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّانِ ، يَعْنِي الْإِمَارَةَ ، أَشَدُّهُمْ لَهُ كَرَاهَةً ، وَتَجِدُونَ أَشْرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلًا بِوَجْهِ ، وَهَوْلًا بِوَجْهِ » .

وروى البخارى أنه قيل لعبد الله بن عمر : إننا كنا ندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده فقال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى الطبرانى مرفوعا : « ذُو الْوَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَآلُهُ وَجْهَانِ مِنْ نَارٍ » ورواه أبو داود وابن ماجه بنحوه .

وروى ابن أبي الدنيا والطبرانى والأصبهاني مرفوعا :

« مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ » .
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بالحلف بغير الله عز وجل لاسيا بالأمانة ولا بقول ، وألا يكون أحدنا بريئا من الإسلام أو نصرانيا أو يهوديا ونحو ذلك من ألفاظ العوام والفسقة ، وهذا العهد أكثر من يقع في خيانتهم من كان سييء الخلق فيجب على العبد رياضة النفس حتى يصير إذا خصم أحدا لا يتعدى إلى الحلفت بمثل ذلك ، وإن كان قصده بذلك الحلف إنما هو التبعاد عن الكفر لكن فيه رائحة وعد بالكفر إن كان الأمر بخلاف ما قصد التبعاد عنه ، فالواجب اجتناب ذلك بل بعض المذاهب يرى تكفيره بذلك لأنه كمن عزم على الكفر غدا فيكفر في الحال :

فاسلك يا أخى على يد شيخ حتى يخرجك من رعونات النفوس والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ » .

وروى الترمذى وحسنه في صحيحه والحاكم وغيرهم مرفوعا :

« مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ أَوْ كَفَرَ » .

وروى الطبرانى عن ابن مسعود أنه قال : لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن

أحلف بغير الله وأنا صادق :

وروى أبو داود مرفوعا : « مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » .

وروى أبو داود وابن ماجه والحاكم مرفوعا :

« مَنْ حَلَفَ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَيَّ الْإِسْلَامَ سَالِمًا » .

وروى أبو يعلى والخاتم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً :

« مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَهُوَ كَمَا حَلَفَ إِنْ قَالَ هُوَ يَهُودِيٌّ فَهُوَ يَهُودِيٌّ وَإِنْ قَالَ هُوَ نَصْرَانِيٌّ فَهُوَ نَصْرَانِيٌّ وَإِنْ قَالَ هُوَ بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى » .

وروى ابن ماجه : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ أَنَا إِذَنْ يَهُودِيٌّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَتْ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا تخلف قط يمينا كاذبة بالله عز وجل ولو لم تقتطع بها مالا لأحد لإجلال الله وتعالى وهذا العهد يخجل به كثير من الناس فيحتاج من يريد العمل به إلى سلوك على يد شيخ صادق يسير به حتى يدخل حضرات العظيم بالله عز وجل فيصير في غالب أوقاته يردد من هيبة الله عز وجل ، وهناك لا يجزأ قط على الخلف بالله تعالى لاجادا ولا مازحا .

ونقل عن الإمام الشافعي رضى الله عنه أنه كان يقول : ما حلفت بالله لاجادا ولا هازلا ولا لغوا ، ولكنى هنا دقيقة وهى أن بعض المتورعين يتوجه عليه اليمين وخصمه كاذب فلا يرضى أن يخلف ويغرم المال بغير طيبة نفس وهذا معدود من الورع البارد ، بل الذى ينبغى له أن يخلف كما كان الصحابة يخلفون ليحرموا أخاهم من أكل الحرام والمال الحرام وكذلك القول فى الأيدى المترتبة على ذلك ، ولو أنه كان حلف لأخذ حقه الحلال وحرم أخاه من الأثم إلا إن كان يبرى ذمته مما أخذه منه بغير حق بطيبة نفس (والله غفور رحيم) :

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً : « مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالٍ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِقَى اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » .

وفى رواية لها أيضا : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَدْرٍ يَقْتَضِعُ بِهَا مَالَ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ لِقَى اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » وفى رواية لها « وَهُوَ عَنْهُ مُعْرَضٌ » .

وفي رواية لأبي داود وابن ماجه وغيرهما مرفوعا :
« لَا يَقْتَطِعُ أَحَدٌ مَالًا بِيَمِينٍ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ أَجْدَمًا » .

وروى البخارى والترمذى والنسائى مرفوعا : « الْكِبَارُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَالْيَمِينُ
الْغَمُوسُ - الحديث - قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ؟ قَالَ الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ
أَمْرِي مُسْلِمًا - يعنى ييمين - هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ » .
قال الحافظ عبد العظيم : وإنما سميت اليمين الكاذبة غموسا لأنها تغمس الحالف في الاثم
في الدنيا وفي النار في الآخرة :

وفي رواية للترمذى وقال حديث حسن والطبرانى وابن حبان في صحيحه ؛
« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَخْلِفُ رَجُلٌ عَلَيَّ مِثْلَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلَّا كَانَتْ كَيْفَةً فِي
قَلْبِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وفي رواية : « نُسِكتَةٌ فِي قَلْبِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .
وروى البزار مرفوعا : « الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تُذْهِبُ الْمَالَ أَوْ تَذْهَبُ بِالْمَالِ » .
وروى البيهقي مرفوعا : الْمَعِينُ الْكَاذِبَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِالْأَقْعِ » .
وروى الامام أحمد مرفوعا : « خَمْسٌ لَيْسَ لَهُمْ كَفَّارَةٌ الشُّرْكُ بِاللَّهِ وَالْيَمِينُ
الْكَاذِبَةُ الْفَاجِرَةُ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالًا بِغَيْرِ حَقٍّ » الحديث .

قال الحافظ الخطابى : واليمين الفاجرة هى اللازمة لصاحبها من جهة الحكم فيصير من
أجلها إلى أن يجبس وهو يمين الصبر ، وأصل الصبر الحبس ومنه قولهم قتل فلان صبورا أى
حبسا على القتل وقهرا عليه :

وروى الطبرانى والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا :

« مَنْ أَقْتَطَعَ مَالَ أَمْرِي مُسْلِمًا بِيَمِينِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ
وَلَوْ سِوَا كَمَا » والله تعالى أعلم ،

(أخذ علينا المههد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نحتقر مسلما ولو
بلغ في الفسق ما يباغ لجهلنا بخاتمته ، وإنما نأمره ونناه من غير احتقار وربما يكون أحسن

حالاً منا، فكيف نحتقر من نحن أسوأ حالاً منه؟ وإيضاح ذلك أن السبب الموجب لوقوعنا في احتقاره إنما هو حسن الظن بأنفسنا وسوء الظن بغيرنا والواجب العكس، كما قالوا من حكمة العارف بالله أن يوسع على الناس ويضيق على نفسه ويرى أن الله تعالى سامح الخلق ويؤاخذهم هو :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى ساوك على يد شيخ ياحقه بمقام العارفين وإلا فمن لازمه أن يرى نفسه ناجياً وغيره هالكا .

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى مسلم وغيره مرفوعاً : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هُنَا ، التَّقْوَى هُنَا ، التَّقْوَى هُنَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ، بِحَسَبِ امْرَأٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ ، وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ » .

وتقدم حديث مسلم والترمذى وغيرهما مرفوعاً :

« الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَطُّ النَّاسِ » ومعنى غطت الناس : احتقارهم وازدراؤهم .

وروى الإمام مالك ومسلم وغيرهما « إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم » قال أبو إسحق سمعته بالنصب والرفع . قال أبو داود لأدري مراد أبي إسحق معنى بنصب الكاف من أهلكهم ورفعها ، وفسره مالك بما إذا قال ذلك معجباً بنفسه . زدرياً لغيره فهو أشد هلاكاً منهم لأنه لا يدري سر أمر الله في خلقه اه .

وروى مسلم مرفوعاً : « قَالَ رَجُلٌ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ . فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ ؟ إِيَّيْ قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ، وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ » .

وروى البيهقي مسرلاً : « إِنَّ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّاسِ يَفْتَحُ لِأَحَدِهِمْ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقَالُ لَهُمْ هَلُمَّ فَيَجِبُ بِكَرْبِهِ وَعَمِّهِ فَإِذَا جَاءَهُ أَغْلَقَ دُونَهُ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا أَحَدَهُمْ لِيُفْتَحَ لَهُ الْبَابُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ هَلُمَّ فَلَا يَأْتِيهِ مِنَ الْإِبَاسِ » .

وروى الإمام أحمد والبيهقي مرفوعاً : « لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ » .

وفي رواية لها : « لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدِّينِ أَوْ التَّقْوَى » .

وروى البيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَوَالِدُكُمْ وَأَبَاكُمْ وَوَالِدَاتُكُمْ ، لَأَفْضَلُ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » .

وتقدم الحديث الصحيح أوائل هذه العهود :

« وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نخالف وعدا وعدنا به أحد من ذهاب إلى مكان كذا أو عطية نعطيها أو عمل نساعده عليه ونحو ذلك ، وكذلك لا نخون ولا نغدر ، ولا نقتل معاهدا ولا نظلمه بشتم أو ضرب أو غيبة ونحو ذلك ؛ وقد ورد أن خلف الوعد أو العهد في حق الخلق مذموم ، فكيف بمن يوعد الله تعالى أو يعاهده ويخلف ؟ نسأل الله تعالى اللطف .

وقد وقع لي في أيام الصبا أنني عاهدت الله تعالى في أيام على أنى لا آكل من طعام فاض ولا مباشر ولا من يبيع على الظلمة أو أصحاب المكوس مادمت أعيش ، فرأيت سيدي محمدا الغمرى المدفون في المحلة الكبرى رضى الله عنه يقول لي : من عاهد الله تعالى على فعل أمر ليس هو في يده لقي الله تعالى يوم القيامة وهو أجزم اه فمن تلك الآية ما عاهدت الله تعالى على شيء أبدا . ومن هنا كان النذر مذموما لأن الناذر ينذر ما ليس في يده فعله أو تركه ، لأن خالق الأمور ليس هو بيده ، وإنما هو خاص بالقدرة الإلهية .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ ناصح يسلك به حتى يخرج به من الظلمات إلى النور فيعرف قدر عظمة المسلم فيحذر من إخلاف وعده له ويعرف قبح الخيانة فلا يخون قط أحدا في مال ولا كلام ، ولا يغدر قط فيما أعطاه أو فيما عاهد عليه ، ومن لم يسلك على يد شيخ فهو معرض للوقوع في الخيانة والخلف وفي كل منهي لعدم الحماية له من الله تعالى

على يد شيخ ، فإن من لا شيخ له فشيخه الشيطان فافهم ؛ (والله غفور رحيم) وروى أبو داود وابن أبي الدنيا عن عبد الله بن أبي الحسين قال :

« بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَيْعِ قَبْلِ أَنْ يُبْعَثَ فَبَقِيَتْ لَهُ بِبَيْعَةٍ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَذَسَيْتُ فَمَا كَرْتُ ذَلِكَ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ . فَقَالَ : يَا فَتَى قَدْ شَتَقْتَ عَلَيَّ ، أَنَا هُنَا مِنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « آيَةُ الْمُنَاقِبِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبٌ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ائْتَمَنَ خَانَ » .

وفي رواية للشيخين مرفوعا : « وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ » .

وروى أبو داود والنسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بَلَسَتْ الْبِطَانَةَ » .

وروى البخاري مرفوعا : « يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ » الحديث .

وروى الإمام أحمد والبخاري والطبراني مرفوعا :

« لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » .

وروى الحاكم مرفوعا وقال إنه صحيح الإسناد :

« مَا نَقَصَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ » .

وروى أبو داود مرفوعا : « مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَضَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وفي مسنده مجهول .

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« أَيُّمَا رَجُلٍ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِيٌّ وَإِنْ كَانَ الْمُقْتُولُ كَافِرًا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نقبل من أحد من

الأشرار هدية كالمظلمة وأهل البدع فضلا عن الكفار ، لأن المرء مع من أحب ولا نحب أن نحشر مع ظالم أو مبتدع ولا كافر ، فإن من قبل هدية هؤلاء مال بقلبه لإيهم ضرورة إلا أن تحفه العناية بالسلوك على يد شيخ ناصح يسلك به في حضرات التوحيد، حتى يصير يشهد الملك لله عز وجل وحده ، ويتحقق بذلك ذوقا ، ثم إنه إذا تنزل للنسب الشرائع بكسر النون أضاف الأمور إلى الخلق من غير وقوف معهم ، وما لم يسلك العبد على يد شيخ لا يشهد الملك ببادى الرأى إلا للخلق ولا المنة في ذلك إلا لهم دون الله تعالى ، ولا يكاد يشهد المنة لله تعالى إلا بعد تأمل وتفكر على أن التحقيق في ذلك أنه لا ينبغي لمسلم أن يقبل هدية من أحد من الأشرار إلا لعذر شرعى مطلقا ، ولو كان ذلك القابل من أكابر الأولياء ، لأن الجزء الذى يشهد الملك للخلق ويرى المنة لهم بهادى الرأى يلدق مع السالك في المراتب ولا يزول بالسكلية ، وهذا أمر لا بدوقه كل سالك إنما هو لأفراد منهم هذا حكم جميع الأمة ، وما يخرج عن ذلك سوى الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام لعصمتهم (والله غفور رحيم) :

وروى الإمام أحمد والطبرانى مرفوعا : « لَا يَجِدُ الْعَبْدُ صَرِيحَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَبْغِضَ لِلَّهِ وَيُحِبَّ لِلَّهِ ، فَإِذَا أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ اسْتَحَقَّ الْوَلَايَةَ لِلَّهِ » .

وروى الشيخان : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ إِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبُّتَ » .

قال أنس : وما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : إنه مع من أحب ، فإننا نحب النبي صلى الله عليه وسلم ونحب أبا بكر وعمر ، ونرجو أن نكون معهم بجهننا إياهم :

وفى رواية للشيخين مرفوعا : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

وروى ابن حبان فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ » .

وروى الطبرانى بإسناد جيد مرفوعا : « لَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا حُشِرَ مَعَهُمْ »

والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتعلم علم سحر ولا كهانة ولا تنجيبا بالرمل والحصى ونحو ذلك ولا نصدق من يفعل ذلك، لكن رخص بعض العلماء في تعلم علم حل المعقود عن زوجته وإن عد ذلك من السحر لأن أصل تحريم السحر إنما هو لكونه يضر بالناس وهذا ينفعهم .

واعلم أنه قد غلب على الجهال في هذا الزمان إتيان المنجمين الذين يخبرون بالضائع والعمل بقولهم حتى الحكام فصاروا يعاقبون المتهمون اعتمادا على قول المنجم وهذا كله جهل بالشرائع، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد أنشد الإمام الشافعي رضي الله عنه فقال :

فَوَاللَّهِ مَا تَدْرِي الضُّوَارِبُ بِالْحَصَى وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ
فَسَلُّنَّ هَلْ يُبْدِنَ غَيْبًا مَتَى الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَابِتَ أَوْ مَتَى السَّيْلُ وَقِيعُ

واعلم يا أخي أن في السحر أمورا مكفرة كما أخبرني بذلك بعض من كان ساحرا وتاب من ذلك أنه لا يصح السحر قط من مسلم فلا بد أن يكفر حتى يصح السحر على يديه فقلت له وماذا كان وقع منك حتى صح منك السحر ؟ فقال كنت أتوضأ كل يوم بالبول وأسجد للشمس عند طلوعها وعند غروبها ، وقلت لآخر ما كان عملك حتى صح لك هذا السحر؟ قال كنت إذا أردت أن أسحر أحدا أكتب سورة يس في إناء وأحوها بالبول وقد كثرت السحرة من اليهود والنصارى في مصر وقراها وجعل الحكام عليهم فلوسا لأجل تتريرهم على ذلك وبعض النصابين من السحرة يعمل على عقل الرجال ويفعل الفاحشة في نساءهم ؛ ويقول لذلك الرجل المحب للدنيا عندك في بيتك مطلب مايفتح إلا أن تخلى أجنبيا بامرأتك سبعة أيام وأكثر وينام ويصبح معها ، فيقول له افعل فيدخل الرجل زوجته مع ذلك النصاب ويصير يخدمهما بنفسه ويطعمهما أطيب الطعام حتى إن النصاب قال له لا بد من شرب الخمر معها فأتاهم بالخمر وبعضهم يقول لايفتح إلا إن مكنتني من زوجتك أطؤها على باب المطلب فيمكنه ، وبعضهم يقول له لايفتح المطلب إلا إن كتبت لها على فرجها كيت وكيت ، وبعضهم يقول لايفتح المطلب إلا إن كتبت ورقة بمنى ومنها وعلقتها في عنقك ونحو ذلك من الأمور الخارجة عن الدين .

فانظر يا أخي ما يؤدى إليه حب الدنيا فإن أردت العمل بهذا العهد فاسلك على يد

شيخ حتى يخرجك عن حب الدنيا وإلا فمن لازمك ظلمة القاب وتصديق الساحر والكاهن والمنجم ونحوهم والله يتولى هداك .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، فَذَكَرَ مِنْهُمُ السُّحْرَ » .

وروى النسائي مرفوعا: « مَنْ حَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِشَيْءٍ فَقَدْ وُكِّلَ إِلَيْهِ » يعنى علق على نفسه العقود والحرز .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « كَانَ لِداوُدَ نَبِيٍّ اللهُ سَاعَةٌ بُوْقِظُ فِيهَا أَهْلُهُ ، يَقُولُ: يَا آلَ داوُدَ قُومُوا فَصَلُّوا فَإِنَّ هَذِهِ سَاعَةٌ يَسْتَجِيبُ اللهُ فِيهَا الدُّعَاءَ إِلَّا لِسَاحِرٍ أَوْ غَاشٍ » .

وروى البزار بإسناد جيد مرفوعا : « لَيْسَ مِنْهَا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تَطَيَّرَ لَهُ أَوْ تَسَكَّنَ أَوْ تَسَكَّنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »

وقد عد صلى الله عليه وسلم الساحر من الكبائر في حديث الطبراني وابن حبان في صحيحه قال الحافظ عبد العظيم ، والكاهن هو الذى يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ويخطئها أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك :

وروى الطبراني مرفوعا : « مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَسَأَلَ عَنْ شَيْءٍ حُجِبَتْ عَنْهُ التَّوْبَةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَإِنْ صَدَّقَهُ بِمَا قَالَ فَقَدْ كَفَرَ » .

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعا : « لَنْ يَبْتَالَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مَنْ تَسَكَّنَ أَوْ اسْتَسَمَّ أَوْ رَجَعَ عَنْ سَفَرٍ تَطَيَّرًا » .

وروى مسلم مرفوعا : « مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا » .

قال الحافظ المنذرى: والعراف هو الكاهن ، وقيل هو الساحر . وقال البغوى : هو الذى

يدعى معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على دواعيها، كالمسروق من الذى سرقه
ومعرفته مكان الضالة ونحو ذلك ، ومنهم من يسمى المنجم كاهنا ه .
وروى أبو داود وابن ماجه وغيرهما مرفوعا :

« مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ زَادَ مَا زَادَ » .

قال الحافظ عبد العظيم رحمه الله : والمنهى عنه من علم النجوم هو ما يدعيه أهلها من
معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان كنجوى المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغيير
الاستغفار ونحو ذلك ، ويزعمون أنهم بذلك يسير الكواكب لاقتربها وافتراقها
وظهورها في بعض الأزمان، وهذا علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه أحد غيره؛ فأما ما يدرك
من طريق المشاهدة من علم النجوم الذى يعرف به الزوال ووجهة القبلة وكم مضى وكم بقى
فإنه غير داخل فى النهى ه .

قلت : وروى الجلال السيوطى فى الجامع الكبير عن على بن أبى طالب رضى الله عنه
قال : أصل علم النجوم أنه كان لنبي من الأنبياء يقال له يوشع بن نون عليه السلام قال له
قومه إننا لن نؤمن بك حتى تعلمنا بدء الخلق وآجاله ، فأوحى الله تعالى إلى غمامة
فأمطرتهم واستنثت على الجبال ماء صاف ، ثم أوحى الله تعالى إلى الشمس والقمر
والنجوم أن تجرى فى ذلك الماء ، ثم أوحى الله تعالى إلى يوشع عليه السلام أن يرتقى هو
وقومه على الجبال فقاموا على الماء حتى عرفوا بدء الخلق وآجالهم بمجارى الشمس والنجوم
والقمر وساعات الليل والنهار ، وكان أحدهم يعرف متى يموت ومتى يمرض ومتى يولد
له ، ومن ذا الذى لا يولد له ؟ فبقوا كذلك برهة من دهرهم إلى أن بعث الله تعالى داود
عليه السلام فقاتلهم على الكفر ، فأخرجوا إلى داود فى القتال من لم يحضر أجله ، وخلفوا فى
بيوتهم من حضر أجله ، فكانوا يقتلون من أصحاب داود فى القتال ولا يقدر أحد من
أصحاب داود يقتل منهم أحدا ، فقال داود يارب أقاتل على طاعتك فيقتل من أصحابى
ويقاتل هؤلاء على معصيتك فلا يقتل منهم أحد ، فأوحى الله تعالى لإيه إلى كنت علمتهم بدء
الخلق وآجاله ، وإنما أخرجوا إليك من لم يحضر أجله فلذلك كان يقتل من أصحابك ولا
يقتل منهم أحد ، قال داود يارب وماذا علمتهم ؟ قال مجارى الشمس والقمر والنجوم
وساعات الليل والنهار ، فدعا داود عليه السلام ربه عز وجل عليهم فحسبت عنهم الشمس
فزيد فى النهار فاختلفت الزيادة بالليل والنهار فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلفت عليهم حسابهم
فن ثم كره النظر فى النجوم :

قال الجلال السيوطي رحمه الله فلذلك كان عمر رضي الله عنه ينهى عن النظر في كتاب دانيال ويضرب من يراه ينظر فيها ويأمره بحرقها .

وروى الإمام سنيد عن جابر قال : « جَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ الْخَطَّابِ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ أُمَّهُوَ كُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ حَيًّا الْيَوْمَ مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي » .

قال الإمام سنيد وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ قَرَّبًا يُخْبِرُونَكُمْ بِحَقِّهِ فِتْنَكُمُ بَوَاقِهِمْ أَوْ يَبْاطِلُ فِتْنَصَدُّ قَوْمَهُمْ » .

قال وروينا أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ عَمِلَ فِي فُرْقَةٍ بَيْنَ امْرَأَةٍ وَزَوْجِهَا كَانَ فِي غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَعْنَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَضْرِبَهُ بِصَخْرَةٍ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ »
والله تعالى أعلم .

وروى أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه مرفوعا :
« الْعِيَافَةُ وَالطَّيْرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ » .
قال أبو داود الطارق هو الزجر ، والعيافة هي الخط ، وقال ابن فارس الضرب بالخصى هو الطارق وهو جنس من التكهن والجبث بكسر الجيم هو كل ماعبد من دون الله تعالى والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهان بفعل شيء فيه سوء أدب مع الله تعالى كتصوير الحيوانات من للطيور والسباع في البيوت والأوراق وغيرها ، حتى قص الصور من الأوراق والجاود المسمى بخيال الظل سد الباب سوء الأدب مع الله عز وجل ، وطلبا لدخول الملائكة بيتنا بالرحمة ، فإنها لا تدخل بيتا فيه

صورة كما صح في الحديث وقال بعضهم المراد بالنهي إنما هو في الصور التي تعبد من دون الله عز وجل ، والجهمور على خلافه :

فعلم أنه لا ينبغي لنا أن نقر عيالنا على عمل سبع من كعك العبيد للأطفال ، ولا نمكن أولادنا من شراء الصور التي في الأوزاق مدهونة بسواد أو صفرة أو حمرة ونحو ذلك ، وينبغي لكل من وصع الله عليه في دنياه أن يشتري للعلائق التي تصنعها أهل مصر من الحلوات ويكسرها ويطعمها للناس غيره لحرمات الله تعالى ، فإن من عظم جرمات الله عظمه الله تعالى ، وإن شاء الله تعالى يبطل عملها من كثرة إفلاس الناس وضيق مكاسبهم عن قريب كما وعد به الشارع (والله عليم حكيم) :

وروى الشيخان مرفوعاً : « إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يَعْتَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » .

وفي رواية لهما مرفوعاً أيضاً : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ وَإِنَّ النَّبِيَّ الَّذِي فِيهِ صُورَةٌ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ » .
وفي رواية للشيخين مرفوعاً : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا تَعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » .

وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول . فإن كان أحدكم ولا بد فاعلا فليصنع الشجر وما لا نفس له :

وفي رواية لهما مرفوعاً : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَظْلَمُ رِمْنٌ ذَهَبٌ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً » .
والأحاديث في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانتهاون بترك نهى من يلعب من إخواننا بالگرد وما ألحق به من الشطرنج ونحوه ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس وفي ذلك غش للاعب ، وللساكت على ترك النهى ولولا قبحه مانهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« وَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ » (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى مسلم مرفوعا : « مَنْ لَعِبَ بِالزَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَّغَ يَدَهُ بِدَمِ خِنْزِيرٍ » .
وفي رواية لمالك مرفوعا : « مَنْ لَعِبَ بِزَرْدِ أَوْ زَرْدَشِيرٍ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ » .
ورواه أبو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقي ولم يقولوا أو زردشير .
قال الحافظ عبد العظيم رحمه الله : وجمهور العلماء ذهبوا إلى أن اللعب بالزرد حرام ،
ونقل بعض مشايخنا الإجماع على تحريمه ؟

واختلفوا في اللعب بالشطرنج ؛ فذهب جماعة من العلماء إلى تحريمه كالنرد ، وكرهه
الشافعي كراهة تنزيه وأباحه سعيد بن جبير والشعبي بشروط : منها أن لا تؤخر بسببه
صلاة عن وقتها . ومنها أن لا يكون فيه قمار . ومنها أن يحفظ لسانه حال اللعب عن الفحش
والخنا وردىء الكلام ، فتنى لعب به وفعل شيئا من ذلك كان ساقط المرءة مردود الشهادة ؛
وقد استند من قال بإباحته إلى أنه يستعان به في أمور الحرب ومكائده .

قال الحافظ : وقد ورد ذكر الشطرنج في أحاديث لا أعلم لشيء منها سنداً صحيحاً
ولا حسناً والله تعالى أعلم :

قلت : ويلحق بالنرد الطاب والمنقلة وغيرهما من سائر الأمور التي لا تجاب خيرا لفاعلها
(والله غفور رحيم) .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نجالس الفسقة
من الظلمة وغيرهم كالواقعين في أعراض الناس إلا لضرورة أو مصلحة شرعية ،
وهذا العهد قد كثرت خيانتته من الخاص والعام ، فصار الشيخ أو العالم يسمع الغيبة ولا
ينكرها ، وربما شارك أهل المجلس فيها ، وربما كان هو البادئ بالغيبة والناس في ذلك
له تبع ، كما يقع فيه الأقران الذين يتزاحمون على الوظائف وعلى القرب من الولاة والقضاة
وربما طلب من الحاضرين بالباطن أنهم يقعون معه في عرض ذلك الرجل ويفرح بهم
ويقربهم لأجل ذلك . فالعاقل من اعتزل الناس إلا لفائدة تحصل له أو لهم كاستفادة علم
وتهذيب أخلاق وتعميم طرق سياسة الناس من احتمال الأذى ونحو ذلك :

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يخفى أنه يجب على كل مسلم
أن يعتقد في نفسه الظلم كما يعتقد في الظلمة ، ويجب عليه أن يزجر الناس عن مجالسته
خوفاً أن يسرق طباعهم من أوصافه الناقصة نصيحة للناس :

(وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) .

وروى الشيخان مرفوعا : « مَثَلُ جَلِيسِ الشَّرِّ كَنَافِخِ الْكَيْبِ إِمَّا أَنْ يَحْرُقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةَ خَيْبَةٍ » .

وفي رواية لأبي دارد والنسائي مرفوعا : « مَثَلُ الْجَلِيسِ الشَّرِّ كَمَثَلِ نَافِخِ الْكَيْبِ إِنْ لَمْ يُصِيبَكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا يجلس وسط الحلقة في ذكر أو علم أو غير ذلك مما شرع له الاجتماع ، وذلك هروبا من التمييز على إخواننا في المجلس .

وقد روى أبو داود مرفوعا : « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ جَاسَ وَسَطَ الْحَلْقَةِ » .

وروى الترمذي وقال حسن صحيح على شرط الشيخين أن حديثه رضي الله عنه رأى شخصا يجلس وسط الحلقة فقال ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم .

(وكذلك أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا تقعد قعدة المغضوب عليهم لا بحضور الناس ولا وحدنا ، هروبا من التشبه بمن غضب الله عليه ، ويقع في خيانة هذا العهد كثير من أبناء الدنيا لا سيما بحضور الفقراء الذين لا جاه لهم ، وذلك من جملة الإخلال بالأدب مع الجلوس ، ولو أنه جلس عند فاسق يشرب الخمر ويترك الصلاة من الولاية ما جلس إلا متأدبا مطرفا كالجالس في الصلاة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم :

وقد روى أبو داود وابن حبان في صحيحه عن الشريد بن سويد قال :

« مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا جَالِسٌ وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِي الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَأَتَسَكَّاتُ عَلَى إِلَيْتِي يَدِي ، فَقَالَ : لَا تَمُدَّ قَعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ »

والله أعلم

(وكذلك أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا يجلس في موضع من قام لنا من مجلسه سواء كان بأمرنا أو لأجل حرمتنا عنده أو لغير ذلك ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من الراغبين في الدنيا المعظمين لأهلها من الفقراء ، فترى أحاديهم

يقوم من مجلسه في علم أو صلاة ولو في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجلس ذلك الغنى بماله مكانه ويتخلف هو إلى وراء ولا يفعل ذلك مع فقير مثله :

فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق حتى يخرج عن محبة الدنيا وتعظيم أهلها ويحببه في الفقراء والمساكين وفي تعظيمهم وإكرامهم ، فإن تعظيم أهل الدنيا من لازم من يجبها وتعظيم أهل الله من لازم من يجب الآخرة ، وتعظيم الفقيرين من لازم من يجب الله لأن الغنى والفقير كلاهما من أهل حضرة الله عز وجل الجامعة لاسمه المعطى والمانع والمعز والمذل (والله عليم حكيم) .

وقد روى أبو داود : « أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَذَهَبَ لِيَجْلِسَ فِيهِ ، فَنَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ » .

وروى الشيخان مرفوعا : « لَا يَقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا أَوْ تَفَسَّحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ » .
وكان أبو بكره وابن عمر إذا قام لهما أحد من مجلسه لن يجلسا فيه ، ويقولان إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك والله أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتهاون بترك معاونة من قام من مجلسه ورجع عن قرب وأراد أن يجلس فيه لاسميا إن كان بسط مكانه سجادة أو وضع رداءه مكانه ونحو ذلك ، وهذه المسئلة خلاف من يرسل له سجادة يبسطها في مكان قبل حضوره ، فافهم فإنه لا حق له في الجلوس في ذلك المكان وليس له أن يقيم من رفع السجادة وجلس مكانها لأن الشارع ما جعل الحق إلا لمن كان جالسا ثم قام لا لمن أرسل سجادته قبله ، مع أن في ذلك تحجيرا على الناس فافهم .

وقد روى مسلم وأبو داود وابن ماجه مرفوعا :

« إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ » .

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« الرَّجُلُ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ ، فَإِذَا ذَهَبَ لِحَاجَةٍ ثُمَّ رَجَعَ فَهُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ »

والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) . أن لا يجلس بين اثنين إلا إن علمنا ولو بالقرآن رضاهما بذلك لا سيما إن رأيناها يتحدنان ويتساران ؛ فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى حذق و فراسة والله تعالى أعلم ؛ وقد روى أبو داود والترمذى مرفوعا : « لَا يَجْلِسُ لِرَجُلٍ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا » .

وفي رواية لأبي داود : « لَا تَجْلِسُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا » والله تعالى أعلم .
(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا يجلس على الطرقات سواء كنا على باب مسجد أو طاقات بيت أو شبك مسجد أو غير ذلك إلا لضرورة شرعية ، وهذا العهد يقع في خيانتته كثير من الناس اليوم ممن ليس لهم همة بجرقة ولا اشتغال بعلم ولا عبادة ، فيجاسون في الحوانيت وأبواب المساجد ولا يغيضون أهباصهم ولا يأمرن بهمروف ولا يئنون عن منكر ، وربما استغابوا من مر عليهم من العلماء والعمال والمباشرين والمحترفين والظالمة والمسكاسين والصالحين ، فلا يقومون من باب الجامع إلا وقد اجتمع عليهم عدة آثام ؛ ولو أنهم لم يجلسوا في هذه الأماكن لما كان عليهم من ذلك إثم واحد (والله غفور رحيم) :

وكان الشيخ محمد الغمري وولده الشيخ أبو العباس وشيخى الشيخ أمين الدين بن النجار رضى الله عنهم يخرجون من الجاورين من رأوه يجلس على باب المسجد من غير حاجة ويقولون له أنت جئت عندنا تجاور وتقرأ القرآن وتعلم العلم والأدب وإلا جئت تنفرج على الناس في السوق ، اذهب من مكاننا إلى مكان آخر ؛

وكان الشيخ أمين الدين رحمه الله يزجر كل الزجر كل من رآه جالسا على باب مسجد أو باب حانوت ويقول : إنما بنيت المساجد للصلاة ولذكر الله تعالى والجلوس بين يدي الله عز وجل ، فمن لم يقدر على الجلوس بين يدي الله عز وجل في بيته فليذهب إلى السوق (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) :

وقد روى الشيخان مرفوعا : « إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بَدُّ مِنْ تَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ أَبَيْتُمْ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ، قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ

وَكَفَّ الْأَذَى ، وَرَزَّدَ السَّلَامَ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ «
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن نشفق على نفوسنا من
تعاطى كل شيء يؤذيها في الدنيا والآخرة ، فليس لنا أن ننام فوق سطح لا حظير له
أو نركب بحرا حال ارتجاجه يعنى غلبة الغرق على راكبه ، والشر في ذلك أن الروح أمة الله
تعالى وعبده والواجب علينا إكرامها من هذه الحيشية لا من حيث حكم الطبع والجبين ،
فإن كل عارف يشهد نفسه كأنها غيره وهى أمانة عنده يقول الإنسان قالت لى نفسى كذا أو قلت
لها كذا مع أنه واحد فى نفسه وهنا باب لو فتحناه لأظهرنا عجيبا (والله عليم حكيم) ؛
وقد روى أبو داود وغيره مرفوعا : « مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ حِجَابَةٌ
فَقَدْ بَرَّتَ مِنْهُ الذِّمَّةُ » .

وفى رواية : « حِجَابٌ » بالباء بدل الراء .

وفى رواية للترمذى : « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنَامَ الرَّجُلُ عَلَى
سَطْحٍ لَيْسَ بِمَحْجُورٍ عَلَيْهِ » .

وفى رواية للطبرانى مرفوعا : « مَنْ رَقَدَ عَلَى سَطْحٍ لِأَجْدَارِ لَهُ فَمَاتَ قَدَمُهُ
هَدْرًا » .

ورواه أحمد مرفوعا بلفظ : « مَنْ بَاتَ فَوْقَ أَجَارٍ » :

أى فوق بيت ليس حوله شيء يردد داخله .

« فَقَدْ بَرَّتَ مِنْهُ الذِّمَّةُ » .

والأجار هو السطح ، وارتجاج البحر : هيجانه ، وغلبة الغرق فيه بالنسبة إلى السفن
السالمة من الغرق فيكون عدد السفن التى تغرق أكثر من السالمة (والله عليم حكيم) :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نعود نفوسنا بترك
السنة فى وقت من الأوقات كالنوم على الوجه من غير ضرورة ، كما يقع فيه كثير ممن
يكثرون النوم عينا فيضجر من النوم على جانب فينتقل إلى الجانب الآخر وينتقل إلى الظهر

ثم البطن ، ولو أنه نام على جنبه اليمين بقدر نوم الحاجة لكان إذا استيقظ قام للوضوء والصلاة ولم ينتقل لجانب آخر فلا أكمل من السنة المحمدية أبدا .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من فوائد النوم على الجانب الأيمن عدم الإسراف في النوم الرائد على الحاجة لسكون القلب متعلقا في الجانب الأيسر فيصير كأنه مستيقظ اه (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) :

وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِرَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى بَطْنِهِ فَعَمَزَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

وفي رواية أخرى لأبي داود قال : « هَذِهِ ضِجْعَةٌ يَبْغِضُهَا اللَّهُ تَعَالَى » .

وفي رواية لابن ماجه : « قَالَ أَبُو ذَرٍّ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي فَأَوْكَرَنِي بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ : يَا جُنَيْدُ إِنَّمَا هَذِهِ ضِجْعَةٌ أَهْلِ النَّارِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نجلس بين الظل والشمس عملا بالعدل في جسمنا ، فلما أن ننام في الظل وحده أو في الشمس وحدها أو الغيم ، وكذلك لا ننام تحت السماء من غير حجاب من سقف أو ستر أيام الصيف ، لأن ذلك يجعل بدن الإنسان كالقرن أو الرضاص من الثقل فيكسل عن قيام الليل ولا يصير له نهضة ، فينبغي لمن له ورد في الليل أن ينام تحت سقف ويغلق الشباك أو الطاق التي يأتي منها الهواء عند النوم حتى لا يحصل لبدنه ثقل فيترك قيام الليل والله تعالى عليم حكيم :

وروى الإمام أحمد باسناد جيد مرفوعا :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ بَيْنَ الصُّحِّ وَالظَّلِّ وَقَالَ إِنَّهُ يَجْلِسُ الشَّيْطَانِ » .

والضح : هو ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض؟ وقال ابن الأعرابي : هو نور الشمس .

وروى أبو داود مرفوعا : « إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصُّحِّ » .

وفي رواية لمسلم : « في الشمسِ فَقَلَصَ عَنْهُ الظِّلُّ فَصَارَ بَعْضُهُ فِي الظِّلِّ وَبَعْضُهُ فِي الشَّمْسِ فَلْيَقُمْ » .

ولفظ رواية الحاكم وقال صحيح الإسناد :

« نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ »
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتعاطى أسباب كراهيتنا الموت من كثرة المعاصي أو كثرة بناء الدور وغرس البساتين ونحو ذلك ، وهذا العهد قد وقع في خيانتة غالب الناس حتى لا تنكاد تجد أحدا منهم مستعدا للموت فيستحب للعبد تعاطى الأسباب التي يصير العبد بها يحب لقاء الله عز وجل ، ولا يتخذ هذه الدنيا وطنا وإنما يتخذها جسرا يمر عليه إلى الدار الأصلية الباقية :

ومعلوم أن القدوم على من يرجى خيره وهو الله عز وجل خير من المقام مع من لا يؤمن شره من النفس والشيطان وفسقة الناس .

وقد أنشدني الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ شعبان المجدوب :

لَا تَتَفَنَّوْا الْمَوْتَ مَوْتًا إِنَّهُ كَلِيَّةٌ هِيَ غَايَاتُ الْمُنَى
لَا تُرْعِكُمْ فَجْأَةُ الْمَوْتِ فَمَا رِيَّ إِلَّا نُقْلَةً مِنْ هُنَا

وهذا في حق من جاهد نفسه حتى ماتت عن أهويتها وجميع تصرفاتها فغاية موته أنه انتقل من دار إلى دار ، وأما من لم يجاهد نفسه فلا بد له من علاج سكرات الموت ومقاساة أهواله ،

وفي الحديث : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَيِّتٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

لكونه كان قد قتل نفسه بسيف المجاهدات وحق إراداتها واختياراتها بالتسليم للحق تعالى ، فعلم أنه ما قاسى أحد شدة في طلوع روحه إلا لعدم مجاهدته نفسه المجاهدة المطلوبة منه بالنظر لمقامه هو .

وقد أنشد سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه فى مجاهدة النفس :

فَأُورِدْتُهَا مَا لِلْمَوْتِ لَيْسَ بِعِضَةٍ وَأَتَعَبْتُهَا كَيْ مَا تَكُونُ مَرِيحَتِي
وَأَلَمْ يَبْقَ هَوْلٌ دُونَهَا مَا رَكِبْتُهُ وَأَشْهَدُ نَفْسِي فِيهِ غَيْرَ زَكِيَّتِي
إلى آخر ما قال .

وبالجملة فلا بد لمن يريد العمل بهذا العهد من السلوك على يد شيخ صادق يسلك به حتى يدخله حضرة الأحباب ولا يبقى عنده عذاب أعظم من الحجاب ، فلو عرض على هذا النار والحجاب لاختار النار بلا حجاب وقد أنشد الشبلى فى ذلك :

وَالهَجْرُ لَوْ سَكَنَ الْجِنَانِ تَحَوَّلَتْ نِعْمُ الْجِنَانِ عَلَى الْعَبِيدِ جَجِيًّا
وَالْوَصْلُ لَوْ سَكَنَ الْجَحِيمِ تَحَوَّلَتْ نَارُ الْجَحِيمِ عَلَى الْعَبِيدِ نَعِيًّا

ومن لم يسلك على يد شيخ فن لازمه محبة الإقامة فى محل البعد وكرامة النقلة منه :

وسمعت شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله يقول : إن الموت يصعب على العبد ويخف بحسب علائقه فى الدنيا وما خرج عن ذلك سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل أتباعهم ، فهم وإن حصل لهم صعوبة طلوع روح فإنما ذلك لطلبهم الإقامة فى الدنيا ليكملوا مقامات أتباعهم لما جعله الله فيهم من الشفقة والرحمة ومحبة الخيرات لسائر أممهم ، فليس صعوبة طلوع روحهم لعلاقة دنيوية لعصمتهم أو حفظهم ، وعلى ذلك حملوا قوله صلى الله عليه وسلم وهو مختصر « واكرباه » فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له علاقة دنيوية باجماع (والله غفور رحيم) :

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كُلُّنَا نَسْكُرُهُ الْمَوْتَ ، قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ ، وَلَسِكِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِيهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ فَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » .

وفى رواية للامام أحمد وغيره : « فَإِنَّ الْكَافِرَ أَوْ الْفَاجِرَ إِذَا احْتَضَرَ جَاءَهُ

مَا هُوَ صَاحِبُهُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ ، أَوْ مَا يَلْتَقِي مِنَ الشَّرِّ فَكَّرِهِ لِقَاءَ اللَّهِ فَكَّرِهِ
اللَّهُ لِقَاءَهُ .

روى ابن الدنيا والطبراني وابن حبان في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال :

« اللَّهُمَّ مَنْ آمَنَ بِكَ وَشَهِدَ أَنِّي رَسُولُكَ فَحَبَّبَ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ
قَضَاءَكَ وَقَلَّلَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِكَ وَلَمْ يَشْهَدْ أَنِّي رَسُولُكَ فَلَا تُحِبِّبْ
إِلَيْهِ لِقَاءَكَ وَلَا تُسَهِّلْ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ وَأَكْثِرْ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا » .

وفي رواية لابن ماجه مرفوعا : « اللَّهُمَّ مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي وَعَلِمَ أَنَّ مَا جِئْتُ بِهِ
الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَقْبَلْ مَا لَهُ وَوَلَدَهُ وَحَبَّبَ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ وَعَجَّلْ لَهُ الْقَضَاءَ ، وَمَنْ لَمْ
يُؤْمِنْ بِي وَلَمْ يُصَدِّقَنِي وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ مَا جِئْتُ بِهِ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَكْثِرْ مَا لَهُ وَوَلَدَهُ
وَأَطِّلْ عُمُرَهُ » .

وروى الطبراني مرفوعا بإسناد جيد : « نُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ » .

وروى الإمام أحمد مرفوعا : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِينَ : لِمَ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِي
فَيَقُولُونَ : رَجَوْنَا عَفْوَكَ وَمَغْفِرَتَكَ ، فَيَقُولُ : قَدْ وَجَّهْتُمْ لَكُمْ مَغْفِرَتِي »
والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتعاطى أسباب
الأذى للناس في حياتنا فنوقعهم في الإثم بسبنا بعد موتنا ووقوعهم في غيبتنا ، ولو أنا كنا
تعاطينا أسباب الخير للناس لأننوا علينا ولم يقهوا في إثم غيبتنا :

وكان سيدي على الخواص يقول : ربما يؤخذ العبد إذا تعاطى أسباب الغيبة ويكون
حكمه حكم من قدر على إزالة منكر ولم يزله .

وسمعه مرة أخرى يقول : يجب على العبد أن يحفظ على الناس أديانهم ، ولا يفتح
لهم بابا ينقص به دينهم :

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يفنى اختياره في اختياره حتى يسد عنه
جميع الأبواب التي يأتيه منها النقص كتنقل غيبة الناس له ، فإنهم لا يستغيثونه إلا بذكر

النقائص التي ظهرت منه ، ولو أنه حفظ نفسه من الوقوع في النقائص لما وجد عدوه شيئا يتقصه به ، ثم لو قدر أنه نقصه بشيء كذبه الناس وردوا عنه :

فاسلك يا أخى على يد شيخ كما ذكرنا ، وإلا فن لازمك تعاطى أسباب غيبة الناس لك ، وعلى قاعدة قولهم : من سلك مسالك التهم فلا يلومن من أساء به الظن ، وأنه ينبغي لمن تعاطى أسباب غيبة الناس له ، أن لا يرى له حقا على من استغابه في الآخرة ، لكونه كان هو السبب في وقوع للناس في الإثم ، فإن كان ولا بد أن يؤاخذ من اغتابه فليسأخه بالغيبة ليكون ذلك بذلك .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إياك أن تفهم من قاعدة من سلك مسالك التهم فلا يلومن من أساء به الظن بإباحة الغيبة له ، فإن ذلك فهم مخطئ بل التحريم باق إلا أن يجاهر بما استغابه به ونحو ذلك من الأمور التي أباح العلماء الغيبة بها اه :

فإياك يا أخى أن تذكر أحدا من الموتى بسوء ولو تعاطى الميت أسباب النقص في حياته فكما عليه اللوم فكذلك علينا اللوم (والله غفور رحيم) فتأمل في ذلك وإياك والتعاطى :

وروى أبو داود وغيره مرفوعا : « أَذْكَرُوا مَحَلِّينَ مَوْتًا كُمْ ، وَكُفُّوا عَنِّ

مَسَاوِيهِمْ » .

وفي الصحيح مرفوعا : « إِذَا حَضَرَ تُمْ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُوَمِّنُ

عَلَى مَا تَقُولُونَ » .

وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا : « لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ أَوْضَوْا إِلَى

مَا قَدَّمُوا » .

وروى أبو داود مرفوعا : « إِذَا مَلَّتْ صَاحِبِكُمْ فَدَعُوهُ لَا تَقَعُوا فِيهِ »

والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نمكنا أحدا من عيالنا وأولادنا وجيراننا وغيرهم بنوح على ميت ولا ينعيه بنعي الجاهلية ، ولا يلطم وجهه نفسه لأجله ، ولا يخمس وجهه ولا يشق ثوبه ، ولا يخلق شعر رأسه إن كان يربى شعره ولا نمكنا عيالنا من حلق رموسهن ولا غير ذلك مما يشعر بالسخط على مقدور الله عز

وجل وعدم الرضا به ، وهذا العهد يتساهل بخيانتها غالب الناس مع علمهم بتحريم هذه الأفعال :

وقد مات ولد لأبي بكر الشبلي مرة فحلفت أمه رأسها ، فدخل الشبلي فرآها فحلق الآخر لحيته ، وقال أنت حلقتي على مفقود وأنا حلقت على موجود ، ودخل مرة أخرى على زوجته وهو في حال فوجدها لالحية لها ، فدخل الحمام ورمى شعر لحيته بالنورة ، وقال أحب موافقة زوجتي .

فإياك يا أحمى والاعتراض على أحد من أرباب الأحوال إذا فعل مثل ذلك وسلم لهم حالهم فإنهم في حال غيبة الحال غير مكلفين كما هو مقرر بين القوم ، ثم إذا من الله تعالى على الواحد منهم بالسكامل حفظ أفعاله كلها من مخالفة للسنة .

وقد دخل الشبلي مرة على الجنيد وهو جالس على سريره هو وزوجته فأرادت زوجة الجنيد أن تستتر فقال لها ليس هو هنا ، فتكلم الشبلي ساعة ثم رجع إلى إحساسه ، فقال الجنيد : قد رجع إلى إحساسه استترى الآن ، فلو كان الجنيد يرى أنه مكلف لأمر زوجته بالستر وأنكر على الشبلي الدخول على زوجته بغير إذن ، وما ذكرت لك هذه الحكاية إلا خوفا عليك من المقت ، فإن صاحب الحال ربما أثر فيمن أنكر عليه :

واعلم أنه لا فرق في تحريم النوح والندب بين أن يكون من أهل الميت أو الأجنب سواء كان ذلك من النساء بأجرة أو بغير أجرة والله غفور رحيم :

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « الْمَيْتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نَبِيحَ عَلَيْهِ » .

وفي رواية : « مَنْ يَنْبُحُ عَلَيْهِ » .

وفي رواية مرفوعا : « مَنْ يَنْبُحُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نَبِيحَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى مسلم مرفوعا : « اثْنَتَانِ هُمَا فِي النَّاسِ : كُفْرُ الطَّعْنِ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ

عَلَى الْمَيْتِ » .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه وصححها الحاكم مرفوعا :

« ثَلَاثَةٌ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ : شِقُّ الْجَنِّبِ ، وَالنِّيَاحَةُ ، وَالطَّعْنُ فِي النَّسَبِ » .

والجيب هو انفرق الذي يخرج الإنسان منه رأسه في التمهيص ونحوه .

وروى الترمذي مرفوعا : « إِنَّا كُمْ وَالنَّمَى فَإِنَّهُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ » .

وكان عبد الله بن مسعود يقول : النعي هو الأذان بالميت للصلاة عليه ، فإن أعلمهم
ليشهدوا جنازته ويصلوا عليه فلا بأس :

وروى أبو داود عن امرأة من المبايعات قالت :

« كَانَ فِيهَا أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ لَا نَحْمِشَ
وَجْهًا ، وَلَا نَدْعُو وَيْلًا ، وَلَا نَشُقَّ حَبِيبًا ، وَلَا نَنْشُرَ شَعْرًا » .

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« لَعَنَ اللَّهُ الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا ، وَالشَّاقَةَ حَبِيبَهَا ، وَالِدَاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ »

والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتمكن امرأة من نساء
أهلنا أو غيرهم أن نتحد على غير زوجها فوق ثلاثة أيام ، ويلحق بذلك رفع عصابتها
المعتادة ، ولبسها قلنسوة الرجال لإظهارها للحزن على وادها أو ولد صاحبها أو أختها ونحو
ذلك ، وهذا العهد يقع في خيانتته كثير من نساء العلماء والصالحين فضلا عن غيرهم ، فيجب
على كل مسلم أن يزجر النساء عن مثل ذلك ، ولو أن يهجرها في المضجع والله عليم حكيم
وقد روى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « لَا يَحِلُّ لِأَمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَوْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ
وَعَشْرًا » .

ولما مات أبو سفيان دعت ابنته أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بطيب فيه
صفرة خلوق أو غيره فمست منه بعارضتها ، ثم قالت : والله مالي بالطيب من حاجة غير
أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر :

« لَا يَحِلُّ لِأَمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » الحديث .

وكل ذلك فعلت زينب بنت جحش لما مات أخوها والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نلى مال اليتيم خوفا
على أنفسنا أن نميل إلى الأكل منه بغير حق فكيف بنا لو أكلناه ، وهذا العهد يجب على
كل من استبرأ لدينه وعرضه أن يعمل به ، وقد ظن جماعة من الأكابر الثقة بأنفسهم
والخرف من الله تعالى ، فولوا مال الأيتام وأكلوها وجادلوا الحكام وقرابات اليتيم ،

وادعوا فيه حيلًا وتلفًا وأمورًا لاحقيقة لها ، فإذا كان الأكابر قد وقعوا مع علمهم ودينهم فكيف بأمثالنا ، فمن الحزم بعدنا عن أموال اليتامى جهدنا :

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رضى الله عنه يقول : إياك أن تسند وصيتك إلى من رأيتك كثير الجدال وتقول إنه يخلص مال اليتيم ممن هو عنده بكثرة جداله فإنه ولو خلاصه ربما أكل بعد ذلك مال اليتيم وجادل كل من أنكروا عليه ويدحض حججه ، لأن حكم الناس معه حكم الجاهل بالدقاق إذا تقدم يداق عالية الدوال ، وكان يقول إياكم والقرب ممن يتخذ علمه سلاحًا يقاتل به الجاهلين بخير حق اه ، فان طابت يا أخى أن تلى مال اليتيم فأعرض على نفسك ، فان رأيتها تخاف الله وتخشاه بالغيب ولا تتجرأ على معصية حياء من الله أو خوفًا منه فاقبل ولاية مال اليتيم ، وإن علمت أنها تعصى ربها إذا خات ، فأعلم أنها لا تصالح أن تلى مال يتيم إذ اليتيم وليه الله تعالى ، والله تعالى غيب غير مشهود لنا ، في أغلب أوقانتنا ، فما هناك أحد يشهد به حتى يرى عليه فر بما مقت والله عليم حكيم .

وروى مسلم وغيره : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ رَجُلًا ضَعِيفًا وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي ، لَا تُؤْمَرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَلَا تَلَيْنَنَّ مَالَ يَتِيمٍ » .

وفي حديث الشيخين « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَّ أَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ مِنَ السَّكْبَاتِ » .

وروى أبو يعلى وابن حبان في صحيحه مرفوعاً :

« يَبْعَثُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَوْمًا مِنْ قُبُورِهِمْ تَتَأَجَّجُ أُنْفُسُهُمْ نَارًا فَيَقِيلَ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا » والله تعالى أعلم .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نمكن عيالنا من الخروج مع جنازة ولا لزيارة قبور أولادهم فضلاً عن أولاد غيرهم ، لكن إن رأينا عند إحداهم شدة جزع ورجونا زوال ذلك بزيارتها استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقلب ، ثم مكناها من الخروج مع ثقة ، وهذا العهد يقع في خيانتته كثير من الناس حتى

العلماء والصالحين وربما تقبل لأحدهم امرأته إن فلانة لها على دين في زيارتها لولدي لما مات ومرادى أن أكافئها وهي كاذبة ومراعاة غرض الشارع وهو عدم تمكينهن من الزيارة أولى من مراعاة امرأة حكمها حكم المرتدة عن دينها بتركها الصلاة وكثرة سخطها على ربها والله عليم حكيم .

وقد روى الترمذى وقال حديث حسن صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَقَدْ أُذِنَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ فزُورُوهَا فَإِنَّهَا تَذَكِّرُكُمْ بِالْآخِرَةِ » .

وفي رواية للطبراني : « وَلَا تُكثِرُوا زِيَارَتَهَا » .

يعنى خوف عدم الاعتبار بها ، فإن كل شيء كثير هان وقيل لئلا يكتسب الإنسان موت القلب بمشاهدة الأموات ، وقيل غير ذلك :

وقال الحافظ عبد العظيم رحمه الله قد كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور نهيا عاما للرجال والنساء ، ثم أذن للرجال في زيارتها واستمر النهى في حق النساء ، وقيل كانت رخصة عامة والله أعلم .

وروى أبو داود والترمذى وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوها :

« لَعَنَ اللَّهُ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ » .

وروى ابن ماجه وأبو يعلى : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ فَإِذَا نِسْوَةٌ جُلُوسٌ قَالَ : مَا يُجْلِسُكُمْ ؟ قُلْنَ يَنْتَظِرْنَ الْجَنَازَةَ . قَالَ : هَلْ تُفَسِّلُنَّ ؟ قُلْنَ لَا : قَالَ : هَلْ تَحْمِلُنَّ ؟ قُلْنَ لَا : قَالَ : هَلْ تَدَلِّينَ فِيمَنْ يُدَلِّي ؟ قُلْنَ لَا : قَالَ : فَأَرْجِعِينَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ » والله تعالى أعلم .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نمر على قبور الظالمين ولا على ديارهم خلفين عما أصابهم ونحن نجد طريقة بعيدة عن قبورهم وديارهم ، وذلك لأن قبورهم لا تخلو من نزول الالته عليها أو الغضب والمقت فرمما أصابنا نصيب وافر من ذلك إذا مررنا على قبورهم . واعلم أن هذا في حق المطيعين لله الذين لا ذنب عليهم ولا يلبسون لباس الخيلاء ، ولا تخطر الفحشاء على خواطيرهم ولا المكر بأحد من المسلمين ،

أما أهل هذه الصفات فهم يستحقون الخسف بهم ، ولكن الله تعالى يحلم عليهم ، فالظلم لا يفارقهم في أنفسهم في أى موضع حاوا وافر المساجد .

وقد مر في عهد الكبر أن شخصا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يمشى في زقاق أبي طهب ، إذ نظر إلى عطفه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة فليحذر من كان مضمرا لأحد من المسلمين سوءا من وقوع العذاب به ، ونزول الغضب والمقت عليه قال تعالى :

« أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَهُمْ مِمُّعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ (الآيات) .

فاسلك يا أخى على يد شيخ صادق ليظهر لك صفاتك الخبيثة ويظهرك منها وتصير ترى أنك قد استحققت الخسف بك لولا عفو الله ، وتكون خائفا على الدوام ، والله يتولى هداك :

وقد روى الشيخان وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لأصحابه يعنى لما وصلوا الحجر ديار ثمود :

« لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ » .

وفي رواية لها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال :

« لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى جَاوَزَ الْوَادِي » والله تعالى أعلم .

ولقد علمنا المعهد للعلماء من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لاتعاطى أسباب عذاب القبر كعدم الاستبراء من البول والمشي بالثيعة وسوء الظن بالمسلمين ، كأكل الحرام وسائر ما يغيض الله عز وجل ، وذلك لأن هذه المعاصي تحجب القلوب عن مشاهدة الأمور التي يجب الإيمان بها ، وإذاحجبت القلوب عن ذلك وقعت في الشاك بالله تعالى فضلا عن الشك

في نبيها ، وإذا وقعت في الشك جاءها العذاب من كل جانب ؛ فالعاقل من ترك جميع ما يغضب الله تعالى قبل موته، والأخرق من وقع في المعاصي ولم يتب ، وسأل الله تعالى أن يعيده من عذاب القبر ؟

وقد أخبرني سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى : أن شخصا من القضاة كان يؤذى سيدي إبراهيم المتبولي وينكر عليه وكان القاضي سيي الخلق ، فلما مات تطور خلقه السيي كلبا أسود فجلس على نعشه والناس ينظرون إلى أن نزل معه القبر ، وكان سيدي إبراهيم يقول له إن هذه البوصة التي في يدك أصعب عليك من عتلة الحرامى ، فكم تكتب بها على الناس أمورا لا تتيقنهما ؟

وأخبرني الشيخ أحمد الحفار من جماعة شيخنا الشيخ نور الدين الشوبى رحمه الله قال : نزلت الحسد شخصا فرأيت شخصا واقفا في اللحد ، فلما عارضني ضربت رجله بالناس فكسرتة ، ونزلت فجمعاته في جانب وألحدت ذلك الشخص ثم نمت وأنا خائف من ذلك الأمر ، فرأيت ذلك الرجل في المنام وهو يقول لى جزاك الله عنى خيرا الذى كسرت رجلى حتى نزلت إلى الأرض ، فإن لى أربعين سنة لم يؤذن لى فى الجلوس ، فقلت له وما ذنبك ؟ فقال جلست يوما على طعام قاض فعوقبت بذلك ، فإذا كان هذا حال الجالس على طعام القاضى فما حال القاضى نفسه ؟ نسأل الله اللطف .

وكان سيدي علي الخواص يقول : كم من ضريح يزار وصاحبه فى النار :

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إنما كانت الهائم تسمع عذاب القبر لأنها من عالم الكتمان ، فكل من انصف بمقام الكتمان من الأولياء سمع عذاب القبر :

وقد أخبرني الشيخ على الاتميدى صاحب الشيخ محمد بن عنان أن شخصا كان يصبح فى قبره كل ليلة فى مقبرة برهنتوش بالشرقية ، فأخبروا بذلك الشيخ محمد بن عنان فضى إليه وقرأ عنده سورة الفاتحة وتبارك وسأل الله تعالى أن يشفعه فيه فمن تلك الليلة ما سمع له صياح إلى الآن اه :

فاترك يا أخى كل ما يغضب الله تعالى إن أردت أن لا تعذب فى قبرك والله يتولى هداك

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ » .

وروى الطبرانى بإسناد حسن مرفوعا : « إِنَّ الْمَوْتَى كَيَعْدُونَ فِي قُبُورِهِمْ حَتَّىٰ إِنَّ

الْبَهَائِمَ تَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ » .

وروى مسلم مرفوعا : « لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ » .

وروى الترمذى وقال حديث حسن مرفوعا :

« الْقَبْرُ أَوْلُ مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنْازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَّاهُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ » .

وروى البزار ورواه ثقات عن عائشة قالت :

« قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُبْتَلَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي قُبُورِهَا فَكَيْفَ بِي وَأَنَا امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ ؟ قَالَ يُتَبَّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ » .

وروى الترمذى وغيره مرفوعا : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ » .

والأحاديث في عذاب القبر وأحوال أهله فيه كثيرة والله تعالى أعلم :

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا يجلس على قبر مسلم ، وأن نهى الحفارين عن كسر عظام الميت ، ونعالهم بما ورد في ذلك من الوعيد والغضب لذلك أشد الغضب :

وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله يصلى على الجنائز ويرجع ويقول إنما لم نحضر الدفن لأنه قد كثر من الحفارين كسر عظام الموتى ودرء المفاسد يقدم على جلب المصالح ، والله أعلم .

وروى مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه مرفوعا :

« لِأَنَّ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ تَحْرِقُ نِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ » .

وروى ابن ماجه مرفوعا : « لِأَنَّ أُمَّشَى عَلَى جَمْرَةٍ أَوْ سَيْفٍ أَوْ أَحْصِفَ نَفِي بِرَجُلِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُمَّشَى عَلَى قَبْرِ » .

وروى الطبرانى عن ابن مسعود أنه كان يقول : لأن أطا على جمرة أحب إلى من أن أطا على قبر مسلم .

وروى الطبراني عن عمارة بن حزم قال :

« رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا عَلَى قَبْرِ فَقَالَ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ انزِلْ مِنْ كَلِّي الْقَبْرِ لَا تُؤْذِي صَاحِبَ الْقَبْرِ وَلَا يُؤْذِيكَ » .

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« كَسْرُ عَظْمٍ الْمَيِّتِ كَسْرُهُ حَيًّا » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نترك شيئا من الأعمال الشاقة التي يخرج منا العرق بسببها كحفر الآبار والقبور والذكر بالهمة ونحو ذلك إلا عملناه فإن لم يتيسر لنا ذلك استغفرنا الله تعالى من عدم فعل ذلك ، وهذا العهد قد قل العاملون به وركنت نفوسهم إلى الأعمال الخفيفة التي لا يخرج من فعلها عرق فيجتمع عليهم ذلك العرق الذي لم يخرجوه في دار الدنيا في طاعة الله عزوجل ، فيخرج عليهم يوم القيامة فيلجمهم أو يصير إلى «قويهم أو يغطي رؤوسهم كما ورد، ولو أنهم تعاطوا فعل الطاعات الشاقة التي تخرج عرقهم لكان عرقهم يخف عنهم يوم القيامة حتى يصير إلى خلخال رجلهم أو أقل من ذلك ، ويقاس بالعرق العرى والعطش والجوع والخوف وسائر المفزعات ، فنكسب فقيرا لله بعث مكسوا ، ومن سقاه بعث مرويا ، ومن أطعمه بعث شعبانا ، ومن خاف من الله هنا أمن منه هناك ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك :

وقد روى الطبراني ورواته ثقات مرفوعا :

« يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا قَدْ أَلْجَهُمُ الْعَرَقُ وَبَلَغَ شُحُومَ الْأَذَانِ »

زاد أحمد « حَتَّى أَنْ الشُّفْنَ لَوْ أُجْرِيَتْ فِي عَرَقِهِمْ لَجَرَّتْ » .

وروى الطبراني وابن حبان في صحيحه مرفوعا :

« إِنَّ الرَّجُلَ لَيُلْجِمُهُ الْعَرَقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ارْحِنِي وَلَا

إِلَى النَّارِ » .

زاد في رواية للحاكم : « وَهُوَ يَغْلِي فِيهَا مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ » .

وفي رواية للطبراني وغيره : « يَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ . فَمِنْهُمْ

مَنْ يَكُونُ إِلَى كَثِيرِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ

إِلَى حَقْوَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِجْلَامًا ، وَأَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ فِيهِ «
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

زاد في رواية للإمام أحمد والطبراني وابن حبان :

« وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ » وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(أخذنا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نتغفل عن محاسبة نفوسنا في جميع أحوالنا لاسيا العلم والمال والعمى والجسم ، فمن حاسب نفسه هنا خفَّ حسابها هناك وكان يسيرا ، ومن أهل نفسه هنا طال حسابها هناك وكان عسيرا .

وكان سيدي أحمد بن الرفاعي رحمه الله يقول : من لم يحاسب نفسه على الخطرات واللحظات في كل نفس لم يكتب عندنا في ديوان الرجال ، وإيضاح ذلك أن مراد الحق تعالى بحسابه عبده الاعتراف بما جناه ورؤية الفضل لله تعالى في حلمه على العبد أو ترك مؤاخذته ، فمن كان معترفا له بذلك لا يحاسب إلا فيما أغضبه هنا ، فإن قدر أنه لم يغفل عنه شيئا لم يحاسب أصلا .

واعلم أن أكثر الناس اليوم قد عدموا مناقشة نفوسهم في العمل بعلمهم ومناقشتها في المال الذي دخل في أيديهم ، ومناقشتها في إنفاقه أو إمساكه ، هل رضاه الله تعالى أم لا ؟ وكذلك عدموا مناقشة نفوسهم في ذهاب عمرهم في اللهو والغفلة والمعاصي ، فإن كل وقت مضى يختم عليه بما فيه وكذلك عدموا المناقشة في جسمهم ، هل بلى في طاعة الله عز وجل أو معصيته أونوم أو لغو أو لعب ، فياطول وقوفنا والله في تلك المواطن إلا أن يتغمدنا الله تعالى برحمته .

واعلم يا أخي أنه كلما أكثر علم العبد أكثر حسابها ، وكذلك القول في المال والعمر فيسأل العالم عن كل مسألة تعلمها هل عمل بها أم لا ، وعن كل درهم اكتسبه هل فتش عليه من حيث الحل أم لا ، وهكذا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وروى الترمذي وقال حديث صحيح مرفوعا :

« لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ عَمَلِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ » .

فهذه أمهات الأمور التي يسئل العبد عنها وما عداها فروع والله تعالى أعلم .
وروى الشيخان مرفوعا : « لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ » .
وروى أبو داود والطبراني والبزار مرفوعا :
« مَنْ نُوفِيَ الْحَسَابَ عُذِّبَ » .

وروى الإمام أحمد ورواه رواة الصحيح مرفوعا :
« لَوْ أَنَّ رَجُلًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وَلِدَ إِلَى يَوْمٍ يَمُوتُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
لَحَقَرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمُ » .

وروى البزار مرفوعا : « يَخْرُجُ لِأَبْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ دَوَائِنَ :
دِيْوَانُ فَيْهِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَدِيْوَانُ فَيْهِ ذُنُوبُهُ وَدِيْوَانُ فَيْهِ النِّعَمُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَصْغَرِ نِعْمَةٍ فِي دِيْوَانِ النِّعَمِ خُذِي مِمَّاكَ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ
فَتَسْتَوْعِبُ عَمَلَهُ الصَّالِحَ ثُمَّ تَجِيءُ وَتَقُولُ وَعِزَّتِكَ مَا اسْتَوْفَيْتُ وَتَبَقِيَ الذُّنُوبُ
وَالنِّعَمُ وَقَدْ ذَهَبَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْحَمَ
عَبْدًا قَالَ : يَا عَبْدِي قَدْ ضَاعَتْ لَكَ حَسَنَاتُكَ وَتَجَاوَزَتْ عَنْ سَيِّئَاتِكَ وَوَهَبْتُ
لَكَ نِعْمَتِي » .

وروى الشيخان مرفوعا : « لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلَهُ . قَالُوا : وَلَا أَنْتَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ » .
والأحاديث في ذلك كثيرة والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لانهان بماننا على
شئ من العوج في أعمالنا وأحوالنا مادمننا في هذه الدار ، فإن مشينا على الصراط على صورة
مشينا هنا على الشريعة الحممدية ، فتي زغنا هنا زغنا هناك .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول سرعة مرور الناس على الصراط وبطوهم
يكون بحسب مبادرتهم لفعل الطاعات وتخلفهم عنها .

وسمعت سيدي محمد بن عنان رحمه الله يقول : ثبوت الأقدام على الصراط يكون

بحسب طول الوقوف بين يدي الله عز وجل في قيام الليل، ومزلة الأقدام تكون بحسب تركه القيام في بعض الليالي اه .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : المشى على الصراط حقيقة إنما هو ههنا في هذه الدار ، فمن تحفظ في مشيه هنا على الشرع حفظ في مشيه على الصراط المحسوس في الآخرة ، فالعاقل من استقام هنا في أفعاله وأقواله وعقائده ولم يسامح نفسه بشيء يقع فيه من الذنوب بل يتوب ويندم على الفور والله يحفظ من يشاء كيف يشاء .

وروى الشيخان مرفوعا: « يُضْرَبُ الْجَسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ ؟ قَالَ : دَحْضٌ مَزَلَةٌ فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَالَائِبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ فِيهَا شُوبِكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّمْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبُرْقِ ، وَكَالْعَطِيرِ ، وَكَالرَّيْحِ ، وَكَأَجْوِيدِ الْخَيْلِ ، وَكَالرَّكَابِ ، فَتَأْجِرُ مُسْلِمًا ، وَتَخْدُوشُ مُرْسَلًا ، وَمَكَدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » الحديث .

والدحض : هو الزلق ، والمزلة : هو المكان الذي لا تثبت عليه الأقدام إذا زلت ، والمكدوش : هو المدفوع في نار جهنم دفعا عنيفا والله أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نمل من كثرة تعلمنا العلم والعمل به لكون شربنا من حوض نبينا صلى الله عليه وسلم يكون بقدر نضلعنا من الشريعة ، كما أن مشينا على الصراط يكون بحسب استقامتنا بالعمل بها كما مر في العهد قبله ؛ فالخوض علوم الشريعة ، والصراط أعمالها .

ويحتاج العامل بهذا العهد إلى تحفظ زائد في العلم والعمل ولا يكون ذلك إلا إن سلك العبد طريق السلف الصالح على يد شيخ مرشد لكثرة احتفاف العلم والعمل بالآفات الخفية التي لا يكاد يشعر بها إلا كمل العارفين ، فإن الرياء يذق مع السالك في المراتب حتى يخفى جدا ، فالرياء كالسكر في الماء كلما روق يشب ونحوه كلما صقا وتميز من الطين .

فاجتهد يا أخي في حفظ الشريعة ولا تغفل وعليك بكتب الحديث فطالعها لتعرف منازل الأئمة ، ولماذا استندوا إليه من الآيات والأحاديث والآثار ؛ ولا تقنع بكتب الفقه دون معرفة أدلتها والله يتولى هداك .

وقد روى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٍ مَأْوَةٌ أَبْيَضٌ مِنْ

اللَّبَنَ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَكِرْيَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا .

زاد في رواية للطبراني والبخاري بعد قوله :

« أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ » والله تعالى أعلم .

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن لا نبني لنا في دركات النار مسكننا ولو قدر منحصص قطة ، وذلك لا يكون إلا بتركنا فعل جميع ما نهانا الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة من كبائر وصغائر .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حتى يطلع على مراتب القيامة ، ويعرف ما يمشى هناك من الأعمال والأيام فيتركه هنا حتى لا يبقى له بناء إلا في الجنة ، وأما والعباد بالله المذنب من العصاة فإنه لا يزال يبني في النار الدركات بأعماله حتى ينتهي عمره فيقال له ادخل دارك التي بنيتها .

وقد أنشد الشيخ محيي الدين بن العربي في ذلك :

النَّارُ مِنْكَ وَبِالْأَعْمَالِ تُوقِدُهَا كَمَا بِصَالِحِهَا فِي الْحَالِ تُظْفِيهَا
فَأَنْتَ بِالطَّبْعِ مِنْهَا هَارِبٌ أَبَدًا وَأَنْتَ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْكَ تُنْشِيهَا
أَمَا لِنَفْسِكَ عَقْلٌ فِي تَصَرُّفِهَا وَقَدْ أَتَيْتَ لِإِيَّهَا الْيَوْمَ تَبْنِيهَا

إلى آخر ما قال ، فلا تلم يا أخي إلا نفسك ، فإن جميع ما أعد لك في جهنم من حميم وزمهير وحيات وعقارب ومقامع وغير ذلك إنما هو من فعلك بجوارحك كما تعرفه إذا دخلت النار والعباد بالله على التعمين ، وتعرف جميع الأعمال التي استحالت نارا أو عقربا أو حية أو كلبا ونحو ذلك على اليقين ، وتعلم هناك يقينا أنها كلها عملك ، لم يشاركك فيها أحد ، وغالب أمر إبليس أنه نفذ ما رأى نفسك مالت إليه لا غير ، لأن النفس كلسان الميزان وإبليس جالس بالمرصاد لك ينظر ما تميل إليه نفسك ، فبمجرد ما يخرج لسان الميزان وتميل إلى فعل معصية من المعاصي الظاهرة والباطنة يجيء إبليس ينفذ ذلك ، وما دام لسان الميزان لم يخرج من الفك فليس لإبليس على العبد سبيل لأنه إما معصوم أو محفوظ في حضرة الله عز وجل ، وأهل الحضرة ليس له عليهم سبيل ويؤيد ما قلناه خطبته لعنه الله في النار حين يقول :

(وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي
وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) .

أى وما كان لى عليكم من سلطان قبل أن تميلوا وتخرجوا عن فك الميزان إلى جانب المعصية والشقاء ، فلما ملتم دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوومونى ، فإنى مأملتكم ولوموا أنفسكم حيث ماتم قبلى ، وهذا التفسير بلسان أهل الإشارة ، وهو كلام مقبول مفهوم إن شاء الله تعالى .

واعلم يا أحنى أن المطيعين الصرف لا بناء لهم فى النار قط ، لعصمتهم أو حفظهم ، والمخاطبين يبنون نارة فى الجنة ونارة فى النار والمرجع فى أمرهم إلى الخاتمة وإلى عفوالله عز وجل ، فإن بدل الله تعالى سيئاتهم حسنات بالتوبة النصوح فلا يبعد أن تبدل مساكنهم فى النار درجات فى الجنة كذلك ، وإن لم يبدل الله سيئاتهم لعدم التوبة الخالصة فهم تحت المشيئة كعصاة الموحدين الذين ماتوا على غير توبة ، ولا يخفى مافى ذلك من الخلاف بين أهل السنة والمعزلة نسأل الله اللطف :

وأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يبنون دائما إلا فى النار ولا بناء لهم فى الجنة مطلقا ، قال تعالى :

(وَأَمْتَأَرُوا الْيَوْمَ أَيَّهَا الْمَجْرِمُونَ) .

وهم أربع طوائف :

الأولى : المشركون وهم الذين يعملون مع الله لها آخر .

والثانية : المتكبرون كفرعون والنمروذ وأضراهما .

والثالثة : المعطلون وهم الذين نفوا الإله بجملة :

والرابعة : المنافقون الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر ولا يخلو ما أبطنوه من ثلاثة

أحوال لأنه إما أن يكون شركا أو تكبرا أو تعطىلا .

وقد بسطنا الكلام على أهل النار فى خاتمة كتابنا المسمى باليو اقيمت والجواهر فى بيان

عقائد الأكارب (والله غفور رحيم) واعلم أنه يجب على كل عاقل أن يحمى نفسه من دخول

النار امثالا لقوله تعالى الذى هو أشفق على العبد من والديه :

(يَأْئِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) الآية .

أى قوا أنفسكم بترك كل مذموم شرعته على أسنة رسلى ، وهذا العهد جامع للعهود السابقة كلها ، فإن كل منهى عنه داخل فيه .

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وروى البخارى « كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم :

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) .

وروى الشيخان وغيرها مرفوعا : « اتقوا النار ولو بشق تمرّة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

وروى الشيخان : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حذر من النار أعرض وأشاح حتى يظن الناس أنه ينظر إليها » .

قال الفراء : والشيخ على معنيين : المقبل إليك والمانع لما وراء ظهرك ، وقوله أعرض وأشاح : أى أقبل .

وروى الشيخان والترمذى والنسائى واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قال « لما نزلت هذه الآية

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دحّا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرّيشا فاجتمعوا

فعمّ وخصّ فقال : يا بنى كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى مرة

ابن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ،

يا فاطمة أنقذى نفسك من النار فأبى لأملككم من الله شيئا » .

وروى الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته أنذرتمكم من النار

رافعا بها صوته حتى لو أن رجلا كان بالشوق لأسمعه حتى وقعت خبيصة كانت

على عنقه عند رجله » .

وروى الشيخان : « إنما مثلى ومثلى كرجل استوقد نارا فجملت الفراش

والدواب يقعن فيها فأنا أخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفتحون فيها » .

وفي رواية لمسلم : « إِنَّمَا مَثَلِي كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ يَفْعُنَ فِيهَا وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا
قَالَ فذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلِكُمْ » .

والحجزة : جمع حجزة ، وهي معقد الإزار .

وروى الطبراني مرفوعا : « اهرُبوا من النارِ جُهدَكم فإن الجنةَ لا ينامُ طالِبُها
والنارُ لا ينامُ هارِبُها » .

وروى البيهقي مرفوعا : « يَا مَعْشَرَ أَسْمِينِ ازْعَبُوا فِيهَا رَغَبِكُمْ اللهُ فِيهِ
وَاحْذَرُوا يَمَا حَذَرَكُمْ اللهُ مِنْهُ وَخَافُوا يَمَا خَوَّفَكُمْ اللهُ بِهِ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ
وَمِنْ جَهَنَّمَ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ قَطْرَةً مِنَ النَّارِ مَعَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا خَبَبْتُمَا
عَلَيْكُمْ » .

وروى البزار مرفوعا : « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُرَضِّحُ رُؤُوسَهُمْ
بِالصَّخْرِ كَمَا رَضِخْتَ عَادَتِ سَمَا كَانَتْ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَقُلْتُ
يَا جِبْرِيلُ مَنْ هُوَ لَاءُ؟ فَقَالَ هُوَ لَاءُ الَّذِينَ تَنَاقَلُ رُؤُوسَهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ مَرَرْتُ
عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ وَعَلَى أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ
إِلَى الضَّرِيعِ وَالرُّقُومِ وَرَضَفُ جَهَنَّمَ ، قُلْتُ : مَنْ هُوَ لَاءُ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ : هُوَ لَاءُ
الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صِدْقَاتِ أَمْوَالِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَمَا اللهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ، ثُمَّ مَرَرْتُ
عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حَزْمَةً عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ سَحْلُهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا فَقُلْتُ
يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ عَلَيْهِ أَمَانَةٌ لِلنَّاسِ لَا يَسْتَطِيعُ إِدَاءُهَا
وَهُوَ يُزِيدُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ مَرَرْتُ عَلَى قَوْمٍ تُقْرِضُ شِفَاهُهُمْ وَالسِّنِّتَهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ
حَدِيدٍ كَمَا قَرِضْتَ عَادَتِ سَمَا كَانَتْ وَلَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَقُلْتُ
يَا جِبْرِيلُ مَنْ هُوَ لَاءُ؟ قَالَ : هُوَ لَاءُ خُطْبَاهِ الْفِتْنَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ،
وَيَعْطُونَ النَّاسَ وَلَا يَتَّعِظُونَ » الحديث .

وسألت « أَنْ جُبَّ الْحَزَنِ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْفُقَرَاءِ الرَّائِبِينَ » .

قلت : وظاهر السياق يقتضى أن هذا العذاب بأنواعه فى حق عصاة الموحدين لافى حق المشركين ، فإياك أن تقول هذا فى حق الكفار فإنه يؤدى إلى نفي تعذيب أحد من أهل القبلة وهو خلاف مذهب أهل السنة والجماعة فلا بد من طائفة تدخل النار من الموحدين ثم تخرج من النار بالشفاعة :

وانظر يا أخى إلى ما كان عليه السلف الصالح من الخوف حتى كأن النار ما خلقت إلا لهم ، واسلك طريقهم . وفى حديث البزار :

« ثُمَّ مَرَرْتُ عَلَى وَادٍ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مُنْكَرًا فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا الصَّوْتُ ؟ فَقَالَ : هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ يَا رَبِّ ائْتِنِي بِأَهْلِي وَبِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ سَلْسِلِي وَأَغْلَالِي وَسَعِيرِي وَحَمِيمِي وَغَسَّاقِي وَغَسْلِينِي وَقَدْ بَعُدَ قَعْرِي وَأَشْتَدَّ حَرِّي ائْتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي ، قَالَ لَكَ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ وَخَبِيثٍ وَخَبِيثَةٍ ، وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ، قَالَتْ قَدْ رَضِيتُ » .

فهذا يقتضى أن أهلها الحقيقيين هم هؤلاء والله تعالى أعلم :

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَصَحَّحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَّكْتُمْ كَثِيرًا قَالُوا : وَمَا رَأَيْتُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ رَأَيْتُمُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ » .

وروى البزار « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ وَهُمْ يَضْحَكُونَ فَقَالَ تَضْحَكُونَ وَذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : فَمَا رَأَيْتُمْ أَحَدًا مِنْهُمْ ضَاحِكًا حَتَّى مَاتَ وَنَزَلَتْ فِيهِمْ (نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) » .

وروى أبو يعلى : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ يَوْمًا فَقَالَ : لَا تَنْسُوا الْعَظِيمَتَيْنِ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ثُمَّ بَكَى حَتَّى جَرَى وَبَلَ دُمُوعِهِ عَلَى جَانِبَيْ حَيْثُوهُ ، ثُمَّ قَالَ :

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ لَمَسَّيْتُمْ إِلَى الصُّمَدَاتِ وَلَحَّيْتُمْ عَلَى رُؤُوسِكُمُ التُّرَابَ .»

وروى الطبراني : « أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَيْرِ حِينِهِ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِ فِيهِ فِقَامٌ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا جِبْرِيلُ مَا لِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ؟ فَقَالَ : مَا جِئْتُكَ حَتَّى أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنَافِعِ النَّارِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جِبْرِيلُ صِفْ لِي النَّارَ وَأَنْعَمْتَ لِي جَهَنَّمَ . فَقَالَ جِبْرِيلُ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ بِجَهَنَّمَ فَأَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفُ عَامٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ . ثُمَّ أَمَرَ فَأَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفُ عَامٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أَمَرَ فَأَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفُ عَامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلَمَةٌ لَا يُبْصِرُ شَرُّهَا وَلَا يُطْفَأُ لَهَبُهَا ، وَالَّذِي بَعَثَكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ قَدَرَ نُفْبِ إِبْرَةَ فُنْسِحَ مِنْ جَهَنَّمَ لَمَاتَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا مِنْ حَرِّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ خَازِنًا مِنْ خَزَائِنِ جَهَنَّمَ بَرَزَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ لَمَاتَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مِنْ قُبْحِ وَجْهِهِ وَمِنْ نَتَنِ رِيحِهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنْ حِلَقِ سِلْسِلَةِ أَهْلِ النَّارِ الَّتِي نَعَتَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضِعْتَ عَلَى جِبَالِ الدُّنْيَا لَأَرْفَضَتْ وَلَغَارَتْ حَتَّى تَلْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ الشُّفْلَى ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَسْبِي يَا جِبْرِيلُ لَا يَنْصَدِعُ قَلْبِي فَأَمُوتُ ، فَبَسَكَ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَبَسَكَ يَا جِبْرِيلُ وَأَنْتَ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ؟ فَقَالَ : وَمَا لِي لَا أَبْكِي ؟ أَنَا أَحَقُّ بِالْبُكَاءِ لَعَلِّي أَكُونُ فِي عِلْمِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ الْحَالِ الَّتِي أَنَا أُؤْمَلُهَا ، وَمَا أَدْرِي لَعَلِّي أَبْتَلِي بِمَا أَبْتَلِي بِهِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجِبْرِيلُ يَبْسُكِيَانِ حَتَّى نُودِيَ : أَنْ يَا جِبْرِيلُ وَيَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَنَّكُمْ أَنْ تَعْصِيَاهُ ، فَأَرْتَفَعَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَّ بِقَوْمِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ بِضَحَّ كُفُونٍ وَيَلْعَبُونَ ، فَقَالَ : تَضَحَّ كُفُونٌ وَوَرَاءَ كُمُ جَهَنَّمَ ، فَلَوْ تَعْلَمُونَ

مَا أَعْلَمُ لَضَحِكِكُمْ قَلِيلًا وَلَبَسَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَمَّا أَسْغَمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَخَرَجْتُمْ
إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . والصعدات : هي الطرقات .

وروى الطبراني : « أَنَّ جَبْرِيْلَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَزِينًا لَا يَرْفَعُ
رَأْسَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا لِي أَرَاكَ يَا جَبْرِيْلُ حَزِينًا ؟ فَقَالَ :
لِي رَأَيْتُ لَفْحَةً مِنْ جَهَنَّمَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى رُوحِي بَعْدُ . »

وروى الإمام أحمد : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجَبْرِيْلَ : مَا لِي لَا أَرَى
مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ ؟ فَقَالَ : مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ . »

وروى ابن ماجه والحاكم مرفوعا : « إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا
مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، وَلَوْ لَا أَنَّهَا طُفِئَتْ بِالْمَاءِ مَرَّتَيْنِ مَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ، وَإِنَّهَا لَتَبْدُو اللَّهُ تَعَالَى
أَنْ لَا يُعِيدَهَا فِيهَا . »

وروى مسلم والترمذي مرفوعا : « يُؤْتَى بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ
مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا . »

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا : « إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ فَضَلَّتْ عَلَى نَارِكُمْ هَذِهِ بِدَسَعَةٍ
وَأَسْعِينَ جُزْءًا كُلِّ مِثْلِ حَرِّهَا . »

وروى البيهقي مرفوعا « أَلْتَحْسِبُونَ أَنَّ نَارَ جَهَنَّمَ مِثْلُ نَارِكُمْ هَذِهِ ؟ هِيَ أَشَدُّ سَوَادًا
مِنَ النَّارِ . »

وفي رواية للإمام أحمد : « إِنَّ هَذِهِ النَّارَ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ . »
وروى البزار مرفوعا : « لَوْ أَنَّ فِي الْمَسْجِدِ مِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَتَنَفَسَ رَجُلٌ
مِنْ أَهْلِ النَّارِ لِأَحْرَقَهُمْ . »

وروى الطبراني مرفوعا : « لَوْ أَنَّ غَرْبًا مِنْ جَهَنَّمَ جُعِلَ فِي وَسْطِ الْأَرْضِ
لَأَذَى نَتْنُ رِيحِهِ وَشِدَّةُ حَرِّهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَوْ أَنَّ شَرَّةَ
مِنْ شَرِّ جَهَنَّمَ بِالْمَشْرِقِ لَوَجَدَ حَرَّهَا مِنَ الْمَغْرِبِ . » والغرب : هو الدلو العظيم .

وروى أبو داود والترمذى والنسائى مرفوعا : « لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى النَّارَ أَرْسَلَ إِلَيْهَا جِبْرِيلَ فَقَالَ لَهُ انظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أُعِدَّتْ فِيهَا لِأَهْلِهَا ، فَنَظَرَ جِبْرِيلُ إِلَيْهَا فَأَذَاهُ هِيَ تَرَى كَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، فَقَالَ أُرْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا » .

وروى الترمذى وابن ماجه والبيهقى مرفوعا :

« إِنَّ النَّارَ سَوْدَاءٌ مُظْلِمَةٌ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ » .

وروى ابن حبان فى صحيحه مرفوعا : « لَوْ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ أَصَابُوا نَارَ سَلْمٍ هَذِهِ لَنَامُوا فِيهَا وَلَقَالُوا فِيهَا » أى ناموا فى القيولة .

وروى البيهقى وغيره مرفوعا « فى قوله تعالى :

(وَتَوَدُّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) إِنَّ النَّارَ مُظْلِمَةٌ لَا يُظْفَأُ لَهَا مِنْهَا وَلَا يَبْصُرُ » .

وروى الطبرانى والبيهقى عن ابن مسعود فى قوله تعالى :

(فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قَالَ : هُوَ وَادٍ فى جَهَنَّمَ يُقَدَّفُ فِيهِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

الشَّهَوَاتِ » .

وروى البيهقى بإسناد جيد مرفوعا : « تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جُبِّ الْحَزَنِ أَوْ قَالَ

وَادِى الْحَزَنِ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا جُبُّ الْحَزَنِ ؟ قَالَ هُوَ وَادٍ فى جَهَنَّمَ أُعِدُّ لِلْفُقَرَاءِ

الْمُرَائِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

والأحاديث فى ذلك كثيرة مشهورة فى كتب الترغيب والترهيب ، وفى هذا القدر كفاية

والله تعالى أعلم .

وليكن ذلك آخر كتاب لواقح الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية والله تعالى أعلم

تأليف سيدنا وهولانا مربي المرينيين قدوة السالكين سيدى الشيخ عبد الوهاب بن أحمد

الشعرانى رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته . وكان الفراغ منه فى سابع عشر رمضان

سنة ثمان وخمسين وتسعمائة بمصر الخروسة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين آمين ؛

الفهرس

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
إجابة المؤذن	٤٨	خطبة الكتاب	٣
الدعاء بين الأذان والإقامة	٤٩	القسم الأول : من الكتاب وهو	١٠
مساعدة الناس في بناء المساجد	٥٠	المأمورات	
تطهير المساجد	٥٢	إخلاص النية في العلم والعمل	١٠
فعل سيدى على الخواص في المساجد	٥٣	الترغيب في العمل بالسنة المحمدية	١٤
المشي إلى المساجد	٥٤	الترغيب في إظهار الخير	١٩
إطالة الجلوس في المساجد	٥٦	الحث على طالب العلم وطالعته	٢٢
حكاية غريبة	٥٦	الحث على السفر للعلم	٢٥
شروط الجلوس في السوق	٥٧	الترغيب في سماع الحديث	٢٦
إلزام النساء البيوت	٦٢	ملازمة العلماء	٢٨
الكلام على تارك الصلاة	٦٤	إكرام العلماء	٢٩
ما جعله الشارع مفضولاً	٦٦	العمل بالعلم	٣١
الاستعداد للصلاة بالوضوء	٦٩	إكرام المساجد	٣٢
صلاة الجماعة وفضلها	٧٠	إسباغ الوضوء	٣٣
الصلاة مع الجماعة	٧٢	المحافظة على الوضوء	٣٦
الصلاة في القلاة	٧٤	المواظبة على السواك	٣٨
الاهتمام بصلاة الجماعة في العشاء	٧٥	تحليل أصابع اليدين في الوضوء	٤١
والصباح		أذكار الوضوء	٤٣
صلاة التوافل	٧٧	الركعتين بعد كل وضوء	٤٤
حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة	٧٨	مقالة الجنيد الشبلي	٤٤
من المعاصي		التحريض على الأذان	٤٦

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
الحث على قراءة سورة الكهف ليلة الجمعة ويومها	١٢٣	المواظبة على الجلوس في مصلاتنا	٧٩
أمر أصحاب الأموال بالعطف على فقراء بلدهم	١٢٤	الأذكار الواردة عقب الصلوات الخمس	٨٢
الحث على مساعدة الفقراء	١٢٨	الكلام على الإمامة	٨٤
الحث على القناعة والتعفف	١٢٨	الكلام على صفاء السريرة	٨٥
الترغيب في إنزال جميع ما فاتنا في أمور الدنيا والآخرة بالله تعالى	١٣٤	تسوية الصفوف	٨٧
الحث على قبول كل ما جاءنا من الحلال	١٣٥	ترك الصف الأول لرحمته	٨٧
التصدق بما فضل عن حاجتنا	١٣٧	الكلام على ميسرة المسجد إذا عطلت من الصلاة	٩٠
الحث على التصديق ولو بالشيء اليسير	١٤٢	التأمين مع الإمام في للجهرية	٩١
الحث على التصديق بما نحب	١٤٤	الاستعداد للصلاة قبل الوقت	٩٣
الحث على الإسرار بصدقائنا المندوبة	١٤٥	صلاة النوافل	٩٤
الحث على إقراض من استقرضنا من المحتاجين	١٤٩	المواظبة على الصلاة بين المغرب والعشاء	٩٥
الترغيب في إنظار المعسر	١٥١	المحافظة على أربع بعد العشاء والوتر قبل النوم	٩٦
الترغيب في إنفاق ما دخل يدنا من المال على أنفسنا	١٥٣	المواظبة على الطهارة عند النوم	٩٧
الإذن لزوجاتنا بالتصدق من مالنا	١٥٩	الاستعداد لقيام الليل	١٩٠
الترغيب في إطعام الطعام لمن ورد علينا	١٦٢	قضاء الأوراد التي نام عنها ، وفي الضحى	١٠٣
الحث على شكر من أسدى إلينا معروفا	١٦٥	المواظبة على صلاة التيسيح	١٠٥
الحث على محبتنا للصوم	١٦٩	المواظبة على صلاة التوبة	١٠٧
الترغيب في قيام رمضان	١٧٤	صلاة الحاجة	١١٠
« إتياع صوم رمضان بست من شوال	١٧٩	فهم إشارات الحق تعالى	١١٣
		المواظبة على حضور صلاة الجمعة	١١٦
		الاستعداد لساعة الإجابة	١١٩
		غسل الجمعة	١٢١
		الحث على استماع الخطيب	١٢٢

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
الحث على التواضع في أثناء الحج	٢١٧	الترغيب في صوم يوم عرفة	١٨١
« رفع الصوت بالتلبية أثناء الحج »	٢٢٠	الترغيب في صوم يوم عاشوراء	١٨٢
الترغيب في الإكثار من الطواف	٢٢١	« قيام ليلة النصف من شعبان وصيام نهارها »	١٨٤
واستلام الحجر في الحج		« صوم يوم الاثنين والخميس »	١٨٦
الاستعداد للعبادة في عشر ذي الحجة	٢٢٥	« صيام أيام البيض »	١٨٧
مستحب		« صوم ما أمرنا بصومه عند القدرة »	١٩٠
« للوقوف بعرفة واجب »	٢٢٦	الحث على التسحر من الحلال في كل ليلة	١٩٢
الإتيان بالمناسك كلها كما وردت	٢٣٦	تعجيل الفطر وتأخير السحور	١٩٤
الحث على المبادرة لرمى الجمار	٢٣٨	الترغيب على الإفطار في الصوم على تمر	١٩٦
« الخلق أول التقصير في المناسك »	٢٤١	« في إطعام ما زادنا للإخوان »	١٩٧
« التضلع من ماء زمزم »	٢٤٢	« في الاعتكاف في كل وقت »	١٩٩
الترغيب في الصلاة في مسجد مكة والمدينة	٢٤٤	الحث على إخراج زكاة الفطر	٢٠١
المنع من شكوى أحد من أهل المدينة	٢٤٥	الترغيب في إحياء ليالي العيد	٢٠٦
الحث على أننا إذا دخلنا نغرا للمجاهدين أن ننوي المراقبة	٢٤٧	« رفع الأصوات في التكبير في العيدين »	٢٠٨
الترغيب في أننا إذا سافرنا إلى الحجاز أو الشام أو غيرهما أن نحرم إخواننا وأمتعتهم ودوابهم	٢٤٧	الحث على التضحية عن أنفسنا وعيالنا	٢٠٨
الحث على إكرام الغزاة والحارسين	٢٤٨	« ذبيح أضحيتنا بنفسنا »	٢٠٩
« الموت شهداء في سبيل الله »	٢٥٠	« التصدق بلحم أضحيتنا »	٢١٠
النهى عن أن لا نفر من الأمور التي تلحقنا بالشهداء إذا لم يقسم لنا جهاد	٢٥١	« الإحسان في الذبحة »	٢١١
الحث على تعليم الأولاد	٢٥٣	« المبادرة بالحج »	٢١٢
الاستعداد بالطهارة لقراءة القرآن	٢٥٤	« الإنفاق في الحج والعمرة بقدر وسعنا »	٢١٤
الحث على تعاهد القرآن بالتلاوة	٢٥٥	« العمرة في رمضان إذا جاورتنا بمكة »	٢١٧
مواظبة القراءة كما ورد في الآيات والسور	٢٥٦		

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
الرجوع في الشدائد والمهمات في الدنيا والآخرة إلى الله تعالى	٣١٥	الترغيب في مداومة ذكر الله سرا	٢٥٨
تبجيل العلماء والصالحين	٣١٥	حفظ اللسان في كل مجلس من اللغو	٢٦٤
الحث على إعطاء جميع الحقوق التي علينا	٣١٨	التحفظ من الشيطان عند إرادة النوم	٢٦٥
الأمر بوعظ كل عبد غضب من سيده	٣١٩	الحث على مداواة أنفسنا بالأذكار إذا حصل لنا سهر	٢٦٧
ترغيب الغنى في العتق	٣٢٢	الأذكار الواردة	٢٧٠
غض البصر عن رؤية كل ما نهانا الله عنه	٣٢٣	الاستعاذة من الشيطان والاستعداد له	٢٧٠
اختيار التزويج على العزوبة	٣٢٦	الترغيب في الاستغفار ليلا ونهارا	٢٧٢
اختيار ذات الدين الشوهاء	٣٢٩	حسن الظن بالله تعالى	٢٧٦
اختيار الودود والود	٣٣١	النهي عن أن ندعو ربنا بدعاء مخترع	٢٧٩
الرحمة بالعباد	٣٣٢	عدم سؤال ربنا شيئا إلا بعد حمده تعالى	٢٨٠
النفقة على الأزواج والعيال	٣٣٧	يحسن تأخير الدعاء بحوائجنا المهمة	٢٨١
الحث على تسمية الأولاد بأسماء حسنة	٣٤١	الترغيب في الإكثار من الصلوة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٨٣
تأديب الأولاد الذكور والإناث	٣٤٢	ترغيب الإخوان في تكسب الحلال	٢٨٨
ترويض النفوس في عدم الميل الطبيعي إلى أولادنا	٣٤٤	الحث على التكبير في طلب الرزق	٢٩٣
السعي في تطهير باطننا	٣٤٦	البعد عن تعاطي أسباب تعسير الرزق	٢٩٤
استحباب لبس القميص في الثياب	٣٤٧	أمر الشارع بالإجمال في طلب الرزق	٢٩٥
يستحب استحضار قلوبنا مع الله في عبادتنا	٣٤٨	الاجتهاد في طلب الحلال	٢٩٩
ترك الترفع في اللباس	٣٥٢	تفتيش كل شيء دخل يدنا	٣٠٢
الترغيب في التصديق بالثوب الخلق	٣٥٨	الترغيب في السماحة في البيع والشراء	٣٠٤
نهي الشارع عن تنف الشيب في اللحمة	٣٥٩	« إقالة كل نادم على بيع أو شراء	٣٠٦
الأمر بالاكتحال كل ليلة بالإمساك	٣٦٣	الحث على النصح لكل مسلم	٣٠٧
الأمر بتسمية الله عند كل طعام	٣٦٤	ترغيب إخواننا التجار وغيرهم في الصدق	٣٠٩
ترويض النفوس بأداب الصالحين	٣٦٦	نية الوفاء لكل شيء	٣١٠
القناعة من الأدم بتغميس اللقمة	٣٦٧	الحث على المبادرة إلى تنهيد وصية الميت	٣١٤

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
الترغيب في الجود والسخاء	٤٥١	كيفية أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم	٣٧٠
» » قضاء حوائج المسلمين	٤٥٤	استحباب الاجتماع على الطعام	٣٧١
الاستحياء من الله سرا وجهرا	٤٥٨	استحباب لعق الأصابع	٣٧٣
الترغيب في حسن الخلق مع الناس	٤٦٠	ندب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب	٣٧٦
ترويض النفس على مراقبة الله تعالى	٤٦٥	كيفية تلقي جميع ما أنعم الله به علينا	٣٧٨
تعويد النفوس طيب الكلام	٤٦٦	الرغبة فيمن ولي ولاية في العدل	٣٧٩
الترغيب في إفشاء السلام بيننا	٤٦٩	الحث على نصر المظلوم	٣٨٤
» » المصافحة عند اللقاء	٤٧١	المحافظة على استعمال ماورد من الكلمات	٣٨٦
» » العزلة عن الناس ما أمكن	٤٧٣	عند خوفنا من ظالم	
» » دفع الغضب ونظم الغيظ	٤٧٧	الترغيب في ترويض النفوس	٣٨٨
» » الصلح بين المسلمين	٤٨٠	الحث على الشفقة على جميع خلق الله تعالى	٣٩١
الذب عن عرض الأخ المسلم	٤٨٣	ترغيب كل من صحبنا من الولاية في وزير صالح	٣٩٨
الترغيب في المواظبة على الجوع والإقلال من الأكل	٤٨٥	الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٤٠٠
السعي في سلامة صدورنا من الغل	٤٨٩	الحث في ستر جميع عورات المسلمين	٤٠٦
الحث على التواضع للأخ المسلم	٤٩١	إعانة من يقيم الحدود	٤١٠
» » الصديق مع الله تعالى	٤٩٣	ترغيب أهل المعاصي في التوبة	٤١١
الترغيب في إمطة الأذى عن الطريق	٤٩٥	الحث على حفظ الفروج	٤١٤
الحث على قتل الوزغ والحية والعقرب	٤٩٩	الترغيب في العفو	٤١٦
الترغيب في إنجاز الوعد في الأمانة	٥٠٢	» » بر الوالدين	٤٢١
» » الحب لله وللبحض لله	٥٠٦	» » صلة الرحم من نسب أو رضاع	٤٢٧
» » مجالسة الصالحين	٥١١	الحث على كفالة اليتيم	٤٣٠
» » الجلوس للقبلة	٥١١	الترغيب في زيارة الإخوان والصالحين	٤٣٢
ترغيب التجار والذين يسافرون إلى الشام في جعل نيتهم سكنى الشام لأمر الشارع بذلك	٥١٢	» » أن نقرى الضيف ونكرمه	٤٤٣
ترغيب المسافرين في ذكر الله تعالى	٥١٤	ترغيب الزراع في الزرع والغرس	٤٤٩
الترغيب في الدلجة	٥١٥		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٥٩٦	الحث على كثرة حمد الله عند موت ميت لنا	٥١٦	الترغيب في ذكر الله تعالى إذا عثرت دابتنا
٥٩٨	الترغيب في تغسيل الموتى	٥١٧	ما يقال عند نزول أى منزل في السفر
٦٠٠	فضل تشييع موتى المسلمين	٥١٧	الدعاء للمسلمين بظهور الغيب وفائدته
٦٠٢	الترغيب في دعوة الإخوان للحضور للجنائز	٥١٨	حب الموت في بلاد الغربية إذا مرض المسلم فيها
٦٠٣	الترهيب من اقتناء الكلب	٥١٩	مبادرة المؤمن إلى التوبة عقب كل ذنب
٦٠٤	عدم السفر إلا مع رجلين	٥٢٢	الترغيب في تفرغ النفس للعبادة
٦٠٥	عدم تمكين المرأة من السفر إلا مع محرم	٥٢٤	« العمل الصالح عند فساد الزمان
٦٠٧	النهي عن استصعاب كلب أو جرس في سفر أو غيره	٥٢٥	المدامنة على العمل الصالح
٦٠٨	النهي عن السفر أول الليل	٥٢٧	محبة الفقر
٦٠٩	عدم الاهتمام بتحصيل الدنيا	٥٣٥	الزهد في الدنيا بالقلب
٦١٢	عدم تمكن محبة الدنيا من القلب	٥٤٩	فضل الجوع وعدم الشبع في الدنيا
٦١٤	عدم تمنى الموت	٥٥٢	تعاطى الأسباب المذكورة للموت
٦١٦	عدم تعاطى ما يردّ البلاء إلا إن ورد به الشرع	٥٦١	الخوف من سطوة ربنا عز وجل
٦١٨	عدم التهاون بترك الوصية	٥٦٥	رجاء الله والظن به تحيرا
٦١٩	الحث على الإسراع بالجنائز	٥٦٧	الميل إلى الضعف عند نزول البلاء
٦١٩	الحث على الدعاء للميت	٥٧٠	كثرة مخالطة أهل البلاء
٦٢٢	ترغيب الرجال في زيارة موتاهم	٥٧٤	الصبر على مصائب الزمان
٦٢٣	الترغيب في كثرة الاستعداد لأهوال يوم القيامة	٥٨١	التداوى بذكر اسم الله تعالى
٦٣٠	قسم المناهي	٥٨٥	الحجامة عند ثوران الدم
٦٣٠	عدم التدنّين بشيء من البledع	٥٨٧	الترغيب في عيادة المرضى
٦٣٦	عدم التهاون بتأخير الأوامر الشرعية	٥٩١	الحث على الدعاء للمريض بما ورد
		٥٩٢	العدل في الوصية عند المرضى
		٥٩٥	ترغيب من حضره الموت في لقاء الله

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
النهي عن تعاطي فعل شيء من القاذورات في المسجد	٦٨٠	عدم الإجابة على مسألة من العلم إلا إذا علمنا الإخلاص من أنفسنا ومن السائل	٦٣٩
النهي عن التهاون بصلاة الجماعة	٦٨٤	النهي عن العبث بشيء من الجوارح في الصلاة	٦٤٨
عدم التهاون بترك الاستعداد لاعتصر خوف الفوات	٦٨٧	النهي عن المرور قط بين يدي المصلي	٦٤٩
النهي عن إمامة قوم وهم للإمام كارهون	٦٨٩	عدم التهاون بترك الصلاة	٦٥٠
النهي عن الوقوف في الصف المؤخر وترك المقدم إلا لعذر شرعي	٦٨٩	النهي عن تناجى الحق تعالى في الصلاة	٦٥١
النهي عن التهاون بالوقوف في مسابقة الإمام	٦٩٢	التهاون بفوات حضور المواكب الإلهية	٦٦٢
النهي عن التساهل بترك إتمام الركوع والسجود	٦٩٣	النهي عن الماراة بالعلم قط	٦٦٣
النهي عن التهاون بترك الحضور مع الله تعالى في صلاتنا	٦٩٥	التهور في رواية الحديث	٦٥٦
النهي عن تحطى رقاب الناس	٧٠٠	الاغترار بحفظ العلم	٦٥٧
رفع بصرنا إلى حضرة خطابنا لرينا	٧٠١	ادعاء العلم لإلغرض شرعي	٦٥٨
النهي عن التكلم والإمام يخطب	٧٠٢	المجادلة في علم من العلوم	٦٦١
الترهيب من أن نقر أحدا على تأخره عن الجمعة	٧٠٣	فعل شيء يؤذى المسلمين	٦٦٣
الترهيب عن جمع نصاب من الذهب والفضة إلا أن تخرج الزكاة	٧٠٤	عدم التهاون بترك آداب السنة المحمدية	٦٦٥
النهي عن توكل العوام	٧٠٥	عدم التهاون بترك المبادرة إلى غسل الجنابة	٦٦٦
« سؤال الحق تعالى تكثرا مادام عندنا غداء أو عشاء	٧٠٨	نهى نساءنا عن الخروج للحمامات ودخولها	٦٦٨
لأنأخذ من أحد مالا ولا نأكل طعاما إلا عن طيب نفسه	٧٠٨	النهي عن تأخير غسل الجنابة في ليل أو نهار	٦٦٩
		عدم التهاون بترك التسمية على طهرنا	٦٧٢
		النهي عن قرب الخائض وجماعها	٦٧٣
		« الخروج من المسجد بعد الأذان	٦٧٣
		النهي عن المرءات في العبادة	٦٧٤

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٧٠٩	النهي عن سؤال أحد شيئا ونقسم عليه بوجه الله لإجلال الله	٧٢٤	النهي عن الغلول من أى شيء دخل يدنا على اسم المقرء والمساكين
٧١١	النهي عن رد شيء جاعنا من غير سؤال ولا استشراف نفس	٧٢٥	عدم الغفلة عن تحديث أنفسنا بالغزو في سبيل الله
٧١١	النهي عن رد قريب سألنا شيئا ونحن في غنى عنه	٧٢٦	التهاون بعدم تلاوة القرآن في كل يوم ولو خمسة أحزاب لثلاثين
٧١٣	عدم قبول الصدقة والهديّة من امرأة إلا بعد التحرى عن مصدرها	٧٢٦	النهي عن الغفلة عن الإكثار من ذكر الله عز وجل
٧١٣	عدم منع أحد جاعنا يستنى من بئرنا ولو عدوا	٧٢٧	استحباب ذكر الله في كل أحوالنا
٧١٤	عدم تعاطى أسباب إقطارنا على شيء في رمضان	٧٢٨	النهي عن استبطاء الإجابة منه تعالى
٧١٥	عدم منع حليلتنا من صوم التطوع طلبا لشهوتنا	٧٢٩	النهي عن رفع البصر إلى السماء حال دعائنا
٧١٥	النهي عن تخصيص يوم الجمعة أو السبت أو الأحد بالصوم	٧٢٩	النهي عن الدعاء على أنفسنا أو على أولادنا أو خادمتنا أو أموالنا
٧١٦	ليس من البر للصوم في السفر	٧٣٠	الترغيب في جعل الدنيا في يدنا لافي قلوبنا
٧١٧	عدم التهاون في الوقوع فيما نهانا الشارع عنه	٧٣١	الترهيب من أكل الحرام والشبهات
٧١٩	النهي عن التخلق بالفظاظة وعدم الشفقة والرحمة	٧٣٢	النهي عن إقرار أحمد من المسلمين على جباية الظلم
٧٢١	النهي عن عدم التهاون بترك حج الفرض	٧٣٣	الترهيب من غش أحد
٧٢٢	النهي عن عدم تمكين عيالنا المخدرات من الخروج لحج التطوع لالفرض	٧٣٤	« احتكار طعام للمسلمين »
٧٢٣	الترهيب من التهاون بترك تعلم آلات الجهاد	٧٣٤	النهي عن أكل طعام من يعامل الناس بالربا والحيلة
٧٢٣	عدم الفرار من جاعة اجتمعنا معهم على أمر فيه إقامة للمدين	٧٣٧	النهي عن غضب شيء من أحد مهملت قيمته
		٧٣٨	التحذير من بناء الدور فوق الضرورة والحاجة أو زخرفتها
		٧٤٠	الفرار من مواضع غضب الله تعالى

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٧٤١	الحث على تخويف العبيد إذا أبقوا من أسيادهم	٧٥٨	خاتمة في بيان أن الشيطان يأتي للعجوز
٧٤١	النهي عن استخدام عبد أو أمية أعتقناهما إلا برضاها		من النساء فيبوسوس لها حتى تعينه على الإفساد بين المرأة وزوجها
٧٤٢	النهي عن كثرة الحلف بالله تعالى إلا إن اضطررنا للحلف	٧٥٩	التحذير من تمكين الزوجة من الخروج إلى الطريق متزينة
٧٤٣	الترهيب من خيانة الشريك	٧٦٠	النهي عن إفشاء سر الصاحب ولو إلى الزوجة
٧٤٤	التحذير من التفريق بين والدة وولدها	٧٦٢	النهي عن طول ذيل القميص أو غيره إلا كما ورد في السنة
٧٤٦	التحذير من الدين مطلقا إلا لضرورة شرعية	٧٦٥	النهي عن كسوة عيالنا من الثياب التي تصف البشرة ولا أن يسمح لمن بشرائها
٧٤٧	التحذير من مطل الدائن	٧٦٦	الترهيب من أن نقر أحدا من الظلمة وغيرهم على لبس الحرير أو الجلوس عليه أو التحلي بالذهب
٧٤٨	النهي عن إطلاق البصر إلى شيء من الدنيا	٧٦٩	النهي عن لبس لباس الشهرة أو الفخر أو المباهاة
٧٥٠	التحذير من الخاوة بالأجنبية التي يحشى منها الفتنة	٧٧١	الترهيب من إقرار نساءنا على وصل شعرهن أو وشم بدنهن أو تخفيف وجههن
٧٥١	النهي عن تعاطي أسباب ارتكاب حلاتنا الذنوب	٧٧٢	نهي الرجل والمرأة عن تخضيب اللحية أو الشعر بالسواد
٧٥٣	الترهيب من ترجيح إحدى زوجاتنا على الأخرى	٧٧٣	النهي عن التهاون بترك التسمية على الطعام والشراب
٧٥٤	النهي عن عدم الاشتغال بالعبادات وترك التكسب حتى نضيع وأولادنا	٧٧٤	النهي عن إقرار عيالنا وغيرهم على استعمال المكحلة الفضة أو المرود النضة أو غيرها فضلا عن الذهب
٧٥٥	النهي عن تسمية أولادنا بالأسماء التي نهانا عنها الشارع وبين أن الله يكرهها		
٧٥٦	الترهيب من إنكار الانتساب إلى أبينا أو أمنا		
٧٥٧	النهي عن تضييف امرأة غيرنا إذا زارتنا بالأطعمة الفاخرة أو نبش في وجهها		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٧٩٤	النهى عن المبادرة لمساعدة خصم على خصمه وإعانتته إلا بعد تصبر وتمهل في ذلك	٧٧٥	النهى عن أن نقر أولادنا على الأكل باليد الشمال أو الشرب بها أو النفخ في الإناء أو الشرب من في السقاء
٧٩٦	الترهيب من إرضاء الحكام وغيرهم بما نعرف أنه يخالف شرع الله عز وجل	٧٧٥	عدم إقرار أصحابنا وأولادنا على الشيع والتوسع في الماء كالمشارب شرها وبطرا
٧٩٧	النهى عن إيذاء أحد من خلق الله تعالى بضرب أو هجر أو كلام أو نحو ذلك إلا بأمر شرعي	٧٧٨	التحذير من التخلف عن الإجابة إلى الولائم إلا بعدد شرعي
٧٩٩	النهى عن التهاون بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مداهنة للناس وطلباً لمرضاةهم الفاسدة	٧٧٩	الترهيب من تعاطي شيء يؤدي الملائكة الكرام الكابئين ويقرب منا الشيطان
٨٠٢	التحذير من إطلاق البصر في عيون الناس ، وعدم السؤال قط عن تحقيق ما سمعناه في حقهم من التهم	٧٨١	التورع عن أن نشير على أحد من الناس أن يتولى ولاية في هذا الزمان لعدم معرفتنا بمن يستحقها
٨٠٤	التحذير من الاغترار بإعمال الحق تعالى وحلمه علينا إذا وقعنا في شيء من المعاصي سرا أو جهرا	٧٨٥	النهى عن أن نمكن أحدا ممن صحبناه أن يشق على وعيته
٨٠٥	النهى عن المداهنة في ترك إقامة الحدود	٧٨٨	النهى عن إقرار أحد من الولاة أن لا يختار تحت يده من العمال وغيرهم إلا خيرا
٨٠٨	النهى عن تعاطي الشهوات من الأكل والشرب إلا بقدر الحاجة	٧٨٩	النهى عن لعن الراشي والمرتشي والساعي بينهما إلا إن كان مختارا وقبل الرشوة لنفسه
٨١٠	التحذير مما حذرنا الله منه أن نقع في الكبائر	٧٩١	الترهيب من ترك الإنكار على من ظلم أخاه من الفقراء وغيرهم ولو بسوء الظن
٨١٢	النهى عن المشاةة بقتل عدو من المسلمين خصوصا إن قتل بغير حق	٧٩٣	النهى عن الدخول على الظالم إلا لضرورة شرعية مع عدم تصديقه أو معاونته على باطل
٨١٣	الترهيب من أن نحضر قتل إنسان أو ضربه أو معاوخته ظلما		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٨٣٨	النهى عن إطلاق البصر في دار أحد	٨١٥	النهى عن ارتكاب صغائر الذنوب
	من خلل أو طاقة تشرف عليه	٨١٧	النهى عن مخالفة أغراض الوالدين ولو مباينة
٨٤٠	النهى عن استماع حديث قوم وهم لنا	٨١٨	النهى عن التهاون في صلة الرحم
	كارهون	٨٢٠	« التهاون بحق الجار ولو كان من أعلى أعدائنا »
٨٤٠	رياضة النفس على يد شيخ مرید	٨٢٤	النهى عن الإقامة عند الإخوان إذا زرتهم حتى تضيق عليهم
٨٤١	النهى عن مشاجرة أحد من المسلمين أو هجره أو مدايرته إلا بوجه شرعى	٨٢٦	النهى عن احتقار ما تقدمه للضيف ولا تختمه ما تقدم لنا إذا كنا ضيوفا
٨٤٤	النهى عن استرسال اللسان في حالة الغضب		من هنا قل
٨٤٥	النهى عن سب آدمي أو بهيمة أو غيرهما أو اغتباها إلا بلعنة الله عز وجل	٨٢٧	النهى عن البخل والشح على أحد من المسلمين بشيء خصصه وصا إذا كنا في غنى عنه
٨٤٧	النهى عن إطلاق الألسن بالفاظ تفهم القذف لأحد من المسلمين فضلا عن القذف الصريح	٨٢٩	النهى عن أن نرجع في هبة أو نندم عليها
٨٤٩	الترهيب من ترويع مسلم أو الإشارة إليه بسلاح ونحوه لاجلها ولا مزحا خصوصا الأطفال	٨٣٢	النهى عن قبول الهدية من مشفوع له عند ظالم
٨٥٠	التحذير من سب الدهر بمعنى الزمان	٨٣٢	الترهيب من مخالفة أحد أو مخاطبته بفحش أو بأذى
٨٥٢	النهى عن المساررة الإخوان بنميمية إلا بطريق شرعى	٨٣٢	النهى عن إساءة خلقنا على أحد من خلق الله تعالى بغير سب شرعى
٨٥٣	النهى عن الوقوع في غيبة فضلا عن الوقوع في البهتان	٨٣٤	التحذير من استعماد أحد أو التميز عليه إلا بما أذن فيه الشارع صلى الله عليه وسلم
٨٥٧	التحذير من الوقوع في اللغو مخافة أن يجر إلى مكروه أو حرام	٨٣٥	النهى عن التهاون برد السلام من غير التلفظ به
٨٥٨	النهى عن الحسد أو تمنى زوال ما أعطى أخوك المسلم	٨٣٦	النهى عن التمسيم على كافر أو تكاثره بتسخيم له إلا لضرورة شرعية

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٨٦٠	التحذير من التكبر على أحد من المسلمين أو الافتخار عليه أو العجب بشيء من أحوالنا الظاهرة أو الباطنة	٨٨٢	النهي عن الجلوس وسط الحلقة في ذكر أو علم أو غير ذلك
٨٦٤	النهي عن تعظيم أحد إلا تبعاً لتعظيم الشارع صلى الله عليه وسلم	٨٨٢	النهي عن قعود قاعدة المغضوب عليهم في الوحدة أو محضرة الناس
٨٦٥	النهي عن التهاون بالوقوع في الكذب	٨٨٢	النهي عن الجلوس في موضوع من قام لنا
٨٦٨	« » « » بالاستمزاز بأحد من خلق الله عز وجل	٨٨٣	عدم التهاون بترك معاونة من قام من مجلسه ورجع عن قرب
٨٦٩	النهي عن التهاون بالخلف بتغير الله عز وجل لاسيما بالأمانة	٨٨٤	النهي عن الجلوس بين اثنين
٨٧٠	الترهيب من الخلف قط يمينا كاذبة بالله عز وجل	٨٨٤	« » « » على الطرقات
٨٧١	النهي عن احتقار مسلم ولو باع في الفسق ما يبلغ لجهلنا بخاتمته	٨٨٥	الأمر بالشفقة على أنفسنا من تعاطى شيء يؤذيها في الدنيا والآخرة
٨٧٣	النهي عن خلاف الوعد مع أي أحد	٨٨٥	النهي عن تعويد نفوسنا ترك السنة
٨٧٤	« » قبول هدية من الأشرار كالظلمة وأهل البسع فضلاً عن الذمارة	٨٨٦	« » « » الجلوس بين الظل والشمس
٨٧٦	الترهيب في تعلم علم السحر أو الكهانة أو التنجيم بالرمل والحصى	٨٨٧	« » « » تعاطى أسباب كراهية الموت
٨٧٩	النهي عن التهاون بفعل شيء فيه سوء أدب مع الله تعالى	٨٨٩	« » « » أسباب الأذى للناس
٨٨٠	الترهيب من التهاون بترك نهى من يلعب بالنرد وما ألحق به	٨٩٠	« » « » النباحة على الميت أو نعيه نعي الجاهلية
٨٨١	النهي عن مجالسة الفسقة من الظلمة وغيرهم	٨٩٢	نهى النساء أن يجردن فوق ثلاثة أيام إلا على زوج
		٨٩٢	الترهيب من ولاية اليتيم
		٨٩٣	نهى النساء عن زيارة القبور مطلقاً
		٨٩٤	الترهيب من أن تمر بقبور الظالمين غافلين عما أصابهم
		٨٩٥	الترهيب من تعاطى أسباب عنداب القبر

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
عدم التماذى على شىء من العوج فى الأعمال والأحوال	٩٠٠	الترهيب من الجلوس على قبر المسلم ونهى الحفارين عن كسر عظام لليت	٨٩٧
النهى عن الملل من تعلم العلم والعمل به	٩٠١	الترغيب فى عدم ترك شىء من الأعمال التى يتسبب عنها العرق	٨٩٨
الترهيب من التسبب فى بذيان دركات فى النار ولو قدر مفحص قطة	٩٠٢	الحث على محاسبة النفس فى جميع أحوالها	٨٩٩

